Marfat.com

الكامل في التاريخ

لابن الأثير

دار الكتاب العربي
بيروت

الكامل في التاريخ

Marfat.com

الكامل
في التاريخ

للامام العلامة عمده المؤرخين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيباني المعروف بابن الاثير
الجزري الملقب بعز الدين
المتوفى سنه ٦٣٠ هـ

الجزء الثامن

عُنِيَ بمراجعة أصوله والتعليق عليه
نخبة من العلماء

وتميزت هذه الطبعة بفهارس شاملة

الناشر
دار الكتاب العربي
ص.ب: ٥٧٦٩-١١ بيروت

Marfat.com

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الخامسة
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

دار الكتاب العربي

الرملة البيضاء - ملكارت سنتر - الطابق الرابع تلفون: ٨٠٠٨٣٢ ٨٠٠٨١١ ٨٠٥٤٧٨

تلكس: ٤٠١٣٩ L.E. كتاب برقياً: الكتاب ص.ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

Marfat.com

الجزء الثامن

Marfat.com

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر وثوب الأجناد بجلال الدولة وإخراجه من بغداد ﴾ فى هذه السنة فى ربيع الأول تجددت الفتنة بين جلال الدولة وبين الأتراك فأغلق بابه فجاءت الأتراك ونهبوا داره وسلبوا الكتاب وأرباب الديوان ثيابهم وطلبوا الوزير أبا إسحق السهلى فهرب إلى حلة كمال الدولة غريب بن محمد ، وخرج جلال الدولة إلى عكبرا فى شهر ربيع الآخر وخطب الأتراك ببغداد للملك أبى كاليجار وأرسلوا إليه يطلبونه وهو بالأهواز ، فمنعه العادل ابن مافنة عن الإصعاد إلى أن يحضر بعض قوادهم فلما رأوا امتناعه من الوصول إليهم أعادوا خطبة جلال الدولة وساروا إليه وسألوه العود إلى بغداد واعتذروا فعاد إليها بعد ثلاثة وأربعين يوما ووزر له أبو القاسم ابن ما كولا ثم عزل ووزر بعده عميد الدولة أبو سعد بن عبد الرحيم فبقى وزيرا أياما ثم استتر ، وسبب ذلك أن جلال الدولة تقدم إليه بالقبض على أبى المعمر إبراهيم بن الحسين البسامى طمعا فى ماله ، فقبض عليه وجعله فى داره فثار الأتراك وأرادوا منعه وقصدوا دار الوزير وأخذوه وضربوه وأخرجوه من داره حافيا ومزقوا ثيابه وأخذوا عمامته وقطعوها وأخذوا خواتيمه من يده فدميت أصابعه وكان جلال الدولة فى الحمام فخرج مرتاعا فركب وظهر لينظر ما الخبر ، فأكب الوزير يقبل الأرض ويذكر مافعل به فقال جلال الدولة : أنا ابن بهاء الدولة وقد فعل بى أكثر من هذا ، ثم أخذ من البسامى ألف دينار وأطلق واختفى الوزير .

﴿ ذكر انهزام علاء الدولة بن كاكويه من عسكر مسعود بن محمود بن سبكتكين ﴾ قد ذكرنا انهزام علاء الدولة أبى جعفر من الرىّ ومسيره عنها ، فلما وصل إلى قلعة فردجان أقام بها لتندمل جراحه ومعه فرهاذ ابن مرداويج كان قد جاءه مدداً له وتوجهوا منها إلى بروجرد فسير تاش فراش مقدم عسكر خراسان جيشا إلى علاء الدولة واستعمل عليهم على بن عمران فسار يقص أثر علاء الدولة ، فلما قارب بروجرد صعد فرهاذ إلى قلعة سليموه ومضى أبو جعفر إلى سابور خواست ونزل عند الأكراد الجوزقان وملك عسكر خراسان بروجرد وراسل فرهاذ الأكراد الذين مع على بن عمران واستمالهم فصاروا معه وأرادوا أن يفتكوا بعلىّ فبلغه الخبر فركب ليلا فى خاصته وسار نحو همذان ونزل فى الطريق بقرية تعرف بـ « كسب » وهى منيعة فاستراح فيها فلحقه فرهاذ وعسكره والأكراد الذين صاروا معه وحصروه فى القرية ، فاستسلم وأيقن بالهلاك ، فأرسل الله تعالى ذلك اليوم مطراً وثلجا فلم يمكنهم المقام عليه لأنهم كانوا جريدة بغير خيام ولا آلة الشتاء ، فرحلوا عنه وراسل على بن عمران الأمير تاش فراش يستنجده ويطلب العسكر إلى همذان ، ثم اجتمع فرهاذ وعلاء الدولة ببروجرد واتفقا على قصد همذان وسير علاء الدولة إلى أصبهان وبها ابن أخيه يطلبه وأمره بإحضار السلاح

Marfat.com

والمال ففعل وسار ، فبلغ خبره على بن عمران فسار إليه من همذان جريدة فكبسه بجرباذقان وأسر كثيرا من عسكره وقتل منهم وغنم ما معه من سلاح ومال وغير ذلك ، ولما سار على عن همذان دخلها علاء الدولة وملكها ظنا منه أن عليا سار منهزما ، وسار علاء الدولة من همذان إلى كرج فأتاه خبر ابن أخيه ففت فى عضده وكان على بن عمران قد سار بعد الوقعة إلى أصبهان طامعا فى الاستيلاء عليها وعلى مال علاء الدولة وأهله فتعذر عليه ذلك ومنعه أهلها والعسكر الذى فيها فعاد عنها فلقيه علاء الدولة وفرهاذ فاقتتلوا فانهزم منهما وأخذوا ما معه من الأسرى إلا أبا منصور بن أخى علاء الدولة فإنه كان قد سيره إلى تاش فراش وسار على من المعركة منهزما نحو تاش فراش فلقيه بكرج فعاتبه على تأخره عنه واتفقا على المسير إلى علاء الدولة وفرهاذ وكان قد نزل بجبل عند بروجرد متحصنا فيه فافترق تاش وعلى وقصداه من جهتين : أحدهما من خلفه والآخر من الطريق المستقيم ، فلم يشعر إلا وقد خالطه العسكر فانهزم علاء الدولة وفرهاذ وقتل كثير من رجالها ، فمضى علاء الدولة إلى أصبهان وصعد فرهاذ إلى قلعة سليموه فتحصن بها .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة توفى قدرخان ملك الترك بما وراء النهر ، وفيها ورد أحمد بن محمد المنكدرى الفقيه الشافعى رسولا من مسعود بن محمود بن سبكتكين إلى القائم بأمر الله معزيا له بالقادر بالله ، وفيها نقل تابوت القادر بالله إلى المقبرة بالرصافة ، وشهده الخلق العظيم ، وحجاج خراسان ، وكان يوما مشهوداً ، وفيها كان بالبلاد غلاء شديد ، واستسقى الناس فلم يسقوا ، وتبعه وباء عظيم ، وكان عاما فى جميع البلاد بالعراق والموصل والشام وبلد الجبل وخراسان وغزنة والهند وغير ذلك ، وكثر الموت فدفن فى أصبهان فى عدة أيام أربعون ألف ميت[1] ، وكثر الجدرى فى الناس فأحصى بالموصل أنه مات به أربعة آلاف صبى ، ولم تخل دار من مصيبة لعموم المصائب وكثرة الموت ، وممن جدر القائم بأمر الله وسلم ، وفيها جمع نائب نصر الدولة ابن مروان بالجزيرة جمعا ينيف على عشرة آلاف رجل وغزا من يقاربه من الأرمن وأوقع بهم وأثخن فيهم وغنم وسبى كثيراً وعاد ظافراً منصوراً وفيها كان بين أهل تونس من أفريقية خلف ، فسار المعز بن باديس إليهم بنفسه فأصلح بينهم وسكن الفتنة وعاد ، وفيها اجتمع ناس كثير من الشيعة بأفريقية وساروا إلى أعمال نفطة ، فاستولوا على بلد منها وسكنوه ، فجرد إليهم المعز عسكراً فدخلوا البلاد وحاربوا الشيعة وقتلوهم أجمعين ، وفيها خرجت العرب على حاج البصرة ونهبوهم وحج الناس من سائر البلاد إلا من العراق ، وفيها توفى أبو الحسن ابن رضوان المصرى النحوى فى رجب ، وفيها قتل الملك أبو كاليجار صندلا الخصى ، وكان قد استولى على المملكة وليس لأبى كاليجار معه غير الاسم ، وفيها توفى على بن أحمد بن الحسن بن محمد بن نعيم أبو الحسن النعيمى البصرى : حدث عن جماعة وكان حافظا شاعراً[2] فقيها على مذهب الشافعى .

---

(١) فى هذه السنة رأى رجل من أهل أصبهان فى منامه مناديا ينادى بصوت جهورى : ياأهل أصبهان ، سكت . نطق ـ سكت . نطق ، فانتبه الرجل مذعورا فلم يدر أحد تأويلها ماهو ؟ حتى قال رجل : احذروا ياأهل أصبهان ، فإنى قرأت فى شعر أبى العتاهية . قوله : (سكت) الدهر زمانا عنهم * ثم أبكاهم دما حين (نطق)
فما كان إلا قليل حتى جاء الملك مسعود بن محمود فقتل منهم خلقا كثيرا حتى قتل الناس فى الجوامع .

(٢) مما يروى من شعره قوله : إذا أظمأتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعاً وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همه فى الثريا * أبيا لنائل ذى نعمة
تراه بما فى يديه أبيا * فإن إراقة ماء الحيا * ة دون إراقة ماء المحيا

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر عود مسعود إلى غزنة والفتن بالرى وبلاد الجبل﴾ فى هذه السنة فى رجب عاد الملك مسعود بن محمود ابن سبكتكين من نيسابور إلى غزنة وبلاد الهند ، وكان سبب ذلك أنه لما كان قد استقر له الملك بعد أبيه أقرّ بما كان قد فتحه أبوه من الهند نائبا يسمى أحمد ينالتكين ، وقد كان أبوه محمود استنابه بها ثقة بجلده ونهضته فرست قدمه فيها ، وظهرت كفايته ، ثم إن مسعوداً بعد فراغه من تقرير قواعد الملك والقبض على عمه يوسف والمخالفين له سار إلى خراسان عازما على قصد العراق ، فلما أبعد عصى ذلك النائب بالهند فاضطر مسعود إلى العود فأرسل إلى علاء الدولة بن كاكويه وأمره على أصبهان بقرار يؤديه كل سنة وكان علاء الدولة قد أرسل يطلب ذلك فأجابه إليه وأقر ابن قابوس بن وشمكير على جرجان وطبرستان على مال يؤديه إليه ، وسير أبا سهل الحمدونى إلى الرىّ للنظر فى أمور هذه البلاد الجبلية والقيام بحفظها ، وعاد إلى الهند فأصلح الفاسد وأعاد المخالف إلى طاعته وفتح قلعة حصينة تسمى سرستى على ماتذكره ، وقد كان أبوه حصرها غير مرة فلم يتهيأ له فتحها ، ولما سار أبو سهل إلى الرىّ أحسن إلى الناس وأظهر العدل ، فأزال الأقساط والمصادرات ، وكان تاش فراش قد ملأ البلاد ظلما وجورا حتى تمنى الناس الخلاص منهم ومن دولتهم وخربت البلاد وتفرق أهلها فلما ولى الحمدونى وأحسن وعدل عادت البلاد فعمرت والرعية أمنت ؛ وكان الإرجاف شديداً بالعراق لما كان الملك مسعوداً بنيسابور ، فلما عاد سكن الناس واطمأنوا .

﴿ذكر ظفر مسعود بصاحب ساوة وقتله﴾ فيها قبض عسكر السلطان مسعود بن محمود على شهريوش بن ولكين فأمر به مسعود فقتل وصلب على سور ساوة ، وكان سبب ذلك أن شهريوش كان صاحب ساوة وقم وتلك النواحى ، فلما اشتغل مسعود باخيه محمد بعد موت والده جمع شهريوش جمعا وسار إلى الرى محاصراً لها فلم يتم ما أراده ، وجاءت العساكر فعاد عنها ، ثم فى هذه السنة اعترض الحجاج الواردين من خراسان وعسفهم أذاه وأخذ منهم ما لم تجر به عادة وأساء إليهم وبلغ ذلك إلى مسعود فتقدم إلى تاش فراش وإلى أبى الطيب طاهر بن عبد الله خليفته معه يطلب شهريوش وقصده أين كان واستنفاد الوسع فى قتاله ، فسارت العساكر فى أثره فاحتمى بقلعة تقارب قم تسمى فستق وهى حصينة عالية المكان وثيقة البنيان فأحاطوا به وأخذوه ، وكتبوا إلى مسعود فى أمره ، فأمرهم بصلبه على سور ساوة .

﴿ذكر استيلاء جلال الدولة على البصرة وخروجها عن طاعته﴾ فى هذه السنة سارت عساكر جلال الدولة مع ولده الملك العزيز فدخلوا البصرة فى جمادى الأولى ، وكان سبب ذلك أن بختيار متولى البصرة توفى ، فقام بعده ظهير الدين أبو القاسم خال ولده لجلد كان فيه وكفاية وهو فى طاعة الملك أبى كاليجار ، ودام كذلك ، فقيل لأبى كاليجار إن أبا القاسم ليس لك من طاعته غير الاسم ولو رمت عزله لتعذر عليك وبلغ ذلك أبا القاسم فاستعد للامتناع وأرسل أبو كاليجار إليه ليعزله فامتنع ، وأظهر طاعة جلال الدولة ، وخطب له وأرسل إلى ابنه وهو بواسط يطلبه ، فانحدر إليه فى عساكر أبيه التى كانت معه بواسط ودخلوا البصرة وأقاموا بها وأخرجوا عساكر أبى كاليجار منها وبقى الملك العزيز بالبصرة مع أبى القاسم إلى أن دخلت سنة خمس وعشرين وليس له معه أمر والحكم إلى أبى القاسم ، ثم إنه أراد القبض على بعض الديلم فهرب ودخل دار الملك العزيز مستجيراً فاجتمع الديلم إليه وشكوا من أبى القاسم فصادف شكواهم صدراً

Marfat.com

موغراً حنقاً عليه لسوء صحبته ، فأجابهم إلى ما أرادوه من إخراجه عن البصرة ، واجتمعوا وعلم أبو القاسم بذلك فامتنع بالأبلة وجمع أصحابه وجرى بين الفريقين حروب كثيرة انجلت عن خروج العزيز عن البصرة وعوده إلى واسط وعود أبي القاسم إلى طاعة أبي كاليجار .

﴿ذكر إخراج جلال الدولة من دار المملكة وإعادته إليها﴾ في هذه السنة في رمضان شغب الجند على جلال الدولة وقبضوا عليه ثم أخرجوه من داره ثم سألوه ليعود إليها فعاد ، وسبب ذلك أنه استقدم الوزير أبا القاسم من غير أن يعلموا ، فلما قدم ظنوا أنه إنما ورد للتعرض إلى أموالهم ونعمهم فاستوحشوا واجتمعوا إلى داره وهجموا عليه وأخرجوه إلى مسجد هناك ، فوكلوا به فيه ، ثم إنهم أسمعوه ما يكره ونهبوا بعض ما في داره ، فلما وكلوا به جاء بعض القواد في جماعة من الجند ومن انضاف إليه من العامة والعيارين فأخرجه من المسجد وأعاده إلى داره فنقل جلال الدولة ولده وحرمه وما بقي له إلى الجانب الغربي وعبر هو في الليل إلى الكرخ ، فلقيه أهل الكرخ بالدعاء فنزل بدار المرتضى وعبر الوزير أبو القاسم معه ثم إن الجند اختلفوا فقال بعضهم نخرجه من بلادنا ونملك غيره ، وقال بعضهم ليس من بني بويه غيره وغير أبي كاليجار وذلك قد عاد إلى بلاده ولا بد من مداراة هذا فأرسلوا إليه يقولون له نريد أن تنحدر عنا إلى واسط وأنت ملكنا وتترك عندنا بعض أولادك الأصاغر ، فأجابهم إلى ذلك وأرسل سرا إلى الغلمان الأصاغر فاستمالهم وإلى كل واحد من الأكابر وقال إنما أثق بك وأسكن إليك واستمالهم أيضاً فعبروا إليه وقبلوا الأرض بين يديه وسألوه العود إلى دار الملك فعاد وحلف لهم على إخلاص النية والإحسان إليهم وحلفوا له على المناصحة واستقر في داره .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ في هذه السنة توفي الوزير أحمد بن الحسن الميمندي وزير مسعود بن سبكتكين ، ووزر بعده أبو نصر أحمد بن علي بن عبد الصمد وكان وزير هرون التونتاش صاحب خوارزم ، ووزر بعده لهرون ابنه عبد الجبار ، وفيها ثار العيارون ببغداد وأخذوا أموال الناس ظاهراً وعظم الأمر على أهل البلد وطمع المفسدون إلى حد أن بعض القواد الكبار أخذ أربعة من العيارين فجاء عقيدهم وأخذ من أصحاب القائد أربعة وحضر باب داره ودق عليه الباب فكلمه من داخل فقال العقيد : قد أخذت من أصحابك أربعة فإن أطلقت من عندك أطلقت أنا من عندي وإلا قتلتهم وأحرقت دارك فأطلقهم القائد ، وفيها تأخر الحاج من خراسان ، وفيها خرج حجاج البصرة بخفير فغدر بهم ونهبهم ، وفيها في جمادى الأولى توفي أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن البيضاوي الفقيه الشافعي عن نيف وثمانين سنة ، وفيها في شوال توفي أبو الحسن بن السماك القاضي عن خمس وتسعين سنة (١) .

﴿ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمائة﴾

﴿ذكر فتح قلعة سرستي وغيرها من بلد الهند﴾ في هذه السنة فتح السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين قلعة سرستي وما جاورها من بلد الهند ، وكان سبب ذلك ما ذكرناه من عصيان نائبه بالهند أحمد ينالتكين عليه

---

(١) هو أبو الحسن الواعظ المعروف بابن السماك ، ولد سنة ثلاثين وثلثمائة ، وسمع جعفر الخلدي وغيره ، وكان يعظ بجامع المنصور وجامع المهدي ، ويتكلم على طريقة الصوفية . ولما مات دفن بباب حرب .

Marfat.com

Marfat.com

ومسيره إليه ، فلما عاد أحمد إلى طاعته أقام بتلك البلاد طويلا حتى أمنت واستقرت وقصد قلعة سرستى وهى من أمنع حصون الهند وأحصنها فحصرها وقد كان أبوه حصرها غير مرة فلم يتهيأ له فتحها ، فلما حصرها مسعود راسله صاحبها وبذل له مالا على الصلح فأجابه إلى ذلك وكان فيها قوم من التجار المسلمين فعزم صاحبها على أخذ أموالهم وحملها إلى مسعود من جملة القرار عليه ، فكتب التجار رقعة فى نشابة ورموا بها إليه يعرفونه فيها ضعف الهنود بها وأنه إن صابرهم ملكها ، فرجع عن الصلح إلى الحرب وطم خندقها بالشجر وقصب السكر وغيره وفتح الله عليه وقتل كل من فيها وسبى ذراريهم وأخذ ما جاورها من البلاد وكان عازما على طول المقام والجهاد فأتاه من خراسان خبر الغز ، فعاد على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ذكر حصر قلعة بالهند أيضاً﴾ لما ملك مسعود قلعة سرستى رحل عنها إلى قلعة نغسى ، فوصل إليها عاشر صفر وحصرها فرآها عالية لا ترام يرتد البصر دونها وهو حسير إلا أنه أقام عليها يحصرها فخرجت عجوز ساحرة فتكلمت باللسان الهندى طويلا وأخذت مكنسة فبلتها بالماء ورشته منها إلى جهة عسكر المسلمين فمرض وأصبح ولا يقدر أن يرفع رأسه وضعفت قوته ضعفاً شديداً فرحل عن القلعة لشدة المرض فحين فارقها زال ما كان به وأقبلت الصحة والعافية إليه وسار نحو غزنه .

﴿ذكر الفتنة بنيسابور﴾ لما اشتد أمر الأتراك بخراسان على ما نذكره تجمع كثير من المفسدين وأهل العبث والشر وكان أول من أثار الشر أهل أبيورد وطوس واجتمع معهم خلق كثير وساروا إلى نيسابور لينهبوها وكان الوالى عليها قد سار عنها إلى الملك مسعود فخافهم خوفا عظيما وأيقنوا بالهلاك فبينما هم يترقبون البوار والاستئصال وذهاب الأنفس والأموال إذ وصل إليهم أمير كرمان فى ثلثمائة فارس قدم متوجها إلى مسعود أيضا فاستغاث به المسلمون وسألوه أن يقيم عندهم ليكف عنهم الأذى ، فأقام عليهم وقاتل معهم وعظم الأمر واشتدت الحرب وكان الظفر له ولأهل نيسابور ، فانهزم أهل طوس وأبيورد ومن تبعهم وأخذتهم السيوف من كل جانب وعمل بهم أمير كرمان أعمالا عظيمة وأثخن فيهم وأسر كثيرا منهم وصلبهم على الأشجار وفى الطرق ، فقيل إنه عدم من أهل طوس عشرون ألف رجل ثم إن أمير كرمان أحضر زعماء قرى طومن وأخذ أولادهم وإخوانهم وغيرهم من أهليهم رهائن فأودعهم السجون وقال : إن اعترض منكم واحد إلى أهل نيسابور أو غيرهم أو قطع طريقا فأولادكم وإخوانكم ورهائنكم مأخوذون بجناياتكم ، فسكن الناس وفرج الله عن أهل نيسابور بما لم يكن فى حسابهم .

﴿ذكر الحرب بين علاء الدولة وعسكر خراسان﴾ فى هذه السنة اجتمع علاء الدولة بن كاكويه وفرهاذ بن مرداويج ، واتفق على قتال عسكر مسعود بن محمود بن سبكتكين ، وكانت العساكر قد خرجت من خراسان مع أبى سهل الحمدونى فالتقوا واقتتلوا قتالا شديداً صبر فيه الفريقان ، ثم انهزم علاء الدولة وقتل فرهاذ واحتمى علاء الدولة بجبال بين أصبهان وجرباذقان ، ونزل عسكر مسعود بكرج وأرسل أبو سهل إلى علاء الدولة يقول له ليبذل المال ويراجع الطاعة ليقره على ما بقى من البلاد ويصلح حاله مع مسعود ، فترددت الرسل فلم يستقر بينهم أمر فسار أبو سهل إلى أصبهان فملكها وانهزم علاء الدولة من بين يديه لما خاف الطلب إلى ايدج وهى للملك أبى كاليجار ، ولما استولى أبو سهل على أصبهان نهب خزائن علاء الدولة وأمواله وكان

Marfat.com

أبو على بن سينا فى خدمة علاء الدولة فأخذت كتبه وحملت إلى غزنة ، فجعلت فى خزائن كتبها إلى أن أحرقها عساكر الحسين بن الحسين الغورى على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر الحرب بين نور الدولة دبيس وأخيه ثابت ﴾ فى هذه السنة كانت حرب شديدة بين دبيس ابن على بن مزيد وأخيه أبى قوام ثابت بن على بن مزيد . وسبب ذلك أن ثابتا كان يعتضد بالبساسيرى ويتقرب إليه ، فلما كان سنة أربع وعشرين وأربعمائة سار البساسيرى معه إلى قتال أخيه دبيس فدخلوا النيل واستولوا عليه وعلى أعمال نور الدولة ، فسير نور الدولة إليهم طائفة من أصحابه فقتلوهم فانهزموا ، فلما رأى دبيس هزيمة أصحابه سار عن بلده وبقى ثابت فيه إلى الآن ، فاجتمع دبيس وأبو المغر اعناز بن المغر وبنو أسد وخفاجة وأعانه أبو كامل منصور بن قراد وساروا جريدة لإعادة دبيس إلى بلده وأعماله وتركوا حللهم بين خصا وحربى ، فلما ساروا لقيهم ثابت عند جر جرايا ، وكانت بينهم حرب قتل فيها جماعة من الفريقين ثم تراسلوا واصطلحوا ليعود دبيس إلى أعماله ويقطع أخاه ثابتا أقطاعا وتحالفوا على ذلك وسار البساسيرى نجدة لثابت ، فلما وصل إلى النعمانية سمع بصلحهم فعاد إلى بغداد .

﴿ ذكر ملك الروم قلعة بركوى ﴾ هذه قلعة متاخمة للأرمن فى يد أبى الهيجاء بن ربيب الدولة بن أخت وهودان بن ملان ، فتنافر هو وخاله فأرسل خاله إلى الروم فأطمعهم فيها فسير الملك إليها جمعا كثيرا فملكوها فبلغ الخبر إلى الخليفة فأرسل إلى أبى الهيجاء وخاله من يصلح بينهما ليتفقا على استعادة القلعة فاصطلحا ولم يتمكنا من استعادتها ، واجتمع إليهما خلق كثير من المتطوعة فلم يقدروا على ذلك لثبات قدم الروم بها .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة استوزر جلال الدولة عميد الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم وهى الوزارة الخامسة ، وكان قبله فى الوزارة ابن ماكولا ، ففارقها وسار إلى عكبرا فرده جلال الدولة إلى الوزارة وعزل أبا سعد فبقى أياما ثم فارقها إلى أوانا ، وفيها استخلف البساسيرى فى حماية الجانب الغربى ببغداد لأن العيارين اشتد أمرهم وعظم فسادهم وعجز عنهم نواب السلطان فاستعملوا البساسيرى لكفايته ونهضته ، وفيها توفى أبو سنان غريب بن محمد بن مقن فى شهر ربيع الآخر فى كرخ سامرا وكان يلقب سيف الدولة وكان قد ضرب دراهم سماها السيفية وقام بالأمر بعده ابنه أبو الريان وخلف خمسمائة ألف دينار وأمر فنودى قد أحللت كل من لى عنده شىء فخللونى كذلك فخللوه وكان عمره سبعين سنة ، وفيها توفى بدران بن المقلد وقصد ولده عمه قرواشا فأقر عليه حاله وماله وولاية نصيبين وكان بنو نمير قد طمعوا فيها وحصروها فسار إليهم ابن بدران فدفعهم عنها ، وفيها توفى أرمانوس ملك الروم وملك بعده رجل صيرفى ليس من بيت الملك ، وإنما بنت قسطنطين اختارته ، وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام وكان أكثرها بالرملة ، فإن أهلها فارقوا منازلهم عدة أيام وانهدم منها نحو ثلثها وهلك تحت الهدم خلق كثير ، وفيها كان بأفريقية مجاعة شديدة وغلاء ، وفيها قبض قرواش على البرجمى العيار وغرقه ، وكان سبب ذلك أن قرواشا قبض على ابن القلعى عامل عكبرا فحضر البرجمى العيار عند قرواش مخاطبا فى أمره لمودة بينهما ، فأخذه قرواش وقبض عليه فبذل مالا كثيرا ليطلقه فلم يفعل وغرقه وكان هذا البرجمى قد عظم شأنه وزاد شره وكبس عدة مخازن بالجانب الشرقى وكبس دار المرتضى ودار ابن عديسة وهى مجاورة دار الوزير وثار العامة بالخطيب يرم الجمعة وقالوا : إما أن تخطب للبرجمى وإلا فلا تخطب لسلطان ولا لغيره وأهلك الناس ببغداد ، وحكاياته كثيرة ، وكان مع هذا فيه فتوة وله مروءة لم يعرض إلى امرأة ولا إلى

Marfat.com

من يستسلم إليه ، وفيها هبت ريح سوداء بنصيبين فقلعت من بساتينها كثيراً من الأشجار ، وكان فى بعض البساتين قصر مبنى بجص وآجر وكلس فقلعته من أصله ، وفيها كثر الموت بالخوانيق فى كثير من بلاد العراق والشام والموصل وخوزستان وغيرها حتى كانت الدار يسد بابها لموت أهلها ، وفيها فى ذى القعدة انقض كوكب هال منظره الناس وبعده بليلتين انقض شهاب آخر أعظم منه كأنه البرق ملاصق الأرض وغلب على ضوه المشاعل ومكث طويلا حتى غاب أثره ، وفيها توفى أبو العباس الأبيوردى الفقيه الشافعى قاضى البصرة ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن غالب البرقانى المحدث الإمام المشهور (١) وكانت وفاته فى رجب ، والحسين بن عبد الله ابن يحيى أبو على البندنيجى الفقيه الشافعى وهو من أصحاب أبى حامد الإسفرايني . وعبد الوهاب بن عبد العزيز ابن الحرث بن أسد أبو الفرج التميمى الفقيه الحنبلى .

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر حال الخلافة والسلطنة ببغداد ﴾ فى هذه السنة انحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد حتى إن بعض الجند خرجوا إلى قرية يحيى فلقيهم أكراد فأخذوا دوابهم فعادوا إلى قراح الخليفة القائم بأمر الله فنهبوا شيئا من ثمرته وقالوا للعمالين فيه أنتم عرفتم حال الأكراد ولم تعلمونا فسمع الخليفة الحال فعظم عليه ولم يقدر جلال الدولة على أخذ أولئك الأكراد لعجزه ووهنه واجتهد فى تسليم الجند إلى نائب الخليفة فلم يمكنه ذلك ، فتقدم الخليفة إلى القضاة بترك القضاء والامتناع عنه وإلى الشهود بترك الشهادة وإلى الفقهاء بترك الفتوى ، فلما رأى جلال الدولة ذلك سأل أولئك الأجناد ليجيبوه إلى أن يحملهم إلى ديوان الخلافة ففعلوا ، فلما وصلوا إلى دار الخلافة أطلقوا وعظم أمر العيارين وصاروا يأخذون الأموال ليلا ونهارا ولا مانع لهم ، لأن الجند يحمون على السلطان ونوابه والسلطان عاجز عن قهرهم ، وانتشر العرب فى البلاد فنهبوا النواحى وقطعوا الطريق وبلغوا إلى أطراف بغداد حتى وصلوا إلى جامع المنصور وأخذوا ثياب النساء فى المقابر .

﴿ ذكر إظهار أحمد ينالتكين العصيان وقتله ﴾ فى سنة خمس وعشرين عاد مسعود بن محمود من الهند لقتال الغز كما ذكرناه ، فعاد أحمد ينالتكين إلى إظهار العصيان ببلاد الهند وجمع الجموع وقصد البلاد بالأذى ، فسير إليه مسعود جيشا كثيفا ، وكانت ملوك الهند تمنعه من الدخول إلى بلادهم وسد منافذ هربه ، ولما وصل الجيش

---

(١) ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وسمع الكثير ورحل إلى البلاد ، وجمع كتبا كثيرة جدا ، وكان عالما بالقرآن والحديث والفقه والنحو ، وله مصنفات فى الحديث حسنة نافعة . قال الأزهرى : لما مات البرقانى ذهب هذا الشأن وما رأيت أتقن منه . وقال غيره : مارأيت أعبد منه فى أهل الحديث . ولما مات صلى عليه أبو على بن أبى موسى الهاشمى ودفن فى مقبرة الجامع ببغداد . وقد أورد ابن عساكر له من شعره :

أعلل نفسى بكتب الحديث * وأجمل فيه لها الموعدا * وأشغل نفسى بتصنيفه
وتخريجه دائما سرمدا * فطورا أصنفه فى الشيو * خ وطورا أصنفه مسندا
وأقفو البخارى فيما حوا * * وصنفه جاهدا مجهدا * ومسلم إذ كان زين الأنام
بتصنيفه مسلما مسلما مرشدا * ومالى فيه سوى أننى * أراه هوى صادف المقصدا
فأرجو الثواب بكتب الصلاة * ة على السيد المصطفى أحمدا

المتقدّ إليه قاتلهم فانهزم ومضى هاربا إلى الملتان وقصد بعض ملوك الهند بمدينة بهاطية ومعه جمع كثير من عساكره الذين سلموا ، فلم يكن لذلك الملك قدرة على منعه وطلب منه سفنا ليعبر نهر السند فأحضر له السفن وكان فى وسط النهر جزيرة ظنها أحمد ومن معه متصلة بالبر من الجانب الآخر ولم يعلموا أن الماء محيط بها فتقدم ملك الهند إلى أصحاب السفن بإنزالهم فى الجزيرة والعود عنهم ففعلوا ذلك وبقى أحمد ومن معه فيها وليس معهم طعام إلا مامعهم فبقوا بها تسعة أيام ففنى زادهم وأكلوا دوابهم وضعفت قواهم ، فأرادوا خوض الماء فلم يتمكنوا منه لعمقه وشدة الوحل فيه فعبر الهند إليهم عسكره فى السفن وهم على تلك الحال فأوقعوا بهم وقتلوا أكثرهم وأخذوا ولداً لأحمد أسيراً فلما رآه أحمد على تلك الحال قتل نفسه واستوعب أصحابه القتل والأسر والغرق

﴿ذكر ملك مسعود جرجان وطبرستان﴾ كان الملك مسعود قد أقر دارا بن منوجهر بن قابوس على جرجان وطبرستان وتزوج أيضا بابنة أبى كاليجار القوهى مقدم جيش دارا والقيم بتدبير أمره استمالة فلما سار إلى الهند سعوا ما كان استقرّ عليهم من المال وراسلوا علاء الدولة بن كاكويه وفرهاذ بالاجتماع على العصيان والمخالفة وقوّى عزمهم على ذلك مابلغهم من خروج الغز بخراسان ، فلما عاد مسعود من الهند وأجلى الغز وهزمهم سار إلى جرجان فاستولى عليها وملكها وسار إلى آمل طبرستان وقد فارقها أصحابها واجتمعوا بالغياض والأشجار الملتفة الضيقة المدخل الوعرة المسلك فسار إليهم واقتحمها عليهم فهزمهم وأسر منهم وقتل ثم راسله دارا وأبوكاليجار وطلبوا منه العفو وتقرير البلاد عليهم فأجابهم إلى ذلك وحملوا من الأموال ما كان عليهم وعاد إلى خراسان .

﴿ذكر مسير ابن وثاب والروم إلى بلد ابن مروان﴾ فيها جمع ابن وثاب النميرى جمعا كثيراً من العرب وغيرهم واستنجد من بالرها من الروم فسار معه منهم جيش كثيف وقصد بلد نصر الدولة بن مروان ونهب وأخرب فجمع ابن مروان جموعه وعساكره واستمد قرواشا وغيره وأتته الجنود من كل ناحية ، فلما رأى ابن وثاب ذلك وأنه لا يتم له غرض عاد عن بلاده ، وأرسل ابن مروان إلى ملك الروم يعاتبه على نقض الهدنة وفسخ الصلح الذى كان بينهما وراسل أصحاب الأطراف يستنجدهم للغزاة فكثر جمعه من الجند والمتطوعة وعزم على قصد الرها ومحاصرتها ، فوردت رسل ملك الروم يعتذر ويحلف أنه لم يعلم بما كان وأرسل إلى عسكره الذين بالرها والمقدم عليهم ينكر ذلك وأهدى إلى نصر الدولة هدية سنية فترك ما كان عازما عليه من الغزو وفرق العساكر المجتمعة عنده .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فيها خرج أبوسعد وزير جلال الدولة إلى أبى الشوك مفارقا للوزارة ووزر بعده أبوالقاسم وكثرت مطالبات الجند فهرب فأخرج وحمل إلى دار المملكة مكشوف الرأس فى قميص خفيف ، وكانت وزارته هذه شهرين وثمانية أيام ، وعاد أبوسعد بن عبدالرحيم إلى الوزارة ، وفيها فى ذى الحجة وثب الحسن ابن أبى البركات ابن ثمال الخفاجى بعمه على ابن ثمال أمير بنى خفاجة فقتله وقام بإمارة بنى خفاجة وفيها جمعت الروم وسارت إلى ولاية حلب فخرج إليهم صاحبها شبل الدولة بن صالح بن مرداس فتصافوا واقتتلوا فانهزمت الروم وتبعهم إلى عزاز وغنم غنائم كثيرة وعاد سالما ، وفيها قصدت خفاجة الكوفة ومقدمهم الحسن ابن أبى البركات بن ثمال فنهبوها وأرادوا تخريبها ومنعوا النخل من الماء فهلك أكثره ، وفيها هرب الزكى أبوعلى النهر سابسى من محبسه ، وكان قرواش قد اعتقله بالموصل فبقى سنتين إلى الآن ولم يحج هذه

Marfat.com

Marfat.com

السنة من العراق أحد ، وفى هذه السنة توفى أحمد بن كليب الأديب الشاعر الأندلسى وحديثه مع أسلم بن أحمد ابن سعيد مشهور ، وكان يهواه فقال فيه :

أسلمنى فى هوى * أسلم هذا الرشا * غزال له مقلة * يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد * سيسأل عما وشى * ولو شاء أن يرتشى * على الوصل روحى ارتشى

ومات كمدا من هواه ؛ وتوفى فى جمادى الأولى منها أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد الأديب الأندلسى ، ومن شعره :

إن الكريم إذا نالته مخمصة * أبدى إلى الناس شبعا وهو طيان
يخفى الضلوع على مثل اللظى حرقا * والوجه غمر بماء البشر ملآن

وله أيضا :

كتبت لها إنى عاشق * على مهرق اللثم بالناظر
فردّت علىّ جواب الهوى * بأحور عن مائه حائر
منعمة نطقت بالجفون * فدلت على دقة الخاطر
كأنّ فؤادى إذا أعرضت * تعلق فى مخلبى طائر

وفيها توفى أبو المعالى بن سخطة العلوى النقيب بالبصرة وأبو محمد بن معية العلوى بها أيضا وأبو على الحسين ابن أحمد بن شاذان المحدّث الأشعرى مذهبا ، وكان مولده ببغداد سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وحمزة بن يوسف الجرجانى وكان من أهل الحديث .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر وثوب الجند بجلال الدولة ﴾ فى هذه السنة ثار الجند ببغداد بجلال الدولة وأرادوا إخراجه منها ، فاستنظرهم ثلاثة أيام فلم ينظروه ورموه بالآجر فأصابه بعضهم واجتمع الغلمان فردوهم منه فخرج من باب لطيف فى سمارية متنكرا وصعد راجلا منها إلى دار المرتضى بالكرخ وخرج من دار المرتضى وسار إلى رافع ابن الحسين بن مقن بتكريت وكسر الأتراك أبواب داره ودخلوها ونهبوها وقلعوا كثيرا من ساجها وأبوابها فأرسل الخليفة إليه وقرّر أمر الجند وأعاده إلى بغداد .

﴿ ذكر الحرب بين أبى سهل الحمدونى وعلاء الدولة ﴾ فى هذه السنة سار طائفة من العساكر الخراسانية الى مع الوزير أبى سهل الحمدونى بأصبهان يطلبون الميرة فوضع عليهم علاء الدولة من أطمعهم فى الامتياز من النواحى القريبة منه فساروا إليها ولا يعلمون قربه منهم ، فلما أتاه خبرهم خرج إليهم وأوقع بهم وغنم مامعهم وقوى طمعه بذلك فجمع جمعا من الديلم وغيرهم وسار إلى أصبهان وبها أبو سهل فى عساكر مسعود بن سبكتكين فخرجوا إليه وقاتلوه فغدر الأتراك بعلاء الدولة فانهزم ونهب سواده فسار إلى بروجرد ومنها إلى الطرم فلم يقبله ابن السلار وقال لا قدرة لى على مباينة الخراسانية فتركه وسار عنه .

﴿ ذكر وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر ﴾ فى هذه السنة فى منتصف شعبان توفى الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن على بن أبى على المنصور الحاكم الخليفة العلوى بمصر وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وكانت خلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يوما ، وكان له مصر والشام والخطبة له بأفريقية وكان

Marfat.com

جميل السيرة حسن السياسة منصفا للرعية إلا أنه مشتغل بلذاته محب للدعة والراحة قد فوض الأمور إلى وزيره أبى القاسم على بن أحمد الجرجرائى[1] لمعرفته بكفايته وأمانته ، ولما مات ولى بعده ابنه أبو تميم معد ، ولقب المستنصر بالله ومولده بالقاهرة سنة عشر وأربعمائة : وفى أيامه كانت قصة البساسيرى وخطب له ببغداد سنة خمسين وأربعمائة وكان الحاكم فى دولته بدر بن عبدالله الجمال الملقب بالأفضل أمير الجيوش ، وكان عادلا حسن السيرة ، وفى سنة تسع وسبعين وصل الحسن بن الصباح الإسماعيلى فى زى تاجر إلى المستنصر بالله وخاطبه فى إقامته الدعوة له بخراسان وبلاد العجم فأذن له فى ذلك فعاد ودعا إليه سرا وقال للمستنصر من إمامى بعدك؟ فقال ابنى نزار ، والإسماعيلية يعتقدون إمامة نزار ، وسيرد كيف صرف الأمر عنه سنة سبع وثمانين إن شاء الله تعالى .

﴿ذكر فتح السويداء وربض الرها﴾ فى رجب من هذه السنة اجتمع ابن وثاب وابن عطير وتصاهرا وجمعا وأمدهما نصر الدولة ابن مروان بعسكر كثيف فساروا جميعهم إلى السويداء وكان الروم قد أحدثوا عمارتها فى ذلك الوقت واجتمع إليها أهل القرى المجاورة لها فحضرها المسلمون وفتحوها عنوة وقتلوا فيها ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل وغنموا ما فيها وسبوا خلقا كثيرا وقصدوا الرها فحصروها وقطعوا الميرة عنها حتى بلغ المكوك الحنطة ديناراً واشتد الأمر فخرج البطريق الذى فيها متخفيا ولحق بملك الروم وعرفه الحال ، فسير معه خمسة آلاف فارس فعاد بهم فعرف ابن وثاب ومقدم عساكر نصر الدولة الحال فكمنا لهم ، فلما قاربوهم خرج الكمين عليهم فقتل من الروم خلق كثير وأسر مثلهم وأسر البطريق وحمل إلى باب الرها وقالوا لمن فيها : إما أن تفتحوا البلد لنا وإما قتلنا البطريق والأسرى الذين معه ، ففتحوا البلد للعجز عن حفظه وتحصن أجناد الروم بالقلعة ودخل المسلمون المدينة وغنموا ما فيها وامتلأت أيديهم من الغنائم والسبى وأكثروا القتل وأرسل بن وثاب إلى آمد مائة وستين راحلة عليها رؤس القتلى وأقام محاصراً للقلعة ثم إن حسان بن الجراح الطائى سار فى خمسة آلاف فارس من العرب والروم نجدة لمن بالرها فسمع ابن وثاب بقربه فسار إليه مجدا ليلقاه قبل وصوله فخرج من الرها من الروم إلى حران فقاتلهم أهلها وسمع ابن وثاب الخبر فعاد مسرعا فوقع على الروم فقتل منهم كثيراً وعاد المنهزمون إلى الرها .

﴿ ذكر غدر السناسنة وأخذ الحاج وإعادة ما أخذوه ﴾ فى هذه السنة ورد خلق كثير من أذربيجان

---

(١) يروى أن أبا القاسم على بن أحمد الجرجرائى ، كان مقطوع اليدين من المرفقين ، فى سنة ثمانى عشرة ، فاستمرّ فى الوزارة مدة ولاية الظاهر ، ثم لولده المستنصر ، حتى توفى الوزير الجرجرائى المذكور فى سنة ست وثلاثين ، وكان قد سلك فى وزارته العفة العظيمة ، وكان الذى يعلم عنه القاضى أبو عبدالله القضاعى صاحب كتاب الشهاب ، وكانت علامته الحمد لله شكراً لنعمه ، وكان الذى قطع يديه من المرفقين الحاكم ، لجناية ظهرت منه فى سنة أربع وأربعمائة ، ثم استعمله فى بعض الأعمال سنة تسع ، فلما فقد الحاكم فى السابع والعشرين من شوال ، سنة إحدى عشرة ، تنقلت بالجرجرائى المذكور الأحوال حتى استوزر سنة ثمانى عشرة كما ذكرنا ، وقد هجاه بعض الشعراء فقال

يا أجمعا إسمع وقل * ودع الرقاعة والتحامق
أأقمت نفسك فى الثقا * ت وهبك فيما قلت صادق
أمن الأمانة والتقى * قطعت يداك من المرافق

Marfat.com

وخراسان وطبرستان وغيرها من البلاد يريدون الحج وجعلوا طريقهم على أرمينية وخلاط ، فوردوا إلى آنى [1] ووسطان فثار بهم الأرمن من تلك البلاد وأعانهم السناسنة وهم من الأرمن أيضا إلا أنهم لهم حصون منيعة تجاور خلاط وهم صلح مع صاحب خلاط ، ولم تزل هذه الحصون بأيديهم منفردين بها إلا أنهم متعاهدون إلى سنة ثمانين وخمسمائة ، فملكها المسلمون منهم وأزالوهم عنها على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، فلما اتفقوا مع الأرمن من رعية البلاد وأخذوا الحاج فقتلوا منهم كثيرا وأسروا وسبوا ونهبوا الأموال وجلوا ذلك أجمع إلى الروم وطمع الأرمن فى تلك البلاد فسمع نصر الدولة ابن مروان الخبر فجمع العساكر وعزم على غزوهم فلما سمعوا ذلك ورأوا جده فيه راسله ملك السناسنة وبذل إعادة جميع ما أخذ أصحابه وإطلاق الأسرى والسبى فأجابهم إلى الصلح وعاد عنهم لحصانة قلاعهم وكثرة المضايق فى بلادهم ، ولأنهم بالقرب من الروم فخاف أن يستنجدوهم ويمتنعوا بهم فصالحهم .

﴿ ذكر الحرب بين المعز وزناتة ﴾ فى هذه السنة اجتمعت زناتة بإفريقية وزحفت فى خيلها ورجلها يريدون مدينة المنصورة فلقيهم جيوش المعز بن باديس صاحبها بموضع يقال له الجفنة قريب من القيروان ، فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت عساكر المعز ففارقت المعركة وهم على حامية ، ثم عاودوا القتال وحرض بعضهم بعضا فصبرت صنهاجة وانهزمت زناتة هزيمة قبيحة وقتل منهم عدد كثير وأسر خلق عظيم وتعرف هذه الوقعة بوقعة الجفنة وهى مشهورة لعظمها عندهم .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة فى رجب انقض كوكب عظيم غلب نوره على نور الشمس وشوهد فى آخرها مثل التنين يضرب إلى السواد وبقى ساعة وذهب ؛ وفيها كانت ظلمة عظيمة اشتدت ، حتى إن الإنسان كان لا يبصر جليسه وأخذ بأنفاس الخلق ، فلو تأخر انكشافها لهلك أكثرهم ؛ وفيها قبض على الوزير أبى سعد بن عبد الرحيم وزير جلال الدولة وهى الوزارة السادسة ؛ وفيها فى رمضان توفى رافع بن الحسين ابن مقن وكان حازما شجاعا وخلف بتكريت ما يزيد على خمسمائة ألف دينار فملكها ابن أخيه خميس بن ثعلب وكان طريدا فى أيام عمه ، وحمل إلى جلال الدولة ثمانين ألف دينار فأصلح بها الجند وكانت يده قد قطعها بعض عبيد بنى عمه كان يشرب معه ، فجرى بينه وبين آخر خصومة وجردوا سيوفهم فقام رافع ليصلح بينهم فضرب العبد يده فقطعها غلطا ولرافع فيها شعر ولم تمنعه من قتال ، عمل له كفا أخرى يمسك بها العنان ويقاتل ، وله شعر جيد من ذلك قوله :

لها ريقة أستغفر الله إنها * ألذ وأشهى فى النفوس من الخمر
وصارم طرف لا يزايل جفنه * ولم أر سيفا قط فى جفنه يفرى
فقلت لها والعيس تحدج بالضحى * أعدى لفقدى ما استطعت من الصبر
سأنفق ريعان الشبيبة آنفا * على طلب العلياء أو طلب الأجر
أليس من الخسران أن لياليا * تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

وفيها فى صفر أمر القائم بأمر الله بترك التعامل بالدنانير المغربية وأمر الشهود أن لا يشهدوا فى كتاب ابتياع ولا غيره يذكر فيها هذا الصنف من الذهب ، فعدل الناس إلى القادرية والسابورية والقاسانية .

---

(١) آنى — بالنون المكسورة : قلعة حصينة ومدينة بأرض إرمينية بين خلاط وكنجة .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر الفتنة بين جلال الدولة وبين بارسطغان ﴾ فى هذه السنة كانت الفتنة بين جلال الدولة وبين بارسطغان وهو من أكابر الأمراء، ويلقب حاجب الحجاب وكان سبب ذلك أن جلال الدولة نسبه إلى فساد الأتراك والأتراك نسبوه إلى أخذ الأموال فخاف على نفسه فالتجأ إلى دار الخلافة فى رجب من السنة الخالية، وترددت الرسل بين جلال الدولة والقائم بأمر الله فى أمره فدافع الخليفة عنه وبارسطغان يراسل الملك أبا كاليجار، فأرسل أبو كاليجار جيشا فوصلوا إلى واسط واتفق معهم عسكر واسط وأخرجوا الملك العزيز بن جلال الدولة فأصعد إلى أبيه وكشف بارسطغان القناع فاستتبع أصاغر المماليك ونادوا بشعار أبى كاليجار وأخرجوا جلال الدولة من بغداد فسار إلى أوانا [1] ومعه البساسيرى وأخرج بارسطغان الوزير أبا الفضل العباس ابن الحسن بن فسانجس فنظر فى الأمور نيابة عن الملك أبى كاليجار وأرسل بارسطغان إلى الخليفة يطلب الخطبة لأبى كاليجار، فاحتج بعهود جلال الدولة فأكره الخطباء على الخطبة لأبى كاليجار ففعلوا، وجرى بين الفريقين مناوشات وسار الأجناد الواسطيون إلى بارسطغان ببغداد فكانوا معه وتنقلت الحال بين جلال الدولة وبارسطغان فعاد جلال الدولة إلى بغداد ونزل بالجانب الغربى ومعه قرواش بن المقلد العقيلى ودبيس بن على

---

(١) أوانا — بالفتح والنون : بليدة كثيرة البساتين والشجر ؛ نزهة من نواحى دجيل بغداد، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت، وكثيرا مايذكرها الشعراء الخلعاء فى أشعارهم. فحدث بعض الظرفاء قال : حصلت يوما بعكبرا فى بعض الحانات فشربت أياما بها وكان فيها ابن خمار يحكى الشمس حسنا فلم أزل من عنده حتى نفدت نفقتى وبلغت الغرض الأقصى من عشرته فقرأت يوما على جدار البيت الذى كنا فيه : حضر الفارغ المشغول المغرم بحانات الشمول وهو إلى من دخل إلى هذا الموضع بقول :

أيها المغرمون بالحانات * والمغنون فى هوى الفتيات * ومن استنفدت كروم بزوغى
، فأوانا، أمواله فالفرات * قدشربنا المدام فى ديرمارى * ونكحنا البنين قبل البنات
وأخذنا من الزمان أمانا * حيث كان الزمان طوعا ومواتى * تحت ظل من الكروم ظليل
وغريب من معجبات النبات * بادروا الوقت واشربوا الراح واحظوا * بمناق الحبيب قبل الفوات
ودعوا من يقول حرمت الخمر علينا فى محكم الآيات * فافعلوا مثل مافعلنا سواء
وأجيبوا عن هذه الابيات

قال : فكتبت تحت هذه الأبيات بعد أن تحرقت على إجابته ولم يكن الشعر من عملى : أما فلان ابن فلان فقد عرف صحة قولك ففعل مثل فعلك جزاك الله عن إخوانك فلقد قلت فنصحت وحضضت فنفعت. وينسب إلى «أوانا» قوم من أهل العلم منهم : أبو الحسن على بن احمد بن محمد الأوانى الضرير المعروف بالموصلى : شيخ مستور سمع أبا الحسن على بن احمد الأنبارى. كتب عنه أبو سعد ببغداد وتوفى سنة ٥٣٧.

وأبو نصر محمد بن أحمد بن الحسين بن محمود الأوانى : كاتب سديد وشاعر مجيد وله رسائل مدونة وأشعار حسان ؛ منها : رسالة فى حسن الربيع أجاد فيها ؛ وله غير ذلك، ومات بأوانا سنة ٥٥٧. وأبو زكرياء يحى بن الحسين بن جميلة الأوانى المقرى الضرير : سمع أبا الفضل محمد بن عمر الأرموى وأبا غالب بن الداية وأبا محمد عبدالله بن على المعروف بابن بنت الشيخ أبى محمد وأبا الفضل بن ناصر وغيرهم، وهو مكثر صحيح السماع، مات فى صفر سنة ٦٠٦

Marfat.com

ابن مزيد الأسدى وخطب لجلال الدولة به وبالجانب الشرقى لأبى كاليجار وأعان أبو الشوك وأبو الفوارس منصور بن الحسين بارسطغان على طاعة أبى كاليجار ، ثم سار جلال الدولة إلى الأنبار وسار قرواش إلى الموصل وقبض بارسطغان على ابن فسانجس ، فعاد منصور بن الحسين إلى بلده وأتى الخبر إلى بارسطغان بعود الملك أبى كاليجار إلى فارس ففارقه الديلم الذين جاؤا نجدة له ، فضعف أمره فدفع ماله وحرمه إلى دار الخلافة وانحدر إلى واسط ، وعاد جلال الدولة إلى بغداد وأرسل البساسيرى والمرشد وبنى خفاجة فى أثره ، فتبعهم جلال الدولة ودبيس بن على بن مزيد فلحقوه بالخيزرانية فقاتلوه فسقط عن فرسه فأخذ أسيراً وحمل إلى جلال الدولة بقتله وحمل رأسه ، وكان عمره نحو سبعين سنة ، وسار جلال الدولة إلى واسط فملكها وأصعد إلى بغداد فضعف أمر الأتراك وطمع فيهم الأعراب واستولوا على إقطاعاتهم ، فلم يقدروا على كف أيديهم عنها وكانت مدة بارسطغان من حين كاشف جلال الدولة إلى أن قتل ستة أشهر وعشر أيام .

﴿ذكر الصلح بين جلال الدولة وأبى كاليجار والمصاهرة بينهما﴾ فى هذه السنة ترددت الرسل بين جلال الدولة وابن أخيه أبى كاليجار سلطان الدولة فى الصلح والاتفاق وزوال الخلف ، وكان الرسل أقضى القضاة أبا الحسن الماوردى وأبا عبدالله المرودستى وغيرهما فاتفقا على الصلح وحلف كل واحد من الملكين لصاحبه ؛ وأرسل الخليفة القائم بأمر الله إلى أبى كاليجار الخلع النفيسة ، ووقع العقد لأبى منصور بن أبى كاليجار على ابنة جلال الدولة ، وكان الصداق خمسين ألف دينار قاسانية .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فيها توفى أبو القاسم على بن الحسين بن مكرم صاحب عمان ، وكان جواداً ممدحا ، وقام ابنه مقامه ، وفيها توفى الأمير أبو عبد الله الحسين بن سلامة أمير تهامة باليمن وولى ابنه بعده فعصى عليه خادم كان لوالده وأراد أن يملك فجرى بينهما حروب كثيرة تمادت أيامهما ففارق أهل تهامة أوطانهم إلى غير مملكة ولد الحسين هربا من الشر وتفاقم الأمر ؛ وفيها توفى مهيار الشاعر ، وكان مجوسيا فأسلم سنة أربع وتسعين وثلثمائة ، وصحب الشريف الرضى . وقال له أبو القاسم بن برهان يامهيار ، قد انتقلت بإسلامك فى النار من زاوية إلى زاوية ، قال : كيف ؟ قال : لأنك كنت مجوسيا فصرت تسب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى شعرك[1] وفيها توفى أبو الحسين القدورى الفقيه الحنفى ، والحاجب أبو الحسين هبة الله بن الحسين المعروف

---

(١) هو مهيار بن مرزويه أبو الحسين الكاتب الفارسى ، ويقال له الديلمى ، كان مجوسيا فأسلم ، إلا أنه سلك سبيل الرافضة ، وكان ينظم الشعر القوى الفحل فى مذاهبهم من سب الصحابة وغيرهم ، وقد كان منزله بدرب رباح من الكرخ ، وله ديوان شعر مشهور ، فمن مستجاد قوله :

أستنجد الصبر فيكم وهو مغلوب * وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب * وأبتغى عندكم قلبا سمحت به
وكيف يرجع شىء وهو موهوب * ما كنت أعرف مقدار حبكم * حتى هجرت وبعض الهجر تأديب

ولمهيار أيضاً :

أجارتنا بالغور والركب منهم * أيعلم خال كيف بات المتيم
وحلتم وجر القلب فينا وفيكم * سواء ولكن ساهرون ونوّم
فبتم عنا ظاعنين وخلفوا * قلوبا أبت أن تعرف الصبر عنهم
ولما خلى التوديع عما حذرته * ولم يبق إلا نظرة لى تغنم
بكيت على الوادى وحرمت ماءه * وكيف به ماء وأكثره دم

قال ابن الجوزى : ولما كان شعره أكثره جيداً اقتصرت على هذا القدر . توفى فى جمادى الآخرة .

Marfat.com

بابن أخت الفاضل وكان من أهل الأدب وله شعر جيد، وأبو على بن أبى الريان بمطير أباذ ومولده سنة أربع وخمسين وثلثمائة، وقد مدحه الرضى وابن نباتة وغيرهما. وفيها عاود المعز بن باديس حرب زناتة بأفريقية فهزمهم وأكثر القتل فيهم وخرب مساكنهم وقصورهم، وفى شعبان توفى أبو على بن سينا الحكيم الفيلسوف المشهور صاحب التصانيف السائرة على مذاهب الفلاسفة؛ وكان موته بأصبهان، وكان يخدم علاء الدولة أبا جعفر بن كاكويه، ولاشك أن أبا جعفر كان فاسد الاعتقاد، فلهذا أقدم ابن سينا على تصانيفه فى الإلحاد والرد على الشرائع فى بلده.

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر محاصرة الأبخاز تفليس وعودهم عنها﴾ فى هذه السنة حصر ملك الأبخاز مدينة تفليس وامتنع أهلها عليه فأقام عليهم محاصراً ومضيقا فنفدت الأقوات وانقطعت المبرة فأنفذ أهلها إلى أذربيجان يستنفرون المسلمين ويسألونهم إعانتهم؛ فلما وصل الغز إلى أذربيجان وجمع الأبخاز بقربهم وبما فعلوا بالأرمن رحلوا عن تفليس مجفلين خوفا؛ ولما رأى وهوذان صاحب أذربيجان قوة الغز وأنه لاطاقة له بهم لاطفهم وصاهرهم واستعان بهم؛ وقد تقدم ذكر ذلك.

﴿ذكر مافعله طغرلبك بخراسان﴾ فى هذه السنة دخل ركن الدين أبو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق مدينة نيسابور مالكا لها، وكان سبب ذلك أن الغز السلجقية لما ظهروا بخراسان وأفسدوا ونهبوا وخربوا البلاد وسبوا على ماذكرناه وسمع الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين الخبر فسير إليهم حاجبه سباشى فى ثلاثين ألف مقاتل، فسار إليهم من غزنة فلما بلغ خراسان ثقل على ما سلم من البلاد بالإقامات، فخرب السالم من تخريب الغز فأقام مدة سنة على المدافعة والمطاولة، لكنه كان يتبع أثرهم إذا بعدوا ويرجع عنهم إذا أقبلوا استعمالا للمحاجزة وإشفاقا من المحاربة؛ حتى إذا كان فى هذه السنة وهو بقرية بظاهر سرخس والغز بظاهر مرو مع طغرلبك وقد بلغهم خبره أسروا إليه وقاتلوه يوم وصلوا فلما جنهم الليل أخذ سباشى ماخف من مال وهرب فى خواصه وترك خيمه ونيرانه على حالها، قيل فعل ذلك مواطأة للغز على الهزيمة فلما أسفر الصبح عرف الباقون من عسكره خبره فانهزموا واستولى الغز على ما وجدوه فى معسكرهم من سوادهم، وقتلوا من المنود الذين تخلفوا مقتلة عظيمة وأسرى داود أخو طغرلبك وهو والد السلطان ألب أرسلان إلى نيسابور وسمع أبو سهل الحمدونى ومن معه بها ففارقوها ووصل داود ومن معه إليها فدخلوها بغير قتال ولم يغيروا شيئاً من أمورها، ووصل بعدهم طغرلبك؛ ثم وصلت إليهم رسل الخليفة فى ذلك الوقت وكان قد أرسل إليهم وإلى الذين بالرى وهمذان وبلد الجبل ينهاهم عن النهب والقتل والإخراب ويعظهم، فأكرموا الرسل وعظموهم وخدموهم، وخاطب داود طغرلبك فى نهب البلد فمنعه فامتنع، واحتج بشهر رمضان فلما انسلخ رمضان صمم داود على نهبه فمنعه طغرلبك واحتج عليه برسل الخليفة وكتابه فلم يلتفت داود إليه وقوى عزمه على النهب؛ فأخرج طغرلبك سكينا، وقال له والله لئن نهبت شيئاً لأقتلن نفسى فكف عن ذلك وعدل إلى التقسيط فقسط على أهل نيسابور نحو ثلاثين ألف دينار وفرقها فى أصحابه وأقام طغرلبك بدار الأمارة وجلس على سرير الملك مسعود وصار يقعد للمظالم يومين فى الأسبوع على قاعدة ولاة خراسان وسير أخاه داود إلى سرخس فملكها

Marfat.com

ثم استولوا على سائر بلاد خراسان سوى بلخ وكانوا يخطبون للملك مسعود على سبيل المغالطة وكانوا ثلاثة أخوة طغرلبك وداود ويبغو وكان ينال واسمه ابراهيم أخا طغرلبك وداود لأمهما ثم خرج مسعود من غزنة وكان ماذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ذكر مخاطبة جلال الدولة بملك الملوك﴾ فى هذه السنة سأل جلال الدولة الخليفة القائم بأمر الله ليخاطب بملك الملوك فامتنع ثم أجاب إليه إذا أفتى الفقهاء بجوازه فكتب فتوى إلى الفقهاء فى ذلك فأفتى القاضى أبو الطيب الطبرى والقاضى أبو عبدالله الصيمرى والقاضى ابن البيضاوى وأبو القاسم الكرخى بجوازه . وامتنع منه قاضى القضاة أبو الحسن الماوردى وجرى بينه وبين من أفتى بجوازه مراجعات وخطب لجلال الدولة بملك الملوك وكان الماوردى من أخص الناس بجلال الدولة وكان يتردد إلى دار المملكة كل يوم ، فلما أفتى بهذه الفتيا انقطع ولزم بيته خائفا ، وأقام منقطعا من شهر رمضان إلى يوم عيد النحر ، فاستدعاه جلال الدولة فحضر خائفا فأدخله وحده وقال له قد علم كل أحد أنك من أكثر الفقهاء مالا وجاها وقربا منا ، وقد خالفتهم فيما خالف هواى ؛ ولم تفعل ذلك إلا لعدم المحاباة منك واتباع الحق ، وقد بان لى موضعك من الدين ومكانك من العلم وجعلت جزاء ذلك إكرامك بأن أدخلتك إلى وحدك وجعلت إذن الحاضرين إليك لتحققوا عودى إلى مانحب فشكره ودعا له ، وأذن لكل من حضر بالخدمة والانصراف .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة قتل شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس صاحب حلب قتله الدزبرى وعساكر مصر وملكوا حلب وفيها أنكر العلماء على أبى يعلى بن الفراء الحنبلى ما ضمنه كتابه من صفات الله سبحانه وتعالى المشعرة بأنه يعتقد التجسم وحضر أبو الحسن القزوينى الزاهد بجامع المنصور وتكلم فى ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ؛ وفيها صالح بن وثاب النميرى صاحب حران الروم الذين بالرها لعجزه عنهم وسلم إليهم ربض الرها وكان تسلمه على ماذكرناه أولا فنزلوا من الحصن الذى للبلد إليه وكثر الروم بها وخاف المسلمون على حران منهم وعمر الروم الرها العمارة الحسنة وحصنوها وفيها هادن المستنصر بالله الخليفة العلوى صاحب مصر ملك الروم وشرط عليه إطلاق خمسة آلاف أسير وشرط الروم عليه أن يعمروا بيعة قمامة فأرسل الملك إليها من عمرها وأخرج عليها مالا جليلا ، وفى هذه السنة سارت عساكر المعز ابن باديس بافريقية إلى بلد الزاب ففتحوا مدينة تسمى بورس وقتلوا من البربر خلقا كثيرا وفتح من بلاد زناتة قلعة تسمى كروم وفيها توفى اسحق بن ابراهيم بن مخلد أبو الفضل المعروف بابن الباقرحى فى ربيع الآخر (١)

---

(١) وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان : الثعالبى صاحب يتيمة الدهر ، وهو أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى النيسابورى ، كان إماما فى اللغة والأخبار وأيام الناس ، بارعا مفيدا ، له التصانيف الكبار فى النظم والنثر والبلاغة والفصاحة ، وأكبر كتبه يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر : وفيها يقول بعضهم :

أبيات أشعار اليتيمه * أبكار أفكار قديمه * ماتوا وعاشت بعدهم * فلذاك سميت اليتيمه

وإنما سمى الثعالبى لأنه كان رفاء يخيط جلود الثعالب ، وله أشعار كثيرة مليحة ، ولد سنة خمسين وثلثمائة ، ومات فى هذه السنة الأستاذ أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد ، البغدادى الفقيه الشافعى ، أحد الأئمة فى الأصول والفروع ، وكان ماهرا فى فنون كثيرة من العلوم ، منها علم الحساب والفرائض ، وكان ذا مال وثروة أنفقه كله على أهل العلم ، وصنف ودرس فى سبعة عشر علما ، وكان اشتغاله على أبى إسحاق الإسفرائينى ، وأخذ عنه ناصر المروزى وغيره

Marfat.com

Marfat.com

﴿ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وصول الملك مسعود من غزنة إلى خراسان وإجلاء السلجقية عنها﴾ فى صفر من هذه السنة وصل الملك مسعود إلى بلخ من غزنة وزوج ابنه من ابنة بعض ملوك الخلمية كان يتقى جانبه وأقطع خوارزم لشاهملك الجندى فسار إليها وبها خوارزمشاه إسماعيل بن التونتاش فجمع أصحابه ولقى شاهملك وقاتله ودامت الحرب بينهما مدة شهر وانهزم إسماعيل والتجأ إلى طغرلبك وأخيه داود السلجقية وملك شاهملك خوارزم وكان مسير مسعود من غزنة أول سنة ثمان وعشرين وسبب خروجه ماوصل إليه من أخبار الغز وما فعلوه بالبلاد وأهلها من الإخراب والقتل والسبي والاستيلاء وأقام ببلخ حتى أراح واستراح وفرغ من أمر خوارزم والخانية ثم أمد سباشى الحاجب بعسكر ليتقوى بهم ويهتم بأمر الغز واستصالهم فلم يكن عنده من الكفاية مايقهرهم بل أخلد إلى المطاولة التى هى عادته وسار مسعود بن سبكتكين من بلخ بنفسه وقصد سرخس فتجنب الغز لقاءه وعدلوا إلى المراوغة والمخاتلة وأظهروا العزم على دخول المفازة التى بين مرو وخوارزم فبينما عساكر مسعود تتبعهم وتطلبهم إذ لقوا طائفة منهم فقابلوهم وطغروا بهم فقتلوا منهم ثم أنه واقعهم بنفسه فى شعبان من هذه السنة وقعة استظهر فيها عليهم فأبعدوا عنه ثم عاودوا القرب منه بنواحى مرو فواقعهم وقعة أخرى قتل منهم نحو ألف وخمسمائة قتيل وهرب الباقون فدخلوا البرية التى يحتمون بها وثار أهل نيسابور بمن عندهم منهم فقتلوا بعضا وانهزم الباقون إلى أصحابهم بالبرية وعدل مسعود إلى هراة ليتأهب فى العساكر للمسير خلفهم وطلبهم أين كانوا فعاد طغرلبك إلى الأطراف النائية عن مسعود فتبعهم وانحنى فيها وكان الناس قد تراجعوا فملؤا أيديهم من الغنائم فحينئذ سار مسعود يطلبه فلما قاربه انزاح طغرلبك من بين يديه إلى استوا وأقام بها وكان الزمان شتاء ظنا منه أن الثلج والبرد يمنع عنه فطلبه مسعود إليها ففارقه طغرلبك وسلك الطريق على طوس واحتمى بجبال منيعة ومضايق صعبة المسلك فسير مسعود فى طلبه وزيره أحمد بن محمد بن عبدالصمد فى عساكر كثيرة فطوى المراحل إليه جريدة فلما رأى طغرلبك قربه منه فارق مكانه إلى نواحى أبيورد وكان مسعود قد سار ليقطعه عن جهة إن أرادها فلقى طغرلبك مقدمته فواقعهم فانتصروا عليه واستأمن من أصحابه جماعة كثيرة ورأى الطلب له من كل جانب فعاود دخول المفازة إلى خوارزم وأوغل فيها فلما فارق الغز خراسان قصد مسعود جبلا من جبال طوس منيعا لا يرام وكان أهله قد وافقوا الغز وأفسدوا فلما فارق الغز تلك البلاد تحصن هؤلاء بجبلهم ثقة منهم بحصانته وامتناعه فسرى مسعود إليهم جريدة فلم يرعهم إلا وقد خالطهم فتركوا أهلهم وأموالهم وصعدوا إلى قلة الجبل واعتصموا بها وامتنعوا وغنم عسكر مسعود أموالهم وما أدخروه ثم أمر مسعود أصحابه أن يزحفوا إليهم فى قلة الجبل وباشر هو القتال بنفسه فزحف الناس إليهم وقاتلوهم قتالا لم يروا مثله وكان الزمان شتاء والثلج على الجبل كثيرا فهلك من العسكر فى مخازم الجبل وشعابه كثير ثم أنهم ظفروا بأهله وأكثروا فيهم القتل والأسر وفرغوا منهم وأراحوا المسلمين من شرهم وسار مسعود إلى نيسابور فى جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ليريح ويستريح وينتظر الربيع ليسير خلف الغز ويطلبهم فى المفاوز التى احتموا بها وكانت هذه الوقعة وإجلاء الغز عن خراسان سنة إحدى وثلاثين على ماذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ذكر ملك أبى الشوك مدينة خولنجان﴾ كان حسام الدولة أبو الشوك قد فتح قرميسين من أعمال الجبل

وقبض على صاحبها وهو من الأكراد القوهية فسار أخوه إلى قلعة أرنبة فاعتصم بها من أبى الشوك وجعل أصحابه فى مدينة خولنجان يحفظونها منه أيضاً فلما كان الآن سير أبو الشوك عسكراً إلى خولنجان فحصروها فلم يظفروا منها بشىء فأمر العسكر فعاد فأمن من فى البلد بعود العسكر عنها ثم جهز عسكرا آخر جريدة لم يعلم بهم أحد وسيرهم ليومهم وأمرهم بنهب ربض قلعة أرنبة وقتل من ظفروا به والإتمام لوقتهم إلى خولنجان ليسبقوا خبرهم إليها ففعلوا ذلك ووصلوا إليها ومن بها غير متأهبين فاقتتلوا شيئا من قتال ثم استسلم من بالمدينة إليهم فتسلموها وتحصن من كان بها من الأجناد فى قلعة فى وسط البلد فحصرها أصحاب أبى الشوك فملكوها فى ذى القعدة من هذه السنة .

﴿ ذكر الخطبة العباسية بحران والرقة ﴾ فى هذه السنة خطب شبيب بن وثاب النميرى صاحب حران والرقة للإمام القائم بأمر الله وقطع خطبة المستنصر بالله العلوى وكان سببها أن نصر الدولة بن مروان كان قد بلغه عن الدزبرى نائب العلويين بالشأم أنه يتهدده ويريد قصد بلاده فراسل قرواشا صاحب الموصل وطلب منه عسكرا وراسل شبيبا النميرى يدعوه إلى الموافقة ويحذره من المغاربة فأجابه إلى ذلك وقطع الخطبة العلوية وأقام الخطبة العباسية فأرسل إليه الدزبرى يتهدده ثم أعاد الخطبة العلوية بحران فى ذى الحجة من السنة .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فيها توفى مؤيد الملك أبو على الحسين بن الحسن الرخجى وكان وزيراً للملوك بنى بويه ثم ترك الوزارة وكان فى عطلته يتقدم على الوزراء وفيها أيضا توفى أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوى أمير مكة وفيها توفى الوزير أبو القاسم بن ماكولا محبوسا بهيت وكان مقامه فى الحبس سنتين وخمسة أشهر ومولده سنة خمس وستين وثلثمائة وكان وزير جلال الدولة وهو والد الأمير أبى نصر مصنف كتاب الإكمال فى المؤتلف والمختلف وكان جلال الدولة سلمه إلى قرواش فحبسه بهيت وفيها سقط الثلج ببغداد لست بقين من ربيع الأول فارتفع على الأرض شبرا ورماه الناس عن السطوح إلى الشوارع وجمد الماء ستة أيام متوالية وكان أول ذلك الثالث والعشرين من كانون الثانى وتوفى هذه السنة أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحق الأصبهانى الحافظ وأبو الرضا الفضل بن منصور بن الظريف الفارقى الأمير الشاعر له ديوان حسن وشعره جيد فمنه:(١)

وخطف الخصر مطبوع على صلف * عشقته ودواعى البين تعشقه
وكيف أطمع منه فى مواصلة * وكل يوم لنا شمل يفرقه
وقد تسامح قلبى فى مواصلتى * على السلو ولكن من يصدقه

(١) ويروى له أيضا : ياقالة الشعر قد نصحت لكم * ولست أدهى إلا من النصح
قد ذهب الدهر بالكرام وفى * ذاك أمور طويلة الشرح
أتطلبون النوال من رجل * قد طبعت نفسه على الشح
وأنتم تمدحون بالحسن والظرف * وجوها فى غاية القبح
من أجل ذا تحرمون رزقكم * لانكم تكذبون فى المدح
صونوا القوافى فما أرى * أحدا يغتر فيه بالنجح
فان شككتم فيما أقول لكم * فكذبونى بواحد سمح

Marfat.com

أهابه وهو طلق الوجه مبتسم * وكيف يطمعنى فى السيف رونقه(١)

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة

فى هذه السنة فتح الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين قلعة بخراسان كانت بيد الغز وقتل فيها جماعة منهم وكانت بينه وبينهم وقعات أجلت عن فراقهم خراسان إلى البرية ، وقد ذكرناه سنة ثلاثين .

﴿ذكر ملك الملك أبى كاليجار البصرة﴾ فى هذه السنة سير الملك أبوكاليجار عساكره مع العادل أبى منصور ابن مافنة إلى البصرة فملكها فى صفر وكانت بيد الظهير أبى القاسم وقد ذكرنا أنه وليها بعد بختيار وأنه عصى

---

(١) وممن توفى أيضا فى هذه السنة الحسن بن حفص أبوالفتوح العلوى أمير مكة الحسن بن الحسين ، أبوعلى البرجمى ، وزر لشرف الدولة سنتين ثم عزل ، وكان عظيم الجاه فى زمانه ، وهو الذى بنى مارستان واسط ، ورتب فيه الأشربة والأطباء والأدوية ، ووقف عليه كفايته . توفى فى هذه السنة ، وقد قارب الثمانين رحمه الله . وتوفى فى هذه السنة أيضا الحسين بن محمد بن الحسن بن على بن عبدالله المؤدب ، وهو أبومحمد الخلال ، سمع صحيح البخارى من إسماعيل بن محمد الكشميهنى ، وسمع غيره ، توفى فى جمادى الأولى ، ودفن بباب حرب . وتوفى أيضا : عبدالملك ابن محمد بن عبدالله بن محمد بن بشر بن مهران ، أبوالقاسم الواعظ ، سمع النجاد ودعلج بن أحمد والآجرى وغيرهم ، وكان ثقة صدوقا ، وكان يشهد عند الحكام فترك ذلك رغبة عنه ورهبة من الله ، ومات فى ربيع الآخر منها ، وقد جاوز التسعين ، وصلى عليه فى جامع الرصافة ، وكان الجمع كثيراً حافلا ، ودفن إلى جانب أبى طالب المكى ، وكان قد أوصى بذلك ، وتوفى أيضا محمد بن الحسين بن خلف بن الفراء ، أبو حازم القاضى أبويعلى الحنبلى ، سمع الدارقطنى وابن شاهين ، قال الخطيب : كان لابأس به ، ورأيت له أصولا سماعه فيها ، ثم إنه بلغنا أنه خلط فى الحديث بمصر واشترى من الوراقين صحفا فروى منها ، وكان يذهب إلى الاعتزال . توفى بتنيس من بلاد مصر . وتوفى أيضا محمد بن عبدالله أبوبكر الدينورى الزاهد ، كان حسن العيش ، وكان ابن القزوينى يثنى عليه ، وكان جلال الدولة صاحب بغداد يزوره ، وقد سأله مرة أن يطلق للناس مكث الملح ، وكان مبلغه ألفى دينار فتركه من أجله ، ولما توفى اجتمع أهل بغداد لجنازته وصلى عليه مرات ، ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى . وتوفى أيضا : هبة الله بن على بن جعفر أبو القاسم بن ماكولا ، وزر لجلال الدولة مرارا ، وكان حافظا للقرآن ، عارفا بالشعر والأخبار ، خنق بهيت فى جمادى الآخرة منها . وتوفى أيضا : أبو زيد الدبوسى عبد الله بن عمر بن عيسى الفقيه الحنفى ، أول من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود . قاله ابن خلكان ، وكان يضرب به المثل ، والدبوس نسبة إلى قرية من أعمال بخارى قال : وله كتاب الأسرار والتقويم للأدلة ، وغير ذلك من التصانيف والتعاليق ، قال وروى أنه ناظر فقيها فبقى كلما ألزمه أبو زيد إلزاما تبسم أو ضحك ، فأنشد أبو زيد فى ذلك :

مالى إذا ألزمته حجة * قابلنى بالضحك والقهقهه
إن ضحك المرء من فقهه * فالدب بالصحراء ماأفقهه

وتوفى أيضا : الحوفى صاحب إعراب القرآن أبو الحسن على بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفى النحوى ، له كتاب فى النحو كبير ، وإعراب القرآن فى عشر مجلدات ، وله تفسير القرآن أيضا ، وكان إماما فى العربية والنحو والأدب وله تصانيف كثيرة ، انتفع بها الناس . قال ابن خلكان : والحوفى نسبة لناحية بمصر يقال لها الشرقية ، وقصبتها مدينة بلبيس ، فجميع ريفها يسمون حوف ، واحدهم حوفى وهو من قرية يقال لها « شبرا النخلة » من أعمال الشرقية المذكورة رحمه الله .

Marfat.com

Marfat.com

على أبى كاليجار مرة وصار فى طاعة جلال الدولة ثم فارق طاعته وعاد إلى طاعة الملك أبى كاليجار وكان يترك محاققته ومعارضته فيما يفعله ويضمن الظهير أن يحمل إلى أبى كاليجار كل سنة سبعين ألف دينار وكثرت أمواله ودامت أيامه وثبت قدمه وطار اسمه ، واتفق أنه تعرض إلى أملاك أبى الحسن بن أبى القاسم بن مكرم صاحب عمان وأمواله وكاتب أبو الحسن الملك أبا كاليجار وبذل له زيادة ثلاثين ألف دينار فى ضمان البصرة كل سنة وجرى الحديث فى قصد البصرة فصادف قلبا موغراً من الظهير فحصلت الإجابة وجهز الملك العساكر مع العادل أبى منصور فسار إليها وحصرها وسارت العساكر من عمان أيضاً فى البحر وحصرت البصرة وملكت وأخذ الظهير وقبض عليه وأخذ جميع ماله وقرر عليه مائة ألف وعشرة آلاف دينار يحملها فى إحدى عشر يوما بعد تسعين ألف دينار أخذت منه قبلها ووصل الملك أبو كاليجار إلى البصرة فأقام بها ثم عاد إلى الأهواز وجعل ولده عز الملوك فيها ومعه الوزير أبو الفرج بن فسانجس ولما سار أبو كاليجار عن البصرة أخذ معه الظهير إلى الأهواز .

﴿ذكر ماجرى بعمان بعد موت أبى القاسم بن مكرم﴾ لما توفى أبو القاسم بن مكرم خلف أربعة بنين أبو الجيش والمهذب وأبو محمد وآخر صغير فولى بعده ابنه أبو الجيش وأقر على بن هطال المنوجانى صاحب جيش أبيه على قاعدته وأكرمه وبالغ فى احترامه فكان إذا جاء إليه قام له فأنكر هذه الحال عليه أخوه المهذب فطعن على ابن هطال وبلغه ذلك فأضمر له سوءاً واستأذن أبا الجيش فى أن يحضر أخاه المهذب لدعوة عملها له فأذن له فى ذلك فلما حضر المهذب عنده خدمه وبالغ فى خدمته فلما أكل وشرب وانتشا وعمل السكر فيه قال له ابن هطال إن أخاك أبا الجيش فيه ضعف وعجز عن الأمر ، والرأى أننا نقوم معك وتصير أنت الأمير وخدعه فمال إلى هذا الحديث فأخذ ابن هطال خطه بما يفوض إليه وبما يعطيه من الأعمال إذا عمل معه هذا الأمر فلما كان الغد حضر ابن هطال عند أبى الجيش وقال له إن أخاك كان قد أفسد كثيراً من أصحابك عليك وتحدث معى واستمالنى فلم أوافقه فلهذا كان يذمنى ويقع فىّ وهذا خطه بما استقر هذه الليلة فلما رأى خط أخيه أمره بالقبض عليه ففعل ذلك واعتقله ثم وضع عليه من خنقه وألقى جثته إلى منخفض من الأرض وأظهر أنه سقط فمات ، ثم توفى أبو الجيش بعد ذلك بيسير وأراد ابن هطال أن يأخذ أخاه أبا محمد فيوليه عمان ثم يقتله فلم تخرجه إليه والدته وقالت له أنت تتولى الأمور وهذا صغير لا يصلح لها ففعل ذلك وأساء السيرة وصادر التجار وأخذ الأموال وبلغ ما كان منه مع بنى مكرم إلى الملك أبى كاليجار والعادل أبى منصور بن مافنة فأعظما الأمر واستكبراه وشد العادل فى الأمر وكاتب نائباً كان لأبى القاسم بن مكرم بجبال عمان يقال له المرتضى وأمره بقصد ابن هطال وجهز العساكر من البصرة لتسير إلى مساعدة المرتضى فجمع المرتضى الخلق وتسارعوا إليه وخرجوا عن طاعة ابن هطال وضعف أمره واستولى المرتضى على أكثر البلاد ثم وضعوا خادما كان لابن مكرم وقد التحق بابن هطال على قتله وساعده على ذلك فراش كان له فلما سمع العادل بقتله سير إلى عمان من أخرج أبا محمد بن مكرم ورتبه فى الإمارة وكان قد استقر أن الأمر لأبى محمد فى هذه السنة .

﴿ذكر الحرب بين أبى الفتح بن أبى الشوك وبين عمه مهلهل﴾ فى هذه السنة كان بين أبى الفتح بن أبى الشوك وبين عمه مهلهل حرب شديدة وكان سبب ذلك أن أبا الفتح كان نائبا عن والده فى الدينور وقد عظم محله وافتتح عدة قلاع وحمى أعماله من الغزو قتل فيهم فأعجب بنفسه وصار لا يقبل أمر والده فلما كان هذه السنة فى شعبان

سار إلى قلعة بلوار ليفتحها وكان فيها زوجة صاحبها وكان من الأكراد فعلمت أنها تعجز عن حفظها فراسلت مهلهل بن محمد بن عناز وهو بحلله فى نواحى الصامغان واستدعته لتسلم إليه القلعة فسأل الرسول عن أبى الفتح هل هو بنفسه على القلعة أم عسكره ، فأخبره أنه عاد عنها و بقى عسكره فسار مهلهل إليها فلما وصل رأى أبا الفتح قد عاد إلى القلعة فقصد موضعاً يوهم أبا الفتح أنه لم يرد هذه القلعة ثم رجع عائداً وتبعه أبو الفتح ولحقه وتراءت الفئتان فعاد مهلهل إليه فاقتتلوا فرأى أبو الفتح من أصحابه تغيراً فخافهم فولى منهزما وتبعه أصحابه فى الهزيمة وقتل عسكر مهلهل من كان فى عسكر أبى الفتح من الرجالة وساروا فى أثر المنهزمين يقتلون ويأسرون ووقف فرس أبى الفتح به فأسر وأحضر عند عمه مهلهل فضربه عدة مقارع وقيده وحبسه عنده وعاد ، ثم إن أبا الشوك جمع عساكره وسار إلى شهرزور وحصرها وقصد بلاد أخيه ليخلص ابنه أبا الفتح فطال الأمر ولم يخلص ابنه وحمل مهلهل اللجاج على أن استدعى علاء الدولة بن كاكويه إلى بلد أبى الفتح فدخل الدينور وقرميسين وأساء إلى أهلها وظلمهم وملكها ، وكان ذلك سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة .

﴿ذكر شغب الأتراك على جلال الدولة ببغداد﴾ فى هذه السنة شغب الأتراك على الملك جلال الدولة ببغداد وأخرجوا خيامهم إلى ظاهر البلد ثم أوقعوا النهب فى عدة مواضع فخافهم جلال الدولة فعبر خيامه إلى الجانب الغربى وترددت الرسل بينهم فى الصلح وأراد الرحيل عن بغداد فمنعه أصحابه فراسل دبيس بن مزيد وقرواش صاحب الموصل وغيرهما وجمع عنده العساكر فاستقرت القواعد بينهم وعاد إلى داره وطمع الأتراك وآذوا الناس ونهبوا وقتلوا وفسدت الأمور بالكلية إلى حد لا يرجى صلاحه .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى جمادى الآخرة ولد للخليفة القائم بأمر الله ولده أبو العباس وهو ذخيرة الدين وفيها توفى شبيب بن وثاب النميرى صاحب الرقة وسروج وحران وفيها توفى أبو نصر بن مشكان كاتب الإنشاء لمحمود بن سبكتكين ولولده مسعود وكان من الكتاب المطلقين رأيت له كتابة فى غاية الجودة [1] .

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ابتداء الدولة السلجوقية وسياقة أخبارهم متتابعة﴾ فى هذه السنة اشتد ملك السلطان طغرلبك محمد وأخيه جغرى بك داود ابنى ميكائيل بن سلجوق بن تقاق فنذكر أولا حال آبائه ثم نذكر حاله كيف ينقلب حتى صار سلطانا على أننى قد ذكرت أكثر أخبارهم متقدمة على السنين وإنما أوردناها ههنا مجموعة لترد

---

(١) وممن توفى فى هذه السنة إسماعيل بن احمد ابن عبد الله أبو عبد الرحمن الضرير الخيرى ، من أهل نيسابور كان من أعيان الفضلاء الأذكياء ، والثقات الأمناء ، قدم بغداد حاجاً فى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، فقرأ عليه الخطيب جميع صحيح البخارى فى ثلاثة مجالس بروايته له عن أبى الهيثم الكشميهنى ؛ عن الفربرى عن البخارى توفى فيها وقد جاوز التسعين . وتوفى أيضا : بشرى الفاتنى : وهو بشرى بن مسيس من سبى الروم ، أهداه أمراء بنى حمدان الفاتن غلام المطيع ، فأدبه وسمع الحديث عن جماعة من المشايخ ، وروى عنه الخطيب . وقال : كان صدوقا صالحا دينا ، توفى يوم عيد الفطر منها رحمه الله . وتوفى أيضا : محمد بن على بن أحمد بن يعقوب بن مروان أبو العلاء الواسطى ، وأصله من فم الصلح ، سمع الحديث وقرأ القراءات ورواها ، وقد تكلموا فى رواية فى القراءات والحديث ، فالله أعلم . توفى فى جمادى الآخرة منها وقد جاوز الثمانين .

Marfat.com

سياقا واحدا فهى أحسن فأقول : فأما تقاق فمعناه القوس الجديد وكان شهما ذا رأى وتدبير وكان مقدم الأتراك الغز ومرجعهم إليه لا يخالفون له قولا ولا يتعدون أمراً فاتفق يوماً من الأيام أن ملك الترك الذى يقال له بيغو جمع عساكره وأرادالمسير إلى بلاد الإسلام فنهاه تقاق عن ذلك وطال الخطاب بينهما فيه فأغلظ له ملك الترك الكلام فلطمه تقاق فشج رأسه فأحاط به خدم ملك الترك وأرادوا أخذه فمانعهم وقاتلهم واجتمع معه من أصحابه من منعه فتفرقوا عنه ثم صلح الأمر بينهما وأقام تقاق عنده وولد له سلجوق فإنه لما كبر ظهرت عليه أمارات النجابة ومخايل التقدم فقربه ملك الترك وقدمه ولقبه سباشى ومعناه قائد الجيش وكانت امرأة الملك تخوفه من سلجوق لما ترى من تقدمه وطاعة الناس له والانقياد إليه وأغرته بقتله وبالغت فى ذلك وسمع سلجوق الخبر فسار بجماعته كلهم ومن يطيعه من دار الحرب إلى ديار الإسلام وسعد بالإيمان ومجاورة المسلمين وازداد حاله علوا وأمرة وطاعة وأقام بنواحى جند وأدام غزو كفار الترك وكان ملكهم يأخذ الخراج من المسلمين فى تلك الديار وطرد سلجوق عماله منها وصفت للمسلمين ثم إن بعض ملوك السامانية كان هرون بن أيلك الخان قد استولى على بعض أطراف بلاده فأرسل إلى سلجوق يستمده فأمده بابنه أرسلان فى جمع من أصحابه فقوى بهم السامانى على هرون واسترد ما أخذه منه وعاد أرسلان إلى أبيه وكان لسلجوق من الأولاد أرسلان وميكائيل وموسى وتوفى سلجوق بجند وكان عمره مائة سنة وسبع سنين ودفن هناك وبقى أولاده فغزا ميكائيل بعض بلاد الكفار الأتراك فقاتل وباشر القتال بنفسه فاستشهد فى سبيل الله وخلف من الأولاد بيغو وطغرلبك محمدا وجغرى بك داود فأطاعهم عشائرهم ووقفوا عند أمرهم ونهيهم ونزلوا بالقرب من بخارا على عشرين فرسخا منها فخافهم أمير بخارا فأساء جوارهم وأراد إهلاكهم والإيقاع بهم فالتجؤا إلى بغراخان ملك تركستان وأقاموا فى بلاده واحتموا به واستنعوا واستقر الأمر بين طغرلبك وأخيه داود أنهما لا يجتمعان عند بغراخان إنما يحضره عند أحدهما ويقيم الآخر فى أهله خوفا من مكر يمكره بهم فبقوا كذلك ثم إن بغراخان اجتهد فى اجتماعهما عنده فلم يفعلا فقبض على طغرلبك وأسره فثار داود فى عشائره ومن يتبعه وقصد بغراخان ليخلص أخاه فأنفذ إليه بغراخان عسكرا فاقتتلوا فانهزم عسكر بغراخان وكثر القتل فيهم وخلص أخاه من الأسر وانصرفوا إلى جند وهى قريب بخارا فأقاموا هناك فلما انقرضت دولة السامانية وملك أيلك الخان بخارا عظم محل أرسلان بن سلجوق عم داود وطغرلبك بما وراء النهر وكان على تكين فى حبس أرسلان خان فهرب وهو أخو أيلك الخان ولحق ببخارا واستولى عليها واتفق مع أرسلان بن سلجوق فامتنعا واستفحل أمرهما وقصدهما أيلك أخو أرسلان خان وقاتلهما فهزماه وبقيا ببخارا وكان على تكين يكثر معارضة يمين الدولة محمود بن سبكتكين فيما يجاوره فى بلاده ويقطع الطريق على رسله المترددين إلى ملوك الترك فلما عبر محمود جيحون على ما ذكرناه هرب على تكين من بخارا وأما أرسلان بن سلجوق وجماعته فانهم دخلوا المفازة والرمل فاحتموا من محمود فرأى محمود قوة السلجوقية ومالهم من الشوكة وكثرة العدد فكاتب أرسلان بن سلجوق واستماله ورغبه فورد إليه فقبض يمين الدولة عليه فى الحال ولم يمهله وسجنه فى قلعة ونهب خركاهاته واستشار فيما يفعل بأهله وعشيرته فأشار أرسلان الجاذب وهو من أكبر خواص محمود بأن يقطع أيديهم لئلا يرموا بالنشاب أو يغرقوا فى جيحون فقال له ما أنت إلا قاسى القلب ثم أمر بهم فعبروا نهر جيحون ففرقهم فى نواحى خراسان ووضع عليهم الخراج فجار العمال عليهم وامتدت الأيدى إلى أموالهم وأولادهم فانفصل منهم أكثر من ألفى رجل وساروا إلى كرمان ومنها

Marfat.com

إلى أصبهان وجرى بينهم وبين صاحبها علاء الدولة بن كاكويه حرب قد ذكرناها فساروا من أصبهان إلى أذربيجان وهؤلاء جماعة أرسلان فأما أولاد أخوته فإن عليا تكين صاحب بخارا أعمل الحيل فى الظفر بهم فأرسل إلى يوسف بن موسى بن سلجوق وهو ابن عم طغرلبك محمد وجغرى بك داود ووعده الإحسان وبالغ فى استمالته وطلب منه الحضور عنده ففعل ففوض إليه على تكين التقدم على جميع الأتراك الذين فى ولايته وأقطعه إقطاعا كثيرة ولقب بالأمير إينانج بيغو وكان الباعث له على مافعله به وبعشيرته وأصحابه على طغرلبك وداود ابنى عمه ويفرق كلمتهم ويضرب بعضهم ببعض فعلموا مراده فلم يطعه يوسف إلى شىء مما أراده منه فلما رأى على تكين أن مكره لم يعمل فى يوسف ولم يبلغ به غرضا أمر بقتله فقتل يوسف تولى قتله أمير من أمراء على تكين اسمه ألب قرا فلما قتل عظم ذلك على طغرلبك وأخيه داود وجميع عشائرهما ولبسوا ثياب الحداد وجمعا من الأتراك من قدروا على جمعه للأخذ بثأره وجمع على تكين أيضا جيوشه وسيرها إليهم فانهزم عسكر على تكين وكان قد ولد السلطان ألب أرسلان بن داود أول محرم سنة عشرين وأربعمائة قبل الحرب فتبركوا به وتيمنوا بطلعته أوقيل فى مولده غير ذلك فلما كان سنة إحدى وعشرين قصد طغرلبك وداود . . . ألب قرا الذى قتل يوسف ابن عمهما فقتلاه وأوقعا بطائفة من عسكر على تكين فقتلا منها نحو ألف رجل فجمع على تكين عسكره وقصدهم هو وأولاده ، ومن حمل السلاح من أصحابه وتبعهم من أهل البلاد خلق كثير فقصدوهم من كل جانب وأوقعوا بهم وقعة عظيمة قتل كثير من عساكر السلجوقية وأخذت أموالهم وأولادهم وسبوا كثيراً من نسائهم وذراريهم فالجأتهم الضرورة إلى العبور إلى خراسان فلما عبروا جيحون كتب إليهم خوارزمشاه هرون بن التونتاش يستدعيهم ليتفقوا معه وتكون أيديهم واحدة فسار طغرلبك وأخوه داود وبيغو إليه وخيموا بظاهر خوارزم سنة ست وعشرين ووثقوا به واطمأنوا إليه فغدر بهم فوضع عليهم الأمير شاهملك فكبسهم ومعه عسكر من هرون فأكثر القتل فيهم والنهب والسبى وارتكب من الغدر خطة شنيعة فسار عن خوارزم بجموعهم إلى مفازة (نسا) وقصدوا (مرو) فى هذه السنة أيضاً ولم يتعرضوا لأحد بشر وبقى أولادهم وذراريهم فى الأسر وكان الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين هذه السنة بطبرستان قد ملكها كما ذكرناه فراسلوه وطلبوا منه الأمان وضمنوا أنهم يقصدون الطائفة التى تفسد فى بلاده ويدفعونهم عنها ويقاتلونهم ويكونون من أعظم أعوانه عليهم وعلى غيرهم فقبض على الرسل وجهز عسكراً جراراً إليهم مع إيلتغدى حاجبه وغيرهم من الأمراء الأكابر فساروا إليهم والتقوا عند نسا فى شعبان من السنة واقتتلوا وعظم الأمر وانهزم السلجوقية وغنمت أموالهم فجرى بين عسكر مسعود منازعة فى الغنيمة أدت إلى القتال واتفق فى تلك الحال أن السلجوقية لما انهزموا قال لهم داود إن العسكر الآن قد نزلوا واطمأنوا وآمنوا الطلب والرأى أن نقصدهم لعلنا نبلغ منهم غرضاً فعادوا فوصلوا إليهم وهم على تلك الحال من الاختلاف وقتال بعضهم بعضاً فأوقعوا بهم وقتلوا منهم وأسروا واستردوا ما أخذوا من أموالهم ورجالهم وعاد المنهزمون من العسكر إلى الملك مسعود وهو بنيسابور فندم على رده طاعتهم وعلم أن هيبتهم قد تمكنت من قلوب عساكره وأنهم قد طمعوا بهذه الهزيمة وتجرؤا على قتال العساكر السلطانية بعد الخوف الشديد وخاف من أخوات هذه الحادثة فأرسل إليهم يتهددهم ويتوعدهم فقال طغرلبك لإمام صلاته اكتب إلى السلطان « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير » ولاتزد على هذا

Marfat.com

Marfat.com

فكتب ماقال فلما ورد الكتاب على مسعود أمر فكتب إليهم كتاب مملوء من المواعيد الجميلة وسير معه الخلع النفيسة وأمرهم بالرحيل إلى آمل الشطا وهى مدينة على جيحون ونهاهم عن الشر والفساد وأقطع دهستان لداود و(نسا) لطغرلبك وفراوة لبيغو ولقب كل واحد منهم بالدهقان فاستخفوا بالرسول والخلع وقالوا للرسول لو علمنا أن السلطان يبقى علينا إذا قدر لأطعناه ولكنا نعلم أنه متى ظفر بنا أهلكنا لما عملناه وأسلفناه فنحن لانطيعه ولانثق إليه وأفسدوا ثم كفوا وتركوا ذلك فقالوا إن كان لنا قدرة على الانتصاف من السلطان وإلا فلاحاجة بنا إلى إهلاك العالم ونهب أموالهم وأرسلوا إلى مسعود يخادعونه بإظهار الطاعة له والكف عن الشر ويسألونه أن يطلق عمهم أرسلان بن سلجوق من الحبس فأجابهم إلى ذلك فأحضره عنده ببلخ وأمره بمراسلة بنى أخيه بيغو وطغرلبك وداود يأمرهم بالاستقامة والكف عن الشر فأرسل إليهم رسولا يأمرهم بذلك وأرسل معه إشفا وأمره بتسليمه إليهم فلما وصل الرسول وأدى الرسالة وسلم إليهم الإشفا نفروا واستوحشوا وعادوا إلى أمرهم الأول فى الغارة والشر فأعاده مسعود إلى محبسه وسار إلى غزنة فقصد السلجوقية بلخ ونيسابور وطوس وجوزجان على ماذكرناه وأقام داود بمدينة مرو وانهزمت عساكر السلطان مسعود منهم مرة بعد مرة واستولى الرعب على أصحابه لاسيما مع بعده إلى غزنة فتوالت كتب نوابه وعماله إليه يستغيثون به ويشكون إليه ويذكرون مايفعل السلجوقية فى البلاد وهو لايجيبهم ولايتوجه إليهم وأعرض عن خراسان والسلجوقية واشتغل بأمور بلاد الهند فلما اشتد أمرهم بخراسان وعظمت حالهم اجتمع وزراء مسعود وأرباب الرأى فى دولته وقالوا له إن قلة المبالاة بخراسان من أعظم سعادة السلجوقية وبها يملكون البلاد ويستقيم لهم الملك ونحن نعلم وكل عاقل أنهم إذا تركوا على هذه الحال استولوا على خراسان سريعاً ثم ساروا منها إلى غزنة وحينئذ لاينفعنا حركاتنا ولانتمكن من البطالة والاشتغال باللعب واللهو والطرب فاستيقظ من رقدته وأبصر رشده بعد غفلته وجهز العساكر الكثيرة مع أكبر أمير عنده يعرف بسباشى وكان حاجبه وقد سيره قبل إلى الغز العراقية وقد تقدم ذكر ذلك وسير معه أميراً كبيراً اسمه مرداويج بن بشو وكان سباشى جباناً فأقام بهراة ونيسابور ثم أغار بغتة على مرو وبها داود فسار مجداً فوصل إليها فى ثلاثة أيام فأصاب جيوشه ودوابه التعب والكلال فانهزم داود بين يديه ولحقه العسكر فحمل عليه صاحب جوزجان فقاتله داود فقتل صاحب جوزجان وانهزمت عساكره فعظم قتله على سباشى وكل من معه ووقعت عليهم الذلة وقويت نفوس السلجوقية وزاد طمعهم وعاد داود إلى مرو فأحسن السيرة فى أهلها وخطب له فيها أول جمعة فى رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ولقب فى الخطبة بملك الملوك وسباشى يمادى الأيام ويرحل من منزل إلى منزل والسلجوقية يراوغونه مراوغة الثعلب فقيل إنه كان يفعل ذلك جبنا وخورا وقيل بل راسله السلجوقية واستمالوه ورغبوه فنفس عنهم وتراخى فى تتبعهم والله أعلم. ولما طال مقام سباشى وعساكره والسلجوقية بخراسان والبلاد منهوبة والدماء مسفوكة قلت الميرة والأقوات على العساكر خاصة فأما السلجوقية فلا يبالون بذلك لأنهم يقنعون بالقليل فاضطر سباشى إلى مباشرة الحرب وترك المحاجزة فسار إلى داود وتقدم داود إليه فالتقوا فى شعبان سنة ثمان وعشرين على باب سرخس ولداود منجم يقال له الصومعى فأشار على داود بالقتال وضمن له الظفر وأشهد على نفسه أنه إن أخطأ فدمه مباح له فاقتتل العسكران فلم يثبت عسكر سباشى وانهزموا أقبح هزيمة وساروا أخزى مسير إلى هراة فتبعهم داود وعسكره إلى طوس يأخذونهم باليد وكفوا عن القتل وغنموا أموالهم فكانت هذه الوقعة هى

الوقعة هى التى ملك السلجوقية بعدها خراسان ودخلوا قصبات البلاد فدخل طغرلبك نيسابور وسكن الشاذياخ وخطب له فيها فى شعبان بالسلطان المعظم وفرقوا النواب فى النواحى وسار داود إلى هراة ففارقها سباشى ومضى إلى غزنة فعاتبه مسعود وحجبه وقال له ضيعت العساكر وطاولت الأيام حتى قوى أمر العدو وصفا لهم مشربهم وتمكنوا من البلاد ما أرادوا فاعتذر بأن القوم تفرقوا ثلاث فرق كلما تبعت فرقة سارت بين يدى وخافى الفريقان فى البلاد يفعلون ما أرادوا فاضطر مسعود إلى المسير إلى خراسان فجمع العساكر وفرق فيهم الأموال العظيمة وسار عن غزنة فى جيوش يضيق بها الفضاء ومعه من الفيلة عدد كثير فوصل إلى بلخ وقصده داود إليها أيضا ونزل قريبا منها فدخلها يوما جريدة فى طائفة يسيرة على حين غفلة من العساكر فأخذ الفيل الكبير الذى على باب دار الملك مسعود وأخذ معه عدة جنائب فعظم قدره فى النفوس وازداد العسكر هيبة له ثم سار مسعود من بلخ أول شهر رمضان سنة تسع وعشرين وأربعمائة ومعه مائة ألف فارس سوى الأتباع وسار على جوزجان فأخذ واليها الذى كان بها للسلجوقية فصلبه وسار منها فوصل إلى مرو الشاهجان وسار داود إلى سرخس واجتمع هو وأخواه طغرلبك وبيغو فأرسل مسعود إليهم رسلا فى الصلح فسار فى الجواب بيغو فأكرمه مسعود وخلع عليه وكان مضمون رسالته إنا لا نثق بصالحتك بعد ما فعلنا هذه الأفعال التى سخطتها كل فعل منها موبق مهلك وآيسوه من الصلح فسار مسعود من مرو إلى هراة وقصد داود مرو فامتنع أهلها عليه فحصرها سبعة أشهر وضيق عليهم وألح فى قتالهم فملكها فلما سمع مسعود هذا الخبر سقط فى يديه وسار من هراة إلى نيسابور ثم منها إلى سرخس وكلما تبع السلجوقية إلى مكان ساروا منه إلى غيره ولم يزل كذلك فأدركهم الشتاء فأقاموا بنيسابور ينتظرون الربيع فلما جاء الربيع كان الملك مسعود مشغولا بلهوه وشربه فتقضى الربيع والأمر كذلك فلما جاء الصيف عاتبه وزراؤه وخواصه على إهماله أمر عدوه فسار من نيسابور إلى مرو يطلب السلجوقية فدخلوا البرية ندخلها وراءهم مرحلتين والعسكر الذى له قد ضجروا من طول سفرهم وبيكارهم وسئموا الشد والترحل فإنهم كان لهم فى السفر نحو ثلاث سنين بعضها مع سباشى وبعضها مع الملك مسعود فلما دخل البرية نزل منزلا قليل الماء والحر شديد فلم يكف الماء للسلطان وحواشيه وكان داود فى معظم السلجوقية بإزائه وغيره من عشيرته مقابل ساقة عساكره يتخطفون من تخلف منهم فاتفق لما يريده الله تعالى أن حواشى مسعود اختصموا هم وجمع من العسكر على الماء وازدحموا وجرى بينهم فتنة حتى صار بعضهم يقاتل بعضا وبعضهم نهب بعضا فاستوحش لذلك أمراء العسكر ومشى بعضهم إلى بعض فى التخلى عن مسعود فعلم داود ما هم فيه من الاختلاف فتقدم إليهم وحمل عليهم وهم فى ذلك التنازع والقتال والنهب فولوا منهزمين لا يلوى أول على آخر وكثر القتل فيهم والسلطان مسعود ووزيره يناديانهم ويأمرانهم بالعود فلا يرجعون وتمت الهزيمة على العسكر وثبت مسعود فقيل له ما تنتظر قد فارقك أصحابك وأنت فى برية مهلكة وبين يديك عدو وخلفك عدو ولا وجه للمقام فمضى منهزما ومعه نحو مائة فارس فتبعه فارس من السلجوقية فعطف عليه مسعود فقتله وصار لا يقف على شىء حتى أتى غرشتان وأما السلجوقية فإنهم غنموا من العسكر المسعودى ما لا يدخل تحت الإحصاء وقسمه داود على أصحابه وآثرهم على نفسه ونزل فى سرادق مسعود وقعد على كرسيه ولم ينزل عسكره ثلاثة أيام عن ظهور دوابهم لا يفارقونها إلا لما لا بد لهم منه من مأكول ومشروب وغير ذلك خوفا من عود العسكر وأطلق الأسرى وأطلق خراج سنة كاملة وسار طائعا لملك إلى نيسابور فملكها

Marfat.com

ودخل إليها آخر سنة إحدى وثلاثين وأول سنة اثنتين وثلاثين ونهب أصحابه الناس فقيل عنه إنه رأى لوزينجا فأكله وقال هذا قطماج طيب إلا أنه لا ثوم فيه ورأى الغز الكافور فظنوه ملحا وقالوا هذا ملح مرو نقل عنهم أشياء من هذا كثيراً وكان العيارون قد عظم ضررهم واشتد أمرهم وزادت البلية بهم على أهل نيسابور فهم ينهبون الأموال ويقتلون النفوس ويرتكبون الفروج الحرام ويفعلون كل ما يريدونه لا يردعهم عن ذلك رادع ولا يزجرهم زاجر فلما دخل طغرلبك البلد خافه العيارون وكفوا عما كانوا يفعلون وسكن الناس واطمأنوا واستولى السلجوقية حينئذ على جميع البلاد فسار بيغو إلى هراة فدخلها وسار داود إلى بلخ وبها التونتاق الحاجب واليا عليها لمسعود فأرسل إليه داود يطلب منه تسليم البلد إليه ويعرفه عجز صاحبه عن نصرته فسجن التونتاق الرسل فنازله داود وحصر المدينة فأرسل التونتاق إلى مسعود وهو بغزنة يعرفه الحال وما هو فيه من ضيق الحصار فجهز مسعود العساكر الكثيرة وسيرها فجاءت طائفة منهم إلى الرخج وبها جمع من السلجوقية فقاتلوهم فانهزم السلجوقية وقتل منهم ثمانمائة رجل وأسر كثير وخلا ذلك الصقع منهم وسار طائفة منهم إلى هراة وبها بيغو فقاتلوه ودفعوه عنها ثم إن مسعوداً سير ولده مودود في عسكر كثير مددا لهذه العساكر فقتل مسعود وهو بخراسان على ما نذكره إن شاء الله تعالى فساروا عن غزنة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة فلما قاربوا بلخ سير داود طائفة من عسكره فأوقعوا بطلائع مودود فانهزمت الطلائع وتبعهم عسكر داود فلما أحس بهم عسكر مودود رجعوا إلى وراثهم وأقاموا فلما سمع التونتاق صاحب بلخ الخبر أطاع داود وسلم إليه البلد ووطئ بساطه .

﴿ذكر قبض السلطان مسعود وقتله وملك أخيه محمد﴾ قد ذكرنا عود مسعود بن محمود بن سبكتكين إلى غزنة من خراسان فوصلها في شوال سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وقبض على سباشي وغيره من الأمراء كما ذكرناه وأثبت غيرهم وسير ولده مودود إلى خراسان في جيش كثيف ليمنع السلجوقية عنها فسار مودود إلى بلخ ليرد عنها داود أخا طغرلبك وجعل أبوه مسعود معه وزيره أبا نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد يدبر الأمور وكان مسيرهم من غزنة في ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وسار مسعود بعدهم بسبعة أيام يريد بلاد الهند ليشتو بها على عادة والده فلما سار أخذ معه أخاه محمدا مسمولا واستصحب الخزائن وكان عازما على الاستنجاد بالهند على قتال السلجوقية ثقة بعهودهم فلما عبر سيحون وهو نهر كبير نحو دجلة وعبر بعض الخزائن اجتمع أنوشتكين البلخي وجمع من الغلمان الدارية ونهبوا ما تخلف من الخزانة ، وأقاموا أخاه محمداً ثالث عشر ربيع الآخر ، وسلموا عليه بالإمارة فامتنع من قبول ذلك فتهددوه وأكرهوه فأجاب وبقي مسعود فيمن معه من العسكر وحفظ نفسه فالتقى الجمعان منتصف ربيع الآخر فاقتتلوا وعظم الخطب على الطائفتين ثم انهزم عسكر مسعود وتحصن هو في رباط ماريكلة فحصره أخوه فامتنع عليه فقالت له أمه إن مكانك لا يعصمك ، ولأن تخرج إليهم بعهد خير من أن يأخذوك قهراً فخرج إليهم فقبضوا عليه فقال له أخوه محمد والله لأقابلنك على فعلك بي ولأعاملنك إلا بالجميل فانظر أين تريد أن تقيم حتى أحملك إليه ومعك أولادك وحرمك فاختار قلعة كيكى فأنفذه إليها محفوظا وأمر بإكرامه وصيانته وأرسل مسعود إلى أخيه محمد يطلب منه مالا ينفقه فأنفذ له خمسمائة درهم فبكى مسعود وقال كان بالأمس حكمي على ثلاثة آلاف حمل من الخزائن واليوم لا أملك الدرهم الفرد فأعطاه الرسول من ماله ألف دينار فقبلها وكانت سبب سعادة الرسول لأنه لما ملك مودود بن مسعود بالغ في الإحسان إليه ، ثم إن

Marfat.com

محمداً فوض أمر دولته إلى ولده أحمد وكان فيه خبط وهوج ، فاتفق هو وابن عمه يوسف بن سبكتكين وابن علىّ خويشاوند على قتل مسعود ليصفوا الملك له ولوالده ، فدخل إلى أبيه ، فطلب خاتمه ليختم به بعض الخزائن فأعطاه فسار بها إلى الغلمة وأعطوا الخاتم لمستحفظها وقالوا معنا رسالة إلى مسعود فأدخلهم إليه فقتلوه فلما علم محمد بذلك ساءه وشق عليه وأنكره وقيل إن مسعوداً لما حبس دخل عليه ولدا أخيه محمد واسم أحدهما عبد الرحمن والآخر عبد الرحيم فمد عبد الرحمن يده فأخذ القلنسوة من رأس عمه مسعود فمد عبدالرحيم يده وأخذ القلنسوة من أخيه وأنكر عليه ذلك وسبه وقبلها وتركها على رأس عمه فنجا بذلك عبدالرحيم من القتل والأسر لما ملك مودود بن مسعود على ماذكره إن شاء الله تعالى . ثم إن محمداً أغراه ولده أحمد بقتل عمه مسعود فأمر بذلك وأرسل إليه من قتله وألقاه فى بئر وسد رأسها وقيل بل ألقى فى بئر حيا وسد رأسها فمات والله أعلم . فلما مات كتب محمد إلى ابن أخيه مودود وهو بخراسان يقول إن والدك قتل قصاصا قتله أولاد أحمد بنالتكتين بلارضا منى ، فأجاب مودود : يقول أطال الله بقاء الأمير القاسم ورزق ، ورزق ولده المعتوه أحمد عقلا يعيش به فقد ركب أمراً عظيما وأقدم على إراقة دم ملك مثل والدى الذى لقبه أمير المؤمنين سيد الملوك والسلاطين ، وستعلمون فى أى حتف تورطتم ، وأى شر تأبطتم ، وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون

نفلق هاما من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

وطمع جند محمد فيه وزالت عنهم هيبته فمدوا أيديهم إلى أموال الرعايا فنهبوها ، فخربت البلاد وجلا أهلها لاسيما مدينة برشاوور فإنها هلك أهلها ونهبت أموالهم وكان المملوك بها يباع بدينار ويباع الخمر كل من بدينار ثم رحل محمد عنها لليلتين بقيتا من رجب وكان ماذكره إن شاء الله تعالى ، وكان السلطان مسعود شجاعا كريما ذا فضائل كثيرة محبا للعلماء كثير الإحسان إليهم والتقرب لهم صنفوا له التصانيف الكثيرة فى فنون العلوم ، وكان كثير الصدقة والإحسان إلى أهل الحاجة تصدق مرة فى شهر رمضان بألف ألف درهم وأكثر الإدرارات والصلات وعمر كثيرا من المساجد فى ممالكه وكانت صنائعه ظاهرة مشهورة تسير بها الركبان مع عفة عن أموال رعاياه وأجاز الشعراء بجوائز عظيمة أعطى شاعرا على قصيدة ألف دينار وأعطى آخر بكل بيت ألف درهم وكان يكتب خطا حسنا وكان ملكه عظيما فسيحا ملك أصبهان والرى وهمذان وما يليها من البلاد وملك طبرستان وجرجان وخراسان وخوارزم وبلاد الروان وكرمان وسجستان والسند والرخج وغزنة وبلاد الغور والهند وملك كثيرا منها وأطاعه أهل البر والبحر ومناقبه كثيرة وقد صنفت فيها التصانيف المشهورة فلا حاجة إلى الإطالة بذكرها .

﴿ ذكر ملك مودود بن مسعود وقتله عمه محمدا ﴾ لما قتل الملك مسعود وصل الخبر إلى ابنه مودود وهو بخراسان فعاد مجدا فى عساكره إلى غزنة فتصاف هو وعمه محمد فى ثالث شعبان فانهزم محمد وعسكره وقبض عليه وعلى ولده أحمد وأنوشتكين الخصى البلخى وابن على خويشاوند فقتلهم وقتل أولاد عمه جميعهم إلا عبدالرحيم لإنكاره على أخيه عبدالرحمن مافعله بعمه مسعود وبنى موضع الوقعة قرية ورباطا وسماها فتح آباذ وقتل كل من له فى القبض على والده صنع وعاد إلى غزنة فدخلها فى ثالث وعشرين شعبان سنة اثنتين وثلاثين واستوزر أبا نصر وزير أبيه وأظهر العدل وحسن السيرة وسلك سيرة جده محمود وكان داود أخو طغرلبك قد ملك مدينة بلخ واستباحها كما ذكرناه ومودود مقابله فتجدد قتل مسعود فعاد ليقضى الله أمرا كان مفعولا

فلما تجدد هذا الظفر لمودود ثار أهل هراة بمن عندهم من الغز السلجوقية فأخرجوهم وحفظوها لمودود واستقر الأمر لمودود بغزنة ولم يبق له همّ إلا أمر أخيه مجدود فإن أباه قد سيره إلى الهند سنة ست وعشرين فخاف أن يخالف عليه فأتاه خبره أنه قصد : لهاوور ، وملتان فملكهما وأخذ الأموال وجمع بهما العساكر وأظهر الخلاف على أخيه فندب إليه مودود جيشا ليمنعوه ويقاتلوه وعرض مجدود عسكره للمسير وحضر عيد الأضحى فبقى بعده ثلاثة أيام وأصبح ميتا بلهاوور لا يدرى كيف كان موته وأطاعت البلاد بأسرها مودود ورست قدمه وثبت ملكه ولما سمعت الغز السلجوقية ذلك خافوه واستشعروا منه وراسله ملك الترك بماوراء النهر بالانقياد والمتابعة .

﴿ ذكر الخلف بين جلال الدولة وقرواش صاحب الموصل ﴾ فى هذه السنة اختلف جلال الدولة ملك العراق وقرواش بن المقلد العقيلى صاحب الموصل وكان سبب ذلك أن قرواشا كان قد أنفذ عسكرا سنة إحدى وثلاثين فحصروا خميس بن ثعلب بتكريت وجرى بين الطائفتين حرب شديدة فى ذى القعدة منها فأرسل خميس ولده إلى الملك جلال الدولة وبذل بذولا كثيرة ليكف عنه قرواشا فأجابه إلى ذلك وأرسل إلى قرواش يأمره بالكف عنه فغالط ولم يفعل وسار بنفسه ونزل عليه يحاصره فتأثر جلال الدولة منه ثم إنه أرسل كتبا إلى الأتراك ببغداد يفسدهم وأشار عليهم بالشغب على الملك وإثارة الفتنة معه فوصل خبرها إلى جلال الدولة وأشياء أخر كانت هذه هى الأصل فأرسل جلال الدولة أبا الحرث أرسلان الفساسيرى فى صفر من سنة إثنتين وثلاثين ليقبض على نائب قرواش بالسندية فسار ومعه جماعة من الأتراك وتبعه جمع من العرب فرأى فى طريقه جمالا لبنى عيسى فتسرع إليها الأتراك والعرب فأخذوا منها قطعة وأوغل الأتراك فى الطلب وبلغ الخبر إلى العرب وركبوا وتبعوا الأتراك وجرى بين الطائفتين حرب انهزم فيها الأتراك وأسر منهم جماعة وعاد المنهزمون فأخبروا الفساسيرى بكثرة العرب فعاد ولم يصل إلى مقصده وسار طائفة من بنى عيسى فكمنوا بين صرصر وبغداد ليفسدوا فى السواد فاتفق أن وصل بعض أكابر القواد الأتراك فخرجوا عليه فقتلوه وجماعة من أصحابه وحملوا إلى بغداد فارتج البلد واستحكمت الوحشة بين جلال الدولة وقرواش فجمع جلال الدولة العساكر وسار إلى الأنبار وهى لقرواش على عزم أخذها منه وغيرها من إقطاعه بالعراق فلما وصلوا إلى الأنبار أغلقت وقاتلهم أصحاب قرواش وسار قرواش من تكريت إلى خصة على عزم القتال فلما نزل الملك جلال الدولة على الأنبار قلت عليهم العلوفة فسار جماعة من العسكر والعرب إلى الحديثة ليمتاروا منها فخرج عليهم عندها جمع كثير من العرب فأوقعوا بهم فانهزم بعضهم وعادوا إلى العسكر ونهبت العرب مامعهم من الدواب التى تحمل الميرة وبقى المرشد أبو الوفاء وهو المقدم على العسكر الذين ساروا لإحضار الميرة وثبت معه جماعة ووصل الخبر إلى جلال الدولة أن المرشد أبا الوفاء يقاتل وأخبر سلامته وصبره للعرب وأنهم يقاتلونه وهو يطلب النجدة فسار الملك إليه بعسكر فوصلوا وقد عجز العرب عن الوصول إليه وعادوا عنه بعد أن حملوا عليه وعلى من معه عدة حملات صبر لها فى قلة من معه ثم اختلفت عقيل على قرواش فراسل جلال الدولة وطلب رضاه وبذل له بذلا أصلحه به وعاد إلى طاعته فتحالفا وعاد كل إلى مكانه .

﴿ ذكر ملك أبى الشوك دقوقا ﴾ كانت دقوقا لأبى المساجد المهلهل بن محمد بن عناز فسير إليها أخوه حسام الدولة أبو الشوك ولده سعديا فحاصرها فقاتله من بها ثم سار أبو الشوك إليها فجد فى حصارها ونقب سورها

Marfat.com

ودخلها عنوة ونهب أصحابه بعض البلد وأخذوا سلاح الأكراد وثيابهم وأقام حسام الدولة بالبلد ليلة وعاد خوفا على البنديجين وحلوان فإن أخاه سرخاب بن محمد بن عناز كان قد أغار على عدة مواضع من ولايته وحالف أبا الفتح بن ورام والجاوانية عليه فأشفق من ذلك وأرسل إلى جلال الدولة يطلب منه نجدة فسير إليه عسكراً امتنع بهم .

﴿ذكر الحرب بين عسكر مصر والروم﴾ فى هذه السنة كانت وقعة بين عسكر المصريين سيره الدزبرى وبين الروم فظفر المسلمون وكان سبب ذلك أن ملك الروم قدهادنه المستنصر بالله العلوى صاحب مصر على ماذكرناه فلما كان الآن شرع يراسل ابن صالح بن مرداس ويستميله وراسله قبله صالح ليتقوى به على الدزبرى خوفا أن يأخذ منه الرقة فبلغ ذلك الدزبرى فتهدد ابن صالح فاعتذر وجحد ثم إن جمعا من بنى جعفر بن كلاب دخلوا ولاية فامية فعاثوا فيها ونهبوا عدة قرى فخرج عليهم جمع من الروم فقاتلوهم وأوقعوا بهم ونكؤا فيهم وأزالوهم عن بلادهم وبلغ ذلك الناظر بحلب فأخرج من بها من تجار الفرنج وأرسل إلى المتولى بأنطاكية يأمره بإخراج من عندهم من تجار المسلمين فأغلظ للرسول وأراد قتله ثم تركه فأرسل الناظر بحلب إلى الدزبرى يعرفه الحال وأن القوم على التجهز لقصد البلاد فجهز الدزبرى جيشاً وسيره على مقدمته فاتفق أنهم لقوا جيشا للروم ، وقد خرجوا لمثل ماخرج إليه هؤلاء والتقى الفريقان بين مدينة حماة وفامية واشتد القتال بينهم ، ثم إن الله نصر المسلمين وأذل الكافرين فانهزموا وقتل منهم عدة كثيرة وأسر ابن عم للملك بذلوا فى فدائه مالا جزيلا وعدة واغرة من أسراء المسلمين وانكف الروم عن الأذى بعدها .

﴿ذكر الخلف بين المعز وبنى حماد﴾ فى هذه السنة خالف أولاد حماد على المعز بن باديس صاحب إفريقية وعادوا إلى ما كانوا عليه من العصيان والخلاف عليه فسار إليهم المعز وجمع العساكر وحشدها وحصر قلعتهم المعروفة بقلعة حماد وضيق عليهم وأقام عليهم نحو سنتين .

﴿ذكر صلح أبى الشوك وعلاء الدولة﴾ وفيها سار مهلهل أخو أبى الشوك إلى علاء الدولة بن كاكويه واستصرخه واستعان به على أخيه أبى الشوك فسار معه ، فلما بلغ قرميسين رجع أبو الشوك إلى حلوان فعرف علاء الدولة رجوعه فسار يتبعه حتى بلغ المرج وقرب من أبى الشوك فعزم أبو الشوك على قصد قلعة السيروان والتحصن بها ثم تجلد وأرسل إلى علاء الدولة أنى لم أتصرف من بين يديك إلا مراقبة لك وإعظاما لقدرك واستعطافا لك فإذا اضطررتنى إلى مالا أجد بداً منه كان العذر قائماً لى فيه فإن ظفرت بك طمع فيك الأعداء وإن ظفرت بى سلمت قلاعى وبلادى إلى الملك جلال الدولة فأجابه علاء الدولة إلى الصلح على أن يكون له الدينور وعاد فلحقه المرض فى طريقه وتوفى على ماذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة كان بإفريقية غلاء شديد وسببه عدم الأمطار فسميت سنة الغبار ودام ذلك إلى سنة أربع وثلاثين فخرج الناس فاستسقوا وفيها توفى قرل أمير الغز العراقية بالرى ودفن بناحية من أعمالها ، وفيها توفى صاعد بن محمد أبو العلاء النيسابورى ثم الاستوائى قاضى نيسابور ، وكان عالما فقيها حنفيا انتهت إليه رياسة الحنفية بخراسان(١)

---

(١) وفى هذه السنة توفى أيضا محمد بن الحسين بن الفضل بن العباسى أبو يعلى البصرى الصوفى ، أذهب عمره فى الأسفار والتغريب ، وقدم بغداد فى سنة ثنتين وثلاثين ، فحدث بها عن أبى بكر بن أبى الحديد الدمشقى وأبى الحسين ابن جميع الغسانى ، وكان ثقة صدوقا ، دينا ، حسن الشعر .

Marfat.com

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر وفاة علاء الدولة بن كاكويه ﴾ فى هذه السنة فى المحرم توفى علاء الدولة أبو جعفر بن دشمنزيار المعروف بابن كاكويه بعد عوده من بلد أبى الشوك وإنما قيل له كاكويه لأنه ابن خال مجد الدولة بن بويه والخال بلغتهم كاكويه وقام بأصبهان ابنه ظهير الدين أبو منصور فرامرز مقامه وهو أكبر أولاده وأطاعه الجند بها فسار ولده أبو كاليجار كرشاسف إلى نهاوند فأقام بها وحفظها وضبط أعمال الجبل وأخذها لنفسه فأمسك عنه أخوه أبو منصور فرامرز ثم إن مستحفظا لعلاء الدولة بقلعة نطنز أرسل أبو منصور إليه يطلب شيئا مما عنده من الأموال والذخائر فامتنع وأظهر العصيان فسار إليه أبو منصور وأخوه الأصغر أبو حرب ليأخذا القلعة منه كيف أمكن فصعد أبو حرب إليها ووافق المستحفظ على العصيان ، فعاد أبو منصور إلى إصبهان وأرسل أبو حرب إلى الغز السلجوقية بالرى يستنجدهم فسار طائفة منهم إلى قاجان فدخلوها ونهبوها وسلموها إلى أبى حرب وعادوا إلى الرى فسير إليها أبو منصور عسكرا ليستنقذها من أخيه ، فجمع أبو حرب الأكراد وغيرهم وجعل عليهم صاحبا له وسيرهم إلى إصبهان ليملكوها بزعمه فسير إليهم أخوه أبو منصور عسكراً فالتقوا وانهزم عسكر أبى حرب وأسر جماعة منهم وتقدم أصحاب أبى منصور فحصروا أباحرب فلما رأى الحال وخاف نزل منها متخفيا وسار إلى شيراز إلى الملك أبى كاليجار صاحب فارس والعراق فحسن له قصد أصبهان وأخذها من أخيه فسار الملك إليها وحصرها وبها الأمير أبو منصور فامتنع عليه وجرى بين الفريقين عدة وقائع كان آخر الأمر الصلح على أن يبقى أبو منصور بأصبهان وتقرر عليه مال وعاد أبو حرب إلى قلعة نطنز واشتد الحصار عليه فأرسل إلى أخيه يطلب المصالحة فاصطلحا على أن يعطى أخاه بعض مافى القلعة ويبقى بها على حاله ، ثم إن إبراهيم ينال خرج إلى الرى على ماذكره وأرسل إلى أبى منصور فرامرز يطلب منه الموادعة فلم يجبه وسار فرامرز إلى همذان وبروجرد فملكهما ثم اصطلح هو وأخوه كرشاسف وأقطعه همذان وخطب لأبى منصور على منابر بلاد كرشاسف واتفقت كلمتهما وكان المدبر لأمرهما ألكيا أبو الفتح الحسن بن عبد الله وهو الذى سعى فى جمع كلمتهما .

﴿ ذكر ملك طغرلبك جرجان وطبرستان ﴾ فى هذه السنة ملك طغرلبك جرجان وطبرستان وسبب ذلك أن أنوشروان بن منوجهر بن قابوس بن وشمكير صاحبها قبض على أبى كاليجار بن ويهان القوهى صاحب جيشه وزوج أمه بمساعدة أمه عليه فعلم حينئذ طغرلبك أن البلاد لامانع له عنها فسار إليها وقصد جرجان ومعه مرداويج بن بسو فلما نازلها فتح له المقيم بها فدخلها وقرر على أهلها مائة ألف دينار صلحا وسلما إلى مرداويج ابن بسو وقرر عليه خمسين ألف دينار كل سنة عن جميع الأعمال وعاد إلى نيسابور وقصد مرداويج أنوشروان بسارية وكان بها فاصطلحا على أن ضمن أنوشروان له ثلاثين ألف دينار وأقيمت الخطبة لطغرلبك فى البلاد كلها وتزوج مرداويج بوالدة أنوشروان وبقى أنوشروان يتصرف بأمر مرداويج لايخالفه فى شىء البتة .

﴿ ذكر أحوال ملوك الروم ﴾ نذكر ههنا أحوال الروم من عهد بسيل إلى الآن فنقول من عادة ملوك الروم أن يركبوا أيام الأعياد إلى البيعة المخصوصة بذلك العيد فإذا اجتاز الملك بالأسواق شاهده الناس وبأيديهم المداخن يبخرون فيها فركب والد بسيل وقسطنطين فى بعض الأعياد وكان لبعض أكابر الروم بنت جميلة

Marfat.com

Marfat.com

فخرجت تشاهد الملك فلما مر بها استحسنها فأمر من يسأل عنها فلما عرفها خطبها وتزوجها وأحبها وولدت منه بسيل وقسطنطين وتوفى وهما صغيران فتزوجت بعده بمدة طويلة تقفور فكره كل واحد منهما صاحبه فعملت على قتله فراسلت الشمشقيق فى ذلك فقصد قسطنطينية متخفيا فأدخلته إلى دار الملك واتفقا وقتلاه ليلا وأحضرت البطارقة متفرقين وأعطتهم الأموال ودعتهم إلى تمليك الشمشقيق ففعلوا ولم تصبح إلا وقد فرغت مما تريد ولم يجر خلف وتزوجت الشمشقيق وأقامت معه سنة تخافها واحتال عليها وأخرجها إلى دير بعيد وحمل ولديها معها فأقامت فيه سنة ثم أحضرت راهبا ووهبته مالا وأمرته بقصد قسطنطينية والمقام بكنيسة الملك والاقتصار على قدر القوت فإذا وفق به الملك وأراد القربان من يده ليلة العيد سقاه سما ففعل الراهب ذلك فلما كان ليلة العيد سارت ومعها ولداها ووصلت قسطنطينية فى اليوم الذى توفى فيه الشمشقيق فملك ولدها بسيل ودبرت هى الأمر لصغره فلما كبر بسيل قصد بلد البلغار وتوفيت وهو هناك فبلغه وفاتها فأمر خادما له أن يدبر الأمور فى غيبته ودام قتاله لبلغار أربعين سنة فظفروا به فعاد مهزوما وأقام بالقسطنطينية يتجهز للعود فعاد إليهم فظفر بهم وقتل ملكهم وسبى أهله وأولاده وملك بلاده ونقل أهلها إلى الروم وأسكن البلاد طائفة من الروم وهؤلاء البلغار غير الطائفة المسلمة فإن هؤلاء أقرب إلى بلد الروم من المسلمين بنحو شهرين وكلاهما يسمى بلغار وكان بسيل عادلا لأحسن السيرة ودام ملكه نيفا وسبعين سنة وتوفى ولم يخلف ولدا فملك أخوه قسطنطين وبقى إلى أن توفى ولم يخلف غير ثلاث بنات فملكت الكبرى وتزوجت أرمانوس وهو من أقارب الملك وملكته فبقى مدة وهو الذى ملك الرها من المسلمين وكان لأرمانوس صاحب له يخدمه قبل ملكه من أولاد بعض الصيارف اسمه ميخائيل فلما ملك حكمه فى داره فمالت زوجة أرمانوس إليه وعملا الحيلة فى قتل أرمانوس فمرض أرمانوس فأدخلاه إلى الحمام كارها وخنقاه وأظهرا أنه مات فى الحمام وملكت زوجته ميخائيل وتزوجته على كره من الروم وعرض لميخائيل صرع لازمه وشوه صورته فعهد بالملك بعهده إلى ابن أخت له اسمه ميخائيل أيضاً، فلما توفى ملك ابن اخته وأحسن السيرة وقبض على أهل خاله وإخوته وهم أخواله وضرب الدنانير فى هذه السنة وهى سنة ثلاث وثلاثين ثم أحضر زوجته بنت الملك وطلب منها أن تترهب وتنزع نفسها من الملك فأبت فضربها وسيرها إلى جزيرة فى البحر ثم عزم على القبض على البطرك والاستراحة من تحكمه عليه، فإنه كان لا يقدر على مخالفته فطلب إليه أن يعمل له طعاما فى دير ذكره بظاهر القسطنطينية ليحضر عنده فأجابه إلى ذلك وخرج إلى الدير ليعمل ماقال الملك فأرسل الملك جماعة من الروس والبلغار ووافقهم على قتله سرا فقصدوه ليلا وحصروه فى الدير فبذل لهم مالا كثيراً وخرج متخفيا وقصد البيعة التى يسكنها وضرب الناقوس فاجتمع الروم عليه ودعاهم إلى عزل الملك فأجابوه إلى ذلك وحصروا الملك فى دار فأرسل الملك إلى زوجته وأحضرها من الجزيرة التى نفاها إليها ورغب فى أن ترد عنه فلم تفعل وأخرجته إلى بيعة يترهب فيها ثم إن البطرك والروم نزعوا زوجته من الملك وملكوا أختاً لها صغيرة واسمها تذورة وجعلوا معها خدم أبيها يدبرون الملك وكملوا ميخائيل ووقعت الحرب بالقسطنطينية بين من يتعصب له وبين من يتعصب لتذورة والبطرك فظفر أصحاب تذورة بهم ونهبوا أموالهم ثم إن الروم افتقروا إلى ملك يدبرهم فكتبوا أسماء جماعة يصلحون للملك فى رقاع ووضعوها فى بنادق طين وأمروا من يخرج منها بندقة وهو لا يعرف باسم من فيها فخرج اسم قسطنطين فملكوه وتزوجته الملكة الكبيرة واستنزلت أختها الصغيرة تذورة عن الملك بمال بذلته لها واستقر

فى الملك سنة أربع وثلاثين فخرج عليه فيها خارجى من الروم اسمه أرميناس ودعا إلى نفسه فكثر جمعه حتى زادوا على عشرين ألفا فأهم قسطنطين أمره وسير إليه جيشا كثيفاً فظفروا بالخارجى وقتلوه وحملوا رأسه إلى القسطنطينية وأسر من أعيان أصحابه مائة رجل فشهروا فى البلد ثم أطلقوا وأعطوا نفقة وأمروا بالانصراف إلى أى جهة أرادوا .

﴿ذكر فساد حال الدزبرى بالشام وما صار الأمر إليه بالبلاد﴾ فى هذه السنة فسد أمر أنوشتكين الدزبرى نائب المستنصر بالله صاحب مصر بالشام وقد كان كبيرا على مخدومه بما يراد من تعظيم الملوك له وهيبة الروم منه وكان الوزير أبو القاسم الجرجرای يقصده ويحسده إلا أنه لا يجد طريقا إلى الوقيعة فيه ثم اتفق أنه سعى بكاتب الدزبرى اسمه أبو سعد وقيل عنه إنه تستميل صاحبه إلى غير جهة المصريين فكوتب الدزبرى بإبعاده فلم يفعل واستوحشوا منه ووضع الجرجرای حاجب الدزبرى وغيره على مخالفته ثم إن جماعة من الأجناد قصدوا مصر وشكوا إلى الجرجرای منه فعرفهم سوء رأيه فيه وأعادهم إلى دمشق وأمرهم بإفساد الجند عليه ففعلوا ذلك وأحس الدزبرى بما يجرى فأظهر مافى نفسه وأحضر نائب الجرجرای عنده وأمر بإهانته وضربه ثم إنه أطلق لطائفة من العسكر يلزمون خدمته أرزاقهم ومنع الباقين فحرك مافى نفوسهم وقوى طمعهم فيه بما كوتبوا به من مصر فأظهروا الشغب عليه وقصدوا قصره وهو بظاهر البلد وتبعهم من العامة من يريد النهب فاقتتلوا فعلم الدزبرى ضعفه وعجزه عنهم ففارق مكانه واستصحب أربعين غلاما له وما أمكنه من الدواب والأثاث والأموال ونهب الباقى وسار إلى بعلبك فمنعه مستحفظها وأخذ ما أمكنه أخذه من مال الدزبرى وتبعه طائفة من الجند يقفون أثره وينهبون مايقدرون عليه وسار إلى مدينة حماة فمنع عنها وقوتل وكاتب المقلد بن منفذ الكمانى الكفرطابى واستدعاه فأجابه وحضر عنده فى نحو ألفى رجل من كفرطاب وغيرها فاحتمى به وسار إلى حلب ودخلها وأقام بها مدة وتوفى فى منتصف جمادى الأولى من هذه السنة فلما توفى فسد أمر بلاد الشام وانتشرت الأمور بها وزال النظام وطمعت العرب وخرجوا فى نواحيه فخرج حسان بن المفرج الطائى بفلسطين وخرج معز الدولة بن صالح الكلابى بحلب وقصدها وحصرها وملك المدينة واستمع أصحاب الدزبرى بالقلعة وكتبوا إلى مصر يطلبون النجدة فلم يفعلوا واشتغل عساكر دمشق ومقدمهم الحسين بن أحمد الذى ولى أمر دمشق بعد الدزبرى بحرب حسان ووقع الموت فى الذين فى القلعة فسلموها إلى معز الدولة بالأمان .

﴿ذكر عدة حوداث﴾ فى هذه السنة سير الملك أبو كاليجار من فارس عسكراً فى البحر إلى عمان ، وكان قد عصى من بها فوصل العسكر إلى صحار مدينة عمان فملكوها واستعادوا الخارجين عن الطاعة واستقرت الأمور بها وعادت العساكر إلى فارس وفيها قصد أبو نصر بن الهيثم الصليق من البطائح فملكها ونهبها ثم استقر أمرها على مال يؤديه إلى جلال الدولة وفيها توفى أبو منصور بهرام بن منافية وهو الملقب بالعادل وزير الملك أبى كاليجار ومولده سنة ست وستين وثلاثمائة ، وكان حسن السيرة ؛ وبنى دار الكتب بفيروزاباذ وجعل فيها سبعة آلاف مجلد ؛ فلما مات وزر بعده مهذب الدولة أبو منصور هبة الله بن أحمد الفسوى وفيها وصل جماعة من البلغار إلى بغداد يريدون الحج فأقيم لهم من الديوان الإقامات الوافرة ، فسئل بعضهم من أى الأمم هم البلغار فقال هم قوم تولدوا بين الترك والصقالبة وبلدهم فى أقصى الترك وكانوا كفاراً فأسلموا عن قريب وهم على مذهب أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه ؛ وفيها توفى ميخائيل ملك الروم ، وملك بعده ابن أخيه ميخائيل أيضاً .

Marfat.com

وفيها فى جمادى الآخرة توفى أبو الحسن محمد بن جعفر الجهرمى الشاعر وهو القائل :

يا ويح قلبى من تقلبه ٭ أبداً يحن إلى معذبه
قالوا كتمت هواه عن جلد ٭ لو أن لى رمقاً لبحت به
بأبى حبيباً غير مكترث ٭ عنى ويكثر من تعتبه
حسبى رضاه من الحياة وما ٭ قلقى وموتى من تغضبه

وكان بينه وبين المطرز مهاجاة[1].

﴿ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ملك طغرلبك مدينة خوارزم﴾ قد تقدم أن خوارزم كانت من جملة مملكة محمود بن سبكتكين، فلما توفى وملك بعده ابنه مسعود كانت له وكان فيها التونتاش حاجب أبيه محمود وهو من أكابر أمرائه يتولاها لمحمود ومسعود بعده ولما كان مسعود مشغولا بقصد أخيه محمد لأخذ الملك قصد الأمير على تكين صاحب ماوراء النهر أطراف بلاده وشعثها فلما فرغ مسعود من أمر أخيه واستقر الملك له كاتب التونتاش فى سنة أربع وعشرين بقصد أعمال على تكين وأخذ بخارا وسمرقند وأمده بجيش كثيف، فعبر جيحون وفتح من بلاد على تكين ما أراد وانحاز على تكين من بين يديه وأقام التونتاش بالبلاد التى فتحها فرأى دخلها لا يفى بما تحتاج عساكره لأنه كان يريد يكون فى جمع كثير يمتنع بهم على الترك فكاتب مسعوداً فى ذلك واستأذنه فى العود إلى خوارزم فأذن له، فلما عاد لحقه على تكين على غرة وكبسه فانهزم على تكين وصعد إلى قلعة دبوسية فحصره التونتاش وكاد يأخذه فراسله على تكين واستعطفه وضرع إليه فرحل عنه وعاد إلى خوارزم وأصاب التونتاش فى هذه الوقعة جراحة، فلما عاد إلى خوارزم مرض منها وتوفى وخلف من الأولاد ثلاثة بنين هارون ورشيد واسماعيل فلما توفى ضبط البلد وزيره أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد وحفظ الخزائن وغيرها، وأعلم مسعود الخبر فولى ابنه الأكبر هرون خوارزم وسيره إليها وكان عنده واتفق أن الميمندى وزير مسعود توفى فاستحضر أبا نصر بن محمد بن عبد الصمد واستوزره فاستناب أبو نصر عند هارون ابنه عبد الجبار وجعله وزيره فجرى بينه وبين هرون منافرة أسرها هارون فى نفسه وحسن له أصحابه القبض على عبد الجبار والعصيان على مسعود فأظهر العصيان فى شهر رمضان سنة خمس وعشرين، وأراد قتل عبد الجبار فاختفى منه فقال أعداء أبيه للملك مسعود إن أبا نصر قد واطأ هارون على العصيان وإنما اختفى ابنه حيلة ومكراً فاستوحش منه إلا أنه لم يظهر ذلك له وعزم مسعود على الخروج من غزنة إلى خوارزم فسار عن غزنة والزمان شتاء فلم يمكنه قصد خوارزم فسار إلى جرجان طالبا أنو شروان بن منوجهر ليقابله على ماظهر منه عند اشتغال مسعود بقتال أحمد ينالتكين ببلاد الهند فلما كان ببلاد جرجان أتاه كتاب عبد الجبار بن أبى نصر بقتل هارون وإعادة البلد إلى طاعته وكان عبد الجبار فى بدء استتاره يعمل على قتل هارون ووضع جماعة على

(١) وفى هذه السنة توفى أيضا مسعود الملك بن الملك محمود بن الملك سبكتكين صاحب غزنة وابن صاحبها، قتله ابن عمه أحمد بن محمد بن محمود، فانتقم له ابنه مودود بن مسعود، فقتل قاتل أبيه وعمه وابن عمه وأهل بيته من أجل أبيه، واستتب له الأمر وحده من غير منازع من قومه.

Marfat.com

الفتك به فقتلوه عند خروجه إلى الصيد وقام عبد الجبار بحفظ البلد فلما وقف مسعود على كتاب عبد الجبار علم أن الذى قيل عن أبيه كان باطلا فعاد إلى الثقة به وبقى عبد الجبار أياما يسيرة فوثب به غلمان هرون فقتلوه وولوا البلد اسماعيل بن التونتاش وقام بأمره شكر خادم أبيه وعصوا على مسعود فكتب مسعود إلى شاهملك بن على أحد أصحاب الأطراف بنواحى خوارزم يقصد خوارزم وأخذها فسار إليها فقاتله شكر واسماعيل ومنعوه عن البلد فهزمهما وملك البلد فسارا إلى طغرلبك وداود السلجقيين والتجئا إليهما وطلبا المعونة منهما فسار داود معهما إلى خوارزم فلقيهم شاهملك وقاتلهم فهزمهم ولما جرى على مسعود من القتل ما جرى وملك مودود دخل شاهملك فى طاعته وصافاه وتمسك كل واحد منهما بصاحبه ثم إن طغرلبك سار إلى خوارزم فحصرها وملكها واستولى عليها وانهزم شاهملك بين يديه واستصحب أمواله وذخائره ومضى فى المفازة إلى هستان ثم انتقل عنها إلى طبس ثم إلى أطراف كرمان ثم إلى أعمال القيز ومكران فلما وصل إلى هناك علم خلاصه ببعده وأمن فى نفسه فعرف خبره أرتاش أخو ابراهيم ينال وهو ابن عم طغرلبك فقصده فى أربعة آلاف فارس فأوقع به وأسره وأخذ ما معه ثم عاد به فسلمه إلى داود وحصل هو بما غنم من أمواله وعاد بعد ذلك إلى باذغيس المقاربة لهراة وأقام على محاصرة هراة لأنهم إلى هذه الغاية كانوا مقيمين على الامتناع والاعتصام ببلدهم والثبات على طاعة مودود بن مسعود فقاتلهم أهل هراة وحفظوا بلدهم مع خراب سوادهم وإنما حملهم على ذلك الحرب خوفا من الغز .

﴿ذكر قصد إبراهيم ينال همذان وما كان منه﴾ قد ذكرنا خروج إبراهيم ينال من خراسان إلى الرى واستيلاءه عليها ، فلما استقر أمرها سار عنها وملك البلاد المجاورة لها ، ثم انتقل إلى بروجرد فملكها ، ثم قصد همذان وكان بها أبو كاليجار كرشاسف ابن علاء الدولة صاحبها ففارقها إلى سابور خواست ونزل إبراهيم ينال على همذان وأراد دخولها ، فقال له أهلها : إن كنت تريد الطاعة وما يطلبه السلطان من الرعية ، فنحن باذلوه وداخلون تحته فاطلب أولا هذا المخالف عليك الذى كان عندنا - يعنون كرشاسف - فإنا لا نأمن عوده إلينا فإذا ملكته أو دفعته كنا لك فكف عنهم وسار إلى كرشاسف بعد أن أخذ من أهل البلد مالا فلما قارب سابور خواست صعد كرشاسف إلى القلعة فتحصن بها وحصر إبراهيم البلد فقاتله أهله خوفا من الغز فلم يكن لهم طاقة على دفعهم فملك البلد قهراً ونهب الغز أهله وفعلوا الأفاعيل القبيحة بهم ، ثم عادوا بما غنموه إلى الرى فرأوا طغرلبك قد وردها ، ولما فارق إبراهيم والغز همذان نزل كرشاسف إليها ، فأقام بها إلى أن وصل طغرلبك إلى الرى فسار إليه إبراهيم على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ذكر خروج طغرلبك إلى الرى وملك بلد الجبل﴾ فى هذه السنة خرج طغرلبك من خراسان إلى الرى بعد فراغه من خوارزم وجرجان وطبرستان ، فلما سمع أخوه إبراهيم ينال بقدومه سار إليه فلقيه وتسلم طغرلبك الرى منه وتسلم غيرها من بلد الجبل وسار إبراهيم إلى سجستان وأخذ طغرلبك أيضاً قلعة طبرك من يد الدولة ابن بويه ، وأقام عنده مكرما وأمر طغرلبك بعمارة الرى وكانت قد خربت فوجد فى دار الإمارة مراكب ذهب مجوهرة وبرنيتين صينى مملوءة جوهراً ومالا كثيراً وغير ذلك ، وكان كامرو يهادى طغرلبك وهو بخراسان ويخدمه وخدم أخاه إبراهيم لما كان بالرى فلما حضر عنده وأهدى له هدايا كثيرة من أنواع شتى وهو يظن أن طغرلبك يزيد فى إقطاعه ، ويرعى له ما تقدم من خدمته له فخاب ظنه ، وقرر على ما بيده كل سنة سبعة وعشرين

Marfat.com

ألف دينار ، ثم سار إلى قزوين ، فامتنع عليه أهلها فزحف إليهم ، ورماهم بالسهام والحجارة فلم يقدروا أن يقفوا على السور ؛ وقتل من أهل البلد برشق وأخذ ثلاثمائة وخمسين رجلا ، فلما رأى كامرو ومرداويج بن بسو ذلك خافوا أن يملك البلد عنوة وينهب فمنعوا الناس من القتال وأصلحوا الحال على ثمانين ألف دينار وصار صاحبها فى طاعته ثم إنه أرسل إلى كرشاش وبوقا وغيرهما من أمراء الغز الذين تقدم خروجهم بمنيهم ويدعوهم إلى الحضور فى خدمته ، فلما وصل رسوله إليهم ساروا حتى نزلوا على نهر بنواحى زنجان ثم أعادوا رسوله وقالوا له قل له قد علمنا أن غرضك أن تجمعنا لتفيض علينا ، والخوف منك أبعدنا عنك ، وقدنزلنا ههنا فإن أردتنا قصدنا خراسان أو الروم ولاتجتمع بك أبداً ؛ وأرسل طغرلبك إلى ملك الديلم يدعوه إلى الطاعة ويطلب منه مالا نفعل ذلك وحمل إليه مالا وعروضاً وأرسل أيضا إلى سلار الطرم يدعوه إلى خدمته ويطالبه بحمل مائتى ألف دينار فاستقر الحال بينهما على الطاعة وشىء من المال وأرسل سرية إلى أصبهان وبها أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة فأغارت على أعمالها وعادت مسالمة ، وخرج طغرلبك من الرى وأظهر قصد أصبهان فراسله فرامرز وصانعه بمال فعاد عنه وسار إلى همذان فملكها من صاحبها كرشاسف بن علاء الدولة وكان قد نزل إليه وهو بالرى بعد أن راسله طغرلبك غير مرة وسار معه من الرى إلى ابهر وزنجان فأخذ منه همذان وتفرق أصحابه عنه وطلب منه طغرلبك تسليم قلعة كنكور فأرسل إلى من بها بالتسليم فلم يفعلوا وقالوا لرسل طغرلبك قل لصاحبك والله لو قطعته قطعا ماسلمناها إليك فقال له طغرلبك ما امتنعوا إلا بأمرك ورأيك فاصعد إليهم وأقم معهم ولا تفارق موضعك حتى آذن لك ، ثم عاد إلى الرى واستناب بهمذان ناصراً العلوى وكان كرشاسف قد قبض عليه فأخرجه طغرلبك وولاه الرى وأمره بمساعدة من يجعله فى البلد وكان معه مرداويج بن بسو نائبه فى جرجان وطبرستان ، فمات ، وقام ولده جستان مقامه فسار طغرلبك إلى جرجان فعزل جستان عنها ، واستعمل على جرجان أسفار وهو من خواص منوجهر بن قابوس ، فلما فرغ أمر جرجان وطبرستان سار إلى دهستان فحصرها وبها صاحبها كامبار معتصما بها لحصانتها .

﴿ذكر مسير عساكر طغرلبك إلى كرمان﴾ وسير طغرلبك طائفة من أصحابه إلى كرمان مع أخيه إبراهيم ينال بعد أن دخل الرى وقيل إن إبراهيم لم يقصد كرمان وإنما قصد سجستان ، وكان مقدم العساكر التى سارت إلى كرمان غيره ، فلما وصلوا إلى أطراف كرمان نهبوا ، ولم يقدموا على التوغل فيها فلم يروا من العساكر من يكفهم فتوسطوها وملكوا عدة مواضع منها ونهبوها ؛ فبلغ الخبر إلى الملك أبى كاليجار صاحبها فسير وزيره مهذب الدولة فى العساكر الكثيرة وأمره بالجد فى المسير ليدركهم قبل أن يملكوا جيرفت وكانوا يحاصرونها فطوى المراحل حتى قاربهم فرحلوا عن جيرفت ونزلوا على ستة فراسخ منها ، وجاء مهذب الدولة فنزلها وأرسل ليحمل الميرة إلى العسكر فخرجت الغز إلى الجمال والبغال والميرة ليأخذوها ، وسمع مهذب الدولة ذلك فسير طائفة من العسكر لمنعهم فتواقعوا واقتتلوا وتكاثر الغز فسمع مهذب الدولة الخبر فسار فى العساكر إلى المعركة وهم يقتتلون ، وقد ثبتت كل طائفة لصاحبها ، واشتد القتال إلى حد أن بعض الغز رمى فرس بعض أصحاب أبى كاليجار بسهم فوقع فيه وطعنه صاحب الفرس برمح فأصاب فرس الغزى وحمل الغزى على صاحب الفرس فضربه ضربة قطعت يده وحمل عليه صاحب الفرس وهو على هذه الحالة فضربه بسيفه فقطعه قطعتين وسقطا إلى الأرض قتيلين والفرسان قتيلين وهذه حالة لم يدون عن مقدمى الشجعان أحسن منها ، فلما وصل مهذب الدولة إلى

Marfat.com

المعركة انهزم الغز وتركوا ما كانوا ينهبوه ودخلوا المفازة وتبعهم الديلم إلى رأس الحد، وعادوا إلى كرمان فأصلحوا ما فسد منها.

﴿ذكر الوحشة بين القائم بأمر الله أمير المؤمنين وجلال الدولة﴾ فى هذه السنة افتتحت الجوالى فى المحرم ببغداد فأنفذ الملك جلال الدولة فأخذ ما تحصل منها وكانت العادة أن يحمل ما يحصل منها إلى الخلفاء لا تعارضهم فيها الملوك فلما فعل جلال الدولة ذلك عظم الأمر فيه على القائم بأمر الله واشتد عليه وأرسل مع أقضى القضاة أبى الحسن الماوردى فى ذلك وتكررت الرسائل فلم يصغ جلال الدولة لذلك وأخذ الجوالى فجمع الخليفة الهاشميين بالدار والرجالة وتقدم بإصلاح الطيار والزبازب وأرسل إلى أصحاب الأطراف والقضاة بما عزم عليه وأظهر العزم على مفارقة بغداد فلم يتم ذلك وحدث وحشة من الجهتين فاقتضت الحال أن الملك يترك معارضة النواب الإمامية فيها فى السنة الآتية.

﴿ذكر محاصرة شهر زور وغيرها﴾ فى هذه السنة سار أبو الشوك إلى شهر زور فحصرها ونهبها وأحرقها وخرب قراها وشوادها وحصر قلعة تيرانشاه فدفعه أبو القاسم بن عياض عنها ووعده أن يخلص ولده أبا الفتح من أخيه مهلهل وأن يصلح بينهما وكان مهلهل قد سار من شهرزور لما بلغه أن أخاه أبا الشوك يريد قصدها وتقصد نواحى سندة وغيرها من ولايات أبى الشوك فنهبها وأحرقها وهلكت الرعية فى الجهتين ثم إن أبا الشوك راسل أبا القاسم بن عياض ينجزه ما وعده به من تخليص ولده والشروط التى تقررت بينهما فأجابه بأن مهلهلا غير مجيب إليه فعند ذلك سار أبو الشوك من حلوان إلى الصامغان ونهبها ونهب الولاية التى لمهلهل جميعها فانزاح مهلهل من بين يديه وترددت الرسل بينهما فاصطلحا على دغل ودخل وعاد أبو الشوك.

﴿ذكر خروج سكين بمصر﴾ فى هذه السنة فى رجب خرج بمصر إنسان اسمه سكين كان يشبه الحاكم صاحب مصر فادعى أنه الحاكم وقد رجع بعد موته فاتبعه جمع ممن يعتقد رجعة الحاكم فاغتنموا خلوّ دار الخليفة بمصر من الجند وقصدوها مع سكين نصف النهار فدخلوا الدهليز فوثب من هناك من الجند فقال لهم أصحابه إنه الحاكم فارتاعوا لذلك ثم ارتابوا به فقبضوا على سكين ووقع الصوت واقتتلوا فتراجع الجند إلى القصر والحرب قائمة فقتل من أصحابه جماعة وأسر الباقون وصلبوا أحياء ورماهم الجند بالنشاب حتى ماتوا.

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز هدمت قلعتها وسورها ودورها وأسواقها وأكثر دار الإمارة وسلم الأمير لأنه كان فى بعض البساتين فأحصى من هلك من أهل البلد فكانوا قريبا من خمسين ألفا ولبس الأمير السواد والمسوح لعظم المصيبة وعزم على الصعود إلى بعض قلاعه خوفا من توجه الغز السلجوقية إليه وأخبر بذلك أبو جعفر بن الرقى العلوى النقيب بالموصل وفيها قتل قرواش كاتبه أبا الفتح بن المفرج صبرا وفيها توفى عبد الله بن أحمد أبو ذر الهروى الحافظ أقام بمكة وتزوج من العرب وأقام بالسروات وكان يحج كل سنة يحدث فى الموسم ويعود إلى أهله وصحب القاضى أبا بكر الباقلانى وفيها توفى عمر ابن إبراهيم بن سعيد الزهرى من ولد سعد ابن أبى وقاص وكان فقيها شافعيا (١)

---

(١) وفى هذه السنة أيضا توفى محمد بن الحسين بن محمد بن جعفر أبو الفتح الشيبانى العطار ويعرف بقطيط، سافر الكثير إلى البلاد وسمع الكثير، وكان شيخا ظريفا، سلك طريق التصوف، وكان يقول: لما ولدت سميت قطيطا على أسماء البادية، ثم سمانى بعض أهلى محمداً.

Marfat.com

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر إخراج المسلمين والنصارى الغرباء من القسطنطينية ﴾ فى هذه السنة أخرج ملك الروم الغرباء من المسلمين والنصارى وسائر الأنواع من القسطنطينية وسبب ذلك أنه وقع الخبر بالقسطنطينية أن قسطنطين قتل ابنى الملك المتقدم اللتين قد صار الملك فيهما الآن فاجتمع أهل البلد وأثاروا الفتنة وطمعوا فى النهب فأشرف عليهم قسطنطين وسألهم عن السبب فى ذلك فقالوا قتلت الملكتين وأفسدت الملك فقال ماقتلتهما وأخرجهما حتى رآهما الناس فسكنوا ثم إنه سأل عن سبب ذلك فقيل له إنه فعل الغرباء وأشاروا بإبعادهم وأمر فنودى أن لايقيم أحد ورد البلد منذ ثلاثين سنة فمن أقام بعد ثلاثة أيام كحل فخرج منها أكثر من مائة ألف إنسان ولم يبق بها أكثر من اثنى عشر نفسا ضمنهم الروم فتركهم .

﴿ ذكر وفاة جلال الدولة وملك أبى كاليجار ﴾ فى هذه السنة فى سادس شعبان توفى الملك جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عضدالدولة ابن بويه ببغداد وكان مرضه ورما فى كبده وبقى عدة أيام مريضا وتوفى وكان مولده سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وملكه ببغداد ست عشرة سنة وأحد عشر شهرا ودفن بداره ومن علم سيرته وضعفه واستيلاء الجند والنواب عليه ودوام ملكه إلى هذه الغاية علم أن الله على كل شىء قدير يؤتى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء وكان يزور الصالحين ويقرب منهم وزار مرة مشهدى على والحسين عليهما السلام وكان يمشى حافيا قبل أن يصل إلى كل مشهد منهما نحو فرسخ يفعل ذلك تدينا ولما توفى انتقل الوزير كمال الملك بن عبد الرحيم وأصحاب الملك الأكابر إلى باب المراتب وحريم دار الخلافة خوفا من نهب الأتراك والعامة دورهم فاجتمع قواد العسكر تحت دار المملكة ومنعوا الناس من نهبها ولما توفى كان ولده الأكبر الملك العزيز أبو منصور بواسط على عادته فكاتبه الأجناد بالطاعة وشرطوا عليه تعجيل ماجرت به العادة من حق البيعة فترددت المراسلات بينهما فى مقداره وتأخيره لفقده وبلغ موته إلى الملك أبى كاليجار بن سلطان الدولة ابن بهاء الدولة فكاتب القواد والأجناد ورغبهم فى المال وكثرته وتعجيله فمالوا إليه وعدلوا عن الملك العزيز وأما الملك العزيز فإنه أصعد إلى بغداد لما قرب الملك أبو كاليجار منها على ما نذكره سنة ست وثلاثين عازما على قصد بغداد ومعه عسكر فلما بلغ النعمانية غدر به عسكره ورجعوا إلى واسط وخطبوا لأبى كاليجار فلما رأى ذلك مضى إلى نور الدولة دبيس بن مزيد لأنه بلغه ميل جند بغداد إلى أبى كاليجار وسار من عند دبيس إلى قرواش بن المقلد فاجتمع به بقرية خصة من أعمال بغداد وسار معه إلى الموصل ثم فارقه وقصد أبا الشوك لأنه حموه فلما وصل إلى أبى الشوك غدر به وألزمه بطلاق ابنته ففعل وصار عنه إلى إبراهيم ينال أخى طغرلبك وتنقلت به الأحوال حتى قدم بغداد فى نفر يسير عازما على استمالة العسكر وأخذ الملك فثار به أصحاب الملك أبى كاليجار فقتل بعض من عنده وسار هو مختفيا فقصد نصر الدولة بن مروان فتوفى عنده بميافارقين وحمل إلى بغداد ودفن عند أبيه بمقابر قريش فى مشهد باب التبن سنة إحدى وأربعين وقد ذكر الشيخ أبو الفرج بن الجوزى أنه آخر ملوك بنى بويه وليس كذلك فإنه ملك بعده أبو كاليجار ثم الملك الرحيم بن أبى كاليجار وهو آخرهم على ما تراه وأما الملك أبو كاليجار فلم تزل الرسل تتردد بينه وبين عسكر بغداد حتى استقر الأمر له وحلفوا وخطبوا له ببغداد فى صفر من سنة ست وثلاثين وأربعمائة على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

Marfat.com

﴿ذكر حال أبى الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين﴾ فى هذه السنة سير الملك أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكرا مع حاجب له إلى نواحى خراسان فأرسل إليهم داود أخو طغرلبك وهو صاحب خراسان ولده ألب أرسلان فى عسكر فالتقوا واقتتلوا فكان الظفر للملك ألب أرسلان وعاد عسكر غزنة منهزما وفيها أيضا فى صفر سار جمع من الغز إلى نواحى بست وفعلوا ما عرف منهم من النهب والشر فسير إليهم أبو الفتح مودود عسكرا فالتقوا بولاية بست واقتتلوا قتالا شديدا انهزم الغز فيه وظفر عسكر مودود وأكثروا فيهم القتل والأسر .

﴿ذكر ملك مودود عدة حصون من بلد الهند﴾ فى هذه السنة اجتمع ثلاثة ملوك من ملوك الهند وقصدوا لهاوور وحصروها فجمع مقدم العساكر الإسلامية بتلك الديار من عنده منهم وأرسل إلى صاحبه مودود يستنجده فسير إليه العساكر فاتفق أن بعض أولئك الملوك فارقهم وعاد إلى طاعة مودود فرحل الملكان الآخران إلى بلادهما فسارت العساكر الإسلامية إلى أحدهما ويعرف بدوبال هربانه فانهزم منهم وصعدا إلى قلعة له منيعة هو وعساكره فاحتموا بها وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين ألف راجل وحصرهم المسلمون وضيقوا عليهم وأكثروا القتل فيهم فطلب الهنود الأمان على تسليم الحصن فامتنع المسلمون من إجابتهم إلى ذلك إلا بعد أن يضيفوا إليه باقى حصون ذلك الملك الذى لهم فحملهم الخوف وعدم الأقوات على إجابتهم إلى ما طلبوا وتسلموا الجميع وغنم المسلمون الأموال وأطلقوا ما فى الحصون من أسرى المسلمين وكانوا نحو خمسة آلاف نفر فلما فرغوا من هذه الناحية قصدوا ولاية الملك الثانى واسمه ثابت بالرى فتقدم إليهم ولقيهم فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت الهنود وأجلت المعركة عن قتل ملكهم وخمسة آلاف قتيل وجريح وأسر ضعفاؤهم وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ودوابهم فلما رأى باقى الملوك من الهند ما لقى هؤلاء أذعنوا بالطاعة وحملوا الأموال وطلبوا الأمان والإقرار على بلادهم فأجيبوا إلى ذلك .

﴿ذكر الخلف بين الملك أبى كاليجار وفرامرز بن علاء الدولة﴾ فى هذه السنة نكث الأمير أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة بن كاكويه صاحب أصبهان العهد الذى بينه وبين الملك أبى كاليجار وسير عسكرا إلى نواحى كرمان فملكوا منها حصنين وغنموا مافيها فأرسل الملك أبو كاليجار إليه فى إعادتهما وإزالة الاعتراض عنهما فلم يفعل فجهز عسكرا وسيره إلى أرقوه فحصرها وملكها فانزعج فرامرز لذلك وجهز عسكرا كثيرا وسيره إليهم فسمع الملك أبو كاليجار بذلك فسير عسكرا ثانيا مدداً لعسكره الأول والتقى العسكران فاقتتلوا وصبروا ثم انهزم عسكر أصبهان وأسر مقدمهم الأمير إسحق بن ينال واسترد نواب أبى كاليجار ما كانوا أخذوه من كرمان .

﴿ذكر أخبار الترك بما وراء النهر﴾ فى هذه السنة فى صفر أسلم من كفار الترك الذين كانوا يطرقون بلاد الإسلام بنواحى بلاساغون وكاشغار ويغيرون ويعيثون عشرة آلاف خركاة وضحوا يوم عيد الأضحى بعشرين ألف رأس غنم وكفى الله المسلمين شرهم وكانوا يصيفون بنواحى بلغار ويشتون بنواحى بلاساغون فلما أسلموا تفرقوا فى البلاد فكان فى كل ناحية ألف خركاة وأقل وأكثر لأنهم فإنهم إنما كانوا يجتمعون ليحمى بعضهم بعضا من المسلمين وبقى من الأتراك من لم يسلم تتروخطاوهم بنواحى الصين وكان صاحب بلاساغون وبلاد الترك شرف الدولة وفيه دين وقد قنع من إخوته وأقاربه بالطاعة وقسم البلاد بينهم فأعطى

أخاه أصلان تكين كثيرا من بلاد الترك وأعطى أخاه بغراخان طراز وإسبيجاب وأعطى عمه طغاخان فرغانة بأسرها وأعطى ابن على تكين بخارا وسمرقند وغيرهما وقنع هو ببلاساغون وكاشغر .

﴿ذكر أخبار الروم والقسطنطينية﴾ فى هذه السنة فى صفر أيضا ورد إلى القسطنطينية عدد كثير من الروس فى البحر وراسلوا قسطنطين ملك الروم بمالم تجر به عادتهم فاجتمعت الروم على حربهم وكان بعضهم قد فارق المراكب إلى البر وبعضهم فيها فألقى الروم فى مراكبهم النار فلم يهتدوا إلى إطفائها فهلك كثير منهم بالحرق والغرق وأما الذين على البر فقاتلوا وأبلوا وصبروا ثم انهزموا فلم يكن لهم ملجأ فمن استسلم أولا استرق وسلم ومن امتنع حتى أخذ قهرا قطع الروم أيمانهم وطيف بهم فى البلد ولم يسلم منهم إلا اليسير مع ابن ملك الروسية وكفى الروم شرهم .

﴿ذكر طاعة المعز بإفريقية للقائم بأمر الله﴾ فى هذه السنة أظهر المعز ببلاد إفريقية الدعاء للدولة العباسية وخطب للإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ووردت عليه الخلع والتقاليد ببلاد إفريقية وجميع مايفتحه وفى أول الكتاب الذى مع الرسل من عبدالله ووليه أبى جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى الملك الأوحد ثقة الإسلام وشرف الإمام وعمدة الأنام ناصر دين الله قاهر أعداء الله ومؤيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى تميم المعز بن باديس بن المنصور ولى أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب وماافتتحه بسيف أمير المؤمنين وهو طويل وأرسل إليه سيف وفرس وأعلام على طريق القسطنطينية فوصل ذلك فى يوم الجمعة فدخل به إلى الجامع والخطيب ابن الفاكاة على المنبر يخطب الخطبة الثانية فدخلت الأعلام فقال هذا لواء الحمد يجمعكم وهذا معز الدين يسمعكم وأستغفر الله لى ولكم وقطعت الخطبة للعلويين من ذلك الوقت وأحرقت أعلامهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة جرت حرب بين ابن الهيثم صاحب البطيحة وبين الأجناد من الغز والديلم فأحرق الجامدة وغيرها وخطب الجند للملك أبى كاليجار وفيها أرسل الخليفة القائم بأمر الله أقضى القضاة أبا الحسن على محمد بن حبيب الماوردى الفقيه الشافعى إلى السلطان طغرلبك قبل وفاة جلال الدولة وأمره أن يقرر الصلح بين طغرلبك والملك جلال الدولة وأبى كاليجار فسار إليه وهو بجرجان فلقيه طغرلبك على أربعة فراسخ إجلالا لرسالة الخليفة وعاد الماوردى سنة ست وثلاثين وأخبر عن طاعة طغرلبك للخليفة وتعظيمه لأوامره ووقوفه عندها وفيها توفى عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر أبو القاسم بن أبى الفتح الأزهرى الصيرفى المعروف بابن السوارى شيخ الخطباء أبى بكر وكان إماما فى الحديث ومن تلامذته الخطيب البغدادى (١) .

﴿ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل الإسماعيلية بما وراء النهر﴾ فى هذه السنة أوقع بغراخان صاحب ماوراء النهر بجمع كثير من الإسماعيلية وكان سبب ذلك أن نفرا منهم قصدوا ماوراء النهر ودعوا إلى طاعة المستنصر بالله العلوى صاحب

(١) وفى هذه السنة توفى أيضا الحسين بن عثمان بن سهل بن أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف العجلى أبو سعد ، أحد الرحالين فى طلب الحديث إلى البلاد المتباعدة ، ثم أقام ببغداد مدة وحدث بها . وروى عنه الخطيب وقال : كان صدوقا ثم انتقل فى آخر عمره إلى مكة فأقام بها حتى مات فى شوال .

Marfat.com

مصر فتبعهم جمع كثير وأظهروا مذاهب أنكرها أهل تلك البلاد وسمع ملكها بغراخان خبرهم وأراد الإيقاع بهم فخاف أن يسلم منه بعض من أجابهم أهل تلك البلاد فأظهر لبعضهم أنه يميل إليهم ويريد الدخول فى مذاهبهم وأعلمهم ذلك وأحضرهم مجالسه ولم يزل حتى علم جميع من أجابهم إلى مقالتهم فحينئذ قتل من بحضرته منهم وكتب إلى سائر البلاد بقتل من فيها ففعل بهم ما أمر وسلمت تلك البلاد منهم .

﴿ذكر الخطبة للملك أبى كاليجار وإصعاده إلى بغداد﴾ قد ذكرنا لما توفى الملك جلال الدولة ما كان من مراسلة الجند الملك أبا كاليجار والخطبة له فلما استقرت القواعد بينه وبينهم أرسل أموالا فرقت على الجند ببغداد وعلى أولادهم وأرسل عشرة آلاف دينار للخليفة ومعها هدايا كثيرة فخطب له ببغداد فى صفر وخطب له أيضا أبو الشوك فى بلاده ودبيس بن مزيد ببلاده ونصر الدولة بن مروان بديار بكر ولقبه الخليفة محيى الدين وسار إلى بغداد فى مائة فارس من أصحابه لئلا تخافه الأتراك فلما وصل إلى النعمانية لقيه دبيس بن مزيد ومضى إلى زيارة المشهدين بالكوفة وكربلاء ودخل إلى بغداد فى شهر رمضان ومعه وزيره ذو السعادات أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس ووعده الخليفة القائم بأمر الله أن يستقبله فاستعفى من ذلك وأخرج عميد الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم وأخاه كمال الملك وزيرى جلال الدولة من بغداد قضى أبو سعد إلى تكريت وزينت بغداد لقدومه وأمر نخلع على أصحاب الجيوش وهم البساسيرى والنشاورى والهمام أبو اللقاء وجرى من ولاة العرض تقديم لبعض الجند وتأخير فشغب بعضهم وقتلوا واحدا من ولاة العرض بمرأى من الملك أبى كاليجار فنزل فى سميرية بمنكور وانحدر خوفا من انخراق الهيبة وأصعد بفم الصلح وفى رمضان منها توفى أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى وزير الظاهر والمستنصر الخليفتين وكان فيه كفاية وشهامة وأمانة وصلى عليه المستنصر بالله .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة نزل الأمير أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة من كنكور وقصد همذان فملكها وأزاح عنها نواب السلطان طغرلبك وخطب للملك أبى كاليجار وصار فى طاعته وفيها أمر الملك أبو كاليجار ببناء سور مدينة شيراز فبنى وأحكم بناؤه وكان دوره أثنى عشر ألف ذراع وعرضه ثمانية أذرع وله أحد عشر بابا وفرغ منه سنة أربعين وأربعمائة وفيها نقل تابوت جلال الدولة من داره إلى مشهد باب التبن إلى تربة له هناك وفيها استوزر السلطان طغرلبك وزيره أبا القاسم على بن عبد الله الجوينى وهو أول وزير وزر له ثم وزر له بعده رئيس الرؤساء أبو عبد الله الحسين بن على بن ميكائيل ثم وزر له بعده نظام الملك أبو محمد الحسن بن محمد الدهستانى وهو أول من لقب نظام الملك ثم وزر له بعده عميد الملك الكندرى وهو أشهرهم وإنما اشتهر لأن طغرلبك فى أيامه عظمت دولته ووصل إلى العراق وخطب له بالسلطنة وسيرد من أخباره ما فيه كفاية فلا حاجة إلى ذكرها ههنا وفيها توفى الشريف المرتضى أبو القاسم على أخو الرضى فى آخر ربيع الأول ومولده سنة خمس وخمسين وثلثمائة [1] وولى نقابة العلويين بعده أبو أحمد عدنان ابن أخيه الرضى

---

(١) هو على بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، الشريف الموسوى ، الملقب بالمرتضى ، ذى المجدين ، كان أكبر من أخيه ذى الحسبين وكان جيد الشعر على مذهب الإمامية والاعتزال ، يناظر على ذلك ، وكان يناظر عنده فى كل المذاهب ، وله تصانيف فى التشيع ، أصولا وفروعا ، وقد نقل ابن الجوزى أشياء من تفردانه فى التشيع ، فمن ذلك أنه لا يصح السجود إلا على الأرض أو ما كان من =

Marfat.com

وفيها توفى القاضى أبو عبد الله الحسين بن على بن محمد الصيمرى وهو شيخ أصحاب أبى حنيفة فى زمانه ومن جملة تلامذته القاضى أبو عبد الله الدامغانى ومولده سنة إحدى وخمسين وثلثمائة وولى بعده قضاء الكرخ القاضى أبو الطيب الطبرى مضافا إلى ماكان يتولاه من القضاء بباب الطاق وفيها توفى القاضى أبو الحسن عبد الوهاب بن منصور بن المشترى قاضى خوزستان وفارس وكان شافعى المذهب وفيها أيضا توفى أبو الحسين محمد بن على البصرى المتكلم المعتزلى صاحب التصانيف المشهورة .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر وصول ابراهيم ينال إلى همذان وبلد الجبل ﴾ فى هذه السنة أمر السلطان طغرلبك أخاه إبراهيم ينال بالخروج إلى بلد الجبل وملكها فسار إليها من كرمان وقصد همذان وبها كرشاسف بن علاء الدولة ففارقها خوفا ودخلها ينال فملكها ، والتحق كرشاسف بالأكراد الجوزقان , وكان أبو الشوك حينئذ بالدينور فسار عنها إلى قرميسين خوفا وإشفاقا من ينال فقوى طمع ينال حينئذ فى البلاد وسار إلى الدينور فملكها ورتب أمورها وسار منها يطلب قرميسين ، فلما سمع أبو الشوك به سار إلى حلوان وترك بقرميسين من فى عسكره من الديلم والأكراد الشادنجان ليمنعوها ويحفظوها ووافاهم ينال جريدة فقاتلوه فدفعوه عنها فانصرف عنهم وعاد بخركاهاته وحلله فقاتلوه فضعفوا عنه وعجزوا عن منعه فملك البلد فى رجب عنوة وقتل من العساكر جماعة كثيرة وأخذ أموال من سلم من القتل وسلاحهم وطردهم ولحقوا بأبى الشوك ونهب البلد وقتل وسبى كثيراً من أهله ، ولما سمع أبو الشوك ذلك سير أهله وأمواله وسلاحه من حلوان إلى قلعة السيروان وأقام جريدة فى عسكره ثم أن ينال سار إلى الصيمرة فى شعبان فملكها ونهبها وأوقع بالأكراد المجاورين لها من الجوزقان فانهزموا وكان كرشاسف بن علاء الدولة نازلا عندهم فسار هو وهم إلى شهاب الدولة أبى الفوارس منصور بن الحسين ، ثم إن إبراهيم ينال سار إلى حلوان ، وقد فارقها أبو الشوك ولحق بقلعة السيروان فوصل إليها إبراهيم

= جنسها ، وأن الاستجمار إنما يجزئ فى الغائط لا فى البول ، وأن الكتابيات حرام ، وكذا ذبائح أهل الكتاب ، وما ولدوه هم وسائر الكفار من الأطعمة حرام ، وأن الطلاق لا يقع إلا بحضرة شاهدين ، والمعلق منه لا يقع وإن وجد شرطه ، ومن نام عن صلاة العشاء حتى انتصف الليل وجب قضاؤها ، ويجب عليه أن يصبح صائما كفارة لما وقع منه . ومن ذلك أن المرأة إذا جزت شعرها يجب عليها كفارة قتل الخطأ ، ومن شق ثوبه فى مصيبة وجب عليه كفارة اليمين ، ومن تزوج امرأة لها زوج لا يعلمه وجب عليه أن يتصدق بخمسة دراهم ، وأن قطع السارق من رؤس الأصابع . قال ابن الجوزى : نقلته من خط أبى الوفاء بن عقيل . قال . وهذه مذاهب عجيبة ، تخرق الإجماع ، وأعجب منها ذم الصحابة رضى الله عنهم . ثم سرد من كلامه شيئا قبيحاً فى تكفير عمر بن الخطاب وعثمان وعائشة وحفصة رضى الله عنهم وأخزاه الله وأمناله من الأرجاس الأنجاس ، أهل الرفض والارتكاس ، إن لم يكن تاب ، فقد روى ابن الجوزى قال : أنبأنا ابن ناصر عن أبى الحسن بن الطيورى قال سمعت أبا القاسم بن برهان يقول : دخلت على الشريف المرتضى وإذا هو قد حول وجهه إلى الجدار وهو يقول : أبو بكر وعمر وليا فعدلا واسترحما فرحما ، فأما أقول ارتدا بعد ماأسلما ؟ قال فقمت عنه فما بلغت عتبة داره حتى سمعت الزعقة عليه . توفى فى هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة . وقد ذكره ابن خلكان فمس عليه على عادته مع الشعراء فى الثناء عليهم ، على عادته مع الشعراء فى الثناء عليهم ، وأورد له أشعارا رائقة . قال ويقال : إنه هو الذى وضع كتاب نهج البلاغة

Marfat.com

Marfat.com

آخر شعبان وقد جلا أهلها عنها وتفرقوا فى البلاد فنهبها وأحرقها وأحرق دار أبى الشوك وانصرف بعد أن اجتاحها ودرسها وتوجه طائفة من الغز إلى خانقين فى إثر جماعة من أهل حلوان كانوا ساروا بأهليهم وأولادهم وأموالهم فأدركوهم وظفروا بهم وغنموا مامعهم وانتشر الغز فى تلك النواحى فبلغوا مايدشت ومايليها فنهبوها وأغاروا عليها سمع الملك أبو كاليجار هذه الأخبار أزعجته وأقلقته وكان بخوزستان فعزم على المسير ، ودفع ينال ومن معه من الغز عن البلاد ، فأمر عساكره بالتجهز للسفر إليهم فعجزوا عن الحركة لكثرة مامات من دوابهم فلما تحقق ذلك سار نحو بلاد فارس فحمل العسكر أثقالهم على الحمير .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى المحرم خطب للملك أبى كاليجار بأصبهان وأعمالها وعاد الأمير أبو منصور بن علاء الدولة إلى طاعته ، وكان سبب ذلك أنه لما عصى على الملك أبى كاليجار وقصد كرمان على ماذكرناه والتجأ إلى طاعة طغرلبك لم يبلغ ما كان يؤمله من طغرلبك ، فلما عاد طغرلبك إلى خراسان خاف أبو منصور من الملك أبى كاليجار فراسله فى العود إلى طاعته فأجابه إلى ذلك واصطلحا وفيها اصطلح أبو الشوك وأخوه مهلهل . وكانا متقاطعين من حين أسر مهلهل أبا الفتح بن أبى الشوك ومات أبى الفتح فى سجنه ، فلما كان الآن وخافا من الغز تراسلا فى الصلح واعتذر مهلهل وأرسل ولده أبا الغنائم إلى أبى الشوك وحلف له أن أبا الفتح توفى حتف أنفه من غير قتل وقال هذا ولدى تقتله عوضه ، فرضى أبو الشوك وأحسن إلى أبى الغنائم ورده إلى أبيه واصطلحا واتفقا ، وفيها فى جمادى الأولى خلع الخليفة على أبى القاسم على بن الحسن بن المسلمة واستوزره ولقبه رئيس الرؤساء وهو ابتداء حاله ، وكان السبب فى ذلك أن ذا السعادات بن فسانجس وزير الملك أبى كاليجار كان يسىء الرأى فى عميد الرؤساء وزير الخليفة فطلب من الخليفة أن يعزله فعزله ، واستوزر رئيس الرؤساء نيابة ثم خلع عليه وجلس فى الدست وفيها فى شعبان سار سرخاب بن محمد بن عناز أخو أبى الشوك إلى البندنيجين وبها سعدى بن أبى الشوك ففارقها سعدى ولحق بأبيه ونهب سرخاب بعضها ، وكان أبو الشوك قد أخذ بلد سرخاب ما عدا دزدبلويه وهما متباينان لذلك ، وفيها فى آخر رمضان توفى أبو الشوك فارس بن محمد بن عناز بقلعة السيروان وكان مرض لما سار إلى السيروان من حلوان ، ولما توفى غدر الأكراد بابنه سعدى وصاروا مع عمه مهلهل فعند ذلك مضى سعدى إلى إبراهيم ينال وأتى بالغز على مانذكره إن شاء الله تعالى ، وفيها قتل عيسى بن موسى الهذبانى صاحب أربل ، وكان خرج إلى الصيد فقتله ابنا أخ له وسارا إلى قلعة أربل فملكاها وكان سلار بن موسى أخو المقتول نازلا على قرواش بن المقلد صاحب الموصل لنفرة كانت بينه وبين أخيه فلما قتل سار قرواش مع السلار إلى أربل فملكها وسلمها إلى السلار وعاد قرواش إلى الموصل . وفيها كانت ببغداد فتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة وقتال اشتد قتل فيه جماعة ، وفيها وقع البلاء والوباء فى الخيل فهلك من عسكر الملك أبى كاليجار اثنا عشر ألف فرس ، وعم ذلك البلاد ، وفيها توفى على بن محمد بن نصر أبو الحسن الكاتب بواسط صاحب الرسائل المشهورة[1]

---

(١) وفيها توفى أيضا أحمد بن يوسف السليكى المازى الشاعر الكاتب وزير أحمد بن مروان الكردى صاحب ميافارقين وديار بكر ، كان فاضلا بارعا لطيفا ، تردد فى الترسل إلى القسطنطينية غير مرة وحصل كتبا غزيرة أوقفها على جامعى آمد وميافارقين ، ودخل يوما على أبى العلاء المعرى فقال له : إنى معتزل الناس وهم يؤذوننى ، وتركت لهم الدنيا ، فقال له الوزير : والآخرة أيضاً . فقال والآخرة ياقاضى ؟ قال : نعم —

Marfat.com

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر ملك مهلهل قرميسين والدينور﴾ فى هذه السنة ملك مهلهل بن محمد بن عناز مدينة قرميسين والدينور وسبب ذلك أن إبراهيم ينال كان قد استعمل عند عوده من حلوان على قرميسين بدر بن طاهر بن هلال ، فلما ملك مهلهل بعد موت أخيه أبى الشوك سار إلى مايدشت ونزل بها ثم توجه نحو قرميسين فانصرف عنها بدر فملكها مهلهل وسير ابنه محمداً إلى الدينور وبها عساكر ينال فاقتتلوا ، فقتل بين الفريقين جماعة وانهزم أصحاب ينال وملك محمد البلد .

﴿ذكر اتصال سعدى بن أبى الشوك بإبراهيم ينال وما كان منه﴾ فى هذه السنة فى شهر ربيع الأول فارق سعدى بن أبى الشوك عمه مهلهلا ولحق بإبراهيم ينال فصار معه ، وسبب ذلك أن عمه تزوج أمه وأهمل جانبه واحتقره ، وكذلك أيضاً قصر فى مراعاة الأكراد الشاذنجان فراسل سعدى إبراهيم ينال فى اللحاق به فأذن له فى ذلك ووعده أن يملكه ما كان لأبيه ، فسار إليه فى جماعة من الأكراد الشاذنجان ، فقوى بهم فأكرمه ينال ، وضم إليه جمعاً من الغز وسيره إلى حلوان فملكها وخطب فيها لإبراهيم ينال فى شهر ربيع الأول وأقام بها أياما ، ورجع إلى مايدشت فسار عمه مهلهل إلى حلوان فملكها وقطع منها خطبة ينال ، فلما سمع سعدى بذلك سار إلى حلوان ففارقها عمه مهلهل إلى ناحية بلوطة وملك سعدى حلوان وسار إلى عمه سرخاب فكبسه ونهب ما كان معه وسير جمعا إلى البندنيجين فاستولوا عليها وقبضوا على نائب سرخاب بها ونهبوا بعضها وانهزم سرخاب فصعد إلى قلعة دزديلوية ، ثم عاد سعدى إلى قرميسين ، فسير عمه مهلهل ابنه بدراً إلى حلوان فملكها ، فجمع سعدى وأكثر وعاد إلى حلوان ، ففارقها من كان بها من أصحاب عمه ، إلا من كان بالقلعة وملكها سعدى ، وكان قد صحبه كثير من الغز فسار بهم منها إلى عمه مهلهل وترك بها من يحفظها ، فلما علم عمه بقربه منه سار بين يديه إلى قلعة تيرانشاه بقرب شهرزور فاحتمى بها ، وملك الغز كثيراً من النواحى والمواشى وغنموا كثيراً من الأموال والدواب ، فلما رأى سعدى تحصن عمه منه خاف على من خلفه بحلوان ، فعاد عازما على محاصرة القلعة فمضى وحصرها ، وقاتله من بها من أصحاب عمه ونهب الغز حلوان وفتكوا فيها وافتضوا الأبكار وأحرقوا المساكن وتفرق الناس ، وفعلوا فى تلك النواحى جميعها أقبح فعل ، ولما سمع أصحاب الملك أبى كاليجار ووزيره هذه الأخبار ندبوا العساكر إلى الخروج إلى مهلهل ومساعدته على ابن أخيه ودفعه عن هذه الأعمال فلم يفعلوا ، ثم إن سعدى أقطع أبا الفتح بن ورام البندنيجين واتفقا واجتمعا على قصد عمه سرخاب بن محمد

=وله ديوان قليل النظير عزيز الوجود ، حرص عليه القاضى الفاضل فلم يقدر عليه ، توفى فيها ، ومن شعره فى وادى نزاعة

وقانا لفحة الرمضاء واد * وقاه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا * ألذ من المدامة للنديم
يراعى الشمس أنى قابلته * فيحجبها ليأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

قال ابن خلكان : وهذه الأبيات بديعة فى بابها .

بن عناز وحصره بقلعة دزديلويه فسار فيمن معهما من العساكر فلما قاربوا القلعة دخلوا فى مضيق هناك من غير أن يجعلوا لهم طليعة طمعاً فيه ، وإدلالا بقوتهم ، وكان سرخاب قد جعل على رأس الجبل على فم المضيق جمعا من الأكراد ، فلما دخلوا المضيق لقيهم سرخاب ، وكان قد نزل من القلعة فاقتتلوا وعادوا ليخرجوا من المضيق فتقطرت بهم خيلهم فسقطوا عنها ورماهم الأكراد الذين على الجبل فوهنوا وأسر سعدى وأبو الفتح ابن ورام وغيرهما من الرؤس وتفرق الغز والأكراد من تلك النواحى بعد أن كانوا قد ترطنوها وملكوها .

﴿ ذكر حصار طغرلبك أصبهان ﴾ فى هذه السنة حصر طغرلبك مدينة أصبهان وبها صاحبها أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة فضيق عليه ولم يظفر من البلد بطائل ثم اصطلحوا على مال يحمله فرامرز بن علاء الدولة لطغرلبك وخطب له بأصبهان وأعمالها .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة خرج من الترك من بلد التبت خلق لا يحصون كثرة فراسلوا أرسلان خان صاحب بلاساغون يشكرونه على حسن سيرته فى رعيته ولم يكن منهم تعرض إلى مملكته ولكنهم أقاموا بها وراسلهم ودعاهم إلا الإسلام فلم يجيبوا ولم ينفروا منه . وفيها توفى أبو الحسن الخيشى النحوى فى ذى الحجة وله نيف وتسعون سنة وفيها انحدر علاء الدين أبو الغنائم بن الوزير ذى السعادات إلى البطائح وحصرها وبها صاحبها أبو نصر بن الهيثم وضيق عليه واجتمع مع جمع كثير . وفيها فى ذى القعدة توفى عبد الله بن يوسف أبو محمد الجوينى والد إمام الحرمين أبى المعالى وكان إماما فى الشافعية تفقه على أبى الطيب سهل بن محمد الصعلوكى وكان عالما بالأدب وغيره من العلوم وهو من بنى سنبس : بطن من طى .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر صلح الملك أبى كاليجار والسلطان طغرلبك ﴾ فى هذه السنة أرسل الملك أبو كاليجار إلى السلطان ركن الدين طغرلبك فى الصلح فأجابه إليه واصطلحا وكتب طغرلبك إلى أخيه ينال يأمره بالكف عما وراء ما بيده واستقر الحال بينهما أن يتزوج طغرلبك بابنة أبى كاليجار ويتزوج الأمير أبو منصور بن أبى كاليجار بابنة الملك داود أخى طغرلبك وجرى العقد فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة .

﴿ ذكر القبض على سرخاب أخى أبى الشوك ﴾ فى هذه السنة قبض الأكراد اللرية وجماعة من عسكر سرخاب عليه لأنه أساء السيرة معهم وولى عليهم فقبضوا عليه وحملوه إلى إبراهيم ينال فقلع إحدى عينيه وطالبه باطلاق سعدى بن أبى الشوك فلم يفعل وكان أبو العسكر بن سرخاب قد غاضبه لما قبض على سعدى واعتزله كراهية لفعله ، فلما أسر أبوه سرخاب سار إلى القلعة وأخرج سعدى ابن عمه وفك قيوده وأحسن إليه وأطلقه وأخذ عليه بطرح ما مضى والسعى فى خلاص والده سرخاب فسار سعدى واجتمع عليه خلق كثير من الأكراد ووصل إلى إبراهيم ينال فلم يجد عنده الذى أراد ففارقه وعاد إلى الدسكرة وكاتب الخليفة ونواب الملك أبى كاليجار بالعود إلى الطاعة وأقام بها .

﴿ ذكر ملك إبراهيم ينال قلعة كنكور وغيرها ﴾ فى هذه السنة سار إبراهيم ينال إلى قلعة كنكور وبها عكبر بن فارس صاحب كرشاسف ابن علاء الدولة يحفظها له فامتنع عكبر بها إلى أن فنيت ذخائره وكانت قليلة فلما نفذت الذخائر عمد إلى بيوت الطعام التى فى القلعة وملأها ترابا وحجارة وسد أبوابها ونثر من داخل

Marfat.com

Marfat.com

الأبواب شيأ من طعام وعلى رأس التراب والحجارة كذلك أيضا وراسل إبراهيم فى تسليم القلعة إليه على أن يؤمنه على من بها من الرجال وما بها من الأموال فأرسل إليه إبراهيم يمتنع عليه من ترك المال فأخذ عكبر رسول إبراهيم فطوفه على البيوت التى فيها الطعام وفتح مواضع من المسدود فرآها مملوأة فظنها طعاما وقال له عكبر ماراسلت صاحبك خوفا من المطاولة ولا إشفاقا من نفاذ الميرة لكننى أحببت الدخول فى طاعته فإن بذل لى الأمان على ما طلبته لى وللأمير كرشاسف وأمواله ولمن بالقلعة سلمت إليه وكفيته مؤنة المقام فلما عاد الرسول إلى إبراهيم وأخبره أجابه إلى ما طلب ونزل عكبر وتسلمها إبراهيم فلما صعد إلى القلعة انكشفت الحيلة وسار عكبر بمن معه إلى قلعة سرماج وصعد إليها ولما ملك ينال كنكور عاد إلى همذان فسير جيشا لأخذ قلاع سرخاب واستعمل عليهم نسيبا له اسمه أحمد وسلم إليه سرخابا ليفتح به قلاعه فسار به إلى قلعة كلكان فامتنعت عليه فساروا إلى قلعة دزديلويه فحصروها وامتدت طائفة منهم إلى البندنيجين فنهبوها فى جمادى الآخرة وفعلوا الأفاعيل القبيحة من النهب والقتل وافتراش النساء والعقوبة على تخليص الأموال فمات منهم جماعة لشدة الضرب وسارت طائفة منهم إلى أبى الفتح بن ورام فانصرف عنهم خوفا منهم وترك حلله بحالها وقصد أن يشتغلوا بنهب حلله فيعود عليهم فلم يرجعوا على النهب وتبعوه فلشدة خوفه أن يظفروا به ويأخذوه قاتلهم فظفر بهم وقتل وأسر جماعة منهم وغنم مامعهم ورجع الباقون وأرسل إلى بغداد يطلب نجدة خوفا من عودهم فلم ينجدوه لعدم الهيبة وقلة إمساك الأمر فعبر بنو ورام دجلة إلى الجانب الغربى ثم إن الغز أسروا إلى سعدى بن أبى الشوك فى رجب وهو نازل على فرسخين من باجسرى وكبسوه فانهزم هو ومن معه لايلوى الأخ على أخيه ولا الوالد على ولده فقتل منهم خلق كثير وغنم الغز أموالهم ونهبوا تلك الأعمال وكان سعدى قد أنزل مالا من قلعة السيروان فوصله تلك الليلة فغنمه الغز إلا قليلا منه سلم معه ونجا سعدى من الوقعة بجريمة الذقن ونهب الغز الدسكرة وباجسرى والهارونية وقصر سابور وجميع تلك الأعمال ووصل الخبر إلى بغداد بأن إبراهيم ينال عازم على قصد بغداد فارتاع الناس واجتمع الأمراء والقواد إلى الأمير أبى منصور بن الملك أبى كاليجار ليجتمعوا ويسيروا إليه ويمنعوه واتفقوا على ذلك فلم يخرج غير خيم الأمير أبى منصور والوزير ونفر يسير وتخلف الباقون وهلك من أهل تلك النواحى المنهوبة خلق كثير فمنهم من قتل ومنهم من غرق ومنهم من قتله البرد ووصل سعدى إلى ديالى[1] ثم سار منها إلى أبى الأغر دبيس بن مزيد فأقام عنده ثم إن إبراهيم ينال سار إلى السيروان فحصر القلعة وضيق على من بها وأرسل سرية نهبت البلاد وانتهت إلى مكان بينه وبين تكريت عشر فراسخ ودخل بغداد من أهل طريق خراسان خلق كثير وذكروا من حالهم ما أبكى العيون ثم سلمها إليه، مستحفظها بعد أن أمنه على نفسه وماله وأخذ منها ينال من بقايا خلفه سعدى شيئا كثيرا ولما فتحها استخلف فيها مقدما كبيرا من أصحابه يقال له سخت كمان وانصرف إلى حلوان وعاد منها إلى همذان ومعه بدر ومالك ابنا مهلهل فأكرمهما ثم إن صاحب قلعة سرماج توفى وهو من ولد بدر بن حسنويه وسلمت القلعة بعده إلى إبراهيم ينال وسير ابراهيم ينال وزيره إلى شهرزور فأخذها وملكها فهرب منه مهلهل فأبعد فى الهرب. ثم نزل أحمد على قلعة تيرانشاه وحاصرها ونقب عليها عدة نقوب ثم إن مهلهلا

(١) ديالى - بفتح أوله وإمالة اللام - : نهر كبير بقرب بغداد وهو نهر يعقوبا الأعظم يجرى فى جنبها ؛ وهو الحد بين طريق خراسان والخالص وهو نهر تامرا بعينه .

Marfat.com

راسل أهل شهرزور يعدهم بالمسير إليهم فى جمع كثير ويأمرهم بالوثوب بمن عندهم من الغز ففعلوا وقتلوامنهم وسمع أحمد بن طاهر فعاد إليهم وأوقع بهم ونهبهم وقتل كثيرا منهم ثم إن الغز المقيمين بالبندنيجين ومن معهم ساروا إلى براز الروز وتقدموا إلى نهر السليل فاقتتلوا هم وأبو دلف القاسم بن محمد الجاوانى قتالا شديدا ظفر فيها أبو دلف وانهزم الغز وأخذ مامعهم وسار فى ذى الحجة جمع من الغز إلى بلد على بن القاسم الكردى فأغاروا وعاثوا فأخذ عليهم المضيق وأوقع بهم وقتل كثيرا منهم وارتجع ماغنموه من بلده .

﴿ ذكر استيلاء أبى كاليجار على البطيحة ﴾ فى هذه السنة اشتد الحصار من عسكر الملك أبى كاليجار على أبى نصر بن الهيثم صاحب البطيحة فجنح إلى الصلح فاشتط عليه أبو الغنائم بن الوزير ذى السعادات ثم استأمن نفر من أصحاب أبى نصر وملاحيه إلى أبى الغنائم وأخبروه بضعف أبى نصر وعزمه على الانتقال من مكانه فحفظ الطرق عليه فلما كان خامس صفر جرت وقعة كبيرة بين الفريقين واشتد القتال فظفر أبو الغنائم وقتل من البطائحيين جماعة كثيرة وغرق منهم سفن كثيرة وتفرقوا فى الآجام ومضى بن الهيثم ناجيا بنفسه فى زبزب وملكت داره ونهب مافيها .

﴿ ذكر ظهور الأصفر وأسره ﴾ فى هذه السنة ظهر الأصفر التغلبى برأس عين وادعى أنه من المذكورين فى الكتب واستغوى قوما بمخاريق وضعها وجمع جمعا وغزا نواحى الروم فظفر وغنم وعاد وظهر حديثه وقوى ناموسه وعاود الغزو فى عدد أكثر من العدد الأول ودخل نواحى الروم وأوغل وغنم أضعاف ماغنمه أولا حتى بيعت الجارية الجميلة بالثمن البخس وتسامع الناس به فقصدوه وكثر جمعه واشتدت شوكته وثقلت على الروم وطأنه فأرسل ملك الروم إلى نصر الدولة ابن مروان يقول له إنك عالم بما بيننا من الموادعة وقد فعل هذا الرجل هذه الأفاعيل فإن كنت قد رجعت عن المهادنة فعرفنا لنتدبر أمرنا بحسبه . واتفق فى ذلك الوقت أن وصل رسول من الأصفر إلى نصر الدولة أيضا ينكر عليه ترك الغزو والميل إلى الدعة فساءه ذلك أيضا واستدعى قوما من بنى نمير وقال لهم إن هذا الرجل قد أثار الروم علينا ولاقدرة لنا عليهم وبذل لهم بذلا على الفتك به فساروا إليه فقربهم ولازموه فركب يوما غير متحرز فأبعدوهم معه فحطفوا عليه وأخذوه وحملوه إلى نصر الدولة بن مروان فاعتقله وتلافى أمر الروم .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة تجددت الهدنة بين صاحب مصر وبين الروم وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية عظيمة وفيها كان ببغداد والموصل وسائر البلاد العراقية والجزرية غلاء عظيم حتى أكل الناس الميتة وتبعه وباء شديد مات فيه كثير من الناس حتى خلت الأسواق وزادت أثمان ما يحتاج إليه المرضى حتى بيع المن من الشراب بنصف دينار ومن اللوز بخمسة عشر قيراطا والرمانة بقيراطين والخيارة بقيراط وأشباه ذلك : وفيها جمع الأمير أبو كاليجار فنا خسرو بن مجد الدولة بن بويه جمعا وسار إلى آمد فدخلها وساعده أهلها وأوقع بمن كان فيها من أصحاب طغرلبك فقتل وأسر وعرف طغرلبك ذلك فسار عن الرى قاصدا إليه ومتوجها إلى قتاله . وفيها توفى عميد الدولة أبو سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم بجزيرة ابن عمر فى ذى القعدة وله شعر حسن ووزر لجلال الدولة عدة دفعات وفيها سير المعز بن باديس صاحب إفريقية أسطولا إلى جزائر القسطنطينية فظفر وغنم وعاد . وفيها اقتتلت طوائف من التركمان قاتل بعضهم بعضا وكان بينهم حرب صبروا فيها فقتل منهم خلق كثير ، وفيها قبض الملك أبو كاليجار على وزيره محمد بن جعفر بن أبى الفرج الملقب بذى السعادات بن

Marfat.com

فسانجس وسجنه وهرب ولده أبو الغنائم وبقى الوزير مسجونا إلى أن مات فى شهر رمضان سنة أربعين وقيل أرسل إليه أبو كاليجار من قتله وعمره إحدى وخمسون سنة وللوزير ذى السعادات مكاتبات حسنة وشعر جيد منه :

أودعكم وإنى ذو اكتئاب * وأرحل عنكم والقلب آبى
وإن فراقكم فى كل حال * لأوجع من مفارقة الشباب
أسير وما ذممت لكم جوارا * ولا ملت منازلكم ركابى
وأشكر كلما أوطنت دارا * ليالينا القصار بلا اجتناب
وأذكركم إذا هبت جنوب * فتذكرنى غرارات التصابى
لكم منى المودة فى اغتراب * وأنتم إلف نفسى فى اقترابى

وهو أطول من هذا ولما قبض ذو السعادات استوزر أبو كاليجار كمال الملك أبا المعالى بن عبد الرحيم. وفيها توفى أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب المعروف بالمطرز الشاعر وله شعر جيد فمن قوله فى الزهد :

ياعبد كم لك من ذنب ومعصية * إن كنت ناسيها فالله أحصاها
لا بد يا عبد من يوم تقوم به * ووقفة لك يدمى القلب ذكراها
إذا عرضت على قلبى تذكرها * وساء ظنى نقلت استغفر الله

وفيها مات أبو الخطاب الجبلى الشاعر ومضى إلى الشام ولقى المعزى وعاد ضريراً وله شعر منه قوله :

ما حكم الحب فهو ممتثل * وما جناه الحبيب محتمل
تهوى وتشكو الضنا وكل هوى * لا ينحل الجسم فهو منتحل

وفيها توفى أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الخلال الحافظ ومولده سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة سمع أبا بكر القطيعى وغيره ومن أصحابه الخطيب أبو بكر الحافظ . وفيها قتل الفقيه أحمد الولواجى وهو من أعيان الفقهاء الحنفية إلا أنه كان يكثر الوقيعة فى الأئمة والعلماء وسلك طريق الرياضة وفسد دماغه فقتل بين مرو وسرخس فى ذى الحجة .

﴿ ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر رحيل عسكر ينال عن تيرانشاه وعود مهلهل إلى شهرزور ﴾ قد ذكرنا فى السنة المتقدمة استيلاء أحمد بن طاهر وزير ينال على شهرزور ومحاصرته قلعة تيرانشاه ولم يزل يحاصرها إلى الآن فوقع فى عسكره الوباء وكثر الموت فأرسل إلى صاحبه ينال يستمده ويطلب إنجاده ويعرفه كثرة الوباء عنده فأمره بالرحيل عنها فسار إلى مايدشت فلما سمع مهلهل ذلك سير أحد أولاده إلى شهرزور فملكها وانزعج الغز الذين بالسير وان وخافوا ، ثم سار جمع من عسكر بغداد إلى حلوان وحصروا قلعتها فلم يظفروا بها فنهبوا تلك الأعمال وأتوا على ما تخلف من الغز فخربت الأعمال بالكلية وسار مهلهل ومعه أهله وأمواله إلى بغداد فأنزلهم بباب المراتب بدار الخلافة خوفا من الغز وعاد إلى حلله وبينه وبين بغداد ستة فراسخ وسار جمع من عسكر بغداد إلى البندنيجين وبها جمع من الغز مع عكبر بن أحمد بن عياض فتواقعوا واقتتلوا فانهزم عسكر بغداد **وقتل منهم جماعة وأسر جماعة قتلوا أيضا صبرا .**

Marfat.com

﴿ذكر غزو إبراهيم ينال الروم﴾ فى هذه السنة غزا إبراهيم ينال الروم فظفر بهم وغنم وكان سبب ذلك أن خلقا كثيرا من الغز مما وراء النهر قدموا عليه فقال لهم بلادى تضيق عن مقامكم والقيام بما تحتاجون إليه والرأى أن تمضوا إلى غزو الروم وتجاهدوا فى سبيل الله وتغنموا وأنا سائر على أثركم ومساعد لكم على أمركم ففعلوا وساروا بين يديه وتبعهم فوصلوا إلى سلاز كرد وأردن الروم وقاليقلا وبلغوا طرابزون وتلك النواحى كلها ولقيهم عسكر عظيم للروم والأبخاز يبلغون خمسين ألفا فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وكانت بينهم عدة وقائع تارة يظفر هؤلاء وتارة هؤلاء وكان آخر الأمر الظفر للمسلمين فأكثروا القتل فى الروم وهزموهم وأسروا جماعة كثيرة من بطارقتهم وممن أسر قاريط ملك الأبخاز فبذل فى نفسه ثلثمائة ألف دينار وهدايا بمائة ألف فلم يجبه إلى ذلك ولم يزل يجوس تلك البلاد وينهبها إلى أن بقى بينه وبين القسطنطينية خمسة عشر يوما واستولى المسلمون على تلك النواحى فنهبوها وغنموا فيها وسبوا أكثر من مائة ألف رأس وأخذوا من الدواب والبغال والغنائم والأموال مالا يقع عليه الإحصاء وقيل إن الغنائم حملت على عشرة آلاف عجلة وإن فى جملة الغنيمة تسعة عشر ألف درع وكان قد دخل بلد الروم جمع من الغز يقدمهم إنسان نسيب طغرلبك فلم يؤثر كبير أثر وقتل من أصحابه جماعة وعاد ودخل بعده إبراهيم ينال ففعل هذا الذى ذكرناه .

﴿ذكر موت الملك أبى كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم﴾ فى هذه السنة توفى الملك أبوكاليجار المرزبان ابن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه رابع جمادى الأولى بمدينة جناب من كرمان وكان سبب مسيره إليها أنه كان قد عول فى ولاية كرمان حربا وخرابا على بهرام بن لشكرستان الديلمى وقرر عليه مالا فتراخى بهرام فى تحرير الأمر وأخله إلى المغالطة والمدافعة ، فشرع حينئذ أبو كاليجار فى إعمال الحيلة عليه وأخذ قلعة برد سير من يده وهى معقله الذى يحتمى به ويعول عليه ، فراسل بعض من بها من الأجناد وأفسدهم فعلم بهم بهرام فقتلهم وزاد نفوره واستشماره وأظهر ذلك فسار إليه الملك أبو كاليجار فى ربيع الآخر فبلغ قصر مجاشع فوجد فى حلقه خشونة فلم يبال بها وشرب وتصيد وأكل من كبد غزال مشوى واشتدت علته ولحقه حمى وضعف عن الركوب ولم يمكنه المقام لعدم الميرة بذلك المنزل فحمل فى محفة على أعناق الرجال إلى مدينة جناب فتوفى بها وكان عمره أربعين سنة وشهورا ، وكان ملكه بالعراق بعد وفاة جلال الدولة أربع سنين وشهرين ونيفا وعشرين يوما . ولما توفى نهب الأتراك من العسكر الخزائن والسلاح والدواب وانتقل ولده أبو منصور فلاستون إلى مخيم الوزير أبى منصور ، وكانت منفردة عن العسكر فأقام عنده ، وأراد الأتراك نهب الوزير والأمير فمنعهم الديلم ، وعادوا إلى شيراز فملكها الأمير أبو منصور واستشعر الوزير فصعد إلى قلعة خرمة فامتنع بها ، فلما وصل خبر وفاته إلى بغداد وبها ولده الملك الرحيم أبو نصر خره فيروز أحضر الجند واستحلفهم وراسل الخليفة القائم بأمر الله فى معنى الخطبة له وتلقيبه بالملك الرحيم وترددت الرسل بينهم فى ذلك إلى أن أجيب إلى ملتمسه سوى الملك الرحيم فإن الخليفة امتنع من إجابته ، وقال لا يجوز أن يلقب بأخص صفات الله تعالى واستقر ملكه بالعراق وخوزستان والبصرة ، وكان بالبصرة أخوه أبو على بن أبى كاليجار وخلف أبو كاليجار من الأولاد الملك الرحيم والأمير أبا منصور فلاستون وأبا طالب كامروا وأبا المظفر بهرام وأبا على كيخسرو وأبا سعد خسرو شاه وثلاثة بنين أصاغر فاستولى ابنه أبو منصور على شيراز فسير إليه الملك الرحيم أخاه أبا سعد فى عسكر فملكوا شيراز وخطبوا للملك الرحيم وقبضوا على الأمير أبى منصور ووالدته وكان ذلك فى شوال .

﴿ ذكر محاصرة العساكر المصرية مدينة حلب ﴾ فى جمادى الآخرة وصلت عساكر مصر إلى حلب فى جمع كثير فحصروها وبها معز الدولة أبو علوان ثمال بن صالح الكلابى فجمع جمعا كثيرا بلغوا خمسة آلاف فارس وراجل فلما نزلوا على حلب خرج إليهم ثمال وقاتلهم قتالا شديدا صبر فيه لهم إلى الليل ثم دخل البلد فلما كان الغد اقتتلوا إلى آخر النهار وصبر أيضا ثمال وكذلك أيضا اليوم الثالث فلما رأى المصريون صبر ثمال وكانوا ظنوا أن أحدا لا يقوم بين أيديهم رحلوا عن البلد فاتفق أن تلك الليلة جاء مطر عظيم لم ير الناس مثله فجاءت المدود إلى منزلهم فبلغ الماء ما يقارب قامتين ولو لم يرحلوا لغرقوا ثم رحلوا إلى الشام الأعلى.

﴿ ذكر الخلف بين قرواش والأكراد الحميدية والهذبانية ﴾ فى هذه السنة اختلف قرواش والأكراد الحميدية والهذبانية وكان للحميدية عدة حصون تجاور الموصل منها العقر وما قاربها وللهذبانية قلعة أربل وأعمالها وكان صاحب العقر حينئذ أبا الحسن بن عيسكان الحميدى وصاحب أربل أبو الحسن بن موسك الهذبانى وله أخ اسمه أبو على ابن موسك فأعانه الحميدى على أخذ أربل من أخيه أبى الحسن فملكها منه وأخذ صاحبها أبا الحسن أسيرا وكان قرواش وأخوه زعيم الدولة أبو كامل بالعراق مشغولين فلما عاد إلى الموصل وقد سخطا هذه الحالة لم يظهراها وأرسل قرواش يطلب من الحميدى والهذبانى نجدة له على نصر الدولة بن مروان فأما أبو الحسن الحميدى فسار إليه بنفسه وأما أبو على الهذبانى فأرسل أخاه واصطلح قرواش ونصر الدولة وقبض على أبى الحسن الحميدى ثم صانعه على إطلاق أبى الحسن الهذبانى الذى كان صاحب أربل وأخذ أربل من أخيه أبى على وتسليمها إليه فإن امتنع أبو على كانوا عونا عليه فأجاب إلى ذلك ورهن عليه أهله وأولاده وثلاث قلاع من حصونه إلى أن يتسلم أربل وأطلق من الحبس وكان أخ له قد استولى على قلاعه فخرج إليها وأخذها منه وعاد إلى قرواش وأخيه زعيم الدولة فوثقا به وأطلقا أهله ثم إنه راسل أبا على صاحب أربل فى تسليمها فأجاب إلى ذلك وحضر بالموصل ليسلم أربل إلى أخيه أبى الحسن فقال الحميدى لقرواش وأخيه إننى قد وفيت بعهدى فتسلمان إلىّ حصونى فسلما إليه قلاعه وسار هو وأبو الحسن وأبو على الهذبانى إلى أربل ليسلماها إلى أبى الحسن فغدرا به فى الطريق وكان قد أحس بالشر فتخلف عنهما وسير معهما أصحابه ليتسلموا أربل فقبضا على أصحابه وطلبوه ليقبضوه فهرب إلى الموصل وتأكدت الوحشة حينئذ بين الأكراد وقرواش وأخيه وتقاطعوا وأضمر كل منهم الشر لصاحبه.

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة سار الملك الرحيم من بغداد إلى خوزستان فلقيه من بها من الجند وأطاعوه وفيهم كرشاسف ابن علاء الدولة الذى كان صاحب همذان وكنكور فإنه كان انتقل إلى الملك أبى كاليجار بعد أن استولى ينال على أعماله ولما مات أبو كاليجار سار الملك العزيز ابن الملك جلال الدولة إلى البصرة طمعا فى ملكها فلقيه من بها من الجند وقاتلوه وهزموه فعاد عنها وكان قبل ذلك عند قرواش ثم عند ينال ولما استمع باستقامة الأمور للملك الرحيم انقطع أمله ولما سار الملك الرحيم عن بغداد كثرت الفتن بها ودامت بين أهل باب الأزج والأساكفة وهم السنية فأحرقوا عقارا كثيرا وفيها سار سعدى بن أبى الشوك من حلة دبيس بن مزيد إلى إبراهيم ينال بعد أن راسله وتوثق منه وتقرر بينهما أنه كل ما يملكه سعدى مما ليس بيد ينال ونوابه فهو له فسار سعدى إلى الدسكرة وجرى بينه وبين من بها من عسكر بغداد حرب انهزموا منه وملكها وما يليها فسير إليها عسكر ثان من بغداد فقتل مقدمهم وهزمهم وسار من الدسكرة وتوسط تلك

Marfat.com

الأعمال بالقرب من بعقوبا ونهب أصحابه البلاد وخطبوا لإبراهيم ينال وفيها كان ابتداء الوحشة بين معتمد الدولة قرواش ابن المقلد وبين أخيه زعيم الدولة أبى كامل بن المقلد فانضاف قريش بن بدران بن المقلد إلى عمه قرواش وجمع جمعا وقاتل عمه أبا كامل فظفر ونصر وانهزم أبو كامل ولم يزل قريش يغرى قرواشا بأخيه حتى تأكدت الوحشة وتفاقم الشر بينهما وفيها خطب للأمير أبى العباس محمد بن القائم بأمر الله بولاية العهد ولقب ذخيرة الدين وولى عهد المسلمين وفيها فى رمضان قتل الأمير اقسنقر بهمذان قتله الباطنية لأنه كان كثير الغزو اليهم والقتل فيهم والنهب لأموالهم والتخريب لبلادهم فلما كان الآن قصد إنسانا من الزهاد ليزوره فوثب عليه جماعة من الإسماعيلية فقتلوه . وفيها توفى أبو الحسن محمد بن الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله وكان من الصالحين ورواة الحديث وأوصى أن يدفن بجوار احمد بن حنبل ومولده سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وأبو طالب محمد بن محمد بن غيلان البزاز ومولده سنة سبع وأربعين وثلاثمائة روى عن أبى بكر الشافعى وغيره وتوفى فى شوال وهو راوى الأحاديث المعروفة بالغيلانيات التى خرجها الدارقطنى له وهى من أعلى الحديث وأحسنه وعبيد الله بن عمر بن أحمد بن عثمان أبو القاسم الواعظ المعروف بابن شاهين ومولده سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وفيها كان الغلاء والوباء عاما فى البلاد جميعها بمكة والعراق والموصل والجزيرة والشام ومصر وغيرها من البلاد وفيها قبض بمصر على الوزير فخر الملك صدقة بن يوسف وقتل وكان أول أمره يهوديا فأسلم واتصل بالدزبرى وخدمه بالشام ثم خافه فعاد إلى مصر وخدم الجرجرائى الوزير ونفق عليه فلما توفى الجرجرائى استوزره المستنصر إلى الآن ثم قتله واستوزر القاضى أبا محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازورى فى ذى القعدة[1] .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر ظهور الخلف بين قرواش وأخيه أبى كامل وصلحهما ﴾ فى هذه السنة ظهر الخلف بين معتمد الدولة قرواش وبين أخيه زعيم الدولة أبى كامل ظهورا آل إلى المحاربة وقد تقدم سبب ذلك فلما اشتد الأمر وفسد الحال فسادا لا يمكن إصلاحه جمع كل منهما جمعا لمحاربة صاحبه وسار قرواش فى المحرم وعبر دجلة بنواحى بلد وجاءه سليمان بن نصر الدولة بن مروان وأبو الحسن بن عيسكان الحميدى وغيرهما من الأكراد وساروا إلى معلثايا فأخربوا المدينة ونهبوها ونزلوا بالمغيثة وجاء أبو كامل فيمن معه من العرب وآل المسيب فنزلوا بمرج بابنيثا وبين الطائفتين نحو فرسخ واقتتلوا يوم السبت ثانى عشر المحرم وافترقوا من غير ظفر ثم اقتتلوا يوم الأحد كذلك ولم يلابس الحرب سليمان بن مروان بل كان ناحية ووافقه أبو الحسن الحميدى وساروا عن قرواش وفارقه جمع من العرب وقصدوا أخاه فضعف أمر قرواش وبقى فى حلته وليس معه إلا نفر يسير فركبت العرب من أصحاب أبى كامل لقصده فمنعهم وأسفر الصبح يوم الاثنين وقد تسرع بعضهم ونهب بعضا من عرب قرواش وجاء أبو كامل إلى قرواش واجتمع به ونقله إلى حلته وأحسن عشرته ثم أنفذه إلى الموصل محجورا عليه وجعل معه بعض زوجاته فى دار وكان مما فت فى عضد قرواش وأضعف نفسه أنه كان قد قبض على قوم من الصيادين بالأنبار لسوء طريقهم وفسادهم فهرب الباقون منهم وبقى بعضهم بالسندية

---

(١) وفيها دار السور على شيراز ، وكان دوره اثنى عشر ألف ذراع ، وارتفاعه ثمانية أذرع ، وفيه أحد عشر بابا . وفيها اقتتل الروافض وأهل السنة ، وجرت ببغداد فتن عظيمة ، ولم يحج أحد من أهل العراق فى هذه السنة .

Marfat.com

Marfat.com

فلما كان الآن سار جماعة منهم إلى الانبار وتسلقوا السور ليلة خامس المحرم من هذه السنة وقتلوا حارسه، وفتحوا الباب ونادوا بشعار أبى كامل فانضاف إليهم أهلوهم وأصدقاؤهم ومن له هوى فى أبى كامل فكثروا وثار بهم أصحاب قرواش فاقتتلوا فظفروا وقتلوا من أصحاب معتمد الدولة قرواش جماعة، وهرب الباقون فبلغه خبر استيلاء أخيه ولم يبلغه عود أصحابه، ثم إن المسيب وأمراء العرب كاتبوا أبا كامل ما يعجز عنه واشتطوا عليه فخاف أن يؤل الأمر بهم إلى طاعة قرواش وإعادته إلى مملكته فبادرهم إليه وقبل يده وقال له إننى وإن كنت أخاك فإننى عبدك وما جرى هذا إلا بسبب من أفسد رأيك فىّ وأشعرك الوحشة منى والآن فأنت الأمير وأنا الطائع لأمرك والتابع لك فقال له قرواش بل أنت الأخ والأمر لك مسلم وأنت أقوم به منى وصلح الحال بينهما وعاد قرواش إلى التصرف على حكم اختياره وكان أبو كامل قد أقطع بلال بن غريب بن مقن حربى[1] وأوانا فلما اصطلح أبو كامل وقرواش أرسلا إلى حربى من منع بلالا عنها فتظاهر بلال بالخلاف عليهما وجمع إلى نفسه جمعا وقاتل أصحاب قرواش وأخذ حربى وأوانا بغير اختيارهما فانحدر قرواش من الموصل إليها وحصرها وأخذها.

﴿ذكر مسير الملك الرحيم إلى شيراز وعوده عنها﴾ فى هذه السنة فى المحرم سار الملك الرحيم من الأهواز إلى بلاد فارس فوصلها وخرج عسكر شيراز إلى خدمته، ونزل بالقرب من شيراز ليدخل البلد، ثم إن الأتراك الشيرازيين والبغداديين اختلفوا وجرى بينهم مناوشة استظهر فيها البغداديون وعادوا إلى العراق فاضطر الملك الرحيم إلى المسير معهم لأنه لم يكن يثق إلى الأتراك الشيرازية، وكان ديلم بلاد فارس قد مالوا إلى أخيه فولاستون وهو بقلعة اصطخر فهو أيضاً منحرف عنهم، فاضطر إلى صحبة البغداديين، فعاد فى ربيع الأول من هذه السنة إلى الأهواز، وقام بها واستخلف بارجان أخويه: أباسعد وأباطالب ووقع الخلف بفارس فإن الأمير أبا منصور فولاستون كان قد خلص وصار بقلعة اصطخر واجتمع معه جماعة من أعيان العسكر الفارسى، فلما عاد الملك الرحيم إلى الأهواز انبسط فى البلاد وقصده كثير من العساكر واستولى على بلاد فارس ثم سار إلى أرجان عازما على قصد الأهواز وأخذها.

﴿ذكر الحرب بين البساسيرى وعقيل﴾ فى هذه السنة سار جمع من بنى عقيل إلى بلد العجم من أعمال العراق وبادوريا فنهبوهما وأخذوا من الأموال الكثير، وكانا فى إقطاع البساسيرى فسار من بغداد بعد عوده من فارس إليهم، فالتقوا هم وزعيم الدولة أبو كامل بن المقلد واقتتلوا قتالا شديداً أبلى الفريقان فيه بلاء حسناً وصبرا صبراً جميلا وقتل جماعة من الفريقين.

﴿ذكر الوحشة بين طغرلبك وأخيه ابراهيم ينال﴾ فى هذه السنة استوحش ابراهيم ينال من أخيه السلطان طغرلبك، وكان سبب ذلك أن طغرلبك طلب من ابراهيم ينال أن يسلم إليه مدينة همذان والقلاع التى بيده من بلد

---

(١) حربى - مقصور والعامة تتلفظ به مما لا - بلسيدة فى أقصى دجيل بين بغداد وتكريت مقابل الحظيرة تنسج فيها الثياب القطنية الغليظة وتحمل إلى سائر البلاد. وقد نسب إليها قوم من أهل العلم والنباهة: منهم أبو الحسن على بن رشيد بن أحمد بن محمد بن حسين الحربوى. سمع أبا الوقت السجزى وشهد ببغداد وأقام بها وصار وكيل الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضىء وكان حسن الخط على طريقة أبى عبدالله بن مقلة وكتب الكثير وكان محبا للكتب. مات ببغداد فى ثامن عشر شوال سنة ٦٠٥ ودفن بباب حرب.

الجبل فامتنع من ذلك واتهم وزيره أباعلى بالسعى بينهما فى الفساد فقبض عليه وأمر به فضرب بين يديه وسمل إحدى عينيه وقطع شفتيه وسار عن طغرلبك وجمع جمعاً من عسكره والتقيا ، وكان بين العسكرين قتال شديد انهزم ينال وعاد منهزما فسار طغرلبك فى أثره فملك قلاعه وبلاده جميعها وتحصن إبراهيم ينال بقلعة سرماج وامتنع على أخيه فحصره طغرلبك فيها وكانت عساكره قد بلغت مائة ألف من أنواع العسكر ، وقاتله فملكها فى أربعة أيام وهى من أحصن القلاع وأمنعها واستنزل ينال منها مقهوراً وأرسل إلى نصر الدولة بن مروان يطلب منه إقامة الخطبة له فى بلاده فأطاعه وخطب له فى سائر ديار بكر وراسل ملك الروم طغرلبك وأرسل إليه هدية عظيمة وطلب منه المعاهدة فأجابه إلى ذلك وأرسل ملك الروم إلى ابن مروان يسأله أن يسعى فى فداء ملك الأبخاز المقدم ذكره فأرسل نصر الدولة شيخ الإسلام أبا عبدالله بن مروان فى المعنى إلى السلطان طغرلبك فأطلقه بغير فداء فعظم ذلك عنده وعند ملك الروم ، وأرسل عوضه من الهدايا شيئاً كثيراً وعمروا مسجد القسطنطينية وأقاموا فيه الصلاة والخطبة لطغرلبك ودان حينئذ الناس كلهم له وعظم شأنه وتمكن ملكه وثبت ، ولما نزل ينال إلى طغرلبك أكرمه وأحسن إليه ورد عليه كثيراً مما أخذ منه وخيره بين أن يقطعه بلاداً يسير إليها وبين أن يقيم معه فاختار المقام معه .

﴿ذكر الحرب بين دبيس بن مزيد وعسكر واسط﴾ فى هذه السنة كانت حرب شديدة بين نورالدولة دبيس ابن مزيد وبين الأتراك الواسطيين وسبب ذلك أن الملك الرحيم أقطع نورالدولة حماية نهر الصلة ونهر الفضل وهما من أقطاع الواسطيين فسار إليها ووليها فسمع عسكر واسط ذلك فسخطوه واجتمعوا وساروا إلى نورالدولة ليقاتلوه ويدفعوه عنها وأرسلوا إليه يتهددونه ، فأعاد الجواب يقول إن الملك أقطعنى هذا فترسل إليه أنا وأنتم فبأى شىء أمر رضينا به فسبوه وساروا مجدين إليه فأرسل إلى طريقهم طائفة من عسكره فلقوهم وكمن لهم ، فلما التقوا استجرهم العرب إلى أن جاوزوا الكمين وخرج عليهم الكمين فأوقعوا بهم وقتلوا منهم جماعة كثيرة وأسروا كثيراً وجرح مثلهم وتمت الهزيمة على الواسطيين وغنم نورالدولة أموالهم ودوابهم وساروا إلى واسط فنزلوا بالقرب منها ، وأرسل الواسطيون إلى بغداد يستنجدون جندها ويبذلون للبساسيرى أن يدفع عنهم نور الدولة ويأخذ نهر الصلة ونهر الفضل لنفسه .

﴿ذكر وفاة مودود بن مسعود وملك عمه عبدالرشيد﴾ فى هذه السنة فى العشرين من رجب توفى أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وعمره تسع وعشرين سنة ؛ وملكه تسع سنين وعشرة أشهر ، وكان موته بغزنة ، وكان قد كاتب أصحاب الأطراف فى سائر البلاد ، ودعاهم إلى نصرته وإمداده بالعساكر وبذل لهم الأموال الكثيرة وتفويض أعمال خراسان ونواحيها إليهم على قدر مراتبهم فأجابوا إلى ذلك منهم أبو كاليجار صاحب أصبهان فإنه جمع عساكره وسار فى المفازة فهلك كثير من عسكره ومرض وعاد ، ومنهم خاقان ملك الترك فإنه سار إلى ترمذ ونهب وخرب وصادر أهل تلك الأعمال وسارت طائفة أخرى مما وراء النهر إلى خوارزم وسار مودود من غزنة فلم يسر غير مرحلة واحدة حتى عارضه قولنج اشتد عليه فعاد إلى غزنة مريضا وسير وزيره أبا الفتح عبد الرزاق بن أحمد الميمندى إلى سجستان فى جيش كثيف لأخذها من الغز واشتدت العلة بمودود ، فتوفى وقام فى الملك بعده ولده ، فبقى خمسة أيام ، ثم عدل الناس عنه إلى عمه على بن مود ، وكان مودود لما ملك قبض على عمه عبدالرشيد بن محمود وسجنه فى قلعة ميدين بطريق بست ، فلما

Marfat.com

توفى كان وزيره قد قارب هـذه القلعة ، فنزل عبد الرشيد إلى العسكر ودعاهم إلى طاعته فأجابوه وعادوا معه إلى غزنة ، فلما قاربها هرب عنها على بن مسعود ، وملك عبد الرشيد واستقر الأمر له ولقب شمس دين الله سيف الدولة وقيل جمال الدولة ، ودفع الله شر مودود عن داود . وهذه السعادة التى تقتل الأعداء بغير سلاح ولا أجناد .

﴿ ذكر استيلاء البساسيرى على الأنبار ﴾ فى هذه السنة أيضا فى ذى القعدة ملك البساسيرى الأنبار ودخلها أصحابه وكان سبب ملكها أن قرواشا أساء السيرة فى أهلها ومد يده إلى أموالهم فسار جماعة من أهلها إلى البساسيرى ببغداد وسألوه أن ينفذ معهم عسكرا يسلمون إليه الأنبار فأجابهم إلى ذلك وسير معهم جيشا فتسلموا الأنبار ولحقهم البساسيرى وأحسن إلى أهلها وعدل فيهم ولم يمكن أحدا من أصحابه أن يأخذ الرطل الخبز بغير ثمنه وأقام فيها إلى أن أصلح حالها وقرر قواعدها وعاد إلى بغداد .

﴿ ذكر انهزام الملك الرحيم من عسكر فارس ﴾ فى هذه السنة عاد الملك الرحيم من الأهواز إلى رامهرمز فى ذى القعدة فلما وصل إلى وادى الملح لقيه عسكر فارس واقتتلوا قتالا شديدا فغدر بالملك الرحيم بعض عسكره وانهزم هو وجميع العسكر ووصل إلى بصنا [1] ومعه أخواه أبو سعد وأبو طالب وسار منها إلى واسط وسار عسكر فارس إلى الأهواز فملكوها وخيموا بظاهرها .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ وفيها وصل عسكر من مصر إلى حلب وبها صاحبها ثمال بن صالح بن مرداس فخافهم لكثرتهم فانصرف عنها فملكها المصريون . وفيها فى ذى القعدة ارتفعت سحابة سوداء مظلمة ليلا فزادت ظلمتها على ظلمة الليل وظهر فى جوانب السماء كالنار المضطرمة وهبت معها ريح شديدة قلعت رواشن دار الخليفة وشاهد الناس من ذلك ما أزعجهم وخوفهم فلزموا الدعاء والتضرع فانكشفت فى باقى الليل . وفيها فى شعبان سار البساسيرى من بغداد إلى طريق خراسان وقصد ناحية الدزدار وملكها وغنم مافيها وكان سعدى ابن أبى الشوك قد ملكها وقد عمل لها سورا وحصنها وجعلها معقلا يتحصن فيه ويدخر بها كل مايغنمه فأخذه البساسيرى جميعه وفيها منع أهل الكرخ من النوح وفعل ماجرت عادتهم بفعله يوم عاشوراء فلم يقبلوا وفعلوا ذلك فجرى بينهم وبين السنية فتنة عظيمة قتل فيها وجرح كثير من الناس ولم ينفصل الشر بينهم حتى عبر الأتراك وضربوا خيامهم عندهم فكفوا حينئذ ثم شرع أهل الكرخ فى بناء سور على الكرخ فلما رآهم السنية من القلائين ومن يجرى مجراهم شرعوا فى بناء سور على سوق القلائين وأخرج الطائفتان فى العمارة مالا جليلا وجرت بينهما فتن كثيرة وبطلت الأسواق وزاد الشر حتى انتقل كثير من الجانب الغربى إلى الجانب الشرقى فأقاموا به وتقدم الخليفة إلى أبى محمد بن النسوى بالعبور وإصلاح الحال وكف الشر فسمع أهل الجانب الغربى ذلك فاجتمع السنية والشيعة على المنع منه وأذنوا فى القلائين وغيرها بحى على خير العمل وأذنوا فى الكرخ الصلاة خير من النوم وأظهروا الترحم على الصحابة فبطل عبوره وفيها توفى أبو عبدالله محمد بن على بن عبدالله الصورى

---

(١) بصنا - بالفتح ثم الكسر وتشديد النون - مدينة من نواحى الأهواز صغيرة وجميع رجالهم ونسائهم يغزلون الصوف وينسجون الأنماط والستور البصنية ويكتبون عليها « بصنا » وقد تعمل ببرذون وكليوان وغيرهما من المدن المجاورة لبصنا وتدلس بستور بصنا والمعدن بصنى ولهم نهر يسمونه « دجلة بصنا » فيه أرحية فى السفن والنهر منها على رمية سهم .

Marfat.com

الحافظ كان إماما محب عبدالغنى بن سعيد وتخرج به ومن تلامذته الخطيب أبو بكر وفيها توفى الملك العزيز أبو بكر منصور بن جلال الدولة وقد ذكرنا تنقل الأحوال به فيما تقدم وله شعر حسن وفيها توفى أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن العتيقى نسب إلى جدّ له يسمى عتيقا ومولده سنة سبع وستين وثلثمائة ، وفيها توفى أبو القاسم عبد الوهاب بن أقضى القضاة أبى الحسن الماوردى وكانت شهادته سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وقبلها القاضى فى بيت النوبة ولم يفعل ذلك مع غيره وإنما فعل معه هذا احتراما لأبيه .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر ملك طغرلبك أصبهان ﴾ كان أبو منصور بن علاء الدولة صاحب أصبهان غير ثابت على طريقة واحدة مع السلطان طغرلبك كان يكثر التلون معه تارة يطيعه وينحاز إليه وتارة ينحرف عنه ويطيع الملك الرحيم فأضمر له طغرلبك سوءاً فلما عاد هذه الدفعة من خراسان لأخذ البلاد الجبلية من أخيه إبراهيم ينال واستولى عليها على ماذكرناه عدل إلى أصبهان عازما على أخذها من أبى منصور فسمع ذلك فتحصن ببلده واحتمى بأسواره ونازله طغرلبك فى المحرم وأقام على محاصرته نحو سنة وكثرت الحروب بينهما إلا أن طغرلبك قداستولى على سواد البلد وأرسل سرية من عسكره نحو فارس فبلغوا إلى البيضاء فأغاروا على السواد هناك وعادوا غانمين ولما طال الحصار على أصبهان وأخرب أعمالها ضاق الأمر بصاحبها وأهلها وأرسلوا إليه يبذلون له الطاعة والمال فلم يجبهم إلى ذلك ولم يقنع منهم إلا بتسليم البلد فصبروا حتى نفدت الأقوات وامتنع الصبر وانقطعت المواد واضطر الناس حتى نقضوا الجامع وأخذوا أخشابه لشدة الحاجة إلى الحطب فحيث بلغ بهم الحال إلى هذا الحد خضعوا له واستكانوا وسلموا البلد إليه فدخله وأخرج أجناده منه وأقطعهم فى بلاد الجبل وأحسن إلى الرعية وأقطع صاحبها أبامنصور ناحيتى يزد وأبرقوية وتمكن من أصبهان ودخلها فى المحرم من سنة ثلاث وأربعين واستطابها ونقل ما كان له بالرى من مال وذخائر وسلاح إليها وجعلها دار مقامه وخرب قطعة من سورها وقال : إنما يحتاج إلى الأسوار من تضعف قوته فأما من حصنه عساكره وسيفه فلا حاجة له إليها

﴿ ذكر عود عساكر فارس من الأهواز وعود الرحيم إليها ﴾ فى هذه السنة فى المحرم عادت عساكر فارس التى مع الأمير أبى منصور صاحبها عن الأهواز إلى فارس وسبب هذا العود أن الأجناد اختلفوا وشغبوا واستطالوا وعاد بعضهم إلى فارس بغير أمر صاحبهم وأقام بعضهم معه وسار بعضهم إلى الملك الرحيم وهو بالأهواز يطلبونه ليعود إليهم فعاد فيمن عنده من العساكر وأرسل إلى بغداد يأمر العساكر التى فيها بالحضور عنده ليسير بهم إلى فارس فلما وصل إلى الأهواز لقيه العساكر مقرين بالطاعة وأخبروه بطاعة عساكر فارس وأنهم ينتظرون قدومه فدخل الأهواز فى شهر ربيع الآخر فتوقف بالأهواز ينتظر عساكر بغداد ثم سار عنها إلى عسكر مكرم فملكها وأقام بها .

﴿ ذكر استيلاء زعيم الدولة على مملكة أخيه قرواش ﴾ فى هذه السنة فى جمادى الأولى استولى زعيم الدولة أبو كامل بركة بن المقلد على أخيه قرواش وحجر عليه ومنعه من التصرف على اختياره ، وسبب ذلك أن قرواشا كان قد أنف من تحكم أخيه فى البلاد وأنه قد صار لا حكم له فعمل على الانحدار إلى بغداد ومفارقة أخيه وسار عن الموصل فشق ذلك على بركة وعظم عنده ثم أرسل إليه نفرا من أعيان أصحابه يشيرون عليه بالعود واجتماع

Marfat.com

Marfat.com

الكلمة ويحذرونه من الفرقة والاختلاف فلما بلغوه ذلك امتنع عليهم فقالوا أنت ممنوع عن فعلك والرأى لك القبول والعود مادامت الرغبة إليك فعلم حينئذ أنه يمنع قهرا فأجاب إلى العود على شرط أن يسكن دار الإمارة بالموصل وسار معهم فلما قارب حلة أخيه زعيم الدولة لقيه وأنزله عنده فهرب أصحابه وأهله خوفا فأمنهم زعيم الدولة وحضر عنده وخدمه وأظهر له الخدمة وجعل عليه من يمنعه من التصرف على اختياره .

﴿ذكر استيلاء الغز على مدينة فسا﴾ وفيها فى جمادى الأولى سار الملك ألب أرسلان بن داود أخى طغرلبك من مدينة مرو بخراسان وقصد بلاد فارس فى المفازة فلم يعلم به أحد ولا أعلم عمه طغرلبك فوصل إلى مدينة فسا فانصرف النائب بها من بين يديه ودخلها ألب أرسلان فقتل من الديلم بها ألف رجل وعدداً كثيراً من العامة ونهبوا ما قدره ألف ألف دينار وأسروا ثلاثة آلاف إنسان وكان الأمر عظيما فلما فراغوا من ذلك عادوا إلى خراسان ولم يلبثوا خوفا من طغرلبك أن يرسل إليهم ويأخذ ماغنموه منهم .

﴿ذكر استيلاء الخوارج على عمان﴾ فى هذه السنة استولى الخوارج المقيمون بجبال عمان على مدينة تلك الولاية وسبب ذلك أن صاحبها الأمير أبا المظفر ابن الملك أبى كاليجار كان مقيما بها ومعه خادم له قداستولى على الأمور وحكم على البلاد وأساء السيرة فى أهلها فأخذ أموالهم فنفروا منه وأبغضوه وعرف إنسان من الخوارج يقال له ابن راشد الحال فجمع من عنده منهم وقصد المدينة فخرج إليه الأمير أبو المظفر فى عساكره فالتقوا واقتتلوا فانهزمت الخوارج وعادوا إلى موضعهم وأقام ابن راشد مدة يجمع ويحتشد ثم سار ثانياً وقاتله الديلم فأعانه أهل البلد لسوء سيرة الديلم فيهم ، فانهزم الديلم وملك ابن راشد البلد وقتل الخادم وكثيراً من الديلم وقبض على الأمير أبى المظفر وسيره إلى جباله مستظهراً عليه وسجن معه كل من خط بقلم من الديلم وأصحاب الأعمال وأخرب دار الإمارة وقال هذه أحق دار بالخراب وأظهر العدل وأسقط المكوس واقتصر على رفع عشر مايرد إليهم وخطب لنفسه وتلقب بالراشد بالله ولبس الصوف وبنى موضعا على شكل مسجد ، وقد كان هذا الرجل تحرك أيضا أيام القاسم بن مكرم فسير إليه أبو القاسم من منعه وحصره وأزال طمعه .

﴿ذكر دخول العرب إلى إفريقية﴾ فى هذه السنة دخلت العرب إلى إفريقية وسبب ذلك أن المعز بن باديس كان خطب للقائم بأمر الله الخليفة العباسى ، وقطع خطبة المستنصر العلوى صاحب مصر سنة أربعين وأربعمائة فلما فعل ذلك كتب إليه المستنصر العلوى يتهدده فأغلظ المعز فى الجواب ، ثم إن المستنصر استوزر الحسن ابن على اليازورى ولم يكن من أهل الوزارة إنما كان من أهل التبانة والفلاحة فلم يخاطبه المعز كما كان يخاطب من قبله من الوزراء كان يخاطبهم بعبده فخاطب اليازورى بصنيعته فعظم ذلك عليه وعاتبه فلم يرجع إلى مايحب فأكثر الوقيعة فى المعز وأغرى به المستنصر وشرعوا فى إرسال العرب إلى الغرب فأصلحوا بنى زغبة ورياح وكان بينهم حروب وحقود وأعطوهم مالا وأمروهم بقصد بلاد القيروان وملكوهم كل مايفتحونه ووعدوهم بالمدد والعدد فدخلت العرب إلى إفريقية وكتب اليازورى إلى المعز ، أما بعد : فقد أرسلنا إليكم خيولا فحولا وحملنا عليها رجالا كهولا ليقضى الله أمراً كان مفعولا ، فلما حلوا أرض برقة وما والاها وجدوا بلاداً كثيرة المرعى خالية من الأهل لأن زناتة كانوا أهلها فأبادهم المعز فأقامت العرب بها واستوطنتها وعاثوا فى أطراف البلاد ، وبلغ ذلك المعز فاحتقرهم ، وكان المعز لما رأى تقاعد صنهاجة عن قتال زناتة اشترى العبيد وأوسع لهم فى العطاء فاجتمع له ثلاثون ألف مملوك ، وكانت العرب زغبة قدملكت مدينة طرابلس سنة ست وأربعين

Marfat.com

فتتابعت رياح والأسبج وبنو عدى إلى إفريقية وقطعوا السبل وعاثوا فى الأرض وأرادوا الوصول إلى القيروان فقال مؤنس بن يحيى المرداسى ليس المبادرة عندى برأى فقالوا كيف تحب أن تصنع فأخذ بساطا فبسطه ، ثم قال لهم من يدخل إلى وسط البساط من غير أن يمشى عليه قالوا لا نقدر على ذلك ، قال فهكذا القيروان خذوا شيئاً فشيئا حتى لا يبقى إلا القيروان فخذوها حينئذ فقالوا إنك لشيخ العرب وأميرها وأنت المقدم علينا ولسنا نقطع أمراً دونك ، ثم قدم أمراء العرب إلى المعز فأكرمهم وبذل لهم شيئا كثيراً ، فلما خرجوا من عنده لم يجازوه بما فعل من الإحسان بل شنوا الغارات وقطعوا الطريق وأفسدوا الزروع وقطعوا الثمار وحاصروا المدن فضاق بالناس الأمر ، وساءت أحوالهم وانقطعت أسفارهم ونزل بافريقية بلاء لم ينزل بها مثله قط فحينئذ احتفل المعز وجمع عساكره فكانوا ثلاثين ألف فارس ومثلها رجالة وسار حتى أتى جندران وهو جبل بينه وبين القيروان ثلاثة أيام ، وكانت عدة العرب ثلاثة آلاف فارس ، فلما رأت العرب عساكر صنهاجة والعبيد مع المعز هالهم ذلك وعظم عليهم ، فقال لهم مؤنس بن يحيى ماهذا يوم فرار ، فقالوا أين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكزاغندات والمغافر ؟ قال فى أعينهم ، فسمى ذلك اليوم (يوم العين) والتحم القتال واشتدت الحرب ، فانفقت صنهاجة على الهزيمة وترك المعز مع العبيد حتى يرى فعلهم ويقتل أكثرهم ، فعند ذلك يرجعون على العرب فانهزمت صنهاجة وثبت العبيد مع المعز فكثر القتل فيهم ، قتل منهم خلق كثير وأرادت صنهاجة الرجوع على العرب فلم يمكنهم ذلك واستمرت الهزيمة ، وقتل من صنهاجة أمة عظيمة ودخل المعز القيروان مهزوما على كثرة من معه وأخذت العرب الخيل والخيام ومافيها من مال وغيره ، وفيه يقول بعض الشعراء :

وإن ابن باديس لأفضل مالك * ولكن لعمرى ما لديه رجال
ثلاثون ألفاً منهم غلبتهم * ثلاث آلاف إن ذا لمحال

ولما كان يوم النحر من هذه السنة جمع المعز سبعة وعشرين ألف فارس وسار إلى العرب جريدة وسبق خبره وهجم عليهم وهم فى صلاة العيد فركبت العرب خيولهم وحملت فانهزمت صنهاجة ، فقتل منهم عالم كثير ، ثم جمع المعز وخرج بنفسه فى صنهاجة وزناتة فى جمع كثير . فلما أشرف على بيوت العرب وهو قبلى جبل جندران انتشب القتال واشتعلت نيران الحرب ، وكانت العرب سبعة آلاف فارس فانهزمت صنهاجة وولى كل رجل منهم إلى منزله وانهزمت زناتة وثبت المعز فيمن معه من عبيده ثباتاً عظيما لم يسمع بمثله ، ثم انهزم وعاد إلى المنصورية وأحصى من قتل من صنهاجة ذلك اليوم فكانوا ثلاثة آلاف وثلثمائة ، ثم أقبلت العرب حتى نزلت بمصلى القيروان ووقعت الحرب فقتل من المنصورية ورقادة خلق كثير ، فلما رأى ذلك المعز أباحهم دخول القيروان لما يحتاجون إليه من بيع وشراء ، فلما دخلوا استطالت عليهم العامة ووقعت بينهم حرب كان سببها فتنة بين إنسان عربى وآخر عامى ؛ وكانت الغلبة للعرب وفى سنة أربع وأربعين بنى سور زويلة والقيروان ، وفى سنة ست وأربعين حاصرت العرب القيروان وملك مؤنس بن يحيى مدينة باجة وأشار المعز على الرعية بالانتقال إلى المهدية لعجزه عن حمايتهم من العرب ، وشرعت العرب فى هدم الحصون والقصور وقطعوا الثمار وخربوا الأنهار ، وأقام المعز والناس ينتقلون إلى المهدية إلى سنة تسع وأربعين فعندها انتقل المعز إلى المهدية فى شعبان فتلقاه ابنه تميم ومشى بين يديه ، وكان أبوه قد ولاه المهدية سنة خمس وأربعين ؛ فأقام بها إلى أن قدم أبوه الآن ، وفى رمضان من سنة تسع وأربعين نهبت العرب القيروان ؛ وفى سنة خمسين

Marfat.com

خرج بلكين ومعه من العرب لحرب زناتة فقاتلهم فانهزمت زناتة وقتل منها عدد كثير ، وفى سنة ثلاث وخمسين وقعت الحرب بين العرب وهوارة فانهزمت هوارة وقتل منها الكثير ؛ وفى سنة ثلاث وخمسين قتل أهل تقيوس من العرب مائتين وخمسين رجلا وسبب ذلك أن العرب دخلت المدينة متسوقة فقتل رجل من العرب رجلا متقدما من أهل البلد لأنه سمعه يثنى على المعز ويدعو له فلما قتل ثار أهل البلد بالعرب فقتلوا منهم العدد المذكور ؛ وكان ينبغى أن يأتى كل شىء من ذلك فى السنة التى حدث فيها ، وإنما أوردناه متتابعاً ليكون أحسن لسياقته فإنه إذا انقطع وتخللته الحوادث فى السنين لم يفهم .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فيها سار المهلهل بن محمد بن غناز أخو أبى الشوك إلى السلطان طغرلبك فأحسن إليه وأقره على أقطاعه ومن جملته السيروان ودقوقا وشهرزور والصامغان وشفعه فى أخيه سرخاب بن محمد ابن عناز وكان محبوسا عند طغرلبك وسار سرخاب إلى قلعة الماهكى وهى له وأقطع سعدى بن أبى الشوك الراوندين وفيها قبض المستنصر بمصر على أبى البركات عم أبى القاسم الجرجرانى واستوزر القاضى أبا محمد الحسن ابن عبد الرحمن اليازورى ويازور من أعمال الرملة ، وفيها توفى محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدى بالله أبو الحسين ، ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وفيها فى شعبان توفى أبو الحسن على بن عمر القزوينى الزاهد وكان من الصالحين ، روى الحديث والحكايات والأشعار وروى عن ابن نباتة شيئا من شعره فمن ذلك قال ابن نباتة :

وإذا عجزت عن العدو فداره * وامزج له إن المزاج وفاق
فالنار بالماء الذى هو ضدها * تعطى النضاج وطبعها الإحراق

وفيها فى ذى القعدة توفى أبو القاسم عمر بن ثابت النحوى الضرير المعروف بالثمانينى (١) .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر نهب سرّق والحرب الكائنة عندها وملك الرحيم رامهرمز ﴾ فيها فى المحرم اجتمع جمع كثير من العرب والأكراد وقصدوا سرق من خوزستان ونهبوها ونهبوا دورق ومقدمهم مطارد بن منصور ومذكور ابن نزار فأرسل إليهم الملك الرحيم جيشا ولقوهم بين سرق ودورق فاقتتلوا فقتل مطارد وأسر ولده وكثر القتل فيهم واستنقذوا ما نهبوه ونجا الباقون على أقبح صورة من الجراح والنهب فلما تم هذا الفتح للملك الرحيم انتقل من عسكر مكرم متقدما إلى قنطرة أربق ومعه دبيس بن مزيد والبساسيرى وغيرهما ثم إن الأمير أبا منصور صاحب فارس وهزارسب بن بنكير ومنصور بن الحسين الأسدى ومن معهما من الديلم والأتراك ساروا من أرجان يطلبون تستر فسبقهم الرحيم إليها وحال بينهم وبينها والنقت الطلائع فكان الظفر لعسكر الرحيم

---

(١) الثمانينى النحوى الضرير : شارح « اللمع » كان فى غاية العلم بالنحو . ذكر ابن خلكان : أنه اشتغل على ابن جنىّ وشرح كلامه وكان ماهرا فى صناعة النحو ، وقال : ونسبته إلى قرية من نواحى جزيرة ابن عمر عند الجبل الجودى ؛ يقال لها « ثمانين » باسم الثمانين الذين كانوا مع نوح عليه السلام فى السفينة . وفى هذه السنة اصطلح الروافض والسنية ببغداد ، وذهبوا كلهم لزيارة مشهد على ومشهد الحسين وترضوا فى الكرخ على الصحابة كلهم وترحموا عليهم ، وهذا عجيب جدا ، إلا أن يكون من باب التقية ، وفيها رخصت الأسعار ببغداد جدا .

ثم إن الأرجاف وقع فى عسكر هزارسب بوفاة الأمير أبى منصور ابن الملك أبى كاليجار بمدينة شيراز فسقط فى أيديهم وعادوا وقصد كثير منهم الملك الرحيم فصاروا معه فسير قطعة من الجيش إلى رامهرمز وبها أصحاب هزارسب وقد أفسدوا فى تلك الأعمال فلما وصل إليها عسكر الرحيم خرج أولئك إلى قتالهم فاقتتلوا قتالا شديداً اكثر فيه القتل والجراح ثم انهزم أصحاب هزارسب فدخلوا البلد وحصروا فيه ثم ملك البلد عنوة ونهب وأسر جماعة من العساكر التى فيه وهرب كثير منهم إلى هزارسب وهو بايذج وملك الملك الرحيم البلد فى ربيع الأول من هذه السنة .

﴿ ذكر ملك الملك الرحيم اصطخر وشيراز ﴾ فى هذا السنة سير الملك الرحيم أخاه الأمير أباسعد فى جيش إلى بلاد فارس وكان سبب ذلك أن المقيم فى قلعة اصطخر وهو أبو نصر بن خسرو كان له أخوان قبض عليهما هزارسب بن بنكير بأمر الأمير أبى منصور فكتب إلى الملك الرحيم يبذل له الطاعة والمساعدة ويطلب أن يسير إليه أخاه ليملكه بلاد فارس فسير إليه أخاه أباسعد فى جيش فوصل إلى دولتاباذ فأتاه كثير من عساكر فارس الديلم والترك والعرب والأكراد وسار منها إلى قلعة اصطخر فنزل إليه صاحبها أبو نصر فلقيه وأصعده إلى القلعة وحمل له وللعساكر التى معه الإقامات والخلع وغيرها ثم سار را منها إلى قلعة بهندر فحصروها وأتاه كتب بعض مستحفظى البلاد الفارسية بالطاعة منها مستحفظ درابجرد وغيرها ثم سار إلى شيراز فملكها فى رمضان فلما سمع أخوه الأمير أبو منصور وهزارسب ومنصور بن الحسين الأسدى ذلك ساروا فى عسكرهم إلى الملك الرحيم فهزموه على ماذكره إن شاء الله تعالى وفارق الأهواز إلى واسط ثم عطفوا من الأهواز إلى شيراز لإجلاء الأمير أبى سعد عنها فلما قاربوها لقيهم أبو سعد وقاتلهم فهزمهم فالتجؤا إلى جبل قلعة بهندر وتكررت الحروب بين الطائفتين إلى منتصف شوّال فتقدمت طائفه من عسكر أبى سعد فاقتتلوا عامة النهار ثم عادوا فلما كان الغد التقى العسكران جميعا واقتتلوا فانهزم عسكر الأمير أبى منصور وظفر أبو سعد وقتل منهم خلقا كثيرا واستأمن إليه كثير منهم وصعد أبو منصور إلى قلعة بهندر واحتمى بها وأقام إلى أن عاد إلى ملكه على ماذكره إن شاء الله تعالى ولما فارق الأمير أبو منصور الأهواز أعيدت الخطبة للملك الرحيم وأرسل من بها من الجند يستدعونه إليهم .

﴿ ذكر انهزام الملك الرحيم بالأهواز ﴾ لما انصرف الأمير أبو منصور وهزارسب ومن معهم من منزلهم قريب تستقر على ماذكرناه مضوا إلى أيذج وأقاموا فيها وخافوا الملك الرحيم واستضعفوا نفوسهم عن مقاومته فاتفق رأيهم على أن راسلوا السلطان طغرلبك وبذلوا له الطاعة وطلبوا منه المساعدة فأرسل إليهم عسكرا كثيرا وكان قد ملك أصبهان وفرغ باله منها وعرف الملك الرحيم ذلك وقد فارقه كثير من عسكره منهم البساسيرى ونور الدولة دبيس بن مزيد والعرب والأكراد وبقى فى الديلم الأهوازية وطائفة قليلة من الأتراك البغداديين كانوا وصلوا إليه أخيرا فقرر رأيه على أن عاد من عسكر مكرم إلى الأهواز لأنها أحصن وينتظر بالمقام فيها وصول العساكر ورأى أن يرسل أخاه الأمير أباسعد إلى فارس حيث طلب إلى اصطخر على ماذكرناه وسير معه جمعا صالحا من العساكر ظنا منه أن أخاه إذا وصل إلى فارس وملكت قلعة اصطخر انزعج الأمير أبو منصور وهزارسب ومن معهما واشتغلوا بتلك النواحى عنه فازداد قلقا وضعفا فلم يلتفت أولئك إلى الأمير أبى سعد بل ساروا مجدين إلى الأهواز فوصلوها أواخر ربيع الآخر ووقعت الحرب بين الفريقين يومين

Marfat.com

Marfat.com

متتابعين كثر فيهما القتال واشتد فانهزم الملك الرحيم وسار فى نفر قليل إلى واسط ولقى فى طريقه مشقة وسلم واستقر بواسط فيمن لحق به من المنهزمين ونهبت الأهواز وأحرق فيها عدة محال وفقد فى الوقعة الوزير كمال الملك أبو المعالى بن عبد الرحيم وزير الملك الرحيم فلم يعرف له خبر .

﴿ ذكر الفتنة بين العامة ببغداد وإحراق المشهد على ساكنيه السلام ﴾ فى هذه السنة فى صفر تجددت الفتنة ببغداد بين السنية والشيعة وعظمت أضعاف ما كانت قديما فكان الاتفاق الذى ذكرناه فى السنة الماضية غير مأمون الانتقاض لما فى الصدور من الإحن وكان سبب هذه الفتنة أن أهل الكرخ شرعوا فى عمل باب السماكين وأهل الفلائين فى عمل ما بقى من باب مسعود ففرغ أهل الكرخ وعملوا أبراجا كتبوا عليها بالذهب محمد وعلى خير البشر وأنكر السنية ذلك وادعوا أن المكتوب محمد وعلى خير البشر فمن رضى فقد شكر ومن أبى فقد كفر وأنكر أهل الكرخ الزيادة وقالوا ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمام نقيب العباسيين ونقيب العلويين وهو عدنان بن الرضى لكشف الحال وإنهائه فكتبا بتصديق قول الكرخيين فأمر حينئذ الخليفة ونواب الرحيم بكف القتال فلم يقبلوا وانتدب ابن المذهب القاضى والزهيرى وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبد الصمد بحمل العامة على الإغراق فى الفتنة فأمسك نواب الملك الرحيم عن كفهم غيظا من رئيس الرؤساء لميله إلى الحنابلة ومنع هؤلاء السنية من حمل الماء من دجلة إلى الكرخ وكان نهر عيسى قد انفتح بثقه فعظم الأمر عليهم وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة وحملوا الماء وجعلوه فى الظروف وصبوا عليه ماء الورد ونادوا الماء للسبيل فأغروا بهم السنية وتشدد رئيس الرؤساء على الشيعة فمحوا خير البشر وكتبوا عليهما السلام فقالت السنية لا نرضى إلا أن يقلع الآجر الذى عليه محمد وعلى وأن لا يؤذن حى على خير العمل وامتنع الشيعة من ذلك ودام القتال إلى ثالث ربيع الأول وقتل فيه رجل هاشمى من السنية فحمله أهله على نعش وطافوا به فى الحربية وباب البصرة وسائر محال السنة واستنفروا الناس للأخذ بثأره ثم دفنوه عند أحمد بن حنبل وقد اجتمع معهم خلق كثير أضعاف ما تقدم فلما رجعوا من دفنه قصدوا مشهد باب التبن فأغلق بابه فنقبوا فى سورها وتهددوا البواب فخافهم وفتح الباب فدخلوا ونهبوا ما فى المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضة وستور وغير ذلك ونهبوا ما فى التربة والدور وأدركهم الليل فعادوا فلما كان الغد كثر الجمع فقصدوا المشهد وأحرقوا جميع التربة والأراج واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن على والجواد والقبتان الساج اللتان عليهما واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بنى بويه معز الدولة وجلال الدولة ومن قبور الوزراء والرؤساء وقبر جعفر بن أبى جعفر المنصور وقبر الأمين محمد بن الرشيد وقبر أمه زبيدة وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر فى الدنيا مثله ، فلما كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمد بن على لينقلوهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر فجاء الحفر إلى جانبه وسمع أبو تمام نقيب العباسيين وغيره من الهاشميين والسنية الخبر فجاؤا ومنعوا عن ذلك وقصد أهل الكرخ إلى خان الفقهاء الحنفيين فنهبوه وقتلوا مدرس الحنفية أبا سعد السرخسى وأحرقوا الخان ودور الفقهاء وتعدت الفتنة إلى الجانب الشرقى فاقتتل أهل باب الطاق وسوق يحيى والأساكفة وغيرهم ولما انتهى خبر إحراق المشهد إلى نور الدولة دبيس بن مزيد عظم عليه واشتد وبلغ منه كل مبلغ لأنه وأهل بيته وسائر أعماله من النيل وتلك الولاية كلهم شيعة فقطعت فى أعماله خطبة الإمام القائم بأمر الله فروسل فى ذلك

Marfat.com

وعوتب فاعتذر بأن أهل ولايته شيعة واتفقوا على ذلك فلم يمكنه أن يشق عليهم كما أن الخليفة لم يمكنه كف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا وأعاد الخطبة إلى حالها .

﴿ ذكر عصيان بنى قرة على المستنصر بالله بمصر ﴾ فى هذه السنة فى شعبان عصى بنو قرة بمصر على المستنصر بالله الخليفة العلوى وكان سبب ذلك أنه أمر عليهم رجلا منهم يقال له المقرب وقدمه فنفروا من ذلك وكرهوه واستعفوا منه فلم يعزله عنهم فكاشفوا بالخلاف والعصيان وأقاموا بالجيزة مقابل مصر وتظاهروا بالفساد فعبر إليهم المستنصر بالله جيشا يقاتلهم ويكفهم فقاتلهم بنو قرة فانهزم الجيش وكثر القتل فيهم فانتقل بنو قرة إلى طرف البر فعظم الأمر على المستنصر بالله وجمع العرب من طيء وكلب وغيرهما من العساكر وسيرهم فى أثر بنى قرة فأدركوهم بالبحيرة فواقعوهم فى ذى القعدة واشتد القتال وكثر القتل فى بنى قرة وانهزموا وعاد العسكر إلى مصر وتركوا فى مقابل بنى قرة طائفة منهم لتردد بنى قرة إن أرادوا التعرض فى البلاد وكفى الله شرهم .

﴿ ذكر وفاة زعيم الدولة وإمارة قريش بن بدران ﴾ فى هذه السنة فى شهر رمضان توفى زعيم الدولة أبو كامل بركة بن المقلد بتكريت وكان انحداره اليها فى حلله قاصداً نحو العراق لينازع النواب به عن الملك الرحيم وينهب البلاد فلما بلغها انتقض عليه جرح كان أصابه من الغز لما ملكوا الموصل فتوفى ودفن بمشهد الخضر بتكريت واجتمعت العرب من أصحابه على تأمير علم الدين أبى المعالى قريش بن بدران بن المقلد فعاد بالحال والعرب إلى الموصل وأرسل إلى عمه قرواش وهو تحت الاعتقال يعلمه بوفاة زعيم الدولة وقيامه بالإمارة وأنه يتصرف على اختياره ويقوم بالأمر نيابة عنه فلما وصل قريش إلى الموصل جرى بينه وبين عمه قرواش منازعة ضعف فيها قرواش وقوى ابن أخيه ومالت العرب إليه واستقرت الإمارة له وعاد عمه إلى ماكان عليه من الاعتقال الجميل والاقتصار به على قليل من الحاشية والنساء والنفقة ثم نقلها إلى قلعة الجراحية من أعمال الموصل فاعتقل بها .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ ظهر ببغداد يوم الأربعاء سابع صفر وقت العصر كوكب غلب نوره على نور الشمس له ذؤابة نحو ذراعين وسار سيراً بطيئا ثم انقض والناس يشاهدونه . وفيها فى رمضان أرسل السلطان طغرلبك إلى الخليفة جوابا عن رسالة الخليفة إليه وشكراً لإنعام الخليفة عليه بالخلع والألقاب وأرسل معه طغرلبك إلى الخليفة عشرة آلاف دينار عينا وأعلاقا نفيسة من الجواهر والثياب والطيب وغير ذلك ، وأرسل خمسة آلاف دينار للحاشية وألفى دينار لرئيس الرؤساء وأنزل الخليفة الرسل بباب المراتب وأمر باكرامهم ولما جاء العيد أظهر أجناد بغداد الزينة الرائقة والخيول النفيسة والتجافيف الحسنة وأرادوا إظهار قوتهم عند الرسل . وفيها عاد الغز أصحاب الملك داود أخى طغرلبك عن كرمان وسبب عودهم أن عبدالرشيد بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة سار إلى خراسان فالتقى هو والملك داود واقتتلوا قتالا شديداً فانهزم داود فاقتضى الحال عود أصحابه عن كرمان وفيها أيضا عاد السلطان طغرلبك عن أصبهان إلى الرى، وفيها توفى أبو كاليجار كرشاسف ابن علاء الدولة بن كاكويه بالأهواز ، وكان قد استخلفه بها الأمير أبو منصور عند عوده عنها إلى شيراز ، فلما توفى خطب للملك الرحيم بالأهواز ، وفيها توفى أبو عبد الله الحسين بن المرتضى الموسوى ، وفيها فى ربيع الأول توفى أبو الحسن محمد بن محمد البصروى الشاعر وهو منسوب إلى قرية تسمى بصرى قريب عكبرا وكان صاحب نادرة قال له رجل شربت البارحة ماء كثيراً فاحتجت إلى القيام كل ساعة كأنى جدى فقال له لم تصغر

نفسك (ومن شعره) :

ترى الدنيا وزينتها فتصبو * وما يخلو من الشهوات قلب
فضول العيش أكثرها هموم * وأكثر ما يضرك ما تحب
فلا يغررك زخرف ما تراه * وعيش لين الأعطاف رطب
إذا ما بلغة جاءتك عفواً * فخذها فالغنى مرعى وشرب
إذا اتفق القليل وفيه سلم * فلا ترد الكثير وفيه حرب

﴿ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل عبدالرشيد صاحب غزنة وملك فرخ زاد﴾ فى هذه السنة قتل عبدالرشيد بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان سبب ذلك أن حاجبا لمودود ابن أخيه مسعود اسمه طغرل وكان مودود قد قدمه ونوه باسمه وزوجه أخته ، فلما توفى مودود وملك عبد الرشيد أجرى طغرل على عادته فى تقدمه وجعله حاجب حجابه فأشار عليه طغرل بقصد الغز وإجلائهم من خراسان ، فتوقف استبعاداً لذلك فألح عليه طغرل فسيره فى ألف فارس ، فسار نحو سجستان وبها أبو الفضل نائبا عن بيغو فأقام طغرل على حصار قلعة طاق ، وأرسل إلى أبى الفضل يدعوه إلى طاعة عبد الرشيد ، فقال له انى نائب عن بيغو وليس من الدين والمروأة خيانته فاقصده فإذا فرغت منه سلمت إليك فقام على حصار طاق أربعين يوما فلم يتهيأ له فتحها ، وكتب أبو الفضل إلى بيغو يعرفه حال طغرل فسار إلى سجستان ليمنع عنها طغرل ، ثم إن طغرل ضجر من مقامه على حصار طاق فسار نحو مدينة سجستان ، فلما كان على نحو فرسخ منها كمن بحيث لا يراه أحد لعلة يجدها وفرصة ينتهزها فسمع أصوات دبادب وبوقات فخرج وسأل بعض من على الطريق فأخبره أن بيغو قد وصل فعاد إلى أصحابه وأخبرهم وقال لهم ليس لنا إلا أن نلقى القوم ونموت تحت السيوف أعزة فإنه لا سبيل لنا إلى الهرب لكثرتهم وقلتنا فخرجوا من مكمنهم فلما رآهم بيغو سأل أبا الفضل عنهم ، فأخبره أنه طغرل فاستقل من معه وسير طائفة من أصحابه لقتالهم ، فلما رآهم طغرل لم يعرج عليهم ، بل أقحم فرسه نهراً هناك فعبره وقصد بيغو ومن معه فقاتلهم وهزمهم طغرل وغنم ما معهم ثم عطف على الفريق الآخر فصنع بهم مثل ذلك وأتم بيغو وأبو الفضل نحو هراة وتبعهم طغرل نحو فرسخين ، وعاد إلى المدينة فملكها ، وكتب إلى عبد الرشيد بما كان منه ، ويطلب الإمداد ليسير إلى خراسان فأمده بعدة كثيرة من الفرسان فوصلوا إليه فاشتد بهم وأقام مديدة ، ثم حدث نفسه بالعود إلى غزنة والاستيلاء عليها ، فأعلم أصحابه ذلك وأحسن إليهم ، واستوثق منهم ورحل إلى غزنة طاويا للمراحل كأنما أمره فلما صار على خمسة فراسخ من غزنة أرسل إلى عبد الرشيد مخادعا له بعلمه أن العسكر خالفوا عليه وطلبوا الزيادة فى العطاء وأنهم عادوا بقلوب متغيرة مستوحشة فلما وقف على ذلك جمع أصحابه وأهل ثقته وأعلمهم الخبر فحذروه منه وقالوا له إن الأمر قد أعجل عن الاستعداد وليس غير الصعود إلى القلعة والتحصن بها فصعد إلى قلعة غزنة وامتنع بها ووافى طغرل من الغد إلى البلد ، ونزل فى دار الإمارة وراسل المقيمين بالقلعة فى تسليم عبدالرشيد ووعدهم ورغبهم إن فعلوا وتهددهم إن امتنعوا فسلموه إليه فأخذه طغرل فقتله واستولى على البلد وتزوج ابنة مسعود كرها . وكان فى الأعمال الهندية أمير يسمى خرخيز ومعه

Marfat.com

Marfat.com

عسكر كثير ، فلما قتل طغرل عبدالرشيد واستولى على الأمر كتب إليه ودعاه إلى الموافقة والمساعدة على ارتجاع الأعمال من أيدى الغز ووعده على ذلك وبذل البذول الكثيرة فلم يرض فعله وأنكره وامتعض منه وأغلظ له فى الجواب ، وكتب إلى ابنة مسعود بن محمود زوجة طغرل ووجوه القواد ينكر ذلك عليهم ، ويوبخهم على إغضائهم وصبرهم على ما فعله طغرل من قتل ملكهم وابن ملكهم ويحثهم على الأخذ بثأره . فلما وقفوا على كتبه عرفوا غلطهم ودخل جماعة منهم على طغرل ووقفوا بين يديه فضربه أحدهم بسيفه وتبعه الباقون فقتله وورد خرخيز الحاجب بعد خمسة أيام وأظهر الحزن على عبدالرشيد ودم طغرل ومن تابعه على فعله وجمع وجوه القواد وأعيان أهل البلد وقال لهم قد عرفتم ماجرى مما خولفت به الديانة والأمانة وأنا تابع ولابد للأمر من سائس فاذكروا ماعندكم من ذلك فأشاروا بولاية فرخزاد بن مسعود بن محمود وكان محبوسا فى بعض القلاع فأحضر وأجلس بدار الإمارة وأقام خرخيز بين يديه يدبر الأمور وأخذ من أعان على قتل عبد الرشيد فقتله فلما سمع داود أخو طغرلبك صاحب خراسان قتل عبدالرشيد جمع عساكره وسار إلى غزنة فخرج إليه خرخيز ومنعه وقاتله فانهزم داود وغنم ماكان معه ولما استقر ملك فرخزاد وثبت قدمه جهز جيشا جرارا إلى خراسان فاستقبلهم الأمير كلسارغ وهو من أعظم الأمراء فقاتلهم وصبر لهم فظفروا به وانهزم أصحابه عنه وأخذ أسيرا وأسر معه كثير من عسكر خراسان ووجوههم وأمرائهم فجمع ألب أرسلان عسكرا كثيرا وسير والده داود فى ذلك العسكر إلى الجيش الذى أسروا كلسارغ فقاتلهم وهزمهم وأسر جماعة من أعيان العسكر فأطلق فرخزاد الأسرى وخلع على كلسارغ وأطلقه .

﴿ ذكر وصول الغز إلى فارس وانهزامهم عنها ﴾ فى هذه السنة وصل أصحاب السلطان طغرلبك إلى فارس وبلغوا إلى شيراز ونزلوا بالبيضاء واجتمع معهم العادل أبو منصور الذى كان وزير الأمير أبى منصور الملك أبى كاليجار ودبر أمرهم فقبضوا عليه وأخذوا منه ثلاث قلاع وهى قلعة كبزة وقلعة جويم وقلعة بهندر فأقاموا بها وسار من الغز نحو مائتى رجل إلى الأمير أبى سعد أخى الملك الرحيم وصاروا معه وراسل أبو سعد الذين بالقلاع المذكورة فاستمالهم فأطاعوه وسلموا القلاع إليه وصاروا فى خدمته واجتمع العسكر الشيرازى وعليهم الظهير أبو نصر وأوقعوا بالغز بباب شيراز فانهزم الغز وأسر تاج الدين نصر بن هبة الله بن أحمد وكان من المقدمين عند الغز فلما انهزم الغز سار العسكر الشيرازى إلى فسا وكان قد تغلب عليها بعض السفل وقوى أمره لاشتغال العساكر بالغز فأزالوا المتغلب عليها واستعادوها .

﴿ ذكر الحرب بين قريش وأخيه المقلد ﴾ فى هذه السنة جرى خلف بين علم الدين قريش بن بدران وبين أخيه المقلد وكان قريش قد نقل عمه قرواشا إلى قلعة الجراحية من أعمال الموصل وسجنه بها وارتحل بطلب العراق فجرى بينه وبين أخيه المقلد منازعة أدت إلى الاختلاف فسارا المقلد إلى نور الدولة دبيس بن مزيد ملتجئا إليه فحمل أخاه الغيظ منه على أن نهب حلته وعاد إلى الموصل واختلت أحواله واختلفت العرب عليه وأخرج نواب الملك الرحيم ببغداد إلى ما كان بيد قريش من العراق بالجانب الشرقى من عكبرا والعلث وغيرهما من قبض غلته وسلم الجانب الغربى من أوانا ونهر بيطر إلى أبى الهندى بلال بن غريب . ثم إن قريشا استمال العرب وأصلحهم فأذعنوا له بعد وفاة عمه قرواش فإنه توفى هذه الأيام وانحدر إلى العراق ليستعيد ماأخذ منه فوصل إلى الصالحية وسير بعض أصحابه إلى ناحية الحظيرة وماوالاها فنهبوا ماهناك وعادوا فلقوا

كامل بن محمد بن المسيب صاحب الحظيرة فأوقع بهم وقاتلهم فأرسلوا إلى قريش يعرفونه الحال فسار إليهم فى عدة كثيرة من العرب والأكراد فانهزم كامل وتبعه قريش فلم يلحقه فقصد حلل بلال بن غريب وهى خالية من الرجال فنهبها وقاتله بلال وأبلى بلاء حسنا فجرح ثم انهزم وراسل قريش نواب الملك الرحيم يبذل الطاعة ويطلب تقرير ما كان له عليه فأجابوه إلى ذلك على كره لقوته وضعفهم واشتغال الملك الرحيم بخوزستان عنهم فاستقر أمره وقوى شأنه .

﴿ ذكر وفاة قرواش ﴾ فى هذه السنة مستهل رجب توفى معتمد الدولة أبو المنيع قرواش بن المقلد العقيلى الذى كان صاحب الموصل محبوسا بقلعة الجراحية من أعمال الموصل على ما ذكرناه قبل وحمل ميتا إلى الموصل ودفن بتل توبة من مدينة نينوى شرقى الموصل وكان من رجال العرب وذوى العقل منهم وله شعر حسن فمن ذلك ما ذكره أبو الحسن على بن الحسن الباخرزى فى دمية القصر من شعره :

لله در النـــائبات فإنها * صدأ النفوس وصيقل الأحرار
ما كنت إلا زبرة فطبعنى * سيفا وأطلق شفرتى وغرارى

وذكر له أيضا :

من كان يحمد أو يذم مورثا * لنـال من آبائه وجدوده
إنى امرؤ لله شكر وحـــده * شكرا كثيرا جالبا لمزيده
لى أشقر سمح العنان مغاور * يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومهند عضب إذا جردته * خلت البروق تموج فى تجريده
ومثقف لدن السنان كأنما * أم المنايا ركبت فى عوده
وبذا حويت المـال إلا أننى * سلطت جود يدى على تبديده

قيل إنه جمع بين أختين فى نكاحه فقيل له إن الشريعة تحرم هذا فقال : وأى شىء عندنا تجيزه الشريعة ، وقال مرة ما فى رقبتى غير خمسة أوسقة من البادية قتلتهم وأما الحاضرة فلا يعبأ الله بهم .

﴿ ذكر استيلاء الملك الرحيم على البصرة ﴾ فى هذه السنة فى شعبان سير الملك الرحيم جيشا مع الوزير البساسيرى إلى البصرة وبها أخوه أبو على بن أبى كاليجار فحصروه بها فأخرج عسكره فى السفن لقتالهم فاقتتلوا عدة أيام ثم انهزم البصريون فى الماء إلى البصرة واستولى عسكر الرحيم على دجلة والأنهر جميعها وسارت العساكر على البر من المنزلة بمطار إلى البصرة فلما قاربوها لقيهم رسل مضرور بيعة يطلبون الأمان فأجابوهم إلى ذلك وكذلك بذلوا الأمان لسائر أهلها ودخلها الملك الرحيم فسر به أهلها وبذل لهم الإحسان فلما دخل البصرة وردت إليه رسل الديلم بخوزستان يبذلون الطاعة ويذكرون إنهم ما زالوا عليها فشكرهم على ذلك وأقام بالبصرة ليصلح أمرها وأما أخوه أبو على صاحب البصرة فإنه مضى إلى شط عثمان فتحصن به وحفر الخندق فمضى الملك الرحيم إليه وقاتلهم فملك الموضع ومضى أبو على ووالدته إلى عبادان وركبوا البحر إلى مهروبان وخرجوا من البحر وأكنروا دواب وساروا فى أرجان عازمين على قصد السلطان طغرلبك وأخرج الملك الرحيم كل من بالبصرة من الديلم أجناد أخيه وأقام غيرهم ثم إن الأمير أبا على وصل إلى السلطان طغرلبك وهو بأصبهان فأكرمه وأحسن إليه وحمل إليه مالا وزوجه امرأة من أهله وأقطعه أقطاعا من أعمال جرباذقان

Marfat.com

وسلم إليه قلعتين من تلك الأعمال أيضا وسلم الملك الرحيم البصرة إلى البساسيرى ومضى إلى الأهواز وترددت الرسل بينه وبين منصور بن الحسين وهزار سب حتى اصطلحوا وصارا أرّجان وتستر للملك الرحيم .

﴿ ذكر ورود سعدى العراق ﴾ وفيها فى ذى القعدة ورد سعدى بن أبى الشوك فى جيش من عند السلطان طغرلبك إلى نواحى العراق فنزل ما يدشت وسار منها جريدة فيمن معه من الغز إلى أبى دلف الجاوانى فنذر به أبو دلف وانصرف من بين يديه ولحقه سعدى فنهبه وأخذ ماله وأفلت أبو دلف بحشاشة نفسه ونهب أصحاب سعدى البلاد حتى بلغوا النعمانية فأسرفوا فى النهب والغارة وفتكوا فى البلاد وافتضوا الأبكار فأخذوا الأموال والأثاث فلم يتركوا شيئا وقصد البندينجيين وبلغ خبره إلى خاله خالد بن عمر وهو نازل على الزرير ومطر ابنى على بن مقن العقيليين فأرسل إليه ولده مع أولاد الزرير ومطر يشكون إليه ماعاملهم به عمه مهلهل وقريش بن بدران فلقوه بحلوان وشكوا إليه حالهم فوعدهم المسير إليهم وإنقاذهم ممن قصدهم فعادوا من عنده فلقيهم نفر من أصحاب مهلهل فواقعوهم فظفر بهم العقيليون وأسروهم وبلغ الخبر مهلهلا فسار إلى حلل الزرير ومطر فى نحو خمسمائة فارس فأوقع بهم على تل عكبرا ونهبهم وانهزم الرجال فلقى خالد ومطر والزرير سعدى ابن أبى الشوك على ثأرا فأعلموه الحال وحملوه على قتال عمه فتقدم إلى طريقه والتقى القوم وكان سعدى فى جمع كثير فظفر بعمه وأسره وانهزم أصحابه فى كل جهة وأسر أيضا مالك ابن عمه مهلهل وأعاد الغنائم التى كانت معهم على أصحابها وعاد إلى حلوان ووصل الخبر إلى بغداد فارتج الناس بها وخافوا وبرز عسكر الملك الرحيم ليقصدوا حلوان لمحاربة سعدى ووصل إليهم أبو الأغر دبيس بن مزيد الأسدى ولم يصنعوا شيئا .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة قبض عيسى بن خميس بن مقن على أخيه أبى غشام صاحب تكريت بها وسجنه فى سرداب بالقلعة واستولى على تكريت . وفيها زلزلت خوزستان وأرجان وايذج وغيرها من البلاد زلازل كثيرة وكان معظمها بأرجان فخرب كثير من بلادها وديارها وانفرج جبل كبير قريب من أرّجان وانصدع فظهر فى وسطه درجة مبنية بالآجر والجص قد خفيت فى الجبل فتعجب الناس من ذلك وكان بخراسان ايضا زلزلة عظيمة خربت كثيرا وهلك بسببها كثير وكان أشدها بمدينة بيهق فأتى الخراب عليها وخرب سورها ومساجدها ولم يزل سورها خرابا إلى سنة أربع وستين وأربعمائة فأمر نظام الملك ببنائه فبنى ثم خربه أرسلان أرغو بعد موت السلطان ملكشاه وقد ذكرناه ثم عمر مجد الملك البلاسانى . وفيها عمل محضر ببغداد يتضمن القدح فى نسب العلويين أصحاب مصر وأنهم كاذبون فى ادعائهم النسب إلى علىّ عليه السلام وعزوهم فيه إلى الديصانية من المجوس والقداحية من اليهود وكتب فيه العلويون والعباسيون والفقهاء والقضاة والشهود وعمل به عدة نسخ وسير فى البلاد وشيع بين الحاضر والباد . وفيها شهد الشيخ أبو نصر عبد السيد ابن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ مصنف الشامل عند قاضى القضاة أبى عبد الله الحسين بن على بن ماكولا . وفيها حدثت فتنة بين السنية والشيعة ببغداد وامتنع الضبط وانتشر العيارون وتسلطوا وجبوا الأسواق وأخذوا ما كان يأخذه أرباب الأعمال وكان مقدمهم الطقطقى والزيبق وأعاد الشيعة الأذان بحى على خير العمل وكتبوا على مساجدهم محمد وعلىّ خير البشر وجرى القتال بينهم وعظم الشر . وفيها زوج نور الدولة دبيس ابن مزيد ابنه بهاء الدولة منصورا بابنة أبى البركات بن البساسيرى وفيها فى ربيع الأول توفى القاضى أبو جعفر السمنانى بالموصل وكان إماما فى الفقه على مذهب أبى حنيفة والأصول على مذهب الأشعرى وروى الحديث عن الدارقطنى

Marfat.com

وغيره وفى هذا الشهر توفى أيضا أبو على الحسن بن على بن المذهب الواعظ وهو راوى مسند أحمد بن حنبل. (١)

﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر الفتنة بين السنية والشيعة ببغداد ﴾ فى هذه السنة فى المحرم زادت الفتنة بين أهل الكرخ وغيرهم من السنية وكان ابتداؤها أواخر سنة أربع وأربعين فلما كان الآن عظم الشر واطرحت المراقبة للسلطان واختاط بالفريقين طوائف من الأتراك فلما اشتد الأمر اجتمع القواد واتفقوا على الركب إلى المحال وإقامة السياسة بأهل الشر والفساد وأخذوا من الكرخ إنسانا علويا وقتلوه فثار نساؤه ونشرن شعورهن واستغثن فتبعهن العامة من أهل الكرخ وجرى بينهم وبين القواد ومن معهم من العامة قتال شديد وطرح الأتراك النار فى أسواق الكرخ فاحترق كثير منها وألحقتها بالأرض وانتقل كثير من الكرخ إلى غيرها من المحال وندم القواد على ما فعلوه وأنكر الإماء القائم بأمر الله ذلك وصلح الحال وعاد الناس إلى الكرخ بعد أن استقرت القاعدة بالديوان بكف الأتراك أيديهم عنهم.

﴿ ذكر استيلاء الملك الرحيم على أرّجان ونواحيها ﴾ فى هذه السنة فى جمادى الأولى استولى الملك الرحيم على مدينة أرّجان وأطاعه من كان بها من الجند وكان المقدم عليهم فولاذ بن خسرو الديلمى. وكان قد تغلب على ما جاورها من البلاد إنسان متغلب يسمى خشنام فأنفذ إليه فولاذ جيشا فأوقعوا به وأجلوه عن تلك النواحى واستضافوا إلى طاعة الرحيم وخاف هزارسب بن بنكير من ذلك لأنه كان مباينا الملك الرحيم على ما ذكرناه فأرسل يتضرع ويتقرب ويسأل التقدم إلى فولاذ بإحسان مجاورته فأجيب إلى ذلك.

﴿ ذكر مرض طغرلبك ﴾ فى هذه السنة وصل السلطان طغرلبك إلى أصبهان مريضا وقوى الإرجاف عليه بالموت ثم عوفى ووصل إليه الأمير أبو على بن الملك أبى كاليجار الذى كان صاحب البصرة ووصل إليه أيضا هزارسب بن بنكير بن عياض صاحب إيذج فإنه كان قد خاف الملك الرحيم لما استولى على البصرة وأرجان فأكرمهما طغرلبك وأحسن ضيافتهما ووعدهما النصرة والمعونة.

﴿ ذكر عود سعدى بن أبى الشوك إلى طاعة الرحيم ﴾ قد ذكرنا سنة أربع وأربعين وصول سعدى إلى العراق وأسره عمه فلما أسره سار ولده بدر بن المهلهل إلى السلطان طغرلبك وتحدث معه فى مراسلة سعدى ليطلق أباه فسلم إليه طغرلبك ولدا كان لسعدى عنده رهينة وأرسل معه رسولا يقول فيه إن أردت فدية عن أسيرك فهذا ولدك قد رددته عليك وإن أبيت إلا المخالفة ومفارقة الجماعة قابلناك على فعلك فلما وصل بدر والرسول إلى همذان تخلف بدر وسار الرسول إليه فامتعض من قوله وخالف طغرلبك وسار إلى حلوان وأراد أخذها فلم يمكنه وتردد بين روشنقباذ والبردان وكاتب الملك الرحيم وصار فى طاعته فسار إليه إبراهيم ابن إسحق وسخت كمان وهما من أعيان عسكر طغرلبك فى عسكر مع بدر بن المهلهل فأوقعوا به فانهزم هو وأصحابه وعاد الغز عنهم إلى حلوان وسار بدر إلى شهرزور فى طائفة من الغز ومضى سعدى إلى قلعة روشنقباذ.

---

(١) وفيها مات محمد بن أحمد بن أحمد، أبو جعفر السمنانى القاضى، أحد المتكلمين على طريقة الشيخ أبى الحسن الأشعرى، وقد سمع الدارقطنى وغيره كان عالما فاضلا سخيا تولى القضاء بالموصل، وكان له فى داره مجلس للمناظرة، وتوفى لما كف بصره بالموصل وهو قاضيها، فى ربيع الأول منها وقد بلغ خمسا وثمانين سنة، سامحه الله.

Marfat.com

Marfat.com

﴿ ذكر عود الأمير أبي منصور إلى شيراز ﴾ فى هذه السنه فى شوال عاد الأمير ابو منصور فولاستون ابن الملك أبى كاليجار إلى شيراز مستوليا عليها وفارقها أخوه الأمير أبو سعد وكان سبب ذلك أن الأمير أبا سعد كان قد تقدم معه فى دولته إنسان يعرف بعميد الدين أبى نصر بن الظهير فتحكم معه واطرح الأجناد واستخف بهم وأوحش أبا نصر بن خسرو صاحب قلعة اصطخر الذى كان قد استدعى الأمير أباسعد وملكه فلما فعل ذلك اجتمعوا على مخالفته وتألبوا عليه وأحضر أبو نصر بن خسرو الأمير ابا منصور بن أبى كاليجار إليه وسعى فى اجتماع الكلمة عليه فأجابه كثير من الأجناد لكراهتهم لعميد الدين فقبضوا عليه ونادوا بشعار الأمير أبى منصور وأظهروا طاعته وأخرجوا الأمير أبا سعد عنهم فعاد إلى الأهواز فى نفر يسير ودخل الأمير أبو منصور إلى شيراز مالكالها مستوليا عليها وخطب فيها لطغرلبك وللملك الرحيم ولنفسه بعدهما .

﴿ ذكر إيقاع البساسيرى بالأكراد والأعراب ﴾ وفيها فى شوال وصل الخبر إلى بغداد بأن جمعا من الأكراد وجمعا من الأعراب قد أفسدوا فى البلاد وقطعوا الطريق ونهبوا القرى طمعا فى السلطنة بسبب الغز فسار إليهم البساسيرى جريدة وتبعهم إلى البوازيج فأوقع بطوائف كثيرة منهم وقتل فيهم وغنم أموالهم وانهزم بعضهم فعبروا الزاب عند البوازيج فلم يدركهم وأراد العبور إليهم وهم بالجانب الآخر وكان الماء زائداً فلم يتمكن من عبوره فنجوا .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة توفى الشريف أبو تمام محمد بن محمد بن على الزينبى نقيب النقباء وقام بعده فى النقابة ابنه أبو على وفيها توفى أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن أحمد البرمكى وكان مكثرا من الحديث سمع ابن مالك القطيعى وغيره وإنما قيل البرمكى لأنه سكن محلة ببغداد تعرف بالبرامكة وقيل كان من قرية عند البصرة تعرف بالبرمكية . (١)

﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر فتنة الأتراك ببغداد ﴾ فى هذه السنة فى المحرم كانت فتنة الأتراك ببغداد ، وكان سببها أنهم تخلف لهم على الوزير الذى للملك الرحيم مبلغ كثير من رسومهم فطالبوه وألحوا عليه فاختفى فى دار الخلافة فحضر الأتراك بالديوان وطالبوه وشكوا مايلقونه منه من المطال بمالهم فلم يجابوا إلى إظهاره فعدلوا عن الشكوى منه إلى الشكوى من الديوان ، وقالوا إن أرباب المعاملات قد سكنوا بالحريم وأخذوا الأموال وإذا طلبناهم بها يمتنعون بالمقام بالحريم وانتصب الوزير والخليفة لمنعنا عنهم وقد هلكنا فتردد الخطاب منهم والجواب عنه فقاموا نافرين فلما كان الغد ظهر الخبر أنهم على عزم حصر دار الخلافة فانزعج الناس لذلك وأخفوا أموالهم وحضر البساسيرى دار الخلافة وتوصل إلى معرفة خبر الوزير فلم يظهر له على خبر فطلب من داره ودور من ينهم به وكبست الدور فلم يظهروا له على خبر ، وركب جماعة من الأتراك إلى دار الروم فنهبوها وأحرقوا البيع

---

(١) فى هذه السنة توفى اسماعيل بن على بن الحسين بن محمد بن زنجويه ـ أبو سعيد الرازى المعروف بالسمان شيخ المعتزلة سمع الحديث الكثير وكتب عن أربعة آلاف شيخ وكان عالما عارفا فاضلا مع اعتزاله ومن كلامه : من لم يكتب الحديث لم يتغرغر بحلاوة الإسلام ، وكان حنفى المذهب عالما بالخلاف والفرائض والحساب وأسماء الرجال وقد ترجم ابن عساكر فى تاريخه فأطنب فى شكره والثناء عليه ـ وفيها توفى محمد بن أبى تمام الزينبى نقيب النقباء قام ببغداد بعد أبيه مقامه بالنقابة .

والقلايات ونهبوا فيها دار أبى الحسن بن عبيد وزير البساسيرى وقام أهل نهر المعلى وباب الأزج وغيرهما من المحال فى منافذ الدروب لمنع الأتراك وانخرق الأمر ونهب الأتراك كل من ورد إلى بغداد فغلت الأسعار وعدمت الأقوات وأرسل إليهم الخليفة ينهاهم فلم ينتهوا فأظهر أنه يريد الانتقال عن بغداد فلم يزجروا ، هذا جميعه والبساسيرى غير راض بفعلهم وهو مقيم بدار الخليفة وتردد الأمر إلى أن ظهر الوزير وقام لهم بالباقى من مالهم من ماله وأثمان دوابه وغيرها ولم يزالوا فى خبط وعسف فعاد طمع الأكراد والأعراب أشد منه أولا وعاودوا الغارة والنهب والقتل فخربت البلاد وتفرق أهلها وانحدر أصحاب قريش بن بدران من الموصل طامعين فكبسوا حلل كامل بن محمد بن المسيب وهى بالبردان فنهبوها وبها دواب وجمال بخاتى للبساسيرى فأخذوا الجميع ووصل الخبر إلى بغداد فازداد خوف الناس من العامة والأتراك وعظم انحلال أمر السلطنة بالكلية وهذا من ضرر الخلاف .

﴿ ذكر استيلاء طغرلبك على أذربيجان وغزو الروم ﴾ فى هذه السنة سار طغرلبك إلى أذربيجان فقصد تبريز وصاحبها الأمير أبو منصور وهسوذان بن محمد الروادى فأطاعه وخطب له وحمل إليه ما أرضاه به وأعطاه ولده رهينة فسار طغرلبك عنه إلى الأمير أبى الأسوار صاحب جنزة فأطاعه أيضا وخطب له وكذلك سائر تلك النواحى أرسلوا إليه يبذلون الطاعة والخطبة وانقاد العساكر إليه فأبقى بلادهم عليهم وأخذ رهائنهم وسار إلى أرمينية وقصد ملازكرد وهى للروم فحصرها وضيق على أهلها ونهب ما جاورها من البلاد وأخربها وهى مدينة حصينة فأرسل إليه نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر الهدايا الكثيرة والعساكر وقد كان خطب له قبل هذا الوقت وأطاعه وأثر السلطان طغرلبك فى غزو الروم آثارا عظيمة ونال منهم من النهب والقتل والأسر شيئا كثيرا وبلغ فى غزوته هذه إلى أرزن الروم وعاد إلى أذربيجان لما هجم الشتاء من غير أن يملك ملازكرد وأظهر أنه يقيم إلى أن ينقضى الشتاء ويعود يتم غزاته ثم توجه إلى الرى فأقام بها إلى أن دخلت سنة سبع وأربعين وعاد نحو العراق على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر محاربة بنى خفاجة وهزيمتهم ﴾ فى هذه السنة فى رجب قصد بنو خفاجة الجامعين وأعمال نور الدولة دبيس ونهبوا وفتكوا فى أهل تلك الأعمال وكان نور الدولة شرقى الفرات وخفاجة غربيها فأرسل نور الدولة إلى البساسيرى يستنجده فسار إليه فلما وصل عبر الفرات من ساعته وقاتل خفاجة وأجلاهم عن الجامعين فانهزموا منه ودخلوا البر فلم يتبعهم وعاد عنهم فرجعوا إلى الفساد فاستعد لسلوك البر خلفهم أين قصدوا وعطف نحوهم قاصدا حربهم فدخلوا البر أيضا فتبعهم فلحقهم بخفان وهو حصن بالبر فأوقع بهم وقتل منهم ونهب أموالهم وجمالهم وعبيدهم وإماءهم وشردهم كل مشرد وحصر خفان ففتحه وخربه وأراد تخريب القائم به وهو بناء من آجر وكلس وصانع عنه صاحبه ربيعة بن مطاع بمال بذله فتركه وعاد إلى البلاد وهذا القائم قيل إنه كان علما يهتدى به السفن لما كان البحر يجىء إلى النجف ودخل بغداد ومعه خمسة وعشرون رجلا من خفاجة عليهم البرانس وقد شدهم بالحبال إلى الجمال وقتل منهم جماعة وصلب جماعة وتوجه إلى حربى فحصرها وقرر على أهلها تسعة آلاف دينار وأمنهم .

﴿ ذكر استيلاء قريش بن بدران على الأنبار والخطبة لطغرلبك بأعماله ﴾ فى شعبان من هذه السنة حصر الأمير أبو المعالى قريش بن بدران صاحب الموصل مدينة الأنبار وفتحها وخطب لطغرلبك فيها وفى سائر

Marfat.com

أهماله ونهب ما كان فيها للبساسيرى وغيره ونهب حلل أصحابه بالخالص وفتحوا بثوقه فامتعض البساسيرى من ذلك وجمع جموعا كثيرة وقصد الأنبار وحربى فاستعادهما على ماذكره إن شاء الله تعالى.

﴿ذكر وفاة القائد بن حماد وما كان من أهله بعده﴾ فى هذه السنة فى رجب توفى القائد بن حماد وأوصى إلى ولده محسن وأوصاه بالإحسان إلى عمومته فلما مات خالف ماأمره به وأراد عزل جميعهم فلما سمع عمه يوسف بن حماد بما عزم عليه خالفه وجمع جمعا عظيما وبنى قلعة فى جبل منيع وسماها الطيارة ثم إن محسنا قتل من عمومته أربعة فازداد يوسف نفورا وكان ابن عمه بلكين بن محمد فى بلده أفريون فكتب اليه محسن يستدعيه فسار اليه فلما قرب منه أمر محسن رجالا من العرب أن يقتلوه فلما خرجوا قال لهم أميرهم خليفة بن مكن إن بلكين لم يزل محسنا الينا فكيف نقتله فأعلموه ماأمرهم به محسن فخاف فقال له خليفة لاتخف وإن كنت تريد قتل محسن فأنا أقتله لك فاستعد بلكين لقتاله وسار اليه فلما علم محسن بذلك وكان قد فارق القلعة عاد هارباً إليها فأدركه بلكين فقتله وملك القلعة وولى الأمر وكان ملكه القلعة سنة سبع وأربعين وأربعمائة.

﴿ذكر ابتداء الوحشة بين البساسيرى والخليفة﴾ فى شهر رمضان من هذه السنة ابتدأت الوحشة بين الخليفة والبساسيرى وسبب ذلك أن أبا الغنائم وأباسعد ابنى المحلبان صاحبى قريش بن بدران وصلا إلى بغداد سرا فامتعض البساسيرى من ذلك وقال هؤلاء وصاحبهم كبسوا حلل أصحابى ونهبوا وفتحوا البثوق وأسرفوا فى إهلاك الناس وأراد أخذهم فلم يمكن منهم فمضى إلى حربى وعاد ولم يقصد دار الخلافة على عادته فنسب ذلك إلى رئيس الرؤساء واجتازت به سفينة لبعض أقارب رئيس الرؤساء فمنعها وطالب بالضريبة التى عليها وأسقط مشاهرات الخليفة من دار الضرب وكذلك مشاهرات رئيس الرؤساء وحواشى الدار وأراد هدم دور بنى المحلبان فمنع منه فقال ماأشكو إلا من رئيس الرؤساء الذى قدخرب البلاد وأطمع الغز وكاتبهم ودام ذلك إلى ذى الحجة فسار البساسيرى إلى الأنبار وأحرق ناحيتى دمما والفلوجة وكان أبو الغنائم ابن المحلبان بالأنبار قد أتاها من بغداد وورد نور الدولة دبيس إلى البساسيرى معاونا له على حصرها ونصب البساسيرى عليها المجانيق فهدم برجا ورماهم بالنفط فأحرق أشياء كان قد أعدها أهل البلد لقتاله ودخلها قهرا فأسر مائة نفس من بنى خفاجة وأسر أبا الغنائم بن المحلبان فأخذ وقد ألقى نفسه فى الفرات ونهب الأنبار وأسر من أهلها خمسمائة رجل وعاد إلى بغداد وبين يديه أبو الغنائم على جمل وعليه قميص أحمر وعلى رأسه برنس وفى رجليه قيد وأراد صلبه وصلب من معه من الأسرى فسأله نور الدولة أن يؤخر ذلك حتى يعود وأتى البساسيرى إلى مقابل التاج فقبل الأرض وعاد إلى منزله وترك أبا الغنائم لم يصلبه وصلب جماعة من الأسرى فكان هذا أول الوحشة.

﴿ذكر وصول الغز الى الدسكرة وغيرها﴾ فى شوال من هذه السنة وصل إبراهيم بن إسحق وهو من الأمراء الغزية السلجوقية إلى الدسكرة وكان مقيما بحلوان فلما وصل إليها قاتله أهلها ثم ضعفوا وعجزوا وهربوا متفرقين ودخل الغز البلد فنهبوه أقبح نهب وضربوا النساء وأولادهن فاستخرجوا بذلك أموالا كثيرة وساروا إلى روشنقباذ لفتحها وهى بيد سعدى وامواله فيها وفى قلعة البردان وكان سعدى قد فارق طاعة السلطان طغرلبك على ماذكرناه فلم يفتحها وأجلى أهل تلك البلاد وخربت القرى ونهبت أموال أهلها وسار طائفة أخرى من الغز الى نواحى الأهواز وأعمالها فنهبوها واجتاحوا أهلها وقوى طمع الغز فى البلاد وانخذل

Marfat.com

الديلم ومن معهم من الأتراك وضعفت نفوسهم ثم سير طغرلبك الأمير أباعلى بن الملك أبى كاليجار الذى كان صاحب البصرة فى جيش من الغز الى خوزستان ليملكها فوصل سابور خواست وكاتب الديلم الذين بالأهواز يدعوهم إلى طاعته ويعدهم الإحسان إن أجابوا والعقوبة إن امتنعوا فمنهم من أطاع ومنهم من خالف فسار إلى الأهواز فملكها واستولى عليها ولم يعرض لأحد فى مال ولا غيره فلم يوافقه الغز على ذلك ومدوا أيديهم إلى النهب والغارة والمصادرة ولقى الناس منهم عنتا وشدة .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة كثرت الصراصر ببغداد حتى كان يسمع لها بالليل دوى كدوى الجراد إذا طار . وفيها فى ذى الحجة توفى أبو حسان المقلد بن بدران أخو قريش بن بدران صاحب الموصل . وفيها فى شوال توفى قسطنطين ملك الروم زوج تذورة بنت قسطنطين الموسومة بالملك وإنما ملك قسطنطين هذا حيث تزوجها وفيها توفى عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله الأصبهانى المعروف بابن اللبان الفقيه الشافعى وهو من أصحاب أبى حامد الإسفرايينى ، وروى الحديث عن ابن المقرى والمخلص وغيرهما ، وتوفى فيها أحمد بن عمر بن روح أبو الحسن النهروانى وله شعر جيد فمنه أنه سمع رجلا يتغنى وهو يقول :

وماطلبوا سوى قتلى فهان علىّ ماطلبوا

فاستوقفه وقال له أضف اليه فقال :

على قلبى الأحبة بالتمادى فى الهوى غلبوا
وبالهجران من عينىّ طيب النوم قد سلبوا
وماطلبوا سوى قتلى فهان علىّ ماطلبوا

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر استيلاء الملك الرحيم على شيراز وقطع خطبة طغرلبك فيها ﴾ فى هذه السنة فى المحرم سار قائد كبير من الديلم يسمى فولاذ وهو صاحب قلعة اصطخر إلى شيراز فدخلها وأخرج عنها الأمير أبا منصور فولاستون ابن الملك أبى كاليجار فقصد فيروزاباذ وأقام بها وقطع فولاذ خطبة السلطان طغرلبك فى شيراز وخطب الملك الرحيم ولأخيه أبى سعد وكاتبهما يظهر لهما الطاعة فعلما أنه يخدعهما بذلك فسار اليه أبو سعد وكان بأرجان ومعه عساكر كثيرة واجتمع هو وأخوه الأمير أبو منصور على قصد شيراز ومحاصرتها على قاعدة استقرت بينهما من طاعة أخيهما الملك الرحيم فتوجها نحوهما فيمن معهما من العساكر وحصرا فولاذ فيها وطال الحصار إلى أن عدم القوت فيها . وبلغ السعر سبعة أرطال حنطة بدينار ومات أهلها جوعا وكان من بقى فيها نحو ألف إنسان وتعذر المقام فى البلد على فولاذ فخرج هاربا مع من فى صحبته من الديلم إلى نواحى البيضاء وقلعة اصطخر ودخل الأمير أبو سعد والأمير أبو منصور شيراز وعساكرهما وملكوها وأقاموا بها .

﴿ ذكر قتل أبى حرب بن مروان صاحب الجزيرة ﴾ فى هذه السنة قتل الأمير أبو حرب سليمان بن نصر الدولة ابن مروان وكان والده قد سلم إليه الجزيرة وتلك النواحى ليقيم بها ويحفظها ، وكان شجاعا مقداما فاستبد بالأمر واستولى عليها فجرى بينه وبين الأمير موسك بن المجلى بن زعيم الأكراد البختية وله حصون منيعة شرقى الجزيرة نفرة ، ثم راسله أبو حرب واستماله وسعى أن يزوجه ابنة الأمير أبى طاهر البشنوى صاحب قلعة فنك وغيرها

Marfat.com

من الحصون وكان أبوطاهر هذا ابن أخت نصر الدولة بن مروان فلم يخالف أبوطاهر صاحب فنك أبا حرب فى الذى أشار به من ترويج الأمير موسك فزوجه ابنته ونقلها إليه فاطمأن حينئذ موسك وسار إلى سليمان فغدر به وقبض عليه وحبسه ووصل السلطان طغرلبك إلى تلك الأعمال لما توجه إلى غزو الروم على ماذكرناه فأرسل إلى نصر الدولة يشفع فى موسك فأظهر أنه توفى فشق ذلك على حميه أبى طاهر البشنوى وأرسل إلى نصر الدولة وابنه سليمان فقال لهما حيث أردتما قتله فلم جعلتما ابنتى طريقا إلى ذلك وقلدتمونى العار وتنكر لهما وخافه أبوحرب فوضع عليه من سقاه سما فقتله وولى بعده ابنه عبيدالله فأظهر له أبوحرب المودة استصلاحا له وتبرأ إليه من كل ماقيل عنه واستقر الأمر بينهما على الاجتماع وتجديد الأيمان فنزلوا من فنك وخرج إليهم أبوحرب من الجزيرة فى نفر قليل فقتلوه وعرف والده ذلك فأقلقه وأزعجه وأرسل ابنه نصراً إلى الجزيرة ليحفظ تلك النواحى ويأخذ بثأر أخيه وسير معه جيشا كثيفا ، وكان الأمير قريش بن بدران صاحب الموصل لما سمع قتل أبى حرب انتهز الفرصة وسار إلى الجزيرة ليملكها وكاتب البختية والبشنوية واستمالهم فنزلوا إليه واجتمعوا معه على قتال نصر بن مروان فالتقوا واقتتلوا قتالا شديداً كثر فيه القتلى وصبر الفريقان فكانت الغلبة أخيراً لابن مروان وجرح قريش جراحة قوية بزوبين رمى به وعاد عنه ، وثبت أمر ابن مروان بالجزيرة وعاود مراسلة البشنوية والبختية واستمالهم لعله يجد فيهم طمعا فلم يطيعوه .

﴿ ذكر وثوب الأتراك ببغداد بأهل البساسيرى والقبض عليه ونهب دوره وأملاكه وتأكد الوحشة بينه وبين رئيس الرؤساء ﴾ فى هذه السنة ثارت فتنة ببغداد بالجانب الشرقى بين العامة وثار جماعة من أهل السنة وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وحضروا الديوان وطلبوا أن يؤذن لهم فى ذلك وأن يتقدم إلى أصحاب الديوان بمساعدتهم فأجيبوا إلى ذلك وحدث من ذلك شر كثير ، ثم إن أبا سعد النصرانى صاحب البساسيرى حمل فى سفينة ستمائة جرة خمرا ليحدرها إلى البساسيرى بواسط فى ربيع الآخر فحضر ابن سكرة الهاشمى وغيره من الأعيان فى هذا الباب وتبعهم خلق كثير وحاجب باب المراتب من قبل الديوان وقصدوا السفينة وكسروا جرار الخمر وأراقوه ، وبلغ ذلك البساسيرى فعظم عليه ونسبه إلى رئيس الرؤساء وتجددت الوحشة ، فكتب فتاوى أخذ فيها خطوط الفقهاء الحنفية بأن الذى فعل من كسر الجرار وإراقة الخمر تعد غير واجب ، وهى ملك رجل نصرانى لايجوز وتردد القول فى هذا المعنى فتأكدت الوحشة من الجانبين ووضع رئيس الرؤساء الأتراك البغداديين على ثلب البساسيرى والذم له ونسب كل مايجرى عليهم من نقض إليه فطمعوا فيه وسلكوا فى هذا المعنى زيادة على ما أراد رئيس الرؤساء وتمادت الأيام إلى رمضان فحضروا دار الخلافة واستأذنوا فى قصد دور البساسيرى ونهبها فأذن لهم فى ذلك فقصدوها ونهبوها وأحرقوها ونكلوا بنسائه وأهله ونوابه ونهبوا دوابه وجميع مايملكه ببغداد وأطلق رئيس الرؤساء لسانه فى البساسيرى وذمه ونسبه إلى مكاتبة المستنصر صاحب مصر وأفسد الحال مع الخليفة إلى حد لا يرجى صلاحه ، وأرسل إلى الملك الرحيم يأمره بإبعاد البساسيرى فأبعده وكانت هذه الحالة من أعظم الأسباب فى ملك السلطان طغرلبك العراق وقبض الملك الرحيم وسيرد من ذلك ماتراه إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر وصول طغرلبك إلى بغداد والخطبة له بها ﴾ قد ذكرنا قبل مسير طغرلبك إلى الرى بعد عوده من غزو الروم للنظر فى ذلك الطرف فلما فرغ من الرى عاد إلى همذان فى المحرم من هذه السنة وأظهر أنه يريد

Marfat.com

الحج وإصلاح طريق مكة والمسير إلى الشام ومصر وإزالة المستنصر العلوى صاحبها وكاتب أصحابه بالدينور وقرميسين وحلوان وغيرها فأمرهم بإعداد الأقوات والعلوفات فعظم الإرجاف ببغداد وفت فى أعضاد الناس وشغب الأتراك ببغداد وقصدوا ديوان الخلافة ووصل السلطان طغرلبك إلى حلوان وإنتشر أصحابه فى طريق خراسان فأجفل الناس إلى غربى بغداد وأخرج الأتراك خيامهم إلى ظاهر بغداد وسمع الملك الرحيم بقرب طغرلبك من بغداد فأصعد من واسط إليها وفارقه البساسيرى فى الطريق لمراسلة وردت من القائم فى معناه إلى الملك الرحيم أن البساسيرى خلع الطاعة وكاتب الأعداء يعنى المصريين وأن الخليفة له على الملك عهود وله على الخليفة مثلها فإن آثره فقد قطع ما بينهما وإن أبعده وأصعد إلى بغداد تولى الديوان تدبير أمره فقال الملك الرحيم ومن معه نحن لأوامر الديوان متبعون وعنه منفصلون . وكان سبب ذلك ما ذكر وسار البساسيرى إلى بلد نور الدولة دبيس بن مزيد لمصاهرة بينهما وأصعد الملك الرحيم إلى بغداد وأرسل طغرلبك رسولا إلى الخليفة يبالغ فى إظهار الطاعة والعبودية وإلى الأتراك البغداديين يعدهم الجميل والإحسان فأنكر الأتراك ذلك وراسلوا الخليفة فى المعنى وقالوا إننا فعلنا بالبساسيرى مافعلنا وهو كبيرنا ومقدمنا بتقدم أمير المؤمنين ووعدنا أمير المؤمنين بإبعاد هذا الخصم عنا ونراه قد قرب منا ولم يمنع من المجىء وسألوا التقدم عليه فى العود فغولطوا فى الجواب . وكان رئيس الرؤساء يؤثر مجيئه ويختار انقراض الدولة الديلمية ثم إن الملك الرحيم وصل إلى بغداد منتصف رمضان وأرسل إلى الخليفة يظهر له العبودية وأنه قد سلم أمره إليه ليفعل ما تقتضيه العواطف معه فى تقرير القواعد مع السلطان طغرلبك وكذلك قال من مع الرحيم من الأمراء فأجيبوا بأن المصلحة أن يدخل الأجناد خيامهم من ظاهر بغداد وينصبوها بالحريم ويرسلوا رسولا إلى طغرلبك يبذلون له الطاعة والخطبة فأجابوا إلى ذلك وفعلوه وأرسلوا رسلا إليه فأجابهم إلى ما طلبوا ووعدهم الإحسان إليهم وتقدم الخليفة إلى الخطباء بالخطبة لطغرلبك بجوامع بغداد فخطب له يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان من السنة وأرسل طغرلبك يستأذن الخليفة فى دخول بغداد فأذن له فوصل إلى النهروان وخرج الوزير رئيس الرؤساء إلى لقائه فى موكب عظيم من القضاة والنقباء والأشراف والشهود والخدم وأعيان الدولة وصحبه أعيان الأمراء من عسكر الرحيم فلما علم طغرلبك بهم أرسل إلى طريقهم الأمراء ووزيره أبا نصر الكندرى فلما وصل رئيس الرؤساء إلى السلطان أبلغه رسالة الخليفة واستحلفه للخليفة وللملك الرحيم وأمراء الأجناد وسار طغرلبك ودخل بغداد يوم الإثنين لخمس بقين من الشهر ونزل بباب الشماسية ووصل إليه قريش بن بدران صاحب الموصل وكان فى طاعته فى هذا الوقت على ما ذكرناه .

﴿ ذكر وثوب العامة ببغداد بعسكر السلطان طغرلبك وقبض الملك الرحيم ﴾ لما وصل السلطان طغرلبك بغداد دخل عسكره البلد للامتيار وشراء ما يريدونه من أهلها وأحسنوا معاملتهم فلما كان الغد وهو يوم الثلاثاء جاء بعض العسكر إلى باب الأزج وأخذ واحدا من أهله ليطلب منه تبنا وهو لا يفهم ما يريدون فاستغاث عليهم وصاح العامة بهم ورجموهم وهاجوا عليهم وسمع الناس الصياح فظنوا أن الملك الرحيم وعسكره قد عزموا على قتال طغرلبك فارتج البلد من أقطاره وأقبلوا من كل حدب ينسلون يقتلون من الغز من وجد فى محال بغداد إلا أهل الكرخ فإنهم لم يتعرضوا إلى الغز بل جمعوهم وحفظوهم وبلغ السلطان طغرلبك ما فعله أهل الكرخ من حماية أصحابه فأمر بإحسان معاملتهم فأرسل عميد الملك الوزير إلى عدنان بن الرضى نقيب العلويين يأمره بالحضور فحضر

Marfat.com

فشكره عن السلطان وترك عنده خيلا بأمر السلطان تحرسه وتحرس المحلة وأما عامة بغداد فلم يقنعوا بما عملوا حتى خرجوا ومعهم جماعة من العسكر إلى ظاهر بغداد يقصدون العسكر السلطانى فلو تبعهم الملك الرحيم وعسكره لبلغوا ماأرادوا لكن تخلفوا ودخل أعيان أصحابه إلى دار الخلافة وأقاموا بها نفيا للتهمة عن أنفسهم ظنا منهم أن ذلك ينفعهم وأما عسكر طغرلك فلما رأوا فعل العامة وظهورهم من البلد قاتلوهم فقتل بين الفريقين جمع كثير وانهزمت العامة وجرح فيهم وأسر كثير ونهب الغز درب يحيى ودرب سليم وبه دور رئيس الرؤساء ودور أهله فنهب الجميع ونهبت الرصافة وترب الخلفاء وأخذ منها من الأموال مالا يحصى لأن أهل تلك الأصقاع نقلوا اليها أموالهم اعتقادا منهم أنها محترمة ووصل النهب إلى أطراف نهر المعلى واشتد البلاء على الناس وعظم الخوف ونقل الناس أموالهم إلى باب النوبى وباب العامة وجامع القصر فتعطلت الجمعات لكثرة الزحمة وأرسل طغرلبك من الغد إلى الخليفة يعتب وينسب ماجرى إلى الملك الرحيم وأجناده ويقول إن حضروا برئت ساحتهم وإن تأخروا عن الحضور أيقنت أن ماجرى إنما كان بوضع منهم وأرسل للملك الرحيم وأعيان أصحابه أمانا لهم فتقدم اليهم الخليفة بقصده فركبوا اليه وأرسل الخليفة معهم رسولا يبرئهم مما خامر خاطر السلطان فلما وصلوا إلى خيامه نهبهم الغز ونهبوا رسل الخليفة معهم وأخذوا دوابهم وثيابهم ولما دخل الملك الرحيم إلى خيمة السلطان أمر بالقبض عليه وعلى من معه فقبضوا كلهم آخر شهر رمضان وحبسوا ثم حمل الرحيم إلى قلعة السيروان وكانت ولاية الملك الرحيم على بغداد ست سنين وعشرة أيام ونهب أيضا قريش بن بدران صاحب الموصل ومن معه من العرب ونجا مسلوبا فاحتمى بخيمة بدر بن المهلهل فألقوا عليه الزلالى حتى أخفوه بها عن الغز ثم علم السلطان ذلك فأرسل إليه وخلع عليه وأمره بالعود إلى أصحابه وحلله تسكينا له وأرسل الخليفة إلى السلطان ينكر ماجرى من قبض الرحيم وأصحابه ونهب بغداد ويقول إنهم إنما خرجوا إليك بأمرى وأمانى فإن أطلقتهم وإلا فانا أفارق بغداد فإنى إنما اخترتك واستدعيتك اعتقاداً منى أن تعظيم الأوامر الشريفة تزداد وحرمة الحريم تعظم وأرى الأمر بالضد فأطلق بعضهم وأخذ جميع أقطاعات عسكر الرحيم وأمرهم بالسعى فى أرزاق يحصلونها لأنفسهم فتوجه كثير منهم إلى البساسيرى ولزموه فكثر جمعه ونفق سوقه وأمر طغرلبك بأخذ أموال الأتراك البغداديين وأرسل إلى نور الدولة دبيس يأمره بإبعاد البساسيرى عنه ففعل فسار إلى رحبة مالك بالشام على ماذكره وكاتب المستنصر صاحب مصر بالدخول فى طاعته وخطب نور الدولة لطغرلبك فى بلاده وانتشر الغز السلجوقية فى سواد بغداد فنهبوا من الجانب الغربى من تكريت إلى النيل ومن الشرقى إلى النهروانات وأسافل الأعمال وأسرفوا فى النهب حتى بلغ ثمن الثور ببغداد خمسة قراريط إلى عشرة والحمار بقيراطين إلى خمسة وخرب السواد وأجلى أهله عنه وضمن السلطان طغرلبك البصرة والأهواز من هزارسب بن بنكير بن عياض بثلثمائة ألف وستين ألف دينار وأقطعه أرجان وأمره أن يخطب لنفسه بالأهواز دون الأعمال التى ضمها وأقطع الأمير أبا على بن أبى كاليجار الملك قرميسين وأعمالها وأمر أهل الكرخ أن يؤذنوا فى مساجدهم سحراً الصلاة خير من النوم وأمر بعمارة دار المملكة فعمرت وزيد فيها وانتقل إليها فى شوال .

(ذكر عدة حوادث) فى هذه السنة وقعت الفتنة بين الفقهاء الشافعية والحنابلة ببغداد ومقدم الحنابلة أبو على بن الفراء وابن التميمى وتبعهم من العامة الجم الغفير وأنكروا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ومنعوا

Marfat.com

من الترجيع فى الأذان والقنوت فى الفجر ووصلوا إلى ديوان الخليفة ولم ينفصل حال وأتى الحنابلة إلى مسجد بباب الشعير فهوا إمامه عن الجهر بالبسملة فأخرج مصحفا، وقال أزيلوها من المصحف حتى لا أتلوها. وفيها كان بمكة غلاء شديد وبلغ الخبز عشرة أرطال بدينار مغربى ثم تعذر وجوده فأشرف الناس والحجاج على الهلاك بأرسل الله تعالى عليهم من الجراد ماملأ الأرض فتعوض الناس به ثم عاد الحاج فسهل الأمر على أهل مكة وكان سبب هذا الغلاء عدم زيادة النيل بمصر عن العادة فلم يحمل منها الطعام إلى مكة. وفيها ظهر باليمن إنسان يعرف بابى كامل على بن محمد الصليحى واستولى على اليمن وكان معظما فجمع إلى نفسه جمعا وانتمى إلى صاحب مصر وتظاهر بطاعته فكثر جمعه وتبعه واستولى على البلاد وقوى على ابن سادل وابن الكريدى المقيمين بها على طاعة القائم بأمر الله، وكان يتظاهر بمذهب الباطنية. وفيها خطب محمود الخفاجى للمستنصر العلوى صاحب مصر بشفاثا والعين صار فى طاعته. وفيها فى شوال توفى قاضى القضاة أبو عبدالله الحسين بن على بن ماكولا، ومولده سنة ثمان وستين وثلثمائة وبقى فى القضاء سبعا وعشرين سنة، وكان شافعيا ورعا نزها أمينا وولى بعده أبو عبدالله محمد بن على بن الدامغانى الحنفى. وفيها فى ذى القعدة توفى ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن أمير المؤمنين ومولده فى جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة. وفيها قبض الملك الرحيم قبل وصول طغرلبك إلى بغداد على الوزير أبى عبدالله عبدالرحمن بن الحسين بن عبدالرحيم وطرح فى بئر فى دار المملكة وطم عليه، وكان وزيرا متحكما فى دولته. وفيها فى المحرم توفى القاضى أبو القاسم على بن المحسن بن على التنوخى (١) ومولده بالبصرة سنة خمس وستين وثلثمائة وخلف ولدا صغيرا وهو أبو الحسن محمد بن على ثم توفى فى شوال سنة أربع وتسعين وأربعمائة وانقرض بيته بموته، قال القاضى أبو عبد الله بن الدامغانى دخلت على أبى القاسم قبل موته بقليل فأخرج إلىّ ولده هذا من جاريته وبكى فقلت تعيش إن شاء الله وتربيه فقال هيهات والله ما يتربى إلا يتيما وأنشد:

أرى ولد الفتى كلا عليه * لقد سعد الذى أمسى عقيما
فإما أن تربيه عدوا * وإما أن تخلفه يتيما

فتربى يتيما كما قال، وفى جمادى الأولى توفى أبو محمد الحسن بن رجاء الدهان اللغوى. وفى جمادى الآخرة فيها توفى أبو القاسم منصور بن حمزة بن إبراهيم الكرخى من كرخ حدان، الفقيه الشافعى. وفى رجب توفى أبو نصر أحمد بن محمد الثابتى الفقيه الشافعى وهما من شيوخ أصحاب أبى حامد الإسفرايينى. وفى شعبان توفى أبو البركات حسين بن على بن عيسى الربعى النحوى وكان ينوب عن الوزراء ببغداد. (٢)

---

(١) نسبة إلى تنوخ: اسم لعدة قبائل اجتمعوا بالبحرين وتحالفوا على التناصر والتآزر فسموا تنوخا.

(٢) وفيها غلت الأسعار بنواحى الأهواز حتى بيع الكر بشيراز بألف دينار. وفيها مات الحسن بن على بن جعفر بن على بن محمد بن دلف بن أبى دلف العجلى قاضى القضاة، المعروف بابن ماكولا الشافعى وقد ولى القضاء بالبصرة، ثم ولى قضاء القضاة ببغداد سنة عشرين وأربعمائة فى خلافة المقتدر، وأقره ابنه القائم إلى أن مات فى هذه السنة، عن تسع وسبعين سنة، منها فى القضاء سبع وعشرون سنة وكان دينا لا يقبل من أحد هدية، ولا من الخليفة، وكان يذكر أنه سمع من أبى عبد الله بن منده، وله شعر حسن فمنه:

تصابى برهة من بعد شيب * فما أغنى المشيب عن التصابى =

Marfat.com

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر نكاح الخليفة ابنة داود أخى طغرلبك ﴾ فى هذه السنة فى المحرم جلس أمير المؤمنين القائم بأمر الله جلوسا عاما وحضر عميد الملك الكندرى وزير طغرلبك وجماعة من الأمراء منهم أبو على بن الملك أبى كاليجار وهزارسب بن بكير بن عياض الكردى وابن أبى الشوك وغيرهم من الأمراء الأتراك من عسكر طغرلبك وقام عميد الملك وزير طغرلبك وبيده دبوس ثم خطب رئيس الرؤساء وعقد العقد على أرسلان خاتون واسمها خديجة ابنة داود أخى السلطان طغرلبك وقبل الخليفة بنفسه النكاح وحضر العقد نقيب النقباء أبو علىّ بن أبى تمام وعدنان بن الشريف الرضى نقيب العلويين وأقضى القضاة الماوردى وغيرهم وأهديت خاتون إلى الخليفة فى هذه السنة أيضا فى شعبان وكانت والدة الخليفة قد سارت ليلا وتسلمتها وأحضرتها إلى الدار.

﴿ ذكر الحرب بين عبيد المعز بن باديس وعبيد ابنه تميم ﴾ فى هذه السنة وقعت الحرب بين عبيد المعز المقيمين بالمهدية وعبيد ابنه تميم بسبب منازعة أدّت إلى المقاتلة فقامت عامة زويلة وسائر من بها من رجال الأسطول مع عبيد تميم فأخرجوا عبيد المعز وقتل منهم كثير ومضى الباقون منهم يريدون المسير إلى القيروان فوضع عليهم تميم العرب فقتلوا منهم جماغفيرا وهذه النوبة هى سبب قتل تميم من قتل من عبيد أبيه لما ملك.

﴿ ذكر ابتداء الدولة الملثمين ﴾ فى هذه السنة كان ابتداء أمر الملثمين وهم عدة قبائل ينسبون إلى حمير أشهرها لمتونة ومنها أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين وجدالة ولمطة وكان أول مسيرهم من اليمن أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه فسيرهم إلى الشام وانتقلوا إلى مصر ودخلوا المغرب مع موسى بن نصير وتوجهوا مع طارق إلى طنجة فأحبوا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها إلى هذه الغاية فلما كان هذه السنة توجه رجل منهم اسمه الجوهر من قبيلة جدالة إلى إفريقية طالبا للحج وكان محبا للدين وأهله، فمر بفقيه بالقيروان وعنده جماعة يتفقهون قيل هو أبو عمران الفاسى فى غالب الظن فأصغى الجوهر اليه وأعجبه حالهم فلما انصرف من الحج قال للفقيه ما عندنا فى الصحراء من هذا شىء غير الشهادتين والصلاة فى بعض الخاصة فابعث معى من يعلمهم شرائع الإسلام فأرسل معه رجلا اسمه عبد الله بن ياسين الكزولى وكان فقيها صالحا شهما فسار معه حتى أتيا قبيلة لمتونة فنزل الجوهر عن جمله وأخذ بزمام جمل عبد الله بن ياسين تعظيما لشريعة الإسلام فأقبلوا إلى الجوهر يهنئونه بالسلامة وسألوه عن الفقيه فقال هذا حامل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء يعلمكم مايلزم فى دين الإسلام فرحبوا بهما وأنزلوهما وقالوا تذكر لنا شريعة الإسلام فعرفهم عقائد الإسلام وفرائضه فقالوا أما ماذكرت من الصلاة والزكاة فهو قريب وأما قولك من قتل يقتل ومن سرق يقطع ومن زنى يجلد أو يرجم فأمر لا نلتزمه إذهب إلى غيرنا فرحلا عنهم فنظر اليهما شيخ كبير فقال لابد وأن يكون لهذا الجمل فى هذه الصحراء شأن يذكر فى العالم فانتهى الجوهر والفقيه إلى جدالة قبيل الجوهر فدعاهم عبد الله

= وسود عارضيه بلون خضب * فلم ينفعه تسويد الخضاب
وأبدى للأحبة كل لطف * فما زادوا سوى فرط اجتناب
سلام الله عودا بعد بدء * على أيام ربعان الشباب
تولى عزمه يوما وأبقى * بقلبى حسرة ثم اكتئاب

Marfat.com

Marfat.com

ابن ياسين والقبائل الذين يجاورونهم إلى حكم الشريعة فمنهم من اطاع ومنهم من أعرض وعصى ثم إن المخالفين لهم تحيزوا وتجمعوا فقال ابن ياسين للذين أطاعوا قد وجب عليكم أن تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحق وأنكروا شرائع الإسلام واستعدوا لقتالكم فأقيموا لكم راية وقدموا عليكم أميرا فقال له الجوهر أنت الأمير فقال لا إنما أنا حامل أمانة الشريعة ولكن أنت الأمير فقال الجوهر لو فعلت هذا تسلط قبيلي على الناس ويكون وزر ذلك علي فقال له ابن ياسين الرأى أن نولى ذلك أبا بكر بن عمر رأس لمتونة وكبيرها وهو رجل سيد مشكور الطريقة مطاع في قومه فهو يستجيب لنا لحب الرياسة وتتبعه قبيلته فنتقوّى بهم فأتيا أبا بكر ابن عمر وعرضا ذلك عليه . فأجاب فعقدوا له للبيعة وسماه ابن ياسين أمير المسلمين وعادوا إلى جدالة وجمعوا إليهم من حسن إسلامه وحرضهم عبد الله بن ياسين على الجهاد في سبيل الله وسماهم مرابطين وتجمع عليهم من خالفهم فلم يقاتلهم المرابطون بل استعان ابن ياسين وأبو بكر بن عمر على أولئك الأشرار بالمصلحين من قبائلهم فاستمالوهم وقربوهم حتى حصلوا منهم نحو ألفي رجل من أهل البغى والفساد فتركوهم في مكان وخندقوا عليهم وحفظوهم ثم أخرجوهم قوما بعد قوم فقتلوهم فحينئذ دانت لهم أكثر قبائل الصحراء وهابوهم فقويت شوكة المرابطين هذا وعبد الله بن ياسين مشتغل بالعلم ، وقد صار عنده منهم جماعة يتفقهون ولما استبد بالأمر هو وأبو بكر بن عمر عن الجوهر الجدالى وبقى لا حكم له تداخله الحسد وشرع سرا في فساد الأمر فعلم بذلك منه وعقد له مجلس وثبت عليه ما نقل عنه فحكم عليه بالقتل لأنه نكس البيعة وشق العصا وأراد محاربة أهل الحق فقتل بعد أن صلى ركعتين وأظهر السرور بالقتل طلبا للقاء الله تعالى فاجتمعت القبائل على طاعتهم ومن خالفهم قتلوه فلما كان سنة خمسين وأربعمائة قحطت بلادهم فأمر ابن ياسين ضعفاءهم بالخروج إلى السوس وأخذ الزكاة فخرج منهم نحو تسعمائة رجل فقدموا سجلماسة وطلبوا الزكاة فجمعوا لهم شيئا له قدر وعادوا ثم إن الصحراء ضاقت عليهم وأرادوا إظهار كلمة الحق والعبور إلى الأندلس ليجاهدوا الكفار فخرجوا إلى السوس الأقصى فجمع لهم أهل السوس وقاتلوهم فانهزم المرابطون وقتل عبد الله بن ياسين الفقيه فعاد أبو بكر ابن عمر فجمع جيشا وخرج إلى السوس في ألفي راكب فاجتمع من بلاد السوس وزناتة إثنا عشر ألف فارس فأرسل إليهم وقال افتحوا لنا الطريق لنجوز إلى الأندلس ونجاهد أعداء الإسلام فأبوا من ذلك فصلى أبو بكر ودعا الله تعالى وقال اللهم إن كنا على الحق فانصرنا وإلا فأرحنا من هذه الدنيا ثم قاتلهم وصدق هو وأصحابه القتال فنصرهم الله تعالى وهزم أهل السوس ومن معهم وأكثر القتل فيهم وغنم المرابطون أموالهم وأسلابهم وقويت نفسه ونفوس أصحابه وساروا إلى سجلماسة فنزلوا عليها وطلبوا من أهلها الزكاة فامتنعوا عليهم وسار إليهم صاحب سجلماسة فقاتلهم فهزموه وقتلوا ودخلوا سجلماسة واستولوا عليها وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة .

﴿ذكر ولاية يوسف بن تاشفين﴾ لما ملك أبو بكر بن عمر سجلماسة استعمل عليها يوسف بن تاشفين اللمتوني وهو من بني عمه الأقربين ورجع إلى الصحراء فأحسن يوسف السيرة في الرعية ولم يأخذ منهم سوى الزكاة فأقام بالصحراء مدة ثم عاد أبو بكر بن عمر إلى سجلماسة فأقام بها سنة والخطبة والأمر والنهى له واستخلف عليها ابن أخيه أبا بكر بن إبراهيم بن عمر وجهز مع يوسف بن تاشفين جيشا من المرابطين إلى السوس ففتح على يديه وكان يوسف رجلا دينا خيرا حازما داهية مجربا وبقوا كذلك إلى

سنة اثنتين وستين وأربعمائة وتوفى أبو بكر بن عمر بالصحراء فاجتمعت طوائف المرابطين على يوسف بن تاشفين وملكوه عليهم ولقبوه أمير المسلمين وكانت الدولة فى بلاد الغرب لزناتة الذين ثاروا فى أيام الفتن وهى دولة ردية مذمومة سيئة السيرة لاسياسه ولاديانة وكان أمير المسلمين وطائفته على نهج السنة واتباع الشريعة فاستغاث به أهل المغرب فسار إليها وافتتحها حصنا حصنا وبلدا بلدا بأيسر سعى فأحبه الرعايا وصلحت أحوالهم ثم إنه قصد موضع مدينة مراكش وهو قاع صفصف لاعمارة فيه وهو موضع متوسط فى بلاد المغرب كالقيروان فى إفريقية ومراكش تحت جبال المصامدة الذين هم أشد أهل المغرب قوة وأمنعهم معقلا فاختط هناك مدينة مراكش ليقوى على قمع أهل تلك الجبال إن هموا بفتنة واتخذها مقرا فلم يتحرك أحد بفتنة وملك البلاد المتصلة بالمجاز مثل سبتة وطنجة وسلا وغيرها وكثرت عساكره وخرجت جماعة قبيلة لمتونة وغيرهم وضيقوا حينئذ لثامهم وكانوا قبل أن يملكوا يتلثمون فى الصحراء من الحر والبرد كما يفعل العرب والغالب على ألوانهم السمرة فلما ملكوا البلاد ضيقوا اللثام وقيل كان سبب اللثام لهم أن طائفة من لمتونة خرجوا غازين على عدو لهم فخالفهم العدو إلى بيوتهم ولم يكن بها إلا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ أنه العدو أمروا النساء أن يلبسن ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لايعرفن ويلبسن السلاح ففعلن ذلك وتقدم المشايخ والصبيان أمامهن واستدار النساء بالبيوت فلما أشرف العدو رأى جمعا عظيما فظنه رجالا فقال هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهن قتال الموت والرأى أن نسوق النعم ونمضى فإن اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم فبينما هم فى جمع النعم من المراعى إذ قد أقبل رجال الحى فوقى العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو فأكثروا وكان من قتل النساء أكثر فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب فلا يزيلونه ليلا ولانهارا ومما قيل فى اللثام :

قوم لهم درك العلا فى حمير * وإن انتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا إحراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا

ونذكر باقى أخبار أمير المسلمين فى مواضعها إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر تبييض أبى الغنائم بن المحلبان ﴾ فى هذه السنة بيض علاء الدين أبو الغنائم بن المحلبان بواسط وخطب فيها للعلويين المصريين وكان سبب ذلك أن رئيس الرؤساء سعى له فى النظر على واسط وأعمالها فأجيب إلى ذلك فانحدر إليها فصار عنده جماعة من أعيانها وجند جماعة عظيمة وتقوى بالبطائحيين وحفر على الجانب الغربى من واسط خندقا وبنى عليه سورا وأخذ ضريبة من سفن أصعدت للخليفة فسير لحربه عميد العراق أبو نصر فاقتتلوا فانهزم ابن المحلبان وأسر من أصحابه عدد كثير ووصل أبو نصر إلى السور فقاتله العامة من على السور ، ثم تسلم البلد وأمر أهله بطم الخندق وتخريب السور ثم أصعد إلى بغداد فلما قاربها عاد إليها ابن فسانجس ونهب قرية عبدالله وقتل كل أعمى رآه بواسط وأعاد خطبة المصريين وأمر أهل كل محلة بعمارة ما يليهم من السور ومضى منصور بن الحسين إلى المدار وأرسل إلى بغداد يطلب المدد فكتب إليه عميد العراق ورئيس الرؤساء يأمرانه أن يقصد واسطا هو وابن الهيثم وأن يحاصرانها فأقبلا إليها فيمن معهما وحصروها فى الماء والبر وكان هذا الحصار سنة تسع وأربعين فاشتد فيها الغلاء حتى بيع التمر والخبز وكروش البقر كل خمسة أرطال بدينار وإذا وجد الخبازى باعوه كل عشرين رطلا بدينار ثم ضعفوا وضجروا من الحصار

Marfat.com

فخرج ابن فسانجس ليقاتل فلم يثبت وقتل جماعة من أصحابه وانهزموا إلى سور البلد واستأمن جماعة من الواسطيين إلى منصور بن الحسين وفارق ابن فسانجس واسطا ومضى إلى قصر ابن أخضر وسار اليه طائفة من العسكر ليقاتلوه فأدركوه بقرب النيل فأسر هو وأهله وحمل إلى بغداد فدخلها فى صفر سنة تسع وأربعين وشهر على جمل وعليه قميص أحمر وعلى رأسه طرطور بودع وصلب

﴿ ذكر الوقعة بين البساسيرى وقريش ﴾ فى هذه السنة سلخ شوال كانت وقعة بين البساسيرى ومعه نور الدولة دبيس بن مزيد وبين قريش ابن بدران صاحب الموصل ومعه قتلمش وهو ابن عم السلطان طغرلبك وهو جد هؤلاء الملوك أولاد قلج ارسلان ومعه أيضا سهم الدولة أبو الفتح بن عمرو وكانت الحرب عند سنجار فاقتتلوا واشتد القتال بينهم فانهزم قريش وقتلمش وقتل من أصحابهما الكثير ولقى قتلمش من أهل سنجار العنت وبالغوا فى أذاه وأذى أصحابه وجرح قريش بن بدران وأتى إلى نور الدولة جريحا فأعطاه خلعة كانت قد نفذت من مصر فلبسها وصار فى جملتهم وساروا إلى الموصل وخطبوا للخليفة مصر بها وهو المستنصر بالله وكانوا قد كاتبوا الخليفة المصرى بطاعتهم فأرسل إليهم الخلع من مصر للبساسيرى ولنور الدولة دبيس ابن مزيد ولجابر بن ناشب ولمقبل بن بدران أخى قريش ولأبى الفتح بن ورام ونصير بن عمر وأبى الحسن ابن عبدالرحيم ومحمد بن حماد وانضاف إليهم قريش بن بدران .

﴿ ذكر مسير السلطان طغرلبك إلى الموصل ﴾ لما طال مقام السلطان طغرلبك ببغداد وعم الخلق ضرر عسكره وضاقت عليهم مساكنهم فإن العساكر نزلوا فيها وغلبوهم على أقواتهم وارتكبوا منهم كل محظور أمر الخليفة القائم بأمر الله وزيره رئيس الرؤساء أن يكتب إلى عميد الملك الكندرى وزير السلطان طغرلبك يستحضره فإذا حضر قال له عن الخليفة ليعرف السلطان ما الناس فيه من الجور والظلم ويعظه ويذكره فإن أزال ذلك وفعل ما أمر الله به وإلا فيساعد الخليفة على الانتزاح عن بغداد ليبعد عن المنكرات فكتب رئيس الرؤساء . إلى الكندرى يستدعيه فحضر فأبلغه ما أمر به الخليفة وخرج توقيع من الخليفة إلى السلطان فيه مواعظ فمضى إلى السلطان وعرفه الحال فاعتذر بكثرة العساكر وعجزه عن تهذيبهم وضبطهم وأمر عميد الملك أن يبكر بالجواب إلى رئيس الرؤساء ويعتذر بما ذكره فلما كان تلك الليلة رأى السلطان فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم عند الكعبة وكأنه يسلم على النبى وهو معرض عنه لم يلتفت إليه وقال له يحكمك الله فى بلاده وعباده فلا تراقبه فيهم ولا تستحى من جلاله عز وجل فى سوء معاملتهم وتغتر بإمهاله عند الجور عليهم فاستيقظ فزعا وأحضر عميد الملك وحدثه ما رأى وأرسله إلى الخليفة يعرفه أنه يقابل ما رسم به بالسمع والطاعة وأخرج الجند من دور العامة وأمر أن يظهر من كان مختفيا وأزال التوكيل عمن كان وكل به فبينما هو على ذلك وقد عزم على الرحيل عن بغداد للتخفيف عن أهلها وهو يتردد فيه إذ أتاه الخبر بهذه الوقعة المتقدمة فتجهز وسار عن بغداد عاشر ذى القعدة ومعه خزائن السلاح والمنجنيقات وكان مقامه ببغداد ثلاثة عشر شهرا وأياما لم يلق الخليفة فيها فلما بلغوا أوانا نهبها العسكر ونهبوا عكبرا وغيرهما ووصل إلى تكريت فحصرها وبها صاحبها نصر ابن على بن خميس فنصب على القلعة علما أسود وبذل مالا فقبله السلطان ورحل عنه إلى البوازيج ينتظر جمع العساكر ليسير إلى الموصل فلما رحل عن تكريت توفى صاحبها وكانت أمه أميرة بنت غريب بن مقن فخافت أن يملك البلدة أخوه أبو الغشام فقتلته وسارت إلى الموصل فنزلت على دبيس بن مزيد فتزوجها قريش بن

بدران ولما رحلت عن تكريت استخلفت بها أبا الغنائم بن المحلبان فراسل الرؤساء واستعطفه فصلح ما بينهما وسلم تكريت إلى السلطان ورحل إلى بغداد وأقام السلطان بالبوازيج إلى أن دخلت سنة تسع وأربعين فأتاه أخوه ياقوتى فى العساكر فسار بهم إلى الموصل وأقطع مدينة بلد لهزارسب بن بنكير فأجفل أهل البلاد إلى بلد فأراد العسكر نهبهم فمنعهم السلطان وقال لا يجوز أن تعرضوا إلى بلد هزارسب فلجوا وقالوا نريد الإقامة فقال السلطان لهزارسب إن هؤلاء قد احتجوا بالإقامة فأخرج أهل البلد إلى معسكرك لتحفظ نفوسهم ففعل ذلك وأخرجهم إليه فصار البلد بعد ساعة قفرا وفرق فيهم هزارسب مالا وأركب من يعجز عن المشى وسيرهم إلى الموصل ليأمنوا وتوجه السلطان إلى نصيبين فقال له هزارسب قد تمادت الأيام ورأيى أن أختار من العسكر ألف فارس أسير بهم إلى البرية فلعلى أنال من العرب غرضا فأذن له فى ذلك فسار إليهم فلما قاربهم كمن لهم كمينين وتقدم إلى الحلل فلما رأوه قاتلوه فصبر لهم ساعة ثم انزاح بين أيديهم كالمنهزم فتبعوه فخرج الكمينان فانهزمت العرب وكثر فيهم القتل والأسر وكان قد انضاف إليهم جماعة من بنى نمير أصحاب حران والرقة وتلك الأعمال وحمل الأسرى إلى السلطان فلما أحضروا بين يديه قال لهم هل وطئت لكم أرضا وأخذت لكم بلدا قالوا لا قال فلم أتيتم لحربى وأحضر الفيل فقتلهم إلا صبيا أمرد فلما امتنع الفيل من قتله عفا عنه السلطان .

﴿ذكر عود نور الدولة دبيس بن مزيد وقريش بن بدران إلى طاعة طغرلبك﴾ لما ظفر هزارسب بالعرب وعاد إلى السلطان طغرلبك أرسل إلى نور الدولة وقريش يسألانه أن يتوسط حالها عند السلطان ويصلح أمرهما معه فسعى فى ذلك واستعطف السلطان عليهما فقال أما هما فقد عفوت عنهما وأما البساسيرى فذنبه إلى الخليفة ونحن متبعون أمر الخليفة فيه فرحل البساسيرى عند ذلك إلى الرحبة وتبعه الأتراك البغداديون ومقبل بن المقلد وجماعة من عقيل وطلب دبيس وقريش أن يرسل طغرلبك إليهما أبا الفتح بن ورام فأرسله فعاد من عندهما وأخبر بطاعتهما وأنهما يطلبان أن يمضى هزارسب إليهما ليحلفهما فأمره السلطان بالمضى إليهما فسار واجتمع بهما وأشار عليهما بالحضور عند السلطان فخافا وامتنعا فانفذ قريش أبا السدادهبة الله بن جعفر وأنفذ دبيس ابنه بهاء الدولة منصورا فأنزلهما السلطان وأكرمهما وكتب لهما بأعمالهما وكان لقريش نهر الملك وبادوريا والأنبار وهيت ودجيل ونهر بيطر وعكبرا وأوانا وتكريت والموصل ونصيبين وأعاد الرسل إلى أصحابهم .

﴿ذكر قصد السلطان ديار بكر وما فعله بسنجار﴾ لما فرغ طغرلبك من العرب سار إلى ديار بكر التى هى لابن مروان وكان ابن مروان يرسل إليه كل يوم الهدايا والملح فسار السلطان إلى جزيرة ابن عمر فحصرها وهى لابن مروان فأرسل إليه ابن مروان يبذل مالا يصلح حاله به ويذكر له ما هو بصدده من حفظ ثغور المسلمين وما يعانيه من جهاد الكفار ولما كان السلطان يحاصر الجزيرة سار جماعة من الجيش إلى عمرا كمن وفيه أربعمائة راهب فذبحوا منهم مائة وعشرين راهبا وافتدى الباقون أنفسهم بستة مكاكيك ذهبا وفضة ووصل إبراهيم ينال أخو السلطان إليه فلقيه الأمراء والناس كلهم وحملوا إليه الهدايا وقال لعميد الملك الوزير من هؤلاء العرب حتى تجعلهم نظراء السلطان وتصلح بينهم فقال مع حضورك يكون ما تريد فأنت نائب السلطان ولما وصل إبراهيم ينال أرسل هزارسب إلى نور الدولة بن مزيد وقريش يعرفهما وصوله ويحذرهما منه فسار من جبل سنجار إلى الرحبة فلم يلتفت البساسيرى إليهما فانحدر نور الدولة إلى بلده بالعراق وأقام قريش عند

Marfat.com

البساسيرى بالرحبة ومعه ابنه مسلم بن قريش وشكا قتلمش ابن عم السلطان إليه مالقى من أهل شجار فى العام الماضى لما انهزم وأنهم قتلوا رجالا فسير العساكر إليهم فأحاطت بهم وصعد أهلها على السور وسبوا وأخرجوا جماجم من كانوا قتلوا وقلانسهم وتركوها على رؤس القصب ففتحها السلطان عنوة وقتل أميرها مجلى بن مرجا وخلقا كثيراً من رجالها وسبى نساءهم وخربت وسأل ابراهيم ينال فى الباقين فتركهم فسلمها هى والموصل والبلاد إلى إبراهيم ينال ونادى فى عسكره من تعرض لنهب صلبته فكفوا عنهم وعاد السلطان إلى بغداد على مانذكره ، وكان ينبغى أن نذكر هذه الحادثة سنة تسع وأربعين ، وإنما ذكرناها هذه السنة لأن الابتداء بها كان فيها فاتبعنا بعضها بعضا وذكرنا أنها كانت سنة تسع وأربعين .

(ذكر عدة حوادث) فى هذه السنة انقطعت الطرق عن العراق لخوف النهب فغلت الأسعار وكثر الغلاء وتعذرت الأقوات وغيرها من كل شىء وأكل الناس الميتة ولحقهم وباء عظيم فكثر الموت حتى دفن الموتى بغير غسل ولا تكفين فبيع رطل لحم بقيراط وأربع دجاجات بدينار ورطلان شرابا بدينار وسفرجلة بدينار ورمانة بدينار وكل شىء كذلك وكان بمصر أيضا وباء شديد فكان يموت فى اليوم ألف نفس ثم عم ذلك سائر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والحجاز واليمن وغيرها ، وفيها فى جمادى الأولى ولدت جارية ذخيرة الدين ابن الخليفة الذى ذكرنا وفاته قبل ولدا ذكرا سمى عبدالله وكنى أبا القاسم وهو المقتدى . وفيها فى العشر الثانى من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر فى السماء ذؤابة بيضاء طولها نحو عشرة أذرع فى رأى العين وعرضها ذراع وبقيت كذلك إلى نصف رجب واضمحلت وفيها أمر الخليفة بأن يؤذن بالكرخ والمشهد وغيرها الصلاة خير من النوم وأن يتركوا حى على خير العمل ففعلوا ماأمرهم به خوف السلطنة وقوتها . وفيها توفى على بن أحمد ابن على أبو الحسن المؤدب المعروف بالفالى من أهل مدينة فالة بالقرب من أيذج روى الحديث والأدب وله شعر حسن فمنه قوله :

تصدر للتدريس كل مهوس * بليد تسمى بالفقيد المدرس
لحق لأهل العلم أن يتمثلوا * بيت قديم شاع فى كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس(١)

وفى هذه السنة توفى محمد بن الحسين بن محمد بن سعدون أبو طاهر البزاز الموصلى ولد بالموصل ونشأ ببغداد ، وروى عن ابن حبابة والدارقطنى وابن بطة وغيرهم وكان موته بمصر . وفيها توفى أميرك الكاتب البيهقى فى شوال وكان من رجال الدنيا ومحمد بن عبدالوحد بن عمر بن الميمون الدارمى الفقيه الشافعى .

---

(١) ومن شعره الحسن :

لما تبدلت المجالس أوجها * غير الذين عهدت من علمائها
ورأيتها محفوفة بسوى الألى * كانوا ولاة صدورها وفنائها
أنشدت بيتا سائرا متقدما * والعين قد شرقت بجارى مائها
أما الخيام فإنها كخيامهم * وأرى نساء الحى غير نسائها

Marfat.com

Marfat.com

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر عود السلطان طغرلبك إلى بغداد﴾ لما سلم السلطان طغرلبك الموصل وأعمالها إلى أخيه إبراهيم ينال عاد إلى بغداد فلما وصل إلى القفص خرج رئيس الرؤساء إلى لقائه فلما قارب القفص لقيه عميد الملك وزير السلطان فى جماعة من الأمراء وجاء رئيس الرؤساء إلى السلطان فأبلغه سلام الخليفة واستيحاشه فقبل الأرض وقدم رئيس الرؤساء جاما من ذهب فيه جواهر وألبسه فرجية جاءت معه من عند الخليفة ووضع العمامة على مخدته فخدم السلطان وقبل الأرض ووصل إلى بغداد ولم يمكن أحدا من النزول فى دور الناس وطلب السلطان الاجتماع بالخليفة فأذن له فى ذلك وجلس الخليفة يوم السبت لخمس بقين من ذى القعدة جلوسا عاما وحضر وجوه عسكر السلطان وأعيان بغداد وحضر السلطان فى الماء وأصحابه حوله فى السميريات فلما خرج من السميرية أركب فرسا من مراكب الخليفة فحضر عند الخليفة والخليفة على سرير عال من الأرض نحو سبعة أذرع وعليه بردة النبى صلى الله عليه وسلم وبيده القضيب الخيزران فقبل السلطان الأرض وقبل يده وأجلس على كرسى فقال الخليفة لرئيس الرؤساء قل له أن أمير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفعلك مستأنس بقربك وقد ولاك جميع ماولاه الله من بلاده ورد عليك مراعاة عباده فاتق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك فى ذلك واجتهد فى نشر العدل وكف الظلم وإصلاح الرعية فقبل الأرض وأمر الخليفة بإفاضة الخلع عليه فقام إلى موضع لبسها فيه وعاد وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب وأعطى العهد وخرج وأرسل إلى الخليفة خدمة كثيرة منها خمسين ألف دينار وخمسين مملوكا أتراكا من أجود ما يكون ومعهم خيولهم وسلاحهم إلى غير ذلك من الثياب وغيرها .

﴿ذكر الحرب بين هزارسب وفولاذ﴾ كان السلطان قد ضمن هزارسب بن بنكير بن عياض البصرة وأرجان وخوزستان وشيراز فتجرد رسول تكين ابن عم السلطان ومعه فولاذ لهزارسب وقصدا أرجان ونهباها وكان هزارسب مع طغرلبك بالموصل والجزيرة فلما فرغ السلطان من تلك الناحية رد هزارسب إلى بلاده وأمر بقتال رسول تكين وفولاذ فسار إلى البصرة وصادر بها تاج الدين بن سخطة العلوى وابن سمحا اليهودى بمائة ألف وعشرين ألف دينار وسار منها إلى قتال فولاذ رسول تكين فلقيهما وقاتلهما قتالا شديدا فقتل فولاذ وأسر رسول تكين ابن عم السلطان فأبقى عليه هزارسب فسأل رسول تكين هزارسب ليرسله إلى دار الخلافة ليشفع فيه الخليفة ففعل ذلك ووصل بغداد مع أصحاب هزارسب فاجتاز بدار رئيس الرؤساء فهجم ودخلها واستدعى طعاما إيجازا للحرمة فأمر الخليفة باحضار عميد الملك وإعلامه بحال رسول تكين ليخاطب السلطان فى أمره فلما حضر عميد الملك وقيل له ذلك قال إن السلطان يقول إن هذا لاحرمة له يستحق بها المراعاة وقد قابل إحسانى بالعصيان ويجب تسليمه ليتحقق الناس منزلتى وتتضاعف هيبتى فاستقر الأمر بعد مراجعة على أن يقيده وخرج توقيع الخليفة أن منزلة ركن الدين يعنى طغرلبك عندنا اقتضت مالم نفعله مع غيره لأنه لم تجر العادة بتقييد أحد فى الدار العزيزة ولابد أن يكون الرضا فى جواب مافعل فراسله رئيس الرؤساء حتى رضى وقد كانت دار الخلافة أيام بنى بويه ملجأ لكل خائف منهم من وزير وعميد وغير ذلك فى الأيام السلجوقية سلك غير ذلك وكان أول شئ فعلوه هذا .

Marfat.com

﴿ذكر القبض على الوزير اليازورى بمصر﴾ فى هذه السنة فى ذى الحجة قبض بمصر على الوزير أبى محمد الحسن بن عبدالرحمن اليازورى وقررعليه أموال عظيمة منه ومن أصحابه ووجد له مكاتبات إلى بغداد، وكان فى ابتداء أمره قد حج فلما قضى حجه أتى المدينة وزار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقط على منكبيه قطعة من الخلوق الذى على حائط الحجرة فقال له أحد القوام أيها الشيخ إنى أبشرك ولى الحباء والكرامة إذا بلغتك أنك تلى ولاية عظيمة وهذا الخلوق دليل على ذلك فلم يحل عليه الحول حتى ولى الوزارة وأحسن إلى ذلك الرجل وراعاه، وكان يتفقه على مذهب أبى حنيفة، وكان قاضيا بالرملة يكرم العلماء ويحسن إليهم ويجالسهم، وكان ابتداء أمره كابتداء أمر رئيس الرؤساء الشهادة والقضاء، وكانت سعادتهما متفقة ونهايتهما مقاربة.

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة زاد الغلاء ببغداد والعراق حتى بيعت الكارة الدقيق السميد بثلاثة عشر دينارا والكارة من الشعير والذرة بثمانية دنانير وأكل الناس الميتة والكلاب وغيرها وكثر الوباء حتى عجز الناس عن دفن الموتى فكانوا يجعلون الجماعة فى الحفيرة. وفيها فى ربيع الأول توفى أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى الأديب وله نحو ست وثمانين سنة وعلمه أشهر من أن يذكر إلا أن أكثر الناس يرمونه بالزندقة وفى شعره مايدل على ذلك (حكى) أنه قال يوما لأبى يوسف القزوينى ماهجوت أحدا فقال له القزوينى هجوت الأنبياء فتغير وجهه وقال ماأخاف أحدا سواك (وحكى عنه) القزوينى أنه قال مارأيت شعرا فى مرثية الحسين بن على يساوى أن يحفظ، فقال القزوينى بلى قد قال بعض أهل سوادنا:

رأس ابن بنت محمد ووصيه * للمسلمين على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع * لاجازع منهم ولامتفجع
أيقظت أجفانا وكنت لها كرى * وأنمت عينا لم تكن بك تهجع
كحلت بمصرعك العيون عماية * وأصم نعيك كل أذن تسمع
ماروضة إلا تمنت أنها * لك مضجع ولخط قبرك موضع

وفيها أصلح دبيس بن على بن مزيد، ومحمود بن الأخرم الخفاجى حالهما مع السلطان فعاد دبيس إلى بلاده فوجدها خرابا لكثرة من مات بها من الوباء الجارف ليس بها أحد. وفيها كثر الوباء ببخارى حتى قيل أنه مات فى يوم واحد ثمانية عشر ألف إنسان من أعمال بخارى وهلك فى هذه الولاية فى مدة الوباء ألف ألف وستمائة ألف وخمسون ألفا، وكان بسمرقند مثل ذلك ووجد ميت وقد دخل تركى يأخذ لحافا عليه فمات التركى وطرف اللحاف بيده وبقيت أموال الناس سائبة وفيها نهبت دار أبى جعفر الطوسى بالكرخ وهو فقيه الإمامية وأخذ مافيها وكان قد فارقها إلى المشهد الغربى. وفيها فى صفر توفى أبو عثمان إسمعيل بن عبدالرحمن الصابونى مقدم أصحاب الحديث بخراسان، وكان فقيها خطيبا إماما فى عدة علوم. وفيها فى ربيع الأول توفى أياز بن أيماق أبو النجم غلام محمود بن سبكتكين وأخباره معه مشهورة، وفيها مات أبو أحمد عدنان بن الشريف الرضى نقيب العلويين، وفيها توفى أبو الحسين عبد الوهاب بن أحمد بن هرون الغسانى المعروف بابن الجندى [1]

---

(١) قال بن الجوزى: فى هذه السنة فى يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة احترقت قطيعة عيسى وسوق الطعام والكنيس، وأصحاب السقط وباب الشعير وسوق العطارين وسوق العروس والأنماطيين والخشابين =

﴿ ثم دخلت سنة خمسين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر مفارقة إبراهيم ينال الموصل واستيلاء البساسيرى عليها وأخذها منه ﴾ فى هذه السنة فارق إبراهيم ينال الموصل نحو بلاد الجبل فنسب السلطان طغرلبك رحيله إلى العصيان فأرسل اليه رسولا يستدعيه وصحبته الفرجية التى خلعها عليه الخليفة وكتب الخليفه إليه أيضا كتابا فى المعنى فرجع إبراهيم إلى السلطان وهو ببغداد فخرج الوزير الكندرى لاستقباله وأرسل الخليفة اليه الخلع ولما فارق إبراهيم الموصل قصدها البساسيرى وقريش بن بدران وحاصراها فملكا البلد لبومه وبقيت القلعة وبها الخازن واردم وجماعة من العسكر فحاصراها أربعة أشهر حتى أكل من فيها دوابهم فخاطب ابن موسك صاحب إربل قريشا حتى

= والجزارين والتمارين والقطيعة وسوق مخول ونهر الزجاج وسويقه غالب والصفارين والصباغين وغير ذلك من المواضع ، وهذه مصيبة أخرى إلى ما بالناس من الجوع والغلاء والفناء ، ضعف الناس حتى طغت النار فعملت أعمالها فإنا لله وإنا إليه راجعون . وفيها مات أبو العلاء المعرى التنوخى الشاعر المشهور بالزندقة اللغوى صاحب الدواوين والمصنفات فى الشعر واللغة ، ولد يوم الجمعة عند غروب الشمس لثلاث بقين من ربيع الأول سنه ثلاث وستين وثلاثمائة وأصابه جدرى وله أربع سنين أوسبع وذهب بصره وقال الشعر وله إحدى عشر أوثنتى عشرة سنة ودخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، فأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ثم خرج منها طريدا منهزما ، لأنه سأل سؤالا بشعر يدل على قلة دينه وعلمه وعقله فقال :

تناقض فما لنا إلا السكوت له * وأن نعوذ بمولانا من النار
يد بخمس مئين عسجد وديت * ما بالها قطعت فى ربع دينار

وهذا من إفكه يقول : اليد ديتها خمسمائة دينار ، فمالكم تقطعونها إذا سرقت ربع دينار ، وهذا من قلة عقله وعلمه ، وعمى بصيرته . وذلك أنه إذا جنى عليها يناسب أن يكون ديتها كثيرة لينزجر الناس عن العدوان ، وأما إذا جنت هى بالسرقة فيناسب أن تقل قيمتها وديتها لينزجر الناس عن أموال الناس وتصان أموالهم ، ولهذا قال بعضهم : كانت ثمينة لما كانت أمينة ، فلما خانت هانت ولما عزم الفقهاء على أخذه بهذا وأمثاله هرب ورجع إلى بلده ولزم منزله فكان لا يخرج منه .

وذكره ابن خلكان فرفع فى نسبه على عادته فى الشعراء ، كما ذكرنا . وقد ذكر له من المصنفات كتباً كثيرة ، وذكر أن بعضهم وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتابه المسمى بالأيك والغصون ، وهو المعروف بالهمز والردف ، وأنه أخذ العربية عن أبيه واشتغل بحلب على محمد بن عبد الله بن سعد النحوى ، وأخذ عنه أبو القاسم على ابن المحسن التنوخى ، والخطيب أبو زكريا يحيى بن على التبريزى ، وذكر أنه مكث خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم على طريقة الحكماء ، وأنه أوصى أن يكتب على قبره : هذا جناه أبى علىّ * وما جنيت على أحد

قال ابن خلكان : وهذا أيضاً متعلق باعتقاد الحكماء ، فانهم يقولون اتخاذ الولد وإخراجه إلى هذا الوجود جناية عليه ، لأنه يتعرض للحوادث والآفات . قلت : وهذا يدل على أنه لم يتغير عن اعتقاده ، وهو مايعتقده الحكماء إلى آخر وقت ، وأنه لم يقلع عن ذلك كما ذكره بعضهم ، والله أعلم بظواهر الأمور وبواطنها ، وذكر بن خلكان أن عينه اليمنى كانت ناتئة وعليها بياض ، وعينه اليسرى غائرة ، وكان نحيفا ثم أورد من أشعاره الجيدة أبياتا فمنها قوله :

لا تطلبن بآلة لك رتبه * قلم البليغ بغير جد مغزل
سكن السما كان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

Marfat.com

Marfat.com

أمنهم فخرجوا فهدم البساسيرى القلعة وعفى أثرها وكان السلطان قد فرق عسكره فى النوروز وبقى جريدة فى ألفى فارس حين بلغه الخبر فسار إلى الموصل فلم يجد بها أحدا ، كان قريش والبساسيرى قد فارقاها فسار السلطان إلى نصيبين ليتتبع آثارهم ويخرجهم من البلاد ففارقه أخوه إبراهيم ينال وسار نحو همذان فوصلها فى السادس والعشرين من رمضان سنة خمسين ، وكان قد قيل إن المصريين كاتبوه والبساسيرى قد استمالاه وأطمعه فى السلطنة والبلاد فلما عاد إلى همذان سار السلطان فى أثره .

﴿ ذكر الخطبة بالعراق للعلوى المصرى وما كان إلى قتل البساسيرى ﴾ لما عاد إبراهيم ينال إلى همذان سار طغرلبك خلفه ورد وزيره عميد الملك الكندرى وزوجته إلى بغداد وكان مسيره من نصيبين فى منتصف شهر رمضان ، ووصل إلى همذان وتحصن بالبلد وقاتل أهلها بين يديه وأرسل إلى الخاتون زوجته وعميد الملك الكندرى يأمرهما باللحاق به فمنعهما الخليفة من ذلك تمسكا بهما وفرق غلالا كثيرة فى الناس وسار من كان ببغداد من الأتراك إلى السلطان بهمذان وسار عميد الملك إلى دبيس بن مزيد فاحترمه وعظمه ثم سار من عنده إلى هزارسب وسارت خاتون إلى السلطان بهمذان فأرسل الخليفة إلى نور الدولة دبيس بن مزيد يأمره بالوصول إلى بغداد فورد إليها فى مائة فارس ونزل فى النجمى ثم عبر إلى الأتانين وقوى الإرجاف بوصول البساسيرى فلما تحقق الخليفة وصوله إلى هيت أمر الناس بالعبور من الجانب الغربى إلى الجانب الشرقى فأرسل دبيس بن مزيد إلى الخليفة وإلى رئيس الرؤساء يقول الرأى عندى خروجكما من البلد معى فإننى اجتمع أنا وهزارسب فإنه بواسط على دفع عدوكما فأجيب ابن مزيد بأن يقيم حتى يقع الفكر فى ذلك فقال العرب لا تطيعنى على المقام وأنا أتقدم إلى ديالى فإذا انحدرتم سرت فى خدمتكم وسار وأقام بديالى ينتظرهما فلم ير لذلك أثراً فسار إلى بلاده ، ثم إن البساسيرى وصل إلى بغداد يوم الأحد ثامن ذى القعدة ومعه أربعمائة غلام على غاية الضر والفقر وكان معه أبو الحسن بن عبدالرحيم الوزير فنزل البساسيرى بمشرعة الروايا ونزل قريش ابن بدران وهو فى مائتى فارس عند مشرعة باب البصرة وركب عميد العراق ومعه العسكر والعوام وأقاموا بإزاء عسكر البساسيرى وعادوا وخطب البساسيرى بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوى صاحب مصر وأمر فأذن بحى على خير العمل وعقد الجسر وعبر عسكره إلى الزاهر وخيموا فيه وخطب فى الجمعة من وصوله بجامع الرصافة للمصرى وجرى بين الطائفتين حروب فى أثناء الأسبوع وكان عميد العراق يشير على رئيس الرؤساء بالتوقف عن المناجزة ويرى المحاجزة ومطاولة الأيام انتظاراً لما يكون من السلطان ولما يراه من المصلحة بسبب ميل العامة إلى البساسيرى أما الشيعة فالمذهب وأما السنية فلما فعل بهم الأتراك وكان رئيس الرؤساء لقلة معرفته بالحرب ولما عنده من البساسيرى يرى المبادرة إلى الحرب فاتفق أن فى بعض الأيام حضر القاضى الهمذانى عند رئيس الرؤساء واستأذنه فى الحرب وضمن له قتل البساسيرى فأذن له من غير علم عميد العراق فخرج ومعه الخدم والهاشميون والعجم والعوام إلى الحلبة وأبعدوا والبساسيرى يستجرهم فلما أبعدوا حمل عليهم فعادوا منهزمين وقتل منهم جماعة ومات فى الزحمة جماعة من الأعيان ونهب باب الأزج وكان رئيس الروساء واقفا دون الباب فدخل الدار وهرب كل من فى الحريم ولما بلغ عميد العراق فعل رئيس الرؤساء لطم على وجهه كيف استبد برأيه ولا معرفة له بالحرب ورجع البساسيرى إلى معسكره واستدعى الخليفة عميد العراق وأمره بالقتال على سور الحريم فلم يرعهم إلا الزعقات وقد نهب الحريم وقد دخلوا بباب النوبى فركب الخليفة

لابسا للسواد وعلى كتفه البردة وبيده سيف وعلى رأسه اللواء وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسلولة فرأى النهب قد وصل إلى باب الفردوس من داره فرجع إلى ورائه ومضى نحو عميد العراق فوجده قد استأمن إلى قريش فعاد وصعد المنظرة وصاح رئيس الرؤساء ياعلم الدين (يعنى قريشا) أمير المؤمنين يستدنيك فدنا منه فقال له رئيس الرؤساء قد أنالك الله منزلة لم ينلها أمثالك وأمير المؤمنين يستذم منه على نفسه وأهله وأصحابه بذمام الله تعالى وذمام رسوله صلى الله عليه وسلم وذمام العربية فقال قد أذم الله تعالى له قال ولى ولمن معه قال نعم وخلع قلنسوته فأعطاها الخليفة وأعطى مخصرته رئيس الرؤساء ذماما فنزل إليه الخليفة ورئيس الرؤساء من الباب المقابل لباب الحلبة وصارا معه فأرسل إليه البساسيرى أتخالف ما استقر بيننا وتنقض ما تعاهدنا عليه فقال قريش لا وكانا قد تعاهدا على المشاركة فى الذى يحصل لهما وأن لا يستبد أحدهما دون الآخر بشىء فاتفقا على أن يسلم قريش رئيس الرؤساء إلى البساسيرى لأنه عدوه ويترك الخليفة عنده فأرسل قريش رئيس الرؤساء إلى البساسيرى فلما رآه قال مرحبا بمهلك الدول ومخرب البلاد فقال العفو عند المقدرة فقال البساسيرى فقد قدرت فما عفوت وأنت صاحب طيلسان وركبت الأفعال الشنيعة مع حرمى وأطفالى فكيف أعفو أنا وأنا صاحب سيف وأما الخليفة فإنه حمله قريش راكبا إلى معسكره وعليه السواد والبردة وبيده السيف وعلى رأسه اللواء وأنزله فى خيمة وأخذ أرسلان خاتون زوجة الخليفة وهى ابنة أخى السلطان طغرلبك فسلمها إلى أبى عبد الله بن جردة ليقوم بخدمتها ونهبت دار الخلافة وحريمها أياما وسلم قريش الخليفة إلى ابن عمه مهارش بن المجلى وهو رجل فيه دين وله مروأة فحمله فى هودج وسار به إلى حديثة عانة فتركه بها وسار من كان مع الخليفه من خدمه وأصحابه إلى السلطان طغرلبك مستنفرين فلما وصل الخليفة إلى الأنبار شكا البرد فأنفذ إلى مقدمها يطلب منه ما يلبسه فأرسل له جبة فيها قطن ولحافا وأما البساسيرى فانه ركب يوم عيد النحر وعبر إلى المصلى بالجانب الشرقى وعلى رأسه الألوبة المصرية فأحسن إلى الناس وأجرى الجرايات على المتفقهة ولم يتعصب لمذهب وأفرد لوالدة الخليفة القائم بأمر الله دارا وكانت قد قاربت تسعين سنة وأعطاها جاريتين من جواريها للخدمة وأجرى لها الجراية وأخرج محمود بن الأخرم إلى الكوفة وسقى الفرات أميرا وأما رئيس الرؤساء فأخرجه البساسيرى آخر ذى الحجة من محبسه بالحريم الطاهرى مقيدا وعليه جبة صوف وطرطور من لبد أحمر وفى رقبته مخنقة جلود بعير وهو يقرأ « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء » الآية وبصق أهل الكرخ فى وجهه عند اجتيازه بهم لأنه كان يتعصب عليهم وشهر إلى حد النجمى وأعيد إلى معسكر البساسيرى وقد نصبت له خشبة وأنزل عن الجمل وألبس جلد ثور وجعلت قرونه على رأسه وجعل فى فكيه كلابان من حديد وصلب فبقى يضطرب إلى آخر النهار ومات ، وكان مولده فى شعبان سنة سبعين وثلثمائة ، وكانت شهادته عند ابن ماكولا سنة أربع عشرة وأربعمائة ، وكان حسن التلاوة للقرآن جيد المعرفة بالنحو وأما عميد العراق فقتله البساسيرى وكان فيه شجاعة وله فتوة وهو الذى بنى رباط شيخ الشيوخ ولما خطب البساسيرى المستنصر العلوى بالعراق أرسل إليه بمصر يعرفه مافعل ، وكان الوزير هناك أبا الفرج ابن أخى أبى القاسم المغربى وهو ممن هرب من البساسيرى وفى نفسه مافيها فوقع فيه وبرد فعله وخوف عاقبته فتركت أجوبته مدة ثم عادت بغير الذى أمله ورجاه وسار البساسيرى من بغداد إلى واسط والبصرة فملكهما ، وأراد قصد الأهواز فأنفذ

Marfat.com

صاحبها هزارسب بن بنكير إلى دبيس بن مزيد يطلب منه أن يصلح الأمر على مال يحمله اليه فلم يجب البساسيرى إلى ذلك وقال لابد من الخطبة للمستنصر والسكة باسمه فلم يفعل هزارسب ذلك ورأى البساسيرى أن طغرلبك يمدّ هزارسب بالعساكر فصالحه وأصعد إلى واسط فى مستهل شعبان من سنة إحدى وخمسين وفارقه صدقة ابن منصور بن الحسين الأسدى ولحق بهزارسب ، وكان قد ولى بعد أبيه على ماذكره وأما أحوال السلطان طغرلبك وإبراهيم ينال فان السلطان كان فى قلة من العسكر كماذكرناه وكان إبراهيم قد اجتمع معه كثير من الأتراك وحلف لهم أنه لايصالح أخاه طغرلبك ولا يكلفهم المسير إلى العراق وكانوا يكرهونه لطول مقامهم وكثرة إخراجاتهم فلم يقو به طغرلبك وأنى إلى إبراهيم محمد وأحمد ابنا أخيه أرتاش فى خلق كثير فازداد بهم قوة وازداد طغرلبك ضعفا فانزاح من بين يديه إلى الرى وكاتب ألب أرسلان وياقوتى وقاورت بك أولاد أخيه داود وكان داود قد مات على ماذكره سنة إحدى وخمسين إن شاء الله تعالى وملك خراسان بعده ابنه ألب أرسلان فأرسل إليهم طغرلبك يستدعيهم إليه فجاؤا بالعساكر الكثيرة فلقى إبراهيم بالقرب من الرى فانهزم ابراهيم ومن معه وأخذ أسيراً هو ومحمد وأحمد ولدا أخيه فأمر به فخنق بوتر قوسه تاسع جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وقتل ولدا أخيه معه وكان إبراهيم قد خرج على طغرلبك مرارا فعفا عنه وإنما قتله فى هذه الدفعة لأنه علم أن جميع ما جرى على الخليفة كان بسببه فلهذا لم يعف عنه ولما قتل إبراهيم أرسل طغرلبك إلى هزارسب بالأهواز يعرفه ذلك وعنده عميد الملك الكندرى فسار إلى السلطان فجهز هزارسب تجهيز مثله .

﴿ذكر عود الخليفة إلى بغداد﴾ لما فرغ السلطان من أمر أخيه ابراهيم ينال عاد يطلب العراق ليس له هم إلا إعادة القائم بأمر الله إلى داره فأرسل إلى البساسيرى وقريش فى إعادة الخليفة إلى داره على أن لايدخل طغرلبك العراق ويقنع بالخطبة والسكة فلم يجب البساسيرى إلى ذلك فرحل طغرلبك إلى العراق فوصلت مقدمته إلى قصر شيرين فوصل الخبر إلى بغداد فانحدر حرم البساسيرى وأولاده ورحل أهل الكرخ بنسائهم وأولادهم فى دجلة وعلى الظهر ونهب بنوشيبان الناس وقتلوا كثيراً منهم وكان دخول البساسيرى وأولاده بغداد سادس ذى القعدة سنة خمسين وخرجوا منها سادس ذى القعدة سنة إحدى وخمسين ونار أهل باب البصرة إلى الكرخ فنهبوه وأحرقوا درب الزعفران وهو من أحسن الدروب وأعمرها ووصل طغرلبك إلى بغداد وكان قد أرسل من الطريق الإمام أبا بكر أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن فورك إلى قريش بن بدران يشكره على فعله بالخليفة وحفظه على صيانته ابنة أخيه امرأة الخليفة ويعرفه أنه قد أرسل أبا بكر بن فورك للقيام بخدمة الخليفة وإحضاره وإحضار أرسلان خاتون ابنة أخيه امرأة الخليفة ولما سمع قريش بقصد طغرلبك العراق أرسل إلى مهارش يقول له أودعنا الخليفة عندك ثقة بأمانتك لينكف بلاء الغز عنا والآن فقد عادوا وهم عازمون على قصدك فارحل أنت وأهلك إلى البرية فإنهم إذا علموا أنّ الخليفة عندنا فى البرية لم يقصدوا العراق وتحكم عليهم بما نريد فقال مهارش كان بينى وبين البساسيرى عهود ومواثيق نقضها وإن الخليفة قد استحلفنى بعهود ومواثيق لاأخلص منها وسار مهارش ومعه الخليفة حادى عشر ذى القعدة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة إلى العراق وجعلا طريقهما على بلد بدر بن مهلهل ليأمنا من يقصدهما ووصل ابن فورك إلى جلة بدر بن مهلهل وطلب منه أن يوصله إلى مهارش فجاء إنسان سوادى إلى بدر وأخبره أنه رأى

Marfat.com

Marfat.com

الخليفة ومهارشا بتل عكبرا فسر بذلك بدر ورحل ومعه ابن فورك وخدماه وحمل له بدر شيئا كثيرا وأوصل اليه ابن فورك رسالة طغرلبك وهدايا كثيرة أرسلها معه ولما سمع طغرلبك بوصول الخليفة إلى بلد بدر أرسل وزيره الكندرى والأمراء والحجاب وأصحبهم الخيام العظيمة والسرادقات والتحف من الخيل بالمراكب الذهب وغير ذلك فوصلوا إلى الخليفة وخدموه ورحلوا ووصل الخليفة إلى النهروان فى الرابع والعشرين من ذى القعدة وخرج السلطان إلى خدمته فاجتمع به وقبل الأرض بين يديه وهناه بالسلامة وأظهر الفرح بسلامته واعتذر من تأخره بعصيان إبراهيم وإنه قتله عقوبة لما جرى منه من الوهن على الدولة العباسية وبوفاة أخيه داود بخراسان وأنه اضطر إلى التريث حتى يرتب أولاده بعده فى المملكة وقال أنا أمضى خلف هذا الكلب يعنى البساسيرى وأقصد الشام وأفعل فى حق صاحب مصر ماأجازى به فعله وقلده الخليفة بيده سيفا ، وقال لم يبق مع أمير المؤمنين من داره سواه وقد تبرك به أمير المؤمنين فكشف غشاء الخركاه حتى رآه الأمراء فخدموا وانصرفوا ، ولم يبق ببغداد من أعيانها من يستقبل الخليفة غير القاضى أبى عبدالله الدامغانى وثلاثة نفر من الشهود وتقدم السلطان فى المسيرة وصل إلى بغداد وجلس فى باب النوبى مكان الحاجب ووصل الخليفة فقام طغرلبك وأخذ بلجام بغلته حتى صار على باب حجرته ، وكان وصوله يوم الاثنين لخمس بقين من ذى القعدة سنة إحدى وخمسين وعبر السلطان إلى معسكره وكانت السنة مجدبة ولم ير الناس فيها مطر فجاء تلك الليلة وهنأ الشعراء الخليفة والسلطان بهذا الأمر ودام البرد بعد قدوم الخليفة نيفا وثلاثين يوما ومات بالجوع والعقوبة عدد لايحصى ، وكان أبو على بن شبل ممن هرب من طائفة من الغز فوقع به غيرهم فأخذا ماله فقال :

خرجنا من قضاء الله خوفا ٭ فكان فرارنا منه إليه
وأشقى الناس ذو عزم توالت ٭ مصائبه عليه من يديه
تضيق عليه طرق العذر منها ٭ ويقسو قلب راحمه عليه

﴿ذكر قتل البساسيرى﴾ أنفذ السلطان بعد استقرار الخليفة فى داره جيشا عليهم خمارتكين الطغرائى فى ألقى فارس نحو الكوفة فأضاف إليهم سرايا ابن منيع الخفاجى ، وكان قد قال للسلطان أرسل معى هذه العدة حتى أمضى إلى الكوفة وأمنع البساسيرى من الإصعاد إلى الشام وسار السلطان طغرلبك فى أثرهم فلم يشعر دبيس بن مزيد والبساسيرى إلا والسرية قد وصلت إليهم ثامن ذى الحجة من طريق الكوفة بعد أن سهوها وأخذ نور الدولة دبيس رحله جميعه وأحدره إلى البطيحة وجعل أصحاب نور الدولة دبيس يرحلون بأهليهم فيتبعهم الأتراك فتقدم نورالدولة ليرد العرب إلى القتال فلم يرجعوا فمضى ووقف البساسيرى فى جماعته وحمل عليه الجيش فأسر من أصحابه أبوالفتح بن ورام وأسر منصور وبدران وحماد بنو نورالدولة دبيس وضرب فرس البساسيرى بنشابة وأراد قطع تجفافه لتسهل عليه النجاة فلم ينقطع وسقط عن الفرس ووقع فى وجهه ضربة ودل عليه بعض الجرحى فأخذه كمشتكين دوانى عميد الملك الكندرى وقتله وحمل رأسه إلى السلطان ودخل الجند فى الظعن فساقوه جميعه وأخذت أموال أهل بغداد وأموال البساسيرى مع نسائه وأولاده وهلك من الناس الخلق العظيم وأمر السلطان بحمل رأس البساسيرى إلى دار الخلافة فحمل إليها فوصل منتصف ذى الحجة سنة إحدى وخمسين ، فنظف وغسل وجعل على قناة وطيف به وصلب قبالة باب النوبى ، وكان فى أسرى البساسيرى جماعة من النساء المتعلقات بدار الخلافة فأخذن وأكرمن وحملن إلى بغداد ومضى

نورالدولة دبيس إلى البطيحة ومعه زعيم الملك أبوالحسن عبد الرحيم، وكان من حق هذه الحوادث المتأخرة أن تذكر سنة إحدى وخمسين وإنما ذكرناها ههنا لأنها كالحادثة الواحدة ليتلو بعضها بعضها، وكان البساسيرى مملوكا تركيا من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة تقلبت به الأمور حتى بلغ هذا المقام المشهور واسمه أرسلان وكنيته أبوالحرث وهو منسوب الى بسا مدينة بفارس والعرب تجعل عوض الباء فاء فتقول فسا والنسبة إليها فساوى ومنها أبوعلى الفارسى النحوى وكان سيد هذا المملوك أولا من بسا فقيل البساسيرى لذلك وجعل العرب الباء فاء فقيل فساسيرى.

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة أقر السلطان طغرلبك عملان بن وهوذان بن عملان على ولاية أبيه بأذربيجان وفيها مات شهاب الدولة أبو الفوارس منصور بن الحسين الأسدى صاحب الجزيرة عند خوزستان واجتمعت عشيرته على ولده صدقة. وفيها توفى الملك الرحيم آخر ملوك بنى بويه بقلعة الرى وكان طغرلبك سجنه أولا بقلعة السيروان ثم نقله إلى قلعة الرى فتوفى بها. وفيها عصى أبوعلى بن أبى الجبر بالبطائح وكان متقدم بعض نواحيها فأرسل إليه طغرلبك جيشا مع عميد العراق أبى نصر فهزمهم أبوعلى. وفيها يوم النوروز أرسل السلطان مع وزيره عميد الملك إلى الخليفة عشرة آلاف دينار سوى ما أضيف إليها من الأعلاق النفيسة. وفيها فى صفر توفى أبوالفتح بن شيطا القارى الشاهد وكانت شهادته سنة خمس وأربعين وأربعمائة وفيها فى شهر ربيع الأول توفى القاضى أبوالطيب الطبرى الفقيه الشافعى وله مائة سنة وسنتان وكان صحيح السمع والبصر سليم الأعضاء يناظر ويفتى ويستدرك على الفقهاء وحضر عميد الملك جنازته ودفن عند قبر أحمد وله شعر حسن وفى سلخه توفى قاضى القضاة أبوالحسين على بن محمد بن حبيب الماوردى الفقيه الشافعى وكان إماما وله تصانيف كثيرة منها الحاوى وغيره فى علوم كثيرة وكان عمره ستا وثمانين سنة وفى آخر هذه السنة توفى أبوعبد الله الحسين ابن على الرفا الضرير الفرضى وكان إماما فقيها على مذهب الشافعى. وفيها فى شوال كانت زلزلة عظيمة بالعراق والموصل ووصلت إلى همذان ولبثت ساعة فخربت كثيرا من الدور وهلك فيها الجم الغفير. وفيها توفى أبومحمد عبدالله ابن على بن عياض المعروف بابن أبى عقيل وكان قد سمع الكثير من الحديث ورواه وتوفى أيضا القاضى أبوالحسن على بن هندى قاضى حمص وكان وافر العلم والأدب. (١)

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر وفاة فرخ زاد صاحب غزنة وملك أخيه إبراهيم ﴾ فى هذه السنة فى صفر توفى الملك فرخ زاد ابن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان قد ثار به مماليكه سنة خمسين واتفقوا على قتله فقصدوه وهو فى الحمام وكان معه سيف فأخذه وقاتلهم ومنعهم عن نفسه حتى أدركه أصحابه وخلصوه وقتلوا أولئك الغلمان وصار بعد أن نجا من هذه الحادثة يكثر ذكر الموت ويحتقر الدنيا ويزدريها وبقى كذلك إلى هذه السنة

(١) وفيها وقع برد بأرض العراق أهلك كثيرا من الغلات وقتل بعض الفلاحين وزادت دجلة زيادة كثيرة وزلزلت بغداد فى هذه السنة قبل الفتنة زلزالا شديدا، فتهدمت دور كثيرة ووردت الأخبار أن هذه الزلزلة اتصلت بهمذان وواسط وتكريت وعانة وذكر أن الطواحين وقفت من شدتها، وفيها كثر النهب ببغداد حتى كانت العمائم تخطف عن الرءوس، وخطفت عمامة الشيخ أبى نصر الطباع وطيلسانه، وهو ذاهب إلى صلاة الجمعة.

Marfat.com

فأصابه قولنج فمات منه وملك بعده أخوه إبراهيم بن مسعود بن محمود فأحسن السيرة فاستعد لجهاد الهند ففتح حصونا امتنعت على أبيه وجده وكان يصوم رجبا وشعبان ورمضان .

﴿ ذكر الصلح بين الملك ابراهيم وجغرى بك داود ﴾ فى هذه السنة استقر الصلح بين الملك إبراهيم بن مسعود ابن محمود بن سبكتكين وبين داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب خراسان على أن يكون كل واحد منهما على ما بيده ويترك منازعة الآخر فى ملكه وكان سبب ذلك أن العقلاء من الجانبين نظروا فرأوا أن كل واحد من الملكين لا يقدر على أخذ ما بيد الآخر وليس يحصل غير انفاق الأموال وإتعاب العساكر ونهب البلاد وقتل النفوس فسعوا فى الصلح فوقع الاتفاق واليمين وكتبت النسخ بذلك فاستبشر الناس وسرهم لما أشرفوا عليه من العافية .

﴿ ذكر وفاة داود وملك ابنه ألب أرسلان ﴾ فى هذه السنة فى رجب توفى جغرى بك داود بن ميكائيل ابن سلجوق أخو السلطان طغرلبك وقيل كان موته فى صفر سنة اثنتين وخمسين وعمره نحو سبعين سنه وكان صاحب خراسان وهو مقابل آل سبكتكين ومقاتلهم ومانعهم عن خراسان فلما توفى ملك بعده خراسان ابنه السلطان ألب أرسلان وخلف داود عدة أولاد ذكور منهم السلطان ألب أرسلان وياقوتى وسليمان. وقاروت بك فتزوج أم سليمان السلطان طغرلبك بعد أخيه داود ووصى له بالملك بعده وكان من أمره ماذكره وكان خيرا عادلا حسن السيرة معترفا بنعمة الله تعالى عليه شاكرا عليها فمن ذلك أنه أرسل إلى أخيه طغرلبك مع عبد الصمد قاضى سرخس يقول له بلغنى إخرابك البلاد التى فتحتها وملكتها وجلا أهلها عنها وهذا مالا خفاء به فى مخالفة أمر الله تعالى فى عباده وبلاده وأنت تعلم ما فيه من سوء السمعة وإيحاش الرعية وقد علمت أننا لقينا أعداءنا ونحن فى ثلاثين رجلا وهم فى ثلثمائة فغلبناهم وكنا فى ثلثمائة وهم فى ثلاثة آلاف فغلبناهم وكنا فى ثلاثة آلاف وهم فى ثلاثين ألفا فدفعناهم وقاتلنا بالأمس شاه ملك وهو فى أعداد كثيرة متوافرة فقهرناه وأخذنا مملكته بخوارزم وهرب من بين أيدينا إلى خمسمائة فرسخ من موضعه فظفرنا به وأسرناه وقتلناه واستولينا على ممالك خراسان وطبرستان وسجستان وصرنا ملوكا متبوعين بعد أن كنا أصاغر تابعين وما تقتضى نعم الله علينا أن نقابلها هذه المقابلة فقال طغرلبك قل له فى الجواب يا أخى أنت ملكت خراسان وهى بلاد عامرة فخربتها ووجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها وأنا وردت بلادا خربها من تقدمنى واجتاحها من كان قبلى فما أتمكن من عمارتها والأعداء محيطة بها والضرورة تقود إلى طرقها بالعساكر ولا يمكن دفع مضرتها عنها وله مناقب كثيرة تركناها خوف الطويل .

﴿ ذكر حريق بغداد ﴾ فى هذه السنة احترقت بغداد الكرخ وغيره وبين السورين واحترقت فيه خزانة الكتب التى وقفها أردشير الوزير ونهبت بعض كتبها وجاء عميد الملك الكندرى فاختار من الكتب خيرها وكان بها عشرة آلاف مجلد وأربعمائة من أصناف العلوم منها مائة مصحف بخطوط بنى مقلة وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق فأزالهم عميد الملك وقعد يختارها فنسب ذلك إلى سوء سيرته وفساد اختياره وشتان بين فعله وفعل نظام الملك الذى عمر المدارس ودون العلم فى بلاد الإسلام جميعها ووقف الكتب وغيرها .

﴿ ذكر انحدار السلطان إلى واسط وما فعل العسكر وإصلاح دبيس ﴾ فى هذه السنة انحدر السلطان طغرلبك إلى واسط بعد فراغه من أمر بغداد فرآها قد نهبت وحضر عنده هزارسب بن بنكير وأصلح معه حال

Marfat.com

Marfat.com

دبيس بن مزيد وأحضره معه إلى خدمة السلطان وأصعد فى صحبته إلى بغداد وكذلك صدقة بن منصور بن الحسين وضمن واسطا أبو على بن فضلان بمائتى ألف دينار وضمن البصرة الأغر أبو سعد سابور بن المظفر وعبر السلطان إلى الجانب الشرقى من دجلة وسار إلى قرب البطائح فنهب العسكر ما بين واسط والبصرة والأهواز وأصعد السلطان إلى بغداد فى صفر سنة اثنتين وخمسين ومعه أبو الفتح بن ورام وهزارسب بن منكير بن عياض ودبيس بن مزيد وأبو علىّ بن الملك أبى كاليجار وصدقة بن منصور بن الحسين وغيرهم واجتمع السلطان بالخليفة وأمر الخليفة بعمل طعام كثير حضره السلطان والأمراء وأصحابهم وعمل السلطان أيضا سماطا أحضر فيه الجماعة وخلع عليهم وسار إلى بلاد الجبل فى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وجعل ببغداد شحنة الأمير برسق وضمنها أبو الفتح المظفر بن الحسين ثلاث سنين بأربع مائة ألف دينار.

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة عزل أبو الحسين بن المهتدى من الخطابة بجامع المنصور لأنه خطب للعلوى ببغداد فى الفتنة وأقيم مقامه بها الشرف أبو على الحسن بن عبد الودود بن المهتدى بالله. وفيها توفى على ابن محمود بن ابراهيم الزوزنى أبو الحسن صحب أبا الحسن الحصرى وروى عن أبى عبد الرحمن السلمى وهو الذى نسب إليه رباط الزوزنى المقابل لجامع المنصور. وفيها فى جمادى الأولى توفى محمد بن على بن الفتح بن محمد ابن علىّ أبو طالب العشارى ومولده فى المحرم سنة ست وستين وثلثمائة وسمع الدارقطنى وغيره.

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عود ولى العهد إلى بغداد مع أبى الغنائم بن المحلبان﴾ فى جمادى الآخرة ورد عدة الدين أبو القاسم المقتدى بأمر الله ولى العهد ومعه جدته أم الخليفة وخرج الناس لاستقباله وجلس فى الزبزب وعلى رأسه أبو الغنائم بن المحلبان وقدم له بباب الغربة فرس فحمله ابن المحلبان على كتفه وأركبه وسلمه إلى مجلس الخليفة فشكره وخرج ابن المحلبان فركب فى الزبزب وانحدر إلى دار أفردت له بباب المراتب ودخل إلى الخليفة واجتمع به وكان سبب مسير ولى العهد مع ابن المحلبان أنه دخل داره فوجد زوجة رئيس الرؤساء وأولاده بها وهم مطلبون من البساسيرى فعرفوه أن رئيس الرؤساء أمرهم بقصده فأدخلهم إلى أهله وأقام لهم من حملهم إلى ميافارقين فساروا مع قرواش لما أصعد من بغداد، ولم يعلم بهم ثم لقيه أبو الفضل محمد بن عامر الوكيل وعرفه ماعليه ولى العهد ومن معه من إيثار الخروج من بغداد وماهم عليه من تناقص الحال فبعث ابن المحلبان زوجته فأتته بهم سرا فتركهم عنده ثمانية أشهر وكان يحضر ابن البساسيرى وأصحابه ويعمل لهم الدعوات وولى العهد ومن معه مستترون عنده يسمعون مايقول أولئك فيهم، ثم اكترى لهم وسار هو فى صحبتهم إلى قريب سنجار ثم حملوا إلى حران وسار مع صاحبها أبى الزمام منيع بن وثاب النميرى حين قصد الرحبة وفتح قرقيسيا وعقد لعدة الدين على بنت منيع وانحدروا إلى بغداد

﴿ذكر ملك محمود بن شبل الدولة حلب﴾ فى هذه السنة فى جمادى الآخرة حصر محمود بن شبل الدولة ابن صالح بن مرداس الكلابى مدينة حلب وضيق عليها واجتمع مع جمع كثير من العرب فأقام عليها فلم يتسهل له فتحها فرحل عنها ثم عاودها فحصرها فملك المدينة عنوة فى جمادى الآخرة بعد أن حصرها وامتنعت القلعة عليه وأرسل من بها إلى المستنصر بالله صاحب مصر ودمشق يستنجدونه فأمر ناصر الدولة أبا محمد الحسين بن

الحسن بن حمدان الأمير بدمشق أن يسير بمن عنده من العساكر إلى حلب يمنعها من محمود فسار إلى حلب فلما سمع محمود بقربه منه خرج من حلب ودخلها عسكر ناصر الدولة فنهبوها ثم إن الحرب وقعت بين محمود وناصر الدولة بظاهر حلب واشتدّ القتال بينهم فانهزم ناصر الدولة وعاد مقهورا إلى مصر وملك محمود حلب وقتل عمه معز الدولة واستقام أمره بها وهذه الوقعة تعرف بوقعة الفنيدق وهى مشهورة .

﴿ذكر عدّة حوادث﴾ فى هذه السنة خلع السلطان طغرلبك على محمود بن الأخرم الخفاجى وردت اليه إمارة بنى خفاجة وولاية الكوفة وسقى الفرات وضمن خواص السلطان هناك بأربعة آلاف دينار كل سنة وصرف عنها رجب بن منيع . وفيها توفى أبو محمد النسوى صاحب الشرطة ببغداد وقد جاوز ثمانين سنة وفيها سدّ بنو ورام بثق النهروانات وشرع العميد أبو الفتح فى عمارة بثوق الكرخ . وفيها فى ذى القعدة توفيت خاتون زوجة السلطان طغرلبك بزنجان فوجد عليها وجدا شديدا وحمل نابوتها إلى الرى فدفنت بها . وفيها ثالث جمادى الآخرة انقض كوكب عظيم القدر عند طلوع الفجر من ناحية المغرب إلى ناحية المشرق فطال لبثه . وفيها جمع عطية بن صالح بن مرداس جمعا وحصر الرحبة وضيق على أهلها فملكها فى صفر من هذه السنة وفيها توفيت ولدة الخليفة القائم بأمر الله واسمها قطر الندى ، وقيل بدر الدجى وقيل علم وهى جارية أرمينية وفيها توفى محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن أبو على المعروف بالجازرى النهروانى وكان مكثرا من الرواية (الجازرى بالجيم وبعد الألف زاى ثم راء) وفيها توفى باى أبو منصور الفقيه الجبلى بالباء الموحدة وبعد الألف ياء تحتها نقطتان ومحمد بن عبيد بن أحمد بن محمد أبو عمرو بن أبى الفضل الفقيه المالكى . (١)

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وزارة ابن دارست للخليفة﴾ لما عاد الخليفة إلى بغداد استخدم أباتراب الأثيرى فى الإنهاء وحضور المواكب ولقبه حاجب الحجاب وكان قد خدمه بالحديثة وقرب منه فخاطب الشيخ أبو منصور بن يوصف فى وزارة أبى الفتح منصور بن أحمد بن دارست وقال إنه يخدم بغير إقطاع ويحمل مالا فأجيب إلى ذلك فأحضر من الأهواز إلى بغداد وخلع عليه خلعة الوزارة منتصف ربيع الآخر وجلس فى منصبه ومدحه الشعراء فممن مدحه وهناه أبو الحسن الخباز بقصيدة منها :

أمن الملك بالأمين أبى الفتح وصدّت عن صفوه الأقذاء

---

(١) وفيها فى يوم الخميس السابع عشر من صفر ، دخل السلطان بغداد مرجعه من واسط ، بعد قتل البساسيرى ، وفى يوم الحادى والعشرين جلس الخليفة فى داره وأحضر الملك طغرلبك ، ومد سماطا عظيما فأكل الأمراء منه والعامة ثم فى يوم الخميس ثانى ربيع الأول عمل السلطان سماطا للناس ، وفى يوم الثلاثاء تاسع جمادى الآخرة قدم الأمير عدة الدين أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين بن أمير المؤمنين القائم بأمر الله . وعمته وله من العمر يومئذ أربع سنين ، صحبة أبى الغنائم ، فتلقاه الناس إجلالا لجده ، وقد ولى الخلافة بعد ذلك ، وسمى المقتدى بأمر الله . وفى رجب وقف أبو الحسن محمد بن هلال العتابى دار كتب ، وهى دار بشارع ابن أبى عوف من غربى بغداد ، ونقل إليها ألف كتاب ، عوضاً عن دار ازدشير التى أحرقت بالكرخ . وفى شعبان ملك محمود بن نصر حلب وقلعتها فامتدحه الشعراء . وفيها ملك عطية بن مرداس الرحبة ، وذلك كله منتزع من أيدى الفاطميين . ولم يحج أحد من أهل العراق فيها ، غير أن جماعة اجتمعوا إلى الكوفة وذهبوا مع الخفراء .

Marfat.com

دولة أصبحت وأنت ولى الـ أى فيها لدولة غـــراء

وهى طويلة وكان ابن دارست فى أول أمره تاجرا للملك أبى كاليجار .

﴿ذكر موت المعز بن باديس وولاية ابنه تميم﴾ فى هذه السنة توفى المعز بن باديس صاحب إفريقية من مرض أصابه وهو ضعف الكبد وكانت مدة ملكه سبعا وأربعين سنة وكان عمره لما ملك إحدى عشرة سنة وقيل ثمان سنين وستة أشهر وكان رقيق القلب خاشعا متجنبا لسفك الدماء إلا فى حد ، حليما يتجاوز عن الذنوب العظام حسن الصحبة مع عبيده وأصحابه مكرما لأهل العلم كثير العطاء لهم كريما وهب مرة مائة ألف دينار المستنصر الزناتى وكان عنده وقد جاءه هذا المال فاستكثره فأمر به فأفرغ بين يديه ثم وهبه له فقيل له لم أمرت بإخراجه من أوعيته قال لئلا يقال لو رآه ما سمحت نفسه به وكان له شعر حسن ولما مات رثاه الشعراء فمنهم أبو الحسن بن رشيق فقال :

لكل حى وإن طال المدى هلك ٭ لا عز مملكة يبقى ولا ملك
ولى المعز على أعقابه فرما ٭ أو كاد ينهد من أركانه الفلك
مضى فقيدا وأبقى فى خزائنه ٭ هام الملوك وما أدراك ما ملكوا
ما كان إلا حساما سـله قـدر ٭ على الذين بغوا فى الأرض واهمكوا
كأنه لم يخض الموت بحر وغى ٭ خضر البحار إذا قيست به برك
ولم يجـد بقناطير مقنطرة ٭ قد أرعيت باسمه إبريزها السكك
روح المعز وروح الشمس قد قبضا ٭ فانظر بأى ضياء يصعد الفلك

ولما توفى ملك بعده ابنه تميم وكان مولد تميم بالمنصورية التى هى مقره منتصف رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وولاه المهدية فى صفر سنة خمس وأربعين فأقام بها إلى أن وافاه أبوه المعز لما انتزح عن القيروان من العرب وقام بخدمة أبيه وأظهر من طاعته وبره ما بان به كذب ما كان ينسب اليه ولما استبدّ بالملك بعد أبيه سلك طريقه فى حسن السيرة ومحبة أهل العلم إلا أنه كان أصحاب البلاد قد طمعوا بسبب العرب وزالت الهيبة والطاعة عنهم فى أيام المعز فلما مات ازداد طمعهم وأظهر كثير منهم الخلاف فممن أظهر الخلاف القائد حمو بن مليك صاحب سفاقس واستعان بالعرب وقصد المهدية ليحاصرها فخرج إليه تميم وصافه فاقتتلوا فانهزم حمو وأصحابه وكثر القتل فيهم ومضى حمو ونجا بنفسه وتفرّقت خيله ورجاله وكان ذلك سنة خمس وخمسين وسار تميم إلى سوسة وكان أهلها قد خالفوا أباه المعز وعصوا عليه فملكها وعفا عن أهلها .

﴿ذكر وفاة قريش صاحب الموصل وإمارة ابنه شرف الدولة﴾ فى هذه السنة توفى قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين أصابه خروج الدم من فيه وأنفه وعينيه وأذنيه فحمله ابنه شرف الدولة إلى نصيبين حتى حفظ خزانته بها وتوفى هناك وسمع فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير حاله فسار من دارا إلى نصيبين وجمع بنى عقيل على أن يؤمروا ابنه أبا المكارم مسلم بن قريش عليهم وكان القائم بأمره جابر بن ناشب فزوجه فخر الدولة بأخت مسلم وزوج مسلما بابنة نصر بن منصور .

﴿ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان﴾ فى هذه السنة توفى نصر الدولة أحمد بن مروان الكردى صاحب ديار بكر ولقبه القادر بالله نصر الدولة وكان عمره نيفا وثمانين سنة وإمارته اثنتين وخمسين سنة واستولى على الأمور

Marfat.com

Marfat.com

ببلاده استيلاء تاما وعمر الثغور وضبطها وتنعم تنعما لم يسمع بمثله عن أحد من أهل زمانه وملك من الجوارى المغنيات ما اشترى بعضهن بخمسة آلاف دينار وأكثر من ذلك وملك خمسمائة سرية سوى توابعهن وخمسمائة خادم وكان فى مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتى ألف دينار وتزوج من بنات الملوك جملة ، وأرسل طباخين إلى الديار المصرية وغرم على إرسالهم جملة وافرة حتى تعلموا الطبخ من هناك وأرسل إلى السلطان طغرلبك هدايا عظيمة من جملتها الجبل الياقوت الذى كان لبنى بويه اشتراه من الملك العزيز أبى منصور بن جلال الدولة وأرسل معه مائة ألف دينار سوى ذلك ووزر له أبو القاسم بن المغربى وفخر الدولة بن جهير ورخصت الأسعار فى أيامه وتظاهر الناس بالأموال وفد إليه الشعراء وأقام عنده العلماء والزهاد وبلغه أن الطيور فى الشتاء تخرج من الجبال إلى القرى فتصاد فأمر أن يطرح لها الحب من الأهراء التى له فكانت فى ضيافته طول عمره ولما مات اتفق وزيره فخر الدولة ابن جهير وابنه نصر فرتب نصرا فى الملك بعد أبيه وجرى بينه وبين أخيه سعيد حروب شديدة كان الظفر فى آخرها لنصر فاستقر فى الإمارة بميا فارقين وغيرها وملك أخوه سعيد آمد .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى رجب خلع على الكامل أبى الفوارس طراد بن محمد الزينبى وقلد نقابة النقباء ولقب الكامل ذا الشرفين . وفيها تولى شمس الدين أسامة بن أبى عبد الله بن على نقابة العلويين ببغداد ولقب المرتضى . وفيها فى جمادى الأولى انكسفت الشمس جميعها فظهرت الكواكب وأظلمت الدنيا وسقطت الطيور الطائرة وفيها فى شهر رمضان توفى شكر العلوى الحسينى أمير مكة وله شعر حسن فمنه .

قوض خيامك عن أرض تضام بها * وجانب الذل إن الذل مجتنب
وارحل إذا كان فى الأوطان منقصة * فالمندل الرطب فى أوطانه حطب

وفيها توفى أبو القاسم على بن محمد بن يحيى الشمشاطى بدمشق وكان عالما بالهندسة والرياضيات من علوم الفلاسفة وإليه ينسب الرباط الذى عند جامع دمشق (١) .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر نكاح السلطان طغرلبك ابنة الخليفة ﴾ فى هذه السنة عقد للسلطان طغرلبك على ابنة الخليفة القائم بأمر الله ، وكانت الخطبة تقدمت سنة ثلاث وخمسين مع أبى سعد قاضى الرى فانزعج الخليفة من ذلك وأرسل فى الجواب أبا محمد التميمى وأمره أن يستعفى ، فإن أعفى وإلا تمم الأمر على أن يحمل السلطان ثلثمائة ألف دينار ويسلم واسطا وأعمالها ، فلما وصل إلى السلطان ذكر لعميد الملك الوزير ماورد فيه من الاستعفاء فقال لا يحسن أن يرد السلطان وقد سأل وتضرع ولا يجوز مقابلته أيضا بطلب الأموال والبلاد فهو يفعل أضعاف ماطلب منه . فقال التميمى الأمر لك ومهما فعلته فهو الصواب ، فبنى الوزير الأمر على الإجابة وطالع به السلطان فسر به وجمع الناس وعرفهم أن همته سمت به إلى الاتصال بهذه الجهة النبوية وبلغ من ذلك ما لم يبلغه سواه من الملوك وتقدم إلى عميد الملك الوزير أن يسير ومعه أرسلان خاتون زوجة الخليفة وأن يصحبها مائة ألف دينار برسم الحمل وماشاكلها من الجواهر وغيرها ووجه معه فرامرز بن كاكويه وغيره من وجوه الأمراء وأعيان

---

(١) وفيها ضمن أبو إسحاق بن علاء اليهودى ، ضياع الخليفة من صرصر إلى أوانى ، كل سنة ، ستة وثمانين ألف دينار وسبعة عشر ألف كر من غلة .

الرى، فلما وصل إلى الإمام القائم بأمر الله وأوصل خاتون زوجة الخليفة إلى دارها وأنهى حضوره وحضور من معه وذكر حال الوصلة فامتنع الخليفة من الإجابة إليها ، وقال إن أعقبنا وإلا خرجنا من بغداد ، فقال عميد الملك كان الواجب الامتناع من غير اقتراح وعند الإجابة إلى ماطلب فالامتناع معى على دم وأخرج خيامه إلى النهروان فاستوقفه قاضى القضاة والشيخ أبو منصور بن يوسف وانهيا إلى الخليفة عاقبة انصرافه على هذا الوجه وصنع له ابن دارست وزير الخليفة دعوة لحضر عنده فرأى على مسجد مكتوبا معاوية خال على فأمر بحكه وكتب من الديوان إلى خمارتكين الطغرائى كتابا يتضمن الشكوى من عميد الملك فورد الجواب عليه بالرفق وكتب الخليفة إلى عميد الملك نحن نرد الأمر إلى رأيك ونعول على أمانك ودينك لحضر يوما عند الخليفة ومعه جماعة من الأمراء والحجاب والقضاة والشهود فأخذ المجلس لنفسه ولم يتكلم سواه ، وقال للخليفة اسأل مولانا أمير المؤمنين التطول بذكر ما شرف به العبد المخلص شاهنشاه ركن الدين فيما رغب فيه ليعرفه الجماعة فقالطه ، وقال قد سطر فى المعنى مافيه كفاية فانصرف عميد الملك مغيظا ورحل فى السادس والعشرين من جمادى الآخرة وأخذ المال معه إلى همذان وعرف السلطان أن السبب فى اتساق الحال من خمارتكين الطغرائى فتغير السلطان عليه فهرب فى ستة غلمان وكتب السلطان إلى قاضى القضاة والشيخ أبى منصور بن يوسف يعتب ويقول هذا جزائى من الخليفة الذى قلت أخى فى خدمته وأنفقت أموالى فى نصرته وأهلكت خواصى فى محبته وأطال العتاب وعاد الجواب إليه بالاعتذار وأما الطغرائى فإنه أدرك ببروجرد فقال أولاد إبراهيم ينال للسلطان إن هذا قتل أبانا ونسأل أن نمكن من قتله وأعلمهم عميد الملك فأذن لهم فى قتله فساروا إلى طريقه وقتلوه وجعل مكانه ساوتكين وبسط الكندرى لسانه ، وطلب طغرلبك ابنة أخيه زوجة الخليفة لتعاد إليه وجرى ما كاد يفضى إلى الفساد الكلى فلما رأى الخليفة شدة الأمر أذن فى ذلك وكتب الوكالة باسم عميد الملك وسيرت الكتب مع أبى الغنائم بن المحلبان وكان العقد فى شعبان سنة أربع وخمسين بظاهر تبريز وهذا مالم يجر للخلفاء مثله فإن بنى بويه مع تحكمهم ومخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمعوا فى مثل هذا ولا سامح فعله وحمل السلطان أموالا كثيرة وجواهر نفيسة للخليفة ولولى العهد وللجهة المطلوبة ولوالدتها وغيرهم وجعل يعقوبا وما كان بالعراق للخاتون زوجة السلطان التى توفيت للسيدة ابنة الخليفة .

(ذكر عزل ابن دارست ووزارة ابن جهير) فى هذه السنة عزل أبو الفتح محمد بن منصور بن دارست من وزارة الخليفة وسببه أنه وصل معه إنسان يهودى يقال له ابن علان فضمن أعمال الوكلاء التى لخاص الخليفة بستة آلاف كر غلة ومائة ألف دينار فصح منها ألفا كرّ وثلاثون ألف دينار وانكسر الباقى فظهر عجز ابن دارست ووهنه فعزل وعاد إلى الأهواز فتوفى بها سنة سبع وستين وكان فخر الدولة أبو نصر بن جهير وزير نصر الدولة بن مروان قد أرسل يخطب الوزارة وبذل فيها بذولا كثيرة فأجيب إليها وأرسل كامل طراد الزينبى إلى ميافارقين كأنه رسول فلما عاد سار معه ابن جهير كالمودع له فتمم السير معه وخرج ابن مروان فى أثره فلم يدركه فلما وصل إلى بغداد خرج الناس إلى استقباله وخلع عليه خلع الوزارة يوم عرفة ولقب فخر الدولة واستقرّ فى الوزارة ومدحه وهناه ابن الفضل وغيره من الشعراء .

(ذكر عدة حوادث) فى هذه السنة عم الرخص جميع الأصقاع فبيع بالبصرة ألف رطل من التمر بثمانية قراريط . وفيها توفى القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى بمصر . وفيها سار السلطان

Marfat.com

طغرلبك إلى قلعة الطرم من بلاد الديلم وقرّر على مسافر ملكها مائة ألف دينار وألف ثوب . وفيها مات أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب معز الدولة بحلب وقام أخوه عطية مقامه وتوفى الحسن بن علي ابن محمد أبو محمد الجوهرى ومولده سنة ثلاث وستين وثلثمائة وكان من الأئمة المكثرين من سماع الحديث وروايته وهو آخر من حدث عن أبي بكر القطيعى والأبهرى وابن شاذان وغيرهم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر ورود السلطان بغداد ودخوله بابنة الخليفة ﴾ فى هذه فى السنة المحرم توجه السلطان طغرلبك من أرمينية إلى بغداد وأراد الخليفة أن يستقبله فاستعفاه من ذلك وخرج الوزير ابن جهير فاستقبله وكان مع السلطان من الأمراء أبو على بن الملك أبى كاليجار وسرخاب بن بدر وهزارسب وأبو منصور فرامرز بن كاكويه فنزل عسكره فى الجانب الغربى فزاد بهم أذى ووصل عميد الملك إلى الخليفة وطالب بالجهة وبات بالدار فقيل له خطك موجود بالشرط وأن المقصود بهذه الوصلة الشرف لا الاجتماع وأنه إن كانت مشاهدة فتكون فى دار الخلافة ، فقال السلطان نفعل هذا ولكن نفرد له من الدور والمساكن ما يكفيه ومعه خواصه وحجابه ومماليكه فإنه لا يمكنه مفارقتهم فحينئذ نقلت إلى دار المملكة فى منتصف صفر فجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل السلطان إليها وقبل الأرض وخدمها ولم تكشف الخمار عن وجهها ولا قامت هى له وحمل لها شيئا كثيراً من الجواهر وغيرها وبقى كذلك يحضر كل يوم يخدم وينصرف وخلع على عميد الملك وعمل السماط عدة أيام وخلع على جميع الأمراء وظهر عليه سرور عظيم وعقد ضمان بغداد على أبى سعيد القاينى بمائة وخمسين ألف دينار فأعاد ما كاد أطلقه رئيس العراقين من المواريث والمكوس وقبض على الأعرابى سعد ضامن البصرة وعقد ضمان واسط على أبى جعفر بن صقالب بمائتى ألف دينار .

﴿ ذكر وفاة السلطان طغرلبك ﴾ فى هذه السنة سار السلطان من بغداد فى ربيع الأول إلى بلد الجبل فوصل إلى الرى واستصحب معه أرسلان خاتون ابنة أخيه زوجة الخليفة لأنها شكت اطراح الخليفة لها فأخذها معه فمرض وتوفى يوم الجمعة ثامن شهر رمضان وكان عمره سبعين سنة تقريبا وكان عقيما لم يلد ولدا وكان وزيره الكندرى على سبعين فرسخا فأتاه الخبر فسار ووصل إليه فى يومين وهو بعد لم يدفن فدفنه وجلس له الوزير فخر الدولة بن جهير ببغداد للعزاء حكى عنه الكندرى أنه قال رأيت وأنا بخراسان فى المنام كأننى رفعت إلى السماء وأنا فى ضباب لا أبصر معه شيئا غير أنى أشم رائحة طيبة وأننى أنادى إنك قريب من البارى جلت قدرته فاسأل حاجتك لتقضى فقلت فى نفسى أسأل طول العمر فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب ما يكفينى فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب مايكفينى فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب لا يكفينى فلما مات حسب عميد الملك عمره على التقريب فكان سبعين سنة وكانت مملكته بحضرة الخلافة سبع سنين وأحد عشر شهرا وأثنى عشر يوما وأما الأحوال بالعراق بعد وفاته فإنه كتب من ديوان الخلافة إلى شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل إلى نور الدولة دبيس بن مزيد والى هزارسب والى بنى ورام والى بدر بن المهلهل بالاستدعاء إلى بغداد وأرسل لشرف الدولة تشريفا وعمل أبو سعد القاينى ضامن بغداد سورا على قصر عيسى وجمع الغلات فانحدر إبراهيم بن شرف الدولة إلى أوانا وتسلم أصحابه الأنبار وانتشرت البادية

Marfat.com

فى البلاد وقطعوا الطرقات وقدم إلى بغداد دبيس بن مزيد وخرج الوزير ابن جهير لاستقباله وقدم أيضا ورام وتوفى ببغداد أبو الفتح بن ورام مقد الأكراد الجاوانية فحمل إلى جرجرايا وفارق شرف الدولة مسلم بغداد ونهب النواحى فسار نور الدولة والأكراد وبنو خفاجة إلى قتاله ثم أرسل إليه من ديوان الخلعة رسول معه خلعة له وكوتب بالرضا عنه وانحدر إليه نور الدولة دبيس فعمل له شرف الدولة سماطا كثيرا وكان فى الجماعة الأشرف أبو الحسين بن فخر الملك أبى غالب بن خلف كان قصد شرف الدولة مستجديا فمضغ لقمة فمات من ساعته وحكى عنه بعض من صحبه أنه سمعه ذلك اليوم يقول اللهم اقبضنى فقد ضجرت من الإضافة فلما توفى ورفع من السماط خاف شرف الدولة أن يظن من حضر أنه تناول طعاما مسموما قصد به غيره فقال يا معشر العرب لا برح منكم أحد ونهض وجلس مكان ابن فخر الملك المتوفى وجعل يأكل من الطعام الذى بين يديه فاستحسن الجماعة فعله وعادوا عنه وخلع على دبيس وولده منصور وعاد إلى حلته ولما رأى الناس ببغداد انتشار الأعراب فى البلاد ونهبها حملوا السلاح لقتالهم وكان ذلك سببا لكثرة العيارين وانتشار المفسدين.

﴿ ذكر شيء من سيرته ﴾ كان عاقلا حليما من أشد الناس احتمالا وأكثرهم كتمانا لسره ظفر بملطفات كتبها بعض خواصه إلى الملك أبى كاليجار فلم يطلعه على ذلك ولا تغير عليه حتى أظهره بعد مدة طويلة لغيره وحكى عنه أقضى القضاة الماوردى قال لما أرسلنى القائم بأمر الله إليه سنة ثلاث وثلاثين كتبت كتابا إلى بغداد أذكر فيه سيرته وخراب بلاده وأطعن عليه بكل وجه فوقع الكتاب من غلامى فحمل إليه فوقف عليه وكتمه ولم يحدثنى فيه بشيء. ولا تغير عما كان عليه من إكرامى وكان رحمه الله يحافظ على الصلوات ويصوم الاثنين والخميس وكان لبسه الثياب البياض وكان ظلوما غشوما قاسيا وكان عسكره يغصبون الناس أموالهم وأبديهم مطلقة فى ذلك نهارا وليلا وكان كريما فمن كرمه أن أخاه إبراهيم ينال أسر من الروم لما غزاهم بعض ملوكهم فبذل فى نفسه أربعمائة ألف دينار فلم يقبل إبراهيم منه وحمله إلى طغرلبك فأرسل ملك الروم إلى نصر الدولة بن مروان حتى خاطب طغرلبك فى فكاكه، فلما سمع طغرلبك رسالته أرسل الرومى إلى ابن مروان بغير فداء ويسير معه رجلا علويا فأنفذ ملك الروم إلى طغرلبك مالم يحمل فى الزمان المتقدّم وهو ألف ثوب ديباج وخمسمائة ثوب أصناف وخمسمائة رأس من الكراع إلى غير ذلك وأنفذ مائتى ألف دينار ومائة لبنة فضة وثلثمائة شهرى وثلثمائة حمار مصرية وألف عنز بيض الشعور سود العيون والقرون وأنفذ إلى ابن مروان عشرة أمناء مسكا وعمر ملك الروم الجامع الذى بناه مسلمة بن عبد الملك بالقسطنطينية وعمر منارته وعلق فيه القناديل وجعل فى محرابه قوسا ونشابة وأشاع المهادنة.

﴿ ذكر ملك السلطان ألب ارسلان ﴾ لما مات السلطان طغرلبك أجلس عميد الملك الكندى فى السلطنة سليمان بن داود جغرى بك أخى السلطان طغرلبك وكان طغرلبك قد عهد إليه بالملك، وكانت والدة سليمان عند طغرلبك فلما خطب له بالسلطنة اختلف الأمراء فمضى باغى سيان واردم إلى قزوين وخطبا لعضد الدولة ألب أرسلان محمد بن داود جغرى بك وهو حينئذ صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون إليه، فلما رأى عميد الملك الكندرى انعكاس الحال عليه أمر بالخطبة بالرأى للسلطان ألب أرسلان، وبعده لأخيه سليمان.

﴿ ذكر خروج حمو عن طاعة تميم بن المعز بإفريقية ﴾ فى هذه السنة خالف حمو بن مليك صاحب مدينة

Marfat.com

Marfat.com

سفاقس بإفريقية على الأمير تميم بن المعز بن باديس فجمع أصحابه واستعان بالعرب وسار إلى المهدية فسمع تميم الخبر فسار إليه بعساكر ومعه أيضا طائفة من العرب من زغبة ورياح ووصل حمو إلى سلقطة والتقى الفريقان بها وكان بينهما حرب شديدة فانهزم حمو ومن معه وأخذتهم السيوف فقتل أكثر حماته وأصحابه ونجا بنفسه وتفرقت رجاله وعاد تميم مظفراً منصوراً ثم قصد بعد هذه الحادثة مدينة سوسة وكان أهلها قد خالفوا عليه فملكها وعفا عنهم وحقن دماءهم .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة فى المحرم قبض بمصر على الوزير أبى الفرج بن المغربى . وفيها دخل الصليحى صاحب اليمن إلى مكة مالكا لها فأحسن السيرة فيها وجلب إليها الأقوات ورفع جور من تقدم وظهرت منه أفعال جميلة وفيها فى ربيع الآخر انقض كوكب عظيم وكان له ضوء كثير وفيها فى شعبان كان بالشام زلزلة عظيمة خرب منها كثير من البلاد وانهدم سور طرابلس . وفيها ملك أمير الجيوش بدر دمشق للمستنصر صاحب مصر فوصل إليها فى الثالث والعشرين من ربيع الآخر وأقام بها واختلف هو والجند فثاروا به ووافقهم العامة فضعف عنهم ففارقها فى رجب سنة ست وخمسين . وفيها توفى سعيد بن نصر الدولة بن مروان صاحب آمد من ديار بكر وزهير بن الحسين بن على أبو نصر الجذامى الفقيه الشافعى تفقه على أبى حامد الإسفرايني وسمع الحديث الكثير ورواه وكان موته بسرخس (١)

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر القبض على عميد الملك وقتله ﴾ فى هذه السنة قبض السلطان ألب أرسلان على الوزير عميد الملك أبى نصر منصور بن محمد الكندرى وزير طغرلبك وسبب ذلك أن عميد الملك قصد خدمة نظام الملك وزير ألب أرسلان وقدم بين يديه خمسمائة دينار واعتذر وانصرف من عنده فسار أكثر الناس معه فخوف السلطان من غائلة ذلك فقبض عليه وأنفذه إلى مرو الروذ وأتى عليه سنة فى الاعتقال ثم نفذ إليه غلامين فدخلا عليه وهو محموم فقالا له تب مما أنت عليه ففعل ودخل فودع أهله وخرج إلى مسجد هناك فصلى ركعتين وأراد الغلامان خنقه ، فقال لست بلص وخرق خرقة من طرف كمه وعصب عينيه فضربوه بالسيف وكان قتله فى ذى الحجة ولف فى قميص دبيقى من ملابس الخليفة وخرقه كانت البردة التى عند الخلفاء فيها وحملت جثته إلى كندر فدفن عند أبيه وكان عمره يوم قتل نيفا وأربعين سنة وكان سبب اتصاله بالسلطان طغرلبك أن السلطان لما ورد نيسابور طلب رجلا يكتب له ويكون فصيحا بالعربية فدل عليه الموفق والد أبى سهل وأعطته السعادة وكان فاضلا وانتشر من شعره ماقاله فى غلام تركى صغير السن كان واقفا على رأسه يقطع بالسكين قصبة فقال عميد الملك فيه :

أنا مشغول بحبه * وهو مشغول بلعبه * لو أراد الله خيرا * وصلاحا لحبه
نقلت رقة خدي * ه إلى قسوة قلبه * صانه الله فما أ * كثر إعجابى بعجبه

---

(١) وفيها كانت زلزلة عظيمة بواسط وأرض الشام ، فهدمت قطعة من سور طرابلس . وفيها وقع بالناس موتان : بالجدرى والفجأة ، ووقع بمصر وباء شديد ، كان يخرج منها كل يوم ألف جنازة . وفيها توفى سعيد بن مروان صاحب آمد ، ويقال إنه سم ، فانتقم صاحب مياه قارقين ممن سمه فقطعه قطعا .

Marfat.com

ومن شعره إن كان بالناس ضيق من مناقشتى * فالموت قد وسع الدنيا على الناس
مضيت والشامت المغبون يتبعنى * فكل لكأس المنايا شارب حاسى

وقال أبو الحسن الباخرزى يخاطب ألب ارسلان عند قتل الكندرى :

وعمك أدناه وأعلى محله * وبوّأه من ملكه كنفا رحبا
قضى كل مولى منكما حق عبده * فخوله الدنيا وخولته العقبى

وكان عميد الملك خصيا قد خصاه طغرلبك لأنه أرسله يخطب عليه امرأة ليتزوجها فتزوجها هو وعصى عليه فظفر به وخصاه وأقره على خدمته وقيل بل أعداؤه أشاعوا عنه أنه تزوجها فخصى نفسه ليخلص من سياسة السلطنة فقال فيه على بن الحسن الباخرزى :

قالوا محا السلطان منه تعزة * سمة الفحول وكان قرما هائلا
قلت اسكتوا فالآن زاد فخولة * لما اعتدى عن أنثييه عاطلا
فالفحل يأنف أن يسمى بعضه * أنثى لذلك جذه مستأصلا

يعنى بالأنثى واحدة الانثيين وكان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة فى الشافعى رضى الله تعالى عنه بلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان فى لعن الرافضة على منابر خراسان فأذن فى ذلك فأمر لمنهم وأضاف إليهم الأشعرية فأنف من ذلك أئمة خراسان منهم الإمام أبو القاسم القشيرى والإمام أبو المعالى الجوينى وغيرهما ففارقوا خراسان وأقام أمام الحرمين بمكة أربع سنين إلى أن انقضت دولته يدرس ويفتى فلهذا لقب إمام الحرمين فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزح منهم وأكرمهم وأحسن إليهم وقيل أنه تاب من الوقيعة فى الشافعى فإن صح فقد أفلح وإلا (فعلى نفسها براقش تجنى) ومن العجب أن ذكره دفن بخوارزم لما خصى ودمه مسفوح بمرو وجسده مدفون بكندر ورأسه ما عدا قحفه مدفون بنيسابور ونقل قحفه إلى كرمان لأن نظام الملك كان هناك فاعتبروا يا أولى الأبصار ولما قرب للقتل قال للقاصد اليه قل لنظام الملك بئسما عودت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر قليبا وقع فيه ولم يخلف عميد الملك غير بنت .

﴿ذكر ملك ألب أرسلان خلاط وهراة وصغانيان﴾ لما توفى طغرلبك وملك ألب أرسلان عصى عليه أمير خلاط بقلعته ومنع الخراج فقصده السلطان فرأى الحصن منيعا على شاهق فأقام عليه وقاتله فلم يصل منه إلى مراده فمضى بعض الأيام باشر ألب أرسلان القتال بنفسه وترجل وصعد فى الجبل فتبعه الخلق وتقدموا عليه فى الموقف وألحوا فى الزحف والقتال وكان صاحب القلعة على شرافة من سورها يحرض الناس على القتال فاتته نشابة من العسكر فقتلته وتسلم ألب أرسلان القلعة وصارت فى جملة ممالكه وكان عمه خفر الملك بيغو ابن ميكائيل فى هراة فعصى أيضا عليه وطمع فى الملك لنفسه فسار إليه ألب أرسلان فى العساكر العظيمة فحصره وضيق عليه وأدام القتال ليلا ونهارا فتسلم المدينة وخرج عمه إليه فأبقى عليه وأكرمه وأحسن صحبته وسار من هناك إلى صغانيان وأميرها اسمه موسى وكان قد عصى عليه ، فلما قاربه ألب أرسلان صعد موسى إلى قلعة على رأس جبل شاهق ومعه من الرجال الكماة جماعة كثيرة فوصل السلطان إليه وباشر الحرب لوقته فلم ينتصف النهار حتى صعد العسكر الجبل وملكوا القلعة قهرا وأخذ موسى أسيرا فأمر بقتله فبذل فى نفسه أموالا كثيرة فقال السلطان ليس هذا أوان تجارة واستولى على تلك الولاية بأسرها وعاد إلى مرو ثم منها إلى نيسابور .

﴿ذكر عود ابنة الخليفة إلى بغداد والخطبة للسلطان ألب أرسلان ببغداد﴾ فى هذه السنة أمر السلطان ألب أرسلان السيدة ابنة الخليفة بالعود إلى بغداد وأعلمها أنه لم يقبض على عميد الملك إلا لما اعتمده من نقلها من بغداد إلى الرى بغير رضا الخليفة وأمر الأمير إيتكين السليمانى بالمسير فى خدمتها إلى بغداد والمقام بها شحنة وأنفذ أبا سهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفق للمسير فى الصحبة وأمر بالمخاطبة فى إقامة الخطبة له فسارت فى الطريق مجدرا وهذا أبو سهل من رؤساء أصحاب الشافعى بنيسابور وكان يحضر طعامه فى رمضان كل ليلة أربعمائة متفقه ويصلهم ليلة العيد بكسوة ودنانير تعمهم فلما سمع بموته أرسل العميد أبا الفتح المظفر بن الحسين فسارت أيضا فى الطريق فألزم السلطان رئيس العراقين بالمسير فوصلوا بغداد منتصف ربيع الآخر وخرج عميد الدولة ابن الوزير فخر الدولة بن جهير لتلقيهم واقترح السلطان أن يخاطب بالولد المؤيد فأجيب إلى ذلك ولقب ضياء الدين عضد الدولة وجلس الخليفة جلوسا عاما سابع جمادى الأولى وشافه الرسل بتقليد ألب أرسلان للسلطنة وسلمت الخلع بمشهد من الخلق وأرسل اليه من الديوان لأخذ البيعة النقيب طرادا الزينبى فوصلوا وهو بنقجوان من أذربيجان فلبس الخلع وبايع للخليفة .

﴿ذكر الحرب بين ألب أرسلان وقتلمش﴾ سمع ألب أرسلان أن شهاب الدولة قتلمش وهو من السلجوقية أيضا وهو جد الملوك أصحاب قونية وقيصرية وأقصرا وملطية يومنا هذا قد عصى عليه وجمع جموعا كثيرة وقصد الرى ليستولى عليها فجهز ألب أرسلان جيشا عظيما وسيرهم على المغازة إلى الرى فسبقوا قتلمش إليها وسار ألب أرسلان من نيسابور أول المحرم من هذه السنة ، فلما وصل إلى دامغان أرسل إلى قتلمش ينكر عليه فعله وينهاه عن ارتكاب هذه الحال ويأمره بتركها فإنه يرعى له القرابة والرحم ، فأجاب قتلمش جواب مغتر بمن معه من الجموع ونهب قرى الرى وأجرى الماء على وادى الملح . وهى سبخة فتعذر سلوكها فقال نظام الملك قد جعلت لك من خراسان جندا ينصرونك ولا يخذلونك ويرمون ذلك بسهام لا تخطئ وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالإحسان إليهم من أعظم أعوانك وقرب السلطان من قتلمش فلبس نظام الملك السلاح وعبا الكتائب واصطف العسكران ، وكان قتلمش يعلم علم النجوم فوقف ونظر فرأى أن طالعه فى ذلك اليوم قد قارنه نحوس لا يرى معها ظفر فقصد المحاجزة وجعل السبخة بينه وبين ألب أرسلان ليمتنع من اللقاء فسلك ألب أرسلان طريقا فى الماء وخاض غمرته وتبعه العسكر فطلع منه سالما هو وعسكره فصاروا مع قتلمش واقتتلوا فلم يثبت عسكر قتلمش لعسكر السلطان وانهزموا لساعتهم ومضى منهزما إلى قلعة كردكوه وهى من جملة حصونه ومعاقله واستولى القتل والأسر على عسكره فأراد السلطان قتل الأسرى فشفع فيهم نظام الملك فعفا عنهم وأطلقهم ، ولما سكن الغبار ونزل العسكر وجد قتلمش ميتا ملقى على الأرض لا يدرى كيف كان موته قيل إنه مات من الخوف والله أعلم ، فبكى السلطان لموته وقعد لعزائه وعظم عليه فقده فسلاه نظام الملك ودخل ألب أرسلان إلى مدينة الرى آخر المحرم من السنة ، ومن العجب أن هذا قتلمش كان يعلم علم النجوم قد أتقنه مع أنه تركى ويعلم غيره من علوم للقوم ثم إن أولاده من بعده لم يزالوا يطلبون هذه العلوم الأولية ويقربون أهلها فنالهم بهذا غضاضة فى دينهم وسيرد من أخبارهم ما يعلم منه ذلك وغيره من أحوالهم .

﴿ذكر فتح ألب أرسلان مدينة آنى وغيرها من بلاد النصرانية﴾ ثم سار السلطان من الرى أول ربيع الأول وسار إلى أذربيجان فوصل إلى مرند عازما على قتال الروم وغزوهم ، فلما كان بمرند أتاه أمير من أمراء

Marfat.com

التركمان كان يكثر غزو الروم اسمه طغدكين ومعه من عشيرته خلق كثير قد ألفوا الجهاد وعرفوا تلك البلاد وحثه على قصد بلادهم وضمن له سلوك الطريق المستقيم إليها فسار معه فسلك بالعساكر فى مضايق تلك الأرض ومخارمها فوصل إلى نقجوان فأمر بعمل السفن لعبور نهر أرس فقيل له إن سكان خوى وسلماس من أذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وأنهم قد امتنعوا ببلادهم فسير إليهم عميد خراسان ودعاهم إلى الطاعة وتهددهم إن امتنعوا فأطاعوا وصاروا من جملة حزبه وجنده واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر مالا يحصى فلما فرغ من جمع العساكر والسفن سار إلى بلاد الكرج وجعل مكانه فى عسكره ولده ملكشاه ونظام الملك وزيره فسار ملكشاه ونظام الملك إلى قلعة فيها جمع كثير من الروم فنزل أهلها منها وتخطفوا من العسكر وقتلوا منهم فئة كثيرة فنزل نظام الملك وملكشاه وقاتلوا من بالقلعة وزحفوا إليهم فقتل أمير القلعة وملكها المسلمون وساروا منها إلى قلعة سرمارى وهى قلعة فيها المياه الجارية والبساتين فقاتلوها وملكوها وأنزلوا منها أهلها وكان بالقرب منها قلعة أخرى ففتحها ملكشاه وأراد تخريبها فنهاه نظام الملك عن ذلك وقال هى ثغر للمسلمين وشحنها بالرجال والذخائر والأموال والسلاح وسلم هذه القلاع إلى أمير نقجوان وسار ملكشاه ونظام الملك إلى مدينة مريم نشين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى وعامتهم يتقربون إلى أهل هذه البلدة وهى مدينة حصينة سورها من الأحجار الكبار الصلبة المشدودة بالرصاص والحديد وعندها نهر كبير، فأعد نظام الملك لقتالها مايحتاج إليه من السفن وغيرها وقاتلها وواصل قتالها ليلا ونهاراً وجعل العساكر عليها يقاتلون بالنوبة فضجر الكفار وأخذهم الإعياء والكلال فوصل المسلمون إلى سورها ونصبوا عليه السلالم وصعدوا إلى أعلاه لأن المعاول كلت عن نقبه لقوة حجره، فلما رأى أهلها المسلمين على السور رفت ذلك فى أعضادهم وسقط فى أيديهم ودخل ملكشاه البلد ونظام الملك وأحرقوا البيع وخربوها وقتلوا كثيراً من أهلها وأسلم كثير فنجوا من القتل واستدعى ألب أرسلان إليها ابنه ونظام الملك وفرح بما يسره الله من الفتح على يد ولده وفتح لملكشاه فى طريقه عدة من القلاع والحصون وأسر من النصارى مالا يحصون كثرة وساروا إلى سبيذشهر فجرى بين أهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها كثير من المسلمين ثم إن الله تعالى يسر فتحها فملكها ألب أرسلان وسار منها إلى مدينة أعال لال وهى حصينة عالية الأسوار شاهقة البنيان وهى من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة من الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير لايخاض، فلما رآها المسلمون علموا عجزهم عن فتحها والاستيلاء عليها، وكان ملكها من الكرج وهكذا ما تقدم من البلاد التى ذكرنا فتحها وعقد السلطان جسراً على النهر عريضا واشتد القتال وعظم الخطب فخرج من المدينة رجلان يستغيثان ويطلبان الأمان والتمسا من السلطان أن يرسل معهما طائفة من العسكر فسير جمعا صالحا فلما جازوا الفصيل أحاط بهم الكرج من أهل المدينة قاتلوهم فأكثروا القتل فيهم ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك وخرج الكرج من البلد وقصدوا العسكر واشتد القتال، وكان السلطان ذلك الوقت يصلى فأتاه الصريخ فلم يبرح حتى فرغ من صلاته وركب وتقدم إلى الكفار فقاتلهم وكبر المسلمون عليهم فولوا منهزمين فدخلوا البلد والمسلمون معهم ودخلها السلطان وملكها واعتصم جماعة من أهلها فى برج من أبراج المدينة فقاتلهم المسلمون فأمر السلطان بإلقاء الحطب حول البرج وأحراقه ففعل ذلك وأحرق البرج ومن فيه وعاد السلطان إلى خيامه وغنم المسلمون من المدينة مالا حد ولا يحصى ولما جن الليل عصفت ريح شديدة وكان قد بقى من تلك النار التى أحرق بها البرج

Marfat.com

بقية كثيرة فأطارتها الريح فاحترقت المدينة بأسرها وذلك فى رجب سنة ست وخمسين وملك السلطان قلعة حصينة كانت إلى جانب تلك المدينة وأخذها وسار منها إلى ناحية فرس ومدينة آنى وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما دسل ورده ونورة فخرج أهلهما مذعنين بالإسلام وخربوا البيع وبنوا المساجد وسار منها إلى مدينة آنى فوصل إليها فرآها مدينة حصينة شديدة الامتناع لاترام ثلاثة أرباضها على نهر أرس والربع الآخر نهر عميق شديد الجرية لو طرحت فيه الحجارة الكبار لدحاها وحملها والطريق إليها على خندق عليه سور من الحجارة الصم وهى بلدة كبيرة عامرة كثيرة الأهل فيها مايزيد على خمسمائة بيعة فحصرها وضيق عليها إلا أن المسلمين قد أيسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها فعمل السلطان برجا من خشب وشحنه بالمقاتلة ونصب عليه المنجنيق ورماة النشاب فكشفوا الروم عن السور وتقدم المسلمون إليه لينقبوه فأتاهم من لطف الله ما لم يكن فى حسابهم فانهدمت قطعة كبيرة من السور بغير سبب فدخلوا المدينة وقتلوا من أهلها ما لايحصى بحيث أن كثيرا من المسلمين عجزوا عن دخول البلد من كثرة القتلى وأسروا نحوا مما قتلوا وسارت البشرى بهذه الفتوح فى البلاد فسر المسلمون وقرئ كتاب الفتح ببغداد فى دار الخلافة فبرز خط الخليفة بالثناء على ألب أرسلان والدعاء له ورتب فيها أميرا فى عسكر جرار وعاد عنها وقد راسله ملك الكرج فى الهدنة فصالحه على أداء الجزية كل سنة ففعل ذلك ، ولما رحل السلطان عائدا قصد أصبهان ثم سار منها إلى كرمان فاستقبله أخوه قاورت بك بن جغرى بك داود ثم سار منها إلى مرو فزوج ابنه ملكشاه بابنة خاقان ملك ما وراء النهر وزفت إليه فى هذا الوقت وزوج ابنه أرسلان شاه بابنة صاحب غزنة واتحد البيتان البيت السلجوقى والبيت المحمودى واتفقت الكلمة .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى ربيع الأول ظهر بالعراق وخوزستان وكثير من البلاد جماعة من الأكراد خرجوا يتصيدون فرأوا فى البرية خياما سودا وسمعوا منها لطما شديدا وعويلا كثيرا وقائلا يقول قد مات سيدوك ملك الجن وأى بلد لم يلطم أهله عليه ويعملون له العزاء قلع أصله وأهلك أهله فخرج كثير من النساء فى البلاد إلى المقابر يلطمن وينحن وينشرن شعورهن وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك وكان ذلك ضحكة عظيمة ولقد جرى فى أيامنا نحن فى الموصل وماوالاها من البلاد إلى العراق وغيرها نحو هذا وذلك أن الناس سنة ستمائة أصابهم وجع كثير فى حلوقهم ومات منه كثير من الناس فظهر أن امرأة من الجن يقال لها أم عنقود مات ابنها عنقود وكل من لايعمل له مأتما أصابه هذا المرض فكثر فعل ذلك وكانوا يقولون ياأم عنقود اعذرينا قد مات عنقود مادرينا وكان النساء يلطمن وكذلك الأوباش . وفيها ولى أبو الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوى نقابة العلويين ببغداد وإمارة الموسم ولقب بالطاهر ذى المناقب وكان المرتضى أبو الفتح أسامة قد استعفى من النقابة وصاهر بنى خفاجة وانتقل معهم إلى البرية وتوفى أسامة بمشهد أمير المؤمنين على عليه السلام فى رجب سنة اثنتين وسبعين . وفيها فى جمادى الآخرة توفى أبو القاسم عبد الواحد بن على بن برهان الأسدى النحوى المتكلم كان له اختيار فى الفقه وكان عالما بالنسب ويمشى فى الأسواق مكشوف الرأس ولم يقبل من أحد شيئا وكان موته فى جمادى الآخرة وقد جاوز ثمانين سنة وكان يميل إلى مذهب مرجئة المعتزلة ويعتقد أن الكفار لايخلدون فى النار . وفيها انقض كوكب عظيم وكثر نوره

Marfat.com

Marfat.com

فصار أكثر من نور القمر وسمع له دوى عظيم ثم غاب.(١)

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر الحرب بين بنى حماد والعرب﴾ فى هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حماد ومن معه من رجال المغاربة من صنهاجة ومن زناتة ومن العرب عدى والأثبج وبين رياح وزغبة وسليم ومع هؤلاء المعز بن زيرى الزناتى على مدينة سبتة ؛ وكان سببها أن حماد بن بلكين جد الناصر كان بينه وبين باديس بن المنصور من الخلف وموت باديس محاصرا قلعة حماد ما هو مذكور ولولا تلك القلعة لأخذ سريعا وإنما امتنع هو وأولاده بعده بها وهى من أمنع الحصون وكذلك مااستمر بين حماد والمعز بن باديس ودخول حماد فى طاعته ماتقدم ذكره وكذلك أيضا ما كان بن القائد ابن حماد وبين المعز وكان القائد يضمر الغدر وخلع طاعة المعز والعجز يمنعه من ذلك فلما رأى القائد قوة العرب ومانال المعز منهم خلع الطاعة واستبد بالبلاد وبعده ولده محسن وبعده ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد وبعده ابن عمه الناصر بن علناس بن محمد بن حماد وكل منهم متحصن بالقلعة وقد جعلوها دار ملكهم فلما رحل المعز من القيروان وصبرة إلى المهدية تمكنت العرب ونهبت الناس وخربت البلاد وانتقل كثير من أهلها إلى بلاد بنى حماد لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب فعمرت بلادهم وكثرت أموالهم وفى نفوسهم الضغائن والحقود من باديس ومن بعده من أولادهم برثه صغير عن كبير، وولى تميم بن المعز بعد أبيه فاستبد كل من هو ببلد وقلعة بمكانه وتميم صابر يدارى ويتجلد واتصل بتميم أن الناصر بن علناس يقع فيه فى مجلسه ويذمه وأنه عزم على المسير إليه ليحاصره بالمهدية وأنه قد حالف بعض صنهاجة وزناتة وبنى هلال ليعينوه على حصار المهدية فلما صح ذلك عنده أرسل إلى أمراء بنى رياح فأحضرهم إليه وقال أنتم تعلمون أن المهدية حصن منيع أكثره فى البحر لايقاتل منه فى البر غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا وإنما جمع الناصر هذه العساكر إليكم فقالوا له الذى تقوله حق ونحب منك المعونة فأعطاهم المال والسلاح من الرماح والسيوف والدروع والدرق فجمعوا قومهم وتحالفوا واتفقوا على لقاء الناصر وأرسل إلى من مع الناصر من بنى هلال يقبحون عندهم مساعدتهم للناصر ويخوفونهم منه أن قوى وأنه يهلكهم بمن معه من زناتة وصنهاجة وأنهم إنما يستمر لهم المقام والاستيلاء على البلاد إذا تم الخلف وضعف السلطان فأجابهم بنو هلال إلى الموافقة وقالوا اجعلوا أول حملة تحملونها علينا فنحن ننهزم بالناس ونعود عليهم ويكون لنا ثلث الغنيمة فأجابهم إلى ذلك واستقر الأمر وأرسل المعز بن زيرى الزناتى إلى من مع الناصر من زناتة بنحو ذلك فوعدوه أيضا أن ينهزموا فحينئذ رحلت رياح وزناتة جميعها وسار إليهم الناصر بصنهاجة وزناتة وبنى هلال فالتقت العساكر بمدينة سبتة فحملت رياح على بنى هلال وحمل المعز على زناتة فانهزمت الطائفتان وتبعهم عساكر الناصر منهزمين ووقع فيهم القتل فقتل فيمن قتل القاسم بن علناس أخو الناصر وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناتة أربعا وعشرين ألفا وسلم الناصر

---

(١) قال ابن عقيل : كان ابن برهان على مذهب مرجئة المعتزلة وينفى خلود الكفار فى النار ، ويقول : دوام العقاب فى حق من لايجوز عليه التشفى لاوجه له مع ماوصف الله به نفسه من الرحمة ويتأول قوله تعالى (خالدين فيها أبداً) أى أبداً من الآباد ، وقد كان ابن برهان يقدح فى أصحاب أحمد ويخالف اعتقاد المسلمين لأنه قد خالف الإجماع

Marfat.com

فى نفر يسير وغنمت العرب جميع ما كان فى العسكر من مال وسلاح ودواب وغير ذلك فاقتسموها على ما استقر بينهم وبهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد فإنهم قدموها فى ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم وقل المحامى عن البلاد وأرسلوا الألوية والطبول وخيم الناصر بدوابها إلى تميم فودها وقال يقبح بى أن آخذ سلب ابن عمى فأرضى العرب بذلك .

﴿ ذكر بناء مدينة بجاية ﴾ لما كانت هذه الوقعة بين بنى حماد والعرب وقويت العرب فاهتم تميم بن المعز لذلك وأصابه حزن شديد فبلغ ذلك الناصر وكان له وزير اسمه أبو بكر بن أبى الفتوح وكان رجلا جيدا يحب الاتفاق بينهم ويهوى دولة تميم فقال للناصر ألم أشر عليك أن لا تقصد ابن عمك وأن تتفقوا على العرب فإنكما لو اتفقتما لأخرجتما العرب فقال الناصر لقد صدقت ولكن لا مرد لما قدر فأصلح ذات بيننا فأرسل الوزير رسولا من عنده إلى تميم يعتذر ويرغب فى الإصلاح فقبل تميم قوله وأراد أن يرسل رسولا إلى الناصر فاستشار أصحابه فاجتمع رأيهم على محمد بن البعبع وقالوا له هذا رجل غريب وقد أحسنت إليه وحصل له منك الأموال والأملاك فأحضره وأعطاه مالا ودواب وعبيدا وأرسله فسار مع الرسول حتى وصل إلى الناصر فلما أوصل الكتاب وأدى الرسالة قال للناصر معى وصية إليك وأحب أن تخلى المجلس فقال الناصر أنا لا أخفى عن وزيرى شيأ فقال بهذا أمرنى الأمير تميم فقام الوزير أبو بكر وانصرف فلما خرج قال الرسول يا مولاى إن الوزير مخامر عليك هواه مع الأمير تميم لا يخفى عنه من أمورك شيئا وتميم مشغول مع عبيده فاستبد بهم واطرح صنهاجة وغير هؤلاء ولو وصلت بعسكرك ما بت إلا فيها لبغض الجند والرعية لتميم وأنا أشير عليك بما تملك به المهدية وغيرها وذكر له عمارة بجاية وأشار عليه أن يتخذها دار ملك ويقرب من بلاد إفريقية وقال له أنا أنتقل إليك بأهلى وأدبر دولتك فأجابه الناصر إلى ذلك وارتاب بوزيره وسار مع الرسول إلى بجاية وترك الوزير بالقلعة فلما وصل الناصر والرسول إلى بجاية أراه موضع المينا والبلد والدار السلطانية وغير ذلك فأمر الناصر من ساعته بالبناء والعمل وسر بذلك وشكره وعاهده على وزارته إذا عاد إليه ورجعا إلى القلعة فقال الناصر لوزيره إن هذا الرسول محب لنا وقد أشار ببناء بجاية ويريد الانتقال إلينا فاكتب له جواب كتبه ففعل وسار الرسول وقد ارتاب به تميم حيث تجدد بناء بجاية عقيب مسيره إليهم وحضوره مع الناصر فيها وكان الرسول قد طلب من الناصر أن يرسل معه بعض ثقاته ليشاهد الأخبار ويعود بها فأرسل معه رسولا يثق به فكتب معه إننى لما اجتمعت بتميم لم يسألنى عن شىء قبل سؤاله عن بناء بجاية وقد عظم أمرها عليه واتهمنى فانظر إلى من تثق به من العرب ترسلهم إلى موضع كذا فإنى سائر إليهم مسرعا وقد أخذت عهود زويلة وغيرها على طاعتك وسير الكتاب فلما قرأه الناصر سلمه إلى الوزير فاستحسن الوزير ذلك وشكره وأثنى عليه وقال لقد نصح وبالغ فى الخدمة فلا تؤخر عنه إنفاذ العرب ليحضر معهم ومضى الوزير إلى داره وكتب نسخة الكتاب وأرسل الكتاب الذى بخط الرسول إلى تميم وكتابا منه يذكر له الحال من أوله إلى آخره فلما وقف تميم على الكتاب عجب من ذلك وبقى يتوقع له سببا يأخذه به إلا أنه جعل عليه من يحرسه فى الليل والنهار من حيث لا يشعر فأتى بعض أولئك الحرس إلى تميم وأخبره أن الرسول صنع طعاما وأحضر عنده الشريف الفهرى وكان هذا الشريف من رجال تميم وخواصه فأحضره تميم فقال كنت واصلا إليك وحدثه أن ابن البعبع الرسول دعانى فلما حضرت عنده قال أنا فى ذمامك أحب أن تعرفنى مع من أخرج من المهدية

فمنعته من ذلك وهو خائف فأوقفه تميم على الكتاب الذى بخطه وأمره بإحضاره فأحضره الشريف فلما وصل إلى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب لذين سيرهم الناصر ومعهم كتاب الناصر إليه يأمره بالحضور عنده فأخذا الكتاب وخرج الأمير تميم فلما رآه ابن البعيع سقطت الكتب منه فإذا عنوان أحدها من الناصر بن علناس إلى فلان فقال له تميم من أين هذه الكتب فسكت فأخذها وقرأها فقال الرسول ابن البعيع العفو يامولانا فقال لاعفا الله عنك وأمر به فقتل وغرقت جثته .

﴿ذكر ملك ألب أرسلان جند وصيران﴾ فى هذه السنة عبر ألب أرسلان جيحون وسار إلى جند وصيران وهما عند بخارا وقبر جده سلجوق بجند فلما عبر النهر استقبله ملك جند وأطاعه وأهدى له هدايا جليلة فلم يغير ألب أرسلان عليه شيئاً وأقره على مابيده وعاد عنه بعد أن أحسن إليه وأكرمه ووصل إلى كركانج خوارزم وسار منها إلى مرو .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة ابتدئ بعمارة المدرسة النظامية ببغداد : وفيها انقض كوكب عظيم وصار له شعاع كثير أكثر من شعاع القمر وسمع له صوت مفزع ؛ وفيها توفى محمد بن أحمد أبو الحسين بن الأبنوسى روى عن الدارقطنى وغيره[1]

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر عهد ألب أرسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه﴾ فى هذه السنة سار ألب أرسلان من مرو إلى رايكان فنزل بظاهرها ومعه جماعة امراء دولته فأخذ عليهم العهود والمواثيق لولده ملكشاه بأنه السلطان بعده وأركبه ومشى بين يديه يحمل الغاشية وخلع السلطان على جميع الأمراء وأمرهم بالخطبة له فى جميع البلاد التى يحكم عليها ففعل ذلك وأقطع البلاد فأقطع ماذندران للأمير إينانج بيغو وبلخ لأخيه سليمان بن داود جغرى بك وخوارزم لأخيه أرسلان أرغو ومرو لابنه الآخر أرسلان شاه وصغانيان وطخارستان لأخيه الياس وولاية بغشور ونواحيها لمسعود بن أرناش وهو من أقارب السلطان وولاية اسفزار لمودود بن أرتاش .

---

(١) وفيها كان مقتل عميد الملك الكندرى ، وهو منصور بن محمد أبو نصر الكندرى ، وزير طغرلبك ، وكان مسجونا سنة تامه ، ولما قتل حمل فدفن عند أبيه بقرية كندرة ، من عمل طريثيث ، وليست بكندرة التى هى بالقرب من قزوين . واستحوذ السلطان على أمواله وحواصله ، وقد كان ذكياً فصيحاً شاعراً ، لديه فضائل جمة ، حاضر الجواب سريعه . ولما أرسله طغرلبك إلى الخليفة يطلب ابنته ، وامتنع الخليفة من ذلك وأنشد متمثلا بقول الشاعر :

* ماكل مايتمنى المرء يدركه * فأجابه الوزير تمام قوله : * تجرى الرياح بمالا يشتهى السفن *

فسكت الخليفة وأطرق . قتل عن نيف وأربعين سنة . ومن شعره قوله :

إن كان فى الناس ضيق عن منافستى * فالموت قد وسع الدنيا على الناس
مضيت والشامت المغبون يتبعنى * كل لكاس المنايا شارب حاسى

وقد بعثه الملك طغرلبك يخطب له امرأة خوارزم شاه فتزوجها هو ، فخصاه الملك وأقره على عمله فدفن ذكره بخوارزم ، وسفح دمه حين قتل بمرو الروذ ، ودفن جسده بقريته ، وحمل رأسه فدفن بنيسابور ، ونقل قحف رأسه إلى كرمان ، وأنا أشهد أن الله جامع الخلائق إلى ميقات يوم معلوم أين كانوا ، وحيث كانوا ، وعلى أى صفة كانوا سبحانه وتعالى .

Marfat.com

﴿ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس﴾ فى هذه السنة سير تميم صاحب إفريقية عسكراً كثيفاً إلى مدينة تونس وبها أحمد بن خراسان قد أظهر عليه الخلاف وسبب ذلك أن المعز بن باديس أبا تميم لما فارق القيروان والمنصورية ورحل إلى المهدية على ماذكرناه استخلف على القيروان وعلى قابس قائد بن ميمون الصنهاجى وأقام بها ثلاث سنين ثم غلبته هوارة عليها فسلمها إليهم وخرج إلى المهدية ، فلما ولى الملك تميم بن المعز بعد أبيه رده إليها وأقام عليها إلى الآن ثم أظهر الخلاف على تميم والتجأ إلى طاعة الناصر بن علناس بن حماد فسير إليه تميم الآن عسكراً كثيراً فلما سمع بهم قائد بن ميمون علم أنه لاطاقة له بهم فترك القيروان وسار إلى الناصر فدخل عسكر تميم القيروان وخربوا دور القائد وسار العسكر إلى قابس وبها ابن خراسان فحصروه بها سنة وشهرين ثم أطاع ابن خراسان تميما وصالحه وأما قائد فإنه أقام عند الناصر ثم أرسل إلى أمراء العرب فاشترى منهم إمارة القيروان فأجابوه إلى ذلك فعاد إليها فبنى سورها وحصنها

﴿ذكر ملك شرف الدولة الأنبار وهيت وغيرهما﴾ فى هذه السنة سار شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران صاحب الموصل إلى السلطان ألب أرسلان فاقطعه الأنبار وهيت وحربى والسن والبوازيج ووصل إلى بغداد فخرج الوزير فخر الدولة بن جهير فى الموكب فلقيه ونزل شرف الدولة بالحريم الطاهرى وخلع عليه الخليفة

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى العشر الأول من جمادى الأولى ظهر كوكب كبير له ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاث أذرع وهى ممتدة إلى وسط السماء وبقى إلى السابع والعشرين من الشهر وغاب ثم ظهر أيضا آخر الشهر المذكور عند غروب الشمس كوكب قد استدار نوره عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا ولما أظلم الليل صار له ذوائب نحو الجنوب وبقى عشرة أيام ثم اضمحل . وفيها فى جمادى الأخرة كانت بخراسان والجبال زلزلة عظيمة بقيت تتردد أياما تصدعت منها الجبال وأهلكت خلقا كثيرا وانخسف منها عدة قرى وخرج الناس إلى الصحراء فأقاموا هناك . وفيها فى جمادى الأولى وقع حريق بنهر معلى فاحترق من باب الجريد إلى آخر السوق الجديد من الجانبين . وفيها ولدت صبية بباب الأرج ولدا برأسين ورقبتين ووجهين وأربع أيدى على بدن واحد . وفى جمادى الآخرة توفى الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ومولده سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وكان إماما فى الحديث والفقه على مذهب الشافعى وله فيه مصنفات أحدها السنن الكبير عشر مجلدات وغيره من التصانيف الحسنة ، كان عفيفا زاهدا ومات بنيسابور . وفى شهر رمضان منها توفى أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلى ومولده سنة ثمانين وثلاثمائة وعنه انتشر مذهب أحمد رضى الله عنه وكان إليه قضاء الحريم ببغداد بدار الخلافة وهو مصنف كتاب الصفات أتى فيه بكل عجيبة ، وترتيب أبوابه يدل على التجسيم المحض تعالى الله عن ذلك وكان ابن تميمى الحنبلى يقول : لقد خرى أبو يعلى الفراء على الحنابلة خرية لايغسلها الماء . (١)

---

(١) وفيها توفى ابن سيده صاحب المحكم فى اللغة ، أبو الحسين على بن إسماعيل المرسى ، كان إماماً حافظا فى اللغة وكان ضرير البصر ، أخذ علم العربية واللغة عن أبيه ، وكان أبوه ضريراً أيضاً ، واشتغل على أبى العلاء صاعد البغدادى ، وله المحكم فى مجلدات عديدة ، وله شرح الحماسة فى ست مجلدات ، وغير ذلك ، وقرأ على الشيخ أبى عمر الطمانكى كتاب الغريب لأبى عبيد سردا من حفظه ، فتعجب الناس لذلك ، وكان الشيخ يقابل بما يقرأ فى الكتاب فسمع الناس بقراءته من حفظه ، توفى فى ربيع الأول منها وله ستون سنة ، وقيل إنه توفى فى سنة ثمان وأربعين.

Marfat.com

Marfat.com

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر عصيان ملك كرمان على ألب أرسلان وعوده إلى طاعته ﴾ فى هذه السنة عصى ملك كرمان وهو قرا أرسلان على السلطان ألب أرسلان وسبب ذلك أنه كان لهوزير جاهل سولت له نفسه الاستبداد بالبلاد عن السلطان وأن صاحبه إذا عصى احتاج إلى التمسك به فحسن لصاحبه الخلاف على السلطان فأجاب إلى ذلك وخلع الطاعة وقطع الخطبة فسمع ألب أرسلان فسار إلى كرمان فلما قاربها وقعت طليعته على طليعة قرا أرسلان فانهزمت طليعة قرا أرسلان بعد قتال فلما سمع قرا أرسلان وعسكره بانهزام طليعتهم خافوا وتحيروا فانهزموا لايلوى أحد على آخر فدخل قرا أرسلان إلى جيرفت وامتنع بها وأرسل إلى السلطان ألب أرسلان يظهر الطاعة ويسأل العفو عن زلته فعفا عنه وحضر عند السلطان فأكرمه وبكى وأبكى من عنده فأعاده إلى مملكته ولم يغير عليه شيئا من حاله فقال للسلطان إن لى بنات تجهيزهن إليك وأمورهن إليك فأجابه إلى ذلك وأعطى كل واحدة منهن مائة ألف دينار سوى الثياب والأقطاعات ثم سار منها إلى فارس فوصل إلى اصطخر وفتح قلعتها واستنزل واليها فحمل إليه الوالى هدايا عظيمة جليلة المقدار من جملتها قدح فيروزج فيه منوان من المسك مكتوب عليه اسم جمشيد الملك وأطاعه جميع حصون فارس وبقى قلعة يقال لها بهنزاد فسار نظام الملك إليها وحصرها تحت جبلها وأعطى كل من رمى بسهم وأصاب قبضة من الدنانير ومن رمى حجرا ثوبا نفيسا ففتح القلعة فى اليوم السادس عشر من نزوله ووصل السلطان إليه بعد الفتح فعظم محل نظام الملك عنده فأعلى منزلته وزاد فى تحكيمه .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى المحرم منها توفى الأغر أبوسعد ضامن البصرة على باب السلطان بالرى وعقدت البصرة وواسط على هزارمرد بثلاثمائة ألف دينار وفى صفر منها وصل إلى بغداد شرف الملك أبوسعد المستوفى وبنى على مشهد أبى حنيفة رضى الله عنه مدرسة لاصحابه وكتب الشريف أبو جعفر بن البياضى على القبة التى أحدثها :

ألم تر أن العلم كان مشتتا ٭ فجمعه هذا المغيب فى اللحد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة ٭ فأنشرها فضل العميد أبى سعد

وفيها فى جمادى الأولى وصلت أرسلان خاتون أخت السلطان ألب أرسلان وهى زوجة الخليفة إلى بغداد واستقبلها فخر الدولة بن جهير الوزير على فراسخ . وفيها فى ذى القعدة احترقت تربة معروف الكرخى رحمة الله عليه وسبب حريقها أن قيمها كان مريضا فطبخ لنفسه ماء الشعير فانصلت النار بخشب وبوارى كانت هناك فأحرقته واتصل الحريق فأمر الخليفة أباسعد الصوفى شيخ الشيوخ بعمارتها . وفيها فى ذى القعدة فرغت عمارة المدرسة النظامية وتقرر التدريس بها للشيخ أبى إسحق الشيرازى فلما اجتمع الناس لحضور الدرس وانتظروا مجيئه تأخر فطلب فلم يوجد وكان سبب تأخره أنه لقيه صبى فقال له كيف تدرس فى مكان مغصوب فتغيرت نيته عن التدريس بها فلما ارتفع النهار وأيس الناس من حضوره أشار الشيخ أبومنصور ابن يوسف بأبى نصر ابن الصباغ صاحب كتاب الشامل وقال لايجوز أن ينفصل هذا الجمع إلا عن مدرس ولم يبق ببغداد من لم يحضر غير الوزير فجلس أبونصر للدرس وظهر الشيخ أبواسحق بعد ذلك ولما بلغ نظام

الملك الخبر أقام القيامة على العميد أبى سعد ولم يزل يرفق بالشيخ أبى إسحق حتى درس بالمدرسة وكان مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوما . وفيها فى ذى القعدة قتل الصليحى أمير اليمن بمدينة المهجم قتله أحد أمرائها وأقيمت الدعوة العباسية هناك وكان قد ملك مكة على ماذكرناه سنة خمس وخمسين وأمن الحجاج فى أيامه فائنوا عليه خيرا وكسا البيت بالحرير الأبيض الصينى وردّ حلى البيت اليه وكان بنو حسن قد أخذوه وحملوه إلى اليمن فابتاعه الصليحى منهم . وفيها توفى عمر ابن اسمعيل بن محمد أبو على الطوسى قاضيها وكان يلقب العراقى لطول مقامه ببغداد وتفقه على أبى طاهر الإسفرايني الشافعى وأبى محمد الشاشى وغيرهما . (١)

﴿ ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة كانت حرب بين شرف الدولة بن قريش وبين بنى كلاب بالرحبة وهم فى طاعة العلوى المصرى فكسرهم شرف الدولة وأخذ أسلابهم وأرسل أعلاما كانت معهم عليها سمات المصرى إلى بغداد وكسرت وطيف بها فى البلد وأرسلت الخلع إلى شرف الدولة . وفيها فى جمادى الأولى كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة خربت الرملة وطلع الماء من رؤس الآبار وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألف نسمة وانشقت الصخرة بالبيت المقدس وعادت بإذن الله تعالى وعاد البحر من الساحل مسيرة يوم فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون منه فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقا كثيرا . وفيها فى رجب ورد أبو العباس الخوافى بغداد عميدا من جهة السلطان . وفيها عزل فخر الدولة بن جهير من وزارة الخليفة فخرج من بغداد إلى نور الدولة دبيس بن مزيد بالفلوجة وارسل الخليفة إلى أبى يعلى والد الوزير أبى شجاع يستحضره ليوليه الوزارة وكان يكتب لهزارسب بن بنكير فسار فأدركه أجله فى الطريق فمات ثم شفع نور الدولة فى فخر الدولة ابن جهير فأعيد إلى الوزارة سنة إحدى وستين فى صفر . وفيها كان بمصر غلاء شديد وانقضى سنة إحدى وستين وأربعمائة . وفيها حاصر الناصر بن علناس مدينة الأربس بإفريقية ففتحها وأمن أهلها . وفيها فى المحرم توفى الشيخ أبو منصور بن عبد الملك بن يوسف ورثاه ابن الفضل وغيره من الشعراء وعم مصابه المسلمين وكان من أعيان الزمان فمن أفعاله أنه تسلم المارستان العضدى وكان قد دثر واستولى عليه الخراب فجد فى عمارته وجعل فيه ثمانية وعشرين طبيبا وثلاثة من الخزان إلى غير ذلك واشترى له الأملاك النفيسة بعد أن كان ليس به طبيب ولا دواء وكان كثير المعروف والصلات والخير ولم يكن يلقب فى زمانه أحد بالشيخ الأجل سواه . وفى المحرم أيضا توفى أبو جعفر الطوسى فقيه الإمامية بمشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى صفر أعيد فخر الدولة بن جهير إلى وزارة الخليفة على ماذكرناه فلما عاد مدحه ابن الفضل فقال :

---

(١) وفيها هبت ريح حارة ، فمات بسببها خلق كثير ، وفيها وقع غلاء وفناء بدمشق وحلب وحران وأعمال خراسان بكمالها ، ووقع الفناء فى الدواب ، كانت تنتفخ رءوسها وأعينها حتى كان الناس يأخذون حمر الوحش بالايدى وكانوا يأنفون من أكلها .

Marfat.com

قد رجع الحق إلى نصـــابه ٭ وأنت من كل الورى أولى به
ما كنت إلا السيف سلته يد ٭ ثم أعادته إلى قـــرابه

وهى طويلة وفى شعبان احترق جامع دمشق وكان سبب احتراقه أنه وقع بدمشق حرب بين المغاربة أصحاب المصريين والمشارقة فضربوا دارا مجاورة للجامع بالنار فاحترقت واتصلت بالجامع وكانت العامة تعين المغاربة فتركوا القتال واشتغلوا بإطفاء النار من الجامع فعظم الخطب واشتد الأمر وأتى الحريق على الجامع فدثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة(١)

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة أقبل ملك الروم من القسطنطينية فى عسكر كثيف إلى الشام ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل أهلها وهزم محمود بن صالح بن مرداس وبنى كلاب وابن حسان الطائى ومن معهما من جموع العرب ثم إن ملك الروم ارتحل وعاد إلى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة الجوع. وفيها سار أمير الجيوش بدر من مصر فى عساكر كثيرة إلى مدينة صور وحصرها وكان قد تغلب عليها القاضى عين الدولة بن أبى عقيل فلما حصره أرسل القاضى إلى الأمير قرلوا مقدم الأتراك المقيمين بالشام يستنجده فسار فى اثنى عشر ألف فارس فحصر مدينة صيدا وهى لأمير الجيوش بدر فرحل حينئذ بدر فعاد الأتراك فعاود بدر حصر صور برا وبحرا سنة وضيق على أهلها حتى أكلوا الخبز كل رطل بنصف دينار ولم يبلغ غرضه فرحل عنها. وفيها سارت دار ضرب الدنانير ببغداد فى يد وكلاء الخليفة وسبب ذلك أن البهرج كثر فى أيدى الناس على السكك السلطانية وضرب اسم ولى العهد على الدينار وسمى الأميرى ومنع من التعامل بسواه. وفيها ورد رسول صاحب مكة محمد بن أبى هاشم ومعه ولده إلى السلطان ألب أرسلان يخبره بإقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله وللسلطان بمكة وإسقاط خطبة العلوى صاحب مصر وترك الأذان بحى على خير العمل فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعا نفيسة وأجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار وقال إذا فعل أمير المدينة مهنا كذلك أعطيناه عشرين

---

(١) ولم يزل كذلك حتى بلط فى زمن العادل أبى بكر بن أيوب؛ بعد الستمائة سنة من الهجرة؛ وكان جميع ما سقط منه من الرخام والفصوص والأخشاب وغيرها، مودعا فى المشاهد الأربعة، حتى فرغها من ذلك كمال الدين الشهرزورى فى زمن العادل نور الدين محمود بن زنكى، حين ولاه نظره مع القضاء ونظر الأوقاف كلها؛ ونظر دار الضرب وغير ذلك، ولم تزل الملوك تجدد فى محاسنه إلى زماننا هذا؛ فتقارب حاله فى زمن تنكز نائب الشام. وأن ابن الجوزى أرخ ماذكرنا فى سنة ثمان وخمسين وتبعه ابن الساعى أيضاً فى هذه السنة وكذلك شيخنا الذهبى مؤرخ الإسلام وغير واحد والله أعلم. وفيها نقمت الحنابلة على الشيخ أبى الوفا بن عقيل وهو من كبرائهم بتردده إلى أبى على بن الوليد المتكلم المعتزلى واتهموه بالاعتزال وإنما كان يتردد إليه ليحيط علما بمذهبه ولكن شرقه الهوى فشرق شرقة كادت روحه تخرج معها وصارت فيه نزعة منه. وجرت بينه وبينهم فتنة طويلة وتأذى بسببها جماعة منهم وماسكنت الفتنة بينهم إلى سنة خمس وستين، ثم اصطلحوا فيما بينهم، بعد اختصام كبير. وفيها زادت دجلة على إحدى وعشرين ذراعا حتى دخل الماء مشهد أبى حنيفة. وفيها ورد الخبر بأن الأفشين دخل بلاد الروم حتى انتهى إلى غورية، فقتل خلقا وغنم أموالا كثيرة. وفيها كان رخص عظيم فى الكوفة حتى بيع السمك كل أربعين رطلا بحبة. وفيها حج بالناس أبو الغنائم العلوى.

Marfat.com

ألف دينار ، وكل سنة خمسة آلاف دينار . وفيها تزوج عميد الدولة بن جهير بابنة نظام الملك بالرى وعاد إلى بغداد وفيها فى شهر رمضان توفى تاج الملوك هزارسب بن بنكير بن عياض بأصبهان وهو عائد من عند السلطان إلى خوزستان وكان قد علا أمره وتزوج بأخت السلطان وبغى على نور الدولة دبيس بن مزيد وأغرى السلطان به ليأخذ بلاده فلما مات سار دبيس إلى السلطان ومعه شرف الدولة مسلم صاحب الموصل فخرج نظام الملك فلقيهما وتزوج شرف الدولة بأخت السلطان التى كانت امرأة هزارسب وعاد إلى بلادهما من همذان . وفيها كان بمصر غلاء شديد ومجاعة عظيمة حتى أكل الناس بعضهم بعضاً وفارقوا الديار المصرية فورد بغداد منهم خلق كثير هربا من الجوع وورد التجار ومعهم ثياب صاحب مصر وآلات نهبت من الجوع وكان فيها أشياء كثيرة نهبت من دار الخلافة وقت القبض على الطائع لله سنة إحدى وثمانين وثلثمائة ومما نهب أيضا فى فتنة البساسيرى وخرج من خزائنهم ثمانون ألف قطعة بلور كبار وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم وأحد عشر ألف كزاغند وعشرون ألف سيف محلى ، وقال ابن الفضل يمدح القائم بأمر الله ويذكر الحال بقصيدة فيها :

قد علم المصرى أن جنوده * سنو يوسف منها وطاعون عمواس
أقامت به حتى استراب بنفسه * وأوجس منه خيفة أى إيجاس

فى أبيات . وفيها توفى أبو الجوائز الحسن بن على بن محمد الواسطى كان أديبا شاعرا حسن القول فمن قوله :

واحسرتى من قولها * خان عهودى ولها
وحق من صيرنى * وقفا عليها ولها
ماخطرت بخاطرى * إلا كستنى ولها

وتوفى محمد بن أحمد أبو غالب بن بشران الواسطى الأديب وانتهت الرحلة إليه فى الأدب وله شعر فمنه فى الزهد :

ياشائدا للقصور كهلا * أقصر فقصر الفتى الممات
لم يجتمع شمل أهل قصر * إلا قصاراهم الشتات
وإنما العيش مثل ظل * منتقل ماله ثبات

وفيها توفى القاضى أبو الحسين محمد بن إبراهيم بن حزم قاضى دمشق وأبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن أبى العجائز الخطيب بدمشق .

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الخطبة للقائم بأمر الله والسلطان بحلب﴾ فى هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لأمير المؤمنين القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان وسبب ذلك أنه رأى إقبال دولة السلطان وقوتها وانتشار دعوتها فجمع أهل حلب وقال هذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لأجل مذاهبكم والرأى أن نقيم الخطبة قبل أن يأتى وقت لاينفعنا فيه قول ولا بذل فأجاب المشايخ ذلك ولبس المؤذنون السواد وخطبوا للقائم بأمر الله والسلطان فأخذت العامة حصر الجامع وقالوا هذه حصر على بن أبى طالب فليأت أبو بكر بحصر يصلى عليها بالناس ، وأرسل الخليفة إلى محمود الخلع مع نقب النقباء طراد بن محمد الزينبى فلبسها ومدحه ابن سنان الخفاجى وأبو الفنيان بن عيوس وقال أبو عبدالله بن عطية

Marfat.com

Marfat.com

يمدح القائم بأمر الله ويذكر الخطبة بحلب ومكة والمدينة :

كم طائع لك لم تجلب عليه ولم * تعرف لطاعته غير التقى سببا
هذا البشير بإذعان الحجاز وذا * داعى دعه شق وذا المبعوث من حلبا

﴿ ذكر استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب ﴾ فى هذه السنة سار السلطان ألب أرسلان إلى حلب وجعل طريقه على ديار بكر فخرج إليه صاحبها نصر بن مروان وخدمه بمائة ألف دينار وحمل إليه إقامة عرف السلطان أنه قسطها على البلاد فأمر بردها ووصل إلى آمد فرآها ثغرا منيعا فتبرك به وجعل يمر يده على السور ويمسح بها صدره وسار إلى الرها فحصرها فلم يظفر منها بطائل فسار إلى حلب وقد وصلها نقيب النقباء أبو الفوارس طراد بالرسالة للقائمية والخلع فقال له محمود صاحب حلب أسألك الخروج إلى السلطان واستعفاءه لى من الحضور عنده فخرج نقيب النقباء وأخبر السلطان بأنه قد لبس الخلع القائمية وخطب فقال أى شىء تساوى خطبتهم وهم يؤذنون حى على خير العمل ولا بد من الحضور ودوس بساطى فامتنع محمود من ذلك فاشتد الحصار على البلد وغلت الأسعار وعظم القتال وزحف السلطان يوما وقرب من البلد فوقع حجر منجنيق فى فرسه فلما عظم الأمر على محمود خرج ليلا ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميرى فدخلا على السلطان وقالت له هذا ولدى فافعل به ماتحب فتلقاهما بالجميل وخلع على محمود وأعاده إلى بلده فأنفذ إلى السلطان مالا جزيلا .

﴿ ذكر خروج ملك الروم إلى خلاط وأسره ﴾ فى هذه السنة خرج أرمانوس ملك الروم فى مائتى ألف من الروم والفرنج والغرب والروس والبجناك والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجاؤا فى تجمل كثير وزى عظيم وقصد بلاد الإسلام فوصل إلى ملازكرد من أعمال خلاط فبلغ السلطان ألب أرسلان الخبر وهو بمدينة خوى من أذربيجان قد عاد من حلب وسمع ما فيه ملك الروم من كثرة الجموع فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير الأثقال مع زوجته ونظام الملك إلى همذان وسار هو فيمن عنده من العساكر وهم خمسة عشر ألف فارس وجد فى السير وقال لهم إنى أقاتل محتسبا صابرا فإن سلمت فنعمة من الله تعالى وإن كانت الشهادة فإن ابنى ملكشاه ولى عهدى وساروا فلما قارب العدو جعل له مقدمة فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية فى نحو عشرة آلاف من الروم فاقتتلوا فانهزمت الروسية وأسر مقدمهم وحمل إلى السلطان فجدع أنفه وأنفذ بالسلب إلى نظام الملك وأمره أن يرسله إلى بغداد فلما تقارب العسكران أرسل السلطان إلى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال لا هدنة إلا بالرى فانزعج السلطان لذلك فقال له إمامه وفقيهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخارى الحنفى إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان وأرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال فى الساعة التى تكون الخطباء على المنابر فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالإجابة فلما كان تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من أراد الانصراف فلينصرف فما ههنا سلطان يأمر وينهى وألقى القوس والنشاب وأخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط وقال إن قتلت فهذا كفنى وزحف إلى الروم وزحفوا إليه فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه على التراب وبكى وأكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه فخصل المسلمون فى وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون

Marfat.com

فيهم كيف شاؤا وأنزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وقتل منهم ما لايحصى حتى امتلأت الأرض بجثث القتلى وأسر ملك الروم ، أسره بعض غلمان كوهرائين فأراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع الملك لاتقتله فإنه الملك وكان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام الملك فرده استحقارا له فأثنى عليه كوهرائين ، فقال نظام الملك عسى أن يأتينا ملك الروم أسيرا فكان كذلك فلما أسر الغلام الملك أحضره عند كوهرائين فقصد السلطان وأخبره بأسر الملك فأمر بإحضاره فلما أحضر ضربه السلطان ألب أرسلان ثلاثة مقارع بيده وقال له ألم أرسل إليك فى الهدنة فأبيت فقال دعنى من التوبيخ وافعل ما تريد فقال السلطان ما عزمت أن تفعل بى إن أسرتنى فقال أفعل القبيح قال له فما تظن أننى أفعل بك قال إما أن تقتلنى وإما أن تشهرنى فى بلاد الإسلام والأخرى بعيدة وهى العفو وقبول الأموال واصطناعى نائبا عنك قال ما عزمت على غير هذا ففداه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وأن يرسل إليه عساكر الروم أى وقت طلبها وأن يطلق كل أسير فى بلاد الروم واستقر الأمر على ذلك وأنزله فى خيمة وأرسل إليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها فأطلق له جماعة من البطارقة وخلع عليه من الغد فقال ملك الروم أين جهة الخليفة فدل عليها فقام وكشف رأسه وأومأ إلى الأرض بالخدمة وهادنه السلطان خمسين سنة وسيره إلى بلاده وسير معه عسكرا أوصلوه إلى مأمنه وشيعه السلطان فرسخا ، وأما الروم فلما بلغهم خبر الوقعة وثب ميخائيل على المملكة فملك البلاد فلما وصل أرمانوس الملك إلى قلعة دوقية بلغه الخبر فلبس الصوف وأظهر الزهد وأرسل إلى ميخائيل يعرفه ما تقرر مع السلطان وقال إن شئت أن تفعل ما استقر وإن شئت أمسكت فأجابه ميخائيل بإيثار ما استقر وطلب وساطته وسؤال السلطان فى ذلك وجمع أرمانوس ما عنده من المال فكان مائتى ألف دينار فأرسله إلى السلطان وطبقا ذهبا عليه جواهر بتسعين ألف دينار وحلف له أنه لايقدر على غير ذلك ثم إن أرمانوس استولى على أعمال الأرمن وبلادهم ومدح الشعراء السلطان وذكروا هذا الفتح فأكثروا .

﴿ ذكر ملك اتسز الرملة وبيت المقدس ﴾ فى هذه السنة قصد اتسز بن أوق الخوارزمى وهو من أمراء السلطان ملكشاه بلد الشام لجمع الأتراك وسار إلى فلسطين ففتح مدينة الرملة وسار منها إلى البيت المقدس وحصره وفيه عساكر المصريين ففتحه وملك ما يجاورهما من البلاد ماعدا عسقلان وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لأعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها فضاق الأمر بالناس فصبروا ولم يمكنوه من ملك البلد فعاد عنه وأدام قصد أعماله وتخريبها حتى قلت الأقوات عندهم .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة توفى أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفورانى الفقيه الشافعى مصنف كتاب الإبانة وغيرها وفى هذه السنة فى ذى الحجة توفى الخطيب أبو بكر أحمد بن على ابن ثابت البغدادى صاحب التاريخ والمصنفات الكثيرة ببغداد وكان إمام الدنيا فى زمانه وممن حمل جنازته الشيخ أبو إسحق الشيرازى . وتوفى أيضا فيها فى شهر رمضان أبو يعلى محمد بن الحسين بن حمزة الجعفرى فقيه الإمامية وحسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن عبدالله المنيعى المخزومى من أهل مرو الروذ كان كثير الصدقة والمعروف والعبادة والقنوع بالقليل من القوت والإعراض عن زينة الدنيا وبهجتها وكان السلاطين يزورونه ويتبركون به وأكثر من بناء المساجد والخانقاهات والقناطر وغير ذلك من مصالح المسلمين وتوفيت أيضا كريمة بنت

Marfat.com

أحمد بن محمد المروزية وهى التى تروى صحيح البخارى توفيت بمكة وإليها انتهى علو الإسناد للصحيح إلى أن جاء أبو الوقت. (١)

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنكية بغداد ﴾ فى ربيع الأول من هذه السنة ورد إيتكين السليمانى شحنة بغداد من عند السلطان إلى بغداد فقصد دار الخلافة وسأل العفو عنه وأقام أياما فلم يجب إلى ذلك وكان سبب غضب الخليفة عليه أنه كان قد استخلف ابنه عند مسيره إلى السلطان وجعله شحنة ببغداد فقتل أحد المماليك الدارية فأنفذ قميصه من الديوان إلى السلطان ووقع الخطاب فى عزله وكان نظام الملك يعنى بالسليمانى فأضاف إلى إقطاعه تكريت فكوتب وإليها من ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها فلما رأى نظام الملك والسلطان إصرار الخليفة على الاستقالة من ولايته شحنكية بغداد سير سعد الدولة كوهرائين إلى بغداد شحنة وعزل السليمانى عنها اتباعا لما أمر به الخليفة القائم بأمر الله ولما ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقيه وجلس له الخليفة.

﴿ ذكر تزويج ولى العهد بابنة السلطان ﴾ فى هذه السنة أرسل الإمام القائم بأمر الله عميد الدولة بن جهير ومعه الخلع للسلطان ولولده ملكشاه وكان السلطان قد أرسل يطلب من الخليفة أن يأذن فى أن يجعل ولده ملكشاه ولى عهده فأذن وسيرت له الخلع مع عميد الدولة وأمر عميد الدولة أن يخطب ابنة السلطان ألب أرسلان من سفرى خاتون لولى العهد المقتدى بأمر الله فلما حضر عند السلطان خطب ابنته فأجيب إلى ذلك وعقد النكاح بظاهر نيسابور وكان عميد الدولة الوكيل فى قبول النكاح ونظام الملك الوكيل من جهة السلطان فى العقد وكان النثار جواهر، وعاد عميد الدولة من عند السلطان إلى ملكشاه وكان ببلاد فارس فلقيه بأصبهان فأفاض عليه الخلع فلبسها وسار إلى والده وعاد عميد الدولة إلى بغداد فدخلها فى ذى الحجة.

﴿ ذكر ولاية أبى الحسن بن عمار طرابلس ﴾ فى هذه السنة فى رجب توفى القاضى أبو طالب بن عمارة قاضى طرابلس وكان قد استولى عليها واستبد بالأمر فيها فلما توفى قام مكانه ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن ابن عمارة ضبط البلد أحسن ضبط ولم يظهر لفقد عمه اثر كفايته.

﴿ ذكر ملك السلطان ألب أرسلان قلعة فضلون بفارس ﴾ فى هذه السنة سير السلطان ألب أرسلان

---

(١) وفيها مات ابن زيدون الشاعر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون أبو الوليد، الشاعر الماهر الاندلسى القرطبي، اتصل بالامير المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية، فحظى عنده وصار مشاوراً فى منزلة الوزير ثم وزر له ولولده أبى بكر بن أبى الوليد، وهو صاحب القصيدة الفراقية التى يقول فيها:

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا إليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضى عليها الأسى لولا تأسينا
حالت لبعدكم أيامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا لياليا
بالأمس كنا ولا نخشى تفرقنا * واليوم نحن ولا يرجى تلاقينا

وهى طويلة وفيها صنعة قوية مهيجة على البكاء لكل من قرأها أو سمعها، لانه مامن أحد إلا فارق خلا أو حبيباً أو نسيباً.

Marfat.com

وزيره نظام الملك فى عسكر إلى بلاد فارس وكان بها حصن من أمنع الحصون والمعاقل وفيه صاحبه فضلون وهو لا يعطى الطاعة فنازله وحصره ودعاه إلى طاعة السلطان فامتنع فقاتله فلم يبلغ بقتاله غرضا لعلو الحصن وارتفاعه فلم يطل مقامهم عليه حتى نادى أهل القلعة بطلب الأمان ليسلموا الحصن إليه فعجب الناس من ذلك وكان السبب فيه أن جميع الآبار التى بالقلعة غارت مياهها فى ليلة واحدة فقادتهم ضرورة العطش إلى التسليم فلما طلبوا الأمان أمنهم نظام الملك وتسلم الحصن والتجأ فضلون إلى قلة القلعة وهى أعلى موضع فيها وفيه بناء مرتفع فاحتمى فيها فسير نظام الملك طائفة من العسكر إلى الموضع الذى فيه أهل فضلون وأقاربه ليحملوهم إليه وينهبوا مالهم فسمع فضلون الخبر ففارق موضعه مستخفيا فيمن عنده من الجند وسار ليمنع عن أهله فاستقبله طلائع نظام الملك فخافهم فتفرق من معه واختفى فى نبات الأرض فوقع فيه بعض العسكر فأخذه أسيرا وحمله إلى نظام الملك فأخذه وسار به إلى السلطان فأمنه وأطلقه.

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة توفى القاضى أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبدالصمد بن المهتدى بالله الخطيب بجامع المنصور وكان قد أضر ، ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وكان إليه قضاء واسط وخليفته عليها أبو محمد بن السمال . (١)

﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر قتل السلطان ألب أرسلان ﴾ فى أول هذه السنة قصد السلطان ألب أرسلان (واسمه محمد وإنما غلب عليه ألب ارسلان) ماوراء النهر وصاحبه شمس الملك تكين فعقد على جيحون جسراً وعبر عليه فى نيف وعشرين يوما وعسكره يزيد على مائتى ألف فارس فأتاه أصحابه بمستحفظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمى فى سادس شهر ربيع الأول وحمل إلى قرب سريره مع غلامين فتقدم أن تضرب له أربعة أوتاد وتشد أطرافه إليها فقال له يوسف يا مخنث ، مثلى يقتل هذه القتلة ، فغضب السلطان ألب أرسلان وأخذ القوس والنشاب ، وقال للغلامين خلياه ورماه السلطان بسهم فأخطأه (ولم يكن يخطىء سهمه) فوثب يوسف يريده والسلطان على سدة فلما رأى يوسف يقصده قام عن السدة ونزل عنها فعثر فوقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه فى خاصرته وكان سعد الدولة واقفاً فجرحه يوسف أيضا جراحات ونهض السلطان فدخل إلى خيمة أخرى وضرب بعض الهراشين يوسف بمرزبة على رأسه فقتله وقطعه الأتراك ، وكان أهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر وما فعل عسكره بتلك البلاد لاسيما بخارا اجتمعوا وختموا ختمات وسألوا الله أن يكفيهم أمره فاستجاب

---

(١) وفيها قام الشيخ أبو إسحاق الشيرازى مع الحنابلة فى الإنكار على المفسدين ، والذين يبيعون الخمور ، وفى إبطال المواجرات ومن البغايا ، وكتبوا إلى السلطان فى ذلك فجاءت كتبه فى الإنكار . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد ارتجت لها الأرض ست مرات . وفيها كان غلاء شديد ووتان ذريع فى الحيوانات ، بحيث إن بعض الرعاة بخراسان قام وقت الصباح ليسرح بغنمه فاذا هن قد متن كلهن ، وجاء سيل عظيم وبرد كبار أتلف شيئا كثيرا من الزروع والثمار بخراسان . وفيها تزوج الأمير عدة الدين ولد الخليفة بابنة السلطان ألب أرسلان « سفرى خاتون » وذلك بنيسابور ، وكان وكيل السلطان نظام الملك ، ووكيل الزوج عميد الدولة بن جهير ، وحين عقد العقد نثر على الناس جواهر نفيسة . وفيها توفى زكريا بن محمد بن حيده أبو منصور النيسابورى ، كان يزعم أنه من سلالة عثمان ابن عفان ، وروى الحديث عن أبى بكر بن المذهب ، وكان ثقة . توفى فى المحرم منها وقد قارب الثمانين .

لهم ولما جرح السلطان قال مامن وجه قصدته وعدو أردته إلا استعنت بالله عليه ولما كان أمس صعدت على تل فارتجت الأرض تحتى من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت فى نفسى أنا ملك الدنيا وما يقدر أحد على فعجزنى الله تعالى بأضعف خلقه وأنا استغفر الله تعالى وأستقيله من ذلك الخاطر فتوفى عاشر ربيع الأول من السنة فحمل إلى مرو ودفن عند أبيه ومولده سنة أربع وعشرين وأربعمائة وبلغ من العمر أربعين سنة وشهوراً وقيل كان مولده سنة عشرين وأربعمائة وكانت مدة ملكه منذ خطب له بالسلطنة إلى أن قتل تسع سنين وستة أشهر وأياما ، ولما وصل خبر موته إلى بغداد جلس الوزير فخر الدولة بن جهير للعزاء به فى صحن السلام .

﴿ذكر نسب ألب أرسلان وبعض سيرته﴾ هو ألب أرسلان محمد بن داود جغرى بك بن ميكائيل بن سلجوق وكان كريما عادلا عاقلا لا يسمع السعايات واتسع ملكه جدا ودان له العالم وبحق قيل له سلطان العالم وكان رحيم القلب رفيقا بالفقراء كثير الدعاء بدوام ما أنعم الله به عليه ، اجتاز يوما بمرو على فقراء الخرائين فبكى وسأل الله تعالى أن يغنيه من فضله وكان يكثر الصدقة فيتصدق فى رمضان بخمسة عشر ألف دينار ، وكان فى ديوانه أسماء خلق كثير من الفقراء فى جميع ممالكه عليهم الإدرارات والصلاة ولم يكن فى جميع بلاده جناية ولا مصادرة قد قنع من الرعايا بالخراج الأصلى يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقا بهم وكتب إليه بعض السعاة سعاية فى نظام الملك وزيره وذكر ماله فى ممالكه من الرسوم والأموال وتركت على مصلاه فأخذها فقرأها ثم سلمها إلى نظام الملك وقال له خذ هذا الكتاب فإن صدقوا فى الذى كتبوه فهذب أخلاقك وأصلح أحوالك وإن كذبوا فاغفر لهم زلتهم واشغلهم بما يشتغلون به عن السعاية بالناس وهذه حالة لا يذكر عن أحد من الملوك أحسن منها وكان كثيرا ما يقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم وأحكام الشريعة ، ولما اشتهر بين الملوك حسن سيرته ومحافظته على عهوده أذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد الامتناع وحضروا عنده من أقاصى ماوراء النهر إلى أقصى الشام وكان شديد العناية بكف الجند عن أموال الرعية بلغه أن بعض خواص مماليكه سلب من بعض الرستاقية إزاراً فأخذ المملوك وصلبه فارتدع الناس عن التعرض إلى مال غيرهم ، ومناقبه كثيرة لا يليق بهذا الكتاب أكثر من هذا القدر منها وخلف ألب أرسلان من الأولاد ملكشاه وهو صار السلطان بعده وإياز وتكش وبورى برش وتتش وأرسلان أرغو وسارة وعائشة وبنتا أخرى ،

﴿ذكر ملك السلطان ملكشاه﴾ لما جرح السلطان ألب أرسلان أوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه وكان معه وأمر أن يحلف له العسكر فحلفوا جميعهم وكان المتولى للأمر فى ذلك نظام الملك وأرسل ملكشاه إلى بغداد يطلب الخطبة له فخطب له على منابرها وأوصى ألب أرسلان ابنه ملكشاه أيضا أن يعطى أخاه قاورت بك ابن داود أعمال فارس وكرمان وشيئا عينه من المال وأن يزوج بزوجته وكان قاورت بك بكرمان وأوصى أن يعطى ابنه أياز بن ألب أرسلان ما كان لأبيه داود وهو خمسمائة ألف دينار وقال كل من لم يرض بما أوصيت له فقاتلوه واستعينوا بما جعلته له على حربه وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر فى نيف وعشرين يوما فى ثلاثة أيام وقام بوزارة ملكشاه نظام الملك وزاد الأجناد فى معايشهم سبعمائة ألف دينار وعادوا إلى خراسان وقصدوا نيسابور وراسل ملكشاه جماعة الملوك أصحاب الأطراف يدعوهم إلى الخطبة له والانقياد إليه وأقام إياز أرسلان ببلخ وسار السلطان ملكشاه فى عساكره من نيسابور إلى الرى .

﴿ذكر ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ﴾ فى هذه السنة فى ربيع الآخر ملك التكين صاحب سمرقند

Marfat.com

مدينة ترمذ ،وسبب ذلك أنه لما بلغه وفاة ألب أرسلان وعود ابنه ملكشاه عن خراسان طمع فى البلاد المجاورة له فقصد ترمذ أول ربيع الآخر وفتحها ونقل مافيها من ذخائر وغيرها إلى سمرقند وكان إياز بن ألب أرسلان قد سار عن بلخ إلى الجوزجان فخاف أهل بلخ فأرسلوا إلى التكين يطلبون منه الأمان فأمنهم فخطبوا له فيها وورد إليها فنهب عسكره شيئا من أموال الناس وعاد إلى ترمذ فثار أوباش بلخ بجماعة من أصحابه فقتلوهم فعاد إليهم وأمر بإحراق المدينة فخرج إليه أعيان أهلها وسألوه الصفح واعتذروا فعفا عنهم لكنه أخذ أموال التجار فغنم شيئا عظيما فلما وصل الخبر إلى إياز عاد من الجوزجان إلى بلخ فوصل غرة جمادى الأولى فأطاعه أهلها وسار عنها إلى ترمذ فى عشرة آلاف فارس فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة فلقيهم عسكر التكين فانهزم إياز فغرق من عسكره فى جيحون أكثرهم وقتل كثير منهم ولم ينج إلا القليل .

﴿ذكر قصد صاحب غزنة سكلكند﴾ وفى هذه السنة أيضا فى جمادى الأولى وردت طائفة كثيرة من عسكر غزنة إلى سكلكند ، وبها عثمان عم السلطان ملكشاه ويلقب بأمير الامراء فأخذوه أسيرا وعادوا به إلى غزنة مع خزائنه وحشمه فسمع الأمير كمشتكين بلكابك وهو من أكابر الأمراء فتبع آثارهم وكان معه أنوشتكين جد ملوك خوارزم فى زماننا فنهبوا مدينة سكلكند .

﴿ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمه قاورت بك﴾ لما بلغ قاورت بك وهو بكرمان وفاة أخيه ألب أرسلان سار طالبا للرى يريد الاستيلاء على الممالك فسبقه إليها السلطان ملكشاه ونظام الملك وسارا منها اليه فالتقوا بالقرب من همذان فى شعبان وكان العسكر يميلون إلى قاورت بك فحملت ميسرة قاورت على ميمنة ملكشاه فهزموها وحمل شرف الدولة مسلم بن قريش وبهاء الدولة منصور بن دبيس بن مزيد وهما مع ملكشاه ومن معهما من العرب والأكراد على ميمنة قاورت بك فهزموها وتمت الهزيمة على أصحاب قاورت بك ، ومضى المنهزمون من أصحاب السلطان ملكشاه إلى حلل شرف الدولة وبهاء الدولة فنهبوها غيظا منهم حيث هزموا عسكر قاورت بك ونهبوا أيضا ما كان لنقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى رسول الخليفة وجاء رجل سوادى إلى السلطان ملكشاه فأخبره أن عمه قاورت بك فى بعض القرى فأرسل من أخذه وأحضره فأمر سعد الدولة كوهرائين فخنقه وأقرّ كرمان بيد أولاده وسير اليهم الخلع وأقطع العرب والأكراد إقطاعات كثيرة لما فعلوه فى الوقعة وكان السبب فى حضور شرف الدولة وبهاء الدولة عند ملكشاه أن السلطان ألب أرسلان كان ساخطا على شرف الدولة فأرسل الخليفة نقيب النقباء طراد بن محمد الزينى إلى شرف الدولة بالموصل فأخذه وسار به إلى ألب أرسلان ليشفع فيه عند الخليفة فلما بلغ الزاب وقف على ملطفات كتبها وزيره أبو جابر بن صقلاب فأخذها شرف الدولة فغرقها وسار مع طراد فبلغهما الخبر بوفاة ألب أرسلان ومسير ابنه ملكشاه فتمما اليه وأما بهاء الدولة فانه كان قد سار بمال أرسله به أبوه إلى السلطان فحضر الحرب بهذا السبب .

﴿ذكر تفويض الأمور إلى نظام الملك﴾ ثم إن عسكر ملكشاه بسطوا ومدوا أيديهم فى أموال الرعية وقالوا مايمنع السلطان أن يعطينا الأموال إلا نظام الملك فنال الرعية أذى شديد فذكر ذلك نظام الملك للسلطان فبين له مافى هذا الفعل من الوهن وخراب البلاد وذهاب السياسة فقال له افعل فى هذا ماتراه مصلحة فقال له نظام الملك مايمكننى أن أفعل إلا بأمرك فقال السلطان قد رددت الأمور كلها

Marfat.com

Marfat.com

كبيرها وصغيرها إليك فأنت الوالد وحلف له وأقطعه إقطاعا زائدا على ماكان من جملته طوس مدينة نظام الملك وخلع عليه ولقبه ألقابا من جملتها أتابك ومعناه الأمير الوالد فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ماهو مشهور فمن ذلك أن امرأة ضعيفة استغاثت اليه فوقف يكلمها وتكلمه فدفعها بعض حجابه فأنكر ذلك عليه وقال إنما استخدمتك لأمثال هذه فإن الأمراء والأعيان لاحاجة بهم اليك ثم صرفه عن حجبته .

﴿ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان﴾ فى هذه السنة قتل ناصر الدولة أبو على الحسن بن حمدان وهو من أولاد ناصر الدولة بن حمدان بمصر وكان قد تقدم فيها تقدما عظيما ونذكر ههنا الأسباب الموجبة لقتله فإنها تتبع بعضها بعضا فى حروب وتجارب وكان أوّل ذلك انحلال أمر الخلافة وفساد أحوال المستنصر بالله العلوى صاحبها وسببه أن والدته كانت غالبة على أمره وقد اصطنعت أبا سعيد إبراهيم التسترى اليهودى وصار وزيرا لها فأشار عليها بوزارة أبى نصر الفلاحى فولته الوزارة واتفقا مدّة ثم صار الفلاحى ينفرد بالتدبير فوقع بينهما وحشة فخاف الفلاحى أن يفسد أمره مع أم المستنصر فاصطنع الغلمان الأتراك واستمالهم وزاد فى أرزاقهم فلما وثق بهم وضعهم على قتل اليهودى فقتلوه فعظم الأمر على أم المستنصر وأغرت به ولدها فقبض عليه وأرسلت من قتله تلك الليلة وكان بينهما فى القتل تسعة أشهر ووزر بعده أبو البركات حسن بن محمد فوضعه على الغلمان الأتراك فأفسد أحوالهم وشرع يشترى العبيد للمستنصر واستكثر منهم فوضعته أم المستنصر ليغرى العبيد المجردين بالأتراك فخاف عاقبة ذلك وعلم أنه يورث شرا وفساداً فلم يفعل فتنكرت له وعزلته عن الوزارة ، وولى بعده الوزارة أبو محمد اليازورى من قرية من قرى الرملة اسمها يازور فأمرته أيضا بذلك فلم يفعل وأصلح الأمور إلى أن قتل ، ووزر بعده أبو عبد الله الحسين ابن البابلى فأمرته بما أمرت به غيره من الوزراء من إغراء العبيد بالأتراك ففعل فتغيرت نياتهم ثم إن المستنصر ركب ليشيع الحجاج فأجرى بعض الأتراك فرسه فوصل به إلى جماعة العبيد المحدثين وكانوا يحيطون بالمستنصر فضربه أحدهم بجرحه فعظم ذلك على الأتراك ونشبت بينهم الحرب ثم اصطلحوا على تسليم الجارح إليهم واستحكمت العداوة فقال الوزير للعبيد خذوا حذركم فاجتمعوا فى محلتهم وعرف الأتراك ذلك فاجتمعوا إلى مقدميهم وقصدوا ناصر الدولة بن حمدان وهو أكبر قائد بمصر وشكوا إليه واستمالوا المصامدة وكتامة وتعاهدوا وتعاقدوا فقوى الأتراك وضعف العبيد المحدثون فخرجوا من القاهرة إلى الصعيد ليجتمعوا هناك فانضاف إليهم خلق كثير يزيدون على خمسين ألف فارس وراجل فخاف الأتراك وشكوا إلى المستنصر فأعاد الجواب أنه لاعلم له بما فعل العبيد وأنه لاحقيقة له فظنوا قوله حيلة عليهم ثم قوى الخبر بقرب العبيد منهم بكثرتهم فأجفل الأتراك وكتامة والمصامدة وكانت عدتهم ستة آلاف فالتقوا بموضع يعرف بكوم الريش واقتتلوا فانهزم الأتراك ومن معهم إلى القاهرة وكان بعضهم قد كمن فى خمسمائة فارس فلما انهزم الأتراك خرج الكمين على ساقة العبيد ومن معهم وحملوا عليهم حملة منكرة وضربت البوقات فارتاع العبيد وظنوها مكيدة من المستنصر وأنه قد ركب فى باقى العسكر فانهزموا وعاد عليهم الأتراك وحكموا فيهم السيوف فقتل منهم وغرق نحو أربعين ألفا وكان يوما مشهوداً وقويت نفوس الأتراك وعرفوا حسن رأى المدة المستنصر فيهم وتجمعوا وحشدوا فتضاعفت عدتهم وزادت واجباتهم للانفاق فيهم فخلت الخزائن واضطربت الأمور وتجمع باقى العسكر من

الشام وغيره إلى الصعيد فاجتمعوا مع العبيد فصاروا خمسة عشر ألف فارس وراجل وساروا إلى الجيزة فخرج عليهم الأتراك ومن معهم واقتتلوا فى الماء عدة أيام ثم عبر الأتراك النيل إليهم مع ناصر الدولة ابن حمدان فاقتتلوا فانهزم العبيد إلى الصعيد وعاد ناصر الدولة والأتراك منصورين ثم إن العبيد اجتمعوا بالصعيد فى خمسة عشر ألف فارس وراجل فقلق الأتراك لذلك فحضر مقدموهم دار المستنصر لشكوى حالهم فأمرت أم المستنصر من عندها من العبيد بالهجوم على المقدمين والفتك بهم ففعلوا ذلك ، وسمع ناصر الدولة الخبر فهرب إلى ظاهر البلد واجتمع الأتراك إليه ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد ومن تبعهم من مصر والقاهرة وحلف الأمير ناصر الدولة بن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه ولا يذوق طعاما حتى ينفصل الحال بينهم فبقيت الحرب ثلاثة أيام ثم ظفر بهم ناصر الدولة وأكثر القتل فيهم ومن سلم هرب وزالت دولتهم من القاهرة وكان بالإسكندرية جماعة من العبيد فلما كانت هذه الحادثة طلبوا الأمان فأمنوا وأخذت منهم الاسكندرية وبقى العبيد الذين بالصعيد فلما خلت الدولة للأتراك طمعوا فى المستنصر وقل ناموسه عندهم وطلبوا الأموال فخلت الخزائن فلم يبق فيها شىء البتة واختل ارتفاع الأعمال وهم يطالبون واعتذر المستنصر بعدم الأموال عنده فطلب ناصر الدولة العروض فأخرجت إليهم وقومت بالثمن البخس وصرفت إلى الجند ، قيل إن واجب الأتراك كان فى الشهر عشرين ألف دينار فصار الآن فى الشهر أربعمائة ألف دينار وأما العبيد بالصعيد فإنهم أفسدوا وقطعوا الطريق وأخافوا السبيل فسار إليهم ناصر الدولة فى عسكر كثير فمضى العبيد من بين يديه إلى الصعيد الأعلى فأدركهم فقاتلهم وقاتلوه فانهزم ناصر الدولة منهم وعاد إلى الجيزة بمصر واجتمع إليه من سلم من أصحابه وشغبوا على المستنصر واتهموه بتقوية العبيد والميل إليهم ثم جهزوا جيشا وسيروه إلى طائفة من العبيد بالصعيد وقاتلوهم فقتل تلك الطائفة من العبيد فوهن الباقون وزالت دولتهم وعظم أمر ناصر الدولة وقويت شوكته وتفرد بالأمر دون الأتراك فامتنعوا من ذلك وعظم عليهم وفسدت نياتهم له فشكوا ذلك إلى الوزير وقالوا كلما خرج من الخليفة مال أخذ أكثره له ولحاشيته ولا يصل إلينا منه إلا القليل فقال الوزير إنما وصل إلى هذا وغيره بكم فلو فارقتموه لم يتم له أمر فاتفق رأيهم على مفارقة ناصر الدولة وإخراجه من مصر فاجتمعوا وشكوا إلى المستنصر وسألوه أن يخرج عنهم ناصر الدولة فأرسل إليه يأمره بالخروج ويتهدده إن لم يفعل فتخرج من القاهرة إلى الجيزة ونهبت داره ودور حواشيه وأصحابه فلما كان الليل دخل ناصر الدولة مستخفيا إلى القائد المعروف بتاج الملوك شادى فقبل رجله وقال اصطنعنى فقال أفعل فخالفه على قتل مقدم من الأتراك اسمه الدكز والوزير الخطير وقال ناصر الدولة لشادى تركب فى أصحابك وتسير بين القصرين فإذا أمكنتك الفرصة فيهما فاقتلهما وعاد ناصر الدولة إلى موضعه إلى الجيزة وفعل شادى ما أمره فركب الدكز إلى القصر فرأى شادى فى جمعه فأنكره وأسرع فدخل القصر ففاته ثم أقبل الوزير فى موكبه فقتله شادى وأرسل إلى ناصر الدولة يأمره بالركوب فركب إلى باب القاهرة فقال الدكز للمستنصر إن لم تركب وإلا هلكت أنت ونحن فركب ولبس سلاحه وتبعه خلق عظيم من العامة والجند واصطفوا للقتال فحمل الأتراك على ناصر الدولة فانهزم وقتل من أصحابه خلق كثير ومضى منهزما على وجهه لا يلوى على شىء وتبعه فل أصحابه فوصل إلى بنى سنبس فأقام عندهم وصاهرهم فقوى بهم وتجهزت العساكر إليه ليبعدوه فساروا حتى قربوا منه وكانوا ثلاث طوائف فأراد أحد المقدمين أن يفوز بالظفر وحده دون أصحابه فعبر فيمن معه إلى ناصر الدولة وحمل عليه فقاتله فظفر به

Marfat.com

Marfat.com

ناصر الدولة فأخذه أسيرا وأكثر القتل فى أصحابه وعبر العسكر الثانى ولم يشعروا بما جرى على أصحابهم فحمل ناصر الدولة عليهم ورفع رؤس القتلى على الرماح فوقع الرعب فى قلوبهم فانهزموا وقتل أكثرهم وقويت نفس ناصر الدولة وعبر العسكر الثالث فهزمه وأكثر القتل فيهم وأسر مقدمهم وعظم أمره ونهب الريف فأقطعه وقطع الميرة عن مصر برا وبحرا فغلت الأسعار بها وكثر المؤت بالجوع وامتدت أيدى الجند بالقاهرة إلى النهب والقتل وعظم الوباء حتى إن أهل البيت الواحد كانوا يموتون كلهم فى ليلة واحدة واشتد الغلاء حتى حكى أن امرأة اكلت رغيفا بألف دينار فاستبعد ذلك فقيل إنها باعت عروضا قيمتها ألف دينار بثلثمائة دينار واشترت بها حنطة حملها الحمال على ظهره فنهبت الحنطة فى الطريق فنهبت هى مع الناس فكان الذى حصل لها مما عملته رغيفا واحدا ، وقطع ناصر الدولة الطريق برا وبحرا فهلك العالم ومات أكثر أصحاب المستنصر وتفرق كثير منهم فراسل الأتراك من القاهرة ناصر الدولة فى الصلح فاصطلحوا على أن يكون تاج الملوك شادى نائبا عن ناصر الدولة بالقاهرة يحمل المال إليه ولا يبقى معه لأحد حكم فلما دخل تاج الملوك إلى القاهرة تغير عن القاعدة واستبد بالأموال دون ناصر الدولة ولم يرسل إليه منها شيئا فصار ناصر الدولة إلى الجيزه واستدعى إليه شادى وغيره من مقدمى الأتراك فخرجوا إليه إلا أقلهم فقبض عليهم كلهم ونهب ناحيتى مصر وأحرق كثيرا منها فسير إليه المستنصر عسكرا فكبسوه فانهزم منهم ومضى هاربا فجمع جمعا وعاد إليهم فقاتلهم فهزمهم وقطع خطبة المستنصر بالإسكندرية ودمياط وكانا معه وكذلك جميع الريف وأرسل إلى الخليفة ببغداد يطلب خلعا ليخطب له بمصر ، واضمحل أمر المستنصر وبطل ذكره وتفرق الناس من القاهرة وأرسل ناصر الدولة إليه أيضا يطلب المال فرآه الرسول جالسا على حصير وليس حوله غير ثلاثة خدم ولم ير الرسول شيئا من آثار المملكة فلما أدى الرسالة قال أما يكفى ناصر الدولة أن أجلس فى مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير فبكى الرسول وعاد إلى ناصر الدولة فأخبره الخبر فأجرى له كل يوم مائة دينار وعاد إلى القاهرة وحكم فيها وأذل السلطان وأصحابه وكان الذى حمله على ذلك أنه كان يظهر التسنن من بين أهله ويعيب المستنصر وكان المغاربة كذلك فأعانوه على ماأراد وقبض على أم المستنصر وصادرها بخمسين ألف دينار وتفرق عن المستنصر أولاده وكثير من أهله إلى الغرب وغيره من البلاد فمات كثير منهم جوعا وانقضت سنة أربع وستين وماقبلها بالفتن وانحط السعر سنة خمس وستين ورخصت الأسعار وبالغ ناصر الدولة فى إهانة المستنصر وفرق عنه عامة أصحابه وكان يقول لأحدهما إننى أريد أن أوليك عمل كذا فيسير إليه فلا يمكنه من العمل ويمنعه من العود وكان غرضه بذلك أن يخطب للخليفة القائم بأمر الله ولا يمكنه مع وجودهم ففطن لفعله قائد كبير من الأتراك اسمه الدكز وعلم أنه متى ماتم ماأراد تمكن منه ومن أصحابه فأطلع على ذلك غيره من قواد الأتراك فاتفقوا على قتل ناصر الدولة وكان قد أمن لقوته وعدم عدوه فتواعدوا ليلة على ذلك فلما كان سحر الليلة التى تواعدوا فيها على قتله جاؤا إلى باب داره وهى التى تعرف بمنازل العز وهى على النيل فدخلوا من غير استئذان إلى صحن داره فخرج إليهم ناصر الدولة فى رداء لأنه كان آمنا منهم فلما دنا منهم ضربوه بالسيوف فسبهم وهرب منهم يريد الحرم فلحقوه فضربوه حتى قتلوه وأخذوا رأسه ومضى رجل منهم يعرف بكوكب الدولة إلى فخر العرب أخى ناصر الدولة وكان فخر العرب كثير الإحسان إليه فقال للحاجب استأذن لى على فخر العرب وقل صنيعتك فلان على الباب فاستأذن له فأذن له وقال لعله قد دهمه أمر فلما دخل عليه أسرع نحوه كأنه

يريد السلام عليه وضربه بالسيف على كتفه فسقط إلى الأرض فقطع رأسه وأخذ سيفه وكان ذا قيمة وافرة وأخذ جارية له أردفها خلفه وتوجه إلى القاهرة وقتل أخوهما تاج المعالى وانقطع ذكر الحمدانية بمصر بالكلية فلما كان سنة ست وستين وأربعمائة ولى الأمر بمصر بدر الجمالى أمير الجيوش وقتل الدكز والوزير ابن كدينة وجماعة من المسلحية وتمكن من الدولة إلى أن مات وولى بعده ابنه الأفضل وسيرد ذكرهم إن شاء الله تعالى.

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة أقيمت الدعوة العباسية بالبيت المقدس . وفيها توفى الأمير ليث بن منصور صدقة بن الحسين بالدامغان والشريف أبو الغنائم عبد الصمد بن على بن محمد بن المأمون ببغداد وكان موته فى شوّال ومولده سنة أربع وسبعين وثلثمائة وكان عالى الإسناد فى الحديث . وفيها فى ذى الحجة توفى الشريف أبو الحسين محمد بن على بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدى بالله المعروف بابن الغريق وكان يسمى راهب بنى العباس وهو آخر من حدّث عن الدارقطنى وابن شاهين وغيرهما وكان موته ببغداد . وفيها قتل ناصر الدولة أبو على الحسين بن حمدان بمصر قتله الدكز التركى وقد تقدّم شرحه مستوفى . وفيها توفى الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى النيسابورى مصنف الرسالة وغيرها وكان إماما فقيها أصوليا مفسرا كاتبا ذا فضائل جمة وكان له فرس قد أهدى اليه فركبه نحو عشرين سنة فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيئا فعاش أسبوعا ومات . وفيها أيضا توفى على بن الحسن بن على بن الفضل أبو منصور الكاتب المعروف بابن صر بعر وكان نظام الملك قال له أنت ابن صر درّ لا صر بعر فبقى ذلك عليه وهو من الشعراء المجيدين وهجاه ابن البياضى فقال :

لئن نبز الناس قدما أباك ٭ فسموه من شعره صر بعرا
فإنك تنظم ماصره ٭ عقوقا له وتسميه شعرا

وهذا ظلم من ابن البياضى فإنه كان شاعرا محسنا ومن شعر ابن صردرّ قوله :

تزاورن عن أذرعات يمينا ٭ نواشز ليس يطقن البرينا
كلفن بنجد كأن الرياض ٭ أخذن لنجد عليها يمينا
وأقسمن يحملن إلا نحيلا ٭ اليه ويبلغن إلا حزينا
فلما استمعن زفير المشوق ٭ ونوح الحمام تركن الحنينا
إذا جئتما بانة الواديين ٭ فأرخوا النسوع وحلوا الوضينا
فثم علائق من أجلهن ٭ ملاء الدجى والضحى قد طوينا
وقد أنبأتهم مياه الجفون ٭ بأن بقلبك داء دفينا [1]

﴿ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه﴾ فى هذه السنة فى صفر ورد كوهرائين إلى بغداد

(١) وفيها جرت فتنة عظيمة بين أهل الكرخ وباب البصرة والقلايين فاقتتلوا فقتل منهم خلق كثير ، واحترق جانب كبير من الكرخ فانتقم المتولى لأهل الكرخ من أهل باب البصرة ، فأخذ منهم أموالا كثيرة جناية لهم على ماصنعوا ، وفيها أقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس ، وفيها ملك صاحب سمرقند (محمد التكين) مدينة ترمذ .

Marfat.com

من عسكر السلطان وجلس له الخليفة القائم بأمر الله ووقف على رأسه ولى العهد المقتدى بأمر الله وسلم الخليفة إلى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة وقرأ الوزير أوله وسلم اليه أيضا لواء عقده الخليفة بيده ولم يمنع يومئذ أحد من الدخول إلى دار الخلافة فامتلأ صحن السلام بالعامة حتى كان الإنسان تهمه نفسه ليتخلص وهنأ الناس بعضهم بعضا بالسلامة .

﴿ذكر غرق بغداد﴾ فى هذه السنة غرق الجانب الشرقى وبعض الغربى من بغداد وسببه أن دجلة زادت زيادة عظيمة وانفتح الفورج عند المسناة المعزية وجاء فى الليل سيل عظيم وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة وجاء الماء إلى المنازل من فوق ونبع من البلاليع والآبار بالجانب الشرقى وهلك خلق كثير تحت الهدم وشدت الزواريق تحت التاج خوف الغرق وقام الخليفة يتضرع ويصلى وعليه البردة وبيده القضيب وأتى أيتكين السليمانى من عكبرا فقال للوزير إن الملاحين يؤذون الناس فى المعابر فأحضرهم وتهددهم بالقتل وأمر بأخذ ماجرت به العادة وجمع الناس وأقيمت الخطبة للجمعة فى الطيار مرتين وغرق من الجانب الغربى مقبرة أحمد ومشهد باب التبن وتهدم سوره فأطلق شرف الدولة ألف دينار تصرف فى عمارته ودخل الماء من شبابيك البيمارستان العضدى ومن عجيب مايحكى فى هذا الغرق أن الناس فى العام الماضى كانوا قد أنكروا كثرة المغنيات والخمور فقطع بعضهم أوتار عود مغنية كانت عند جندى فثار به الجندى الذى كانت عنده فضربه فاجتمعت العامة ومعهم كثير من الأئمة ، منهم أبو اسحق الشيرازى واستغاثوا إلى الخليفة وطلبوا هدم المواخير والحانات وتبطيلها فوعدهم أن يكاتب السلطان فى ذلك فسكنوا وتفرقوا ولازم كثير من الصالحين الدعاء بكشفه فاتفق أن غرقت بغداد ونال الخليفة والجند من ذلك أمر عظيم وعمت مصيبته كافة الناس فرأى الشريف أبو جعفر بن موسى بعض الحجاب الذين يقولون نحن نكاتب السلطان ونسعى فى تفريق الناس ويقول اسكنوا إلى أن يرد الجواب فقال له أبو جعفر قد كتبنا وكتبتم فجاء جوابنا قبل جوابكم يعنى أنهم شكوا ما حل بهم إلى الله تعالى وقد أجابهم بالغرق قبل ورود جواب السلطان .

﴿ذكر ملك السلطان ملكشاه ترمذ والهدنة بينه وبين صاحب سمرقند﴾ قد ذكرنا أن خاقان التكين صاحب سمرقند ملك ترمذ بعد قتل السلطان ألب أرسلان فلما استقامت الأمور للسلطان ملكشاه سار إلى ترمذ وحصرها وطم العسكر خندقها ورماها بالمجانيق فخاف من بها فطلبوا الأمان فأمنهم وخرجوا منها وسلموها وكان بها أخ لخاقان التكين فأكرمه السلطان وخلع عليه وأحسن إليه وأطلقه وسلم قلعة ترمذ إلى الأمير ساوتكين وأمره بعمارتها وتحصينها وعمارة سورها بالحجر المحكم وحفر خندقها وتعميقه ففعل ذلك وسار السلطان ملكشاه يريد سمرقند ففارقها صاحبها وأنفذ يطلب المصالحة ويضرع إلى نظام الملك فى إجابته إلى ذلك ويعتذر من تعرضه إلى ترمذ فأجيب إلى ذلك واصطلحوا وعاد ملكشاه عنه إلى خراسان ، ثم منها إلى الرى وأقطع بلخ وطخارستان لأخيه شهاب الدين تكش .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فيها توفى زعيم الدولة أبو الحسن بن عبد الرحيم بالنيل فجأة وله سبعون سنة وقد تقدم من أخباره ما فيه كفاية . وفيها توفى أياز أخو السلطان ملكشاه وكفى شره كما كفى شر عمه قاورت بك . وفيها فى ربيع الأول توفى القاضى أبو الحسين بن أبى جعفر السمنانى حمو قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى وولى ابنه أبو الحسن ما كان إليه من القضاء بالعراق والموصل وكان مولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة بسمنان

Marfat.com

Marfat.com

وكان هو وأبوه من المغالين فى مذهب الأشعرى ولأبيه فيه تصانيف كثيرة وهذا مما يستطرف أن يكون حنفىّ أشعريا ، وفيها فى جمادى الآخرة توفى عبدالعزيز أحمد بن محمد بن علىّ أبو محمد الكتانى الدمشقى الحافظ وكان مكثرا فى الحديث ثقة وممن سمع منه الخطيب أبو بكر البغدادى . (١)

﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر وفاة القائم بأمر الله وذكر بعض سيرته ﴾ فى هذه السنة ليلة الخميس ثالث عشر شعبان توفى القائم بأمر الله أمير المؤمنين رضى الله عنه واسمه عبدالله ابو جعفر بن القادر بالله أبى العباس أحمد بن الأمير إسحق بن المقتدر بالله أبى الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبى العباس أحمد ، وكان سبب موته أنه كان قد أصابه ماشرا فافتصد ونام منفردا فانفجر فصاده وخرج منه دم كثير ولم يشعر فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته فأيقن بالموت فأحضر ولى العهد ووصاه بوصايا وأحضر النقيبين وقاضى القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جهير وأشهدهم على نفسه أنه جعل ابن ابنه أبا القاسم عبدالله بن محمد بن القائم بأمر الله ولى عهده ، ولما توفى غسله الشريف ابو جعفر بن أبى موسى الهاشمى وصلى عليه المقتدى بأمر الله وكان عمره ستا وسبعين سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام وخلافته اربعا وأربعين سنة وثمان أشهر وأيام وقيل كان مولده ثامن عشر ذى الحجة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وعلى هذا يكون عمره ستا وسبعين سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما وأمه أم ولد تسمى قطر الندى أرمنية وقيل رومية أدركت خلافته ، وقيل اسمها علم وماتت فى رجب سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وكان القائم جميلا مليح الوجه أبيض مشربا حمرة حسن الجسم ورعا دينا زاهدا عالما قوى اليقين بالله تعالى كثير الصبر وكان للقائم عناية بالأدب ومعرفة حسنة بالكتابة ولم يكن يرتضى أكثر مايكتب من الديوان فيكان يصلح فيه أشياء وكان مؤثرا للعدل والإنصاف يريد قضاء حوائج الناس لايرى المنع من شىء يطلب منه قال محمد بن على بن عامر الوكيل دخلت يوما إلى المخزن فلم يبق أحد إلا أعطانى قصة فامتلات أكمامى منها فقلت فى نفسى لوكان الخليفة أخى لأعرض عن هذه كلها . فألقيتها فى بركة والقائم ينظر ولا أشعر فلما دخلت إليه أمر الخدم بإخراج الرقاع من البركة فأخرجت ووقف عليها ووقع فيها بأغراض أصحابها ثم قال لى ياعامى ما حملك على هذا فقلت خوف الضجر منها فقال لاتعد الى مثلها فإنا ما أعطيناهم من أموالنا شيئا إنما نحن وكلاء ووزر للقائم أبوطالب محمد بن أيوب وأبو الفتح بن دارست ورئيس الرؤساء وأبو نصر بن جهير وكان قاضيه ابن ماكولا وأبو عبد الله الدامغانى .

﴿ ذكر خلافة المقتدى بأمر الله ﴾ لما توفى القائم بأمر الله بويع المقتدى بأمر الله عبدالله محمد بن القائم بالخلافة وحضر مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة والشيخ أبو إسحق وأبو نصر بن الصباغ ونقيب النقباء طراد والنقيب الطاهر المعمر بن محمد وقاضى القضاة أبو عبدالله الدامغانى

---

(١) وفيها ماتت « الماوردية » ذكر ابن الجوزى أنها كانت عجوزا صالحة من أهل البصرة تعظ النساء بها ، وكانت تكتب وتقرأ ، ومكثت خمسين سنة من عمرها لاتفطر نهارا ولا تنام ليلا ، وتقتات بخبز الباقلا ، وتأكل من التبن اليابس لا الرطب رشيئا يسيرا من العنب والزيت وربما أكلت اليسير من اللحم ، وحين توفيت تبع أهل البلد جنازتها . ودفنت فى مقابر الصالحين .

Marfat.com

وغيرهم من الأعيان والأماثل فبايعوه وقيل كان أول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي فإنه لما فرغ من غسل القائم بايعه وأنشده : ✡ إذا سيد منا مضى قام سيد ✡

ثم أرتج عليه فقال المقتدى : ✡ نقول بما قال الكرام نفعل ✡

فلما فرغوا من البيعة صلى بهم العصر ولم يكن للقائم من أعقابه ذكر سواه فإن الذخيرة أبا العباس محمد بن القائم توفى أيام أبيه ولم يكن له غيره فأيقن الناس بانقراض نسله وانتقال الخلافة من البيت القادرى إلى غيره ولم يشكوا فى اختلال الأحوال بعد القائم لأن من عدا البيت القادرى كانوا يخالطون العامة فى البلد ويجرون مجرى السوقة فلو اضطر الناس إلى خلافة أحدهم لم يكن له ذلك القبول ولا تلك الهيبة فقدر الله تعالى أن الذخيرة أبا العباس كان له جارية اسمها أرجوان وكان يلم بها فلما توفى ورأت ما نال القائم من المصيبة واستعظمه من انقراض عقبه ذكرت أنها حامل فتعلقت النفوس بذلك فولدت بعد موت سيدها بستة أشهر المقتدى فاشتد فرح القائم وعظم سروره وبالغ فى الإشفاق عليه والمحبة له فلما كان حادثة البساسيرى(*) كان للمقتدى قريب أربع سنين فأخفاه أهله وحمله أبو الغنائم بن المحلبان إلى حران كما ذكرنا ولما عاد القائم إلى بغداد أعيد المقتدى إليه فلما بلغ الحلم جعله ولى عهد ولما ولى الخلافه أقر فخر الدولة بن جهير على وزارته بوصية من القائم بذلك وسير عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير إلى السلطان ملكشاه لأخذ البيعة وكان مسيره فى شهر رمضان وأرسل معه من أنواع الهدايا ما يجل عن الوصف .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى شوال وقعت نار ببغداد فى دكان خباز بنهر المعلى فاحترقت من السوق مائة وثمانون دكانا سوى الدور ثم وقعت نار فى المأمونية ثم فى الظفرية ثم فى درب المطبخ ثم فى دار الخليفة ثم فى حمام السمرقندى ثم فى باب الأزج ودرب خراسان ثم فى الجانب الغربى فى نهر طابق ونهر القلائين والقطيعة وباب البصرة واحترق ما لا يحصى . وفيها أرسل المستنصر بالله العلوى صاحب مصر إلى صاحب مكة ابن أبى هاشم رسالة وهدية جليلة وطلب منه أن يعيد له الخطبة بمكة حرسها الله تعالى وقال إن إيمانك وعهودك كانت للقائم وللسلطان ألب أرسلان وقد ماتا فخطب له بمكة وقطع خطبة المقتدى وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة أربع سنين وخمسة أشهر ، ثم أعيدت فى ذى الحجة سنة ثمان وستين . وفيها كانت حرب شديدة بين بنى رياح وزغبة ببلاد إفريقية فقويت بنو رياح على زغبة فهزموهم وأخرجوهم من البلاد . وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من أعيان المنجمين وجعلوا النيروز أول نقطة من الحمل ، وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم . وفيها أيضا عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين فى عمله منهم عمر بن إبراهيم الخيامى وأبو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى وغيرهم وخرج عليه من الأموال شىء عظيم وبقى الرصد دائراً إلى أن مات السلطان سنة خمس وثمانين وأربعمائة فبطل بعد موته (١)

(*) تقدم الكلام على هذه الفتنة سنة خمسين وأربعمائه والسنة التى بعدها .

(١) وفى شعبان منها أمر المقتدى بإخراج المفسدات من الخواطىء من بغداد ، وأمرهن أن ينادين على أنفسهن بالعار والفضيحة ، وخرب الخمارات ودور الزوانى والمغانى ، وأسكنهن الجانب الغربى مع الذل والصغار ، وخرب أبرجة الحمام ، ومنع اللعب بها ، وأمر الناس باحتراز عوراتهم فى الحمامات ومنع أصحاب الحمامات أن يصرفوا فضلاتها =

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر ملك الأقسيس دمشق ﴾ قد ذكرنا سنة ثلاث وستين ملك أقسيس الرملة والبيت المقدس وحصره مدينة دمشق فلما عاد عنها جعل يقصد أعمالها كل سنة عند إدراك الغلات فيأخذها فيقوى هو وعسكره ويضعف أهل دمشق وجندها فلما كان رمضان سنة سبع وستين سار إلى دمشق فحصرها وأميرها المعلى ابن حيدرة من قبل الخليفة المستنصر فلم يقدر عليها فانصرف عنها فى شوال فهرب أميرها المعلى فى ذى الحجة وكان سبب هربه أنه أساء السيرة مع الجند والرعية وظلمهم فكثر الدعاء عليه وثار به العسكر وأعانهم العامة فهرب منهما إلى بانياس ثم منها إلى صور ثم أخذ إلى مصر فحبس بها فمات محبوسا فلما هرب من دمشق اجتمعت المصامدة وولوا عليهم القصار بن يحيى المصمودى المعروف برزين الدولة وغلت الأسعار بها حتى أكل الناس بعضهم بعضا ووقع الخلف بين المصامدة وأحداث البلد وعرف أقسيس ذلك فعاد إلى دمشق فنزل عليها فى شعبان من هذه السنة فحصرها فعدمت الأقوات فبيعت الغرارة إذا وجدت بأكثر من عشرين ديناراً فسلموها إليه بأمان وعوض انتصار عنها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل ودخلها هو وعسكره فى ذى القعدة وخطب بها يوم الجمعة لخمس بقين من ذى القعدة للمقتدى بأمر الله الخليفة العباسى وكان آخر ماخطب فيها للعلويين المصريين وتغلب على أكثر الشام ومنع الأذان بحى على خير العمل ففرح أهلها فرحا عظيما وظلم أهلها وأساء السيرة فيهم .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة منبج وأخذها من الروم وفيها قدم سعد الدولة كوهرائين شحنة إلى بغداد من عسكر السلطان ومعه العميد أبو نصر ناظراً فى أعمال بغداد وفيها وثب الجند بالبطيحة على أميرها أبى نصر بن الهيثم وخالفوا عليه فهرب منهم وخرج من مملكه والذخائر والأموال التى جمعها فى المدة الطويلة ولم يصحبه من ذلك جميعه شىء وصار نزيلا على كوهرائين شحنة العراق وفيها انفجر البثوق بالفلوجة وانقطع الماء من النيل وغيره من تلك الأعمال من بلاد دبيس بن مزيد فجلا أهل البلاد ووقع الوباء فيهم ولم يزل كذلك إلى أن سده عميد الدولة بن جهير سنة اثنتين وسبعين . وفى هذه السنة توفى أبو على الحسن بن القاسم بن محمد المقرى المعروف بغلام الهراس الواسطى بها وكان محدثا علامة فى كثير من العلوم . وفى شعبان توفى القاضى أبو الحسين محمد بن محمد بن البيضاوى الفقيه الشافعى وكان يدرس الفقه بدرب السلولى بالكرخ وهو زوج ابنة القاضى أبى الطيب الطبرى . وعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود أبو الحسن بن أبى طلحة الداودى راوى صحيح البخارى وله سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وسمع الحديث وتفقه بالشافعى على أبى بكر القفال وأبى حامد الإسفرايينى وصحب أباعلى الدقاق وأبا عبد الرحمن السلمى وكان

= إلى دجلة ، وألزمهم بحفر آبار لتلك المياه القذرة صيانة لماء الشرب . وفيها توفى أبو الحسن على بن الحسن بن على ابن أبى الطيب الباخرزىّ الشاعر المشهور ، اشتغل أولا على الشيخ أبى محمد الجوينى ثم ترك ذلك وعمد إلى الكتابة والشعر ، ففاق أقرانه ، وله ديوان مشهور فمنه :

وإنى لأشكو لسع أصداغك التى ٭ عقاربها فى وجنتيك نجوم
وأبكى لدر الثغر منك ولى أب ٭ فكيف ندىّ الضحك وهو يتيم

Marfat.com

Marfat.com

عابداً خيراً قصده نظام الملك فجلس بين يديه فوعظه وكان فى قوله إن الله تعالى سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم فبكى وكان موته ببوشنج . وفيها توفى أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن متويه الواحدى المفسر مصنف الوسيط والبسيط والوجيز فى التفسير وهو نيسابورى إمام مشهور وأبو الفتح منصور بن أحمد ابن دارست وزير القائم توفى بالأهواز ومحمد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس أبو بكر الصفار النيسابورى الفقيه الشافعى تفقه على أبى محمد الجوينى وسمع من الحاكم أبى عبد الله وأبى عبد الرحمن السلمى وغيرهما . وفيها توفى مسعود بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البياضى الشاعر له شعر مطبوع فمنه قوله :

يامن لبست لبعده ثوب الضنا ٭ حتى خفيت به عن العواد
وأنست بالسهر الطويل فأنسيت ٭ أجفان عينى كيف كان رقادى
إن كان يوسف بالجمال مقطع الأ ٭ يدى فأنت مفتت الأكباد(١)

﴿ ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر حصر أقسيس مصر وعوده عنها﴾ فى هذه السنة سار الأقسيس من دمشق إلى مصر وحصرها وضيق على أهلها ولم يبق غير أن يملكها فاجتمع أهلها مع ابن الجوهرى الواعظ فى الجامع وبكوا وتضرعوا ودعوا فقبل الله دعاءهم فانهزم الاقسيس من غير قتال وعاد على أقبح صورة بغير سبب فوصل إلى دمشق وقد تفرق أصحابه فرأى أهلها قد صانوا مخلفيه وأمواله فشكرهم ورفع عنهم الخراج تلك السنة وأتى البيت المقدس فرأى أهله قد قبحوا على أصحابه ومخلفيه وحصروهم فى محراب داود عليه السلام ، فلما قارب البلد تحصن أهله منه وسبوه فقاتلهم فتح البلد عنوة ونهبه وقتل من أهله فأكثر حتى قتل من التجأ إلى المسجد الأقصى وكف عمن كان عند الصخرة وحدها هكذا يذكر الشاميون هذا الاسم أقسيس والصحيح أنه أتسز وهو اسم تركى وقد ذكر بعض مؤرخى الشام أن أتسزلما وصل إلى مصر جمع أمير الجيوش بدرب العساكر واستمد العرب وغيرهم من أهل البلاد فاجتمع معه خلق كثير واقتتلوا فانهزم اتسز وقتل أكثر أصحابه وقتل أخ له وقطعت يد أخ آخر وعاد منهزما إلى الشام فى نفر قليل من عسكره فوصل إلى الرملة ثم سار منها إلى دمشق وحكى لى من أثق به عن جماعة من فضلاء مصر أن أتسزلما وصل إلى مصر ونزل بظاهر القاهرة أساء أصحابه السيرة فى الناس وظلموهم وأخذوا أموالهم وفعلوا الأفاعيل القبيحة فأرسل رؤساء القرى ومقدموها إلى الخليفة المستنصر بالله العلوى يشكون إليه ما نزل بهم فأعاد الجواب بأنه عاجز عن دفع هذا العدو فقالوا له نحن نرسل إليك من عندنا من الرجال المقاتلة يكونون معك ومن ليس له سلاح تعطيه من عندك سلاحا وعسكر هذا العدو قد أمنوا وتفرقوا فى البلاد فنثور بهم فى ليلة واحدة ونقتلهم وتخرج أنت اليه فيمن اجتمع عندك من الرجال فلا يكون له بك قوة فأجابهم إلى ذلك وأرسلوا اليه الرجال وثاروا كلهم فى ليلة واحدة بمن عندهم فأوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم ولم يسلم منهم إلا من كان عنده فى عسكره وخرج اليه العسكر الذى عند المستنصر

---

(١) قال ابن الجوزى : جاء جراد فى شعبان بعدد الرمل والحصى ، فأكل الغلات وآذى الناس وجاعوا ، فطحن الخروب بدقيق الدخن فأكلوه ، ووقع الوباء ، ثم منع الله الجراد من الفساد ، وكان يمر ولا يضر ، فرخصت الأسعار .

بالقاهرة فلم يقدر على الثبات لهم فولى منهزما وعاد إلى الشام وكفى أهل مصر شره وظلمه .

﴿ذكر عدّة حوادث﴾ فى هذه السنة ورد بغداد أبو نصر ابن الأستاذ أبى القاسم القشيرى حاجا وجلس فى المدرسة النظاميـة يعظ الناس وفى رباط شيخ الشيوخ وجرى له مع الحنابلة فتن لأنه تكلم على مذهب الأشعرى ونصره وكثر أتباعه والمتعصبون له وقصد خصومه من الحنابلة ومن تبعهم سوق المدرسة النظامية وقتلوا جماعة وكان من المتعصبين للقشيرى الشيخ أبو إسحق وشيخ الشيوخ وغيرهما من الأعيان وجرت بين الطائفتين أمور عظيمة . وفيها تزوّج الأمير على بن أبى منصور ابن فرامرز بن علاء الدولة أبى جعفر بن كاكويه أرسلان خاتون بنت داود عمة السلطان ملكشاه التى كانت زوجة القائم بأمر الله . وفيها كان بالجزيرة والعراق والشام وباء عظيم وموت كثير حتى بقى كثير من الغلات ليس لها من يعملها لكثرة الموت فى الناس وفيها مات محمود بن مرداس صاحب حلب وملك بعده ابنه نصر فمدحه ابن حيوس بقصيدة يقول فيها :

ثمانيـة لم تفترق مذ جمعتها ✲ فلا افترقت ماذب عن ناظر شعر
ضميرك والتقوى وجودك والغنى ✲ ولفظك والمعنى وعزمك والنصر
وكان لمحمود بن نصر سجيـة ✲ وغالب ظنى أن سيخلفها نصر

فقال والله لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها له وأمر له بما كان يعطيه أبوه وهو ألف دينار فى طبق فضة وكان على بابه جماعة من الشعراء فقال بعضهم :

على بابك المعمور منا عصابة ✲ مفاليس فانظر فى أمور المفاليس
وقد قنعت منك العصابة كلهـا ✲ بعشر الذى أعطيته لابن حيوس
وما بيننا هـــذا التقارب كله ✲ ولكن سعيد لايقاس بمنحوس

فقال لو قال بمثل الذى أعطيته لأعطيتهم ذلك وأمر لهم بمثل نصفه وفيها توفى اسبهدوست بن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمى الشاعر وكان قد لقى ابن الحجاج وابن نباتة وغيرهما وكان يتشيع وتركه وقال فى ذلك :

وإذا سئلت عن اعتقادى قلت ما ✲ كانت عليه مذاهب الأبرار
وأقول خير الناس بعـد محمـد ✲ صـديقه وأنيسه فى الغار (١)

وفيها توفى رئيس العراقين أبو أحمد النهاوندى الذى كان عميد بغداد والشريف أبو جعفر بن أبى موسى الهاشمى الحنبلى ورزق الله بن محمد بن أحمد بن على أبو سعد الأنبارى الخطيب الفقيه الحنفى سمع الحديث الكثير وكان ثقة حافظا ، وطاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى المصرى توفى فى رجب سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات لوقته وعبدالله بن محمد بن عبدالله بن عمر بن أحمد المعروف بابن هزار مرد الصريفينى راوية أحاديث على بن الجعد وهو آخر من رواها وكان ثقة صالحا ومن طريقه سمعناها .

﴿ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة ورد مؤيد الملك إلى بغداد من العسكر . وفيها اصطلح تميم بن المعز

(١) ذكر فى البداية والنهاية بيتين تكملة للبيتين المذكورين هما :

[ثم الثـلاثة بعـده خير الورى ✲ أكرم بهم من سادة أطهار]
[هـذا اعتقادى والذى أرجو به ✲ فوزى وعتقى من عذاب النار]

Marfat.com

ابن باديس صاحب إفريقية مع الناصر ابن علناس وهو من بنى حماد عم جده وزوجه تميم ابنته بلارة وسيرها إليه من المهدية فى عسكر وأصحبها من الحلى والجهاز ما لايحد وحمل الناصر ثلاثين ألف دينار فأخذ منها تميم دينارا واحدا ورد الباقى. وفيها استعمل تميم ابنه مقلدا على مدينة طرابلس الغرب وكان ببغداد فى هذه السنة فتنة بين أهل سوق المدرسة وسوق الثلاثاء بسبب الاعتقاد فنهب بعضهم بعضا وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد بالدار التى عند المدرسة فأرسل إلى العميد والشحنة فحضرا ومعهم الجند فضربوا الناس فقتل بينهم جماعة وانفصلوا . وفى هذه السنة فى ربيع الأول توفى القاضى أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد بن البيضاوى الفقيه الشافعى وكان القاضى أبو الطيب الطبرى جده لأمه . وفيها توفى أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن النقور أبو الحسين البزاز فى رجب وكان مكثرا من الحديث ثقة فى الرواية وأحمد بن عبدالملك بن على أبو صالح المؤذن النيسابورى كان يعظ ويؤذن وكان كثير الرواية حافظا ومولده سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وعبدالرحمن ابن محمد بن إسحق بن محمد بن يحيى بن منده الأصبهانى أبو القاسم بن أبى عبدالله الحافظ له تصانيف كثيرة منها تاريخ أصبهان وله طائفة ينتمون إليه فى الاعتقاد من أهل أصبهان يقال لهم العبد رحمانية . وفى شوال منها توفيت ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة بن جهير نفساء بولد مات من يومه ودفنا بدار الخلافة ولم تجر بذلك عادة لأحد فعل ذلك إكراما لأبيها وجلس الوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة زوجها للعزاء فى دار بباب العامة ثلاثة أيام .(١)

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة ﴾ فى هذه السنة عزل فخر الدولة أبو نصر بن جهير من وزارة الخليفة المقتدى بأمر الله ووزر بعده أبو شجاع محمد بن الحسين وكان السبب فى ذلك أن أبا نصر بن القشيرى ورد إلى بغداد على ما تقدم ذكره وجرى له الفتن مع الحنابلة لما ذكر مذهب الأشعرية ونصره وعاب من سواهم وفعلت الحنابلة ومن معهم ما ذكرناه فنسب أصحاب نظام الملك ماجرى إلى الوزير فخر الدولة وإلى الخدم وكتب أبو الحسن محمد بن على بن أبى الصقر الواسطى الفقيه الشافعى إلى نظام الملك .

---

(١) قال ابن الجوزى : فى ربيع الأول منها وقعت صاعقة بمحلة النوبة من الجانب الغربى ، على نخلتين فى مسجد فأحرقت أعاليهما ، وصعد الناس فأطفأوا النار ، ونزلوا بالسعف وهو يشتعل ناراً . قال : وورد كتاب من نظام الملك إلى الشيخ أبى إسحاق الشيرازى فى جواب كتابه إليه فى شأن الحنابلة ، ثم سرده ابن الجوزى ومضمونه : أنه لايمكن تغيير المذاهب ولانقل أهلها عنها ، والغالب على تلك الناحية هو مذهب الإمام أحمد ، ومحله معروف عند الأئمة والناس ، وقدره معلوم فى السنة . فى كلام طويل . قال : وفى شوال منها وقعت فتنة بين الحنابلة وبين فقهاء النظامية ، وحمى لكل من الفريقين طائفة من العوام ، وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلا ، وجرح آخرون ، ثم سكنت الفتنة . قال : وفى تاسع عشر شوال ولد للخليفة المقتدى ولده المستظهر أبو العباس أحمد ، وزينت البلاد وجلس الوزير للهناء ، ثم فى يوم الأحد السادس والعشرين من شوال ولد له ولد آخر وهو أبو محمد هارون . قال : وفيها ولى تاج الدولة أرسلان الشام وحاصر حلب . وحج بالناس جنفل مقطع الكوفة ، وذكر ابن الجوزى أن الوزير ابن جهير كان قد عمل منبراً هائلا لتقام عليه الخطبة بمكة ، فحين وصل إليها إذا الخطبة قد أعيدت للمصريين فكسر ذلك المنبر وأحرق .

Marfat.com

يانظام الملك قد حل ببغداد النظام ✡ وبقى القاطن فيها مستهان مستضام
وبها أودى له قتلى غلام وغلام ✡ والذى منهم تبقى سالما فيه سهام
ياقوام الدين لم يبق ببغداد مقام ✡ عظم الخطب وللحر ب اتصال ودوام
فمتى لم تحسم الدا ✡ ء أياديك الحسام ✡ ويكف القوم فى بغداد قتل وانتقام
فعلى مدرسة فيها ومن فيها السلام ✡ واعتصام بحريم ✡ لك من بعد حرام

فلما سمع نظام الملك ماجرى من الفتن وقصد مدرسته والقتل بجوارها مع أن ابنه مؤيد الملك فيها عظم عليه فأعاد كوهرائين إلى شحنكية العراق وحمله رسالة إلى الخليفة المقتدى بأمر الله يتضمن الشكوى من بنى جهير وسأل عزل فخر الدولة من الوزارة وأمر كوهرائين بأخذ أصحاب بنى جهير وإيصال المكروه إليهم وإلى حواشيهم فسمع بنو جهير الخبر فسار عميد الدولة إلى المعسكر يريد نظام الملك ليستعطفه وتجنب الطريق وسلك الجبال خوفا أن يلتقاه كوهرائين وينال فيها أذى فلما وصل كوهرائين إلى بغداد اجتمع بالخليفة وأبلغه رسالة نظام الملك فأمر فخر الدولة بلزوم منزله ووصل عميد الدولة إلى المعسكر السلطانى ولم يزل يستصلح نظام الملك حتى عاد إلى ماألفه منه وزوجه بابنة بنت له وعاد إلى بغداد فى العشرين من جمادى الأولى فلم يرد الخليفة أباه إلى وزارته وأمرهما بملازمة منازلهما واستوزر أبا شجاع محمد بن الحسين ثم إن نظام الملك راسل الخليفه فى إعادة بنى جهير إلى الوزارة وشفع فى ذلك فأعيد عميد الدولة إلى الوزارة وأذن لأبيه فخر الدولة فى فتح بابه وكان ذلك فى صفر سنة اثنتين وسبعين .

﴿ ذكر استيلاء تتش على دمشق ﴾ فى هذه السنة ملك تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان دمشق وسبب ذلك أن أخاه السلطان ملكشاه أقطعه الشام وما يفتحه فى تلك النواحى سنة سبعين وأربعمائة فأتى حلب وحصرها ولحق أهلها مجاعة شديدة وكان معه جمع كثير من التركمان فأنفذ إليه الإقسيس[1] صاحب دمشق يستنجده ويعرفه أن عساكر مصر قد حصرته بدمشق وكان أمير الجيوش بدر قد سير عسكرا من مصر ومقدمهم قائد يعرف بنصر الدولة فحصر دمشق فأرسل إقسيس إلى تاج الدولة تتش يستنصره فسار إلى نصرة الإقسيس فلما سمع المصريون بقربه أجفلوا من بين يديه شبه المنهزمين وخرج الإقسيس إليه يلتقيه عند سور البلد فاغتاظ منه تتش حيث لم يبعد فى تلقيه وعاتبه على ذلك فاعتذر بأمور لم يقبلها تتش فقبض عليه فى الحال وقتله من ساعته وملك البلد وأحسن السيرة فى أهله وعدل فيهم . وقد ذكر ابن الهمذانى وغيره من العراقيين أن ملك تتش دمشق كان هذه السنة وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى فى كتاب تاريخ دمشق أن ملكه إياها كان سنة اثنتين وسبعين .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة ولد الملك بركيارق بن السلطان ملكشاه . وفيها فى المحرم وصل سعد الدولة كوهرائين إلى بغداد وضرب الطبل على باب داره أوقات الصلاة وكان قد طلب ذلك من قبل فلم يجب اليه لأنه لم تجر به عادة . وفيها توفى سيف الدولة أبو النجم بدر بن ورام الكردى الجاوانى فى شهر ربيع الأول

---

(١) إقسيس : هو أتسز بن أوف الخوارزمى كان يلقب ، بالمعظم وكان من خيار الملوك وأجودهم سيرة وأصحهم سريرة ، أزال الرفض عن أهل الشام ، وأبطل الأذان بحى على خير العمل وأمر بالترضى عن الصحابة أجمعين .

Marfat.com

ودفن بطسفونج . وفى رجب توفى أبو على بن البناء المقرى الحنبلى وله مصنفات كثيرة وسليم الجورى بناحية جور من دجيل وكان زاهدا يعمل ويأكل من كسبه ولم يكلف أحدا حاجة وأقام بطنزة من ديار بكر وهى كثيرة الفواكه فلم يأكل بها فاكهة البتة (١) .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر فتوح إبراهيم صاحب غزنة فى بلاد الهند﴾ فى هذه السنة غزا الملك إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند فحصر قلعة أجود وهى على مائة وعشرين فرسخا من لهاوور وهى قلعة حصينة فى غاية الحصانة كبيرة تحوى عشرة آلاف رجل من المقاتلة فقاتلوه وصبروا تحت الحصر وزحف اليهم غير مرة فرأوا من شدة حربه ما ملأ قلوبهم خوفا ورعبا فسلموا القلعة اليه فى الحادى والعشرين من صفر هذه السنة وكان فى نواحى الهند قلعة يقال لها قلعة روبال على رأس جبل شاهق وتحتها غياض أشبة وخلفها البحر وليس عليها قتال إلا من مكان ضيق وهو مملوء بالفيلة المقاتلة وبها من رجال الحرب ألوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع وألح عليهم بالقتال بجميع أنواع الحرب وملك القلعة واستنزلهم منها وفى موضع يقال له دره نوره أقوام من أولاد الخراسانيين الذين جعل أجدادهم فيها أفراسياب التركى من قديم الزمان ولم يتعرض اليهم أحد من الملوك فسار إليهم إبراهيم ودعاهم إلى الاسلام أولا فامتنعوا من إجابته وقاتلوه فظفر بهم وأكثر القتل فيهم وتفرق من سلم فى البلاد وسبى واسترق من النسوان والصبيان مائة ألف وفى هذه الفلاة حوض للماء يكون قطره نحو نصف فرسخ لا يدرك قعره يشرب منه أهل القلعة وجميع ما عندهم من دابة ولا يظهر فيه نقص وفى بلاد الهند موضع يقال له وره وهو برزخ بين خليجين فقصده الملك إبراهيم فوصل اليه فى جمادى الأولى وفى طريقه عقبات كثيرة وفيها أشجار ملتفة فأقام هناك ثلاثة أشهر ولقى الناس من الشتاء شدة ولم يفارق الغزوة حتى أنزل الله نصره على أوليائه وذله على أعدائه وعاد إلى غزنة سالما مظفرا وهذه الغزوات لم أعرف تاريخها وأما الأولى فكانت هذه السنة فلهذا أوردتها متتابعة فى هذه السنة .

﴿ذكر ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب﴾ فى هذه السنة ملك شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلى صاحب الموصل مدينة حلب وسبب ذلك أن تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان حصرها مرة بعد أخرى فاشتد الحصار بأهلها وكان شرف الدولة يواصلهم بالغلات وغيرها ثم أن تتش حصرها هذه السنة وأقام عليها أياما ورحل عنها وملك بزاعة والبيرة وأحرق ربض عزاز وعاد إلى دمشق ، فلما رحل عنها تاج الدولة استدعى أهلها شرف الدولة ليسلموها إليه فلما قاربها امتنعوا من ذلك وكان مقدمهم يعرف بابن الحتيتى العباسى فاتفق أن ولده خرج يتصيد بضيعة له فأسره أحد التركمان وهو صاحب حصن بنواحى حلب وأرسله إلى شرف الدولة فقرر معه أن يسلم البلد إليه إذا أطلقه فأجاب إلى ذلك فأطلقه فعاد إلى حلب واجتمع بأبيه وعرفه ما استقر فأذعن إلى تسليم البلد ونادى بشعار شرف الدولة وسلم البلد إليه فدخله سنة ثلاث وسبعين وحصر القلعة واستنزل منها سابقا ووثابا ابنى محمود بن مرداس فلما ملك البلد أرسل ولده وهو ابن عمة السلطان إلى السلطان يخبره بملك البلد وأنفذ معه شهادة فيها خطوط المعدلين بحلب بضمانها وسأل أن يقرر عليه الضمان فأجابه

---

(١) وفيها مات عبدالله بن شمعون أبو أحمد الفقيه المالكى الفيروانى ببغداد ودفن بباب حرب .

Marfat.com

السلطان إلى ماطلب وأقطع ابن عمته مدينة بالس .

﴿ذكر مسير ملكشاه إلى كرمان﴾ فى أول هذه السنة سار السلطان ملكشاه إلى بلاد ذكرمان فلما سمع صاحبها سلطانشاه بن قاورت بك وهو ابن عم السلطان بوصوله إليها خرج إلى طريقه ولقيه وحمل له الهدايا الكثيرة وخدمه وبالغ فى الخدمة فأقره السلطان على البلاد وأحسن إليه وعاد عنه فى المحرم سنة ثلاث وسبعين إلى أصبهان

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة ولد للخليفة المقتدى بأمر الله أمير المؤمنين ولد سماه موسى وكناه أبا جعفر وزينت بغداد سبعة أيام . وفيها وصل السلطان ملكشاه إلى خوزستان متصيدا فوصل معه خمارتكين وكوهرائين فى قتل ابن علان اليهودى ضامن البصرة وكان ملتجئا إلى نظام الملك وكان بين نظام الملك وبين خمارتكين الشرابى وكوهرائين عداوة فسعيا باليهودى لذلك فأمر السلطان بتغريقه فغرق وانقطع نظام الملك عن الركوب ثلاثة أيام وأغلق بابه ثم أشير عليه بالركوب فركب وعمل السلطان دعوة عظيمة قدم له فيها أشياء كثيرة وعاتبه على فعله فاعتذر إليه وكان أمر اليهودى قد عظم إلى حد أن زوجته توفيت فمشى خلف جنازتها كل من فى البصرة إلا القاضى وكان له نعمة عظيمة وأموال كثيرة فأخذ السلطان منه مائة ألف دينار وضمن خمارتكين البصرة كل سنة بمائة ألف دينار ومائة فرس . وفيها زاد الفرات تسعة أذرع فخربت بعض دواليب هيت وخرب فوهة نهر عيسى وزاد تامرا نيفا وثلاثين ذراعا وعلا على قنطرتى طراستان وخانقين الكسرويتين فقطعهما . وفيها فى ذى الحجة توفى نصر بن مروان صاحب ديار بكر وملك بعده ابنه منصور ودبر دولته ابن الأنبارى . وفيها توفى أبو منصور محمد بن عبد العزيز العكبرى ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وهو من المحدثين المعروفين وكان صدوقا ومحمد بن هبة الله بن الحسن بن منصور أبو بكر بن أبى القاسم الطبرى اللالكائى وولد سنة تسع وأربعمائة وحدث عن هلال الحفار وغيره وتوفى فى جمادى الأولى . وفيها توفى أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الشاعر المشهور وحدث عن جده لأمه القاضى أبى نصر محمد بن هرون بن الجندى . (١)

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان وأخذها منه﴾ فى هذه السنة فى شعبان سار السلطان ملكشاه إلى الرى وعرض العسكر فأسقط منهم سبعة آلاف رجل لم يرض حالهم فمضوا إلى أخيه تكش وهو بيوشنج فقوى بهم وأظهر العصيان على أخيه ملكشاه واستولى على مرو الروذ ومرو الشاهجان وترمذ وغيرها وسار إلى نيسابور طامعا فى ملك خراسان وقيل بأن نظام الملك قال للسلطان لما أمر بإسقاطهم إن هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط ولا من له صنعة غير الجندية فإذا أسقطوا لا نأمن أن يقيموا منهم رجلا وقالوا هذا السلطان فيكون لنا منهم شغل ويخرج عن أيدينا أضعاف مالهم من الجارى إلى أن نظفر بهم فلم يقبل السلطان قوله فلما مضوا إلى أخيه وأظهر العصيان ندم على مخالفة وزيره حيث لم ينفع الندم واتصل خبره بالسلطان ملكشاه فسار مجدا إلى خراسان فوصل إلى نيسابور قبل أن يستولى تكش عليها فلما سمع تكش بقربه منها سار عنها وتحصن بترمذ وقصده السلطان فحصره بها وكان تكش قد أسر جماعة من أصحاب السلطان

(١) وفيها فتح عبيد الله بن نظام الملك تكريت . وحج بالناس جنفل التركى وقطعت خطبة المصريين بمكة وخطب للمقتدى وللسلطان ملكشاه السلجوقى .

Marfat.com

فأطلقهم واستقر الصلح بينهما ونزل تكش إلى أخيه السلطان ملكشاه ونزل عن ترمذ .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة تسلم مؤيد الملك بن نظام الملك تكريت من صاحبها المهرباط وفيها توفى أبو على بن شبل الشاعر المشهور ومن شعره فى الزهد :

أهم بترك الذنب ثم يردنى * طموح شباب بالغرام موكل
فمن لى إذا أخرت ذا اليوم توبة * بأن المنايا لى إلى الشيب تمهل
أأعجز ضعفا عن أدا حق خالقى * وأحمل وزرا فوق مايتحمل

وفيها أيضا توفى العميد أبو منصور بالبصرة وفيها توفى عبدالسلام بن أحمد بن محمد بن جعفر أبو الفتح الصوفى من أهل فارس سافر الكثير وسمع الحديث بالعراق والشام ومصر وأصبهان وغيرها وكانت وفاته بفارس . ويوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن أبو الهيثم الفكرى الزنجانى ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة وسمع من أبى نعيم الحافظ وغيره وتفقه على أبى إسحق الشيرازى وأدرك أبا الطيب الطبرى وكان من العلماء العاملين المشتغلين بالعبادة (١)

﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه﴾ فى هذه السنة أرسل الخليفة الوزير فخر الدولة أبانصر بن جهير إلى السلطان يخطب ابنته لنفسه فسار فخر الدولة إلى أصبهان إلى السلطان يخطب ابنته فأمر نظام الملك أن يمضى معه إلى خاتون زوجة السلطان فى المعنى فمضيا إليها فخاطباها فقالت إن ملك غزنة وملوك الخانية بما وراء النهر طلبوها وخطبوها لأولادهم وبذلوا أربعمائة ألف دينار فإن حمل الخليفة هذا المال فهو أحق منهم فعرفتها أرسلان خاتون التى كانت زوجة القائم بأمر الله مايحصل لها من الشرف والفخر بالاتصال بالخليفة وأن هؤلاء كلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لايطلب منه المال فأجابت إلى ذلك وشرطت أن يكون الحمل

---

(١) وفيها توفى الصليحى المتغلب على اليمن ، أبو الحسن على بن محمد بن على الملقب بالصليحى ، كان أبوه قاضيا باليمن ، وكان سنيا ، ونشأ هذا فتعلم العلم وبرع فى أشياء كثيرة من العلوم ، وكان شيعيا على مذهب القرامطة ، ثم كان يدل بالحجيج مدة خمس عشرة سنة ، وكان اشتهر أمره بين الناس أنه سيملك اليمن ، فنجم ببلاد اليمن بعد قتله نجاح صاحب تهامة ، واستحوذ على بلاد اليمن بكمالها فى أقصر مدة واستوثق له الملك بها سنة خمس وخمسين ؛ وخطب للمستنصر العبيدى صاحب مصر ؛ فلما كان فى هذا العام خرج إلى الحج فى ألفى فارس ؛ فاعترضه سعيد بن نجاح بالموسم ؛ فى نفر يسير ؛ فقاتلهم فقتل هو وأخوه واستحوذ سعيد بن نجاح على مملكته وحواصله ؛ ومن شعر الصليحى هذا قوله :

أنكحت بيض الهند سمر رماحهم * فرءوسهم عرض النثار نثار
وكذا العلا لا يستباح نكاحها * إلا بحيث تطلق الأعمار

وفيها توفى محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشبلى ، أبو على الشاعر البغدادى ؛ أسند الحديث ؛ وله الشعر الرائق فمنه قوله :

لاتظهرن لعاذل أو عاذر * حاليك فى السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين مرارة * فى القلب مثل شماتة الأعداء

Marfat.com

Marfat.com

المعجل خمسين ألف دينار وأنه لايبقى له سرية ولازوجة غيرها ولا يكون مبيته إلاعندها فأجيبت إلى ذلك فأعطى السلطان يده وعاد فخر الدولة إلى بغداد .

﴿ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد وإمارة ولده منصور﴾ فى هـــذه السنة فى شوّال توفى نور الدولة أبو الأغر دبيس بن على بن مزيد الأسدى بمطيراباذ وكان عمره ثمانين سنة وإمارته سبع وخمسين سنة ومازال ممدحا فى كل زمان مذكورا بالتفضل والإحسان ورثاه الشعراء فأكثروا وولى بعده ما كان اليه ابنه أبو كامل منصور ولقبه بهاء الدولة فأحسن السيرة واعتمد الجميل وسار إلى السلطان ملكشاه فى ذى القعدة واستقر له الأمر وعاد فى صفر سنة خمس وسبعين وخلع الخليفة أيضا عليه .

﴿ذكر محاصرة تميم بن المعز مدينة قابس﴾ فى هذه السنة حصر الأمير تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية مدينة قابس حصارا شديدا وضيق على أهلها وعاث عساكره فى بساتينها المعروفة بالغابة فأفسدوها .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة سار تتش بعد عود شرف الدولة عن دمشق وقصد الساحل الشامى فافتتح أنطرطوس وبعضا من الحصون وعاد إلى دمشق وفيها ملك شرف الدولة صاحب الموصل مدينة حران وأخذها من بنى وثاب النميريين وصالحه صاحب الرها ونقش السكة باسمه وفيها سد ظفر الفاتمى بشق نهر عيسى وكان خرابا منذ ثلاث وعشرين سنة وسد مرارا وتخرب إلى أن سده ظفر وفيها أرسل السلطان إلى بغداد ليخرج الوزير أبو شجاع الذى وزر للخليفة بعد بنى جهير فأرسله الخليفة إلى نظام الملك وسير معه رسولا وكتب معه إلى نظام الملك كتابا بخطه يأمره بالرضا عن أبى شجاع فرضى عنه وأعاده إلى بغداد . وفيها مات ابن السلطان ملكشاه واسمه داود فجزع عليه جزعا شديدا وحزن حزنا عظيما ومنع من أخذه وغسله حتى تغيرت رائحته وأراد قتل نفسه مرات فمنعه خواصه ولما دفن لم يطق المقام فخرج يتصيد وأمر بالنياحة عليه فى البلد ففعل ذلك عدة أيام جلس له وزير الخليفة فى العزاء ببغداد . وفيها توفى عبدالله بن أحمد بن رضوان أبو القاسم وهو من أعيان أهل بغداد وكان مرضه شقيقة وبقى ثلاث سنين فى بيت مظلم لايقدر يسمع صوتا ولا يبصر ضوءاً . وفيها فى ذى الحجة توفى أبو محمد بن أبى عثمان المحدث وكان صالحا يقرئ القرآن بمسجده بنهر القلائين . وتوفى على بن أحمد بن على أبو القاسم البسرى البندار ومولده سنة ست وثمانين وثلثمائة سمع المخلص وغيره وكان ثقة صالحا وفيها توفى أبو إسحق ابراهيم بن عقيل بن حبش القرشى النحوى [1]

---

(١) وفيها مات القاضى أبو الوليد الباجى سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبى الأندلسى الباجى الفقيه المالكى أحد الحفاظ المكثرين فى الفقه والحديث ، سمع الحديث ورحل فيه إلى بلاد المشرق سنة ست وعشرين وأربعمائة ، فسمع هناك الكثير ، واجتمع بأئمة ذلك الوقت ، كالقاضى أبى الطيب الطبرى ، وأبى إسحاق الشيرازى ، وجاور بمكة ثلاث سنين مع الشيخ أبى ذر الهروى ؛ وأقام ببغداد ثلاث سنين ، وبالموصل سنة عند أبى جعفر السمنانى قاضيها ؛ فأخذ عنه الفقه والأصول ، وسمع الخطيب البغدادى وسمع منه الخطيب أيضا ، وروى عنه هذين البيتين الحسنين

إذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتى كساعة
فلم لا أكون كضيف بها * وأجعلها فى صلاح وطاعة

ثم عاد إلى بلده بعد ثلاث عشرة سنة ؛ وتولى القضاء هناك . ويقال إنه تولى قضاء حلب أيضا ؛ قاله ابن خلكان . قال وله مصنفات عديدة منها المنتقى فى شرح الموطأ ؛ وإحكام الفصول فى أحكام الأصول . والجرح والتعديل وغير ذلك ، وكان مولده سنة ثلاث وأربعمائة . وتوفى ليلة الخميس بين العشاءين التاسع والعشرين من رجب .

Marfat.com

﴿ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك﴾ فى هذه السنة فى رجب توفى جمال الملك منصور بن نظام الملك وورد الخبر بوفاته إلى بغداد فى شعبان فجلس أخوه مؤيد الملك للعزاء وحضر فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الملك معزيين وأرسل الخليفة إليه فى اليوم الثالث فأقامه من العزاء وكان سبب موته أن مسخرة كان للسلطان ملكشاه يعرف بجعفرك يحاكى نظام الملك ويذكره فى خلواته مع السلطان فبلغ ذلك جمال الملك وكان يتولى مدينة بلخ وأعمالها فسار من وقته يطوى المراحل إلى والده والسلطان وهما بأصبهان فاستقبله أخواه فخر الملك ومؤيد الملك فأغلظ لهما القول فى إغضائهما على ما بلغه عن جعفرك فلما وصل إلى حضوة السلطان رأى جعفرك يساره فانتهره وقال مثلك يقف هذا الموقف وينبسط بحضرة السلطان فى هذا الجمع فلما خرج من عند السلطان أمر بالقبض على جعفرك وأمر بإخراج لسانه من قفاه وقطعه فمات ثم سار مع السلطان وأبيه إلى خراسان وأقاموا بنيسابور مدة ثم أرادوا العود إلى أصبهان وتقدمهم نظام الملك فأحضر السلطان عميد خراسان وقال له أيما أحب لك رأسك أم رأس جمال الملك فقال بل رأسى فقال لئن لم تعمل فى قتله لأقتلنك فاجتمع بخادم يختص بخدمة جمال الملك وقال له سرا الأولى أن تحفظوا نعمتكم ومناصبكم وتدبروا فى قتل جمال الملك فإن السلطان يريد أن يأخذه ويقتله ولأن تقتلوه أنتم سرا أصلح لكم من أن يقتله السلطان ظاهرا فظن الخادم أن ذلك صحيح فجعل له سما فى كوز فقاع فطلب جمال الملك فقاعا فأعطاه الخادم ذلك الكوز فشربه فمات فلما علم السلطان بموته سار مجدا حتى لحق نظام الملك فأعلمه بموت ابنه وعزاه وقال أنا ابنك وأنت أولى من صبر واحتسب.

﴿ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة﴾ ورد إلى بغداد هذه السنة الشريف أبو القاسم البكرى المغربى الواعظ وكان أشعرى المذهب وكان قد قصد نظام الملك فأحبه ومال إليه وسيره إلى بغداد وأجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) والله ما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا ثم إنه قصد يوما دار قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى بنهر القلائين فجرى بين بعض أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت إلى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بنى الفراء وأخذ كتبهم وأخذ منها كتاب الصفات لأبى يعلى فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسى للوعظ فيشنع به عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن ولقب البكرى من الديوان بعلم السنة ومات ببغداد ودفن عند قبر أبى الحسن الأشعرى.

﴿ذكر مسير الشيخ أبى اسحق إلى السلطان فى رسالة﴾ فى هذه السنة فى ذى الحجة أوصل الخليفة المقتدى بأمر الله الشيخ أبا اسحق الشيرازى إلى حضرته وحمله رسالة إلى السلطان ملكشاه ونظام الملك تتضمن الشكوى من العميد أبى الفتح ابن أبى الليث عميد العراق وأمره أن ينهى مايجرى على البلاد من النظار فسار فكان كلما وصل إلى مدينة من بلاد العجم يخرج أهلها إليه بنسائهم وأولادهم يتمسحون بركابه ويأخذون تراب بغلته للبركة وكان فى صحبته جماعة من أعيان بغداد منهم الإمام أبو بكر الشاشى وغيره، ولما وصل إلى ساوة خرج جميع أهلها وسأله فقهاؤها كل منهم أن يدخل بيته فلم يفعل ولقيه أصحاب الصناعات ومعهم ماينثرونه على محفته فخرج الخبازون ينثرون الخبز وهو ينهاهم فلم ينتهوا وكذلك أصحاب الفاكهة والحلواء وغيرهم وخرج

Marfat.com

إليه الأساكفة وقد عملوا مداسات لطافا تصلح لأرجل الأطفال ونثروها فكانت تسقط على رؤس الناس فكان الشيخ يتعجب ويذكر ذلك لأصحابه بعد رجوعه ويقول ما كان حظكم من ذلك النثار فقال له بعضهم ما كان حظ سيدنا منه فقال أما أنا فغطيت بالمحفة وهو يضحك فأكرمه السلطان ونظام الملك وجرى بينه وبين إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى مناظرة بحضرة نظام الملك . وأجيب إلى جميع ما التمسه ولما عاد أعين العميد وكسر عما كان يعتمده ورفعت يده عن جميع مايتعلق بحواشى الخليفة ولما وصل الشيخ إلى بسطام خرج إليه السهلكى شيخ الصوفية بها وهو شيخ كبير فلما سمع الشيخ أبو إسحق بوصوله خرج إليه ماشيا فلما رآه السهلكى ألقى نفسه من دابة كان عليها وقبل يد الشيخ أبى إسحق فقبل أبو إسحق رجله وأقعده موضعه وجلس أبو إسحق بين يديه وأظهر كل واحد منهما من تعظيم صاحبه كثيرا وأعطاه شيئا من حنطة ذكر أنها من عهد أبى يزيد البسطامى ففرح بها أبو إسحق .

﴿ ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها ﴾ فى هذه السنة جمع تاج الدولة تتش جمعا كثيرا وسار عن بغداد وقصد بلاد الروم أنطاكية وماجاورها فسمع شرف الدولة صاحب حلب الخبر فخافه فجمع أيضا العرب من عقيل والأكراد وغيرهم فاجتمع معه جمع كثير فراسل الخليفة بمصر يطلب منه إرسال نجدة إليه ليحصر دمشق فوعده ذلك فسار إليها فلما سمع تتش الخبر عاد إلى دمشق فوصلها أول المحرم سنة ست وسبعين ووصل شرف الدولة أواخر المحرم وحصر المدينة وقاتله أهلها وفى بعض الأيام خرج إليه عسكر دمشق وقاتلوه وحملوا على عسكره حملة صادقة فانكشفوا وتضعضعوا وانهزمت العرب وثبت شرف الدولة وأشرف على الأسر وتراجع إليه أصحابه فلما رأى شرف الدولة ذلك ورأى أيضا أن مصر لم يصل إليه منها عسكر وأتاه عن بلاده الخبر أن أهل حران عصوا عليه فرحل عن دمشق إلى بلاده وأظهر أنه يريد البلاد بفلسطين فرحل أولا إلى مرج الصفر فارتاع أهل دمشق وتتش واضطربوا ثم أنه رحل من مرج الصفر مشرقا فى البرية وجد فى مسيره فهلك من المواشى الكثير مع عسكره ومن الدواب شىء كثير وانقطع خلق كثير .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة قدم مؤيد الملك بن نظام الملك إلى بغداد من أصبهان فخرج عميد الدولة بن جهير إلى لقائه ونزل بالمدرسة النظامية وضرب على بابه الطبول أوقات الصلوات الثلاث فأعطى مالا جليلا حتى قطعه وأرسل الطبول إلى تكريت . وفيها توفى أبو عمرو عبدالوهاب بن محمد بن إسحق بن منده الأصبهانى فى جمادى الآخرة بأصبهان وكان حافظا فاضلا والأمير أبو نصر على بن الوزير أبى القاسم هبة الله ابن على بن جعفر بن ماكولا مصنف كتاب الإكمال ومولده سنة عشرين وأربعمائة وكان فاضلا حافظا قتله مماليكه الأتراك بكرمان وأخذوا ماله . (١)

---

(١) ترجمة ابن ماكولا ، هو الأمير أبو نصر على بن الوزير أبى القاسم هبة الله بن على بن جعفر بن على كان بن محمد بن دلف بن أبى دلف العجلى ، الأمير سعد الملك ، أبو نصر بن ماكولا ، أحد أئمة الحديث وسادات الأمراء ، رحل وطاف وسمع الكثير ، وصنف الإكمال فى المشتبه من أسماء الرجال ، وهو كتاب جليل لم يسبق إليه ، ولا يلحق فيه ، إلا ما استدرك عليه ابن نقطة فى كتاب سماه الاستدراك . قتله مماليكه فى كرمان فى هذه السنة ، وكان مولده فى سنة عشرين وأربعمائة ، وعاش خمسا وخمسين سنة . قال ابن خلكان : وقيل إنه قتل فى سنة تسع وسبعين ، وقيل =

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ومسير والده فخر الدولة إلى ديار بكر ﴾ فى هذه السنة فى صفر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ووصل يوم عزل رسول من السلطان ونظام الملك إلى الخليفة يطلبان أن يرسل إليها بنى جهير فأذن لهما فى ذلك وساروا بجميع أهلهم ونسائهم إلى السلطان فصادفوا منه ومن نظام الملك الإكرام والاحترام وعقد السلطان لفخر الدولة بن جهير على ديار بكر وخلع عليه وأعطاه الكوسات وسير معه العساكر وأمره أن يقصدها ويأخذها من بنى مروان وأن يخطب لنفسه ويذكر اسمه على السكة فسار إليها ولما فارق بنو جهير بغداد رتب فى الديوان أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء وكان قبل ذلك على أبنية الدار وغيرها .

﴿ ذكر عصيان أهل حران على شرف الدولة وفتحها ﴾ فى هذه السنة عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش وأطاعوا قاضيهم ابن حلبة وأرادوا هم وابن عطير النميرى تسليم البلد إلى جق أمير التركمان وكان شرف الدولة على دمشق يحاصر تاج الدولة تتش بها فبلغه الخبر فعاد إلى حران وصالح ابن ملاعب صاحب حمص وأعطاه سلمية ورفنية وبادر بالمسير إلى حران فحصرها ورماها بالمنجنيق فخرب من سورها بدنة وفتح البلد فى جمادى الأولى وأخذ القاضى ومعه ابنين له فصلبهم على السور .

﴿ ذكر وزارة أبى شجاع محمد بن الحسين للخليفة ﴾ فى هذه السنة عزل الخليفة أبا الفتح بن رئيس الرؤساء من النيابة فى الديوان واستوزر أبا شجاع محمد بن الحسين وخلع عليه خلع الوزارة فى شعبان ولقبه ظهير الدين ومدحه الشعراء فأكثروا فممن مدحه وهناه أبو المظفر محمد بن العباس الأبيوردى بالقصيدة المشهورة التى أولها :

ها إنها مقل الظباء العين * فتكت بسر فؤادى المكنون

ومنها : فانهل أسراب الدموع كأنها * منح يتابعها ظهير الدين

﴿ ذكر قتل أبى المحاسن بن أبى الرضا ﴾ فى هذه السنة فى شوال قتل سيد الرؤساء أبو المحاسن بن كمال الملك أبى الرضا وكان قد قرب من السلطان ملكشاه قربا عظيما وكان أبوه يكتب بالطغراء فقال أبو المحاسن للسلطان سلم إلى نظام الملك وأصحابه وأنا أسلم إليك منهم ألف ألف دينار فإنهم يأكلون الأموال ويقتطعون الأعمال وعظم عنده ذخائرهم فبلغ ذلك نظام الملك فعمل سماطا عظيما وأقام عليه مماليكه وهم ألوف من الأتراك وأقام خيلهم وسلاحهم على حيالهم فلما حضر السلطان قال له إننى قد خدمتك وخدمت أباك وجدك ولى حق خدمة

= فى سنة سبع وثمانين . قال : وقد كان أبوه وزير القائم بأمر الله ، وعمه عبد الله بن الحسين ولى قضاء بغداد : قال ولم أدر لم سمى الأمير إلا أن يكون منسوباً إلى جده الأمير أبى دلف ، وأصله من جر باذقان ، وولد فى عكبرا فى شعبان سنة إحدى وعشرين وأربعمائة . قال : وقد كان الخطيب البغدادى صنف كتاب المؤتلف جمع فيه بين كتابى الدارقطنى وعبد الغنى بن سعيد فى المؤتلف والمختلف ؛ فجاء ابن ماكولا وزاد على الخطيب وسماه كتاب الإكمال ، وهو فى غاية الإفادة ورفع الالتباس والضبط . ولم يوضع مثله . ولا يحتاج هذا الأمير بعده إلى فضيلة أخرى . ففيه دلالة على كثرة اطلاعه وضبطه وتحريره وإتقانه . ومن الشعر المنسوب إليه قوله :

قوض خيامك عن أرض تهان بها * وجانب الذل إن الذل يجتنب

وارحل إذا كان فى الأوطان منقصة * فالمندل الرطب فى أوطانه حطب

Marfat.com

وقد بلغك أخذى لعشر أموالك وصدق هذا أنا آخذه وأصرفه إلى هؤلاء الغلمان الذين جمعتهم لك وأصرفه أيضا إلى الصدقات والصلات والوقوف التى أعظم ذكرها وشكرها وأجرها لك وأموالى وجميع ما أملكه بين يديك وأنا أقنع بمرقعة وزاوية فأمر السلطان بالقبض على أبى المحاسن وأن تسمل عيناه وأنفذه إلى قلعة ساوة وسمع أبوه كمال الملك الخبر فاستجار بدار نظام الملك فسلم وبذل مائتى ألف دينار وعزل عن الطغراء ورتب مكانه مؤيد الملك بن نظام الملك .

﴿ذكر استيلاء مالك بن علوى على القيروان وأخذها منه﴾ فى هذه السنة جمع مالك بن علوى الصخرى العرب فأكثر وسار إلى المهدية فحصرها فقام الأمير تميم بن المعز قياما تاما ورحله عنها ولم يظفر منها بشىء فسار مالك منها إلى القيروان فحصرها وملكها فجرد إليه تميم العساكر العظيمة فحصروه بها فلما رأى مالك أنه لاطاقة له بتميم خرج عنها وتركها فاستولى عليها عسكر تميم وعادت إلى ملكه كما كانت .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة عم الرخص جميع البلاد فبلغ الكر الحنطة الجيدة ببغداد عشرة دنانير وفيها فى جمادى الآخرة توفى الشيخ أبو اسحق الشيرازى وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وأكثر الشعراء مراثيه فيهم أبو الحسن الخباز والبندنيجى وغيرهما ، وكان رحمة الله عليه واحد عصره علما وزهدا وعبادة وسخاء وصلى عليه فى جامع القصر وجلس أصحابه للعزاء فى المدرسة النظامية ثلاثة أيام ولم يتخلف أحد عن العزاء وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد فرتب فى التدريس أبا سعد عبد الرحمن بن المأمون المتولى فلما بلغ ذلك نظام الملك أنكره وقال كان يجب أن تغلق المدرسة بعد الشيخ أبى اسحق سنة وصلى عليه بباب الفردوس وهذا لم يفعل على غيره وصلى عليه الخليفة المقتدى بأمر الله وتقدم فى الصلاة عليه أبو الفتح بن رئيس الرؤساء وهو ينوب فى الوزارة ثم صلى عليه بجامع القصر ودفن بباب أبرز . (١)

﴿ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جهير وابن مروان وشرف الدولة﴾ قد تقدم ذكر مسير فخر الدولة ابن جهير فى العساكر السلطانية إلى ديار بكر فلما كانت هذه السنة سير السلطان إليه أيضا جيشا فيهم الأمير أرتق بن اكسب وأمرهم بمساعدته وكان ابن مروان قد مضى إلى شرف الدولة وسأله نصرته على أن يسلم إليه آمد وحلف كل واحد لصاحبه وكل منهما يرى أن صاحبه كاذب لما كان بينهما من العداوة المستحكمة واجتمعا على حرب فخر الدولة وسارا إلى آمد وقد نزل فخر الدولة بنواحيها فلما رأى فخر الدولة اجتماعهما

---

(١) وفيها توفى محمد بن أحمد بن الحسين بن جرادة أحد الرؤساء ببغداد . وهو من ذوى الثروة والمروءة . كان يحرز ماله بثلاثمائة ألف دينار ، وكان أصله من عكبرا فسكن بغداد . وكانت له بها دار عظيمة تشتمل على ثلاثين مسكنا مستقلا وفيها حمام وبستان . ولها بابان على كل باب مسجد . إذا أذن المؤذن فى إحداهما لايسمع الآخر من اتساعها . وقد كانت زوجة الخليفة القائم حين وقعت فتنة البساسيرى فى سنة خمسين وأربعمائة نزلت عنده فى جواره ؛ فبعث إلى الأمير قريش بن بدران أمير العرب بعشرة آلاف دينار . ليحمى له داره . وهو الذى بنى المسجد المعروف به ببغداد . وقد ختم فيه القرآن ألوف من الناس . وكان لايفارق زى التجار . وكانت وفاته فى عاشر ذى القعدة من هذه السنة . ودفن فى التربة المجاورة لتربة القزوينى .

Marfat.com

مال إلى الصلح وقال لا أوثر أن يحل بالعرب بلاء على يدى فعرف التركمان ما عزم عليه فركبوا ليلا وأتوا إلى العرب وأحاطوا بهم فى ربيع الأول والتحم القتال واشتد فانهزمت العرب ولم يحضر هذه الوقعة الوزير فخر الدولة ولا أرتق وغنم التركمان حلل العرب ودوابهم وانهزم شرف الدولة وحمى نفسه حتى وصل إلى فصيل آمد وحصره فخر الدولة ومن معه فلما رأى شرف الدولة أنه محصور خاف على نفسه فراسل الأمير أرتق وبذل له مالا وسأله أن يمن عليه بنفسه ويمكنه من الخروج من آمد وكان هو على حفظ الطرق والحصار فلما سمع أرتق ما بذل له شرف الدولة أذن له فى الخروج فخرج منها فى الحادى والعشرين من ربيع الأول وقصد الرقة وأرسل إلى أرتق بما كان وعده به وسار ابن جهير إلى ميافارقين ومعه من الأمراء الأمير بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة ففارقوه وعادوا إلى العراق وسار فخر الدولة إلى خلاط ولما استولى العسكر السلطانى على حلل العرب وغنموا أموالهم وسبوا حريمهم بذل سيف الدولة صدقة ابن منصور بن مزيد الأموال وأفتك أسرى بنى عقيل ونساءهم وأولادهم وجهزهم جميعهم وردهم إلى بلادهم ففعل أمرا عظيما وأسدى مكرمة شريفة ومدحه الشعراء فى ذلك فأكثروا فمنهم محمد بن محمد بن خليفة السنبسى يذكر ذلك فى قصيدة :

كما أحرزت شكر بنى عقيل * بآمد يوم كظهم الحذار
غداة رمتهم الأتراك طرا * بشهب فى حوافلها ازورار
فما جبنوا ولكن فاض بحر * عظيم لا تقاومه البحار
فحين تنازلوا تحت المنايا * وفيهن الرزية والدمار
منحت عليهم وفككت عنهم * وفى أثناء حبلهم انتشار
ولولا أنت لم ينفك منهم * أسير حين أعلقه الأسار

فى أبيات كثيرة وذكر أيضا البندنيجى أبياتا فأحسن ولولا خوف التطويل لذكرت أبياته .

﴿ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل﴾ لما بلغ السلطان أن شرف الدولة انهزم وحصر بآمد لم يشك فى أسره فخلع على عميد الدولة بن جهير وسيره فى جيش كثيف إلى الموصل وكاتب أمراء التركمان بطاعته وسير معه من الأمراء آقسنقر قسيم الدولة جد ملوكنا اصحاب الموصل وهو الذى أقطعه السلطان بعد ذلك حلب وكان الأمير أرتق قد قصد السلطان فعاد صحبة عميد الدولة من الطريق فسار عميد الدولة حتى وصل إلى الموصل فأرسل إلى أهلها يشير عليهم بطاعة السلطان وترك عصيانه ففتحوا له البلد وسلموه إليه وسار السلطان بنفسه وعساكره إلى بلاد شرف الدولة ليملكها فأتاه الخبر بخروج أخيه تكمش على ما نذكره ورأى شرف الدولة قد خلص من الحصر فأرسل مؤيد الملك بن نظام الملك إلى شرف الدولة وهو مقابل الرحبة فأعطاه العهود والمواثيق وأحضره عند السلطان وهو بالبوازيج فخلع عليه آخر رجب وكانت أمواله قد ذهبت فاقترض ما خدم به وحمل للسلطان خيلا رائقة من جملتها فرسه بشار وهو فرسه المشهور الذى نجا عليه من المعركة ومن آمد أيضا وكان سابقا لا يجارى فأمر السلطان بأن يسابق به الخيل فجاء سابقا فقام السلطان قائما لما تداخله من العجب وأرسل الخليفة النقيب طراد الزينبى فى لقى شرف الدولة فلقيه بالموصل فزاد أمر شرف الدولة قوة وصالحه السلطان وأقره على بلاده وعاد إلى خراسان لحرب أخيه .

Marfat.com

﴿ ذكر عصيان تكش على أخيه السلطان ملكشاه ﴾ قد تقدم ذكره وذكر مصالحته للسلطان فلما كان الآن ورأى بعد السلطان عنه عاود العصيان وكان أصحابه يؤثرون الاختلاط فحسنوا له مفارقة طاعة أخيه فأجابهم وسار معهم فملك مرو الروذ وغيرها إلى قلعة تقارب سرخس وهى لمسعود ابن الأمير ياخز وقد حصنها جهده فحصروه بها ولم يبق غير أخذها عنه فاتفق أبو الفتوح الطوسى صاحب نظام الملك وهو بنيسابور وعميد خراسان وهو أبو على على أن يكتب أبو الفتوح ملطفا إلى مسعود بن ياخز وكان خط أبى الفتوح أشبه شئ بخط نظام الملك يقول فيه كتبت هذه الرقعة من الرى يوم كذا ونحن سائرون من الغد نحوك فاحفظ القلعة ونحن نكبس العدو فى ليلة كذا واستدعيا فيجا يثقون به وأعطياه دنانير صالحة وقالا سر نحو مسعود فإذا وصلت إلى المكان الفلانى فأقم به ونم وأخف هذا الملطف فى بعض حيطانه فستأخذك طلائع تكش فلا تعترف لهم حتى يضربوك فإذا فعلوا ذلك وبالغوا فأخرجه لهم وقل إنك فارقت السلطان بالرى ولك منا الحباء والكرامة ففعل ذلك وجرى الأمر على ما وصفا وأحضر بين يدى تكش وضرب وعرض على القتل فأظهر الملطف وسلمه إليهم وأخبرهم أنه فارق السلطان ونظام الملك بالرى فى العساكر وهو سائر فلما وقفوا على الملطف وسمعوا كلام الرجل ساروا من وقتهم وتركوا خيامهم وردوابهم والقدور على النار فلم يصبروا على مافيها وعادوا إلى قلعة ونج وكان هذا من الفرج العجيب فنزل مسعود وأخذ ما فى المعسكر وورد السلطان إلى خراسان بعد ثلاثة أشهر ولولا هذا الفعل لذهب تكش إلى باب الرى ولما وصل السلطان قصد تكش وأخذه وكان قد حلف له بالإيمان أنه لا يؤذيه ولا يناله منه مكروه فأفتاه بعض من حضر بأن يجعل الأمر إلى ولده أحمد ففعل ذلك فأمر أحمد بكحله فكحل وسجن .

﴿ ذكر فتح سليمان بن قتلمش أنطاكية ﴾ فى هذه السنة سار سليمان بن قتلمش صاحب قونية واقصرا وأعمالها من بلاد الروم إلى الشام فملك مدينة انطاكية من أرض الشام وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وسبب ملك سليمان المدينة أن صاحبها الفردوس الرومى كان قد سار عنها إلى بلاد الروم ورتب بها شحنة وكان الفردوس مسيئا إلى أهلها والى جنده أيضا حتى إنه حبس ابنه فاتفق ابنه والشحنة على تسليم البلد إلى سليمان بن قتلمش وكاتبوه يستدعونه فركب البحر فى ثلاثمائة فارس وكثير من الرجالة وخرج منه وسار فى جبال وعرة ومضايق شديدة حتى وصل إليها الموعد فنصب السلاليم باتفاق من الشحنة ومن معه وصعد السور واجتمع بالشحنة وأخذ البلد فى شعبان فقاتله أهل البلد فهزمهم مرة بعد أخرى وقتل كثير من أهلها ثم عفا عنهم وتسلم القلعة المعروفة بالقسيان وأخذ من الأموال مايجاوز الإحصاء وأحسن إلى الرعية وعدل فيهم وأمرهم بعمارة ماخرب ومنع أصحابه من النزول فى دورهم ومخالطتهم ولما ملك سليمان أنطاكية أرسل إلى السلطان ملكشاه يبشره بذلك وينسب هذا الفتح اليه لأنه من أدله وممن يتولى طاعته فأظهر ملكشاه البشارة به وهنأه الناس ، فممن قال فيه الأبيوردى من قصيدة مطلعها :

لمعت كناصية الحصان الأشقر ٭ نار بمعتلج الكثيب الأعفر
وفتحت أنطاكية الروم التى ٭ نشرت معاقلها على الإسكندر
وطئت منا كبها جيادك فانثنت ٭ تلقى أجنتها بنات الأصفر

وهى طويلة .

Marfat.com

﴿ذكر قتل شرف الدولة وملك أخيه إبراهيم﴾ قد تقدم ذكر ملك سليمان بن قتلمش مدينة أنطاكية فلما ملكها أرسل اليه شرف الدولة مسلم بن قريش يطلب منه ما كان يحمله اليه الفردوس من المال ويخوفه معصية السلطان فأجابه أما طاعة السلطان فهى شعارى ودثارى والخطبة له والسكة فى بلادى وقد كاتبته بما فتح الله على يدى بسعادته من هذا البلد وأعمال الكفار وأما المال الذى كان يحمله صاحب أنطاكية قبلى فهو كان كافرا وكان يحمل جزية رأسه وأصحابه وأنا بحمد الله مؤمن ولا أحمل شيئا فنهب شرف الدولة بلد أنطاكية فنهب سليمان أيضا بلد حلب فلقيه أهل السواد يشكون اليه نهب عسكره فقال أنا كنت أشد كراهية لما يجرى ولكن صاحبكم أحوجنى إلى مافعلت ولم تجر عادتى بنهب مال مسلم ولا أخذ ما حرّمته الشريعة وأمر أصحابه بإعادة ما أخذوه منهم فأعاده ثم إن شرف الدولة جمع الجموع من العرب والتركمان وكان ممن معه جبق أمير التركمان فى أصحابه وسار إلى أنطاكية ليحصرها فلما سمع سليمان الخبر جمع عساكره وسار اليه فالتقيا فى الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فى طرف من أعمال أنطاكية واقتتلوا فمال تركمان جبق إلى سليمان فانهزمت العرب وتبعهم شرف الدولة مهزما فقتل بعد أن صبر وقتل بين يديه أربعمائة غلام من أحداث حلب وكان قتله يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وذكرته ههنا لتتبع الحادثة بعضها بعضا وكان أحول وكان قد ملك من السندية التى على نهر عيسى إلى منبج من الشام وما والاها من البلاد وكان فى يده ديار ربيعة ومضر من أرض الجزيرة والموصل وحلب وما كان لأبيه وعمه قواش وكان عادلا حسن السيرة والأمن فى بلاده عامّ والرخص شامل وكان يسوس بلاده سياسة عظيمة بحيث يسير الراكب والراكبان فلا يخافان شيئا وكان له فى كل بلد وقرية عامل وقاض وصاحب خبر بحيث لا يتعدى أحد على أحد ولما قتل قصد بنو عقيل أخاه إبراهيم بن قريش وهو محبوس فأخرجوه وملكوه أمرهم وكان قد مكث فى الحبس سنين كثيرة بحيث إنه لم يمكنه المشى والحركة لما أخرج ولما قتل شرف الدولة سار سليمان بن قتلمش إلى حلب فحصرها مستهل ربيع الأوّل سنة ثمان وسبعين فأقام عليها إلى خامس ربيع الآخر من السنة فلم يبلغ منها غرضا فرحل عنها .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى صفر انقض كوكب من المشرق إلى المغرب كان حجمه كالقمر وضوؤه كضوئه وسار مدى بعيدا على مهل وتؤدة فى نحو ساعة ولم يكن له شبيه من الكواكب . وفيها ولد لسلطان سنجر بن ملكشاه فى الخامس والعشرين من رجب بمدينة سنجار من أرض الجزيرة بقارب الموصل بينهما يومان عند نزول السلطان بها وسماه أحمد وإنما قيل له سنجر باسم المدينة التى ولد فيها وأمه أم ولد وفى هذه السنة فى جمادى الأولى توفى الشيخ أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعى صاحب الشامل والكامل وكفاية المسائل وغيرها من التصانيف بعد أن أضر عدة سنين وكان مولده سنة أربعمائة والقاضى أبو عبد الله الحسين بن على البغدادى المعروف بابن البقال وهو من شيوخ أصحاب الشافعى وكان إليه القضاء بباب الأزج وحج لما انقطع الحج على سبيل النجريد واسمعيل بن مسعدة بن إسمعيل بن أحمد بن إبراهيم أبو القاسم الإسماعيلى الجرجانى ومولده سنة أربع وأربعمائة وكان إماما فقيها شافعيا محدثا أديبا وداره مجمع العلماء . (١)

(١) وفيها توفى احمد بن محمد بن دوبست أبو سعد النيسابورى شيخ الصوفية . له رباط بمدينة نيسابور يدخل من

Marfat.com

Marfat.com

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة ﴾ فى هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة طليطلة من بلاد الأندلس وأخذوها من المسلمين وهى من اكبر البلاد وأحصنها وسبب ذلك أن الأذفونش ملك الفرنج بالأندلس كان قد قوى شأنه وعظم ملكه وكثرت عساكره منذ تفرقت بلاد الأندلس وصار كل بلد بيد ملك فصاروا مثل ملوك الطوائف فحينئذ طمع الفرنج فيهم وأخذوا كثيرا من ثغورهم وكان قد خدم قبل ذلك صاحبها القادر بالله ابن المأمون بن يحيى بن ذى النون وعرف من أين يؤتى البلد وكيف الطريق إلى ملكه فلما كان الآن جمع الأذفونش عساكره وسار إلى مدينة طليطلة فحصرها سبع سنين وأخذها من القادر فازداد قوة إلى قوته وكان المعتمد على الله أبو عبدالله محمد بن عباد أعظم ملوك الأندلس من المسلمين وكان يملك أكثر البلاد مثل قرطبة وإشبيليه وكان يؤدى إلى الأذفونش ضريبة كل سنة فلما ملك الأذفونش طليطلة أرسل إليه المعتمد الضريبة على عادته فردها عليه ولم يقبلها منه فأرسل إليه يتهدده ويتوعده أنه يسير إلى مدينة قرطبة ويتملكها إلا أن يسلم إليه جميع الحصون التى فى الجبل ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول فى جمع كثير كانوا خمسمائة فارس فأنزله محمد بن عباد وفرق أصحابه على قواد عسكره ثم أمر كل من عنده منهم رجل أن يقتله وأحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا إلى الأذفونش فأخبروه الخبر وكان متوجها إلى قرطبة ليحاصرها فلما بلغه الخبر عاد إلى طليطلة ليجمع آلات الحصار ورحل المعتمد إلى إشبيلية.

﴿ ذكر استيلاء ابن جهير على آمد ﴾ فى المحرم من هذه السنة ملك ابن جهير مدينة آمد وسبب ذلك أن فخر الدولة ابن جهير كان قد أنفذ إليها ولده زعيم الرؤساء أبا القاسم ومعه جناح الدولة المعروف بالمقدم السالار وأرادوا قلع كرومها وبساتينها ولم يطمع مع ذلك فى فتحها لحصانتها فعم أهلها الجوع وتعذرت الأقوات وكادوا يهلكون وهم صابرون على الحصار غير مكترثين به فاتفق أن بعض الجند نزل من السور لحاجة لهم وتركوا أسلحتهم مكانها فصعد إلى ذلك المكان عدد من العامة تقدمهم رجل من السواد يعرف بأبى الحسن فلبس السلاح ووقف على ذلك المكان ونادى بشعار السلطان وفعل من معه كفعله وطلبوا زعيم الرؤساء فأتاهم وملك البلد واتفق أهل المدينة على نهب بيوت النصارى لما كانوا يلقون من نواب بنى مروان من الجور والحكم وكان أكثرهم نصارى فانتقموا منهم.

﴿ ذكر ملكه أيضا ميافارقين ﴾ فى هذه السنة أيضا فى سادس جمادى الآخرة ملك فخر الدولة ميافارقين وكان مقيما على حصارها فوصل إليه سعد الدولة كوهرائين فى عسكره نجدة له فجد فى القتال فسقط من سورها قطعة فلما رأى أهلها ذلك نادوا بشعار ملكشاه وسلموا البلد إلى فخر الدولة وأخذ جميع ما استولى عليه من أموال بنى مروان وأنفذه إلى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء فانحدر وهو وكوهرائين إلى بغداد وسار زعيم الرؤساء منها إلى أصبهان فوصلها فى شوال وأوصل مامعه إلى السلطان.

= نابه الجمل براكبه. وحج مرات على التجريد على البحرين حين انقطعت طريق مكة. وكان يأخذ جماعة من الفقراء ويتوصل من قبائل العرب حتى تأتى مكة. توفى فى هذه السنة وقد جاوز التسعين رحمه الله وإيانا: وأوصى أن يخلفه ولده إسماعيل فأجلس فى مشيخة الرباط

﴿ذكر ملك جزيرة ابن عمر﴾ فى هذه السنة أرسل فخر الدولة جيشا إلى جزيرة ابن عمر وهى لبنى مروان أيضا فحصروها فثار أهل بيت من أهلها يقال لهم بنو وهبان وهم من أعيان أهلها وقصدوا بابا للبلد صغيراً يقال له باب البوبية لايسلكه إلا الرجالة لأنه يصعد إليه من ظاهر البلد بدرج فكسروه وأدخلوا العسكر فملكه وانقرضت دولة بنى مروان فسبحان من لايزول ملكه وهؤلاء بنو وهبان إلى يومنا هذا كلما جاء إلى الجزيرة من يحصرها يخرجون من البلد ولم يبق منهم من له شوكة ولا منزلة يفعل بها شيئا وإنما بتلك الحركة يؤخذون إلى الآن .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى ربيع الأول وصل أمير الجيوش فى عساكر مصر إلى الشام فحصر دمشق وبها صاحبها تاج الدولة تتش فضيق عليه وقاتله فلم يظفر منها بشىء فرحل عنها عائداً إلى مصر . وفيها كانت الفتنة بين أهل الكرخ وسائر المحال من بغداد وأحرقوا من نهر الدجاج درب الآجر وماقاربه وأرسل الوزير أبو شجاع جماعة من الجند ونهاهم عن سفك الدماء تحرجا من الإثم فلم يمكنهم تلافى الخطب فعظم، وفيها كانت زلزلة شديدة بخوزستان وفارس وكان أشدها بأرّجان فسقطت الدور وهلك تحتها خلق كثير . وفيها فى ربيع الأول هاجت ريح عظيمة سوداء بعد العشاء وكثر الرعد والبرق وسقط على الأرض رمل أحمر وتراب كثير وكانت النيران تضطرم فى أطراف السماء وكان أكثرها بالعراق وبلاد الموصل فألقت النخيل والأشجار وسقط معها صواعق فى كثير من البلاد حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت ثم انجلى ذلك نصف الليل . وفيها فى ربيع الآخر توفى إمام الحرمين أبو المعالى عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجوينى ومولده سنة سبع عشرة وأربعمائة وهو الإمام المشهور فى الفقه والأصولين وغيرهما من العلوم ، وسمع الحديث من أبى محمد الجوهرى وغيره . وفيها فى ذى الحجة توفى محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد أبو على المتكلم كان أحد رؤساء المعتزلة وأئمتهم ولزم بيته خمسين سنة لم يقدر على أن يخرج منه من عامة بغداد وأخذ الكلام عن أبى الحسين البصرى وعبدالجبار الهمذانى القاضى ومن جملة تلاميذه ابن برهان وهو أكبر منه . وفى هذه السنة توفى القاضى أبو الحسن هبة الله بن محمد بن السيبى قاضى الحريم بنهر معلى ومولده سنة أربع وتسعين وثلاثمائة وكان يذاكر الإمام المقتدى بأمر الله وولى ابنه أبو الفرج عبدالوهاب بين يدى قاضى القضاة ابن الدامغانى . وفيها فى جمادى الأولى توفى أبو العز بن صدقه وزير شرف الدولة ببغداد ، وكان قد قبض عليه شرف الدولة وسجنه بالرحبة فهرب منها إلى بغداد فمات بعد وصوله إلى مأمنه بأربعة أشهر وكان كريما متواضعاً لم تغيره الولاية عن إخوانه وفيها فى رجب توفى قاضى القضاة أبو عبدالله بن الدامغانى ومولده سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ودخل بغداد سنة تسع عشرة وأربعمائة وكان قد صحب القاضى أبا العلا بن صاعد وحضر ببغداد مجلس أبى الحسين القدورى وولى قضاء القضاة بعده القاضى أبو بكر بن المظفر بن بكران الشامى وهو من أكبر أصحاب القاضى أبى الطيب الطبرى . وفيها توفى عبدالرحمن بن مأمون بن على أبو سعد المتولى مدرس النظامية وهو من أصحاب القاضى حسين المروزى وتم كتاب الإبانة (١)

---

(١) وفيها كثرت الأمراض بالحمى والطاعون بالعراق والحجاز والشام ، وأعقب ذلك موت الفجأة ثم مات الوحوش فى البرارى ثم تلاها موت البهائم حتى عزت الألبان واللحمان ومع هذا كله وقعت فتنة عظيمة بين الرافضة والسنية فقتل خلق كثير فيها .

Marfat.com

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر قتل سليمان بن قتلمش﴾ لما قتل سليمان بن قتلمش شرف الدولة مسلم بن قريش على ماذكرناه أرسل إلى ابن الحتيتى العباسى مقدم أهل حلب يطلب منه تسليمها اليه فأنفذ اليه واستدهله إلى أن يكاتب السلطان ملكشاه وأرسل ابن الحتيتى إلى تتش صاحب دمشق بعده أن يسلم اليه حلب فسار تتش طالبا لحلب، فعلم سليمان بذلك فسار نحوه مجدا فوصل إلى تتش وقت السحر على غير تعبية فلم يعلم به حتى قرب منه فعبا أصحابه وكان الأمير أرتق بن أكسب مع تتش وكان منصورا لم يشهد حربا إلا وكان الظفر له وقد ذكرنا فيما تقدم حضوره مع ابن جهير على آمد وإطلاقه شرف الدولة من آمد فلما فعل ذلك خاف أن ينهى ابن جهير ذلك إلى السلطان ففارق خدمته ولحق بتاج الدولة تتش فأقطعه البيت المقدس وحضر معه هذه الحرب فأبلى فيها بلاء حسنا وحرض العرب على القتال فانهزم أصحاب سليمان وثبت وهو فى القلب فلما رأى انهزام عساكره أخرج سكينا معه فقتل نفسه وقيل بل قتل فى المعركة واستولى تتش على عسكره وكان سليمان بن قتلمش فى السنة الماضية فى صفر قد أنفذ جثة شرف الدولة إلى حلب على بغل ملفوفة فى إزار وطلب من أهلها أن يسلموها اليه . وفى هذه السنة فى صفر أرسل تتش جثة سليمان فى إزار ليسلموها اليه فأجابه ابن الحتيتى أنه يكاتب السلطان ومهما أمره فعل فحصر تتش البلد وأقام عليه وضيق على أهله وكان ابن الحتيتى قد سلم كل برج من أبراجها إلى رجل من أعيان البلد ليحفظه وسلم برجا فيها إلى إنسان يعرف بابن الرعوى ثم إن ابن الحتيتى أوحشه بكلام أغلظ له فيه وكان هذا الرجل شديد القوة ورأى ما الناس فيه من الشدة فدعاه ذلك إلى أن أرسل إلى تتش يستدعيه وواعده ليلة برفع الرجال إلى السور فى الحبال فأتى تتش الميعاد الذى ذكره فأصعد الرجال فى الحبال والسلاليم وملك تتش المدينة واستجار ابن الحتيتى بالأمير أرتق فشفع فيه وأما القلعة فكان بها سالم بن مالك ابن بدران وهو ابن عم شرف الدولة مسلم بن قريش فأقام تتش يحصر القلعة سبعة عشر يوما فبلغه الخبر بوصول مقدمة أخيه السلطان ملكشاه فرحل عنها .

﴿ ذكر ملك السلطان حلب وغيرها ﴾ كان ابن الحتيتى قد كاتب السلطان ملكشاه يستدعيه ليسلم إليه حلب لما خاف تاج الدولة تتش فسار إليه من أصبهان فى جمادى الآخرة وجعل على مقدمته الأمير برسق وبوزان وغيرهما من الأمراء وجعل طريقه على الموصل فوصلها فى رجب وسار منها فلما وصل إلى حران سلمها إليه ابن الشاطر فأقطعها السلطان محمد بن شرف الدولة وسار إلى الرها وهى بيد الروم فحصرها وملكها وكانوا قد اشتروها من ابن عطير وتقدم ذكر ذلك وسار إلى قلعة جعبر فحصرها يوما وليلة وملكها وقتل من بها من بنى قشير وأخذ جعبر من صاحبها وهو شيخ أعمى وولدين له وكانت الأذية بهم عظيمة يقطعون الطرق ويلجئون إليها ثم عبر الفرات إلى مدينة حلب فملك فى طريقه مدينة منبج فلما قارب حلب رحل عنها أخوه تتش وكان قد ملك المدينة كما ذكرناه وسار عنها يسلك البرية ومعه الأمير أرتق فأشار بكبس عسكر السلطان وقال إنهم قد وصلوا وبهم وبدوابهم من التعب ماليس عندهم معه امتناع ولو فعل لظفر بهم فقال تتش لا أكسر جاه أخى الذى أنا مستظل بظله فإنه يعود بالوهن على أولا وسار إلى دمشق ولما وصل السلطان إلى حلب تسلم المدينة وسلم إليه سالم بن مالك القلعة على أن يعوضه عنها قلعة جعبر وكان سالم قد امتنع بها أولا فأمر السلطان

Marfat.com

أن يرمىَ إليه رشقا واحدا بالسهام فرمى الجيش فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام فصانع عنها بقلعة جعبر وسلمها وسلم السلطان إليه قلعة جعبر فبقيت بيده وبيد أولاده إلى أن أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكى على ماذكره إن شاء الله تعالى وأرسل إليه الأمير نصر بن على بن منقذ الكنانى صاحب شيزر فدخل فى طاعته وسلم إليه لاذقية وكفر طاب وفامية فأجابه إلى المسالمة وترك قصده وأقر عليه شيزر ولما ملك السلطان حلب سلمها إلى قسيم الدولة آقسنقر فعمرها وأحسن السيرة فيها وأما ابن الحتيتى فإنه كان واثقا بإحسان السلطان ونظام الملك إليه فإنه استدعاهما فلما ملك السلطان البلد طلب أهله أن يعفيهم من ابن الحتيتى فأجابهم إلى ذلك واستصحبه معه وأرسله إلى ديار بكر فافتقر . وتوفى بها على حال شديدة من الفقر وقتل ولده بأنطاكية ، قتله الفرنج لما ملكوها .

﴿ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة﴾ فى هذه السنة فى ربيع الأول توفى بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دبيس بن على بن مزيد الأسدى صاحب الحلة والنيل وغيرهما مما يجاورهما ، ولما سمع نظام الملك خبر وفاته قال مات أجل صاحب عمامة وكان فاضلا قرأ على على بن برهان فبرع بذكائه فى الذى استفاد منه وله شعر حسن فمنه :

فإن أنا لم أحمل عظيما ولم أقد * لها ماولم أصبر على فعل معظم
ولم أجر الجانى وأمنع حوزه * غداة أنادى للفخار وانتمى

وله فى صاحب له يكنى أبا مالك يرثيه :

فإن كان أودى خدننا ونديما * أبو مالك فالنائبات تنوب
فكل ابن أنثى لامحالة ميت * وفى كل حى للمنون نصيب
ولو رد حزن أو بكاء لمالك * بكيناه ماهبت صبا وجنوب

ولما توفى أرسل الخليفة إلى ولده سيف الدولة صدقة نقيب العلويين أبا الغنائم يعزيه وسار سيف الدولة إلى السلطان ملكشاه فخلع عليه وولاه ما كان لأبيه وأكثر الشعراء مراثى بهاء الدولة .

﴿ذكر وقعة الزلاقة بالأندلس وهزيمة الفرنج﴾ قد تقدم ذكر ملك الفرنج طليطلة ومافعله المعتمد بن عباد برسول الأذفونش ملك الفرنج وعود المعتمد إلى إشبيلية فلما عاد اليها وسمع مشايخ قرطبة بما جرى ورأوا قوة الفرنج وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض اجتمعوا وقالوا هذه بلاد الأندلس قد غلب عليها الفرنج ولم يبق منها إلا القليل وإن استمرت الأحوال على ماترى وعادت نصرانية كما كانت وساروا إلى القاضى عبدالله بن محمد بن أدهم فقالوا له ألا تنظر إلى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة وإعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال ماهو قالوا نكتب إلى عرب إفريقية ونبذل لهم إذا وصلوا إلينا قاسمناهم أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين فى سبيل الله قال نخاف إذا وصلوا إلينا يخربون بلادنا كما فعلوا بإفريقية ويتركون الفرنج ويبدءون بكم والمرابطون أصلح منهم وأقرب إلينا قالوا له فكاتب أمير المسلمين وارغب إليه ليعبر إلينا ويرسل بعض قواده وقدم عليهم المعتمد بن عباد وهم فى ذلك فعرض عليه القاضى ابن أدهم ما كانوا فيه فقال له ابن عباد أنت رسولى إليه فى ذلك فامتنع وإنما أراد أن يبرىء نفسه من تهمة فألح عليه المعتمد فسار إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فأبلغه الرسالة وأعلمه ما فيه

المسلمون من الخوف من الأذفونش وكان أمير المسلمين بمدينة سبتة فى الحال أمر بعبور العساكر إلى الأندلس وأرسل إلى مراكش فى طلب من بقى من عساكره فأقبلت إليه تتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد بن عباد بإشبيلية وكان قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوّعة من سائر بلاد الأندلس ووصلت الأخبار إلى الأذفونش فجمع فرسانه وسار من طليطلة وكتب إلى أمير المسلمين كتابا كتبه له بعض أدباء المسلمين يغلظ له القول ويصف ما عنده من القوة والعدد وبالغ الكاتب فى الكتاب فأمر أمير المسلمين أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب فأجاد فلما قرأه على أمير المسلمين قال هذا كتاب طويل احضر كتاب الأذفونش واكتب فى ظهره الذى يكون ستراه فلما عاد الكتاب إلى الأذفونش ارتاع لذلك وعلم أنه بلى برجل له عزم وحزم فازداد استعدادا فرأى فى منامه كأنه راكب فيل وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقص رؤياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويلها فأحضر رجلا مسلما عالما بتعبير الرؤيا فقصها عليه فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه فقال تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز وهو قوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) السورة وقوله تعالى (فإذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) ويقتضى هلاك هذا الجيش الذى تجمعه فلما اجتمع جيشه رأى كثرته فأعجبته فأحضر ذلك المعبر وقال له بهذا الجيش ألقى إله محمد صاحب كتابكم فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الملك هالك وكل من معه وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث مهلكات) الحديث وفيه (وإعجاب المرء بنفسه) وسار أمير المسلمين والمعتمد بن عباد حتى أتوا أرضا يقال لها الزلاقة من بلد بطليوس وأتى الأذفونش فنزل موضعا بينه وبينهم ثمانية عشر ميلا فقيل لأمير المسلمين إن ابن عباد ربما لم ينصح ولا يبذل نفسه دونك فأرسل اليه أمير المسلمين يأمره أن يكون فى المقدمة ففعل ذلك وسار وقد ضرب الأذفونش خيامه فى لحف جبل والمعتمد فى سفح جبل يتراءون وينزل أمير المسلمين وراء الجبل الذى عنده المعتمد وظن الأذفونش أن عساكر المسلمين ليس إلا الذى يراه وكان الفرنج فى خمسين ألفا فتيقنوا الغلب وأرسل الأذفونش إلى المعتمد فى ميقات القتال وقصده الملك فقال غدا الجمعة وبعده الأحد فيكون اللقاء يوم الإثنين فقد وصلنا على حال تعب واستقر الأمر على هذا وركب ليلة الجمعة سحرا وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة غدرا وظنا منه أن ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون فأشرفوا على الهزيمة وكان المعتمد قد أرسل إلى أمير المسلمين يعلمه بمجىء الفرنج للحرب فقال احملونى إلى خيام الفرنج فسار اليها فبينما هم فى القتال وصل أمير المسلمين إلى خيام الفرنج فنهبها وقتل من فيها فلما رأى الفرنج ذلك لم يتمالكوا أن انهزموا وأخذهم السيف وتبعهم المعتمد من خلفهم ولقيهم أمير المسلمين من بين يديهم ووضع فيهم السيف فلم يفلت منهم أحد ونجا الأذفونش فى نفر يسير وجعل المسلمون من رؤس القتلى كوما كثيرة فكانوا يؤذنون عليها إلى أن جيفت فأحرقوها وكانت الوقعة يوم الجمعة فى العشر الأوّل من شهر رمضان سنة تسع وسبعين وأصاب المعتمد جراحات فى وجهه وظهرت ذلك اليوم شجاعته ولم يرجع من الفرنج إلى بلادهم غير ثلثمائة فارس وغنم المسلمون كل مالهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وعاد ابن عباد إلى إشبيلية ورجع أمير المسلمين إلى الجزيرة الخضراء وعبر إلى سبتة وسار إلى مراكش فأقام بها إلى العام المقبل وعاد إلى الأندلس وحضر

Marfat.com

Marfat.com

معه المعتمد بن عباد فى عسكره وعبدالله بن بلكين الصنهاجى صاحب غرناطة فى عسكره وساروا حتى نزلوا على ليط وهو حصن منيع بيد الفرنج فحصروه حصراً شديداً فلم يقدروا على فتحه فرحلوا عنه بعد مدة ولم يخرج إليهم أحد من الفرنج لما أصابهم فى العام الماضى فعاد ابن عباد إلى إشبيلية وعاد أمير المسلمين على غرناطة وهى طريقه ومعه عبدالله بن بلكين فغدر به أمير المسلمين وأخذ غرناطة منه وأخرجه منها فرأى فى قصوره من الأموال والذخائر مالم يحوه ملك قبله بالأندلس ومن جملة ماوجده سبحة فيها أربعمائة جوهرة قومت كل جوهرة بمائة دينار ومن الجواهر ماله قيمة جليلة إلى غير ذلك من الثياب والعدد وغيرها وأخذ معه عبد الله وأخاه تميما ابنى بلكين إلى مراكش فكانت غرناطة أول ماملكه من بلاد الأندلس وقد ذكرنا فيما تقدم سبب دخول صنهاجة إلى الأندلس وعود من عاد منهم إلى المعز بإفريقية وكان آخر من بقى منهم بالأندلس هذا عبدالله وأخذت مدينته ورحل إلى العدوة ولما رجع أمير المسلمين إلى مراكش أطاعه من كان لم يطعه من بلاد السوس وورغة وقلعة مهدى وقال له علماء الأندلس أنه ليست طاعته بواجبة حتى يخطب للخليفة ويأتيه تقليد منه بالبلاد فأرسل إلى الخليفة المقتدى بأمر الله ببغداد فأتاه الخلع والأعلام والتقليد ولقب بأمير المسلمين وناصر الدين .

﴿ذكر دخول السلطان إلى بغداد﴾ فى هذه السنة دخل السلطان ملكشاه بغداد فى ذى الحجة بعد أن فتح حلب وغيرها من بلاد الشام والجزيرة وهى أول قدمة قدمها ونزل بدار المملكة وركب من الغد إلى الحلبة ولعب بالجوكان والكرة وأرسل إلى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها الخليفة ومن الغد أرسل نظام الملك إلى الخليفة خدمة كثيرة فقبلها وزار السلطان ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر وقبر معروف وأحمد بن حنبل وأبى حنيفة وغيرها من القبور المعروفة فقال ابن زكرويه الواسطى يهنى نظام الملك بقصيدة منها :

زرت المشـــاهد زورة مشهودة * أرضت مضاجع من بهـا مدفون
فكأنك الغيث استهل بتربهـا * وكأنهـا بك روضـــة ومعين
فازت قداحك بالثواب وأنجحت * ولك الإله على النجـــاح ضمين

وهى مشهورة وطلب نظام الملك إلى دار الخلافة ليلا فمضى فى الزبزب وعاد من ليلته ومضى السلطان ونظام الملك إلى الصيد فى البرية فزارا المشهدين مشهد أمير المؤمنين علىّ ومشهد الحسين عليهما السلام ودخل السلطان البر فاصطاد شيئا كثيراً من الغزلان وغيرها وأمر ببناء منارة القرون بالسبيعى وعاد السلطان إلى بغداد ودخل إلى الخليفة فخلع عليه الخلع السلطانية ولما خرج من عنده لم يزل نظام الملك قائما يقدم أميراً أميراً إلى الخليفة وكلما قدم أميرا يقول هذا العبد فلان بن فلان وأقطاعه كذا وكذا وعدة عسكره كذا وكذا إلى أن أتى على آخر الأمراء وفوض الخليفة إلى السلطان أمر البلاد والعباد وأمره بالعدل فيهم وطلب السلطان أن يقبل يد الخليفة فلم يجبه فسأل أن يقبل خاتمه فأعطاه إياه فقبله ووضعه على عينه وأمره الخليفة بالعود فعاد وخلع الخليفة أيضا على نظام الملك ودخل نظام الملك إلى المدرسة النظامية وجلس فى خزانة الكتب وطالع فيها كتبا وسمع الناس عليه بالمدرسة جزء حديث وأملى جزءا آخر وأقام السلطان ببغداد إلى صفر سنة ثمانين وسار منها إلى أصبهان

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى المحرم جرى بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة فتنة قتل فيها جماعة من جملتهم القاضى أبو الحسن ابن القاضى أبى الحسين بن الغريق الهاشمى الخطيب أصابه سهم فمات منه

Marfat.com

ولما قتل تولى ابنه الشريف أبو تمام ماكان إليه من الخطابة وكان العميد كمال الملك الدهستانى ببغداد فسار بخيله ورجله إلى القنطرة العتيقة وأعان أهل الكرخ ثم جرت بينهم فتنة ثانية فى شوال منها فأعان الحجاج على أهل الكرخ فانهزموا وبلغ الناس إلى درب اللؤلؤ وكاد أهل الكرخ يملكون فخرج أبو الحسن بن برغوث العلوى إلى مقدم الأحداث من السنة فسأله العفو فعاد عنهم ورد الناس . وفيها زاد الماء بدجلة تاسع عشر حزيران وجاء المطر يومين ببغداد . وفيها فى ربيع الأول أرسل العميد كمال الملك إلى الأنبار فتسلمها من بنى عقيل وخرجت من أيديهم . وفيها فى ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر وأذن فيها . وفيها فى جمادى الأولى ورد الشريف أبو القاسم على بن أبى يعلى الحسنى الدبوسى إلى بغداد فى تجمل عظيم لم ير مثله لفقيه ورتب مدرسا بالنظامية بعد أبى سعد المتولى . وفيها أمر السلطان أن يزاد فى إقطاع وكلاء الخليفة نهر برزى من طريق خراسان وعشرة آلاف دينار من معاملة بغداد وفيها أقطع السلطان ملكشاه محمد بن شرف الدولة مسلم مدينة الرحبة وأعمالها وحران وسروج والرقة والخابور وزوجه بأخته زليخا خاتون فتسلم البلاد جميعها ماعدا حران فإن محمدا بن الشاطر امتنع من تسليمها فلما وصل السلطان إلى الشام نزل عنها ابن الشاطر فسلمها السلطان إلى محمد . وفيها وقع ببغداد صاعقتان فكسرت إحداهما اسطوانتين وأحرقت قطنا فى صناديق ولم تحترق الصناديق وقتلت الثانية رجلا وفيها كانت زلازل بالعراق والجزيرة والشام وكثير من البلاد فخربت كثيرا من البلاد وفارق الناس مساكنهم إلى الصحراء فلما سكنت عادوا . وفيها عزل فخر الدولة بن جهير عن ديار بكر وسلمها السلطان إلى العميد أبى على البلخى وجعله عاملا عليها . وفيها أسقط اسم الخليفة المصرى من الحرمين الشريفين وذكر اسم الخليفة المقتدى بأمر الله . وفيها أسقط السلطان المكوس والاجتيازات بالعراق وفيها حصر تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية مدينتى قابس وسفاقس فى وقت واحد وفرّق عليها العساكر . وفيها فى ربيع الأول توفى أبو الحسن بن فضال المجاشعى النحوى المقرى وفى ربيع الآخر توفى شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفى النيسابورى وهو الذى تولى بناء الرباط بنهر المعلى وبنى وقوفه وهو رباط شيخ الشيوخ الآن وبنى وقوف المدرسة النظامية وكان عالى الهمة كثير التعصب لمن يلتجىء اليه وجدد تربة معروف الكرخى بعد أن احترقت وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان وكان يقال نحمد الله الذى أخرج رأس أبى سعد من مرقعة ولو أخرجه من قباء لهلكنا . وفيها توفى أبو على محمد بن أحمد الشيرى البصرى وكان خيرا حافظا للقرآن ذا مال كثير وهو آخر من روى سنن أبى داود السجستانى عن أبى عمر الهاشمى . وفيها توفى الشريف أبو نصر الزينبى العباسى نقيب الهاشميين وهو محدث مشهور عالى الإسناد . (١)

---

(١) وفيها حج بالناس الأمير خمارتكين الحسنانى ، وقطعت خطبة المصريين من مكة والمدينة ، وقلعت الصفائح التى على باب الكعبة التى عليها ذكر الخليفة المصرى ، وجدد غيرها عليها ، وكتب عليها اسم المقتدى . قال ابن الجوزى : وظهر رجل بين السندية وواسط يقطع الطريق وهو مقطوع اليد اليسرى ، يفتح القفل فى أسرع مدة ، ويغوص دجلة فى غوصتين ، ويقفز القفزة خمسة وعشرين ذراعا ، ويتسلق الحيطان الملس ، ولا يقدر عليه أحد ، وخرج من العراق سالما . قال : وفيها توفى فقير فى جامع المنصور فوجد فى مرقعته ستمائة دينار مغربية ، أى صحاحا كبارا ، من أحسن الذهب . قال وفيها عمل سيف الدولة صدقة سماطا للسلطان جلال الدولة أبى الفتح ملكشاه ، اشتمل على ألف رأس من الغنم ، ومائة جمل وغيرها ، ودخله عشرون ألف من من السكر ، وجعل عليه =

﴿ ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر زفاف ابنة السلطان إلى الخليفة﴾ فى المحرم نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومى وكان أكثر الأحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى أربعة وسبعين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكى وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة لا يقدر مافيها من الجواهر والحلى وبين يدى البغال ثلاثة وثلاثون فرسا من الخيل الرائقة عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجوهر ومهد عظيم كثير الذهب وسار بين يدى الجهاز سعد الدولة كوهرائين والأمير برسق وغيرهما ونثر أهل نهر معلى عليهم الدنانير والثياب وكان السلطان قد خرج عن بغداد متصيداً ثم أرسل الخليفة الوزير أباشجاع إلى تركان خاتون زوجة السلطان وبين يديه نحو ثلثمائة موكبية ومثلها مشاعل ولم يبق فى الحريم دكان إلا وقد أشعل فيها الشمعة والاثنتان وأكثر من ذلك وأرسل الخليفة مع ظفر خادمه تحفة لم ير مثلها حسنا وقال الوزير لتركان خاتون سيدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وقد أذن فى نقل الوديعة إلى داره فأجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فمن دونه من أعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير وجاء نساء الأمراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة فى جماعتها وتجملها وبين أيديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان، ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع فى محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر أكثر شىء وقد أحاط بالمحفة مائتا جارية من الأتراك بالمراكب العجيبة وسارت إلى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة لم تر ببغداد مثلها فلما كان الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لسماط أمر بعمله حكى أن فيه أربعين ألف منا من السكر وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر فى العسكر وأرسل الخلع إلى الخاتون زوجة السلطان والى جميع الخواتين وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك.

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة ولد للسلطان ابن من تركان خاتون وسماه محمداً وهو الذى خطب له بالمملكة بعد. وفيها سلم السلطان ملكشاه مدينة حلب والقلعة إلى مملوكه آقسنقر فوليها وأظهر فيها العدل وحسن السيرة وكان زوج دادة السلطان ملكشاه وهى التى تحضنه وتربيه وماتت بحلب سنة أربع وثمانين. وفيها استبق ساعيان أحدهما للسلطان فضلى والآخر للأمير قماج مرعوشى فسبق ساعى السلطان. وقد تقدم ذكر الفضلى والمرعوشى أيام معز الدولة بن بويه. وفيها جعل السلطان ولى عهده ولده أبا شجاع أحمد ولقبه ملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة أمير المؤمنين وأرسل إلى الخليفة بعد مسيره من بغداد ليخطب له ببغداد

= من أصناف الطيور والوحوش، ثم أردفه من السكر شىء كثير، فتناول السلطان بيده منه شيئا يسيرا، ثم أشار فانتهب عن آخره، ثم انتقل من ذلك المكان إلى سرادق عظيم لم ير مثله من الحرير، وفيه خمسمائة قطعة من الفضة وألوان من تماثيل الند والمسك والعنبر وغير ذلك، فمد فيه سماطا خاصا فأكل السلطان حينئذ، وحمل إليه عشرين ألف دينار، وقدم إليه ذلك السرادق بما فيه بكماله، وانصرف والله أعلم. وفيها توفى الأمير جعبر بن سابق النميرى الملقب بسابق الدين، كان قد تملك قلعة جعبر مدة طويلة فنسبت إليه، وإنما كان يقال لها قبل ذلك الدوشرية، نسبة إلى غلام النعمان بن المنذر، ثم إن هذا الأمير كبر وعمى، وكان له ولدان يقطعان الطريق، فاجتاز به السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى وهو ذاهب إلى حلب فأخذ القلعة وقتله.

Marfat.com

Marfat.com

بذلك فخطب له فى شعبان ونثر الذهب على الخطباء . وفيها فى شعبان انحدر سعد الدولة كوهرائين إلى واسط لمحاربة مهذب الدولة بن أبى الجبر صاحب البطايح ولما فارق بغداد كثرت فيها الفتن . وفيها فى ذى القعدة ولد للخليفة من ابنة السلطان ولد سماه جعفرا وكناه أبا الفضل وزين البلد لأجل ذلك . وفيها استولى العميد كمال الملك أبو الفتح الدهستانى عميد العراق على مدينة هيت أخذها صلحا ومضى إليها وعاد عنها فى ذى القعدة . وفيها وقعت فتنة بين أهل الكرخ وغيرها من المحال قتل فيها كثير من الناس . وفيها كسفت الشمس كسوفا كليا . وفيها توفى الأمير أبو منصور قتلغ أمير الحاج وحج أميراً اثنتى عشرة سنة وكانت له فى العرب عدة وقعات وكانوا يخافونه ولما مات قال نظام الملك مات اليوم ألف رجل وولى إمارة الحاج نجم الدولة خمارتكين وفيها فى جمادى الأولى توفى اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن سعد أبو القاسم الساوى سمع الحديث الكثير من أبى سعيد الصيرفى وغيره وروى عنه الناس وكان ثقة وطاهر بن الحسين أبو الوفا البندنيجى الهمذانى كان شاعراً أديبا ، وكان يمدح لالعرض الدنيا ومدح نظام الملك بقصيدتين كل واحدة منهما تزيد على أربعين بيتا إحداهما ليس فيها نقطة والأخرى جميع حروفها منقوطة . وفيها توفيت فاطمة بنت على المؤدب المعروفة ببنت الأقرع الكاتبة كانت من أحسن الناس خطا على طريقة ابن البواب وسمعت الحديث وأسمعته . وفيها فى ذى القعدة توفى غرس النعمة أبو الحسن محمد بن الصابى صاحب التاريخ وظهر له مال كثير وكان له معروف وصدقة[1]

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر الفتنة ببغداد ﴾ فى هذه السنة فى صفر شرع أهل باب البصرة فى بناء القنطرة الجديدة ونقلوا الآجر فى أطباق الذهب والفضة وبين أيديهم الدبادب واجتمع إليهم أهل المحال وكثر عندهم أهل باب الأزج

---

(١) وفيها شرع فى بناء (الناجية) فى باب إبريز وعملت بستان وغرست النخيل والفواكه هنالك وعمل سور بأمر السلطان وفيها توفى محمد بن أمير المؤمنين المقتدى عرض له جدرى فمات فيها وله تسع سنين ، فحزن عليه والده والناس ، وجلسوا للعزاء ، فأرسل إليهم يقول : إن لنا فى رسول الله أسوة حسنة ، حين توفى ابنه إبراهيم ، وقال الله تعالى (والذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) ثم عزم على الناس فانصرفوا .
وفيها توفى محمد بن محمد بن زيد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، أبو الحسن الحسينى الملقب بالمرتضى ذى الشرفين ، ولد سنة خمس وأربعمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وقرأ بنفسه على الشيوخ ، وصحب الحافظ أبا بكر الخطيب ، فصارت له معرفة جيدة بالحديث ، وسمع عليه الخطيب شيئا من مروياته ، ثم انتقل إلى سمرقند وأملى الحديث بأصبهان وغيرها ، وكان يرجع إلى عقل كامل ، وفضل ومروءة ، وكانت له أموال جزيلة وأملاك متسعة ، ونعمة وافرة ، يقال إنه ملك أربعين قرية ، وكان كثير الصدقة والبر والصلة للعلماء والفقراء ، وبلغت زكاة ماله الصامت عشرة آلاف دينار غير العشور ، وكان له بستان ليس لملك مثله ، فطلبه منه ملك ماوراء النهر ، واسمه الخضر بن إبراهيم ، عارية ليتنزه فيه ، فأبى عليه وقال : أغيره إياه ليشرب فيه الخمر بعد ما كان مأوى أهل العلم والحديث والدين ؟ فأعرض عنه السلطان وحقد عليه ، ثم استدعاه إليه ليستشيره فى بعض الأمور على العادة ، فلما حصل عنده قبض عليه وسجنه فى قلعته ، واستحوذ على جميع أملاكه وحواصله وأمواله ، وكان يقول : ما تحققت صحة نسبى إلا فى هذه المصادرة : فإنى ربيت فى النعيم فكنت أقول : إن مثلى لا بد أن يبتلى ، ثم منعوه الطعام والشراب حتى مات رحمه الله .

فى خلق لايحصى واتفق أن كوهرائين سار فى سميرية وأصحابه يسيرون على شاطئ دجلة بسيره فوقف أهل باب الأزج على امرأة كانت تسقى الناس من منزلة لها على دجلة فحملوا عليها على عادة لهم وجعلوا يكسرون الجرار ويقولون الماء للسبيل فلما رأت سعد الدولة كوهرائين استغاثت به فأمر بإبعادهم عنها فضربهم الأتراك بالمقارع فسل العامة سيوفهم وضربوا وجه فرس حاجبه سليمان وهو أخص أصحابه فسقط عن الفرس فحمل كوهرائين الحنق على أن خرج من السميرية إليهم راجلا فحمل أحدهم عليه فطعنه بأسفل رحمه فألقاه فى الماء والطين فحمل أصحابه على العامة فقاتلوهم وحرصوا على الظفر بالذى طعنه فلم يصلوا إليه وأخذ ثمانية نفر فقتل أحدهم وقطع أعضاء ثلاثة نفر وأرسل قباءه إلى الديوان وفيه أثر الطعنة والطين يستنفر على أهل باب الأزج ثم إن أهل الكرخ عقدوا لأنفسهم طاقا آخر على باب طاق الحرانى وفعلوا كفعلى أهل باب البصرة .

﴿ ذكر إخراج الأتراك من حريم الخلافة ﴾ فى هذه السنة فى ربيع الآخر أمر الخليفة بإخراج الأتراك الذين مع الخاتون زوجته ابنة السلطان من حريم دار الخلافة وسبب ذلك أن تركيا منهم اشترى من طواف فاكهة فتماكسا فشتم الطواف التركى فأخذ التركى صنجة من الميزان وضرب بها رأس الطواف فشجه فاجتمعت العامة وكاد يكون بينهم وبين الأتراك شر واستغاثوا وشنعوا فأمر الخليفة بإخراج الأتراك فأخرجوا عن آخرهم فى ساعة واحدة على أقبح صورة وقت العشاء الآخرة .

﴿ ذكر ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها ﴾ فى هذه السنة فتح الروم مدينة زويلة من إفريقية وهى بتمرب المهدية وسبب ذلك أن الأمير تميم بن المعز بن باديس صاحبها أكثر غزو بلادهم فى البحر فخربها وشتت أهلها فاجتمعوا من كل جهة واتفقوا على إنشاء الشوانى لغزو المهدية ودخل معهم البيسانيون والجنويون وهما من الفرنج فأقاموا يعملون الأسطول أربع سنين واجتمعوا بجزيرة قوصرة فى أربعمائة قطعة فكتب أهل قوصرة كتابا على جناح طائر يذكرون وصولهم وعددهم وحكمهم على الجزيرة فأراد تميم أن يسير عثمان بن سعيد المعروف بالمهر مقدم الأسطول الذى له ليمنعهم من النزول فمنعه من ذلك بعض قواده اسمه عبدالله بن منكوت لعداوة بينه وبين المهر فجاءت الروم وأرسوا وطلعوا إلى البر ونهبوا وخربوا وأحرقوا ودخلوا زويلة ونهبوها وكانت عساكر تميم غائبة فى قتال الخارجين عن طاعته ثم صالح تميم الروم على ثلاثين ألف دينار ورد جميع ما حووه من السبى وكان تميم يبذل المال الكثير فى الغرض الحقير فكيف فى الغرض الكبير حكى عنه أنه بذل للعرب لما استولوا على حصن له يسمى قناطة ليس بالعظيم اثنى عشر ألف دينار حتى هدمه فقيل له هذا سرف فى المال فقال هو شرف فى الحال .

﴿ ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور ﴾ فى هذه السنة مات الناصر بن علناس بن حماد وولى بعده ابنه المنصور فاقتفى آثار أبيه فى الحزم والعزم والرياسة ووصله كتب الملوك ورسلهم بالتعزية بأبيه والتهنئة بالملك منهم يوسف بن تاشفين وتميم بن المعز وغيرهما .

﴿ ذكر وفاة إبراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود ﴾ فى هذه السنة توفى الملك المؤيد إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا كريما مجاهداً وقد ذكرنا من فتوحه ما وصل إلينا وكان عاقلا ذا رأى متين فمن آرائه أن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى جمع عساكره وسار يريد غزنة ونزل باسفرار فكتب إبراهيم بن مسعود كتابا إلى جماعة من أعيان أمراء ملكشاه يشكرهم ويعتذر لهم بما فعلوا

Marfat.com

من تحسين قصد ملكشاه بلاده ليتم لنا ما استقر بيننا من الظفر به وتخليصهم من يده ويعدهم للاحسان على ذلك وأمر القاصد بالكتب أن يتعرض لملكشاه فى الصيد ففعل ذلك فأخذ وأحضر عند السلطان فسأله عن حاله فأنكره فأمر السلطان بجلده فجلد فدفع الكتب إليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه عليها تحول من أمرائه وعاد ولم يقل لأحد من أمرائه فى هذا الأمر شيئا خوفا أن يستوحشوا منه وكان يكتب بخطه كل سنة مصحفا ويبعثه مع الصدقات إلى مكة وكان يقول لو كنت موضع أبى مسعود بعد وفاة جدى محمود لما انفصمت عرى مملكتنا ولكنى الآن عاجز عن أن أسترد ما أخذوه واستولى عليه ملوك قد اتسعت مملكتهم وعظمت عساكرهم ، ولما توفى ملك بعده ابنه مسعود ولقبه جلال الدين وكان قد زوجه أبوه بابنة السلطان ملكشاه وأخرج نظام الملك فى هذه الأملاك والزفاف مائة ألف دينار .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة حج الوزير أبو شجاع وزير الخليفة واستناب ابنة ربيب الدولة أبا منصور ونقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى وفيها أسقط السلطان ما كان يؤخذ من الحجاج من الخفارة . وفيها جمع آقسنقر صاحب حلب عسكره وسار إلى قلعة شيزر فحصرها وصاحبها ابن منقذ وضيق عليها ونهب ربضها ثم صالحه صاحبها وعاد إلى حلب . وفيها توفى أبو بكر أحمد بن أبى حاتم عبد الصمد بن أبى الفضل الغورجى الهروى والقاضى محمود بن محمد بن القاسم أبو عامر الأزدى المهلبى راويا جامع الترمذى عن أبى محمد الجراحى رواه عنهما أبو الفتح الكروخى ، وتوفى عبد الله بن محمد بن على بن محمد أبو إسماعيل الأنصارى الهروى شيخ الإسلام ومولده سنة خمس وتسعين وثلثمائة وكان شديد التعصب فى المذاهب ومحمد بن إسحق بن إبراهيم بن مخلد الباقرجى ومولده فى شعبان وهو من أهل الحديث والرواية . وفى المحرم توفيت ابنة الغالب بالله بن القادر ودفنت عند قبر أحمد وكانت ترجع إلى دين ومعروف كثير لم يبلغ أحد فى فعل الخير ما بلغت . وفى شعبان توفى عبد العزيز الصحراوى الزاهد ، وفيها توفى الملك أحمد بن السلطان ملكشاه بمرو وكان ولى عهد أبيه فى السلطنة وكان عمره إحدى عشرة سنة وجلس الناس ببغداد للعزاء سبعة أيام فى دار الخلافة ولم يركب أحد فرسا وخرج النساء ينحن فى الأسواق واجتمع الخلق الكثير فى الكرخ للتفرج والمناحات وسود أهل الكرخ أبواب عقودهم إظهاراً للحزن به .

﴿ثم دخلت سنة إثنتين وثمانين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الفتنة ببغداد بين العامة﴾ فى هذه السنة فى صفر كبس أهل باب البصرة الكرخ فقتلوا رجلا وجرحوا آخر فأغلق أهل الكرخ الأسواق ورفعوا المصاحف وحملوا ثياب الرجلين وهى بالدم ومضوا إلى دار العميد كمال الملك أبى الفتح الدهستانى مستغيثين فأرسل إلى النقيب طراد بن محمد يطلب منه إحضار القاتلين فقصد طراد دار الأمير بوزان بقصر ابن المأمون فطالبه بوزان بهم ووكل به فأرسل الخليفة إلى بوزان يعرفه حال النقيب طراد ومحله ومنزلته فخلى سبيله واعتذر إليه فسكن العميد كمال الملك الفتنة وكف الناس بعضهم عن بعض ، ثم سار إلى السلطان فعاد الناس إلى ما كانوا فيه من الفتنة . ولم ينقض يوم إلا عن قتلى وجرحى .

﴿ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر﴾ فى هذه السنة ملك السلطان ملكشاه ماوراء النهر وسبب ذلك أن سمرقند كان قد ملكها أحمد خان بن خضر خان أخو شمس الملك الذى كان قبله وهو ابن أخى تركان

Marfat.com

Marfat.com

خاتون زوجة السلطان ملكشاه وكان صبيا ظالما قبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية فنفروا منه وكتبوا إلى السلطان سرا يستغيثون به ويسألونه القدوم عليهم ليملك بلادهم وحضر الفقيه أبو طاهر بن علك الشافعى عند السلطان شاكيا وكان يخاف من أحمد خان لكثرة ماله فأظهر السفر للتجارة والحج فاجتمع بالسلطان وشكا إليه وهو فيها رسول ملك الروم ومعه الخراج المقرر عليه فأخذه نظام الملك معهم إلى ماوراء النهر وحضر فتح البلاد فلما وصل إلى كاشغر أذن له نظام الملك فى العود إلى بلاده وقال أحب أن يذكر عنا فى التواريخ أن ملك الروم حمل الجزية وأوصلها إلى باب كاشغر لينهى إلى صاحبه سعة ملك السلطان ليعظم خوفه منه ولا يحدث نفسه بخلاف الطاعة وهذا يدل على همة عالية تعلو على العيوق ، ولما سار السلطان من إصبهان إلى خراسان جمع العساكر من البلاد جميعها فعبر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان ولا تدخل تحت الإحصاء فلما تقطع النهر قصد بخارا وأخذ ماعلى طريقه ثم سار إليها وملكها وما جاورها من البلاد وقصد سمرقند ونازلها وكانت الملمات قد قدمها إلى البلد يعدهم النصر والخلاص مما هم فيه من الظلم وحصر البلد وضيق عليه وأعانه أهل البلد بالإقامات وفرق أحمد خان صاحب سمرقند أبراج السور على الأمراء ومن يثق إليه من أهل البلد وسلم برجا يقال له برج العيار إلى رجل علوى كان مختصا به فنصح فى القتال فاتفق أن ولدا لهذا العلوى أخذ أسيرا ببخارا فهدد الأب بقتله فتراخى عن القتال فسهل الأمر على السلطان ملكشاه ورمى من السور عدة ثلم بالمنجنيقات وأخذ ذلك البرج فلما صعد عسكر السلطان إلى السور هرب أحمد خان واختفى فى بيوت بعض العامة فغمز عليه وأخذ وحمل إلى السلطان وفى رقبته حبل فأكرمه السلطان وأطلقه وأرسله إلى أصبهان ومعه من يحفظه ورتب بسمرقند الأمير العميد أبا طاهر عميد خوارزم وسار السلطان قاصدا إلى كاشغر فبلغ إلى بوزكند وهو بلد يجرى على بابه نهر وأرسل منها رسلا إلى ملك كاشغر يأمره بإقامة الخطبة وضرب السكة باسمه ويتوعده إن خالف بالمسير إليه ففعل ذلك وأطاع وحضر عند السلطان فأكرمه وعظمه وتابع الإنعام عليه وأعاده إلى بلده ورجع السلطان إلى خراسان فلما أبعد عن سمرقند لم يتفق أهلها وعسكرها المعروفون بالجكلية مع العميد أبى طاهر نائب السلطان عندهم حتى كادوا يثبون عليه فاحتال حتى خرج من عندهم ومضى إلى خوارزم .

﴿ ذكر عصيان سمرقند ﴾ كان مقدم العسكر المعروف بالجكلية واسمه عين الدولة قد خاف السلطان لهذا الحادث فكاتب يعقوب تكين أخا ملك كاشغر ومملكته تعرف بآب نباشى وبيده قلعتها واستحضره فحضر عنده بسمرقند واتفقا ثم إن يعقوب علم أن أمره لا يستقيم معه فوضع عليه الرعية الذين كان أساء إليهم حتى ادعوا عليه دماء قوم كان قتلهم وأخذ الفتاوى عليه وقتله واتصلت الأخبار بالسلطان ملكشاه بذلك فعاد إلى سمرقند .

﴿ ذكر فتح سمرقند الفتح الثانى ﴾ لما اتصلت الأخبار بعصيان سمرقند بالسلطان ملكشاه وقتل عين الدولة مقدم الجكلية عاد إلى سمرقند فلما وصل إلى بخارا هرب يعقوب المستولى على سمرقند ومضى إلى فرغانة ولحق بولايته ووصل جماعة من عسكره إلى السلطان مستأمنين فلقوه بقرية تعرف بالطواويس ولما وصل السلطان إلى سمرقند ملكها ورتب بها الأمير أبر وسار فى أثر يعقوب حتى نزل ببوزكند وأرسل العساكر إلى سائر الأكتاف فى طلبه وأرسل السلطان إلى ملك كاشغر وهو أخو يعقوب ليجد فى أمره ويرسله إليه فاتفق أن عسكر يعقوب شغبوا عليه ونهبوا خزائنه واضطروه إلى أن هرب على فرسه ودخل إلى أخيه بكاشغر

مستجيرا به فسمع السلطان بذلك فأرسل إلى ملك كاشغر يتوعده إن لم يرسله إليه أن يقصد بلاده ويصير هو العدو فخاف أن يمنع السلطان وأنف أن يسلم أخاه بعد أن استجار به وإن كانت بينهما عداوة قديمة ومنافسة فى الملك عظيمة لما يلزمه فيه العار فأداه اجتهاده إلى أن قبض على أخيه يعقوب وأظهر أنه كان فى طلبه فظفر به وسيره مع ولده وجماعة من أصحابه وكلهم بيعقوب وأرسل معهم هدايا كثيرة للسلطان وأمر ولده أنه إذا وصل إلى قلعة بقرب السلطان أن يسمل يعقوب ويتركه فإن رضى السلطان بذلك وإلا سلمه إليه فلما وصلوا إلى القلعة عزم ابن ملك كاشغر أن يسمل عمه وينفذ فيه ما أمره به أبوه فتقدم فكتفه وألقاه على الأرض ففعلوا به ذلك فبينما هم على تلك الحال وقد أحموا الميل ليسملوه إذ سمعوا ضجة عظيمة فتركوه وتشاوروا بينهم وظهر عليهم انكسار ثم أرادوا به ذلك سمله ومنع منه بعض فقال لهم يعقوب أخبرونى عن حالكم وما يفوتكم الذى تريدونه منى وإذا فعلتم بى شيئا ربما ندمتم عليه فقيل له إن طغرل بن ينال أسرى من ثمانين فرسخا فى عشرات ألوف من العساكر وكبس أخاك بكاشغر فأخذه أسيرا ونهب عسكره وعاد إلى بلاده فقال لهم هذا الذى تريدون تفعلونه بى ليس مما تتقربون به إلى الله تعالى وإنما تفعلونه اتباعا لأمر أخى وقد زال أمره ووعدهم الإحسان فأطلقوه فلما رأى السلطان ذلك ورأى طمع طغرل بن ينال ومسيره إلى كاشغر وقبض صاحبها وملكه لها مع قربه منه خاف أن ينحل بعض أمره وتزول هيبته وعلم أنه متى قصد طغرل سار من بين يديه فإن عاد عنه رجع إلى بلاده وكذلك يعقوب أخو صاحب كاشغر وإنه لا يمكنه المقام لسعة البلاد وراءه وخوف الموت بها فوضع تاج الملك على أن يسعى فى إصلاح أمر يعقوب معه ففعل ما أمره به السلطان فاتفق هو ويعقوب وعاد إلى خراسان وجعل يعقوب مقابل طغرل يمنعه من القوة وملك البلاد وكل منهما يقوم فى وجه الآخر .

﴿ ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة إلى أبيها ﴾ وفى هذه السنة أرسل السلطان إلى الخليفة يطلب ابنته طلبا لابد منه وسبب ذلك أنها أرسلت تشكو من الخليفة وتذكر أنه كثير الاطراح لها والإعراض عنها فأذن لها فى المسير فسارت فى ربيع الأول وسار معها ابنها من الخليفة أبو الفضل جعفر بن المقتدى بأمر الله ومعهما سائر أرباب الدولة ومشى مع محفتها سعد الدولة كوهرائين وخدم دار الخلافة الأكابر وخرج الوزير وشيعهم إلى النهروان وعاد وسارت الخاتون إلى أصبهان فأقامت بها إلى ذى القعدة وتوفيت وجلس الوزير ببغداد للعزاء سبعة أيام وأكثر الشعراء مراثيها ببغداد وبعسكر السلطان .

﴿ ذكر فتح عسكر مصر عكا وغيرها من الشام ﴾ فى هذه السنة خرجت عساكر مصر إلى الشام فى جماعة من المقدمين فحصروا مدينة صور وكان قد تغلب عليها القاضى عين الدولة بن أبى عقيل وامتنع عليهم ثم توفى وليها أولاده فحصرهم العسكر المصرى فلم يكن لهم من القوة ما يمتنعون بها فسلموها إليهم ثم سار العسكر عنها إلى مدينة صيدا ففعلوا بها كذلك ثم ساروا إلى مدينة عكا فحصروها وضيقوا على أهلها فافتتحوها وقصدوا مدينة جبيل فملكوها أيضا وأصلحوا أحوال هذه البلاد وقرروا قواعدها وساروا عنها إلى مصر عائدين واستعمل أمير الجيوش على هذه البلاد الأمراء والعمال .

﴿ ذكر الفتنة بين أهل بغداد ثانية ﴾ وفى هذه السنة فى جمادى الأولى كثرت الفتن ببغداد بين أهل الكرخ وغيرها من المحال وقتل بينهم عدد كثير واستولى أهل المحال على قطعة كبيرة من نهر الدجاج فنهبوها وأحرقوها

Marfat.com

فنزل شحنة بغداد وهو خمارتكين النائب عن كوهرائين على دجلة فى خيله ورجله ليكف الناس عن الفتنة فلم ينتهوا ، وكان أهل الكرخ يجرون عليه وعلى أصحابه الجرايات والإقامات وفى بعض الأيام وصل أهل البصرة إلى سويقة غالب فخرج من أهل الكرخ من لم تجر عادته بالقتال فقاتلوهم حتى كشفوهم فركب خدم الخليفة والحجاب والنقباء وغيرهم من أعيان الحنابلة كابن عقيل والكلوذانى وغيرهما إلى الشحنة وساروا معه إلى أهل الكرخ فقرأ عليهم مثالا من الخليفة يأمرهم بالكف ومعاودة السكون وحضور الجماعة والجمعة والتدين بمذهب أهل السنة فأجابوا إلى الطاعة فبينما هم كذلك أتاهم الصارخ من نهر الدجاج بأن أهل السنة قد قصدوهم والقتال عندهم فمضوا مع الشحنة ومنعوا من الفتنة وسكن الناس وكتب أهل الكرخ على أبواب مساجدهم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ومن عند هذا اليوم ثار أهل الكرخ وقصدوا شارع ابن أبى عوف ونهبوه وفى جملة ما نهبوا دار أبى الفضل بن خيرون المعدل فقصد الديوان مستنفرا ومعه الناس ورفع العامة الصلبان وهجموا على الوزير فى حجرته وأكثروا من الكلام الشنيع وقتل ذلك اليوم رجل هاشمى من أهل باب الأزج بسهم أصابه فثار العامة هناك بعلوى كان مقيما بينهم فقتلوه وحرقوه وجرى من النهب والقتل والفساد أمور عظيمة فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة صدقة بن مزيد فأرسل عسكرا إلى بغداد فطلبوا المفسدين والعيارين فهربوا منهم فهدمت دورهم وقتل منهم ونفى وسكنت الفتنة وأمن الناس .

﴿ذكر حيلة لأمير المسلمين ظهرت ظهوراً غريبا﴾ كان بالمغرب إنسان اسمه محمد بن إبراهيم الكزولى سيد قبيلة كزولة ومالك جبلها وهو جبل شامخ وهى قبيلة كبيرة وبينه وبين أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مودة واجتماع فلما كان هذه السنة أرسل يوسف إلى محمد بن إبراهيم يطلب الاجتماع به فركب إليه محمد فلما قاربه خافه على نفسه فعاد إلى جبله واحتاط لنفسه فكتب إليه يوسف وحلف له أنه ما أراد به إلا الخير ولم يحدث نفسه بغدر فلم يركن محمد إليه فدعا يوسف حجاما وأعطاه مائة دينار وضمن له مائة دينار أخرى إن هو سار إلى محمد ابن ابراهيم واحتال على قتله فسار الحجام ومعه مشاريط مسمومة فصعد الجبل فلما كان الغد خرج ينادى لصناعته بالقرب من مساكن محمد فسمع محمد الصوت فقال هذا الحجام من بلدنا فقيل إنه غريب فقال أراه يكثر الصياح وقد ارتبت بذلك ائتونى به فأحضر عنده فاستدعى حجاما آخر وأمره أن يحجمه بمشاريطه التى معه فامتنع الحجام الغريب فأمسك وحجم فمات وتعجب الناس من فطنته فلما بلغ ذلك يوسف ازداد غيظه ولج فى السعى فى أذى يوصله إليه فاستمال قوما من أصحاب محمد فمالوا إليه فأرسل إليهم جراراً من عسل مسموم فحضروا عند محمد وقالوا قد وصل إلينا قوم معهم جرار من عسل أحسن ما يكون وأردنا إتحافك به وأحضروها بين يديه فلما رآها أمر بإحضار خبز وأمر أولئك الذين أهدوا إليه العسل أن يأكلوا منه فامتنعوا واستعفوه من أكله فلم يقبل منهم وقال من لم يأكل قتل بالسيف فأكلوا فماتوا عن آخرهم فكتب إلى يوسف تاشفين إنك قد أردت قتلى بكل وجه فلم يظفرك الله بذلك فكف عن شرك فقد أعطاك الله المغرب بأسره ولم يعطنى غير هذا الجبل وهو فى بلادك كالشامة البيضاء فى النور الأسود فلم تقنع بما أعطاك الله عز وجل فلما رأى يوسف أن سره قد انكشف وأنه لا يمكنه فى أمره شىء لحصانة جبله اعرض عنه وتركه .

﴿ذكر ملك العرب مدينة سوسة وأخذها منهم﴾ فى هذه السنة نقض ابن علوى مابينه وبين تميم بن المعز

Marfat.com

Marfat.com

ابن باديس أمير إفريقية من العهد وسار فى جمع من عشيرته العرب فوصل إلى مدينة سوسة من بلاد إفريقية وأهلها غارون لم يعلموا به فدخلها عنوة وجرى بينه وبين من بها من العسكر والعامة قتال قتل من الطائفتين جماعة وكثر القتل فى أصحابه والأسر وعلم أنه لا يتم له مع تميم حال ففارقها وخرج منها إلى حلته من الصحراء وكان بإفريقية هذه السنة غلاء شديد وبقى كذلك إلى سنة أربع وثمانين وصلحت أحوال أهلها وأخصبت البلاد ورخصت الأسعار وأكثر أهلها الزرع .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة قطعت الحرامية الطريق على قفل كبير بولاية حلب فركب آقسنقر فى جماعة من عسكره وتبعهم ولم يزل حتى أخذهم وقتلهم فأمنت الطريق بولايته وفيها ورد العميد الأغر أبو المحاسن عبد الجليل بن على الدهستانى إلى بغداد عميداً وعزل أخوه كمال الملك على ماذكرناه وفيها درس الإمام أبو بكر الشاشى فى المدرسة التى بناها تاج الملك مستوفى السلطان بباب إبرز من بغداد وهى المدرسة الناجية المشهورة وفيها عمرت منارة جامع حلب . وفيها توفى الخطيب أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الواحد بن أبى الحديد السلمى خطيب دمشق فى ذى الحجة . وفيها توفى أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد أبو نصر النيسابورى رئيسها ومولده سنة عشر وأربعمائة وكان من العلماء وعاصم بن الحسن بن محمد بن على بن عاصم العاصمى البغدادى من أهل الكرخ كان ظريفا كيسا له شعر حسن فمنه :

ماذا على متلون الأخلاق * لو زارنى فأبثه أشواقى
وأبوح بالشكوى إليه تذللا * وأفض ختم الدمع من آماقى
فعساه يسمح بالوصال لمدنف * ذى لوعة وصبابة مشتاق
أسر الفؤاد ولم يرق لموثق * ماضره لو جاد بالإطلاق
إن كان قد لبست عقارب صدغه * قلبى فإن رضابه درياقى

وقال أيضا :

فديت من ذبت شوقا من محبته * وصرت من هجره فوق الفراش لقا
سمعته يتغنى وهو مصطبح * أفديه مصطبحا منه ومغتبقا
وأخلفتك ابنة البكرى ماوعدت * وأصبح الحبل منها واهيا خلقا

والصحيح أنه توفى سنة ثلاث وثمانين . وفيها فى جمادى الآخرة توفى الشريف أبو القاسم العلوى الدبوسى المدرس بالنظامية ببغداد وكان فاضلا فصيحا(١)

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وفاة فخر الدولة أبى نصر بن جهير﴾ فى هذه السنة فى المحرم توفى فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد ابن جهير الذى كان وزير الخليفة بمدينة الموصل ومولده بها سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وتزوج إلى أبى العقارب شيخها ونظر فى أملاك جارية قرواش المعروفة بسرهنك ثم خدم بركة بن المقلد حتى قبض على أخيه قرواش

(١) وفيها توفى أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل الأصبهانى المعروف بمسلرفة أحد الحفاظ الجوالين الرحالين سمع الكثير وجمع الكتب وأقام بهراة ، وكان صالحا كثير العبادة ، توفى بنيسابور فى ذى الحجة .

وحبسه ومضى بهدايا إلى ملك الروم فاجتمع هو ورسول نصر الدولة بن مروان فتقدم فخر الدولة عليه فنازعه رسول ابن مروان فقال فخر الدولة لملك الروم أنا أستحق التقدم عليه لأنه صاحبه يؤدى الخراج إلى صاحبى فلما عاد إلى قريش بن بدران أراد القبض عليه فاستجار بأبى الشداد وكانت عقيل تجير على أمرائها وسار إلى حلب فوزر لمعز الدولة أبى ثمال بن صالح ثم مضى إلى ملطية ومنها إلى ابن مروان فقال له كيف أمنتنى وقد فعلت برسولى ما فعلت عنده ملك الروم فقال حملنى على ذلك نصح صاحبى فاستوزره فعمر بلاده ووزر بعد نصر الدولة لولده ثم سار الى بغداد وولى وزارة الخليفة على ماذكرناه وتولى أخذ ديار بكر من بنى مروان على ماذكرناه أيضا ثم أخذها منه السلطان فسار إلى الموصل فتوفى بها .

﴿ ذكر نهب العرب البصرة ﴾ وفى هذه السنة فى جمادى الأولى نهب العرب البصرة نهبا قبيحا وسبب ذلك أنه ورد إلى بغداد فى بعض السنين رجل أشقر من سواد النيل يدعى الأدب والنجوم ويستجرى الناس فلقبه أهل بغداد تليا وكان نازلا فى بعض الخانات فسرق ثيابا من الديباج وغيره وأخفاها فى خلفا وسار بها فرآها الذين يحفظون الطريق فمنعوه من السفر اتهاماً له وحملوه إلى المقدم عليهم فأطلقه لحرمة العلم فسارا إلى أمير من أمراء العرب من بنى عامر وبلاده متاخمة الإحساء وقال له أنت تملك الأرض وقد فعل أجدادك بالحاج كذا وكذا وأفعالهم مشهورة مذكورة فى التواريخ وحسن له نهب البصرة وأخذها فجمع من العرب ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل وقصد البصرة وبها العميد عصمة وليس معه من الجند إلا اليسير لكون الدنيا آمنة من ذاعر ولأن الناس فى جنة من هيبة السلطان فخرج إليهم فى أصحابه وحاربهم ولم يمكنهم من دخول البلد فأتاه من أخبره أن أهل البلد يريدون أن يسلموه إلى العرب فخاف ففارقهم وقصد الجزيرة التى هى مكان القلعة بنهر معقل فلما علم أهل البلد بذلك فارقوا ديارهم وانصرفوا ودخل العرب حينئذ البصرة وقد قويت نفوسهم وملكوها ونهبوا ما فيها نهبا شنيعا فكانوا ينهبون نهارا وأصحاب العميد عصمة ينهبون ليلا وأحرقوا مواضع عدة وفى جملة ما أحرقوا دارين للكتب إحداهما وقفت قبل أيام عضد الدولة بن بويه فقال عضد الدولة هذه مكرمة سبقنا إليها وهى أول دار وقفت فى الإسلام والأخرى وقفها الوزير أبو منصور بن شاهمردان وكان بها نفائس الكتب وأعيانها وأحرقوا أيضا النجاسين وغيرها من الأماكن وخربت وقوف البصرة التى لم يكن لها نظير من جملتها وقوف على الحمال الدائرة على شاطئ دجلة وعلى الدواليب التى تحمل الماء وترقيه إلى قنى الرصاص الجارية إلى المصانع وهى على فراسخ من البلد وهى من عمل محمد بن سليمان الهاشمى وغيره وكان فعل العرب بالبصرة أول خرق جرى فى أيام السلطان ملكشاه فلما فعلوا ذلك وبلغ الخبر إلى بغداد انحدر سعد الدولة كوهرائين وسيف الدولة صدقة بن مزيد إلى البصرة لإصلاح أمورها فوجدوا العرب قد فارقوها ثم إن تليا أخذ بالبحرين وأرسل إلى السلطان فشهره ببغداد سنة أربع وثمانين على جمل وعلى رأسه طرطور وهو يصفع بالدرة والناس يشتمونه ويسبهم ثم أمر به فصلب .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة قدم الإمام أبو عبدالله الطبرى بغداد فى المحرم بمنشور من نظام الملك بتوليته تدريس المدرسة النظامية ثم ورد بعده فى شهر ربيع الآخر من السنة أبو محمد عبدالوهاب الشيرازى وهو أيضا معه منشور بالتدريس فاستقر أن يدرس يوما والطبرى يوما .

Marfat.com

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر عزل الوزير أبى شجاع ووزارة عميدالدولة بن جهير ﴾ فى هذه السنة فى ربيع الأول عزل الوزير أبو شجاع من وزارة الخليفة وكان سبب عزله أن إنسانا يهوديا ببغداد يقال له أبوسعد بن سمحا كان وكيل السلطان ونظام الملك فلقيه إنسان يبيع الحصر فصفعه صفعة أزالت عمامته عن رأسه فأخذ الرجل وحمل إلى الديوان وسئل عن السبب فى فعله فقال هو وضعنى على نفسه فسار كوهرائين ومعه ابن سمحا اليهودى إلى العسكر يشكيان وكانا متفقين على الشكاية من الوزير أبى شجاع فلما سار أخرج توقيع الخليفة بإلزام أهل الذمة بالغيار ولبس ما شرط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهربوا كل مهرب وأسلم بعضهم فممن أسلم أبوسعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب وابن أخيه أبو نصر هبة الله بن الحسن بن على صاحب الخبر أسلما على يدى الخليفة ونقل أيضا عنه إلى السلطان ونظام الملك أنه يكسر أغراضهم ويقبح أفعالهم حتى إنه لما ورد الخبر بفتح السلطان سمرقند قال وما هذا مما يبشر به كأنه قد فتح بلاد الروم هل أتى إلا إلى قوم مسلمين موحدين فاستباح منهم ما لا يستباح من المشركين فلما وصل كوهرائين وابن سمحا إلى العسكر وشكيا من الوزير إلى السلطان ونظام الملك وأخبراهما بجميع ما يقول عنهما ويكسر من أغراضهما أرسلا إلى الخليفة فى عزله فعزله وأمره بلزوم بيته وكان عزله يوم الخميس فلما أمر بذلك أنشد :

تولاها وليس له عـــدو * وفارقها وليس له صديق

فلما كان الغد يوم الجمعة خرج من داره إلى الجامع راجلا واجتمع الخلق العظيم عليه فأمر أن لا يخرج من بيته ولما عزل استنيب فى الوزارة أبوسعد بن موصلايا كاتب الإنشاء وأرسل الخليفة إلى السلطان ونظام الملك يستدعى عميد الدولة بن جهير ليستوزره فسير إليه فاستوزره فى ذى الحجة من هذه السنة وركب إليه نظام الملك فهنأه بالوزارة فى داره وأكثر الشعراء تهنئته بالعود إلى الوزارة .

﴿ ذكر ملك أمير المسلمين بلاد الأندلس التى للمسلمين ﴾ فى هذه السنة فى رجب ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب من بلاد الأندلس ماهو بيد المسلمين قرطبة وإشبيليه وقبض على المعتمد بن عباد صاحبها وملك غيرها من الأندلس ولقد جرى للرشيد بن المعتمد حادثة شبيهة بحادثة الأمين محمد بن هرون الرشيد قال أبو بكر عيسى بن اللبانة الدانى من مدينة دانية كنت يوما عند الرشيد بن المعتمد فى مجلس أنسه سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة فجرى ذكر غرناطة وملك أمير المسلمين لها وقد ذكرنا أخذها فى وقعة الزلاقة فلما ذكرناها تفجع وتلهف واسترجع وذكر قصرها فدعونا لقصره بالدوام ولملكه بتراخى الأيام فأمر عند ذلك أبا بكر الإشبيلى بالغناء فغنى : يا دار ميـــة بالعليـــاء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الأبد

فاستحالت مسرته وتجهمت أسرته ثم أمر بالغناء من ستارته فغنى :

إن شئت أن لا ترى صبراً لمصطبر * فانظر إلى أىّ حال أصبح الطلل

فتأكد تطيره ، واشتد ارتداد وجهه وتغيره ، وأمر مغنية أخرى بالغناء فغنت :

يا لهف نفسى على مال أفرقـــه * على المقلين من أهل المروءات

إن اعتذارى إلى من جاء يسألنى * ماليس عندى من إحدى المصيبات

Marfat.com

قال ابن اللبانة : فتلافيت الحال بأن قمت فقلت :

محل مكرمة لاهد مبناه * وشمل . مأثرة لاشته الله
البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا * أن الرشيد مع المعتد ركناه
ثاو على أنجم الجوزاء مقعده * وراحل فى سبيل الله مثواه
حتم على الملك أن يقوى وقد وصلت * بالشرق والغرب يمناه ويسراه
بأس توقد فاحمرت لواحظه * ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمرى قد بسطت من نفسه ، وأعدت عليه بعض أنسه ، على أنى وقعت فيما وقع فيه الكل بقولى (البيت كالبيت) وأمر إثر ذلك بالغناء فغنى :

ولما قضينا من منى كل حاجة * ولم يبق إلا أن تزم الركائب

فأيقنا أن هذه الطير تعقب الغير فلما أراد أمير المسلمين ملك الأندلس سار من مراكش إلى سبتة وأقام بها وسير العساكر مع سير بن أبى بكر وغيره إلى الأندلس فعبروا الخليج فأتوا مدينة مرسية فملكوها وأعمالها وأخرجوا صاحبها أبا عبدالرحمن بن طاهر منها وساروا إلى مدينة شاطبة ومدينة دانية فملكوهما وكانت بلنسية قد ملكها الفرنج قديما بعد أن حصروها سبع سنين فلما سمعوا بوقعة الزلاقة فارقوها فملكها المسلمون أيضا وعمروها وسكنوها فصارت الآن للمرابطين وكانوا قد ملكوا غرناطة نوبة الزلاقة فقصدوا مدينة إشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد فحصروه بها وضيقوا عليه فقاتل أهلها قتالا شديدا وظهر من شجاعة المعتمد وشدة بأسه وحسن دفاعه عن بلده مالم يشاهد من غيره مايقاربه فكان يلقى نفسه فى المواقف التى لايرجى خلاصه منها فيسلم بشجاعته وشدة نفسه ولكن إذا نفدت المدة لم تغن العدة وكانت الفرنج قد سمعوا بقصد عساكر المرابطين بلاد الأندلس فخافوا أن يملكوها ثم يقصدوا بلادهم فجمعوا فأكثروا وساروا ليساعدوا المعتمد ويعينوه على المرابطين فسمع سير بن أبى بكر مقدم المرابطين بمسيرهم ففارق إشبيلية وتوجه إلى لقاء الفرنج فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وعاد إلى إشبيلية فحصرها ولم يزل الحصار دائما والقتال مستمرا إلى العشرين من رجب من هذه السنة فعظم الحرب ذلك اليوم واشتد الأمر على أهل البلد ودخله المرابطون من واديه ونهب جميع مافيه ولم يبقوا على سبد ولا لبد وسلبوا الناس ثيابهم فخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم بأيديهم وسبى المخدرات وانتهكت الحرمات فأخذ المعتمد أسيرا ومعه أولاده الذكور والإناث بعد أن استأصلوا جميع مالهم فلم يصحبهم من ملكهم بلغة زاد وقيل إن المعتمد سلم البلد بأمان وكتب نسخة الأمان والعهد واستحلفهم به لنفسه وأهله وماله وعبيده وجميع مايتعلق بأسبابه فلما سلم إليهم إشبيلية لم يفوا له وأخذوهم أسراء ومالهم غنيمة وسير المعتمد وأهله إلى مدينة أغمات فحبسوا فيها وفعل أمير المسلمين بهم أفعالا لم يسلكها أحد ممن قبله ولا يفعلها أحد ممن يأتى بعده إلا من رضى لنفسه بهذه الرذيلة وذلك أنه سجنهم فلم يجر عليهم مايقوم بهم حتى كان بنات المعتمد يغزلن للناس بأجرة ينفقونها على أنفسهم وذكر ذلك المعتمد فى أبيات ترد عند ذكر وفاته فأبان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قدرة وهذه أغمات مدينة فى سفح جبل بالقرب من مراكش وسيرد من ذكر المعتمد عند موته سنة ثمان وثمانين مايعرف به محله قال أبو بكر بن اللبانة زرت المعتمد بعد أسره بأغمات وقلت أبيات عند دخولى إليه منها :

Marfat.com

Marfat.com

لم أقل فى الثقاف كان ثقافا * كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر فى الكمام ولكن * بعد مكث الكمام يدنو قطافا
وإذا ما الهلال غاب بغيم * لم يكن ذلك المغيب انكسافا
* إنما أنت درة للمعالى * ركب الدهر فوقها أصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما * مثل ماتحجب الدنان السلافا
أنت للفضل كعبة ولواتى * كنت أستطيع لالتزمت الطوافا

قال وجرت بينى وبينه مخاطبات ألذ من غفلات الرقيب وأشهى من رشفات الحبيب وأدل على السماح من فجر على صباح ولما أخذ المعتمد وأهله قتل ولداه الفتح ويزيد بين يديه صبرا فقال فى ذلك :

يقولون صبراً لاسبيل إلى الصبر * سأبكى وأبكى ماتطاول من عمرى
أفتح لقد فتحت لى باب رحمة * كما بيزيد الله قد زاد فى أجرى
هوى بكما المقدار عنى ولم أمت * فأدعى وفيا قد نكصت إلى الغدر
ولوعدتما لاخترتما العود فى الثرى * إذا أبتما أبصرتمانى فى الأسر
أبا خالد أورثتنى البث خالداً * أبانصر مذ ودعت ودعنى نصرى

وكان المعتمد يكاتبه فضلاء البلاد وهو محبوس بالنثر والنظم يتوجعون له ويذمون الزمان وأهله حيث مثله منكوب فمن ذلك ماقاله عبد الجبار بن أبى بكر بن حمديس وكتبه إليه يذكر مسيرهم عن إشبيلية إلى أغمات :

جرى لك جد بالكرام عثور * وجار زمان كنت منه تجير
لقد أصبحت بيض الظبى فى غمودها * إناثا لترك الضرب وهى ذكور
ولما رحلتم بالندى فى أكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لسانى بالقيامة قد أتت * ألا فانظروا كيف الجبال تسير

وقال شاعره ابن اللبانة فى حادثته أيضا :

تبكى السماء بدمع رائح غادى * على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التى هدت قواعدها * وكانت الأرض منها تحت أوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * أساود منهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تعمرها * فاليوم لا عاكف فيها ولا باد

ولما استقصى عسكر أمير المسلمين ملوك الأندلس وأخذ بلادهم جمع ملوكهم وسيرهم إلى بلاد بالغرب وفرقهم فيها (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) ولما فرغ سير من إشبيلية سار إلى المرية فنازلها وكان صاحبها محمد بن معن بن صمادح فقال لولده مادام المعتمد باشبيلية فلاتبالى بالمرابطين فلما سمع بملكهم لها وما جرى للمعتمد مات فى تلك الأيام غما وكمدا فلما مات سار ولده الحاجب وأهله فى مراكب ومعهم كل مالهم وقصدوا بلاد بنى حماد فأحسنوا إليهم وكان عمر بن الأفطس صاحب بطليوس ممن أعان سير على المعتمد فلما فتحت إشبيلية رجع ابن الأفطس إلى بلده فسار إليه سير وحاربه فغلبه وأخذ بلده منه وأخذه أسيراً هو وولده الفضل فقتلهما فقال عمر حين أرادوا قتله قدموا ولدى قبلى للقتل ليكون فى

صحيفتى فقتل ولده قبله وقتل هو بعده واحتوى سير على ذخائرهم وأموالهم ولم يترك من ملوك الأندلس سوى بنى هود فإنه لم يقصد بلادهم وهى شرق الأندلس وكان صاحبها حينئذ المستعين بالله بن هود وهو من الشجعان الذين يضرب المثل بهم وكان قد أعد كل مايحتاج إليه فى الحصار وترك عنده ما يكفيه عدة سنين بمدينة روطة وكانت قلعة حصينة وكانت رعيته تخافه ولم يزل يهادى أمير المسلمين قبل أن يقصد بلاد الأندلس ويملكها ويواصله ويكثر مراسلته فرعى له ذلك حتى إنه أوصى ابنه على بن يوسف عند موته بترك التعرض لبلاد بنى هود وقال اتركهم بينك وبين العدو فإنهم شجعان .

﴿ ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية ﴾ فى هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على جميع جزيرة صقلية أعادها الله تعالى إلى الإسلام والمسلمين وسبب ذلك أن صقلية كان الأمير عليها سنة ثمان وثمانين وثلثمائة أبا الفتوح يوسف بن عبدالله بن محمد بن أبى الحسين ولاه عليها العزيز العلوى صاحب مصر وإفريقية فأصابه هذه السنة فالج فتعطل جانبه الأيسر وضعف الجانب الأيمن فاستناب ابنه جعفرا فبقى كذلك ضابطا للبلاد حسن السيرة فى أهلها إلى سنة خمس وأربعمائة فخالف عليه أخوه على وأعانه جمع من البربر والعبيد فأخرج إليه أخوه جعفر جندا من المدينة فاقتتلوا سابع شعبان وقتل من البربر والعبيد خلق كثير وهرب من بقى منهم وأخذ على أسيرا فقتله أخوه جعفر وعظم قتله على أبيه فكان بين خروجه وقتله ثمانية أيام وأمر جعفر حينئذ أن ينفى كل بربرى بالجزيرة فنفوا إلى إفريقية وأمر بقتل العبيد فقتلوا عن آخرهم وجعل جنده كلهم من أهل صقلية فقل العسكر بالجزيرة وطمع أهل الجزيرة فى الأمراء فلم يمض إلا يسير حتى ثار به أهل صقلية وأخرجوه وخلعوه وأرادوا قتله وسبب ذلك أنه ولى عليهم إنسانا صادرهم وأخذ الأعشار من غلاتهم واستخف بقوادهم وشيوخ البلد وقهر جعفر إخوته واستطال عليهم فلم يشعر إلا وقد زحف إليه أهل البلد كبيرهم وصغيرهم فحصروه فى قصره فى المحرم سنة عشر وأربعمائة وأشرفوا على أخذه فخرج إليهم أبوه يوسف فى محفة وكانوا له محبين فلطف بهم ورفق فبكوا رحمة له من مرضه وذكروا له ما أحدث ابنه عليهم وطلبوا أن يستعمل ابنه أحمد المعروف بالأكحل ففعل ذلك وخاف يوسف على ابنه جعفر منهم فسيره فى مركب إلى مصر وسار أبوه يوسف بعده ومعهما من الأموال ستمائة ألف دينار وسبعون ألفا وكان ليوسف من الدواب ثلاثة عشر ألف حجرة سوى البغال وغيرها ومات بمصر وليس له إلا دابة واحدة ولما ولى الأكحل أخذ أمره بالحزم والاجتهاد وجمع المقاتلة وبث سراياه فى بلاد الكفرة فكانوا يحرقون ويغنمون ويسبون ويخربون البلاد وأطاعه جميع قلاع صقلية التى للمسلمين وكان للأكحل ابن اسمه جعفر كان يستنيبه إذا سافر فخالف سيرة أبيه ثم إن الأكحل جمع أهل صقلية وقال أحب أن أشليكم على الإفريقيين الذين قد شاركوكم فى بلادكم والرأى إخراجهم فقالوا قد صاهرناهم وصرنا شيئا واحدا فصرفهم ثم أرسل إلى الإفريقيين فقال لهم مثل ذلك فأجابوه إلى ما أراد فجمعهم حوله فكان يحمى أملاكهم ويأخذ الخراج من أملاك أهل صقلية فسار من أهل صقلية جماعة إلى المعز بن باديس وشكوا إليه ماحل بهم وقالوا نحب أن نكون فى طاعتك وإلا سلمنا البلاد إلى الروم وذلك سنة سبع وعشرين وأربعمائة فسير معهم ولده عبدالله فى عسكر فدخل المدينة وحصر الأكحل فى الخلاصة ثم اختلف أهل صقلية وأراد بعضهم نصرة الأكحل فقتله الذين أحضروا عبدالله بن المعز ثم إن الصقليين رجع بعضهم على بعض وقالوا أدخلتم غيركم عليكم والله لا كانت عاقبة أمركم فيه إلى خير فعزموا

Marfat.com

على حرب عسكر المعز فاجتمعوا وزحفوا إليهم فاقتتلوا فانهزم عسكر المعز وقتل منهم ثمانمائة رجل ورجعوا فى المراكب إلى إفريقية وولى أهل الجزيرة عليهم حسنا الصمصام أخا الأكحل فاضطربت أحوالهم واستولى الأراذل وانفرد كل إنسان ببلد وأخرجوا الصمصام فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمازر وطرابنش وغيرهما وانفرد القائد على بن نعمة المعروف بابن الحواس بقصريانة وجرجنت وغيرهما وانفرد ابن الثمنة بمدينة سرقوسة وقطانية وتزوج بأخت ابن الحواس ، ثم إنه جرى بينها وبين زوجها كلام أغلظ كل منهما لصاحبه وهو سكران فأمر ابن الثمنة بفصدها فى عضديها وتركها لتموت فسمع ولده إبراهيم لحضر وأحضر الأطباء وعالجها إلى أن عادت قوتها ولما أصبح أبوه ندم واعتذر إليها بالسكر فأظهرت قبول عذره ثم إنها طلبت منه بعد مدة أن تزور أخاها فأذن لها وسير معها التحف والهدايا فلما وصلت ذكرت لأخيها مافعل بها فحلف أنه لايعيدها إليه فأرسل ابن الثمنة يطلبها فلم يردها اليه فجمع ابن الثمنة عسكره وكان قد استولى على أكثر الجزيرة وخطب له بالمدينة وسار وحصر ابن الحواس بقصريانة فخرج إليه فقاتله فانهزم ابن الثمنة وتبعه إلى قرب مدينته قطانية وعاد عنه بعد أن قتل من أصحابه فأكثر فلما رأى ابن الثمنة أن عساكره قد تمزقت سولت له نفسه الانتصار بالكفار لمايريده الله تعالى فسار إلى مدينة مالطة وهى بيد الفرنج قد ملكوها لما خرج بردويل الفرنجى الذى تقدم ذكره سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة واستوطنها الفرنج إلى الآن وكان ملكها حينئذ رجار الفرنجى فجمع الفرنج فوصل إليهم ابن الثمنة وقال أنا أملككم الجزيرة فقالوا إن فيها جندا كثيرا ولاطاقة لنا بهم فقال إنهم مختلفون وأكثرهم يسمع قولى ولايخالفون أمرى فساروا معه فى رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة فلم يلقوا من يدافعهم فاستولوا على مامروا به فى طريقهم وقصد بهم إلى قصريانة فحصروها فخرج إليهم ابن الحواس فقاتلهم فهزمه الفرنج فرجع إلى الحصن فرحلوا عنه وساروا فى الجزيرة واستولوا على مواضع كثيرة ،وفارقها كثير من أهلها من العلماء والصالحين ، وسار جماعة من أهل صقلية إلى المعز ابن باديس وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف وغلبة الفرنج على كثير منها فعمر أسطولا كبيرا وشحنه بالرجال والعدد وكان الزمان شتاء فساروا إلى قوصرة فهاج عليهم البحر فغرق أكثرهم ولم ينج إلا القليل وكان ذهاب هذا الأسطول مما أضعف المعز وقوى عليه العرب حتى أخذوا البلاد منه فملك حينئذ الفرنج أكثر البلاد على مهل وتؤدة لايمنعهم أحد واشتغل صاحب إفريقية بما دهمه من العرب ومات المعز سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة وولى ابنه تميم فبعث أيضا أسطولا وعسكر إلى الجزيرة وقدم عليه ولديه أيوب وعليا فوصلوا إلى صقلية فنزل أيوب والعسكر المدينة ونزل على جرجنت ثم انتقل أيوب إلى جرجنت فأمر على بن الحواس أن ينزل فى قصره وأرسل هدية كثيرة ، فلما أقام أيوب فيها أحبه أهلها فحسده ابن الحواس فكتب إليهم ليخرجوه فلم يفعلوا فسار إليه فى عسكره وقاتله فشد أهل جرجنت من أيوب وقاتلوا معه فبينما ابن الحواس يقاتل أتاه سهم غرب فقتله فملك العسكر عليهم أيوب ثم وقع بعد ذلك بين أهل المدينة وبين عبيد تميم فتنة أدت إلى القتال ثم زاد الشر بينهم فاجتمع أيوب وعلى أخوه ورجعا فى الأسطول إلى إفريقية سنة إحدى وستين وصحبهم جماعة من أعيان صقلية والأسطولية ولم يبق للفرنج مما نع فاستولوا على الجزيرة ولم يثبت بين أيديهم غير قصريانة وجرجنت فحصرهما الفرنج وضيقوا على المسلمين بهما فضاق الأمر على أهلهما حتى أكلوا الميتة ولم يبق عندهم مايأكلونه فأما أهل جرجنت فسلموها إلى الفرنج وبقيت قصريانة بعدها ثلاث سنين فلما اشتد الأمر عليهم أذعنوا إلى

Marfat.com

Marfat.com

التسليم فتسلمها الفرنج لعنهم الله سنة أربع وثمانين وأربعمائة وملك رجار جميع الجزيرة وأسكنها الروم والفرنج مع المسلمين ولم يترك لأحد من أهلها حماما ولادكانا ولاطاحونا ومات رجار بعد ذلك قبل التسعين والأربعمائة وملك بعد ولده رجار فسلك طريق ملوك المسلمين من الحنائب والحجاب والسلاحية والجاندارية وغير ذلك وخالف عادة الفرنج فإنهم لايعرفون شيئاً منه وجعل له ديوان المظالم ترفع إليه شكوى المظلومين فينصفهم ولومن ولده وأكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم الفرنج فأحبوه وعمر أسطولا كبيراً وملك الجزائر التى بين المهدية وصقلية مثل مالطه وقوصرة وجربة وقرقنه وتطاول إلى سواحل إفريقية فكان منه ماناذكره إن شاء الله

﴿ذكر وصول السلطان إلى بغداد﴾ فى هذه السنة فى شهر رمضان وصل السلطان إلى بغداد وهى المرة الثانية ونزل بدار المملكة ونزل أصحابه متفرقين ووصل إليه أخوه تاج الدولة تتش وقسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب وغيرهما من زعماء الأطراف وعمل الميلاد ببغداد وتأنقوا فى عمله فذكر الناس أنهم لم يروا ببغداد مثله أبداً وأكثر الشعراء وصف تلك الليلة فمن قال المطرز :

وكل نار على العشاق مضرمة * من نار قلبى أو من ليلة السذق
نار تجلت بها الظلماء واشتبهت * بسدفة الليل فيه غرة الفلق
وزارت الشمس فيها البدر واصطلحا * على الكواكب بعد الغيظ والحنق
مدت على الأرض بسطا من جواهرها * ما بين مجتمع وار ومفترق
مثل المصابيح إلا أنها نزلت * من السماء بلا رجم ولا حرق
أعجب بنار ورضوان يسعرها * ومالك قائم منها على فرق
فى مجلس ضحكت روض الجنان له * لما جلى ثغره عن واضح يقق
وللشموع عيون كلما نظرت * تظلمت من يديها أنجم الغسق
من كل مرهفة الأعطاف كالغصن الـ * ـمياد لكنه عار من الورق
إنى لأعجب منها وهى وادعة * تبكى وعيشتها من ضربة العنق

وفى هذه المرة أمر بعمارة جامع السلطان فابتدئ فى عمارته فى المحرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة وعمل قبلته بهرام منجمه وجماعة من أصحاب الرصد وابتدأ بعده نظام الملك وتاج الملك والامراء الكبار بعمل دور لهم يسكنونها إذا قدموا بغداد فلم تطل مدتهم بعدها وتفرق شملهم بالموت والقتل وغير ذلك فى باقى سنتهم ولم تغن عنهم عساكرهم وماجمعوا شيئا فسبحان الدائم الذى لايزول أمره .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة رحل ابن أبى هاشم من مكة مستغيثا من التركمان وفى آخرها مرض نظام الملك ببغداد فعالج نفسه بالصدقة فكان يجتمع بمدرسته من الفقراء والمساكين من لايحصى وتصدق عنه الأعيان والأمراء من عسكر السلطان فعوفى وارسل له الخليفة خلعا نفيسة . وفيها فى تاسع شعبان كان بالشام وكثير من البلاد زلازل كثيرة وكان أكثرها بالشام ففارق الناس مساكنهم وانهدم بأنطاكية كثير من المساكن وهلك تحتها عالم كثير وخرب من سورها تسعون برجا فأمر السلطان ملكشاه بعمارتها . وفيها فى شوال توفى أبوطاهر عبد الرحمن بن محمد بن علك الفقيه الشافعى وهومن رؤساء الفقهاء الشافعية وهوالذى تقدم ذكره فى فتح سمرقند ومشى أرباب الدولة السلطانية كلهم فى جنازته إلا نظام الملك فإنه اعتذر بعلو

وأكثر البكاء عليه ودفن عند الشيخ أبى اسحق بباب أبرز وزار السلطان قبره وتوفى محمد بن عبدالله بن الحسين أبو بكر الناصح الحنفى قاضى الرى وكان من أعيان الفقهاء الحنفية يميل إلى الاعتزال وكان موته فى رجب . وفيها فى شعبان توفى أبو الحسن على بن الحسين بن طاوس المقرى بمدينة صور . (١)

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجيان ﴾ فى هذه السنة جمع أذفونش عساكره وجموعه وغزا بلاد جيان من الأندلس فلقيه المسلمون وقاتلوه واشتد الحرب فكانت الهزيمة أولا على المسلمين ثم إن الله تعالى رد لهم الكرة على الفرنج فهزموهم وأكثروا القتل فيهم ولم ينج إلا الأذفونش فى نفر يسير وكانت هذه الوقعة من أشهر الوقائع بعد الزلاقة وأكثر الشعراء ذكرها فى أشعارهم .

﴿ ذكر استيلاء تتش على حمص وغيرها من ساحل الشام ﴾ لما كان السلطان ببغداد قدم إليه أخوه تاج الدولة تتش من دمشق وقسيم الدولة آقسنقر من حلب وبوزان من الرحبة لما أذن لهم السلطان فى العود إلى بلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان أن يسيرا مع عساكرهما فى خدمة أخيه تاج الدولة حتى يستولى على ما للخليفة المستنصر العلوى بساحل الشام من البلاد ويسيروهم معه إلى مصر ليملكها فساروا أجمعون إلى الشام ونزل على حمص وبها ابن ملاعب صاحبها وكان الضرر به وبأولاده عظيما على المسلمين فحصروا البلد وضيقوا على من به فملكه تاج الدولة وأخذ ابن ملاعب وولديه وسار إلى قلعة عرفة فملكها عنوة وسار إلى قلعة أفامية فملكها أيضا وكان بها خادم للمصرى فنزل بالأمان فأمنه ثم سار إلى طرابلس فنازلها فرأى صاحبها جلال الملك ابن عمار جيشا لا يدفع إلا بحيلة فأرسل إلى الأمراء الذين مع تاج الدولة وأطمعهم ليصلحوا حاله فلم ير فيهم مطمعا وكان من قسيم الدولة آقسنقر وزير له اسمه زرين كمر فراسله ابن عمار فرأى عنده لبنا فأتحفه وأعطاه فسعى مع صاحبه قسيم الدولة فى إصلاح حاله ليدفع عنه وحمل له ثلاثين ألف دينار وتحفا بمثلها وعرض عليه

---

(١) فى المحرم منها كتب المنجم الذى أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعوهم إلى طاعته ، ويذكر فى كتابه أنه المهدى صاحب الزمان الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويهدى الخلق إلى الحق ، فان أطعتم أمنتم من العذاب وإن عدلتم خسف بكم ، فآمنوا بالله وبالإمام المهدى . وفيها ألزم أهل الذمة بلبس الغيار وبشد الزنار ، وكذلك نساؤهم فى الحمامات وغيرها . وفى ذى الحجة عمل السلطان الميلاد فى دجلة ، وأشعلت نيران عظيمة ، وأوقدت شموع كثيرة ، وجمعت المطربات فى السميريات ، وكانت ليلة مشهودة عجيبة جدا ، وقد نظم فيها الشعراء الشعر ، فلما أصبح النهار من هذه الليلة جىء بالخبيث المنجم الذى حرق البصرة وادعى أنه المهدى ، محمولا على جمل ببغداد وجعل يسب الناس والناس يلعنونه ، وعلى رأسه طرطورة بودع ، والدرة تأخذه من كل جانب ، فطافوا به بغداد ثم صلب بعد ذلك . وفيها توفى محمد بن أحمد بن على أبو نصر المروزى ، كان إماما فى القراءات ، وله فيها المصنفات ، وسافر فى ذلك كثيرا ، واتفق له أنه غرق فى البحر فى بعض أسفاره ، فبينما الموج يرفعه ويضعه إذ نظر إلى الشمس قد زالت فنوى الوضوء وانغمس فى الماء ثم صعد فاذا خشبة فركبها وصلى عليها ، ورزقه الله السلامة ببركة امتثاله للأمر ، واجتهاده على العمل ، وعاش بعد ذلك دهرا ، وتوفى فى هذه السنة ، وله نيف وتسعون سنة . وفيها توفى أرتق ابن ألب التركمانى جد الملوك الارتقية الذين هم ملوك ماردين ، كان شهما شجاعا عالى الهمة ، تغلب على بلاد كثيرة . قد ترجمه ابن خلكان وأرخ وفاته بهذه السنة .

Marfat.com

المناشير التى بيده من السلطان بالبلد والتقدم إلى النواب بتلك البلاد بمساعدته والشد معه والتحذير من محاربته فقال آقسنقر لتاج الدولة تنش لا أقاتل من هذه المناشير بيده فأغاظ له تاج الدولة وقال هل أنت إلا تابع لى فقال آقسنقر أنا أتابعك إلا فى معصية السلطان ورحل من الغد عن موضعه فاضطر تاج الدولة إلى للرحيل فرحل غضبان وعاد بوزان أيضا إلى بلاده فانتقض هذا الأمر .

﴿ ذكر ملك السلطان اليمن ﴾ وكان ممن حضر أيضا عند السلطان ببغداد جبق أمير التركمان وهو صاحب قرميسين وغيرها فأمره السلطان أن يسير هو وجماعة من أمراء السلطان كانوا معه إلى الحجاز واليمن ويكون أمرهم إلى سعد الدولة كوهرائين ليفتحوا البلاد هناك فاستعمل عليهم سعد الدولة أميرا اسمه ترشك فساروا حتى وردوا اليمن فاستولوا عليها وأساؤا السيرة فى أهلها ولم يتركوا فاحشة ولاسيئة إلا ارتكبوها وملكوا عدن وظهر على ترشك الجدرى فتوفى فى سابع يوم من وصوله إليها وكان عمره سبعين سنة فعاد أصحابه إلى بغداد وحملوه ودفنوه عند قبر أبى حنيفة رحمة الله عليه .

﴿ ذكر مقتل نظام الملك ﴾ فى هذه السنة عاشر رمضان قتل نظام الملك أبو على الحسن بن على بن إسحق الوزير بالقرب من نهاوند وكان هو والسلطان فى أصبهان وقد عاد إلى بغداد فلما كان بهذا المكان بعد أن فرغ من إنطارة وخرج فى محفته إلى خيمة حرمه أتاه صبى ديلمى من الباطنية فى صورة مستميح أومستغيث فضربه بسكين كانت معه فقضى عليه وهرب فعثر بطنب خيمة فأدركوه فقتلوه وركب السلطان إلى خيمه فسكن عسكره وأصحابه وبقى وزير السلطان ثلاثين سنة سوى ما وزر للسلطان ألب أرسلان صاحب خراسان أيام عمه طغرلبك قبل أن يتولى السلطنة وكانت قد علت سنه فإنه كان مولده سنة ثمان وأربعمائة وكان سبب قتله أن عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك كان قد ولاه جده نظام الملك رياسة مرو وأرسل السلطان إليها شحنة يقال له قودن وهو من أكبر مماليكه ومن أعظم الأمراء فى دولته فجرى بينه وبين عثمان منازعة فى شىء فحملت عثمان حداثة سنه وتمكنه وطمعه بجده على أن قبض عليه وأخرق به ثم أطلقه فقصد السلطان مستغيثا شاكيا فأرسل السلطان إلى نظام الملك رسالة مع تاج الدولة ومجد الملك البلاسانى وغيرهما من أرباب دولته يقول له إن كنت شريكى فى الملك ويدك مع يدى فى السلطنة فلذلك حكم وإن كنت نائبى وبحكمى فيجب أن تلزم حد التبعية والنيابة وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة وولى ولاية كبيرة ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا إلى أن فعلوا كذا وكذا وأطال القول وأرسل معهم الأمير يلبرد وكان من خواصه وثقاته وقال له تعرفنى مايقول فربما كتم هؤلاء شيئا فحضروا عند نظام الملك وأوردوا عليه الرسالة فقال لهم قولوا للسلطان إن كنت ماعلمت أنى شريكك فى الملك فاعلم فإنك مانلت هذا الأمر إلا بتدبيرى ورأيى أما يذكر حين قتل أبوه فقمت بتدبير أمره وقمعت الخوارج عليه من أهله وغيرهم منهم فلان وفلان وذكر جماعة من خرج عليه وهو ذلك الوقت يتمسك بى ويلزمنى ولا يخالفنى فلما قدت الأمور إليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الأمصار القريبة والبعيدة وأطاعه القاصى والدانى أقبل يتجنى لى الذنوب ويسمع فىّ السعايات قولوا له عنى إن ثبات تلك القلنسوة معذوق بهذه الدواة وإن اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة ومتى أطبقت هذه زالت تلك فإن عزم على تغيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه وليأخذ الحذر من الحادث أمام طروقه وأطال فيما هذا سبيله ثم قال لهم قولوا للسلطان عنى مهما أردتم فقد أهمنى مالحقنى من توبيخه وفت فى عضدى فلما خرجوا من عنده

Marfat.com

Marfat.com

اتفقوا على كتمان ماجرى عن السلطان وأن يقولوا له مامضمونه العبودية والتنصل ومضوا إلى منازلهم وكان الليل قد انتصف ومضى يلبرد إلى السلطان فأعلمه ماجرى وبكر الجماعة إلى السلطان وهو ينتظرهم فقالوا له من الاعتذار والعبودية ما كانوا اتفقوا عليه فقال لهم السلطان إنه لم يقل هـذا وإنمـا قال كيت وكيت فأشاروا حينئذ بكتمان ذلك رعاية لحق نظام الملك وسابقته فوقع التدبير عليه حتى تم عليه من القتل ماتم ومات السلطان بعده بخمسة وثلاثين يوما وانحلت الدولة ووقع السيف وكان قول نظام الملك شبه الكرامة له وأكثر الشعراء مراثيه فمن جيد ماقيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية :

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الأيام قيمتها * فردها غيرة منه إلى الصدف

ورأى بعضهم نظام الملك بعد قتله فى المنام فسأله عن حاله فقال كان يعرض على جميع عملى لولا الحديدة التى أصبت بها يعنى القتل .

﴿ ذكر ابتداء حاله وشيء من أخباره ﴾ أما ابتداء حاله فكان من أبناء الدهاقين بطوس فزال ماكان لأبيه من مال وملك وتوفيت أمه وهو رضيع فكان أبوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة حتى شب وتعلم العربية وسر الله فيه يدعوه إلى علو الهمة والاشتغال بالعلم فتفقه وصار فاضلا وسمع الحديث الكثير ثم اشتغل بالأعمال السلطانية ولم يزل الدهر يعلو به ويخفض حضرا وسفرا وكان يطوف بلاد خراسان ووصل إلى غزنة فى صحبة بعض المتصرفين ثم لزم أباعلى بن شاذان متولى الأمور ببلخ لداود والد السلطان ألب أرسلان فحسنت حاله معه وظهرت كفايته وأمانته وصار معروفا عندهم بذلك فلما حضرت أباعلى بن شاذان الوفاة أوصى الملك ألب أرسلان به وعرفه حاله فولاه شغله ثم صار وزيرا له إلى أن ولى السلطنة بعد عمه طغرلبك واستمر على الوزارة لأنه ظهرت منه كفاية عظيمة وآراء سديدة فأدت السلطنة إلى ألب أرسلان فلما توفى ألب أرسلان قام بأمر ابنه ملكشاه وقد تقدم ذكر هذه الجمل مستوفى مشروحا وقيل إن ابتداء أمره أنه كان يكتب الأمير تاجر صاحب بلخ وكان الأمير يصادره فى رأس كل سنة ويأخذ ما معه ويقول له قد سمنت ياحسن ويدفع إليه فرسا ومقرعة ويقول هـذا يكفيك فلما طال ذلك عليه أخفى أولاده فخر الملك ومؤيد الملك وهرب إلى جغرى بك داود والد ألب أرسلان فوقف فرسه فى الطريق فقال اللهم إنى أسألك فرسا تخلصنى عليه فسار غير بعيد فلقيه تركمانى وتحته فرس جواد فقال لنظام الملك انزل عن فرسك فنزل عنه فأخذه التركمانى وأعطاه فرسه فركبه وقال له لاتنسنى ياحسن قال نظام الملك فقويت نفسى بذلك وعلمت أنه ابتداء سعادة فسار نظام الملك إلى مرو ودخل على داود فلما رآه أخذ بيده وسلمه إلى ولده ألب أرسلان وقال له هذا حسن الطوسى فتسلمه واتخذه والدا لاتخالفه وكان الأمير تاجر لما سمع بهرب نظام الملك سار فى أثره إلى مرو فقال لداود هذا كاتبى ونائبى قد أخذ أموالى فقال له داود حديثك مع محمد يعنى ألب أرسلان وكان اسمه محمدا فلم يتجاسر تاجر على خطابه فتركه وعاد . وأما أخباره فإنه كان عالما دينا جوادا عادلا حليما كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت كان مجلسه عامرا بالقراء والفقهاء وأئمة المسلمين وأهـل الخير والصلاح أمر ببناء المدارس فى سائر الأمصار والبلاد وأجرى لها الجرايات العظيمة وأملى الحديث بالبلاذ ببغداد وخراسان وغيرها وكان يقول إنى لست من أهل هذا الشأن لما تولاه ولكنى أحب أن أجعل نفسى على قطار نقله حديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا سمع المؤذن أمسك عن كل ما هو فيه وتجنبه فإذا فرغ لايبدأ بشيء قبل الصلاة وكان إذا غفل المؤذن ودخل الوقت يأمره بالأذان وهذا غاية حال المنقطعين إلى العبادة فى حفظ الأوقات ولزوم الصلوات وأسقط المكوس والضرائب وأزال لعن الأشعرية من المنابر وكان الوزير عميد الملك الكندرى قد حسن للسلطان طغرلبك التقدم بلعن الرافضة فأمره بذلك فأضاف إليهم الأشعرية ولعن الجميع فلهذا فارق كثير من الأئمة بلادهم مثل إمام الحرمين وأبى القاسم القشيرى وغيرهما فلما ولى ألب أرسلان السلطنة أسقط نظام الملك ذلك جميعه وأعاد العلماء إلى أوطانهم وكان نظام الملك إذا دخل عليه الإمام أبو القاسم القشيرى والإمام أبو المعالى الجوينى يقوم لهما ويجلس فى مسنده كما هو وإذا دخل أبوعلى الفارمذى يقوم إليه ويجلسه فى مكانه ويجلس هو بين يديه فقيل له فى ذلك فقال إن هذين وأمثالهما إذا دخلوا على يقولون لى أنت كذا وكذا يثنون على بما ليس فى فيزيدنى كلامهم عجبا وتيها وهذا الشيخ يذكر لى عيوب نفسى وما أنا فيه من الظلم فتنكسر نفسى لذلك وأرجع عن كثير مما أنا فيه وقال نظام الملك كنت أتمنى أن يكون لى قرية خالصة ومسجد أتفرد فيه لعبادة ربى ثم بعد ذلك تمنيت أن يكون لى قطعة أرض أتقوت بريعها ومسجد أعبد الله فيه وأما الآن فأنا أتمنى أن يكون لى رغيف كل يوم ومسجد أعبد الله فيه وقيل كان ليلة يأكل الطعام وبجانبه أخوه أبو القاسم وبالجانب الآخر عميد خراسان وإلى جانب العميد إنسان فقير مقطوع اليد فنظر نظام الملك فرأى العميد يتجنب الأكل مع المقطوع فأمره بالانتقال إلى الجانب الآخر وقرب المقطوع إليه فأكل معه وكانت عادته أن يحضر الفقراء طعامه ويقربهم إليه ويدنيهم وأخباره مشهورة كثيرة قد جمعت لها المجاميع السائرة فى البلاد .

﴿ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته﴾ سار السلطان ملكشاه بعد قتل نظام الملك إلى بغداد ودخلها فى الرابع والعشرين من شهر رمضان ولقيه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير وظهرت من تاج الملك كفاية عظيمة وكان السلطان قد أمر أن تفصل خلع الوزارة لتاج الملك وكان هو الذى سعى بنظام الملك فلما فرغ من الخلع ولم يبق غير لبسها والجلوس فى الدست اتفق أن السلطان خرج إلى الصيد وعاد ثالث شوال مريضا وأنشب الموت أظفاره فيه ولم يمنع عنه سعة ملكه وكثرة عساكره وكان سبب مرضه أنه أكل لحم صيد فحم واقتصد ولم يستوف إخراج الدم فثقل مرضه وكانت حمى محرقة فتوفى ليلة الجمعة النصف من شوال ولما ثقل نقل أرباب دولته أموالهم إلى حريم دار الخلافة ولما توفى سترت زوجته تركان خاتون المعروفة بخاتون الجلالية موته وكتمته وأعادت جعفر بن الخليفة من ابنة السلطان إلى أبيه المقتدى بأمر الله وبارت من بغداد والسلطان معها محمولا وبذلت الأموال للأمراء سرا واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الملك يتولى ذلك لها وأرسلت قوام الدولة كربوقا الذى صار صاحب الموصل إلى أصبهان بخاتم السلطان فاستنزل مستحفظ القلعة وتسلمها وأظهر أن السلطان أمره بذلك ولم يسمع بسلطان مثله لم يصل عليه أحد ولم يلطم عليه وجه وكان مولده سنة سبع وأربعين وأربعمائة وكان من أحسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين إلى آخر الشام ومن أقاصى بلاد الإسلام فى الشمال إلى آخر بلاد اليمن وحمل إليه ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت أيامه على أمن عام وسكون شامل وعدل مطرد ومن أفعاله أنه لما خرج عليه أخوه تكش بخراسان اجتاز بمشهد على بن موسى الرضا بطوس فزاره فلما خرج قال لنظام الملك بأى شىء دعوت قال دعوت الله أن ينصرك فقال

Marfat.com

أما أنا فلم أدع بهذا بل قلت اللهم انصر أصلحنا للمسلمين وأنفعنا للرعية وحكى عنه أن سواديا لقيه وهو يبكى فاستغاث به وقال كنت ابتعت بطيخا بدريهمات لا أملك سواها فغلبنى عليه ثلاثة نفر من الأتراك فأخذوه منى فقال السلطان له اقعد ثم أحضر فراشا وقال قد اشتهيت بطيخا وكان ذلك عند أول استوائه وأمره بطلبه من العسكر فغاب ثم عاد ومعه البطيخ فأمره بإحضار من وجده عنده فأحضره فسأله السلطان من أين لك ذلك البطيخ فقال غلمانى جاؤنى به فأمر أن يجىء بهم إليه فمضى وأمرهم بالهرب وعاد فقال لم أجدهم فقال للسوادى خذ هذا مملوكى قد وهبته لك عوضا عن بطيخك ويحضر الذين أخذوه والله لئن أطلقته لأضربن عنقك فأخذه السوادى فاشترى الغلام نفسه منه بثلثمائة دينار فعاد السوادى إلى السلطان وقال قد بعته نفسه بثلثمائة دينار فقال أرضيت بذلك ، قال نعم ، قال امض مصاحبا للسلامة ، وقال عبد السميع بن داود العباسى شاهدت ملكشاه وقد أتاه رجلان من أرض العراق السفلى من قرية الحدادية يعرفان بابنى غزال فلقياه فوقف لهما فقالا إن مقطعنا الأمير خمارتكين قد صادرنا بألف وستمائة دينار وقد كسر ثنيتى أحدنا وأراهما السلطان وقد قصدناك لتقتص لنا منه فإن أخذت بحقنا كما أوجب الله عليك وإلا فالله يحكم بيننا قال فرأيت السلطان وقد نزل عن دابته وقال ليمسك كل واحد منكما بطرف كمى واسحبانى إلى خواجه حسن يعنى نظام الملك فامتنعا من ذلك واعتذرا فأقسم عليهما إلا فعلا فأخذ كل واحد منهما بكم من كميه ومشى معهما إلى نظام الملك فبلغه الخبر فخرج مسرعا فلقيه وقبل الأرض وقال يا سلطان العالم ماحملك على هذا فقال كيف يكون حالى غداً عند الله إذا طولبت بحقوق المسلمين وقد قلدتك هذا الأمر لتكفينى مثل هذا الموقف فإن نال الرعية أذى فأنت المطالب فانظر لى ولنفسك ، فقبل الأرض ومشى فى خدمته وعاد من وقته وكتب بعزل الأمير خمارتكين عن أقطاعه ورد المال عليهما وأعطاهما مائة دينار من عنده وأمرهما بإثبات البينة أنه قلع ثنيتيه ليقلع ثنيتيه عوضهما فرضيا وانصرفا وقيل إنه ورد بغداد ثلاث دفعات فخافه الناس من غلاء الأسعار وتعدى الجند فكانت الأسعار أرخص منها قبل قدومه وكان الناس يخترقون عساكره ليلا ونهاراً فلا يخافون أحداً ولم يتعد عليهم أحد وأسقط المكوس والمؤن من جميع البلاد وعمر الطرق والقناطر والربط التى فى المفاوز وحفر الأنهار الخراب وعمر الجامع ببغداد وعمل المصانع بطريق مكة وبنى البلد بأصبهان وبنى منارة القرون بالسبيعى بطريق مكة وبنى مثلها بما وراء النهر واصطاد مرة صيداً كثيراً فأمر بعدّه فكان عشرة آلاف رأس فأمر بصدقة عشرة آلاف دينار ،، وقال إننى خائف من الله تعالى كيف أزهقت أرواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة وفرق من الثياب والأموال بين أصحابه مالا يحصى وصار بعد ذلك كلما صاد شيئا تصدق بعدده دنانير وهذا فعل من يحاسب نفسه على حركاته وسكناته وقد أكثر الشعراء مراثيه أيضا وقيل إن بعض أمراء السلطان كان نازلا بهراة مع بعض العلماء اسمه عبد الرحمن فى داره فقال يوما ذلك الأمير للسلطان وهو سكران إن عبد الرحمن يشرب الخمر ويعبد الأصنام من دون الله تعالى ويحلل الحرام فلم يجبه ملكشاه فلما كان الغد صحا ذلك الأمير فأخذ السلطان السيف وقال له أصدقنى عن فلان وإلا قتلتك ، فطلب منه الأمان فأمنه ، فقال إن عبد الرحمن له دار حسناء وزوجة جميلة ، فأردت أن تقتله فأفوز بداره وزوجته فأبعده السلطان وشكر الله تعالى على التوقف عن قبول سعايته وتصدق بأموال جليلة المقدار

﴿ذكر ملك ابنه الملك محمود وما كان من حال ابنه الأكبر بركيارق إلى أن ملك﴾ لما مات السلطان ملكشاه كتمت زوجته تركان خاتون موته كما ذكرناه وأرسلت إلى الأمراء سرا فأرضتهم واستحلفتهم لولدها

Marfat.com

Marfat.com

محمود وعمره أربع سنين وشهور وأرسلت إلى الخليفة المقتدى فى الخطبة لولدها أيضا فأجابها وشرط أن يكون اسم السلطنة لولدها والخطبة له ويكون المدبر لزعامة الجيوش ورعاية البلد هو الأمير أنز ويصدر عن رأى تاج الملك ويكون ترتيب العمال وجباية الأموال إلى تاج الملك أيضا وكان تاج الملك هو الذى يدبر الأمر بين يدى خاتون فلما جاءت رسالة الخليفة إلى خاتون بذلك امتنعت من قبوله فقيل لها إن ولدك صغير ولا يجيز الشرع ولايته وكان المخاطب لها فى ذلك الغزالى فأذعنت له وأجابت إليه فخطب لولدها ولقب ناصر الدنيا والدين وكانت الخطبة يوم الجمعة الثانى والعشرين من شوّال من السنة وخطب له بالحرمين الشريفين ولما مات السلطان ملكشاه أرسلت تركان خاتون إلى أصبهان فى القبض على بركيارق بن السلطان وهو أكبر أولاده خافته أن ينازع ولدها فى السلطنة فقبض عليه ، فلما ظهر موت ملكشاه وثب المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك بأصبهان فأخذوه وثاروا فى البلد وأخرجوا بركيارق من الحبس وخطبوا له بأصبهان وملكوه وكانت والدة بركيارق زبيدة ابنة ياقوتى بن داود وهى ابنة عم ملكشاه خائفة على ولدها من خاتون أم محمود فأتاها الفرج بالمماليك النظامية وسارت تركان خاتون من بغداد إلى أصبهان فطالب العسكر تاج الملك بالأموال فوعدهم فلما وصلوا إلى قلعة برجين صعد إليها لينزل الأموال منها فلما استقر فيها عصى على خاتون ولم ينزل خوفا من العسكر فساروا عنه ونهبوا خزائنه فلم يجدوا بها شيئا فإنه كان قد علم ما جرى فاستظهر وأخفاه ولما وصلت تركان خاتون إلى أصبهان لحقها تاج الملك واعتذر بأن مستحفظ القلعة حبسه وأنه هرب منه إليها فقبلت عذره وأما بركيارق فإنه لما قاربت خاتون وابنها محمود أصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية وساروا نحو الرى فلقيهم أرغش النظامى فى عساكره ومعه جماعة من الأمراء وصاروا يدا واحدة وإنما حمل النظامية على الميل إلى بركيارق كراهتهم لتاج الملك لأنه كان عدوّ نظام الملك والمتهم بقتله فلما اجتمعوا حصروا قلعة طبرك وأخذوها عنوة فسيرت خاتون العساكر إلى قتال بركيارق فالتقى العسكران بالقرب من بروجرد فانحاز جماعة من الأمراء الذين فى عسكر خاتون إلى بركيارق منهم الأمير يلبرد وكمشتكين الجاندار وغيرهما فقوى بهم وجرى الحرب بينهم أواخر ذى الحجة واشتد القتال فانهزم عسكر خاتون وعادوا إلى أصبهان وصار بركيارق فى أثرهم فحصرهم بأصبهان .

﴿ ذكر قتل تاج الملك ﴾ كان تاج الملك مع عسكر خاتون وشهد الوقعة فهرب إلى نواحى بروجرد فأخذ وحمل إلى عسكر بركيارق وهو يحاصر أصبهان ، وكان يعرف كفايته فأراد أن يستوزره فشرع تاج الملك فى إصلاح كبار النظامية وفرق فيهم مائتى ألف دينار سوى العروض فزال ما فى قلوبهم فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه فوضع الغلمان الأصاغر على الاستغاثة وأن لا يقنعوا إلا بقتل قاتل صاحبهم ففعلوا فانفسخ ما دبره تاج الملك وهجم النظامية عليه فقتلوه وفصلوه أجزاء وكان قتله فى المحرم سنة ست وثمانين وحمل إلى بغداد أحد أصابعه وكان كثير الفضائل جم المناقب وإنما غطى جميع محاسنه مبالاته على قتل نظام الملك وهو الذى بنى تربة الشيخ أبى إسحق الشيرازى وعمل المدرسة التى إلى جانبها ورتب بها الشيخ أبا بكر الشاشى وكان عمره حين قتل سبعا وأربعين سنة .

﴿ ذكر ما فعله العرب بالحجاج والكوفة ﴾ سار الحجاج هذه السنة من بغداد فقدموا الكوفة ورحلوا منها فخرجت عليهم خفاجة وقد طمعوا بموت السلطان وبعد العسكر فأوقعوا بهم وقتلوا أكثر الجند الذين

معهم وانهزم باقيهم ونهبوا الحجاج وقصدوا الكوفة فدخلوها وأغاروا عليها وقتلوا فى أهلها فرماهم الناس بالنشاب فخرجوا بعد أن نهبوا وأخذوا ثياب من لقوه من الرجال والنساء فوصل الخبر إلى بغداد فسيرت العساكر منها فلما سمع بهم بنو خفاجة انهزموا فأدركهم العسكر فقتل منهم خلق كثير ونهبت أموالهم وضعفت خفاجة بعد هذه الوقعة .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فيها فى ربيع الأول عاد السلطان من بغداد إلى أصبهان وأخذ معه الأمير أبا الفضل جعفر بن الخليفة المقتدى بأمر الله من ابنة السلطان وتفرق الأمراء إلى بلادهم ثم عاد إلى بغداد فتوفى كما ذكرناه وفيها فى جمادى الأولى احترق نهر المعلى فاحترق عقد الحديد إلى خربة الهراس إلى باب دار الضرب واحترق سوق الصاغة والصيارف والمخلطين والريحانيين وكان الحريق من الظهر إلى العصر فاحترق منها الأمر العظيم فى الزمان القليل واحترق من الناس خلق كثير ثم ركب عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وجمع السقائين ولم يزل راكبا حتى طفئت النار . وفى هذه السنة توفى عبد الباقى بن محمد بن الحسين بن ناقيا الشاعر البغدادى سمع الحديث وكان يتهم بأنه يطعن على الشرائع فلما مات كانت يده مقبوضة فلم يطق الغاسل فتحها فبعد جهد فتحت فإذا فيها مكتوب :

نزلت بجار لايخيب ضيفه * أرجى نجاتى من عذاب جهنم
وإنى على خوفى من الله واثق * بإنعامه والله أكرم منعم

وفيها توفى هبة الله بن عبد الوارث بن على بن أحمد أبو القاسم الشيرازى الحافظ أحد الرحالين فى طلب الحديث شرقا وغربا وقدم الموصل من العراق وهو الذى أظهر سماع الجعديات لأبى محمد الصريفينى ولم يكن يعرف ذلك (١) .

﴿ ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر وزارة عز الملك بن نظام الملك لبركيارق ﴾ كان عز الملك أبو عبد الله الحسين بن نظام الملك مقيما بخوارزم حاكما فيها وفى كل ما يتعلق بها إليه المرجع فى كل أمورها السلطانية فلما كان قبل أن يقتل أبوه حضر عنده خدمة له وللسلطان فقتل أبوه ومات السلطان فأقام بأصبهان إلى الآن فلما حصرها بركيارق وكان أكثر عسكره النظامية خرج من أصبهان هو وغيره من إخوته فلما اتصل ببركيارق احترمه وأكرمه وفوض أمور دولته إليه وجعله وزيرا له .

﴿ ذكر حال تتش بن ألب أرسلان ﴾ كان تتش بن ألب أرسلان صاحب دمشق وما جاورها من بلاد الشام فلما كان قبل موت أخيه السلطان ملكشاه سار من دمشق إليه ببغداد فلما كان بهيت بلغه موته فأخذ هيت واستولى عليها وعاد إلى دمشق يتجهز بطلب السلطنة فجمع العساكر وأخرج الأموال وسار نحو حلب وبها قسيم الدولة آقسنقر فرأى قسيم الدولة اختلاف أولاد صاحبه ملكشاه وصغرهم فعلم أنه لايطيق دفع

---

(١) وفى هذه السنة توفى المرزبان بن خسرو تاج الملك الوزير أبى الغنائم ، بانى التاجية، وكان مدرسها أبو بكر الشاشى وبنى تربة الشيخ أبى إسحاق ، وقد كان السلطان ملكشاه أراد أن يستوزره بعد نظام الملك فمات سريعا فاستوزر ولده محمود فلما قهره أخوه بركيارق قتله غلمان النظام وقطعوه إربا إربا فى ذى الحجة من هذه السنة .

Marfat.com

تتش فصالحه وصار معه وأرسل إلى باغى سيان صاحب أنطاكية والى بوزان صاحب الرها وحران يشير عليهما بطاعه تاج الدولة تتش حتى يروا ما يكون من أولاد ملكشاه ففعلوا وصاروا معه وخطبوا له فى بلادهم وقصدوا الرحبة فحصروها وملكوها فى المحرم من هذه السنة وخطب لنفسه بالسلطنة ثم ساروا إلى نصيبين فحصروها فسب أهلها تاج الدولة ففتحها عنوة وقهرا وقتل من أهلها خلقا كثيرا ونهبت الأموال وفعل فيها الأفعال القبيحة ، ثم سلمها إلى الأمير محمد بن شرف الدولة العقيلى وسار يريد الموصل وأتاه الكافى بن فخر الدولة بن جهير وكان فى جزيرة ابن عمر فأكرمه واستوزره .

﴿ذكر وقعة المضيع وأخذ الموصل من العرب﴾ كان إبراهيم بن قريش بن بدران أمير بنى عقيل قد استدعاه السلطان ملكشاه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ليحاسبه فلما حضر عنده اعتقله وأنفذ فخر الدولة بن جهير إلى البلاد فملك الموصل وغيرها وبقى إبراهيم مع ملكشاه وسار معه الى سمرقند وعاد إلى بغداد فلما مات ملكشاه أطلقته تركان خاتون من الاعتقال فسار إلى الموصل ، وكان ملكشاه قد أقطع عمته صفية مدينة بلد وكانت زوجة شرف الدولة ولها منه ابنها على وكانت قد تزوجت بعد شرف الدولة بأخيه ابراهيم ، فلما مات ملكشاه قصدت الموصل ومعها ابنها على فقصدها محمد بن شرف الدولة وأراد أخذ الموصل فافترقت العرب فرقتين فرقة معه وأخرى مع صفية وابنها على واقتتلوا بالموصل عند الكناسة فظفر على وانهزم محمد وملك على الموصل فلما وصل إبراهيم إلى جهينة وبينه وبين الموصل أربعة فراسخ سمع أن الأمير على بن أخيه شرف الدولة قد ملكها ومعه أمه صفية عمة ملكشاه فأقام مكانه وراسل صفية خاتون وترددت الرسل فسلمت البلد إليه فأقام به فلما ملك تتش نصيبين أرسل إليه يأمره أن يخطب له بالسلطنة ويعطيه طريقا إلى بغداد لينحدر ويطلب الخطبة بالسلطنة فامتنع ابراهيم من ذلك فسار تتش إليه وتقدم إبراهيم أيضا نحوه فالتقوا بالمضيع من أعمال الموصل فى ربيع الأول وكان إبراهيم فى ثلاثين ألفا وكان تتش فى عشرة آلاف وكان آقسنقر على ميمنته وبوزان على ميسرته فحمل العرب على بوزان فانهزم وحمل آقسنقر على العرب فهزمهم وتمت الهزيمة على إبراهيم والعرب وأخذ إبراهيم أسيراً وجماعة من أمراء العرب فقتلوا صبراً ونهبت أموال العرب ومواشيهم من الإبل والغنم والخيل وغير ذلك وقتل كثير من نساء العرب أنفسهن خوفا من السبى والفضيحة وملك تتش بلادهم الموصل وغيرها واستناب بها على بن شرف الدولة مسلم وأمه صفية عمة تتش وأرسل إلى بغداد يطلب الخطبة وساعده كوهرائين على ذلك فقيل لرسوله أنا أنتظر وصول الرسل من العسكر فعاد إلى تتش بالجواب .

﴿ذكر ملك تتش ديار بكر وأذربيجان وعوده إلى الشام﴾ فلما فرغ تاج الدولة تتش من أمر العرب وملك الموصل وغيرها من بلادهم سار إلى ديار بكر فى ربيع الآخر فملك ميافارقين وسائر ديار بكر من ابن مروان وسار منها إلى أذربيجان فانتهى خبره إلى ابن أخيه ركن الدين بركيارق وكان قد استولى على كثير من البلاد منها الرى وهمذان وما بينهما فلما تحقق الحال سار فى عساكره ليمنع عمه عن البلاد فلما تقارب العسكران قال قسيم الدولة آقسنقر لبوزان إنما أطعنا هذا الرجل لننظر ما يكون من أولاد صاحبنا والآن فقد ظهر ابنه ونريد نكون معه فاتفقا على ذلك وفارقا تتش وصارا مع بركيارق فلما رأى تاج الدولة تتش ذلك علم أنه لا قوة له بهم فعاد إلى الشام واستقامت البلاد لبركيارق فلما قوى أمره سار كوهرائين إلى العسكر يعتذر من مساعدته لتاج الدولة تتش وأعانه برسق وتعصب عليه كمشتكين الجاندار فأخذ أقطاعه وأعطى الأمير يلبرد

Marfat.com

زيادة وولى شحنكية بغداد عوض كوهرائين وتفرق عن كوهرائين أصحابه فكان مايأتى ذكره إن شاء الله تعالى

﴿ ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها ﴾ فى هذه السنة فى جمادى الآخرة ملك عسكر المستنصر بالله العلوى صاحب مصر مدينة صور وسبب ذلك ما ذكرناه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة أن أمير الجيوش بدرا وزير المستنصر سير العساكر إلى مدينة صور وغيرها من ساحل الشام وكان من بها قد امتنع من طاعتهم فملكها وقرر أمورها وجعل فيها الأمراء وكان قد ولى مدينة صور الأمير يعرف بمنير الدولة الجيوشى فعصى على المستنصر وأمير الجيوش وامتنع بصور فسيرت العساكر من مصر إليه وكان أهل صور قد أنكروا على منير الدولة عصيانه على سلطانه فلما وصل العسكر المصرى إلى صور وحصروها وقاتلوها ثار أهلها ونادوا بشعار المستنصر وأمير الجيوش وسلموا البلد وهجم العسكر المصرى بغير مانع ولا مدافع ونهب من البلد شىء كثير وأسر منير الدولة ومن معه من أصحابه وحملوا إلى مصر وقطع على أهل البلد ستون ألف دينار فأجحفت بهم ولما وصل منير الدولة إلى مصر ومعه الأسرى قتلوا جميعهم ولم يعف عن واحد منهم .

﴿ ذكر قتل اسمعيل بن ياقوتى خال بركيارق ﴾ فى هذه السنة فى شعبان قتل اسمعيل بن ياقوتى بن داود وهو خال بركيارق وابن عم ملكشاه وسبب قتله انه كان بأذربيجان أميرا عليها فأرسلت إليه تركان خاتون زوجة ملكشاه تطمعه أن تتزوج به وتدعوه إلى محاربة بركيارق فأجابها إلى ذلك وجمع خلقا كثيرا من التركمان وغيرهم وصار أصحاب سرهنك ساوتكين فى خيله وأرسلت إليه تركان خاتون كربوقا وغيره من الأمراء فى عسكر كثير مددا له فجمع بركيارق عساكره وسار إلى حرب خاله اسمعيل فالتقوا عند الكرج فانحاز الأمير يلبرد إلى بركيارق وصار معه فانهزم إسمعيل وعسكره وتوجه إلى أصبهان فأكرمته تركان خاتون وخطبت له وضربت اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملكشاه وكاد الأمر فى الوصلة يتم بينهما فامتنع الأمراء من ذلك لاسيما الأمير أنز وهو مدبر الأمر وصاحب الجيش وآثروا خروج إسمعيل عنهم وخافوه وخاف هو أيضا منهم ففارقهم وراسل أخته زبيدة والدة بركيارق فى اللحاق بهم فأذنت له فى ذلك فوصل إليهم وأقام عندهم أياما يسيرة فخلا به كمشتكين الجاندار وآقسنقر وبوزان وبسطوه فى القول فأطلعهم على سره .وأنه يريد السلطنة وقتل بركيارق فوثبوا عليه فقتلوه وأعلموا أخته خبره فسكتت عنه .

﴿ ذكر أخذ الحجاج ﴾ فى هذه السنة انقطع الحج من العراق لأسباب أوجبت ذلك وسار الحاج من دمشق مع أمير أقامه تاج الدولة تتش صاحبها فلما قضوا حجهم عادوا سائرين سير أمير مكة وهو محمد بن أبى هاشم عسكرا فلحقوهم بالقرب من مكة ونهبوا كثيرا من أموالهم وجمالهم فعادوا إليها ولقوه وسألوه أن يعيد عليهم ماأخذ منهم وشكوا إليه بعد ديارهم فأعاد بعض ماأخذ منهم فلما أيسوا منه ساروا من مكة عائدين على أقبح صورة فلما أبعدوا عنها ظهر عليهم جموع من العرب فى عدة جهات فصانعوهم على مال أخذوه من الحاج بعد أن قتل منهم جماعة وافرة وهلك فيه بالضعف والانقطاع وعاد السالم على أقبح صورة .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة فى جمادى الأولى قدم إلى بغداد اردشيرين بن منصور أبو الحسين الواعظ العبادى وأكثر الوعظ بالمدرسة النظامية وهو مروزى وقدم بغداد قاصدا الحج وكان له قبول عظيم بحيث أن الغزالى وغيره من الأئمة ومشايخ الصوفية الكبار يحضرون مجلسه وذرع فى بعض المجالس الأرض التى فيها الرجال فكان طولها مائة وخمسة وسبعين ذراعا وعرضها مائة وعشرون ذراعا وكانوا يزدحمون

Marfat.com

ازدحاما كثيرا وكان النساء أكثر من ذلك وكان له كرامات ظاهرة وعبادات كثيرة ، وكان سبب منعه من الوعظ أنه نهى أن يتعامل الناس ببيع القراضة بالصحيح وقال هو رباً فمنع من الوعظ وأخرج من البلد . وفيها وقعت الفتنة ببغداد بين العامة وقصد كل فريق الفريق الآخر وقطعوا الطرقات بالجانب الغربى وقتل أهل النصرية مصلحيا فأرسل كوهرائين أحرقها واتصلت الفتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة وكان للعميد الأغرابى المحاسن الدهستانى فى إطفاء هذه الفتنة أثر حسن . وفيها فى شعبان سار سيف الدولة صدقة بن مزيد إلى السلطان بركيارق فلقيه بنصيبين وسار معه إلى بغداد على الموصل فوصلها فى ذى القعدة ومعه وزيره عز الملك بن نظام الملك وخرج عميد الدولة والناس إلى لقائه من عقرقوف . وفيها ولد للمستظهر بالله ولد سمى الفضل وكنى أبا منصور ولقب عمدة الدين وهو المسترشد بالله . وفيها فى رمضان قتل الأمير يلبرد قتله بركيارق وكان من الأمراء الكبار مع أبيه فزاده بركيارق أقطاع كوهرائين وشحنكية بغداد فلما وصل إلى دقوقا أعيد منها لأنه تكلم فيما يتعلق بوالدة السلطان بركيارق بكلام شنيع فلما وصل إليه أصبح مقتولا . وفيها فى المحرم توفى على بن أحمد بن يوسف أبو الحسن القرشى الهكارى المعروف بشيخ الإسلام وكان فاضلا عابدا كثير السماع إلا أن الغرائب فى حديثه كثيرة لا يدرى ماسببها والأمير أبو نصر على بن هبة الله بن على بن جعفر العجلى المعروف بابن ماكولا مصنف كتاب الإكمال قتله غلمانه الأتراك بكرمان ومولده سنة اثنتين وأربعمائة وكان حافظا . وفيها فى صفر توفى أبو محمد عامر الضرير وكان فقيها شافعيا مقرئا نحويا وكان يصلى فى رمضان بالإمام المقتدى بأمر الله وفى جمادى الأولى توفى الأمير أبو الفضل جعفر بن المقتدى وأمه ابنة السلطان ملكشاه ومولده فى ذى القعدة سنة ثمانين وإليه تنسب الجعفريات . وفى رجب توفى الشيخ أبو سعد عبد الواحد ابن أحمد بن المحسن الوكيل بالمخزن وكان فقيها شافعيا كثير الإحسان إلى أهل العلم وكان محمودا فى ولايته وفيها توفى كمال الملك الدهستانى الذى كان عميد بغداد . وفى رمضان توفى المشطب بن محمد الحنفى بالكحيل من أرض الموصل وكان الخليفة قد أرسله إلى بركيارق وكان بالموصل ومعه تاج الرؤساء أبو نصر بن الموصلايا وكان شيخا كبيرا عالما مكرما عند الملوك وحمل إلى العراق ودفن عند أبى حنيفة . وفيه توفى القاضى أبو على يعقوب بن إبراهيم المرزبانى قاضى باب الأزج وولى مكانه القاضى أبو المعالى عزيزى وكان أبو المعالى شافعيا أشعريا مغاليا وله مع أهل باب الأزج أقاصيص وحكايات عجيبة . وفيها توفى نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل أبو الليث وأبو الفتح التنكتى له كنيتان سافر البلاد شرقا وغربا روى صحيح مسلم وغيره وكان ثقة ومولده سنة ست وأربعمائة . وفى ذى الحجة منها توفى أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن على الحنبلى الفقيه وكان وافر العلم غزير الدين حسن الوعظ والسمت . (١)

---

(١) وفيها توفى سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان ، أبو مسعود الأصبهانى ، سمع الكثير وصنف وخرج على الصحيحين ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث ، سمع ابن مردويه وأبا نعيم والبرقانى ، وكتب عن الخطيب وغيره ، توفى فى ذى القعدة عن تسع وثمانين سنة . وفيها توفى عبد الواحد بن أحمد بن المحسن الدشكرى ، أبو سعد الفقيه الشافعى ، صحب أبا إسحاق الشيرازى ، وروى الحديث ، وكان مؤلفا لأهل العلم ، وكان يقول : مامشى قدمى هاتين فى لذة قط ، توفى فى رجب منها ودفن بباب حرب .

Marfat.com

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر الخطبة للسلطان بركيارق ﴾ فى هـذه السنة يوم الجمعة رابع عشر المحرم خطب ببغداد للسلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قدمها أواخر سنة ست وثمانين وأرسل إلى الخليفة المقتدى بأمر الله يطلب الخطبة فأجيب إلى ذلك وخطب له ولقب ركن الدين وحمل الوزير عميد الدولة بن جهير الخلع إلى بركيارق فلبسها وعرض التقليد على الخليفة ليعلم عليه فعلم فيه ، وتوفى فجأة على ما نذكره إن شاء الله تعالى وولى ابنه الإمام المستظهر بالله الخلافة فأرسل الخلع والتقليد إلى السلطان بركيارق فأقام ببغداد إلى ربيع الأول من السنة وسار عنها إلى الموصل .

﴿ ذكر وفاة المقتدى بأمر الله ﴾ فى هـذه السنة يوم السبت خامس عشر المحرم توفى الإمام المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبدالله بن الذخيرة بن القائم بأمر الله أمير المؤمنين فجأة وكان قد أحضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم فيه فقرأه وتدبره وعلم فيه ثم قدم إليه طعام فأكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس النهار فقال لها ماهذه الأشخاص التى دخلت علىّ بغير إذن قالت فالتفت فلم أرشيئا ورأيته قدتغيرت حالته واسترخت يداه ورجلاه وانحلت قوته وسقط إلى الأرض فظننتها غشية قد لحقته فحللت أزرار ثوبه فوجدته قد ظهرت عليه أمارات الموت ومات لوقته قالت فتماسكت وقلت لجارية عندى ليس هـذا وقت إظهار الجزع والبكاء فإن صحت قتلتك وأحضرت الوزير فأعلمته الحال فشرعوا فى البيعة لولى العهد وجهزوا المقتدى وصلى عليه ابنه المستظهر بالله ودفنوه وكان عمره ثمانا وثلاثين سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام وكانت خلافته تسع عشر سنة وثمانية أشهر غير يومين وأمه أم ولد أرمنية تسمى أرجوان وتدعى قرة العين أدركت خلافته وخلافة ابنة المستظهر بالله وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله ووزر له فخر الدولة أبو نصر بن جهير ثم أبو شجاع ثم عميد الدولة أبو منصور بن جهير وقضاته أبو عبدالله الدامغانى ثم أبو بكر الشامى وكانت أيامه كثيرة الخير واسعة الرزق وعظمت الخلافة أكثر مما كان من قبله وانعمرت ببغداد عدة محال فى خلافته منها البصلية والقطيعة والحلبة والمقتدية والأجمة ودرب القيار وخربة بن جردة وخربة الهراس والخانونيتين وأمر بنفى المغنيات والمفسدات من بغداد وبيع دورهن فنفين ومنع الناس أن يدخل أحد الحمام الا بمئزر وقلع الهرادى والأبراج التى للطيور ومنع من اللعب بها لأجل الإطلاع على حرم الناس ومنع من إجراء ماء الحمامات إلى دجلة وألزم أربابها بحفر آبار للمياه وأمر أن من يغسل السمك المالح يعبر إلى النجمى فيغسله هناك ومنع الملاحين أن يحملوا الرجال والنساء مجتمعين وكان قوى النفس عظيم الهمة من رجال بنى العباس .

﴿ ذكر خلافة المستظهر بالله ﴾ لما توفى المقتدى بأمر الله أحضر ولده أبو العباس أحمد المستظهر بالله وأعلم بموته وحضر الوزير فبايعه وركب إلى السلطان بركيارق فأعلمه الحال وأخذ بيعته للمستظهر بالله ، فلما كان اليوم الثالث من موت المقتدى أظهر ذلك وحضر عز الملك بن نظام الملك وزير بركيارق وأخوه بهاء الملك وأمراء السلطان وجميع أرباب المناصب النقيبان طراد العباسى والمعمر العلوى فى أصحابهما وقاضى القضاة والغزالى والشاشى وغيرهما من العلماء فجلسوا فى العزاء وبايعوا وكان للمستظهر بالله لما بويع ست عشرة سنة وشهران

﴿ ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك تتش حلب والجزيرة وديار بكر وأذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداد ﴾

Marfat.com

فى هذه السنة فى جمادى الأولى قتل قسيم الدولة آقسنقر جد ملوكنا بالموصل الآن أولاد الشهيد زنكى بن آقسنقر وسبب قتله أن تاج الدولة تتش لما عاد من أذربيجان منهزما لم يزل يجمع العساكر فكثرت جموعه وعظم حشده فسار فى هذا التاريخ عن دمشق نحو حلب ليطلب السلطنة فاجتمع قسيم الدولة آقسنقر وبوزان وأمدهما ركن الدين بركيارق بالأمير كربوقا الذى صار بعد صاحب الموصل فلما اجتمعوا ساروا إلى طريقه فلقوه عند نهر سبعين قريبا من تل السلطان بينه وبين حلب ستة فراسخ واقتتلوا واشتد القتال فخامر بعض العسكر الذين مع آقسنقر فانهزموا وتبعهم الباقون فتمت الهزيمة وثبت آقسنقر فأخذ أسيراً وأحضر عند تتش فقال له لو ظفرت بى ما كنت صنعت قال كنت أقتلك فقال له أنا أحكم عليك بما تحكم على فقتله صبراً وسار نحو حلب وكان قد دخل إليها كربوقا وبوزان فحفظاها منه وحصرها تتش ولج فى قتالها حتى ملكها سلمها إليه المقيم بقلعة الشريف ، ومنها دخل البلد وأخذهما أسيرين وأرسل إلى حران والرها يسلمهما من بهما وكانتا لبوزان فامتنعوا من التسليم إليه فقتل بوزان وأرسل رأسه إليهم وتسلم البلدين وأما كربوقا فإنه أرسله إلى حمص فسجنه بها إلى أن أخرجه الملك رضوان بعد قتل أبيه تتش وكان قسيم الدولة أحسن الأمراء سياسة لرعيته وحفظا لهم وكانت بلاده بين رخص عام وعدل شامل وأمن واسع وكان قد شرط على أهل كل قرية من بلاده متى أخذ عندهم قفل أو أحد من الناس غرم أهلها جميع ما يؤخذ من الأموال من قليل وكثير فكانت السيارة إذا بلغوا قرية من بلاده ألقوا رحالهم وناموا وحرسهم أهل القرية إلى أن يرحلوا فأمنت الطرق وأما وفاؤه وحسن عهده فيكفيه فخراً أنه قتل فى حفظ بيت صاحبه وولى نعمته فلما ملك تتش حران والرها سار إلى الديار الجزرية فملكها جميعها ثم ملك ديار بكر وخلاط وسار إلى أذربيجان فملك بلادها كلها ثم سار منها إلى همذان فملكها ورأى بها فخر الملك بن نظام الملك وكان بخراسان فسار منها إلى السلطان بركيارق ليخدمه فوقع عليه الأمير فماج وهو من عسكر محمود بن السلطان ملكشاه بأصبهان فنهب فخر الملك فهرب منه ونجا بنفسه فجاء إلى همذان فصادفه تتش بها فأراد قتله فشفع فيه باغيسيان وأشار عليه أن يستوزره لميل الناس إلى بيته فاستوزره وأرسل إلى بغداد يطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله وكان شحنته ببغداد أيتكين جب فلازم الخدمة بالديوان وألح فى طلبها فأجيب إلى ذلك بعد أن سمعوا أن بركيارق قد انهزم من عسكر عمه تتش على ما نذكره .

﴿ذكر انهزام بركيارق من عمه تتش وملكه أصبهان بعد ذلك﴾ فى هذه السنة فى شوال انهزم بركيارق من عسكر عمه تتش وكان بركيارق بنصيبين فلما سمع بمسير عمه إلى أذربيجان سار هو من نصيبين وعبر دجلة من بلد من فوق الموصل وسار إلى إربل ومنها إلى بلد سرخاب بن بدر إلى أن بقى بينه وبين عمه تسعة فراسخ ولم يكن معه غير ألف رجل وكان عمه فى خمسين ألف رجل فسار الأمير يعقوب بن آبق من عسكر عمه فكبسه وهزمه ونهب سواده ولم يبق معه إلا برسق وكشتكين الجاندار واليارق وهم من الأمراء الكبار فسار إلى أصبهان وكانت خاتون أم أخيه محمود قدمات على ما نذكره فمنعه من بها من الدخول إليها ثم أذنوا له خديعة منهم ليقبضوا عليه فلما قاربها خرج أخوه الملك محمود فلقيه ودخل البلد واحتاطوا عليه فاتفق أن أخاه محمودا حم وجدر فأراد الأمراء أن يكحلوا بركيارق فقال لهم أمين الدولة بن التلميذ الطبيب إن الملك محمودا قد جدر وما كانه يسلم منه وأراكم تكرهون أن يليكم ويملك البلاد تاج الدولة فلا تعجلوا على بركيارق فإن مات محمود أقيموه ملكا وإن سلم محمود فأنتم تقدرون على كحله فمات محمود سلخ شوال فكان هذا من الفرج بعد الشدة

Marfat.com

وجلس بركيارق للعزاء بأخيه وكان مولد محمود فى صفر سنة ثمانين وأربعمائة وقصده مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره فى ذى الحجة وكان أخوه عز الملك بن نظام الملك قد مات لما كان مع بركيارق بالموصل وحمل إلى بغداد فدفن بالنظامية وكان أصبح الناس وجها وأحسنهم خلقا وسيرة وكان قد أجرى الناس على ما بأيديهم من توقيعات أبيه فى الإطلاقات من خاصه منها ببغداد مائتا كرّ غلة وثمانية عشر ألف دينار أميرى ثم إن بركيارق جدر بعد أخيه وعوفى وسلم فلما عوفى كاتب مؤيد الملك وزيره الأمراء العراقيين والخراسانيين واستمالهم فعادوا كلهم إلى بركيارق فعظم شأنه وكثر عسكره .

﴿ ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر ﴾ فى هذه السنة فى ذى القعدة توفى أمير الجيوش بدر الجمالى صاحب الجيش بمصر وقد جاوز ثمانين سنة وكان هو الحاكم فى دولة المستنصر والمرجوع إليه وكان قد استعمله على الشام سنة خمس وخمسين وأربعمائة وجرى بينه وبين الرعية والجند بدمشق ما خاف على نفسه فخرج عنها هاربا وجمع وحشد وقدم إلى الشام فاستولى عليه بأسره سنة ست وخمسين ثم خالفه أهل دمشق مرة أخرى فهرب منهم سنة ستين وخرب العامة والجند قصر الإمارة ثم مضى أمير الجيوش إلى مصر وتقدّم بها وصار صاحب الأمر قال علقمة بن عبد الرزاق العليمى قصدت بدرا الجمالى بمصر فرأيت أشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم على بابه قد طال مقامهم ولم يصلوا إليه قال فبينا أنا كذلك إذ خرج بدر يريد الصيد فخرج علقمة فى أثره وأقام إلى أن رجع من صيده فلما قاربه وقف على نشز من الأرض وأومأ برقعة فى يده وأنشأ يقول :

نحن التجار وهذه أعلاقنا ٭ در وجود يمينك المبتاع
قلب وفتشها بسمعك إنما ٭ هى جوهر يختاره الأسماع
كسدت علينا بالشآم وكلما ٭ قل النفاق تعطل الصناع
فأتاك يحملها إليك تجارها ٭ ومطيها الآمال والأطماع
حتى أناخوها ببابك والرجا ٭ من دونك السمسار والبياع
فوهبت مالم يعطه فى دهره ٭ هرم ولا كعب ولا القعقاع
وسبقت هذا الناس فى طلب العلا ٭ فالناس بعدك كلهم أتباع
يابدر أقسم لو بك اعتصم الورى ٭ ولجوا إليك جميعهم ماضاعوا

وكان على يد بدر بازى فألقاه وانفرد عن الجيش وجعل يسترد الأبيات وهو ينشدها إلى أن استقر فى مجلسه ثم قال لجماعة غلمانه وخاصته من أحبنى فليخلع على هذا الشاعر فخرج من عنده ومعه سبعون بغلا يحمل الخلع والتحف وأمر له بعشرة آلاف درهم فخرج من عنده وفرق كثيرا من ذلك على الشعراء ولما مات بدر قام بما كان إليه ابنه الأفضل .

﴿ ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلى ﴾ فى هذه السنة ثامن عشر ذى الحجة توفى المستنصر بالله أبو تميم معد بن أبى الحسن على الظاهر لإعزاز دين الله العلوى صاحب مصر والشام وكانت خلافته ستين سنة وأربعة أشهر وكان عمره سبعا وستين سنة وهو الذى خطب له البساسيرى فى بغداد وقد ذكرنا ذلك وكان الحسن بن الصباح رئيس هذه الطائفة الإسماعيلية قد قصده فى زى تاجر واجتمع به وخاطبه فى إقامة الدعوة له ببلاد العجم فعاد ودعا الناس إليه سرا ثم أظهرها وملك القلاع كما ذكرناه وقال للمستنصر من إمامى بعدك

Marfat.com

فقال ابنى نزار وهو أكبر أولاده والإسماعيلية إلى يومنا هذا يقولون بإمامة نزار ولقى المستنصر شدائد وأهوالا وانفتقت عليه الفتوق بديار مصر أخرج فيها أمواله وذخائره إلى أن بقى لا يملك غير سجادته التى يجلس عليها وهو مع هذا صابر غير خاشع وقد أتينا على ذكر هذا سنة سبع وستين وأربعمائة وغيرها، ولما مات ولى بعده ابنه أبو القاسم أحمد المستعلى بالله وهو ولده فى المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة وكان قد عهد فى حياته بالخلافة لابنه فخلعه الأفضل وبايع المستعلى بالله وسبب خلعه أن الأفضل ركب مرة أيام المستنصر ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكبا ونزار خارج والمجاز مظلم فلم يره الأفضل فصاح به نزار انزل يا أرمنى كلب عن الفرس ما أقل أدبك فحقدها عليه فلما مات المستنصر خلعه خوفا منه على نفسه وبايع المستعلى فهرب نزار إلى الإسكندرية وبها ناصر الدولة أفتكين فبايعه أهل الإسكندرية وسموه المصطفى لدين الله فخطب الناس ولعن الأفضل وأعانه أيضاً القاضى جلال الدولة بن عمار قاضى الإسكندرية فسار إليه الأفضل وحاصره بالإسكندرية فعاد عنه مقهوراً ثم ازداد عسكراً وسار إليه فحصره وأخذه وأخذ أفتكين فقتله وتسلم المستعلى نزاراً فبنى عليه حائطا فمات وقتل القاضى جلال الدولة بن عمار ومن أعانه.

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى ربيع الآخر رأى بعض اليهود بالغرب رؤيا أنهم سيطيرون فأخبر اليهود بذلك فوهبوا أموالهم وذخائرهم وجعلوا ينتظرون الطيران فلم يطيروا وصاروا ضحكة بين الأمم، وفى هذا الشهر كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة يطول مكثها إلا أنها لم يكن الهدم كثيراً. وفيها كانت الفتنة بين أهل نهر طابق وأهل باب الأرجا فاحترقت نهر طابق وصارت تلولا فلما احترقت عبر يمن صاحب الشرطة فقتل رجلا مستوراً فنفر الناس منه وعزل فى اليوم الثالث. وفيها توفى محمد بن أبى هاشم الحسينى أمير مكة وقد جاوز سبعين سنة ولم يكن له ما يمدح به وكان قد نهب بعض الحجاج سنة ست وثمانين وقتل منهم خلقا كثيراً. وفيها فى ربيع الأول قتل السلطان بركيارق عمه تكش وغرقه وقتل ولده معه وكان ملكشاه قد أخذه لما خرج عليه وكحله وحبسه بقلعة تكريت فلما ملك بركيارق أحضره إليه ببغداد وسار بمسيره فظفر بملطمات إليه من أخيه تتش يحثه على اللحاق به وقيل إنه أراد المسير إلى بلخ لأن أهلها كانوا يريدونه فقتله فلما غرق بقى بسر من رأى فحمل إلى بغداد فدفن عند قبر أبى حنيفة. وفيها فى جمادى الآخرة كانت وقعة بين الأمير أنز وتورانشاه ابن قاورت بك وكانت تركان خاتون الجلالية والدة محمود بن ملكشاه قد أرسلته فى عسكر ليأخذ بلاد فارس من تورانشاه ولم يحسن الأمير أنز تدبير بلاد فارس فاستوحش منه الأجناد واجتمعوا مع تورانشاه وهزموا أنز ومات تورانشاه بعد الكسرة بشهر من سهم أصابه فيها. وفيها استولى اصبهبذ بن ساوتكين على مكة حرسها الله عنوة وهرب منها الأمير قاسم بن أبى هاشم العلوى صاحبها وأقام بها إلى شوال وجمع الأمير قاسم وكبسه بعسفان وجرى بينهما حرب فى شوال من هذه السنة فانهزم أصبهبذ ودخل قاسم إلى مكة ومضى أصبهبذ إلى الشام وقدم إلى بغداد. وفيها فى رجب أحرق شحنة بغداد وهو أيتكين جب باب البصرة وسبب ذلك أن النقيب طراد الزينبى كان له كاتب يعرف بابن سنان فقتل فأنفذ النقيب إلى الشحنة يستدعى منه من يقيم السياسة فأنفذ حاجبه محمداً فرجمه أهل باب البصرة وأدموه فرجع إلى صاحبه فشكا إليه منهم فأمر أخاه بقصدهم ومعاقبتهم على فعلهم فسار إليهم فى جماعة كثيرة وتبعهم أهل الكرخ فأحرقوا ونهبوا فأرسل الخليفة إلى الشحنة يأمره بالكف عنهم فكف. وفيها فى رمضان توفيت تركان خاتون الجلالية بأصبهان وهى ابنة طغاج خان وهو من

Marfat.com

نسل فراسياب التركى وكانت قد برزت من أصبهان لتسير إلى تاج الدولة تتش لتتصل به فمرضت وعادت وماتت وأوصت إلى الأمير أنز وإلى الأمير سرمز شحنة أصبهان بحفظ المملكة على ابنها محمود ولم يكن بقى بيدها سوى قصبة أصبهان ومعها عشرة آلاف فارس أتراك . وفيها فى ذى القعدة توفى أبو الحسين بن الموصلايا كاتب ديوان الزمام ببغداد .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر دخول جمع من الترك إفريقية وما كان منهم﴾ فى هذه السنة غدر شاهملك التركى بيحيى بن تميم ابن المعز بن باديس وقبض عليه وكان هذا شاهملك من أولاد بعض الأمراء الأتراك ببلاد الشرق فناله فى بلده أمر اقتضى خروجه منه فسار إلى مصر فى مائة فارس فأكرمه الأفضل أمير الجيوش وأعطاه أقطاعا ومالا ثم بلغه عنه أسباب أوجبت إخراجه من مصر فخرج هو وأصحابه هاربين فاحتالوا حتى أخذوا سلاحا وخيلا وتوجهوا إلى المغرب فوصلوا إلى طرابلس الغرب وأهل البلد كارهون لواليها فأدخلوهم البلد وأخرجوا الوالى وصار شاهملك أمير البلد فسمع تميم الخبر فأرسل العساكر إليها فحصروها وضيقوا على الترك ففتحوها ووصل شاهملك معهم إلى المهدية فسر به تميم وبمن معه وقال ولد لى مائة ولد انتفع بهم وكانوا لا يخطىء لهم سهم فلم تطل الأيام حتى جرى منهم أمر غير تميما عليهم فلم شاهملك ذلك وكان داهيا خبيثا فخرج يحيى بن تميم إلى الصيد فى جماعة من أعيان أصحابه نحو مائة فارس ومعه شاهملك وكان أبوه تميم قد تقدم إليه أن لا يقرب شاهملك فلم يقبل فلما أبعدوا فى طلب الصيد غدر به شاهملك فقبض عليه وسار به وبمن أخذ معه من أصحاب إلى مدينة سفاقس وبلغ الخبر تميما فركب وسير العساكر فى أثرهم فلم يدركوهم ووصل شاهملك بيحيى بن تميم إلى سفاقس فركب صاحبها واسمه حمو وكان قد خالف على تميم ولقى يحيى ومشى فى ركابه راجلا وقبل يده وعظمه واعترف له بالعبودية فأقام عنده أياما ولم يذكره أبوه بكلمة وكان قد جعله ولى عهده فلما أخذ أقام أبوه مقامه ابنا له آخر اسمه مثنى ثم إن صاحب سفاقس خاف يحيى على نفسه أن يثور معه الجند وأهل البلد ويملكوه عليهم فأرسل إلى تميم كتابا يسأله فى إنفاذ الأتراك وأولادهم إليه ليرسل ابنه يحيى ففعل ذلك بعد امتناع وقدم يحيى فحجبه أبوه عنه مدة ثم أعاده إلى حاله ورضى عنه ثم جهز تميم عسكرا إلى سفاقس ويحيى معهم فساروا إليها وحصروها برا وبحرا وضيقوا على الأتراك بها وأقاموا عليها شهرين واستولوا عليها وفارقها الأتراك إلى قابس وكان تميم لما مرض عن ابنه يحيى عظم ذلك على ابنه الآخر المثنى وداخله الحسد فلم يملك نفسه فنقل عنه إلى أبيه ما غير قلبه عليه فأمر بإخراجه من المهدية بأهله وأصحابه فركب فى البحر ومضى إلى سفاقس فلم يمكنه عامله من الدخول إليها وقصد مدينة قابس وبها أمير يقال له مكين بن كامل الدهسمانى فأنزله وأكرمه فحسن له مثنى الخروج معه إلى سفاقس والمهدية وأطمعه فيهما وضمن الإنفاق على الجند من ماله فجمع مكين من يمكنه جمعه وسار إلى سفاقس ومعهما شاهملك التركى وأصحابه فنزلوا على سفاقس وقاتلوها وسمع تميم فجرد إليها جندا فلما علم المثنى ومن معه أنهم لا طاقة لهم بها ساروا عنها إلى المهدية فنزلوا عليها وقاتلوها وكان الذى يتولى القتال من المهدية يحيى بن تميم وظهرت منه شهامة وشجاعة وحزم وحسن تدبير فلم يبلغ أولئك منها غرضا فعادوا خائبين وقد تلف ما كان مع المثنى من مال وغيره وعظم أمر يحيى وصار هو المشار إليه .

Marfat.com

﴿ ذكر قتل أحمد خان صاحب سمرقند ﴾ فى هذه السنة فى المحرم قتل أحمدخان صاحب سمرقند وكان قد كرهه عسكره واتهموه بفساد الاعتقاد وقالوا هو زنديق وكان سبب ذلك أن السلطان ملكشاه لما فتح سمرقند وأسر هذا أحمدخان قد وكل به جماعة من الديلم فحسنوا له معتقدهم وأخرجوه إلى الإباحة فلما عاد إلى سمرقند كان يظهر منه أشياء تدل على انحلاله من الدين فلما كرهه أصحابه وعزموا على قتله قالوا لمستحفظ قلعة كاسان وهو طغرل ينال بك ليظهر العصيان ليسير أحمد خان معهم من سمرقند إلى قتاله فيتمكنوا من قتله فعصى طغرل ينال بك فسار أحمدخان والعسكر إلى قتاله فلما نازل القلعة تمكر العسكر منه وقبضوا عليه وعادوا إلى سمرقند وأحضروا القضاة والفقهاء وأقاموا خصوما ادعوا عليه الزندقة فجحد فشهد عليه جماعة بذلك فأفتى الفقهاء بقتله فخنقوه وأجلسوا ابن عمه مسعودا مكانه وأطاعوه .

﴿ ذكر مافعله يوسف بن آبق ببغداد ﴾ فى هذه السنة فى صفر سير الملك تتش يوسف بن آبق التركمانى شحنة لبغداد ومعه جمع من التركمان فمنع من دخول بغداد وورد إليه صدقة بن مزيد صاحب الحلة وكان يكره تتش ولم يخطب له فى بلاده فلما سمع ابن آبق بوصوله عاد إلى طريق خراسان ونهب باجسرا وقاتله العسكر بيعقوبا فهزمهم ونهبهم أفحش نهب وأكثر معه من التركمان وعاد إلى بغداد وكان صدقة قد رجع إلى الحلة تدخل يوسف بن آبق إلى بغداد وأراد نهبها والإيقاع بأهلها فمنعه أمير كان معه من ذلك ثم وصل إليه الخبر بقتل تتش فرحل عن بغداد إلى الموصل وسار من هناك إلى حلب .

﴿ ذكر الحرب بين بركيارق وتتش وقتل تتش ﴾ فى هذه السنة فى صفر قتل تتش بن ألب أرسلان وكان سبب ذلك أنه لما هزم السلطان بركيارق كما ذكرناه سار من موضع الوقعة إلى همذان وقد تحصن بها أمير آخر فرحل تتش عنها فتبعه أمير آخر لأجل أثقاله فعاد عليه تتش فكسره فعاد إلى همذان واستأمن إليه وصار معه وبلغ تتش مرض بركيارق فسار إلى أصبهان فاستأذنه أمير آخر فى قصد جرباذقان لإقامة الضيافة ومايحتاج إليه فأذن له فسار إليها ومنها إلى أصبهان وعرفهم خبر تتش خبره فنهب جرباذقان وسار إلى الرى وأرسل الأمراء الذين بأصبهان يدعوهم إلى طاعته ويبذل لهم البذول الكثيرة وكان بركيارق مريضا بالجدرى فأجابوه يعدونه بالانحياز إليه وهم ينتظرون ما يكون من بركيارق فلما عوفى أرسلوا إلى تتش ليس بيننا غير السيف وساروا مع بركيارق من أصبهان وهم فى نفر يسير فلما بلغوا جرباذقان أقبلت إليهم العساكر من كل مكان حتى صاروا فى ثلاثين ألفا فالتقوا بموضع قريب من الرى فانهزم عسكر تتش وثبت هو فقتل قيل قتله بعض أصحاب آقسنقر صاحب حلب أخذاً بثار صاحبه وكان قد قبض على فخر الملك بن نظام الملك وهو معه فأطلق واستقام الأمر والسلطنة لبركيارق وإذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه ، بالأمس ينهزم من عمه تتش ويصل إلى أصبهان فى نفر يسير فلا يتبعه أحد ولو تبعه عشرون فارسا لأخذوه لأنه بقى على باب أصبهان عدة أيام ، ثم لما دخلها أراد الأمراء كحله فاتفق أن أخاه حم ثانى يوم وصوله وجدر فمات فقام فى الملك مقامه ثم جدر هو وأصابه معه سرسام فعوفى وبقى مذ كسره عمه إلى أن عوفى وسار عن أصبهان أربعة أشهر لم يتحرك عمه ولا عمل شيئا ولو قصده وهو مريض أو وقت مرض أخيه لملك البلاد :

ولله سر فى علاك وإنما * كلام العدا ضرب من الهذيان

﴿ ذكر حال الملك رضوان وأخيه دقاق بعد قتل أبيهما ﴾ كان تاج الدولة تتش قد أوصى أصحابه بطاعة

Marfat.com

ابنه الملك رضوان وكتب اليه من بلد الجبل قبل المصاف الذى قتل فيه يأمره أن يسير إلى العراق ويقيم بدار المملكة فسار فى عدد كثير منهم أيلغازى بن أرتق وكان قدسار إلى تتش فتركه عند ابنه رضوان ومنهم الأمير وثاب بن محمود بن صالح بن مرداس وغيرهما فلما قارب هيت بلغه قتل أبيه فعاد إلى حلب ومعه والدته فملكها وكان بها أبو القاسم الحسن بن على الخوارزمى قدسلمها إليه تتش وحكمه فى البلد والقلعة ولحق برضوان زوج أمه جناح الدولة الحسين بن أيتكين وكان مع تتش فسلم من المعركة وكان مع رضوان أيضا أخواه الصغيران أبو طالب وبهرام وكانوا كلهم مع أبى القاسم كالأضياف لتحكمه فى البلد واستمال جناح الدولة المغاربة وكانوا أكثر جند القلعة فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبى القاسم وأرسل إليه رضوان أن يطيب قلبه فاعتذر فقبل عذره وخطب لرضوان على منابر حلب وأعمالها ولم يكن يخطب له بل كانت الخطبة لأبيه بعد قتله نحو شهرين وسار جناح الدولة فى تدبير المملكة سيرة حسنة وخالف عليهم الأمير باغيسيان بن محمد بن ألب التركمانى صاحب أنطاكية ثم صالحهم وأشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر لخلوها من وال يحفظها فساروا جميعا وقدم عليهم أمراء الأطراف الذين كان تتش رتبهم فيها وقصدوا سروج فسبقهم إليها الأمير سقمان بن أرتق جد أصحاب الحصن اليوم وأخذها ومنعهم عنها وأمر أهل البلد فخرجوا إلى رضوان وتظلموا إليه من عساكره ومايفسدون من غلاتهم ويسألونه الرحيل فرحل عنهم إلى الرها وكان بها رجل من الروم يقال له الفارقليط وكان يضمن البلد من بوزان فقاتل المسلمين بمن معه واحتمى بالقلعة وشاهدوا من شجاعته ما كانوا لايظنونه ثم ملكها رضوان وطلب باغيسيان القلعة من رضوان فوهبها له بتسلمها وحصنها ورتب رجالها وأرسل إليهم أهل حران يطلبونهم ليسلموا إليهم حران فسمع ذلك قراجه أميرها فاتهم ابن المفتى، وكان هذا ابن المفتى قد اعتمد عليه تتش فى حفظ البلد فأخذه وأخذ معه بنى أخيه فصلبهم ووصل الخبر إلى رضوان وقد اختلف جناح الدولة باغيسيان وأضمر كل واحد منهما الغدر بصاحبه فهرب جناح الدولة إلى حلب فدخلها واجتمع بزوجته أم الملك رضوان وسار رضوان وباغيسيان فعبر الفرات إلى حلب فسمعوا بدخول جناح الدولة إليها ففارق وباغيسيان الملك رضوان وسار إلى أنطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمى وسار رضوان إلى حلب وأما دقاق بن تتش فإنه كان قد سيره أبوه إلى عمه السلطان ملكشاه ببغداد وخطب له ابنة السلطان وسار بعد وفاة السلطان مع خاتون الجلالية وابنها محمود إلى أصبهان وخرج إلى السلطان بركيارق سرا وصار معه ثم لحق بأبيه وحضر معه الوقعة التى قتل فيها فلما قتل أبوه أخذه غلام لأبيه اسمه أيتكين الحلبى وسار به إلى حلب وأقام عند أخيه الملك رضوان فراسله الأمير ساوتكين الخادم الوالى بقلعة دمشق سرا يدعوه ليملكه دمشق فهرب من حلب سرا وجدّ فى السير فأرسل أخوه رضوان عدة من الخيالة فلم يدركوه فلما وصل إلى دمشق فرح به الخادم وأظهر الاستبشار ولقيه فلما دخلها أرسل إليه باغيسيان يشير عليه بالتفرد بملك دمشق عن أخيه رضوان واتفق وصول معتمد الدولة طغدكين إلى دمشق ومعه جماعة من خواص تتش وعسكره وقد سلموا فإنه كان قدشهد الحرب مع صاحبه وأسر فبقى إلى الآن وخلص من الأسر فلما وصل إلى دمشق لقيه الملك دقاق وأرباب دولته وبالغوا فى إكرامه وكان زوج والدة دقاق فمال إليه لذلك وحكمه فى بلاده وعملوا على قتل الخادم ساوتكين فقتلوه وسار إليهم باغيسيان من أنطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمى فجعله وزيراً لدقاق وحكمه فى دولته .

﴿ذكر وفاة المعتمد بن عباد﴾ فى هذه السنة توفى المعتمد بن عباد الذى كان صاحب الأندلس مسجونا بأغمات من بلد المغرب وقد ذكرنا كيف أخذت بلاده منه سنة أربع وثمانين وأربعمائة فبقى مسجونا إلى الآن وتوفى وكان من محاسن الدنيا كرما وعلما وشجاعة ورياسة تامة وأخباره مشهورة وآثاره مدوّنة وله أشعار حسنة فمنها ماقاله لما أخذ ملكه وحبس :

سلت علىّ الخطوب سيوفها * فجذذن من جسدى الحصيف الأمتنا
ضربت بها أيدى الخطوب وإنما * ضربت رقاب الآملين بها المنا
يا آملى العادات من نفحاتنا * كفوا فإن الدهر كف أكفنا

وله من قصيدة يصف القيد فى رجله :

تعطف فى ساقى تعطف أرقم * يساورها عضا بأنياب ضيغم
وأنى من كان الرجال بسيبه * ومن سيفه فى جنة وجهنم

وقال فى يوم عيد :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا * فصرت كالعبد فى أغمات مأسورا
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك فى ملك يسر به * فإنما بات بالأحلام مسرورا

وكان شاعره أبو بكر بن اللبانة يأتيه وهو مسجون فيمدحه لاجدوى ينالها منه بل رعاية لحقه وإحسانه القديم اليه فلما توفى أتاه فوقف على قبره يوم عيد والناس عند قبور أهليهم وأنشد بصوت عال :

ملك الملوك أسامع فأنادى * أم قد عداك عن الجواب عوادى
لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت فى الأعياد
فمثلت فى هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الإنشاد

وأخذ فى إتمام القصيدة فاجتمع الناس كلهم عليه يبكون ولو أخذنا فى تفصيل مناقبه ومحاسنه لطال الأمر فلنقف عند هذا .

﴿ذكر وفاة الوزير أبى شجاع﴾ فى هذه السنة توفى الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبدالله وزير الخليفة فى جمادى الآخرة وأصله من روذروار ، وولد بالأهواز وقرأ الفقه على الشيخ أبى إسحق الشيرازى وكان عالما بالعربية وله تصانيف منها (ذيل تجارب الأمم) وكان عفيفا عادلا حسن السيرة كثير الخير والمعروف وكان موته بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مجاورا فيها ولما حضره الموت أمر فحمل إلى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فوقف بالحضرة وبكى وقال : يارسول الله قال الله عز وجل (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد جئت معترفا بذنوبى وجرائمى أرجو شفاعتك . وبكى فأكثر ، وتوفى من يومه ودفن عند قبر إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم .

﴿ذكر الفتنة بنيسابور﴾ فى هذه السنة فى ذى الحجة جمع أمير كبير من أمراء خراسان جمعا كثيرا وسار بهم إلى نيسابور فحصرها فاجتمع أهلها وقاتلوه أشد قتال ولازم حصارهم نحو أربعين يوما فلما لم يجد له مطمعا فيها سار عنها فى المحرم سنة تسع وثمانين فلما فارقها وقعت الفتنة بها بين الكرامية وسائر الطوائف من أهلها

Marfat.com

فقتل بينهم قتلى كثيرة وكان مقدم الشافعية أبا القاسم بن إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى ومقدم الحنفية القاضى محمد بن أحمد بن صاعد وهما متفقان على الكرامية ومقدم الكرامية محمشاد فكان الظفر للشافعية والحنفية على الكرامية فخربت مدارسهم وقتل كثير منهم ومن غيرهم وكانت فتنة عظيمة .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة فى ربيع الآخر شرع الخليفة فى عمل سور على الحريم وأذن الوزير عميد الدولة بن جهير للعامة فى التفرج والعمل فزينوا البلد وعملوا القباب وجدوا فى عمارته . وفيها فى شهر رمضان جرح السلطان بركيارق جرحه إنسان ستري له من أهل سجستان فى عضده ثم أخذ الرجل وأعانه رجلان أيضا من أهل سجستان فلما ضرب الرجل الجارح اعترف أن هذين الرجلين وضعاه واعترفا بذلك فضربا الضرب الشديد ليقرا على من أمرهما بذلك فلم يقرا فقربا إلى الفيل ليجعلا تحت قوائمه وقدم أحدهما فقال اتركونى وأنا أعرفكم فتركوه فقال لصاحبه ياأخى لابد من هذه القتلة فلا تفضح أهل سجستان بإفشاء الأسرار فقتلاه وفيها توجه الإمام أبو حامد الغزالى إلى الشام وزار القدس وترك التدريس فى النظامية واستناب أخاه وتزهدوا لبس الخشن وأكل الدون وفى هذه السفرة صنف (إحياء علوم الدين) وسمعه منه الخلق الكثير بدمشق وعاد إلى بغداد بعد ما حج فى السنة التالية وسار إلى خراسان . وفيها فى ربيع الأول خطب لولى العهد أبى الفضل منصور بن المستظهر بالله . وفيها عزل بركيارق وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك واستوزر أخاه فخر الملك وسبب ذلك أن بركيارق لما هزم عمه تتش وقتله أرسل خادما ليحضر والدته زبيدة خاتون من أصبهان فاتفق مؤيد الملك مع جماعة من الأمراء وأشاروا عليه بتركها فقال لا أريد الملك إلا لها وبوجودها عندى فلما وصلت إليه وعلمت الحال تنكرت على مؤيد الملك وكان نجد الملك أبو الفضل البلاسانى قد صحبها فى طريقها وعلم أنه لايتم له أمر مع مؤيد الملك وكان بين مؤيد الملك وأخيه فخر الملك متباعد بسبب جواهر خلفها أبوهم نظام الملك فلما علم فخر الملك تنكر أم السلطان على أخيه مؤيد الملك أرسل وبذل أموالا جزيلة فى الوزارة فأجيب إلى ذلك وعزل أخوه وولى هو . وفى هذه السنة فى جمادى الأولى توفى أبو محمد رزق الله ابن عبد الوهاب التميمى الفقيه الحنبلى وكان عارفا بعدة علوم وكان قريبا من السلاطين . وفيها فى رجب توفى أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون المعروف بابن الباقلانى وهو مشهور ومولده سنة ست وأربعمائة وفيها فى شعبان توفى قاضى القضاة أبو بكر محمد بن المظفر الشاشى وكان من أصحاب أبى الطيب الطبرى ولم يأخذ على القضاء أجرا وأقر الحق مقره ولم يحاب أحدا من خلق الله ادعى عنده بعض الأتراك على رجل شيئا فقال ألك بينة قال نعم فلان والمشطب الفقيه الفرغانى فقال لاأقبل شهادة المشطب لأنه يلبس الحرير فقال التركى فالسلطان ونظام الملك يلبسان الحرير فقال لو شهدا عندى على باقة بقل لم أقبل شهادتهما وولى القضاء بعده أبو الحسن على بن قاضى القضاة أبى عبدالله محمد الدامغانى . وفيها مات القاضى أبو يوسف عبدالسلام بن محمد القزوينى ومولده سنة إحدى عشرة وأربعمائة وكان مغاليا فى الاعتزال وقيل كان زيدى المذهب . وفيها توفى القاضى أبو بكر بن الرطبى قاضى دجيل وكان شافعى المذهب وولى بعده أخوه أبو العباس أحمد بن الحسن ابن أحمد أبو الفضل الحداد الأصفهانى صاحب أبى نعيم الحافظ روى عنه حلية الأولياء وهو أكبر من أخيه أبى المعالى وأبو عبدالله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبدالله بن حميد الحميدى الأندلسى ولد قبل العشرين وأربعمائة وسمع الحديث ببلده ومصر والحجاز والعراق وهو مصنف الجمع بين الصحيحين وكان ثقة فاضلا ، وتوفى فى

Marfat.com

ذى الحجة ووقف كتبه فانتفع بها الناس(١)

﴿ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل يوسف بن آبق والمجن الحلى﴾ فى هذه السنة فى المحرم قتل يوسف بن آبق الذى ذكرنا أنه سيره تاج الدولة تتش إلى بغداد ونهب سوادها وكان سبب قتله أنه كان بحلب بعد قتل تاج الدولة وكان بحلب إنسان يقال له المجن وهو رئيس الأحداث بها وله أتباع كثير فحصر عند جناح الدولة حسين وقال له إن يوسف ابن آبق يكاتب باغيسيان وهو على عزم الفساد واستأذنه فى قتله ، فأذن له ، وطلب أن يعينه بجماعة من الأجناد ففعل ذلك فقصد المجن الدار التى بها يوسف فكبسها من الباب والسطح وأخذ يوسف فقتله ونهب كل مافى داره وبقى بحلب حاكما لحدثته نفسه بالتفرد بالحكم عن الملك رضوان فقال لجناح الدولة إن الملك رضوان أمرنى بقتلك فخذ لنفسك فهرب جناح الدولة إلى حمص وكانت له فلما انفرد المجن بالحكم تغير عليه رضوان وأراد منه أن يفارق البلد فلم يفعل وركب فى أصحابه فلوهمّ بالمحاربة لفعل ثم أمر أصحابه أن ينهبوا ماله وأثاثه ودوابه ففعلوا ذلك واختفى فطلب فوجد بعد ثلاثة أيام فأخذ وعوقب وعذب ثم قتل هو وأولاده وكان من السواد يشق الخشب ثم بلغ هذه الحالة .

﴿ذكر وفاة منصور بن مروان﴾ فى هذه السنة فى المحرم توفى منصور بن نظام الدين بن ناصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر وهو الذى انقرض أمر بنى مروان على يده حين حاربه فخر الدولة بن جهير وكان جكرمش قد قبض عليه بالجزيرة وتركه عند رجل يهودى فمات فى داره وحملته زوجته إلى تربة آبائه فدفنته ثم حجت وعادت إلى بلد البشنوية فابتاعت ديراً من بلد فنك بقرب جزيرة ابن عمر وأقامت فيه تعبد الله وكان منصور شجاعا شديد البخل له فى البخل حكايات عجيبة فتعسا لطالب الدنيا المعرض عن الآخرة ألا تنظر إلى فعلها بأبنائها بينما هذا منصور ملك من بيت ملك آل أمره إلى أن مات فى بيت يهودى نسأل الله تعالى أن يحسن أعمالنا

---

(١) وفيها مات محمد بن الحسين بن عبدالله بن إبراهيم ، أبو شجاع ، الملقب ظهير الدين ، الروذراورى الأصل الأهوازى المولد ، كان من خيار الوزراء كثير الصدقة والإحسان إلى العلماء والفقهاء ، وسمع الحديث من الشيخ أبى إسحاق الشيرازى وغيره ، وصنف كتبا ، منها كتابه الذى ذيله على تجارب الأمم . ووزر للخليفة المقتدى وكان يملك ستمائة ألف دينار ، فأنفقها فى سبيل الخيرات والصدقات ، ووقف الوقوف الحسنة ، وبنى المشاهد ، وأكثر الإنعام على الأرامل والأيتام . قال له رجل : إلى جانبنا أرملة لها أربعة أولاد وهم عراة وجياع ، فبعث إليهم مع رجل من خاصته نفقة وكسوة وطعاما ، ونزع عنه ثيابه فى البرد الشديد ، وقال : والله لا ألبسها حتى ترجع إلى بخبرهم ، فذهب الرجل مسرعا بما أرسله على يديه إليهم ، ثم رجع إليه فأخبره أنهم فرحوا بذلك ودعوا للوزير ، فسر بذلك ولبس ثيابه . وجىء إليه مرة بقطائف سكرية فلما وضعت بين يديه تنغص عليه بمن لا يقدر عليها ، فأرسلها كلها إلى المساجد ، وكانت كثيرة جدا ، فأطعمها الفقراء والعميان وكان لا يجلس فى الديوان إلا وعنده الفقهاء ، فاذا وقع له أمر مشكل سألهم عنه فحكم بما يفتونه ، وكان كثير التواضع مع الناس ، خاصتهم وعامتهم ، ثم عزل عن الوزارة فسار إلى الحج وجاور بالمدينة ثم مرض ، فلما ثقل فى المرض جاء إلى الحجرة النبوية فقال : يارسول الله قال الله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وها أنا قد جئتك أستغفر الله من ذنوبى وأرجو شفاعتك يوم القيامة ، ثم مات من يومه ذلك رحمه الله ، ودفن فى البقيع .

Marfat.com

ويصلح عاقبة أمرنا فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه .

﴿ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضا﴾ فى هذه السنة ملك تميم بن المعز مدينة قابس وأخرج منها أخاه عمرا وسبب ذلك أنها كان بها إنسان يقال له قاضى بن إبراهيم بن بلمونه فمات فولى أهلها عليهم عمرو بن المعز فأساء السيرة وكان قاضى بن إبراهيم عاصيا على تميم ، وتميم يعرض عنه فسلك عمرو طريقه فى ذلك فأخرج تميم العساكر إلى أخيه عمرو ليأخذ المدينة منه فقال له بعض أصحابه يامولانا لما كان فيها قاضى توانيت عنه وتركته فلما وليها أخوك جردت إليه العساكر فقال لما كان فيها غلام من عبيدنا كان زواله سهلا علينا ، وأما اليوم وابن المعز بالمهدية وابن المعز بقابس هذا مالا يمكن السكوت عليه . وفى فتحها يقول ابن خطيب سوسة القصيدة المشهورة التى أولها :

ضحك الزمان وكان يلقى عابسا * لما فتحت بحد سيفك قابسا
الله يعلم ماحويت ثمارها * إلا وكان أبوك قبل الغارسا
من كان فى زرق الأسنة خاطباً * كانت له قلل البلاد عرائسا
فابشر تميم بن المعز بفتكة * تركتك من أكناف قابس قابسا
ولوا فكم تركوا هناك مصانعا * ومقاصراً ومخالدا ومجالسا
فكأنها قلب وهن وساوس * جاء اليقين فذاد عنه وساورسا

﴿ذكر ملك كربوقا الموصل﴾ فى هذه السنة فى ذى القعدة ملك قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل وقد ذكرنا أن تاج الدولة تتش أسره لما قتل آقسنقر وبوزان فلما أسره أبقى عليه طمعا فى استصلاح حمية الأمير أنز ولم يكن له بلد يملكه إذا قتله كما فعل بالأمير بوزان فإنه قتله واستولى على بلاده الرها وحران ولم يزل قوام الدولة محبوسا بحلب إلى أن قتل تتش وملك ابنه الملك رضوان حلبا فأرسل السلطان بركيارق رسولا يأمره باطلاقه وإطلاق أخيه النوتاش فلما أطلقا سارا واجتمع عليهما كثير من العساكر البطالين فأتيا حران فتسلماها وكاتبهما محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وهو بنصيبين ومعه ثروان بن وهيب وأبو الهيجاء الكردى يستنصرون بهما على الأمير على بن شرف الدولة وكان بالموصل قد جعله بها تاج الدولة تتش بعد وقعة المضيع فسار كربوقا إليهم فلقيه محمد بن شرف الدولة على مرحلتين من نصيبين واستحلفهما لنفسه فقبض عليه كربوقا بعد اليمين وحمله معه وأتى نصيبين فامتنعت عليه فحصرها أربعين يوما وتسلمها وسار إلى الموصل فحصرها فلم يظفر منها بشىء فسار عنها إلى بلد وقتل بها محمد بن شرف الدولة وغرقه وعاد إلى حصار الموصل ونزل على فرسخ منها بقرية باحلافا وترك النوتاش شرقى الموصل فاستنجد على بن مسلم صاحبها بالأمير جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فسار إليه نجدة له فلما علم النوتاش بذلك سار إلى طريقه فقاتله فانهزم جكرمش وعاد إلى الجزيرة منهزما وصار فى طاعة كربوقا وأعانه على حصر الموصل وعدمت الأقوات بها وكل شىء حتى مايوقدونه فأوقدوا القير وحب القطن فلما ضاق بصاحبها على الأمر فارقها وسار إلى الأمير صدقة بن مزيد بالحلة وتسلم كربوقا البلد بعد أن حصره تسعة أشهر وخافه أهله لأنه بلغهم أن التوتاش يريد نهبهم وأن كربوقا يمنعه من ذلك فاشتغل التوتاش بالقبض على أعيان البلد ومطالبتهم بودائع البلد واستطال على كربوقا فأمر بقتله فقتل فى اليوم الثالث وأمن الناس شره وأحسن كربوقا السيرة فيهم وسار نحو الرحبة فمنع عنها فملكها ونهبها

Marfat.com

واستناب بها وعاد .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة اجتمع ستة كواكب فى برج الحوت وهى الشمس والقمر والمشترى والزهرة والمريخ وعطارد فحكم المنجمون بطوفان يكون فى الناس يقارب طوفان نوح فأحضر الخليفة المستظهر بالله بن عيسون المنجم فسأله فقال إن طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة فى برج الحوت والآن فقد اجتمع ستة منها وليس منها زحل فلو كان معها لكان مثل طوفان نوح ولكن أقول إن مدينة أو بقعة من الأرض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة فيغرقون فخافوا على بغداد لكثرة من يجتمع فيها من البلاد فأحكمت المسنيات والمواضع التى يخشى منها الانفجار والغرق فاتفق أن الحجاج نزلوا بوادى المياقت بعد نخله فأتاهم سيل عظيم فأغرق أكثرهم ونجا من تعلق بالجبال وذهب المال والدواب والأزواد وغير ذلك فخلع الخليفة على المنجم . وفيها فى صفر درس الشيخ أبو عبدالله الطبرى الفقيه الشافعى بالمدرسة النظامية ببغداد رتبه فيها نخر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق وفيها أغارت خفاجة على بلد سيف الدولة صدقة بن مزيد فأرسل فى أثرهم عسكرا مقدمه ابن عمه قريش بن بدران بن دبيس بن مزيد فأسرته خفاجة وأطلقوه وقصدوا مشهد الحسين بن على عليه السلام فتظاهروا فيه بالفساد والمنكر فوجه إليهم صدقة جيشا فكبسوهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا فى المشهد حتى عند الضريح وألقى رجل منهم نفسه وهو على فرسه من على السور فسلم هو والفرس وفى هذه السنة فى صفر توفى القاضى أبو مسلم وادع بن سليمان قاضى معرة النعمان والمستولى على أمورها وكان رجل زمانه همة وعلما وفيها فى ربيع الأول توفى أبو بكر محمد بن عبدالباقى المعروف بابن الخاضبة المحدث وكان عالما . وفيها فى رمضان توفى أبو بكر عمر بن السمرقندى ومولده سنة ثمان وثمانين وثلثمائة . وفيها فى رمضان توفى أبو الفضل عبدالملك ابن ابراهيم المقدسى المعروف بالمهذانى وكان عالما فى عدة علوم وقد قارب ثمانين سنة . (١)

---

(١) وفيها توفى عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله أخو أبى حكيم الخيرى ، وخير : إحدى بلاد فارس ، سمع الحديث وتفقه على الشيخ أبى إسحاق الشيرازى ، وكانت له معرفة بالفرائض والأدب واللغة ، وله مصنفات ، وكان مرضى الطريقة وكان يكتب المصاحف بالأجرة ، فبينما هو ذات يوم يكتب وضع القلم من يده واستند وقال : والله لئن كان هذا موتا إنه لطيب ، ثم مات . وفيها توفى عبد المحسن بن على بن أحمد الشنجى التاجر ، ويعرف بابن شهداء مكة ، بغدادى سمع الحديث الكثير ، ورحل وأكثر عن الخطيب وهو بصور ، وهو الذى حمله إلى العراق ، فلهذا أهدى إليه الخطيب تاريخ بغداد بخطه ، وقد روى عنه فى مصنفاته ، وكان يسميه عبدالله ، وكان ثقة . وفيها توفى أبو المظفر السمعانى ، منصور بن محمد بن عبدالجبار بن أحمد بن محمد ، أبو المظفر السمعانى ، الحافظ ، من أهل مرو ، تفقه أولا على أبيه فى مذهب أبى حنيفة ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعى فأخذ عن أبى إسحاق وابن الصباغ ، وكانت له يد طولى فى فنون كثيرة ، وصنف التفسير وكتاب الانتصار فى الحديث ، والبرهان والقواطع فى أصول الفقه ، والاصطلام وغير ذلك ، ووعظ فى مدينة نيسابور ، وكان يقول : ما حفظت شيئا فنسيته ، وسئل عن أخبار الصفات فقال : عليكم بدين العجائز وصبيان الكتاتيب ، وسئل عن الاستواء فقال :

جئتمانى لتعلما سر سعدى * تجدانى بسر سعدى شحيحا
إن سعدى لمنية المتمنى * جمعت عفة ووجها صبيحا

توفى فى ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن فى مقبرة مرو رحمه الله تعالى وإيانا آمين .

Marfat.com

﴿ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل أرسلان أرغون﴾ فى هذه السنة فى المحرم قتل أرسلان أرغون بن ألب أرسلان أخو السلطان ملكشاه بمرو وكان قد ملك خراسان وسبب قتله أنه كان شديداً على غلمانه كثير الإهانة لهم والعقوبة وكانوا يخافونه عظيما فاتفق أنه الآن طلب غلاما له فدخل عليه وليس معه أحد فأنكر عليه تأخره عن الخدمة فاعتذر فلم يقبل عذره وضربه فأخرج الغلام سكينا معه وقتله، وأخذ الغلام فقيل له لم فعلت هذا، فقال لأريح الناس من ظلمه وكان سبب ملكه خراسان أنه كان له أيام أخيه ملكشاه من الإقطاع ما مقداره سبعة آلاف دينار وكان معه ببغداد لما مات فسار إلى همذان فى سبعة غلمان واتصل به جماعة فسار إلى نيسابور فلم يجد فيها مطمعا فمر إلى مرو وكان شحنة مرو أميراً اسمه قودن من مماليك ملكشاه وهو الذى كان سبب تنكر السلطان ملكشاه على نظام الملك، وقد تقدم ذلك فى قتل نظام الملك فمال إلى أرسلان أرغون وسلم البلد إليه فأقبلت العساكر إليه وقصد بلخ وبها فخر الملك بن نظام الملك فسار عنها ووزر لتاج الدولة تتش على ما ذكرناه وملك أرسلان أرغون بلخ وترمذ ونيسابور وعامة خراسان وأرسل إلى السلطان بركيارق وإلى وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك يطلب أن يقر عليه خراسان كما كانت لجده داود ماعدا نيسابور ويبذل الأموال ولا ينازع فى السلطنة فسكت عنه بركيارق لاشتغاله بأخيه محمود وعمه تتش، فلما عزل السلطان بركيارق مؤيد الملك عن وزارته وليها أخوه فخر الملك واستولى على الأمور مجد الملك البلاسانى قطع أرسلان أرغون مراسلة بركيارق وقال لا أرضى لنفسى مخاطبة البلاسانى فندب بركيارق حينئذ عمه بوربرس بن ألب أرسلان وسيره فى العساكر لقتاله وكان قد اتصل بأرسلان عماد الملك أبو القاسم بن نظام الملك ووزر له فلما وصلت العساكر إلى خراسان لقيهم أرسلان أرغون وقاتلهم وانهزم منهم وسار منهزما إلى بلخ وأقام بوربرس والعساكر التى معه بهراة ثم جمع أرغون عساكر جمة وسار إلى مرو فحصرها أياما وفتحها عنوة وقتل فيها وأكثر وقلع أبواب سورها وهدمه فسار إليه بوربرس من هراة فالتقيا وتصافا فانهزم بوربرس سنة ثمان وثمانين وسبب هزيمته أنه كان معه من جملة العساكر الذين سير معه بركيارق أميرآخر ملكشاه وهو من أكابر الأمراء والأمير مسعود بن تاجر وكان أبوه مقدم عسكر داود جد ملكشاه ولمسعود منزلة كبيرة ومحل عظيم عند كافة الناس وكان بين أمير آخر وبين أرسلان مودة قديمة فأرسل إليه أرسلان أرغون يستميله ويدعوه إلى طاعته فأجابه إلى ذلك ثم إن مسعود بن ناجر قصد أميراً آخر زائراً له ومعه ولده فأخذهما وقتلهما فضعف أمر بوربرس وانهزم من أرسلان أرغون وتفرق عسكره وأسر وحمل إلى أرسلان أرغون وهو أخوه فحبسه بترمذ ثم أمر به فخنق سنة من حبسه وقتل أكابر عسكر خراسان ممن كان يخافه ويخشى تحكمه عليه وصادر وزيره عماد الملك بثلثمائة ألف دينار وقتله وخرب أسوار مدن خراسان منها سور سبزوار وسور مرو الشاهجان وقلعة سرخس وقهندز نيسابور وسور شهرستان وغير ذلك خربه جميعه سنة تسع وثمانين ثم إنه قتل هذه السنة كما ذكرنا .

﴿ذكر استيلاء عسكر مصر على مدينة صور﴾ فى هذه السنة فى ربيع الأول وصل عسكر كثير من مصر إلى ثغر صور بساحل الشام فحصرها وملكها وسبب ذلك أن الوالى بها ويعرف بكتيلة أظهر العصيان على المستعلى صاحب مصر والخروج عن طاعته فسير إليه جيشا فحصروه بها وضيقوا عليه وعلى من معه من جندى

Marfat.com

وعاى ثم افتتحها عنوة بالسيف وقتل بها خلق كثير ونهب منها المال الجزيل وأخذ الوالى أسيراً بغير أمان وحمل إلى مصر فقتل بها .

﴿ذكر ملك بركيارق خراسان وتسليمها إلى أخيه سنجر﴾ كان بركيارق قد جهز العساكر مع أخيه الملك سنجر وسيرها إلى خراسان لقتال عمه أرسلان أرغون وجعل الأمير قماج أنابك سنجر ورتب فى وزارته أبا الفتح على بن الحسين الطغرائى فلما وصلوا إلى الدامغان بلغهم خبر قتله فأقاموا حتى لحقهم السلطان بركيارق وساروا إلى نيسابور فوصل إليها خامس جمادى الأولى من السنة وملكها بغير قتال وكذلك سائر البلاد الخراسانية وساروا إلى بلخ ، وكان عسكر أرسلان أرغون قد ملكوا بعد قتله ابنا له صغيراً عمره سبع سنين فلما سمعوا بوصول السلطان أبعدوا إلى جبال طخارستان وأرسلوا يطلبون الأمان فأجابهم إلى ذلك فعادوا ومعهم ابن أرسلان أرغون فأحسن السلطان لقاءه وأعطاه ما كان لأبيه من الإقطاع أيام ملكشاه وكان وصوله إلى السلطان فى خمسة عشر ألف فارس فما انقضى يومهم حتى فارقوه واتصلت كل طائفة منهم بأمير تخدمه وبقى وحده مع خادم لأبيه فأخذته والدة السلطان بركيارق إليها وأقامت له من يتولى خدمته وتربيته وسار بركيارق إلى ترمذ فسلمت إليه وأقام عند بلخ سبعة أشهر وأرسل إلى ماوراء النهر فأقيمت له الخطبة بسمرقند وغيرها ودانت له البلاد .

﴿ذكر خروج أمير أميران بخراسان مخالفا﴾ فى هذه السنة لما كان السلطان بركيارق بخراسان خالف عليه أمير اسمه محمد بن سليمان ويعرف بأميرأميران وهو ابن عم ملكشاه وتوجه إلى بلخ واستمد من صاحب غزنة فأمده بجيش كثير وفيلة وشرط عليه أن يخطب له فى جميع مايفتحه من خراسان فقويت شوكته ومد يده فى البلاد فسير إليه الملك سنجر بن ملكشاه جريدة ولا يعلم به أمير أميران فكبسه فجرى بينهما قتال ساعة ثم أسر وحمل إلى بين يدى سنجر فأمر به فكحل .

﴿ذكر عصيان الأمير قودن ويارقطاش على السلطان واستمال حبشى على خراسان﴾ فى هذه السنة عصى يارقطاش وقودن على السلطان بركيارق وسبب ذلك أن الأمير قودن كان قد صار فى جمله الأمير قماج فتوفى والسلطان بمرو فاستوحش قودن وأظهر المرض وتأخر بمرو بعد مسير السلطان إلى العراق وكان من جملة أمراء السلطان أميراسمه اكنجى وقد ولاه السلطان خوارزم ولقبه خوارزمشاه فجمع عساكره وسار فى عشرة آلاف فارس ليحلق السلطان فسبق العسكر إلى مرو فى ثلثمائة فارس وتشاغل بالشرب فاتفق قودن وأمير آخر اسمه يارقطاش على قتله فجمعا خمسمائة فارس وكبسوه وقتلوه وساروا إلى خوارزم وأظهروا أن السلطان قد استعملهما عليها فتسلماها وبلغ الخبر إلى السلطان فتم المسير إلى العراق لما بلغه من خروج الأمير أنز ومؤيد الملك عن طاعته وأعاد أمير داذ حبشى بن التونتاق فى جيش إلى خراسان لقتالهما فسار إلى هراة وأقام ينتظر اجتماع العساكر معه فعاجلاه فى خمسة عشر ألفا فعلم أمير داذ أنه لاطاقة له بهما فعبر جيحون فسار إليه وتقدم يارقطاش ليلحقه قودن فعاجله يارقطاش وحده وقاتله فانهزم يارقطاش وأخذ أسيرا وبلغ الخبر إلى قودن فثار به عسكره ونهبوا خزائنه ومامعه فبقى فى سبعة نفر فهرب إلى بخارا فقبض عليه صاحبها ثم أحسن إليه وبقى عنده وسار من هناك إلى الملك سنجر ببلخ فقبله أحسن قبول وبذل له قودن ان يكفيه أموره ويقوم بجمع العساكر على طاعته فقدر أنه مات عن قريب وأما يارقطاش فبقى أسيرا إلى أن قتل أمير داذ وكان من

أمره ماذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر ابتداء دولة محمد بن خوارزمشاه ﴾ فى هذه السنة أمر بركيارق الأمير حبشى بن التونتاق على خراسان كما ذكرناه فلما صفت له وقتل قودن كما ذكرناه قبل ولى خوارزم الأمير محمد بن أنوشتكين وكان أبوه أنوشتكين مملوك أمير من السلجوقية اسمه بلكباك قد اشتراه من رجل من غرشتان فقيل له أنوشتكين غرشه فكبر وعلا أمره وكان حسن الطريقة كامل الأوصاف وكان مقدما مرجوعا إليه وولد له ولد سماه محمدا وهو هذا وعلمه وخرجه وأحسن تأديبه وتقدم بنفسه وبالعناية الأزلية فلما ولى أميرداذ حبشى خراسان كان خوارزمشاه اكنجى قد قتل وقد تقدم ذكره ونظر الأمير حبشى فيمن يوليه خوارزم فوقع اختياره على محمد بن أنوشتكين فولاه خوارزم ولقبه خوارزمشاه فقصر أوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها وقرب أهل العلم والدين فازداد ذكره حسنا ومحله علوا ولما ملك السلطان سنجر خراسان أقر محمدا خوارزمشاه على خوارزم وأعمالها فظهرت كفايته وشهامته فعظم سنجر محله وقدره ثم إن بعض ملوك الأتراك جمع جموعا وقصد خوارزم ومحمد غائب عنها وكان طغرلتكين بن أكنجى الذى كان أبوه خوارزمشاه قبل عند السلطان سنجر فهرب منه والتحق بالأتراك على خوارزم فلما سمع خوارزمشاه محمد الخبر بادر إلى خوارزم وأرسل إلى سنجر يستمده وكان بنيسابور فسار فى العساكر إليه فلم ينتظر محمد فلما قارب خوارزم هرب الأتراك إلى منقشلاغ وطغرلتكين أيضا رحل إلى خندخان وكفى خوارزمشاه شرهم ولما توفى خوارزمشاه ولى بعده ابنه أتسز فمد ظلال الأمن وأفاض العدل وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وقصد بلاد الأعداء وباشر الحروب فملك مدينة منقشلاغ ولما ولى بعد أبيه قربه السلطان سنجر وعظمه واعتضد به واستصحبه معه فى أسفاره وحروبه فظهرت منه الكفاية والشهامة فزاده تقدما وعلوا وهو ابتداء ملك بيت خوارزمشاه تكش وابنه محمد الذى ظهرت التتر عليه على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر الحرب بين رضوان وأخيه دقاق ﴾ فى هذه السنة سار الملك رضوان إلى دمشق وبها أخوه دقاق عازما على أخذها منه فلما قاربها ورأى حصانتها وامتناعها علم عجزه عنها فرحل إلى نابلس وسار إلى القدس ليأخذه فلم يمكنه وانقطعت العساكر عنه فعاد وسعه باغى سيان صاحب أنطاكية وجناح الدولة ثم إن باغى سيان فارق رضوان وقصد دقاق وحسن له محاصرة أخيه بحلب جزاء لما فعله فجمع عساكر كثيرة وسار ومعه باغيسيان فأرسل رضوان رسولا إلى سقمان بن أرتق وهو بسروج يستنجده فأتاه فى خلق كثير من التركمان فسار نحو أخيه فالتقيا بقنسرين فاقتتلا فانهزم دقاق وعسكره ونهبت خيامهم وجميع مالهم وعاد رضوان إلى حلب ثم اتفقا على أن يخطب لرضوان بدمشق قبل دقاق وبأنطاكية وقيل كانت هذه الحادثة سنة تسع وثمانين .

﴿ ذكر الخطبة للعلوى المصرى بولاية رضوان ﴾ فى هذه السنة خطب الملك رضوان فى كثير من ولايته المستعلى بأمر الله العلوى صاحب مصر وسبب ذلك أنه كان عنده الأمير جناح الدولة وهو زوج أمه فرأى من رضوان تغيرا فسار إلى حمص وهى له فلما رأى باغيسيان بعده عن رضوان صالحه وقدم إليه بحلب ونزل ظاهرها وكان لرضوان منجم يقال له الحكيم أسعد وكان يميل إليه فقدمه بعد مسير جناح الدولة فحسن له مذاهب العلويين المصريين وأتته رسل المصريين يدعونه إلى طاعتهم يبذلون له المال وإنفاذ العساكر إليه لملك دمشق فخطب لهم بشيزر وجميع الأعمال سوى أنطاكية وحلب والمعرة أربع جمع ثم حضر عنده سقمان

Marfat.com

Marfat.com

ابن أرتق وباغيسيان صاحب أنطاكية فأنكرا ذلك واستعظماه فأعاد الخطبة العباسية فى هذه السنة وأرسل إلى بغداد يعتذر عما كان منه وسار باغيسيان إلى أنطاكية فلم يقم بها غير ثلاثة أيام حتى وصل الفرنج إليها وحصروها وكان ماذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة كانت فتنة عظيمة بخراسان بين أهل سبزوار وأهل خسروجرد وقتال عظيم قتل بينهم جماعة كثيرة وانهزم أهل خسروجرد وفيها قتل عثمان وكيل دار نظام الملك وكان سبب قتله أنه كان كاتب صاحب غزنة بالأخبار من قبل السلطان فأخذ وحبس بترمذ مدة ثم اطلع عليه وهو فى الحبس أنه كان يكاتبه أيضا فقتل . وفى صفر منها قتل عبدالرحمن السميرمى وزير أم السلطان بركيارق قتله باطنى غيلة وقتل الباطنى بعده . وفيها فى شعبان ظهر كوكب كبير له ذؤابة وأقام يطلع عشرين يوما ثم غاب ولم يظهر . وفيها توفى النقيب الطاهر أبو الغنائم محمد بن عبدالله وكان دينا سخيا كريما متعصبا حنفى المذهب وولى النقابة بعد ولده أبو الفتوح حيدرة . وفيها توفى أبو القاسم يحيى بن أحمد السيبى وهو ابن مائة سنة وسنتين وهو صحيح الحواس وكان مقرئا محدثا حاضر القلب . وفيها قتل أرغش النظامى مملوك نظام الملك بالرى وكان قد بلغ مبلغا عظيما بحيث إنه تزوج ابنة ياقوتى عم السلطان بركيارق قتله باطنى وقتل قاتله وقتل برسق فى شهر رمضان وهو من أكابر الأمراء قتله باطنى وكان برسق من أصحاب السلطان طغرلبك وهو أول شحنة كان ببغداد (١) .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر ملك الفرنج مدينة أنطاكية ﴾ كان ابتداء ظهور دولة الفرنج واشتداد أمرهم وخروجهم إلى بلاد الإسلام واستيلائهم على بعضها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الأندلس وقد تقدم ذكر ذلك . ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صقلية وملكوها وقد ذكرته أيضا وتطرقوا إلى أطراف إفريقية فملكوا منها شيئا وأخذ منهم ثم ملكوا غيره على ماتراه فلما كان سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام وكان سبب خروجهم أن ملكهم بردويل جمع جمعا كثيرا من الفرنج وكان نسيب رجار الفرنجى الذى ملك صقلية فأرسل إلى رجار يقول له قد جمعت جمعا كثيرا وأنا واصل إليك وسائر من عندك إلى إفريقية أفتحها وأكون مجاورا لك فجمع رجار أصحابه واستشارهم فى ذلك وقالوا وحق الإنجيل هذا جيدا لنا ولهم ونصبح البلاد بلاد النصرانية فرفع رجله وحبق حبقة عظيمة وقال وحق دينى هذه خير من كلامكم قالوا وكيف ذلك قال إذا وصلوا إلىّ احتاج إلى كلفة كثيرة ومراكب تحملهم إلى أفريقية وعساكر من عندى أيضا فإن فتحوا البلاد كانت لهم وصارت المؤنة لهم من صقلية وينقطع عنى مايصل من المال من ثمن الغلات كل سنة وإن لم يفلحوا رجعوا إلى بلادى وتأذيت بهم ويقول تميم غدرت بى ونقضت عهدى وتنقطع الوصلة والأسفار بيننا وبلاد أفريقية باقية لنا متى وجدنا قوة أخذناها وأحضر رسوله وقال له إذا عزمتم على جهاد المسلمين فأفضل ذلك فتح بيت المقدس تخلصونه من أيديهم ويكون لكم الفخر وأما

---

(١) وفيها توفى أحمد بن محمد بن الحسن بن على بن زكريا بن دينار ، أبو يعلى العبدى البصرى ، ويعرف بابن الصواف ، ولد سنة أربعمائة ، وسمع الحديث ، وكان زاهدا متصوفا ، وفقيها مدرسا ، ذا سمت ووقار ، وسكينة ودين وكان علامة فى عشرة علوم ، توفى فى رمضان منها عن تسعين سنة رحمه الله .

أفريقية فبنى وبين أهلها أيمان وعهود فتجهزوا وخرجوا إلى الشام وقيل إن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول الأقسيس إلى مصر وحصرها خافوا وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين والله أعلم فلما عزم الفرنج على قصد الشام ساروا إلى القسطنطينية ليعبروا المجاز إلى بلاد المسلمين ويسيروا فى البر فيكون أسهل عليهم فلما وصلوا إليها منعهم ملك الروم من الإجتياز ببلاده وقال لا أمكنكم من العبور إلى بلاد الإسلام حتى تحلفوا لى أنكم تسلمون إلىّ أنطاكية وكان قصده بحثهم على الخروج إلى بلاد الإسلام ظانا منه أن الأتراك لا يبقون منهم أحدا لما رأى من صراعتهم وملكهم البلاد فأجابوه إلى ذلك وعبروا الخليج عند القسطنطينية سنة تسعين ووصلوا إلى بلاد فلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش وهى قونية وغيرها فلما وصلوا إليها لقيهم فلج أرسلان فى جموعه ومنعهم فقاتلوه فهزموه فى رجب سنة تسعين واجتازوا فى بلاده إلى بلاد ابن الأرمنى فسلكوها وخرجوا إلى أنطاكية فحصروها ولما سمع صاحبها باغيسيان بتوجههم إليها خاف من النصارى الذين بها فأخرج المسلمين من أهلها ليس معهم غيرهم وأمرهم بحفر الخندق ثم أخرج من الغد النصارى لعمل الخندق أيضا ليس معهم مسلم فعملوا فيه إلى العصر ، فلما أرادوا دخول البلد منعهم وقال لهم أنطاكية لكم تهبوها لى حتى أنظر ما يكون منا ومن الفرنج فقالوا له من يحفظ أبناءنا ونساءنا فقال أنا أخلفكم فيهم فأمسكوا وأقاموا فى عسكر الفرنج فحصروها تسعة أشهر وظهر من شجاعة باغيسيان وجودة رأيه وحزمه واحتياطه مالم يشاهد من غيره فهلك أكثر الفرنج موتا ولو بقوا على كثرتهم التى خرجوا فيها لطبقوا بلاد الإسلام وحفظ باغيسيان أهل نصارى أنطاكية الذين أخرجهم وكف الأيدى المتطرقة إليهم ، فلما طال مقام الفرنج على أنطاكية راسلوا أحد المستحفظين للابراج وهو زراد يعرف بروز به وبذلوا له مالا وأقطاعا وكان يتولى حفظ برج يلى الوادى وهو مبنى على شباك فى الوادى فلما تقرر الأمر بينهم وبين هذا الملعون الزراد جاءوا إلى الشباك ففتحوه ودخلوا منه وصعد جماعة كثيرة بالحبال فلما زادت عدتهم على خمسمائة ضربوا البوق وذلك عند السحر وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة فاستيقظ باغيسيان فسأل عن الحال فقيل إن هذا البوق من القلعة ولاشك أنها قد ملكت ولم يكن من القلعة وإنما كان من ذلك البرج فدخله الرعب وفتح باب البلد وخرج هاربا فى ثلاثين غلاما على وجهه فجاء نائبه فى حفظ البلد فسأل عنه فقيل إنه هرب فخرج من باب آخر هاربا وكان ذلك معونة للفرنج ولو ثبت ساعة لهلكوا ، ثم إن الفرنج دخلوا البلد من الباب ونهبوه وقتلوا من فيه من المسلمين وذلك فى جمادى الأولى ، وأما باغيسيان فإنه لما طلع عليه النهار رجع إليه عقله وكان كالولهان فرأى نفسه وقد قطع عدة فراسخ فقال لمن معه أين أنا فقيل على أربعة فراسخ من أنطاكية فندم كيف خلص سالما ولم يقاتل حتى يزيلهم عن البلد أو يقتل وجعل يتلهف ويسترجع على ترك أهله وأولاده والمسلمين فلشدة ما لحقه سقط عن فرسه مغشيا عليه فلما سقط إلى الأرض أراد أصحابه أن يركبوه فلم يكن فيه مسكة قد قارب الموت فتركوه وساروا عنه واجتاز به إنسان أرمنى كان يقطع الحطب وهو بآخر رمق فقتله وأخذ رأسه وحمله إلى الفرنج بأنطاكية وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب ودمشق بأننا لا نقصد غير البلاد التى كانت بيد الروم لا نطلب سواها مكراً منهم وخديعة حتى لا يساعدوا صاحب أنطاكية .

﴿ذكر سير المسلمين إلى الفرنج وما كان منهم﴾ لما سمع قوام الدولة كربوقا بحال الفرنج وملكهم أنطاكية

Marfat.com

Marfat.com

جمع العساكر وسار إلى الشام وأقام بمرج دابق واجتمعت معه عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب فاجتمع معه دقاق بن تتش وطغتكين أتابك وجناح الدولة صاحب حمص وأرسلان تاش صاحب سنجار وسليمان بن أرتق وغيرهم من الأمراء ممن ليس مثلهم فلما سمعت الفرنج عظمت المصيبة عليهم وخافوا لما هم فيه من الوهن وقلة الأقوات عندهم وسار المسلمون فنازلوهم على أنطاكية وأساء كربوقا السيرة فيمن معه من المسلمين وأغضب الأمراء وتكبر عليهم ظنا منه أنهم يقيمون معه على هذه الحال فأغضبهم ذلك وأضمروا له فى أنفسهم الغدر إذا كان قتال وعزموا على إسلامه عند المصدوقة وأقام الفرنج بأنطاكية بعد أن ملكوها اثنى عشر يوما ليس لهم ما يأكلونه وتقوت الأقوياء بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر فلما رأوا ذلك أرسلوا إلى كربوقا يطلبون منه الأمان ليخرجوا من البلد فلم يعطهم ما طلبوا وقال لا تخرجوا إلا بالسيف وكان معهم من الملوك برديل وصنجيل وكندفرى والقمص صاحب الرها وبيمنت صاحب أنطاكية وهو المقدم عليهم وكان معهم راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم إن المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقسيان الذى بأنطاكية وهو بناء عظيم فإن وجدتموها فإنكم تظفرون وإن لم تجدوها فالهلاك متحقق وكان قد دفن قبل ذلك حربة فى مكان فيه وعفا أثرها وأمرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع أدخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم وحفروا فى جميع الأماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم أبشروا بالظفر فخرجوا فى اليوم الخامس من الباب متفرقين من خمسة وستة ونحو ذلك فقال المسلمون لكربوقا ينبغى أن تقف على الباب فتقتل كل من يخرج فإن أمرهم الآن وهم متفرقون سهل فقال لا تفعلوا أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم ولم يكن من معاجلتهم فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين فجاء إليهم هو بنفسه ومنعهم ونهاهم فلما تكامل خروج الفرنج ولم يبق بأنطاكية أحد منهم ضربوا مصافا عظيما فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا أولا من الاستهانة لهم والإعراض عنهم وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب أحد منهم بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم وآخر من انهزم سقمان بن أرتق وجناح الدولة لأنهما كانا فى الكمين وانهزم كربوقا معهم فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة إذ لم يجر قتال ينهزم من مثله وخافوا أن يتبعوهم وثبت جماعة من المجاهدين وقاتلوا حسبة وطلبا للشهادة فقتل الفرنج منهم ألوفا وغنموا ما فى العسكر من الأقوات والأموال والأثاث والدواب والأسلحة فصلحت حالهم وعادت إليهم قوتهم .

(ذكر ملك الفرنج معرة النعمان) لما فعل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا ساروا إلى معرة النعمان فنازلوها وحصروها وقاتلهم أهلها قتالا شديدا ورأى الفرنج منهم شدة ونكاية ولقوا منهم الجد فى حربهم والاجتهاد فى قتالهم فعملوا عند ذلك برجا من خشب يوازى سور المدينة ووقع القتال عليه فلم يضر المسلمين ذلك فلما كان الليل خاف قوم من المسلمين وتداخلهم الفشل والطمع وظنوا أنهم إذا تحصنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها فنزلوا من السور وأخلوا الموضع الذى كانوا يحفظونه فرآهم طائفة أخرى ففعلوا كفعلهم فخلا مكانهم أيضا من السور ولم تزل تتبع طائفة منهم التى تليها فى النزول حتى خلا السور فصعد الفرنج إليه على السلاليم فلما علوه تحير المسلمون ودخلوا دورهم فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيام فقتلوا ما يزيد على مائة ألف وسبوا السبى الكثير وملكوه وأقاموا أربعين يوما وساروا إلى عرقة فحصروها أربعة أشهر ونقبوا

سورها عدة نقوب فلم يقدروا عليها وراسلهم منقذ صاحب شيزر فصالحهم عليها وساروا إلى حمص وحصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة وخرجوا على طريق النواقير إلى عكا فلم يقدروا عليها .

﴿ذكر الحرب بين الملك سنجر ودولتشاه﴾ كان دولتشاه من أبناء الملوك السلجوقية فاجتمع عليهم جمع من عساكر ببغو أخى طغرلبك وكان بطخارستان فأخذوا والوالج وكمنج فسار إليهم السلطان سنجر وعساكره فوصل إلى بلخ فدخلها فى رجب من هذه السنة وخرج منها لقتال دولتشاه فلم يكن له من الجموع ماثبت مقابل عسكر سنجر فقاتلوا شيئا من قتال وانهزموا وأخذوا دولتشاه أسيرا وأحضر عند سنجر فعفا عنه من القتل وحبسه ثم بعد ذلك كله وسير سنجر جيشا إلى مدينة ترمذ فملكوها وسلمها إلى طغرل تكين .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فتح تميم بن المعز بن باديس صاحب أفريقية جزيرة جربة وجزيرة قرقنة ومدينة تونس وكان بأفريقية غلاء شديد هلك فيه كثير من الناس . وفيها أرسل الخليفة رسولا إلى السلطان بركيارق مستنفرا على الفرنج ومبالغا فى تعظيم الأمر وتداركه قبل أن يزداد قوة . وفى هذه السنة فى شعبان توفى أبو الحسن أحمد بن عبدالقادر بن محمد بن يوسف ومولده سنة أثنتى عشرة وأربعمائة وكان فاضلا فى الحديث . وفيها توفى أبو الفضل عبدالوهاب بن أبى محمد التميمى الحنبلى وكان فاضلا فصيحا . وفيها فى شوال توفى طراد بن محمد الزينبى وهو عالى الإسناد فى الحديث وولى نقابة العباسيين من بعده ابنه شرف الدين على بن طراد . وفيها فى ذى القعدة توفى أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء أبى القاسم بن المسلمة وكان بيته مجمع الفضلاء وأهل الدين ومن جملة من كان عنده إلى أن توفى الشيخ أبو إسحق الشيرازى . وفيها توفى أبو الفرج سهل بن بشر بن أحمد الإسفرايني وهو من أعيان المحدثين .

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عصيان الأمير أنز وقتله﴾ لما سار السلطان بركيارق إلى خراسان ولى الأمير أنز بلاد فارس جميعها وكانت قد تغلب عليها الشواتكارة على اختلاف بطونهم وقبائلهم واستعانوا بصاحب كرمان إيران شاه بن قاورت فاجتمعوا وصافوا الأمير أنز وكسروه وعاد مغلولا إلى أصبهان وأرسل إلى السلطان يستأذنه فى اللحاق إلى خراسان فأمره بالمقام ببلد الجبال وولاه إمارة العراق وكاتب العساكر المجاورة له بطاعته فأقام بأصبهان وسار منها إلى أقطاعه بأذربيجان وعاد وقد انتشر أمر الباطنية بأصبهان فندب نفسه لقتالهم وحصر قلعة على جبل أصبهان واتصل به مؤيد الملك بن نظام الملك وكان ببغداد فسار منها إلى الحلة فأكرمه صدقة وسار من عنده إلى الأمير أنز فلما اجتمع بالأمير أنز خوفه هو وغيره من السلطان بركيارق وعظموا عليه الاجتماع به وحسنوا له البعد عنه وأشاروا عليه بمكاتبة غياث الدين محمد بن ملكشاه وهو إذ ذاك بكنجة فعزم على المخالفة للسلطان وتحدث فيه فظهر ذلك فزاد خوفه من السلطان فجمع من العساكر المعروفين بالشجاعة نحو عشرة آلاف فارس وسار من أصبهان إلى الرى وأرسل إلى السلطان يقول إنه مملوك ومطيع إن سلم إليه مجد الملك البلاسانى وإن لم يسلمه فهو عاص خارج عن الطاعة فبينما هو يفطر وكانت عادته يصوم أياما من الأسبوع فلما قارب الفراغ من الإفطار هجم عليه ثلاثة نفر من الأتراك المولدين بخوارزم وهم من جملة خيله فصدم أحدهم المشعل فألقاه وصدم الآخر الشمعة فأطفأها وضربه الثالث بالسكين فقتله وقتل معه جانداره واختلط الناس

فى الظلمة ونهبوا خزائنه وتفرق عسكره وبقى ملقى فلم يوجد ما يحمل عليه ثم حمل إلى داره بأصبهان ودفن بها ووصل خبر قتله السلطان بركيارق وهو بخوار الرى قد خرج من خراسان عازما على قتاله وهو على غاية الحذر من قتاله وعاقبة أمره وفرح مجد الملك البلاسانى بقتله وكان له مثل يومه عن قريب وكان عمر أنز سبعا وثلاثين سنة وكان كثير الصوم والصلاة والخير والمحبة للصالحين .

﴿ ذكر ملك الفرنج لعنهم الله البيت المقدس ﴾ كان البيت المقدس لتاج الدولة تتش وأقطعه الأمير سقمان ابن أرتق التركمانى فلما ظفر الفرنج بالأتراك على أنطاكية وقتلوا فيهم ضعفوا وتفرقوا فلما رأى المصريون ضعف الأتراك ساروا إليه ومقدمهم الأفضل بن بدر الجمالى وحصروه وبه الأمير سقمان وأيلغازى ابنا أرتق وابن عمهما سونج وابن أخيهما ياقوتى ونصب عليه نيفا وأربعين منجنيقا فهدموا مواضع من سوره وقاتلهم أهل البلد فدام القتال والحصار نيفا وأربعين يوما وملكوه بالأمان فى شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأحسن الأفضل إلى سقمان وأيلغازى ومن معهما وأجزل لهم العطاء وسيرهم فساروا إلى دمشق ثم عبروا الفرات فأقام سقمان ببلد الرها وسار أيلغازى إلى العراق واستناب المصريون فيه رجلا يعرف بافتخار الدولة وبقى فيه إلى الآن فقصده الفرنج بعد أن حصروا عكا فلم يقدروا عليها فلما وصلوا إليه حصروه نيفا وأربعين يوما ونصبوا عليه برجين أحدهما من ناحية صهيون وأحرقه المسلمون وقتلوا كل من به فلما فرغوا من إحراقه أتاهم المستغيث بأن المدينة قد ملكت من الجانب الآخر وملكوها من جهة الشمال منه ضحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان ، وركب الناس السيف ولبث الفرنج فى البلدة أسبوعا يقتلون فيه المسلمين واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود فاعتصموا به وقاتلوا فيه ثلاثة أيام فبذل لهم الفرنج الأمان فسلموه إليهم ، ووفى لهم الفرنج وخرجوا ليلا إلى عسقلان فأقاموا بها وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى مايزيد على سبعين ألفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف وأخذوا من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم وأخذوا تنوراً من فضة وزنه أربعون رطلا بالشامى وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا نقرة ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا وغنموا منه مالا يقع عليه الإحصاء . وورد المستنفرون من الشام فى رمضان إلى بغداد صحبة القاضى أبى سعد الهروى فأوردوا فى الديوان كلاما أبكى العيون وأوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا وذكر مادهم المسلمين بذلك الشريف المعظم من قتل الرجال وسبى الحريم والأولاد ونهب الأموال فلشدة ما أصابهم أفطروا فأمر الخليفة أن يسير القاضى أبو محمد الدامغانى وأبو بكر الشاشى وأبو القاسم الزنجانى وأبو الوفا بن عقيل وأبو سعد الحلوانى وأبو الحسين بن سماك فساروا إلى حلوان فبلغهم قتل مجد الملك البلاسانى على ماذكره فعادوا من غير بلوغ أرب ولا قضاء حاجة واختلف السلاطين على ماذكره فتمكن الفرنج من البلاد فقال أبو المظفر الأبيوردى فى هذا المعنى أبياتا منها :

مزجتا دماء بالدموع السواجم * فلم يبق منا عرصة للمراحم
وشر صلاح المرء دمع يفيضه * إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فأيها بنى الإسلام إن وراءكم * وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
أتهويمة فى ظل أمن وغبطة * وعيش كنوار الخميلة ناعم

Marfat.com

Marfat.com

وكيف تنام العين ملء جفونها * على هفوات أيقظت كل نائم
وإخوانكم بالشام يضحى مقيلهم * ظهور المذاكى أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم * تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد أبيحت ومن دمى * توارى حياء حسنها بالمعاصم
بحيث السيوف البيض محمرة الظبا * وسمر العوالى داميات اللهاذم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة * تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها * ليسلم يقرع بعدها سن نادم
سللن بأيدى المشركين قواضبا * ستغمد منهم فى الطلى والجماجم
يكاد لهن المستجن بطيبة * ينادى بأعلى الصوت يا آل هاشم
أرى أمتى لا يشرعون إلى العدى * رماحهم والدين واهى الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى * ولا يحسبون العار ضربة لازم
أترضى صناديد الأعاريب بالأذى * ويغضى على ذل كماة الأعاجم

ومنها: فليتهم إذ لم يذودوا حمية * عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم
وإن زهدوا فى الأجر إذ حمس الوغا * فهلا أتوه رغبة فى الغنائم
لئن أذعنت تلك الخياشيم للبرى * فلا عطسوا إلا بأجدع راغم
دعوناكم والحرب ترنو ملحة * إلينا بألحاظ النسور القشاعم
تراقب فينا غارة عربية * تطيل عليها الروم عض الأباهم
فإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه * رمينا إلى أعدائنا بالجرائم

﴿ذكر الحرب بين المصريين والفرنج﴾ فى هذه السنة فى رمضان كانت وقعة بين العساكر المصرية والفرنج وسببها أن المصريين لما بلغهم ماتم على أهل القدس جمع الأفضل أمير الجيوش العساكر وحشد وسار إلى عسقلان وأرسل إلى الفرنج ينكر عليهم مافعلوا ويتهددهم فأعادوا الرسول بالجواب ورحلوا على أثره وطلعوا على المصريين عقيب وصول الرسول ولم يكن عند المصريين خبر وصولهم ولا من حركتهم ولم يكونوا على أهبة القتال فنادوا إلى ركوب خيولهم ولبسوا أسلحتهم وأعجلهم الفرنج فهزموهم وقتلوا منهم من قتل، وغنموا مافى العسكر من مال وسلاح وغير ذلك، وانهزم الأفضل فدخل عسقلان ومضى جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر الجميز وكان هناك كثيراً فأحرق الفرنج بعض الشجر، حتى هلك من فيه، وقتلوا من خرج منه وعاد الأفضل فى خواصه إلى مصر ونازل الفرنج عسقلان وضايقوها فبذل لهم أهلها قطيعة اثنى عشر ألف دينار وقبل عشرين ألف دينار ثم عادوا إلى القدس.

﴿ذكر ابتداء ظهور السلطان محمد بن ملكشاه﴾ كان السلطان محمد وسنجر أخوين لأم وأب؛ أمهما أم ولد، ولما مات أبوه ملكشاه كان محمد معه ببغداد، فسار مع أخيه محمود وتركاخاتون زوجة والده إلى أصبهان ولما حصر بركيارق أصبهان خرج محمد مختفيا مضى إلى والدته وهى فى عسكر أخيه بركيارق وقصد أخاه السلطان بركيارق وسار معه إلى بغداد سنة ست وثمانين وأربعمائة وأقطعه بركيارق كنجة وأعمالها وجعل معه أتابكا له

Marfat.com

الأمير قتلغ تكين فلما قوى محمد قتله واستولى على جميع أعمال أران الذى من جملته كنجة فعرف ذلك الوقت شهامة محمد وكان السلطان ملكشاه قدأخذ تلك البلاد من فضلون بن أبى الأسوار الروادى وسلمها إلى سرهنك ساوتكين الخادم وأقطع فضلون استراباذ وعاد فضلون ضمن بلاده ثم عصى فيها لما قوى فأرسل السلطان إليه الأمير بوزان فحاربه وأسره وأقطع بلاده لجماعة منهم باغيسيان صاحب أنطاكية ولما مات باغيسيان عاد ولده إلى ولاية أبيه فى هذه البلاد وتوفى فضلون ببغداد سنة أربع وثمانين وهو على غاية من الإضافة فى مسجد على دجلة وقد ذكرنا فيما تقدم تنقل الأحوال بمؤيد الملك عبيد الله بن نظام الملك وأنه كان عند الأمير أنز فحسن له عصيان السلطان بركيارق فلما قتل أنز سار إلى الملك محمد فأشار عليه بمخالفة أخيه والسعى فى طلب السلطنة ففعل ذلك وقطع خطبة بركيارق من بلاده وخطب لنفسه بالسلطنة واستوزر مؤيد الملك واتفق قتل مجد الملك البلاسانى واستيحاش العسكر من السلطان بركيارق وفارقوه وساروا نحو السلطان محمد فلقوه بخرقان فصاروا معه وساروا نحو الرى وكان السلطان بركيارق لما فارقه عسكره سار مجدا إلى الرى فأتاه بها الأمير ينال بن أنوشتكين الحسامى وهو من أكابر الأمراء ووصل إليه أيضا عز الملك منصور بن نظام الملك وأمه ابنة ملك الأبخاز ومعه عساكر جمة فبلغه مسير أخيه محمد إليه فى العساكر فسار من الرى إلى أصبهان فلم يفتح أهلها له الأبواب فسار إلى خوزستان على ماذكره وورد السلطان محمد إلى الرى ثانى ذى القعدة فوجد زبيدة خاتون والدة أخيه السلطان بركيارق قد تخلفت بعد ابنها فأخذها مؤيد الملك وسجنها فى القلعة وأخذ خطها بخمسة آلاف دينار وأراد قتلها وأشار عليه ثقاته أن لا يفعل ذلك فلم يقبل منهم وقالوا له العسكر محبون لولدها وإنما استوحشوا منه لأجلها ومتى قتلت عدلوا إليه فلا نغتر بهؤلاء الجند فانهم غدروا بمن أحسن إليهم أوثق ما كان بهم فلم يصغ إلى قولهم ورفعها إلى القلعة وخنقت وكان عمرها اثنتين وأربعين سنة فلما أسر السلطان بركيارق مؤيد الملك رأى خطه فى تذكرته بخمسة آلاف دينار فكان أعظم الأسباب فى قتله.

﴿ذكر الخطبة ببغداد للملك محمد﴾ لما قوى أمر السلطان محمد سار إليه سعد الدولة كوهرآين من بغداد وكان قد استوحش من السلطان بركيارق فاجتمع هو وكربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب الجزيرة وسرخاب بن بدر صاحب كنكور وغيرها فساروا إلى السلطان محمد فلقوه بقم فرد سعد الدولة إلى بغداد وخلع عليه وسار كربوقا وجكرمش فى خدمته إلى أصبهان، ولما وصل كوهرآين إلى بغداد خاطب الخليفة فى الخطبة للسلطان محمد فأجاب إلى ذلك، وخطب له يوم الجمعة سابع عشر ذى الحجة ولقب غياث الدنيا والدين

﴿ذكر قتل مجد الدولة البلاسانى﴾ قدذكرنا تحكم مجد الملك أبى الفضل أسعد بن محمد فى دولة السلطان بركيارق وتمكنه منها فلما بلغ الغا. التى لامزيد عليها جاءته نكبات الدنيا ومصائبها من حيث لايحتسب، وأما سبب قتله فإن الباطنية لما ترائى منهم قتل الأمراء الأكابر من الدولة السلطانية نسبوا ذلك إليه وأنه هو الذى وضعهم على قتل من قتلوه وعظم ذلك قتل الأمير برسق فاتهم أولاده زنكى وأقبورى وغيرهما مجد الملك بقتله وفارقوا السلطان وسار السلطان إلى زنجان لأنه بلغه خروج السلطان محمد عليه على ماذكرنا فطمع حينئذ الأمراء فأرسل أمير آخر وبلكابك وطغايرك بن اليزن وغيرهم إلى الأمراء بنى برسق يستحضرونهم إليهم ليتفقوا معهم على مطالبة السلطان بتسليم مجد الملك ليقتلوه فحضروا عندهم فأرسلوا إلى السلطان بركيارق وهم بسجاس مدينة قريبة من همذان يلتمسون تسليمه إليهم ووافقهم على ذلك العسكر جميعه وقالوا إن سلم إلينا فنحن

Marfat.com

العبيد الملازمون للخدمة وإن منعنا فارقنا وأخذناه قهراً فمنع السلطان منه فأرسل مجد الملك إلى السلطان يقول له المصلحة أن تحفظ أمراء دولتك وتقتلنى أنت لئلا يقتلنى القوم فيكون فيه وهن على دولتك فلم تطب نفس السلطان بقتله وأرسل إليهم يستحلفهم على حفظ نفسه وحبسه فى بعض القلاع فلما حلفوا سلمه إليهم فقتله الغلمان قبل أن يصل إليهم فسكنت الفتنة ، ومن العجب أنه كان لا يفارقه كفنه سفراً وحضراً فنى بعض الأيام فتح خازنه صندوقا ، فرأى الكفن فقال وما أصنع بهذا إن أمرى لا يؤول إلى كفن والله ما أبقى إلا طريحاً على الأرض فكان كذلك ورب كلمة تقول لقائلها دعنى ، ولما قتل حمل رأسه إلى مؤيد الملك بن نظام الملك وكان مجد الملك خيراً كثير الصلاة بالليل كثير الصدقة لاسيما على العلويين وأرباب البيوتات وكان يكره سفك الدماء وكان يتشيع إلا أنه كان يذكر الصحابة ذكراً حسنا ويلعن من يسبهم ، ولما قتل أرسل الأمراء يقولون للسلطان المصلحة أن تعود إلى الرى ونحن نمضى إلى أخيك فنقاتله ونقضى هذا المهم فسار بعد امتناع وتبعه مائتا فارس لاغير ونهب العسكر سرادق السلطان ووالدته وجميع أصحابه ، وعاد إلى الرى وسار العسكر إلى السلطان محمد .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى شعبان وصل الكيا أبو الحسن على بن محمد الطبرى المعروف بالهراس الفقيه الشافعى ولقبه عماد الدين شمس الإسلام برسالة من السلطان بركيارق إلى الخليفة وهو من أصحاب إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى ومولده سنة خمسين وأربعمائة واعتنى بأمره مجد الملك البلاسانى وقام له الوزير عميد الدولة بن جهير لما دخل عليه ، وفيها قتل أبو القاسم بن إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى بنيسابور وكان خطيبها واتهم العامة أبا البركات الشعلبى بأنه هو الذى سعى فى قتله فوثبوا به فقتلوه وأكلوا لحمه . وفيها كان بخراسان غلاء شديد تعذرت فيه الأقوات ودام سنتين وكان سببه أن البرد أهلك الزروع جميعها ولحق الناس بعده وباء جارف فمات منهم خلق كثير عجزوا عن دفنهم لكثرتهم . وفيها فى شعبان توفى أبو الغنائم الفارقى الفقيه الشافعى بجزيرة ابن عمر وكان إماما فاضلا زاهداً . وفيها فى صفر توفى أبو عبدالله الحسين بن طلحة النعالى وعمره نحو تسعين سنة وكان عالى الإسناد فى الحديث . وقيل توفى سنة ثلاث وتسعين . وفيها فى شعبان توفى أبو غالب محمد بن على بن عبدالواحد بن الصباغ الفقيه الشافعى تفقه على ابن عمه أبى نصر وكان حسن الخلق متواضعا[1]

---

(١) وفيها توفى عبد الباقى بن يوسف بن على بن صالح ، أبو تراب البراعى ، ولد سنة إحدى وأربعمائة وتفقه على أبى الطيب الطبرى وسمع الحديث عليه وعلى غيره ، ثم أقام بنيسابور ، وكان يحفظ شيئا كثيرا من الحكايات والملح ، وكان صبوراً متقللا من الدنيا ، على طريقة السلف ، جاءه منشور بقضاء همدان فقال : أنا منتظر منشوراً من الله عز وجل ، على يدى ملك الموت بالقدوم عليه ، والله لجلوس ساعة فى هذه المسلة على راحة القلب أحب إلى من ملك العراقين ، وتعليم مسألة لطالب أحب إلى مما على الأرض من شىء ، والله لا أفلح قلب يعلق بالدنيا وأهلها ، وإنما العلم دليل ، فمن لم يدله علمه على الزهد فى الدنيا وأهلها لم يحصل على طائل من العلم ، ولو علم ماعلم ، فانما ذلك ظاهر من العلم ، والعلم النافع وراء ذلك ، والله لو قطعت يدى ورجلى وقلعت عينى أحب إلى من ولاية فيها انقطاع عن الله والدار الآخرة ، وما هو سبب فوز المتقين ، وسعادة المؤمنين . توفى رحمه الله فى ذى القعدة من هذه السنة عن ثلاث وتسعين سنة رحمه الله آمين . وفيها توفى أبو القاسم بن إمام الحرمين قتله بعض الباطنية بنيسابور رحمه الله ورحم أباه .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر إعادة خطبة السلطان بركيارق ببغداد ﴾ فى هذه السنة أعيدت الخطبة للسلطان بركيارق ببغداد وسبب ذلك أن بركيارق سار فى العام الماضى من الرى إلى خوزستان فدخلها وجميع من معه على حال سيئة وكان أمير عسكره حينئذ ينال بن أنوشتكين الحسامى وأباه غيره من الأمراء وسار إلى واسط فظلم عسكره الناس ونهبوا البلاد واتصل به الأمير صدقة بن مزيد صاحب الحلة ووثب على السلطان قوم ليقتلوه فأخذوا وأحضروا بين يديه فاعترفوا أن الأمير سرمز شحنة أصبهان وضعهم على قتله فقتل أحدهم وحبس الباقون وسار إلى بغداد فدخلها سابع عشر صفر وخطب له ببغداد يوم الجمعة منتصف صفر قبل وصوله بيومين وكان سعد الدولة كوهرآيين بالشفيعى وهو فى طاعة السلطان محمد فسار إلى دى مرج ومعه أيلغازى بن أرتق وغيره من الأمراء فأرسل إلى مؤيد الملك والسلطان محمد يستحثهما على الوصول إليه فأرسلا إليه كربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فأما جكرمش فاستأذن كوهرايين فى العود إلى بلده وقال إنه قد اختلت الأحوال فأذن له وبقى مع كوهرآيين جماعة من الأمراء فاتفقوا على أن يصدروا عن رأى واحد لا يختلفون ، ثم اتفقت آراؤهم على أن كتبوا إلى السلطان بركيارق يقولون له اخرج إلينا فما فينا من يقاتلك وكان الذى أشار بذا كربوقا وقال لكوهرآيين إننا لم نظفر من محمد ومؤيد الملك بطائل وكان منحرفا عن مؤيد الملك فسار بركيارق إليهم فترجلوا وقبلوا الأرض وعادوا معه إلى بغداد وأعاد إلى كوهرآيين جميع ما كان أخذ له من سلاح ودواب وغير ذلك واستوزر بركيارق ببغداد الأعز أبا المحاسن عبد الجليل بن على بن محمد الداهستانى وقبض على عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وطالبه بالحاصل من ديار بكر والموصل لما تولاها هو وأبوه أيام ملكشاه فاستقر الأمر على مائة ألف دينار وستين ألف دينار يحملها إليه وخلع الخليفة على السلطان بركيارق .

﴿ ذكر الواقعة بين السلاطين بركيارق ومحمد وإعادة خطبة محمد ببغداد ﴾ فى هذه السنة سار بركيارق من بغداد إلى شهر زور فأقام بها ثلاثة أيام والتحق به عالم كثير من التركمان وغيرهم فسار نحو أخيه السلطان محمد ليحاربه فكاتبه رئيس همذان ليسير إليها ويأخذ أتباع الأمراء الذين مع أخيه فلم يفعل وسار نحو أخيه فوقع الحرب بينهم رابع رجب وهو المصاف الأول بين بركيارق وأخيه السلطان محمد باسبيذ روز ومعناه النهر الأبيض وهو على عدة فراسخ من همذان وكان مع محمد نحو عشرين ألف مقاتل وكان محمد فى القلب ومعه الأمير سرمز وعلى ميمنته أمير آخر وابنه أياز وعلى ميسرته مؤيد الملك والنظامية وكان السلطان بركيارق فى القلب ووزيره الأعز أبو المحاسن وعلى ميمنته كوهرآيين وعز الدولة بن صدقة بن مزيد وسرخاب بن بدر وعلى ميسرته كربوقا وغيره فحمل كرهرا بين من ميمنة بركيارق على ميسرة محمد وبها مؤيد الملك والنظامية فانهزموا ودخل عسكر بركيارق فى خيامهم فنهبوهم وحملت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزمت الميسرة وانضافت ميمنة محمد إليه فى القلب على بركيارق ومن معه فانهزم بركيارق ووقف محمد مكانه وعاد كوهرآيين من طلب المنهزمين الذين انهزموا بين يديه وكبابه فرسه فأتاه خراسانى فقتله وأخذ رأسه وتفرقت عساكر بركيارق وبقى فى خمسين فارساً ، وأما وزيره الأعز أبو المحاسن فإنه أخذ أسيراً فأكرمه مؤيد الملك بن نظام الملك ونصب له خيما وخركاه وحمل إليه الفرش والكسوة وضمنه عمادة بغداد وأعاده إليها وأمره بالمخاطبة فى إعادة الخطبة للسلطان

Marfat.com

محمد ببغداد فلما وصل إليها خاطب فى ذلك فأجيب إليه وخطب له يوم الجمعة رابع عشر رجب .

﴿ذكر قتل سعد الدولة كوهرآيين﴾ فى هذه السنة فى رجب قتل سعد الدولة كوهرآيين فى الحرب المذكورة قبل وكان ابتداء أمره أنه كان خادما للملك أبى كاليجار بن سلطان الدولة بن بويه انتقل إليه من امرأة من قوقوب بخوزستان وكان إذا توجه إلى الأهواز حضر عندها واستعرض حوائجها وأصاب أهلها منه خيراً كثيراً ، فأرسله أبى كاليجار مع ابنه أبى نصر إلى بغداد فلما قبض عليه السلطان طغرلبك مضى معه إلى قلعة طبرك فلما مات أبو نصر انتقل إلى خدمة السلطان ألب أرسلان ووقاه بنفسه لما جرحه يوسف الخوارزمى وكان ألب أرسلان قد أقطعه واسط وجعله شحنة لبغداد فلما قتل ألب أرسلان أرسله ابنه ملكشاه إلى بغداد فأحضر له الخلع والتقليد ورأى مالم يره خادم قبله من نفوذ الأمر وتمام القدرة وطاعة أعيان الأمراء وخدمتهم إياه وكان حليما كريما حسن السيرة لم يصادر أحداً من أهل ولايته ومناقبه كثيرة .

﴿ذكر حال السلطان بركيارق بعد الهزيمة وانهزامه من أخيه سنجر أيضا وقتل أميرداذ حبشى﴾ لما انهزم السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد سار قليلا وهو فى خمسين فارسا ونزل عتمة واستراح وقصد الرى وأرسل إلى من كان يعلم أنه يريده ويؤثر دولته فاستدعاه فاجتمع معه جمع صالح فسار إلى إسفراين وكاتب أمير داذ حبشى بن التونتاق وهو بدامغان يستدعيه فأجابه يشير عليه بالمقام بنيسابور حتى يأتيه وكان بيده حينئذ أكثر خراسان وطبرستان وجرجان ، فلما وصل بركيارق إلى نيسابور قبض على رؤسائها وخرج بهم وأطلقهم بعد ذلك وتمسك بعميد خراسان أبى محمد وأبى القاسم بن أبى المعالى الجوينى فأما أبو القاسم فمات مسموما فى قبضه وقد تقدم أنه قتل سنة اثنتين وتسعين وعاد بركيارق فاستدعى أميرداذ فاعتذر بقصد السلطان سنجر بلاده فى عساكر بلخ ويسأل السلطان بركيارق أن يصل إليه ليعينه على الملك سنجر فسار إليه فى ألف فارس فلم يعلم بقدومه إلا الأمراء الكبار من أصحاب سنجر ولم يعلم الأصاغر لئلا ينهزموا وكان مع الأميرداذ عشرون ألف فارس فيهم من رجالة الباطنية خمسة آلاف ووقع المصاف بين بركيارق وأخيه سنجر خارج النوشجان وكان الأمير بزغش فى ميمنة سنجر والأمير كندكز فى ميسرته والأمير رستم فى القلب فحمل بركيارق على رستم فطعنه فقتله وانهزم أصحابه وأصحاب سنجر واشتغل العسكر بالنهب فحمل عليهم بزغش وكندكز فقتلا المنهزمين وانهزم الرجالة إلى مضيق بين جبلين فأرسل عليهم الماء فأهلكهم ووقعت الهزيمة على أصحاب بركيارق وكان قد أخذ والدة أخيه سنجر لما انهزم أصحابه أولا فخافت أن يقتلها بأمه فأحضرها وطيب قلبها وقال إنما أخذتك حتى يطلق أخى سنجر من عنده من الأسرى ولست كفؤا لوالدتى حتى أقتلك فلما أطلق سنجر الأسرى أطلقها بركيارق وهرب أمير داذ إلى بعض القرى وأخذه بعض التركمان فأعطاه فى نفسه مائة ألف دينار فلم يطلقه وحمله إلى بزغش فقتله وسار بركيارق إلى جرجان ثم إلى دامغان وسار فى البرية ورؤى فى بعض المواضع ومعه سبعة عشر فارسا وجمازة واحدة ، ثم كثر جمعه وصار معه ثلاثة آلاف فارس منهم جاولى سقاووه وغيره وسار إلى أصبهان بمكاتبة من أهلها فسمع السلطان محمد فسبقه إليها فعاد إلى سميرم .

﴿ذكر فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس﴾ فى هذه السنة فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس ، وكان صاحبها حمو قد عاد فتغلب عليها واشتد أمره بوزير كان عنده قد قصده وهو من كتاب المعز كان حسن الرأى والتدبير ، فاستقامت به دولته وعظم شأنه فأرسل إليه تميم يطلبه ليستخدمه ووعده وبالغ فى استمالته فلم يقبل فسير تميم

Marfat.com

Marfat.com

جيشا إلى حصار سفاقس وأمر الأمير الذى جعله مقدم الجيش أن يهدم ماحول المدينة ويحرقه ويقطع الأشجار سوى مايتعلق بذلك الوزير فانه لايتعرض إليه ويبالغ فى صيانته ففعل ذلك . فلما رأى حمو مافعل بأملاك الناس ماعدا الوزير اتهمه فقتله فانحل نظام دولته وتسلم عسكر تميم المدينة وخرج حمو منها وقصد مكن بن كامل الدهمانى فأقام عنده فأحسن إليه ولم يزل عنده حتى مات .

﴿ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته﴾ لما أطلق مؤيد الدولة وزير السلطان محمد الأعز أبا المحاسن وزير بركيارق وضمنه عمادة بغداد أمره أن يخاطب الخليفة بعزل وزيره عميد الدولة بن جهير فسار من العسكر وسمع عميد الدولة الخبر فأمر الاصبهذ صباوة بن خمارتكين بالخروج إلى طريق الأعز وقتله وكان الأصبهذ قد حضر الحرب مع بركيارق ولما انهزم العسكر قصد بغداد فخرج إلى طريق الأعز أبى المحاسن فلقيه قريبا من بعقوبا فأوقع بمن معه والتجأ الأعز إلى القرية واحتمى فلما رأى الأصبهذ صباوة ذلك أرسل إليه يقول له إنك وزير السلطان بركيارق وأنا مملوكه فان كنت على خدمته فاخرج إلينا حتى نسير إلى بغداد ونقيم الخطبة للسلطان وأنت الصاحب الذى لايخالف وإن لم تجب إلى هذا فما بيننا غير السيف فأجابه الأعز إلى ذلك واجتمعا فعرفه صباوة الذى أمره به عميد الدولة من قتله وباتا تلك الليلة وأرسل الأعز إلى الأمير أيلغازى بن أرتق وكان قد ورد فى صحبته وفارقه نحو الراذان فحضر فى الليل فانقطع حينئذ أهل صباوة منه وفارقه وسار الأعز إلى بغداد وخاطب فى عزل عميد الدولة فعزل فى رمضان وأخذ من ماله خمسة وعشرون ألف دينار وقبض عليه وعلى أخوته وبقى معزولا إلى سادس عشر شوال فتوفى محبوسا فى دار الخلافة ومولده فى المحرم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وكان عاقلا كريما حليما إلا أنه كان عظيم الكبر يكاد يعد كلامه عداً وكان إذا كلم إنسانا كلمات يسيرة هنى ذلك الرجل بكلامه .

﴿ذكر ظفر المسلمين بالفرنج﴾ فى ذى القعدة من هذه السنة لقى كمشتكين بن الدانشمند طايلو وإنما قيل له ابن الدانشمند لأن أباه كان معلما للتركمان وتقلبت به الأحوال حتى ملك وهو صاحب ملطية وسيواس وغيرهما بيمند الفرنجى وهو من مقدمى الفرنج قريب ملطية وكان صاحبها قد كاتبه واستقدمه إليه فورد عليه فى خمسة آلاف فلقيهم ابن الدانشمند فانهزم بيمند وأسر ثم وصل من البحر سبعة قماصة من الفرنج وأرادوا تخليص بيمند فأتوا إلى قلعة تسمى أنكورية فأخذوها وقتلوا من بها من المسلمين وساروا إلى قلعة أخرى فيها إسمعيل بن الدانشمند وحصروها فجمع ابن الدانشمند جمعا كثيراً ولقى الفرنج وجعل له كمينا وقاتلهم وخرج الكمين عليهم فلم يفلت أحد من الفرنج وكانوا ثلثمائة ألف غير ثلاثة آلاف هربوا ليلا وأفلتوا مجروحين وسار ابن الدانشمند إلى ملطية فملكها وأسر صاحبها ثم خرج إليه عسكر الفرنج من أنطاكية فلقيهم وكسرهم وكانت هذه الوقائع فى شهور قريبة .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة زاد أمر العيارين بالجانب الغربى من بغداد فى شعبان وعظم ضررهم فأمر الخليفة كمال الدولة يمن بتهذيب البلد فأخذ جماعة من أعيانهم وطلب الباقين فهربوا . وفيها أيضا انحلت الأسعار بالعراق ، وكان الكر الحنطة قد بلغ سبعين ديناراً وربما زاد كثيراً فى بعض الأوقات وانقطعت الأمطار ويبست الأنهار وكثر الموت حتى عجزوا عن دفن الموتى فحمل فى بعض الأوقات ستة أموات على نعش واحد وعدمت الأدوية والعقاقير . وفيها فى رجب سار بيمند الفرنجى صاحب أنطاكية إلى قلعة فامية

حصرها وقاتل أهلها أياما وأفسد زروعها ثم رحل عنها . وفيها فى آخر رمضان قتل الأمير بلكابك سرمز بأصبهان بدار السلطان محمد وكان كثير الاحتياط من الباطنية لا يفارقه لبس الدرع ومن يمنع عنه ، ففى ذلك اليوم لم يلبس درعا ودخل دار السلطان فى قلة فقتله الباطنية فقتل واحد ونجا آخر . وفيها توفى أبو الحسن البسطامى الصوفى ورباطه مشهور على دجلة غربى بغداد بناه أبو الغنائم بن المحلبان وفيها مات أبو نصر بن أبى عبد الله بن جرده وأصله من عكبرا وإليه ينسب مسجد ابن جردة وخرابة بن جردة ببغداد وفيها توفى أبو على يحيى بن جزلة الطبيب وكان نصرانيا فأسلم وهو مصنف كتاب المنهاج . وفيها فى شوال توفى عبد الرزاق الصوفى الغزنوى المقيم برباط عتاب وحج عدة حجات على التجريد ولم يخلف ما تكفن فيه فقالت زوجته إذا مت افتضحنا ، قال لم نفتضح ؟ قالت : لأنك ليس لك ما تكفن فيه ، فقال إنما افتضح إذا خلفت ما أكفن فيه . وفيها فى رمضان توفى عز الدولة أبو المكارم محمد بن سيف الدولة صدقة بن مزيد[1]

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وقتل مؤيد الملك ﴾ فى هذه السنة ثالث جمادى الآخرة كان المصاف الثانى بين السلطان بركيارق والسلطان محمد ، وقد ذكرنا سنة ثلاث وتسعين انهزام السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد وتنقله فى البلاد إلى أصبهان وأنه لم يدخلها وسار منها إلى خوزستان وأتى عسكر مكرم فأتاه الأميران زنكى والبكى ابنا برسق وصارا معه وأقام بها شهرين وسار منها إلى همذان فاتصل به الأمير أياز وكان سبب ذلك أن أمير آخر قدمات مذ قريب فاتهم أياز مؤيد الملك بأنه سقاه السم وقوى ذلك عنده أن وزير أمير آخر هرب عقيب موته فازداد ظن أياز باتهامه فظفر بالوزير فقتله وكان أياز قد اتخذه أمير آخر ولدا واتصل به العسكرى ووصى له بجميع ماله فحين استوحش لهذا السبب كاتب السلطان بركيارق واتصل به ومعه خمسة آلاف فارس وصار من جملة عسكره وسار السلطان محمد إلى لقاء أخيه فلما تقارب العسكران استأمن الأمير سرخاب بن كيخسر وصاحب آوة إلى السلطان بركيارق فأكرمه ووقع المصاف ثالث جمادى الآخرة وكان مع السلطان بركيارق خمسون ألفا ومع أخيه السلطان محمد خمسة عشر ألفا فالتقوا فاقتتلوا يومهم أجمع وكان النفر بعد النفر يستأمنون من عسكر محمد إلى بركيارق فيحسن إليهم ومن العجب الدال على الظفر أن رجالة بركيارق احتاجوا إلى تراس فوصل إليه يوم المصاف بكرة أثنا عشر حملا سلاحا من همذان منها ثمانية أحمال تراس ففرقت فيهم فلما وصلت نزل السلطان بركيارق وصلى ركعتين شكرا لله تعالى ولم يزل القتال بينهم إلى آخر النهار فانهزم السلطان محمد وعسكره وأسر مؤيد الملك أسره غلام لمجد الملك البلاسانى وأحضر عند السلطان بركيارق فسبه وأوقفه على ما اعتمده معه من سب والدته مرة ونسبته إلى مذهب الباطنية أخرى ومن حمل أخيه محمد على عصيانه والخروج عن طاعته إلى غير ذلك ومؤيد الملك ساكت لا يعيد كلمة فقتله بركيارق

---

(١) وفيها توفى الوزير عميد الدولة بن جهير محمد بن أبى نصر بن محمد بن جهير الوزير ، أبو منصور ، كان أحد رؤساء الوزراء ، خدم ثلاثة من الخلفاء ، وزر لاثنين منهم ، وكان حليما قليل العجلة ، غير أنه كان يتكلم فيه بسبب الكبر ، وقد ولى الوزارة مرات ، يعزل ثم يعاد ، ثم كان آخرها هذه المرة حبس بدار الخلافة فلم يخرج من السجن إلا ميتا ، فى شوال منها .

Marfat.com

Marfat.com

بيده وألقى على الأرض عدة أيام حتى سأل الأمير أياز فى دفنه فأذن فيه فحمل إلى تربة أبيه بأصبهان فدفن معه وكان بخيلا سيء السيرة مع الأمراء إلا أنه كان كثير المكر والحيل فى إصلاح أمر الملك وكان عمره لما قتل نحو خمسين سنة وكان السلطان بركيارق قد استوزر فى صفر الأعز أبا المحاسن عبد الجليل بن على الدهستانى فلما قتل مؤيد الملك أرسل الوزير أبو المحاسن رسولا إلى بغداد وهو أبو ابراهيم الإستراباذى لأخذ أموال مؤيد الملك فنزل ببغداد بدار مؤيد الملك وسلم إليه محمد الشرابى وهو ابن خالة مؤيد الملك فأخذت منه الأموال والجواهر بعد مكروه أصابه وعذاب ناله وأخذ له ذخائر من مواضع أخر ببلاد العجم منها قطعة بلخش وزنها أحد وأربعون مثقالا ، ولما فرغ السلطان بركيارق من هذه الوقعة سار إلى الرى فوصل إليه هناك قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل ونور الدولة دبيس بن صدقة بن مزيد .

﴿ ذكر حال السلطان محمد بعد الهزيمة واجتماعه بأخيه الملك سنجر ﴾ لما انهزم السلطان محمد سار طالبا خراسان إلى أخيه سنجر وهما لأم واحدة فأقام بجرجان وراسل أخاه يطلب منه مالا وكسوة وغير ذلك فسير إليه ما طلب وترددت الرسل بينهما حتى تحالفا واتفقا ولم يكن بقى مع السلطان محمد غير أميرين فى نحو ثلثمائة فارس فلما استقرت القواعد بينهما سار الملك سنجر من خراسان فى عساكره نحو أخيه السلطان محمد فاجتمعا بجرجان وسار منها إلى دامغان فخربها العسكر الخراسانى وبعض أهلها هاربين إلى قلعة كردكوه وخرب العسكر ما قدروا عليه من البلاد وعم الغلاء تلك الأصقاع حتى أكل الناس الميتة والكلاب وأكل الناس بعضهم بعضا وساروا إلى الرى فلما وصلوا إليها انضم إليهم النظامية وغيرهم فكثر جمعهم وعظمت شوكتهم وتمكنت من القلوب هيبتهم .

﴿ ذكر ما فعله السلطان بركيارق ودخوله بغداد ﴾ لما كان السلطان بركيارق بالرى بعد انهزام أخيه محمد اجتمعت عليه العساكر الكثيرة فصار معه نحو مائة فارس ثم إنهم ضاقت عليهم الميرة فتفرقت العساكر فعاد دبيس بن صدقة إلى أبيه وخرج الملك مودود بن إسمعيل بن ياقوتى بأذربيجان فسير إليه قوام الدولة كربوقا فى عشرة آلاف فارس واستأذن الأمير أياز فى أن يقصد داره بهمذان يصوم بها شهر رمضان ويعود بعد الفطر فأذن له وتفرقت العساكر لمثل ذلك وبقى فى العدد القليل فلما بلغه أن أخويه قد جمعا الجموع وحشد الجنود وأنهما لما بلغهما قلة من معه جدا فى المسير إليه وطويا المنازل ليعاجلاه قبل أن يجمع جموعه وعساكره فلما قارباه سار من مكانه وقد طمع فيه من كان يهابه وأيس منه من كان يرجوه فقصد نحو همذان ليجتمع هو وأياز فبلغه أن أياز قد راسل السلطان محمدا ليكون معه ومن جملة أعوانه خوفا على ولايته وهى همذان وغيرها فلما سمع ذلك عاد عنها وقصد خوزستان فلما قرب من تستر كاتب الأمراء بنى برسق يستدعيهم إليه فلم يحضروا لما علموا أن أياز لم يحضر وللخوف من السلطان محمد فسار نحو العراق فلما بلغ حلوان أتاه رسول الأمير أياز يسأل التوقف ليصل إليه وسبب ذلك أن أياز راسل السلطان محمدا فى الانضمام إليه والمصير فى جملة عسكره فلم يقبله وسير العساكر إلى همذان ففارقها منهزما ولحق بالسلطان بركيارق فأقام السلطان بركيارق بحلوان ووصل إليه أياز وساروا جميعهم إلى بغداد وأخذ عسكر محمد ما تخلف للأمير أياز بهمذان من مال ودواب وبرك وغير ذلك فإنه أعجل عنه وكان من جملته خمسمائة حصان عربية قيل كان يساوى كل حصان منها ما بين ثلثمائة دينار إلى خمسمائة دينار ونهبوا داره وصادروا جماعة من أصحابه وصودر رئيس همذان بمائة

ألف دينار لما وصل أياز إلى بركيارق تكاملت عدتهم خمسة آلاف فارس وقد ذهبت خيامهم وثقلهم ووصل بركيارق إلى بغداد سابع عشر ذى القعدة وأرسل الخليفة إلى طريقه أمين الدولة بن موصلايا يلتقيه فى الموكب ولما كان عيد الأضحى أنفذ الخليفة منبرا إلى دار السلطان وخطب عليه الشريف أبو الكرم وصلى صلاة العيد ولم يحضر بركيارق لأنه كان مريضا وضاقت الأموال على بركيارق فلم يكن عنده مايخرجه على نفسه وعلى عساكره فأرسل إلى الخليفة يشكو الضائقة وقلة المال ويطلب أن يعان بما يخرجه فتقرر الأمر بعد المراجعات على خمسين ألف دينار حملها الخليفة إليه ومد بركيارق وأصحابه أيديهم إلى أموال الناس فعم ضررهم وتمنى أهل البلاد زوالهم عنهم ودعتهم الضرورة إلى أن ارتكبوا خطة شنعاء وذلك أنه قدم عليهم أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة قاضى جبلة من بلاد الشام وصاحبها منهزما من الفرنج على ماذكره ومعه أموال جليلة المقدار فأخذوها منه .

﴿ ذكر خلاف صدقة بن مزيد على بركيارق ﴾ فى هذه السنة خرج الأمير صدقة بن منصور بن دبيس ابن مزيد صاحب الحلة عن طاعة السلطان بركيارق وقطع خطبته من بلاده وخطب فيها للسلطان محمد وسبب ذلك أن الوزير الأعز أبا المحاسن الدهستانى وزير السلطان بركيارق أرسل إلى صدقة يقول له قد تخلف عندك لخزانة السلطان ألف ألف دينار وكذا وكذا ديناراً لسنين كثيرة فإن أرسلتها وإلا سيرنا العساكر إلى بلادك وأخذناها منك فلما سمع هذه الرسالة قطع الخطبة وخطب لمحمد، فلما وصل السلطان بركيارق إلى بغداد على هذه الحالة أرسل إليه مرة بعد مرة يدعوه إلى الحضور عنده فلم يجب إلى ذلك فأرسل إليه الأمير أياز يشير عليه بقصد خدمة السلطان ويضمن له كل مايريده فقال لا أحضر ولا أطيع السلطان إلا إذا سلم وزيره أبا المحاسن إلى وإن لم يفعل فلا يتصور منى الحضور عنده أبداً ويكون فى ذلك ما يكون فإن سلمه إلىّ فأنا العبد المخلص فى العبودية بالحسن والطاعة فلم يجب إلى ذلك فتم على مقاطعته وأرسل إلى الكوفة وطرد عنها النائب بها عن السلطان واستضافها إليه .

﴿ ذكر وصول السلطان محمد إلى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها ﴾ فى هذه السنة فى السابع والعشرين من ذى الحجة وصل السلطان محمد وسنجر إلى بغداد وكان السلطان محمد لما استولى على همذان وغيرها سار إلى بغداد فلما وصل إلى حلوان سار إليه أيلغازى بن أرتق فى عساكره وخدمه وأحسن فى الخدمة وكان عسكر محمد يزيد على عشرة آلاف فارس سوى الأتباع فلما وصلت الأخبار بذلك كان بركيارق على شدة من المرض يرجف عليه خواصه بكرة وعشيا فماج أصحابه وخافوا واضطربوا وحاروا وعبروا به فى محفة إلى الجانب الغربى فنزلوا بالرملة ولم يبق فى بركيارق غير روح يتردد وتيقن أصحابه موته وتشاوروا فى كفنه وموضع دفنه فبينما هم كذلك إذ قال لهم إنى أجد نفسى قد قويت وحركتى قد تزايدت فطابت نفوسهم وساروا وقد وصل العسكر الآخر فتراءى الجمعان بينهما دجلة وجرى بينهما مراماة وسباب وكان أكثر مايسبهم عسكر محمد (ياباطنية) يعيرونهم بذلك ونهبوا البلاد فى طريقهم إلى أن وصلوا إلى واسط ووصل السلطان محمد إلى بغداد فنزل بدار المملكة فبرز إليه توقيع الخليفة المستظهر بالله يتضمن الامتعاض من سوء سيرة بركيارق ومن معه والاستبشار بقدومه وخطب له بالديوان ونزل الملك سنجر بدار كوهرآيين وكان محمد قد استوزر بعد مؤيد الملك خطير

Marfat.com

Marfat.com

الملك أبامنصور محمد بن الحسين وقدم إليه فى المحرم سنة خمس وتسعين الأمير سيف الدولة صدقة وخرج الخلق كلهم إلى لقائه .

﴿ذكر حال قاضى جبلة﴾ هو أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة وكان والده رئيسها أيام كان الروم مالكين لها على المسلمين يقضى بينهم ، فلما ضعف أمر الروم وملكها المسلمون وصارت تحت حكم جلال الملك أبى الحسن على بن عمار صاحب طرابلس كان منصور على عادته فى الحكم فيها ، فلما توفى منصور قام ابنه أبو محمد مقامه وأحب الجندية واختار الجند فظهرت شهامته فأراد ابن عمار أن يقبض عليه فاستشعر منه وعصى عليه وأقام الخطبة العباسية فبذل ابن عمار لدقاق بن تتش مالا ليقصده ويحصره ففعل وحصره فلم يظفر منه بشئ وأصيب صاحبه أتابك طغتكين بنشابة فى ركبته وبقى أثرها وبقى أبو محمد بها مطاعا إلى أن جاء الفرنج لعنهم الله فحصروها فأظهر أن السلطان بركيارق قد توجه إلى الشام وشاع هذا فرحل الفرنج فلما تحققوا اشتغال السلطان عنهم عاودوا حصاره فأظهر أن المصريين قد توجهوا لحربهم فرحلوا ثانيا ثم عادوا فقرر مع النصارى الذين بها أن يراسلوا الفرنج ويواعدوهم إلى برج من أبراج البلد ليسلموه إليهم ويملكوا البلد فلما أتتهم الرسالة جهزوا نحو ثلثمائة رجل من أعيانهم وشجعانهم فتقدموا إلى ذلك البرج فلم يزالوا يرقون فى الحبال واحدا بعد واحد وكلما صار عند ابن صليحة وهو على السور رجل منهم قتله إلى أن قتلهم أجمعين فلما أصبحوا رمى الرؤس إليهم فرحلوا عنه وحصروه مرة أخرى ونصبوا على البلد برج خشب وهدموا برجا من أبراجه وأصبحوا وقد بناه أبو محمد ثم نقب فى السور نقوبا وخرج من الباب وقاتلهم فانهزم منهم وتبعوه فخرج أصحابه من تلك النقوب فأتوا الفرنج من ظهورهم فولوا منهزمين وأسر مقدمهم المعروف بكنداصطيل فافتدى نفسه بمال جزيل ثم علم أنهم لا يقعدون عن طلبه وليس له من يمنعهم عنه فأرسل إلى طغتكين أتابك يلتمس منه إنفاذ من يثق به ليسلم إليه ثغر جبلة ويحميه ليصل هو إلى دمشق بماله وأهله فأجابه إلى ما التمس وسير إليه ولده تاج الملوك بورى فسلم إليه البلد ورحل إلى دمشق وسأله أن يسيره إلى بغداد ففعل ، وسيره ومعه من يحميه إلى أن وصل إلى الأنبار ولما صار بدمشق أرسل ابن عمار صاحب طرابلس إلى الملك دقاق ، وقال سلم إلىّ ابن صليحة عريانا وخذ ماله أجمع وأنا أعطيك ثلثمائة ألف دينار فلم يفعل ، فلما وصل إلى الأنبار أقام بها أياما ثم سار إلى بغداد وبها السلطان بركيارق فلما وصل أحضره الوزير الأعز أبو المحاسن عنده وقال له السلطان محتاج والعساكر يطالبونه بما ليس عنده ونريد منك ثلاثين ألف دينار وتكون لك منة عظيمة تستحق بها المكافأة والشكر فقال السمع والطاعة ولم يطلب أن يحط شيئا وقال إن رحلى ومالى فى الأنبار بالدار التى نزلتها فأرسل الوزير إليها جماعة فوجدوا فيها مالا كثيرا وأعلاقا نفيسة فمن جملة ذلك ألف ومائة قطعة مصاغا عجيب الصنعة ومن الملابس والعمائم التى لا يوجد مثلها شىء كثير ، كان ينبغى أن نذكر هذه الحوادث التى بعد انهزام السلطان محمد إلى ههنا بعد قتل الباطنية ، فإنها كانت أواخر السنة وكان قتلهم فى شعبان وإنما قدمناها لنتبع بعض الحادثة بعضا لا يفصل بينها شىء . وأما تاج الملوك بورى فإنه لما ملك جبلة وتمكن منها أساء السيرة هو وأصحابه مع أهلها وفعلوا بهم أفعالا أنكروها فراسلوا القاضى فخر الملك أباعلى عمار بن محمد بن عمار صاحب طرابلس وشكوا إليه ما يفعل بهم وطلبوا منه أن يرسل إليهم بعض أصحابه ليسلموا إليه البلد ففعل ذلك وسير إليهم عسكر فدخلوا جبلة واجتمعوا بأهلها وقاتلوا تاج الملوك

Marfat.com

ومن معه فانهزم الأتراك وملك عسكر بن عمار جبلة وأخذوا تاج الملوك أسيراً وحملوه إلى طرابلس فأكرمه ابن عمار وأحسن إليه وسيره إلى أبيه بدمشق واعتذر إليه وعرفه صورة الحال وأنه خاف أن يملك الفرنج جبلة

﴿ذكر قتل الباطنية﴾ فى هذه السنة فى شعبان أمر السلطان بركيارق بقتل الباطنية وهم الإسماعيلية وهم الذين كانوا قديما يسمون قرامطة ونحن نبتدئ بأول أمرهم الآن ثم بسبب قتلهم فأول ماعرف من أحوالهم أعنى هذه الدعوة الأخيرة التى اشتهرت بالباطنية والإسماعيلية فى أيام السلطان ملكشاه فإنه اجتمع منهم ثمانية عشر رجلا فصلوا صلاة العيد فى ساوة فقطن بهم الشحنة فأخذهم وحبسهم، ثم سئل فيهم فأطلقهم فهذا أول اجتماع كان لهم، ثم إنهم دعوا مؤذنا من أهل ساوة كان مقيما بأصبهان فلم يجبهم إلى دعوتهم فخافوه أن ينم عليهم فقتلوه، فهو أول قتيل لهم وأول دم أراقوه فبلغ خبره إلى نظام الملك فأمر بأخذ من يتهم بقتله فوقعت التهمة على نجار اسمه طاهر فقتل ومثل به وجروا برجله فى الأسواق فهو أول قتيل منهم، وكان والده واعظا وقدم إلى بغداد مع السلطان بركيارق سنة ست وثمانين، فحظى منه ثم قصد البصرة فولى القضاء بها ثم توجه فى رسالة إلى كرمان فقتله العامة فى الفتنة التى جرت وذكروا أنه باطنى ثم إن الباطنية قتلوا نظام الملك وهى أول فتكة مشهورة كانت لهم وقالوا قتل نجارا فقتلناه به وأول موضع غلبوا عليه وتحصنوا به بلد عند قاين كان متقدمه على مذهبهم فاجتمعوا عنده وقووا به فاجتازت بهم قافلة عظيمة من كرمان إلى قاين فخرج عليهم ومعه أصحابه والباطنية فقتل أهل القفل أجمعين ولم ينج منهم غير رجل تركمانى فوصل إلى قاين فأخبر بالقصة فتسارع أهلها مع القاضى الكرمانى إلى جهادهم فلم يقدروا عليهم ثم قتل نظام الملك ومات السلطان ملكشاه فعظم أمرهم واشتدت شوكتهم وقويت أطماعهم وكان سبب قوتهم بأصبهان أن السلطان بركيارق لما حصر أصبهان وبها أخوه محمود وأمه خاتون الجلالية وعاد منهم ظهرت مقالة الباطنية بها وانتشرت وكانوا متفرقين فى المحال فاجتمعوا وصاروا يسرقون من قدروا عليه من مخالفيهم ويقتلونهم فعلوا هذا بخلق كثير وزاد الأمر حتى أن الإنسان كان إذا تأخر عن بيته عن الوقت المعتاد تيقنوا قتله وقعدوا للعزاء به فحذر الناس وصاروا لاينفرد أحد وأخذوا فى بعض الأيام مؤذنا أخذه جار له باطنى فقام أهله للنياحة عليه فأصعده الباطنية إلى سطح داره وأروه أهله كيف يلطمون ويبكون وهو لايقدر يتكلم خوفا منهم.

﴿ذكر مافعل بهم العامة بأصبهان﴾ لما عمت هذه المصيبة الناس بأصبهان أذن الله تعالى فى هتك أستارهم والانتقام منهم فاتفق أن رجلا دخل دار صديق له فرأى فيها ثيابا ومداسات وملابس لم يعهدها فخرج من عنده وتحدث بما كان فكشف الناس عنها فعلموا أنه من المقتولين وثار الناس كافة يبحثون عمن قتل منهم ويستكشفون فظهروا على الدروب التى هم فيها وأنهم كانوا إذا اجتاز بهم إنسان أخذوه إلى دار منها وقتلوه وألقوه فى بئر فى الدار قد صنعت لذلك وكان على باب درب منها رجل ضرير فإذا اجتاز به إنسان يسأله أن يقوده خطوات إلى باب الدرب فيفعل ذلك فإذا دخل الدرب أخذ وقتل فتجرد للانتقام منهم أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندى الفقيه الشافعى وجمع الجم الغفير بالأسلحة وأمر بحفر أخاديد وأوقد فيها النيران وجعل العامة يأتون بالباطنية أفواجا ومنفردين فيلقون فى النار وجعلوا إنسانا على أخاديد النيران وسموه مالكا فقتلوا منهم خلقا كثيرا.

﴿ذكر قلاعهم التى استولوا عليها ببلاد العجم﴾ واستولوا على عدة حصون منها قلعة أصبهان وهذه

القلعة لم تكن قديما وإنما بناها السلطان ملكشاه وسبب بنائها أنه كان قد أتاه رجل من مقدمى الروم فأسلم وصار معه فاتفق أنه سار يوما إلى الصيد فهرب منه كلب حسن الصيد وصعد هذا الجبل فتبعه السلطان والرومى معه فوجده موضع القلعة فقال له الرومى لو أن عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصنا ننتفع به فأمر ببناء القلعة ومنع منها نظام الملك فلم يقبل قوله فلما فرغت جعل فيها دزدارا فلما انقضت أيام السلطان ملكشاه وصارت أصبهان بيد خاتون أزالت الدزدار وجعلت غيره فيها وهو إنسان ديلمى اسمه زيار فمات وصار بالقلعة إنسان خوزى فاتصل به أحمد بن عطاش وكان الباطنية قد البسوه تاجا وجمعوا له أموالا وقدموه عليهم مع جهله وإنما كان أبوه مقدما فيهم فلما اتصل بالدزدار بقى معه ووثق به وقلده الأمور فلما توفى الدزدار استولى أحمد بن عطاش عليها ونال المسلمين منه ضرر عظيم من أخذ الأموال وقتل النفوس وقطع الطريق والخوف الدائم فكانوا يقولون إن قلعة يدل عليها كلب ويشير بها كافر لابدّ وأن يكون خاتمة أمرها الشر ومنها الموت وهى من نواحى قزوين قيل إن ملكا من ملوك الديلم كان كثير التصيد فأرسل يوما عقابا وتبعه فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة فوجده موضعا حصينا فأمر ببناء قلعة عليه فسماها أله موت ومعناه بلسان الديلم تعليم العقاب ويقال لذلك الموضع ومايجاوره طالقان ، وفيها قلاع حصينة أشهرها الموت وكانت هذه النواحى فى ضمان شرفشاه الجعفرى وقد استناب فيها رجلا علويا فيه بله وسلامة صدر وكان الحسن ابن الصباح[1] رجلا شهما كافيا عالما بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك وكان رئيس الرى إنسان يقال له أبو مسلم وهو صهر نظام الملك فاتهم الحسن بن الصباح بدخول جماعة من دعاة المصريين عليه فخافه ابن الصباح وكان نظام الملك يكرمه وقال له يوما من طريق الفراسة عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام فلما هرب الحسن من أبى مسلم طلبه فلم يدركه وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطاش الطبيب الذى ملك قلعة أصبهان ومضى ابن الصباح فطاف البلاد ووصل إلى مصر ودخل على المستنصر صاحبها فأكرمه وأعطاه مالا وأمره أن يدعو الناس إلى إمامته فقال له الحسن فمن الإمام بعدك فأشار إلى ابنه نزار وعاد من مصر إلى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ورجع إلى خراسان ودخل كاشغر وماوراء النهر يطوف على قوم يضلهم فلما رأى قلعة الموت واختبر أهل تلك النواحى أقام عندهم وطمع فى إغوائهم ودعاهم فى السر وأظهر

---

(١) الحسن بن صباح : أحد دعاة الباطنية وكان قد دخل مصر وتعلم من الزنادقة الذين بها ، ثم صار إلى تلك النواحى ببلاد أصبهان ، وكان لا يدعو إليه من الناس إلا غبيا جاهلا ، لايعرف يمينه من شماله ، ثم يطعمه العسل بالجوز والشونيز ، حتى يحرق مزاجه ويفسد دماغه ، ثم يذكر له أشياء من أخبار أهل البيت ، ويكذب له من أقاويل الرافضة الضلال ، أنهم ظلموا ومنعوا حقهم الذى أوجبه الله لهم ورسوله ، ثم يقول له فاذا كانت الخوارج تقاتل بنى أمية لعلى ، فأنت أحق أن تقاتل فى نصرة إمامك على بن أبى طالب ، ولا يزال يسقيه العسل وأمثاله ويرقيه حتى يستجيب له ويصير أطوع له من أمه وأبيه ، ويظهر له أشياء من المخرقة والتيرنجيات والحيل التى لا تروج إلا على الجهال ، حتى التف عليه بشر كثير ، وجم غفير ، وقد بعث إليه السلطان ملكشاه يتهدده وينهاه عن ذلك ، وبعث إليه بفتاوى العلماء ، فلما قرأ الكتاب بحضرة الرسول قال لمن حوله من الشباب : إنى أريد أن أرسل منكم رسولا إلى مولاه ، فاشرأبت وجوه الحاضرين ، ثم قال لشاب منهم : اقتل نفسك ، فأخرج سكينا فضرب بها غلصمته فسقط ميتا ، وقال لآخر منهم : ألق نفسك من هذا الموضع ، فرمى نفسه من رأس القلعة إلى أسفل خندقها فتقطع ثم قال لرسول السلطان : هذا الجواب . فمنها امتنع السلطان من مراسلته . هكذا ذكره بن الجوزى .

Marfat.com

Marfat.com

الزهد ولبس المسح فتبعه أكثرهم والعلوى صاحب القلعة حسن الظن فيه يجلس إليه يتبرك به فلما أحكم الحسن أمره دخل يوما على العلوى بالقلعة فقال له ابن الصباح أخرج من هذه القلعة فتبسم العلوى وظنه يمزح فأمر ابن الصباح بعض أصحابه بإخراج العلوى فأخرجوه إلى دامغان وأعطاه ماله وملك القلعة ولما بلغ الخبر إلى نظام الملك بعث عسكرا إلى قلعة الموت فحصروه فيها وأخذوا عليه الطرق فضاق ذرعه بالحصر فأرسل من قتل نظام الملك فلما قتل رجع العسكر عنها ثم إن السلطان محمد بن ملكشاه جهز نحوها العساكر فحصرها وسيرد ذكر ذلك إن شاء الله تعالى. ومنها طبس وبعض قهستان وكان سبب ملكهم لها أن قهستان كان قد بقى فيها بقايا من بنى سيمجور أمراء خراسان أيام السامانية وكان قد بقى من نسلهم رجل يقال له المنور وكان رئيسا مطاعا عند الخاصة والعامة فلما ولى كلسارغ قهستان ظلم الناس وعسفهم وأراد أختا المنور بغير حل فحمل ذلك المنور على أن التجأ إلى الاسماعيلية وصار معهم فعظم حالهم فى قهستان واستولوا عليها. ومن جملتها خوروخوسف وزوزن وقاين وتون وتلك الأطراف المجاورة لها هو منها قلعة وسنمكوه ملكوها وهى بقرب أبهر سنة أربع وثمانين وتأذى بهم الناس لاسيما أهل أبهر فاستغاثوا بالسلطان بركيارق فجعل عليها من يحاصرها فحوصرت ثمانية أشهر وأخذت منهم سنة تسع وثمانين وقتل كل من بها عن آخرهم. ومنها قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من أصبهان كانت لمؤيد الملك بن نظام الملك وانتقلت إلى جاولى سقاووا فجعل بها إنسانا تركيا فصادقه نجار باطنى وأهدى له هدية جميلة ولزمه حتى وثق به وسلم إليه مفاتيح القلعة فعمل دعوة للتركى وأصحابه فسقاهم الخمر فأسكرهم واستدعى ابن عطاش فجاء فى جماعة من أصحابه فسلم إليهم القلعة فقتلوا من بها سوى التركى فإنه هرب وقوى ابن عطاش بها وصار له على أهل أصبهان القطائع الكثيرة. ومن قلاعهم المذكورة استوناوند وهى بين الرى وآمل ملكوها بعد ملكشاه نزل منها صاحبها فقتل وأخذت منه ومنها أردهن وملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصباح. ومنها كردكوه وهى مشهورة ومنها قلعة الناظر بخوزستان وقلعة الطنبور وبينها وبين أرجان فرسخان أخذها أبو حمزة الإسكاف وهو من أهل أرّجان سافر إلى مصر وعاد داعية لهم. وقلعة خلادخان وهى بين فارس وخوزستان وأقام بها المفسدون نحو مائتى سنة يقطعون الطريق حتى فتحها عضد الدولة بن بويه وقتل من بها فلما صارت الدولة لملكشاه أقطعها الأمير أنز فجعل بها دزدارا فأنفذ إليه الباطنية الذين بأرّجان يطلبون منه بيعها فأبى فقالوا له نحن نرسل إليك من يناظرك حتى يظهر لك الحق فأجابهم إلى ذلك فأرسلوا إليه إنسانا ديلميا يناظره وكان للدزدار مملوك قد رباه وسلم إليه مفاتيح القلعة فاستماله الباطنى فأجابه إلى القبض على صاحبه وتسليم القلعة إليهم فقبض عليه وسلم القلعة إليهم ثم أطلقه واستولوا بعد ذلك على عدة قلاع هذه أشهرها.

(ذكر مافعله جاولى سقاووا بالباطنية) فى هذه السنة قتل جاولى سقاووا خلقا كثيراً منهم وسبب ذلك أن هذا الأمير كانت ولايته البلاد التى بين رامهرمز وأرّجان فلما ملك الباطنية القلاع المذكورة بخوزستان وفارس وعظم شرهم وقطعوا الطريق بتلك البلاد واقف جماعة من أصحابه حتى أظهروا الشغب عليه وفارقوه وقصدوا الباطنية وأظهروا أنهم معهم وعلى رأيهم فأقاموا عندهم حتى وثقوا بهم ثم أظهر جاولى أن الأمراء بنى برسق يريدون قصده وأخذ بلاده وأنه عازم على مفارقتها لعجزه عنهم والمسير إلى همذان فلما ظهر ذلك وسار قال من عند الباطنية من أصحابه لهم الرأى أننا نخرج إلى طريقه ونأخذه ومامعه من الأموال فساروا إليه فى ثلثمائة من

أعيانهم وصناديدهم فلما التقوا صار من معهم من أصحاب جاولى عليهم ووضعوا السيف فيهم فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر صعدوا إلى الجبل وهربوا وغنم جاولى مامعهم من دواب وسلاح وغير ذلك .

﴿ذكر قتل صاحب كرمان الباطنى وملك غيره﴾ كان تيرانشاه بن تورانشاه بن قاورت بك هو الذى قتل الأتراك الإسماعيلية وليسوا منسوبين إلى هذه الطائفة الباطنية إنما نسبوا إلى أمير اسمه إسماعيل وكانوا من أهل السنة قتل منهم ألفى رجل صبراً وقطع أيدى ألفين ونفق عليه إنسان يقال له أبوزرعة كان كاتبا بخوزستان فحسن له مذهب الباطنية فأجاب إليه وكان عنده فقيه حنفى يقال له أحمد بن الحسين البلخى كان مطاعا فى الناس فأحضره عنده ليلا وأطال الجلوس معه فلما خرج من عنده اتبعه بمن قتله فلما أصبح الناس دخلوا عليه وفيهم صاحب جيشه فقال لتيرانشاه أيها الملك من قتل هذا الفقيه فقال أنت شحنة البلد تسألنى من قتله فقال أنا أعرف قاتله ونهض من عنده ففارقه فى ثلثمائة فارس وسار إلى أصبهان فأرسل فى أثره ألفى فارس ليردوه فقاتلهم وهزمهم وصار إلى أصبهان وبها السلطان محمد ومؤيد الملك فأكرمه السلطان وقال أنت والد الملوك وامتعض عسكر كرمان بعد مسيره واجتمعوا وقاتلوا تيرانشاه وأخرجوه عن مدينة بردسير التى هى مدينة كرمان فلما فارقها اتفق القاضى والجند وأقاموا أرسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورت بك وسار تيرانشاه إلى مدينة بم من كرمان فحاربه أهلها ومنعوه منها وأخذوا مامعه من أموال وجواهر وقصد قلعة سميرم وتحصن بها وفيها أمير يعرف بمحمد بهستون فأرسل أرسلانشاه جيشا حصروا القلعة فقال محمد بهستون لتيرانشاه انصرف عنى فلست أرى الغدر بك وأنا رجل مسلم ومقامك عندى يؤذينى وأتهم بك فى دينى فلما عزم على الخروج أرسل محمد بهستون إلى مقدم الجيش الذين يحاصرونهم يعلمه بمسير تيرانشاه فجرد عسكرا إلى طريقه فخرجوا عليه وأخذوه ومامعه وأخذوا أيضا أبازرعة فأرسل أرسلانشاه فقتلهما وتسلم جميع بلاد كرمان .

﴿ذكر السبب فى قتل بركيارق الباطنية﴾ لما اشتد أمر الباطنية وقويت شوكتهم وكثر عددهم صار بينهم وبين أعدائهم ذحول وإحن فلما قتلوا جماعة من الأمراء الأكابر وكان أكثر من قتلوا من هو فى طاعة محمد مخالف للسلطان بركيارق مثل شحنة أصبهان سرمز وأرغش وكمش النظاميين وصهره وغيرهم نسب أعداء بركيارق ذلك اليه وأتهموه بالميل إليهم فلما ظفر السلطان بركيارق وهزم أخاه السلطان محمدا وقتل مؤيد الملك وزيره انبسط جماعة منهم فى العسكر واستغووا كثيرا منهم وأدخلوهم فى مذهبهم وكادوا يظهرون بالكثرة والقوة وحصل بالعسكر منهم طائفة من وجوههم وزاد أمرهم فصاروا يتهددون من لا يوافقهم بالقتل فصار يخافهم من يخالفهم حتى أنهم لم يتجاسر أحد منهم لا أمير ولا متقدم على الخروج من منزله حاسرا بل يلبس تحت ثيابه درعا حتى أن الوزير الأعز أبا المحاسن كان يلبس زردية تحت ثيابه واستأذن السلطان بركيارق خواصه فى الدخول عليه بسلاحهم وعرفوه خوفهم ممن يقاتلهم فأذن لهم فى ذلك وأشاروا على السلطان أن يفتك بهم قبل أن يعجز عن تلافى أمرهم وأعلموه مايتهمه الناس به من الميل إلى مذهبهم حتى أن عسكر أخيه السلطان محمد يشنعون بذلك وكانوا فى المصاف يكبرون عليهم ويقولون يا باطنية فاجتمعت هذه البواعث كلها فأذن السلطان فى قتلهم والفتك بهم وركب هو والعسكر معه وطلبوهم وأخذوا جماعة من خيامهم ولم يفلت منهم إلا من لم يعرف وكان ممن اتهم بأنه مقدمهم الأمير محمد بن دشمنزيار ابن علاء الدولة أبى جعفر بن كاكويه صاحب يزد فهرب وسار يومه وليلته فلما كان اليوم الثانى وجد

Marfat.com

فى العسكر قد ضل الطريق ولايشعر فقتل وهذا موضع المثل (أتتك بحائن رجلاه) ونهب خيامه فوجد عنده السلاح المعد وأخرج الجماعة المتهمون إلى الميدان فقتلوا وقتل منهم جماعة برآء لم يكونوا منهم سعى بهم أعداؤهم وفيمن قتل ولد كيقباذ مستحفظ تكريت فلم يغير والده خطبة بركيارق ولكن شرع فى تحصين القلعة وعمارتها ونقض جامع البلد وكان يقاربها لئلا يؤتى منه وجعل بيعة فى البلد جامعا وصلى الناس فيه وكتب إلى بغداد بالقبض على أبى إبراهيم الأسداباذى الذى كان قد وصل إليها رسولا من بركيارق ليأخذ مال مؤيد الملك وكان من أعيانهم ورؤسهم فأخذ وحبس فلما أرادوا قتله قال هبوا أنكم قتلتمونى أتقدرون على قتل من بالقلاع والمدن فقتل ولم يصل عليه أحد وألقى خارج السور وكان له ولد كبير قتل بالعسكر معهم وقد كان أهل عانة نسبوا إلى هذا المذهب قديما فانهى حالهم إلى الوزير أبى شجاع أيام المقتدى بأمر الله فأحضرهم إلى بغداد فسئل مشايخهم عن الذى يقال فيهم فأنكروا وجحدوا فأطلقهم واتهم أيضا الكيا الهراس المدرس بالنظامية بأنه باطنى ونقل ذلك عنه إلى السلطان محمد فأمر بالقبض عليه فأرسل المستظهر بالله من استخلصه وشهد له بصحة الاعتقاد وعلوّ الدرجة فى العلم فأطلق .

﴿ذكر حصر الأمير برغش قهستان وطبس﴾ فى هذه السنة جمع الأمير برغش وهو أكبر أمير مع السلطان سنجر جموعا كثيرة وقواهم بالمال والسلاح وسار إلى بلد الإسماعيلية فنهبه وخربه وقتل فيهم فأكثر وحصر طبس وضيق عليها ورماها بالمنجنيق فخرب كثيرا من سورها وضعف من بها ولم يبق إلا أخذها فأرسلوا اليه الرشا الكثيرة واستنزلوه عما كان يريده منهم فرحل عنهم وتركهم فعاودوا عمارة ما انهدم من سورها وملؤها ذخائر من سلاح وأقوات وغير ذلك ثم عاودهم برغش سنة سبع وتسعين فكان ماتذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ذكر ماملك الفرنج من الشام﴾ فيها سار كندفرى لك الفرنج بالشام وهو صاحب البيت المقدس إلى مدينة عكة بساحل الشام فحصرها فأصابه سهم فقتله وكان قد عمر مدينة يافا وسلمها إلى قمص من الفرنج اسمه طنكرى فلما قتل كندفرى سار أخوه بغدوين إلى البيت المقدس فى خمسمائة فارس وراجل فبلغ الملك دقاق صاحب دمشق خبره فنهض إليه فى عسكره ومعه الأمير جناح الدولة فى جموعه فقاتله فنصر على الفرنج . وفيها ملك الفرنج مدينة سروج من بلاد الجزيرة وسبب ذلك أن الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرها بمكاتبة من أهلها لأن أكثرهم أرمن وليس بها من المسلمين إلا القليل فلما كان الآن جمع سقمان بسروج جمعا كثيرا من التركمان وزحف إليهم فلقوه وقاتلوه فهزموه فى ربيع الأول فلما تمت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج إلى سروج فحصروها وتسلموها وقتلوا كثيرا من أهلها وسبوا حريمهم ونهبوا أموالهم ولم يسلم إلا من مضى منهزما . وفيها ملك الفرنج مدينة حيفا وهى بالقرب من عكة على ساحل البحر ملكوها عنوة وملكوا أرسوف بالأمان وأخرجوا أهلها منها . وفيها فى رجب ملكوا مدينة قيسارية بالسيف وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى شهر رمضان قدم الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وأن يصلى فيه صلاة التراويح ولم يكن جرت بذلك عادة وأمر بالجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وهذا أيضا لم تجربه عادة وإنما ترك الجهر بالبسملة فى جوامع بغداد لأن العلويين أصحاب مصر كانوا يجهرون بها فترك ذلك مخالفة لهم لا اتباعا لمذهب أحمد الإمام وأمر أيضا بالقنوت على مذهب الشافعى فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون ختم فى جامع القصر وازدحم الناس عنده وكان زعيم الرؤساء أبو القاسم على بن فخر الدولة بن جهير أخو عميد الدولة

Marfat.com

قد أطلق من الاعتقال فاختلط بالناس وخرج إلى ظاهر بغداد من ثلة فى السور وسار إلى سيف الدولة صدقة ابن مزيد فاستقبله وأنزله وأكرمه. وفيها فى المحرم توفى جمال الدولة أبو نصر بن رئيس الرؤساء بن المسلمة وهو أستاذ دار الخليفة. وفيه توفى القاضى أحمد بن محمد بن عبد الواحد أبو منصور بن الصباغ الفقيه الشافعى وأخذ الفقه عن ابن عمه الشيخ أبى نصر بن الصباغ وكان يصوم الدهر وروى الحديث عن القاضى أبى الطيب الطبرى وغيره. وفيه توفى شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور المستوفى الخوارزمى بأصبهان وكان مستوفيا فى ديوان السلطان ملكشاه فبذل مائة ألف دينار حتى ترك الاستيفاء وبنى مشهدا على قبر أبى حنيفة رحمة الله عليه ومدرسة بباب الطاق ومدرسة بمرو جميعها للحنفيين وفيها فى صفر توفى القاضى أبو المعالى عزيزى وكان شافعيا أشعريا وهو من جيلان وله مصنفات كثيرة حسنة وكان ورعا وله مع أهل باب الأزج أخبار ظريفة وكان قاضيا عليهم وكانوا يبغضونه ويبغضهم وتوفى أسعد بن مسعود بن على بن محمد أبو إبراهيم العشى من ولد عتبة بن غزوان نيسابورى ولد سنة أربع وأربعمائة وروى عن أبى بكر الحميرى وغيره . وتوفى فى صفر محمد بن أحمد بن عبد الباقى بن الحسن بن محمد ابن طوق أبو الفضائل الربعى الموصلى الفقيه الشافعى تفقه على أبى إسحق الشيرازى وسمع الحديث من أبى الطيب الطبرى وغيره وكان ثقة صالحا. وتوفى فى ربيع الأول منها محمد بن على بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان ابن ودعان أبو نصر القاضى الموصلى وهو صاحب الأربعين الودعانية وقد تكلموا فيها فقيل إنه سرقها وكانت تصنيف زيد بن رفاعة الهاشمى والغالب على حديثه المناكين. وتوفى فيها فى ربيع الأول نصر بن أحمد بن عبد الله ابن البطر القارى أبو الخطاب ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة سمع ابن رزقويه وغيره وصارت إليه الرحلة لعلو إسناده وكان سماعه صحيحا. (١).

﴿ ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر وفاة المستعلى بالله وولاية الآمر بأحكام الله ﴾ فى هذه السنة توفى المستعلى بالله العلوى الخليفة المصرى لسبع عشرة خلت من صفر وكان مولده فى العشرين من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة وكانت خلافته سبع سنين وقريب من شهرين وكان المدبر لدولته الأفضل ولما توفى ولى بعده ابنه أبو على المنصور ومولده ثالث عشر المحرم سنة تسعين وأربعمائة وبويع له بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبوه وله خمس سنين وشهر وأربعة أيام ولقب الآمر بأحكام الله ولم يكن من تسمى بالخلافة قط أصغر منه ومن المستنصر وكان المستنصر أكبر من هذا ولم يقدر يركب وحده على الفرس لصغر سنه وقام بتدبير دولته الأفضل بن أمير الجيوش أحسن قيام ولم يزل كذلك يدبر الأمر إلى أن قتل سنة خمس عشرة وخمسمائة.

﴿ ذكر الحرب بين السلطان بركيارق والسلطان محمد والصلح بينهما ﴾ فى هذه السنة فى صفر كان المصاف الثالث بين السلطان بركيارق ومحمد قد ذكرنا سنة أربع وتسعين قدوم السلطان محمد إلى بغداد ورحيل السلطان

---

(١) وفيها توفى محمد بن الحسن أبو عبد الله المرادى ، نزل أوان وكان مقرئا فقيها صالحا ، له كرامات ومكاشفات ، أخذ عن القاضى أبى يعلى بن الفراء الحديث وغيره . قال بن الجوزى : بلغنى أن ابنا له صغيراً طلب منه غزالا وألح عليه ، فقال له : يابنى غدا يأتيك غزال ، فلما كان الغد أتت غزال فصارت تنطح الباب بقرنيها حتى فتحته ، فقال له أبوه : يابنى أتتك الغزال .

Marfat.com

بركيارق عنها إلى واسط مريضا فأقام السلطان محمد ببغداد إلى سابع عشر المحرم من هذه السنة وسار عنها هو وأخوه السلطان سنجر عائدين إلى بلادهم وسنجر يقصد خراسان والسلطان محمد يقصد همذان فلما سار محمد عن بغداد وصلت الأخبار أن بركيارق قد اعترض خاص الخليفة بواسط وسمع منه فى حق الخليفة مايقبح نقله فأرسل الخليفة وأعاد السلطان محمداً إلى بغداد وذكر له مانقل إليه وعزم على الحركة مع محمد إلى قتال بركيارق فقال السلطان محمد لاحاجة إلى حركة أمير المؤمنين فأنى أقوم فى هذا القيام المرضى وسار عائداً ورتب ببغداد أبا المعالى المفضل بن عبدالرزاق فى جباية الأموال وأيلغازى شحنة وكان لما دخل بغداد قد خلف عسكره بطريق خراسان فنهبوا البلاد وخربوها فأخذهم السلطان محمد معه وجد السير إلى روذراور ، وأما السلطان بركيارق فقد تقدم سنة أربع وتسعين أنه سار من بغداد عند وصول محمد إليها قاصداً إلى واسط ، فلما سمع عسكر واسط بقربه منهم خافوا منه وأخذوا نساءهم وأولادهم وأموالهم وجمعوا السفن جميعها وانحدروا إلى الزبيدية فأقاموا هناك ووصل السلطان وهو شديد المرض يحمل فى محفة وقد هلك من دواب عسكره ومتاعهم الكثير فإنهم كانوا يجدّون السير خوفا أن يتبعهم السلطان محمد أو الأمير صدقة صاحب الحلة فكانوا كلما جازوا قنطرة هدموها ليمتنع من يجتاز بها من أتباعهم ولما وصلوا إلى واسط عوفى بركيارق ولم يكن له ولأصحابه همة غير العبور من الجانب الغربى إلى الجانب الشرقى فلم يجد هناك سفينة وكان الزمان شاتيا شديد البرد والماء زائدا وكان أهل البلد قد خافوهم فلزموا الجامع وبيوتهم فخلت الطرق والأسواق من مجتاز فيها فخرج القاضى أبو على الفارقى إلى العسكر واجتمع بالأميرأياز والوزير واستعطفهما للخلق وطلب إنفاذ شحنة لتطمئن القلوب فأجابوه إلى ملتمسه وقالوا له نريد أن تجمع لنا من يعبر دوابنا فى الماء ونسبح معها فجمع لهم من شباب واسط وأعطاهم الأجرة الوافرة فعبروا دوابهم من الخيل والبغال والجمال وكان الأمير أياز بنفسه يسوق الدواب ويفعل مايفعله الغلمان ولم يكن معهم غير سفينة واحدة انحدرت مع السلطان من بغداد فعبروا أموالهم ورحالهم فيها فلما صاروا فى الجانب الشرقى اطمأنوا ونهب العسكر البلد فرجع القاضى وجدد الخطاب فى الكف عنهم فأجيب إلى ذلك فأرسل معه من يمنع من النهب ثم إن عسكر واسط أرسلوا إلى بركيارق يطلبون الأمان ليحضروا الخدمة السلطان فأمنهم فحضر أكثرهم عنده وساروا معه إلى بلاد بنى برسق فحضروا أيضا عنده وخدموه واجتمعت العساكر عليه وبلغه مسير أخيه محمد عن بغداد فسار يتبعه على نهاوند فأدركه بروذراور وكان العسكران متقاربين فى العدة كل واحد منهما أربعة آلاف فارس من الأتراك فتصافوا أوّل يوم جميع النهار ولم يجر بينهم قتال لشدة البرد وعادوا فى اليوم الثانى ثم تواقفوا كذلك ثم كان الرجل يخرج من أحد الصفين فيخرج اليه من يقاتله فإذا تقاربا اعتنق كل واحد منهما صاحبه وسلم عليه ويعود عنه ثم خرج الأمير بلدجى وغيره من عسكر محمد إلى الأمير أياز والوزير الأعز فاجتمعوا واتفقوا على الصلح لما قد عم الناس من الضرر والملل والوهن فاستقرت القاعدة أن يكون بركيارق السلطان ومحمد الملك ويضرب له ثلاث نوب ويكون له من البلاد جنزة وأعمالها وأذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل وأن يمده السلطان بركيارق بالعساكر حتى يفتح مايمتنع عليه منها وحلف كل واحد منهما لصاحبه وانصرف الفريقان من المصاف رابع ربيع الأوّل وسار بركيارق إلى مرج قراتكين قاصداً أساوة والسلطان محمد إلى أسداباذا وتفرق العسكران وقصد كل أمير أقطاعه.

﴿ ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وانفساح الصلح بينهما ﴾ فى هذه السنة فى جمادى الأولى كان

Marfat.com

Marfat.com

المصاف الرابع بين السلطان بركيارق وأخيه محمد وكان سببه أن السلطان محمد سار من روذراور من الوقعة المذكورة إلى أسداباذ ومنها إلى قزوين ونسب الأمراء الذين سعوا فى ذلك الصلح إلى المخامرة عليه والتقاعد به فوضع رئيس قزوين أن يتوسل إليه بأولئك الأمراء ليحضر دعوته فاستشفع الرئيس بهم إلى السلطان فحضر دعوته بعد أن امتنع ووصى خواصه بحمل السلاح تحت أقبيتهم وحضر الدعوة ومعه الأمير أيتكين وبسمل فقتل الأمير بسمل وهو من أكابر الأمراء وكحل الأمير أيتكين وكان الأمير ينال بن أنوشتكين الحسامى قد فارق بركيارق وأقام مجاهد للباطنية الذين فى القلاع والجبال فقصد الآن السلطان محمد وسار معه إلى الرى يضرب النوب الخمس واجتمعت إليه العساكر وأقام ثمانية أيام وأقام أخوه السلطان بركيارق فى اليوم التاسع ووقع بينهما المصاف عند الرى وكانت عدة العسكرين متقاربة كل عسكر منهما عشرة آلاف فارس فلما اصطفوا حمل الأمير سرخاب بن كيخسرو الديلمى صاحب آبة على الأمير ينال فهزمه وتبعه فى الهزيمة جميع عسكر محمد وتفرقوا ومضى معظمهم نحو طبرستان ولم يقتل فى هذا المصاف غير رجل واحد قتل صبرا ومضى قطعة من المنهزمين نحو قزوين ونهبت خزائن محمد ومضى فى نفر يسير إلى أصبهان وحمل هو عليه بيده ليتبعه أصحابه وسار فى طلبه الأمير البكى بن برسق والأمير أياز الى قم وتتبع بركيارق أصحاب أخيه محمد وأخذ أموالهم .

﴿ ذكر حصار السلطان محمد بأصبهان ﴾ لما انهزم السلطان محمد من الوقعة التى ذكرناها بالرى مضى إلى أصبهان فى سبعين فارسا والبلد فى حكمه وفيه نائبه ومعه من الأمراء الأمير ينال وغيره من الأمراء ودخل المدينة فى ربيع الأول وأمر بتجديد ما تشعث من السور وهذا السور هو الذى بناه علاء الدولة بن كاكويه سنة تسع وعشرين وأربعمائة عند خوفه من طغرلبك وأمر محمد بتعميق الخندق حتى صعد الماء فيه وسلم إلى كل أمير بابا وكان معه فى البلد ألف ومائة فارس وخمسمائة راجل ونصب المجانيق ولما علم السلطان بركيارق بمسير أخيه محمد إلى أصبهان سار يتبعه فوصلها فى جمادى الأولى وعساكره كثيرة تزيد على خمسة عشر ألف فارس ومعها مائة ألف من الحواشى وأقام يحاصر البلد وضيق عليه وكان السلطان محمد يدور كل ليلة على سور البلد ثلاث دفعات فلما زاد الأمر فى الحصار أخرج الضعفاء والفقراء من البلد حتى خلت المحال وعدمت الأقوات وأكل الناس الخيل والجمال وغير ذلك وقلت الأموال فاضطر السلطان محمد إلى أن يستقرض من أعيان البلد فأخذ مالا عظيما ثم عاود الجند الطلب فقسط على أهل البلد شيئا آخر وأخذه منهم بالشدة والعنف فلم تزل الأسعار تغلو حتى بلغ عشرة أمنان من الحنطة بدينار وأربعة أرطال لحما بدينار وكل مائة رطل تبنا بأربعة دنانير ورخصت الأمتعة وهانت لعدم الطالب وكانت الأسعار فى عسكر بركيارق رخيصة فبقى الحصار على البلد إلى عاشر ذى الحجة فلما رأى السلطان محمد أنه لاقدرة له على الدفع عن البلد وكلما جاء أمره يضعف قوى عزمه على مفارقته وقصد جهة أخرى يجمع فيها العساكر ويعود بدفع الخصم عن الحصار فسار عن البلد فى مائة وخمسين فارسا ومعه الأمير ينال واستخلف بالبلد جماعة من الأمراء الكبار فى باقى العسكر فلما فارق العسكر والبلد لم يكن فى دوابهم ما يدوم على السير لقلة العلف فى الحصار فنزل على ستة فراسخ فلما سمع بركيارق بمسير سيره وراءه الأمير أياز فى عسكر كثير وأمره بالجد فى السير فى طلبه فقيل إن محمدا سبقهم فلم يدركوه فرجعوا وقيل بل أدركوه فأرسل إلى الأمير أياز يقول أنت تعلم أن لى فى رقبتك عهودا وأيمانا ما نقضت ولم يكن منى إليك ماتبالغ فى أذاى فعاد عنه وأرسل له خيلا وأخذ علمه والجنز وثلاثة أحمال دنانير وعاد إلى

بركيارق فدخل عليه وأعلام أخيه السلطان محمد منكوسة فأنكر بركيارق ذلك وقال إن كان قد أساء فلا ينبغى أن يعمل معه هذا فأخبره الخبر فاستحسن ذلك منه فلما فارق محمد أصبهان اجتمع من المفسدين والسوادية ومن يرد النهب ما يزيد على مائة ألف نفس وزحفوا إلى البلد بالسلاليم والدبابات وطموا الخندق بالتبن والتصقوا بالسور وصعد الناس فى السلاليم فقاتلهم أهل البلد قتال من يريد يحمى حريمه وماله فعادوا خائبين فحينئذ أشار الأمراء على بركيارق بالرحيل فرحل ثامن عشر ذى الحجة من السنة واستخلف على البلد القديم الذى يقال له شهرستان ترشك الصوابى فى ألف فارس مع ابنه ملكشاه وسار إلى همذان وكان هذا من أعجب ما سطر إن سلطانا محصورا قد تقطعت مواده وهو يخطب له فى أكثر البلاد ثم يخلص من الحصر الشديد وينجو من العساكر الكثيرة التى كلها قد شرع إليه رمحه وفوق إليه سهمه.

﴿ذكر قتل الوزير الأعز ووزارة الخطير أبى منصور﴾ فى هذه السنة ثانى عشر صفر قتل الوزير الأعز أبو المحاسن عبد الجليل بن محمد الدهستانى وزير السلطان بركيارق على أصبهان، وكان مع بركيارق محاصراً لها فركب هذا اليوم من خيمته إلى خدمة السلطان فجاء شاب أشقر قيل إنه كان من غلمان أبى سعيد الحداد، وكان الوزير قتله فى العام الماضى فانتهز الفرصة فيه وقيل كان باطنيا فجرحه عدة جراحات فتفرق أصحابه عنه، ثم عادوا إليه فجرح أقربهم منه جراحات أثخنته وعاد إلى الوزير فتركه بآخر رمق وكان كريما واسع الصدر حسن الخلق كثير العمارة ونفر الناس منه لأنه دخل فى الوزارة وقد تغيرت القوانين ولم يبق دخل ولا مال ففعل للضرورة ما خافه الناس بسببه، وكان حسن المعاملة مع النجار فاستغنى به خلق كثير فكانوا يسألونه ليعاملهم فلما قتل ضاع منهم مال كثير ٭ حكى أن بعض النجار باعه متاعا بألف دينار فقال له خذ بها حنطة من الراذان خمسين كراكل كر بعشرين ديناراً فامتنع التاجر من أخذها وقال لا أريد غير الدنانير، فلما كان من الغد دخل إليه التاجر فقال له بهنيك يا فلان، فقال وماهو قال خبر حنطتك فقال مالى حنطة ولا أريدها قال بلى وقد بيعت كل كر بخمسين ديناراً فقال أنا لم أتقبل بها فقال الوزير ما كنت لأفسخ عقداً عقدته قال فخرجت وأخذت ثمن الحنطة الفين وخمسمائة دينار وأضفت إليها مثلها وعاملته فقتل فضاع الجميع، وكان قد نفق عليه عمل الكيمياء واختص به إنسان كيميائى فكان يعده الشهر بعد الشهر والحول بعد الحول، وقال له بعض أصحابه وقد أحاله عليه بكر حنطة فاستزاده لو كان صادقا فى عمله لما كان يستزيد من القدر القليل، وقتل ولم يصح له منه شىء ولما قتل الأعز أبو المحاسن وزر بعده الوزير الخطير أبو منصور الميبذى الذى كان وزير السلطان محمد وكان سبب فراقه لوزارة محمد أنه كان معه بأصبهان وبركيارق يحاصره، وقد سلم إليه محمد باباً من أبوابها ليحفظها فقال له الأمير ينال بن أنوشتكين كنت قد كلفتنا ونحن بالرى لقصد همذان وقلت أنا أقيم بالعسكر من مالى وأحصل لهم ما يقوم بهم ولابد من ذلك فقال له الخطير أنا أفعل ذلك فلما كان الليل فارق البلد وخرج من الباب الذى كان مسلما إليه وقصد بلده ميبذ وأقام بقلعتها متحصنا فأرسل إليه لسلطان بركيارق وحصره فنزل منها مستأمنا فحمل على بغل بإكاف إلى العسكر فوصله فى طريقه قتل الوزير الأعز وكتاب السلطان له بالأمان وطيب قلبه فلما وصل إلى العسكر خلع عليه واستوزره.

﴿حادثة يعتبر بها﴾ فى سنة ثلاث وتسعين بيع رحل بنى جهير ودورهم بباب العامة ووصل ثمن ذلك إلى مؤيد الملك ثم قتل فى سنة أربع وتسعين مؤيد الملك وبيع ماله وتركته وأخذ الجميع وحمل إلى الوزير الأعز

Marfat.com

وقتل الوزير الأعز هذه السنة وبيع رحله واقتسمت أمواله وأخذ السلطان ومن ولى بعده أكثرها وتفرقت أيدى سبا ، وهذا عاقبة خدمة الملوك .

﴿ذكر الفتنة بين أيلغازى وعامة بغداد﴾ فى هذه السنة فى رجب كانت فتنة شديدة بين عسكر الأمير أيلغازى ابن أرتق شحنة بغداد وبين عامتها وسببها أن أيلغازى كان بطريق خراسان فعاد إلى بغداد فلما وصل أتى جماعة من أصحابه إلى دجلة فنادوا ملاحا ليعبر بهم فتأخر فرماه أحدهم بنشابة فوقعت فى مشعره فمات فأخذ العامة القاتل وقصدوا باب النوبى فلقيهم ولد أيلغازى مع جماعة فاستنقذوه ورجمهم العامة بسوق الثلاثاء فمضى إلى أبيه مستغيثا فأخذ حاجب الباب من له فى هذه الحادثة عمل فلم يقنع أيلغازى ذلك فعبر بأصحابه إلى محلة الملاحين المعروفة بمربعة القطانين وتبعهم خلق كثير فنهبوا ماوجدوا وقدروا عليه فعطف عليهم العيارون فقتلوا أكثرهم ونزل من سلم فى السفن ليعبروا دجلة فلما توسطوها ألقى الملاحون أنفسهم فى الماء وتركوهم فغرقوا فكان الغريق أكثر من القتيل وجمع أيلغازى التركمان وأراد نهب الجانب الغربى فأرسل إليه الخليفة قاضى القضاة والكيا الهراس المدرس بالنظامية فمنعاه من ذلك فامتنع .

﴿ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها﴾ فى هذه السنة فى العشرين من شوال قصد الأمير إسماعيل صاحب البصرة مدينة واسط للاستيلاء عليها ونحن نبتدئ بذكر إسماعيل وتنقل الأحوال به إلى أن ملك البصرة وهو إسماعيل بن سلانجق وكان إليه فى أيام ملكشاه شحنكية الرى ، ولما وليها كان أهل الرى والرستاقية قد أعيوا من وليهم وعجز الولاة عنهم فسلك معهم طريقا أصلحهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة فتهذبوا بها وأرسل من شعورهم إلى السلطان ماعمل منه مقاود وشكلا للدواب ثم عزل عنها ثم إن السلطان بركيارق أقطع البصرة للأمير قماج فأرسل إليها هذا الأمير إسمعيل نائبا عنه فلما فارق قماج بركيارق وانتقل إلى خراسان حدثته نفسه بالتغلب على البصرة والاستبداد فانحدر مهذب الدولة بن أبى الجبر من البطيحة إليه ليحاربه ومعه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الأسدى صاحب الجزيرة الدبيسية فأقبلا فى جمع كثير من السفن والخيل ووصلوا إلى مطارا فبينما معقل يقاتل قريبا من القلعة التى بناها ينال بمطارا وجددها اسمعيل وأحكمها أتاه سهم غرب فقتله فعاد ابن أبى الجبر إلى البطيحة وأخذ إسمعيل سفنه وذلك سنة إحدى وتسعين فاستمد ابن أبى الجبر كوهرائين فأمده بأبى الحسن الهروى وعباس بن أبى الجبر فلقياه فكسرهما وأسرهما وأطلق عباسا على مال أرسله أبوه واصطلحا ، وأما الهروى فبقى فى حبسه مدة ثم أطلقه على خمسة آلاف دينار فلم يصح له منها شىء وقوى حال إسمعيل فبنى قلعة بالأبلة وقلعة بالشاطىء مقابل مطارا وصار مخوف الجانب وأمن البصريون به وأسقط شيئا من المكوس واتسعت إمارته باشتغال السلاطين وملك المشان واستضافها إلى ما بيده فلما كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم إليه فقوى طمعه فى واسط فأصعد فى السفن إلى نهر أبان وراسلهم فى التسليم فامتنعوا من ذلك وقالوا راسلناك وقد رأينا غير ذلك الرأى فأصعد إلى الجانب الشرقى فخيم تحت النخيل وسفنه بين يديه وخيم جند واسط حذاءه وراسلهم ووعدهم وهم لايجيبونه واتفقت العامة مع الجند وشتموه أقبح شتم فلما أيس منهم عاد إلى البصرة وساروا بإزائه من الجانب الآخر فوصل إلى العمر وعبر طائفة من أصحابه فوق البلد وهو يظن أن البلد خاليا وأن الناس قد خرجوا منه لما رأى كثرة من بإزائه فيوقع الحريق فى البلد فإذا رجع الأتراك عاد هو من ورائهم فكان ظنه خائبا لأن العامة كانوا على دجلة أولهم فى البلد وآخرهم مع

Marfat.com

الأتراك بإزائه فلما عبر أصحابه عاد الأتراك عليهم ومعهم العامة فقتلوا منهم ثلاثين رجلا وأسروا خلقا كثيرا وألقى الباقون أنفسهم فى الماء فأتاه من ذلك مصيبة لم يظنها وسار أعيان أصحابه مأسورين وعاد إلى البصرة وكان عوده من سعادته فإنه كان قد قصد الأمير أبو سعد محمد بن مضر بن محمود البصرة ذلك الوقت وله أعمال واسعة منها نصف عمان وجنابة وسيراف وجزيرة بنى نقيس وكان سبب قصده إياها أنه كان قد صار مع إسماعيل إنسان يعرف بجعفرك وآخر اسمه زنجويه والثالث أبى الفضل الأبلى فأطمعوه فى أن يعمل مراكب يرسل فيها مقاتلة فى البحر إلى هذا أبى سعد وغيره فعمل نيفا وعشرين قطعة فلما علم أبو سعد الحال أرسل جماعة كثيرة من أصحابه فى نحو خمسين قطعة فأتوا إلى دجلة البصرة وذلك فى السنة الخالية فأقاموا بها محاربين وظفروا بطائفة من أصحاب إسماعيل وقتلوا صاحب قلعة الأبلة وكاتبوا بنى برسق بخوزستان يطلبون أن يرسلوا عسكرا ليساعدوهم على أخذ البصرة فتمادى الجواب وركن الطائفتان إلى الصلح على أن يسلم إليهم إسماعيل جعفرك ورفيقه ويقطعهم مواضع ذكروها من أعمال البصرة فلما رجعوا لم يفعل شيئا من ذلك وأخذ مركبين لقوم من أصحاب أبى سعد فحمله ذلك على أن سار بنفسه فى قطع كثيرة تزيد على مائه قطعة بين كبيرة وصغيرة ووصل إلى فوهة نهر الأبلة وخرج عسكر إسماعيل فى عدة مراكب ووقع القتال بينهم وكان البحريون فى نحو عشرة آلاف وإسماعيل فى سبعمائة وأصعد البحريون فى دجلة فأحرقوا عدة مواضع وتفرق عسكر إسمعيل فبعضه بالأبلة وبعضه بنهر الدين وبعضه فى مواضع أخر فلما ضعف إسماعيل عن مقاومة أبى سعد طلب من وكيل الخليفة على ما يتعلق بديوانه من البلاد أن يسعى فى الصلح فأرسل إليه فى ذلك فأعاد الجواب يذكر قبح ما عامله به إسماعيل مرة بعد أخرى وتكررت الرسائل بينهم فأجاب إلى الصلح فاصطلحا واجتمعا وعاد أبو سعد إلى بلاده وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية جميلة .

﴿ ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركمانى الموصل وجكرمش بعده وملك سقمان الحصن ﴾ فى هذه السنة فى ذى القعدة توفى قوام الدولة كربوقا عند مدينة خوى وكان السلطان بركيارق قد أرسله فى العام الماضى إلى أذربيجان كما ذكرناه فاستولى على أكثرها وأتى إلى خوى فمرض بها ثلاثة عشر يوما وكان معه أصبهبذ صباوة بن خمارتكين وسنقرجه فوصى إلى سنقرجه وأمر الأتراك بطاعته وأخذ له على عسكره العهود مات على أربعة فراسخ من خوى ولف فى زلية لعدم ما يكفن فيه ودفن بخوى وسار سنقرجة وأكثر العسكر إلى الموصل فتسلمها فأقام بها ثلاثة أيام وكان أعيان الموصل قد كاتبوا موسى التركمانى وهو بحصن كيفا ينوب عن كربوقا فيها وسألوه أن يبادر إليهم ليسلموا إليه البلد فسار مجدا فسمع سنقرجه بوصوله فظن أنه جاء إليه خدمة له فخرج ليستقبله فى أهل البلد فلما تقاربا نزل كل واحد منهما لصاحبه عن فرسه واعتنقا وبكيا على قوام الدولة فتسايرا فقال سنقرجه لموسى فى جملة حديثه أنا مقصودى من جميع ما كان لصاحبنا (المخدة) والمنصب والأموال والولايات لكم وبحكمكم فقال موسى من نحن حتى يكون لنا مناصب ودسوت الأمر فى هذا إلى السلطان يرتب فيه من يريد ويولى من يختار وجرى بينهما محاورات فجذب سنقرجه سيفه وضربه صفحا على رأسه فجرحه فألقى موسى نفسه إلى الأرض وجذب سنقرجه فألقاه إلى الأرض وكان مع موسى ولد منصور بن مروان الذى كان أبوه صاحب ديار بكر فجذب سكينا وضرب بها رأس سنقرجه فأبانه ودخل موسى البلد وخلع على أصحاب سنقرجه وطيب نفوسهم فصارت الولاية له ولما سمع شمس الدولة جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر الخبر

Marfat.com

قصد نصيبين وتسلمها وسار موسى قاصدا إلى الجزيرة فلما قارب جكرمش غدر بموسى عسكره وصاروا مع جكرمش فعاد موسى إلى الموصل وقصده جكرمش وحصره مدة طويلة فاستعان موسى بالأمير سقمان بن أرتق وهو يومئذ بديار بكر وأعطاه حصن كيفا وعشرة آلاف دينار فسار سقمان إليه فرحل جكرمش عنه وخرج موسى لاستقبال سقمان فلما كان موسى عند قرية تسمى كرانا فوثب عليه عدة من الغلمان القوامية فقتلوه رماه أحدهم بنشابة فقتله فعاد أصحابه منهزمين ودفن على تل هناك يعرف الآن بتل موسى ورجع الأمير سقمان إلى الحصن فملكها وهى بيد أولاده إلى يومنا هذا سنة عشرين وستمائة وصاحبها حينئذ غازى بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق وقصد جكرمش الموصل وحصرها أيابا ثم تسلمها صلحا وأحسن السيرة فيها وأخذ القوامية الذين قتلوا موسى فقتلهم واستولى بعد ذلك على الخابور وملك العرب والأكراد فأطاعوه .

﴿ذكر حال صنجيل الفرنجى وما كان منه فى حصار طرابلس﴾ كان صنجيل الفرنجى لعنه الله قد لقى قلج أرسلان بن سليمان ابن قتلمش صاحب قونية وكان صنجيل فى مائة ألف مقاتل وكان قلج أرسلان فى عدد قليل فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم كثير وأسر كثير وعاد قلج أرسلان بالغنائم والظفر الذى لم يحسبه ومضى صنجيل مهزوما فى ثلاثمائة فوصل إلى الشام فأرسل فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس إلى الأمير ياخز خليفة جناح الدولة على حمص فالى الملك دقاق بن تتش يقول من الصواب أن يعاجل صنجيل إذ هو فى هذه العدة القريبة فخرج الأمير ياخز بنفسه وسير دقاق ألفى مقاتل وأتتهم الأمداد من طرابلس فاجتمعوا على باب طرابلس وصافوا صنجيل هناك فأخرج مائة من عسكره إلى أهل طرابلس ومائة إلى عسكر دمشق وخمسين إلى عسكر حمص وبقى هو فى خمسين فأما عسكر حمص فإنهم انكسروا عند المشاهدة وولوا منهزمين وتبعهم عسكر دمشق وأما أهل طرابلس فإنهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم فلما شاهد ذلك صنجيل حمل فى المائتين الباقية فكسروا أهل طرابلس وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل ونازل صنجيل طرابلس وحصرها وأتاه أهل الجبل فأعانوه على حصارها وكذلك أهل السواد وأكثرهم نصارى فقاتل من بها أشد قتال فقتل من الفرنج ثلثمائة ثم إنه هادنهم على مال وخيل فرحل عنهم إلى مدينة أنطرسوس وهى من أعمال طرابلس فحصرها وفتحها وقتل من بها من المسلمين ورحل إلى حصن الطوبان وهو يقارب رفنية ومقدمه يقال له ابن العريض فقاتلهم فنصر عليه أهل الحصن وأسر ابن العريض منه فارسا من أكابر فرسانه فبذل صنجيل فى فدائه عشرة آلاف دينار وألف أسير فلم يجبه ابن العريض إلى ذلك .

﴿ذكر مافعله الفرنج﴾ فى هذه السنة أطلق الدانشمند يمند الفرنجى صاحب أنطاكية وكان قد أسره وقد تقدم ذكر ذلك وأخذ منه مائة ألف دينار وشرط عليه إطلاق ابنة باغى سيان الذى كان صاحب أنطاكية وكانت فى أسره ولما خلص بيمند من أسره عاد إلى أنطاكية فقويت نفوس أهلها ولم يستقر حتى أرسل إلى أهل العواصم وقنسرين وما جاورها يطالبهم بالأتاوة فورد على المسلمين من ذلك ماطمس المعالم التى بناها الدانشمند . وفيها سار صنجيل إلى حصن الأكراد فحصره فجمع جناح الدولة عسكره ليسير إليه ويكبسه فقتله باطنى بالمسجد الجامع فقيل إن الملك رضوان ربيبه وضع عليه من قتله فلما قتل صبح صنجيل حمص من الغد ونازلها وحصر أهلها وسلك أعمالها ونزل القمص على عكة فى جمادى الآخرة وضيق عليها وكاد يأخذها ونصب عليها المنجنيقات والأبراج وكان له فى البحر ست عشرة قطعة فاجتمع المسلمون من سائر السواحل

Marfat.com

وأتوا إلى منجنيقاتهم وأبراجهم فأحرقوها وأحرقوا سفنهم أيضا وكان ذلك نصراً عجيبا أذل الله به الكفار. وفيها صار القمص الفرنجى صاحب الرها إلى بيروت من ساحل الشام وحصرها وضايقها وأطال المقام عليها فلم ير طمعا فرحل عنها. وفيها فى رجب خرجت عساكر مصر إلى عسقلان ليمنعوا الفرنج عما بقى فى أيديهم من البلاد الشامية فسمع بهم بردويل صاحب القدس فسار إليهم فى سبعمائة فارس وقاتلهم فنصر الله المسلمين وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم وانهزم بردويل فاختفى فى أجمة قصب فأحرقت تلك الأجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها إلى الرملة فتبعه المسلمون وأحاطوا به فتنكر وخرج منها إلى يافا وكثر القتل والأسر فى أصحابه

﴿ذكر عود قلعة خفتيذ كان إلى سرخاب بن بدر﴾ فى هذه السنة عادت قلعة خفتيذ كان إلى الأمير سرخاب ابن بدر بن مهلهل وكان سبب أخذها منه أن القرابلى وهو من قبيل من التركمان يقال لهم سلغر كان قد أتى إلى بلد سرخاب فمنعه من المراعى وقتل جماعة من أصحابه فمضى قرابلى إلى التركمان واستجاش بهم وجاء فى عسكر كثير فلقيه سرخاب وقاتله فقتل قرابلى من أصحابه الأكراد قريبا من ألفى رجل وانهزم سرخاب إلى بعض جباله فى عشرين رجلا فلما سمع المستحفظان بقلعة خفتيذ كان ذلك وكانا رجلين حدثتهما أنفسهما بالاستيلاء عليها وكان بها ذخائره وأمواله وقدرها يزيد على ألفى ألف دينار فتملكاها واجتاز بها السلطان بركيارق فأنفذا إليه مائتى ألف دينار واستولى التركمان على جميع بلاد سرخاب بن بدر سوى دقوقا وشهرزور فلما كان هذا الوقت قتل أحد المستحفظين الآخر وأرسل إلى سرخاب يطلب منه الأمان ليسلم إليه القلعة فأمنه على نفسه وعلى ماحصل بيده من أموالها فسلمه إليه ووفى له.

﴿ذكر قتل قدرخان صاحب سمرقند﴾ قد ذكرنا قبل قدوم الملك سنجر مع أخيه السلطان محمد إلى بغداد وعوده إلى خراسان فلما وصل إلى نيسابور خطب لأخيه محمد بخراسان جميعها ولما كان ببغداد طمع قدرخان جبريل بن عمر صاحب سمرقند فى خراسان لبعده عنها وجمع عساكر تملأ الأرض قيل كانوا مائة ألف مقاتل فيهم مسلمون وكفار وقصد بلاد سنجر وكان أمير من أمراء سنجر اسمه كندغدى قد كاتب قدرخان بالأخبار وأعلمه مرض سنجر بعد عوده إلى بلاده وأنه قد أشفى على الهلاك وقوى طمعه بالاختلاف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد وبشدة عداوة بركيارق لسنجر وأشار عليه بالسرعة مهما الاختلاف واقع وأنه متى أسرع ملك خراسان والعراق فبادر قدرخان وأقدم وقصد البلاد فبلغ السلطان سنجر الخبر وكان قد عوفى فبادر وسار نحوه قاصدا قتاله ومنعه عن البلاد وكان من جملة من معه كندغدى المذكور وهو لايتهمه بشىء مما فعل فوصل إلى بلخ فى ستة آلاف فارس فبقى بينه وبين قدرخان نحو خمسة أيام فهرب كندغدى إلى قدرخان وحلف كل واحد منهما لصاحبه على الاتفاق والمناصحة وسار من عنده إلى ترمذ فملكها وكان الباعث للكندغدى على مافعل حسده للأمير بزغش على منزلته ثم تقدم قدرخان فلما تدانى العسكران أرسل سنجر يذكر قدرخان العهود والمواثيق القديمة فلم يصغ إلى قوله وأذكى سنجر العيون والجواسيس على قدرخان فكان لايخفى عنه شىء من خبره فأتاه من أخبر أنه نزل بالقرب من بلخ وأنه خرج متصيدا فى ثلثمائة فارس فندب سنجر عند ذلك الأمير بزغش لقصده فسار إليه فلحقه وهو على تلك الحال فقاتله فلم يصبر من معه قدرخان فانهزموا وأسر كندغدى وقدرخان وأحضرهما عند سنجر فأما قدرخان فإنه قبل الأرض واعتذر فقال له سنجر إن خدمتنا أولم تخدمنا فما جزاؤك إلا السيف ثم أمر به فقتل فلما سمع كندغدى الخبر نجا بنفسه

Marfat.com

ونزل فى قناة ومشى فيها فرسخين تحت الأرض على مابه من النمرس وقتل فيها حيتين عظيمتين وسبق أصحابه إلى مخرجها وسار منها فى ثلاثمائة فارس إلى غزنة وقيل بل جمع سنجر عساكر كثيرة والتقى هو وقدرخان وجرى بينهما مصاف وقتال عظيم كثر فيه القتل فيهم فانهزم قدرخان وعسكره وحمل أسيرا إلى سنجر فقتله وحصر ترمذ وبها كندغدى فطلب الأمان فأمنه سنجر ونزل إليه وسلم ترمذ فأمره سنجر بمفارقة بلاده فسار إلى غزنة فلما وصل إليها أكرمه صاحبها علاء الدولة وحل عنده المحل الكبير واتفق أن صاحب غزنة عزم على قصد أونان وهى جبال منيعة على أربعين فرسخا من غزنة وقد عصى عليه فيها قوم وتحصنوا بمعاقلها ووعور مسالكها فقاتلهم عسكر علاء الدولة فلم يظفروا منهم بطائل فتقدم كندغدى منفردا عنهم فأبلى بلاء حسنا ونصر عليهم وأخذ غنائمهم وحملها إلى علاء الدولة فلم يقبل منها شيئا ووفرها عليه فغضب العسكر وحسدوه على ذلك وعلى قربه من صاحبهم ونفاقه عليه فأشاروا بقبضه وقالوا إنا لانأمن أن يقصد بعض الأماكن فيفعل فى أمر الدولة مالا يمكن تلافيه فقال قد تحققت قصدكم ولكن بمن أقبض عليه فإنى أخاف أن آمركم بالقبض عليه فينالكم منه ماتفتضحون به فقالوا الصواب أن توليه ولاية ويقبض عليه إذا سار إليها فولاه حصنين جرت عادته أن يسجن فيهما من يخاف جانبه فسار إليهما فلما قاربهما عرف مايراد منه فأحرق جميع ماله ونحر جماله وسار جريدة وكان فى مدة مقامه بغزنة يسأل عن الطرق وتشعبها فإنه ندم على قصد تلك الجهة فلما سار سأل راعيا عن الطريق التى يريدها فدله فأخذه معه خوفا أن يكون قدغره ولم يزل سائرا إلى أن وصل إلى قريب هراة فمات هناك وهو من مماليك تتش بن ألب أرسلان الذى كحله أخوه ملكشاه وسجنه بتكريت وقد تقدم ذكر حادثته .

﴿ ذكر ملك محمد خان سمرقند ﴾ فى هذه السنة أحضر السلطان سنجر محمدا أرسلان خان بن سليمان بن داود بغراخان من مرو وملكه سمرقند بعد قتل قدرخان وكان هذا محمد خان من أولاد الخانية مما وراء النهر وأمه ابنة السلطان ملكشاه فدفع عن ملك آبائه فقصد مرو وأقام بها إلى الآن فلما قتل قدرخان ولاه سنجر أعماله وسيرمعه العساكر الكثيرة فعبروا النهر فأطاعه العساكر بتلك البلاد جميعها وعظم شأنه وكثرت جموعه إلا أنه انتصب له أمير اسمه صاغوبك وزاحمه فى الملك فطمع فيه فجرى له معه حروب احتاج فى بعضها إلى الاستنجاد بعساكر سنجر على ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى ولما ملك محمدخان البلاد أحسن إلى الرعايا بوصية من سنجر وحقن الدماء وصار بابه مقصدا وجنابه ملجأ .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة فى ربيع الأول خرج تاج الرؤساء ابن أخت أمين الدولة أبى سعد ابن الموصلايا إلى الحلة السيفية مستجيرا بسيف الدولة صدقة وسبب ذلك أن الوزير الأعز وزير السلطان بركيارق كان ينسب إليه أنه هو الذى يميل جانب الخليفة إلى السلطان محمد فسار خائفا واعتزل خاله أمين الدولة الديوان وجلس فى داره فلما قتل الوزير الأعز على ما ذكرنا عاد تاج الرؤساء من الحلة إلى بغداد وعاد خاله إلى منصبه . وفى ربيع الأول أيضا ورد العميد المهذب أبو المجد أخو الوزير الأعز إلى بغداد نائبا عن أخيه ظنا منه أن أيلغازى لايخالفهم حيث كان بركيارق ومحمد قدانفقا كما ذكرناه فقبض عليه أيلغازى ولم يتغير عن طاعة محمد . وفيها فى جمادى الأولى ورد إلى بغداد ابن تكش بن ألب أرسلان ، وكان قداستولى على الموصل فخدعه من كان بها حتى يسير عنها إلى بغداد ففعل فلما وصل إليها زوجه أيلغازى بن أرتق ابنته .

Marfat.com

وفيها فى شهر رمضان استوزر الخليفة سديد الملك أبا المعالى بن عبد الرزاق ولقب عضد الدين . وفيها فى صفر قتل الريعيون بهيت قاضى البلد أباعلى بن المثنى ، وكان ورعا فقيها حنفيا من أصحاب القاضى أبى عبدالله الدامغانى وكان هذا القاضى على ماجرت به عادة القضاة هناك من الدخول بين القبائل فنسبوه فى ذلك إلى التحامل عليهم فقتله أحدهم فندم الباقون على قتله ، وقدفات الأمر وفيها بنى سيف الدولة صدقة بن مزيد الحلة بالجامعين وسكنها وإنما كان يسكن هو وآباؤه وقبله فى البيوت العربية ، وفى جمادى الأولى قتل المؤيد بن شرف الدولة مسلم بن قريش أمير بنى عقيل قتله بنو نمير عند هيت قصاصا . وفيها توفى القاضى البندنيجى الضرير الفقيه الشافعى انتقل إلى مكة ، فجاور بها أربعين سنة يدرس الفقيه ويسمع الحديث ويشتغل بالعبادة . وفيها توفى أبو عبدالله الحسين ابن محمد الطبرى بأصبهان ، وكان يدرس فقه الشافعى بالمدرسة النظامية ، وقدجاوز تسعين سنة وهو من أصحاب أبى إسحق . وفيها توفى الأمير منظور بن عمارة الحسينى أمير المدينة على ساكنها الصلاة والسلام وقام ولده مقامه وهو من ولد المهنا وقد كان قتل المعمار الذى أنفذه مجد الملك البلاسانى لعمارة القبة التى على قبر الحسن ابن علىّ والعباس رضى الله عنهما ، وكان من أهل قم فلما قتل البلاسانى قتله منظور بعد أن أمنه وكان قد هرب معه إلى مكة فأرسل إليه بأمانة(١)

﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر استيلاء ينال على الرى وأخذها منه ووصوله إلى بغداد﴾ كانت الخطبة بالرى للسلطان بركيارق فلما خرج السلطان محمد من أصبهان على ماذكرناه ومعه ينال بن أنوشتكين الحسامى استأذنه فى قصد الرى وإقامة الخطبة له بها فأذن له فسار هو وأخوه على بن أنوشتكين فوصلا إليها فى صفر فأطاع من بها من نواب بركيارق وخطب لمحمد بالرى واستولى ينال على البلد وعسف أهله وصادرهم بمائتى ألف دينار وأقام بها إلى النصف من ربيع الأول فورد إليه الأمير برسق بن برسق من عند السلطان بركيارق فوقع القتال بينهم على باب الرى ، فانهزم ينال وأخوه علىّ ، فأما علىّ فعاد إلى ولايته قزوين وسلك ينال الجبال فقتل من أصحابه كثير وتشتتوا فأتى إلى بغداد فى سبعمائة رجل فأكرمه الخليفة واجتمع هو وأيلغازى وسقمان ابنا أرتق بمشهد أبى حنيفة وتحالفوا على مناصحة السلطان محمد وساروا إلى سيف الدولة صدقة فحلف لهم أيضاً على ذلك وعادوا .

﴿ذكر مافعله ينال بالعراق﴾ قد ذكرنا وصول ينال بن أنوشتكين إلى بغداد قبل فلما استقر ببغداد ظلم الناس بالبلاد جميعا وصادرهم واستطال أصحابه على العامة بالضرب والقتل والتقسيط وصادر العمال فأرسل إليه الخليفة قاضى القضاة أبا الحسن الدامغانى ينهاه عن ذلك ويقبح عنده ما يرتكبه من الظلم والعدوان وتردد أيضا إلى أيلغازى وكان ينال قد تزوج هذه الأيام بأخته وهى التى كانت زوجة تاج الدولة تتش حتى توسط

---

(١) وفيها توفى محمد بن هبة الله أبو نصر القاضى البندنيجى الضرير الفقيه الشافعى ، أخذ عن الشيخ أبى إسحاق ثم جاور بمكة أربعين سنة ، يفتى ويدرس ويروى الحديث ويحج ، ومن شعره قوله :

عدمتك نفسى ما تملى بطالتى * وقد مر أصحابى وأهل مودتى
أعاهد ربى ثم أنقض عهده * وأترك عزمى حين تعرض شهوتى
وزادى قليل ما أراه مبلغى * أللزاد أبكى أم لبعد مسافتى؟

Marfat.com

Marfat.com

الأمر منه فمضوا اليه وحلفوه على الطاعة وترك ظلم الرعية وكف أصحابه ومنعهم فحلف ولم يف باليمين ونكث ودام على الظلم وسوء السيرة فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة صدقة وعرفه مايفعله ينال من نهب الأموال وسفك الدماء وطلب منه أن يحضر بنفسه ليكف ينال فسار من حلته فى رمضان ووصل بغداد رابع شوال وضرب خيامه بالنجمى واجتمع هو وينال وأيلغازى ونواب ديوان الخليفة وتقررت القواعد على مال يأخذه ويرحل عن العراق فطلب ينال المهلة فعاد صدقة عاشر شوال إلى حلته وترك ولده دبيسا ببغداد ليمنعه من الظلم والتعدى عما استقر الأمر عليه فبقى ينال إلى مستهل ذى القعدة وسار إلى أوانا فنهب وقطع الطريق وعسف الناس وبالغ فى الفعل القبيح وأقطع القرى لأصحابه فأرسل الخليفة إلى صدقة فى ذلك فأرسل ألف فارس وساروا اليه ومعهم جماعة من أصحاب الخليفة وأيلغازى شحنة بغداد فلما سمع ينال بقربهم منه عبر دجلة وسار إلى باجسرى وشعثها وقصد شهرأبان فمنعه أهلها فقاتلهم فقتل بينهم قتلى ورحل عنهم وسار إلى أذربيجان قاصدا إلى السلطان محمد وعاد دبيس بن صداقة وأيلغازى شحنة بغداد إلى مواضعهم .

﴿ذكر وصول كمشتكين القيصرى شحنة إلى بغداد والفتنة بينه وبين أيلغازى وسقمان وصدقة﴾

فى هذه السنة منتصف ربيع الأول ورد كمشتكين القيصرى إلى بغداد شحنة أرسله إليها السلطان بركيارق وقد ذكرنا فى السنة المتقدمة رحيل بركيارق من أصبهان إلى همذان فلما وصلها أرسل إلى بغداد كمشتكين شحنة فلما سمع أيلغازى وهو شحنة ببغداد للسلطان محمد أرسل إلى أخيه سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا يستدعيه إليه ليعتضد به على منعه وسار إلى سيف الدولة صدقة بالحلة واجتمع به وسأله تجديد عهد فى دفع من يقصده من جهة بركيارق فأجابه إلى ذلك وحلف فعاد أيلغازى وورد سقمان فى عساكره ونهب فى طريقه تكريت وسبب تمكنه منها أنه أرسل جماعة من التركمان إلى تكريت معهم أحمال جبن وسمن وعسل فباعوا ما معهم وأظهروا أن سقمان قد عاد عن الانحدار فاطمأن أهل البلد ووثب التركمان تلك الليلة على الحراس فقتلوهم وفتحوا الأبواب وورد إليها سقمان ودخلها ونهبها ولما وصل إلى بغداد نزل بالرملة وأما كمشتكين فوصل أول ربيع الأول إلى قرميسين وأرسل إلى من لدهوى مع بركيارق وأعلمهم بقربه منهم فخرج إليه جماعة منهم فلقوه بالبندنيجين وأعلموه الأحوال وأشاروا عليه بالمعاجلة فأسرع السير فوصل إلى بغداد منتصف ربيع الأول ففارق أيلغازى داره واجتمع بأخيه سقمان وأصعدا من الرملة ونهبا بعض قرى دجيل فسار طائفة من عسكر كمشتكين وراءهما ثم عادوا عنهما وخطب للسلطان بركيارق ببغداد فأرسل كمشتكين القصرى إلى سيف الدولة صدقة ومعه حاجب من ديوان الخليفة فى طاعة بركيارق فلم يجب إلى ذلك وكشف القناع ببغداد فى مخالفته وسار من الحلة إلى جسر صرصر فقطعت خطبة بركيارق ببغداد ولم يذكر على منابرها أحد من السلاطين واقتصر الخطباء على الدعاء للخليفة لا غير ولما وصل سيف الدولة إلى صرصر أرسل إلى أيلغازى وسقمان وكان بحربى يعرفها أنه قد أتى لنصرتهما فعادا ونهبا دجيلا ولم يبقيا على قرية كبيرة ولا صغيرة وأخذت الأموال وافتضت الأبكار ونهب العرب والأكراد الذين مع سيف الدولة بنهر ملك إلا أنهم لم ينقل عنهم مثل التركمان من أخذل النساء والفساد معهن لكنهم استقصوا فى أخذ الأموال بالضرب والإحراق وبطلت معايش الناس وغلت الأسعار فكان الخبز يساوى عشرة أرطال بقيراط فصار ثلاثة

Marfat.com

أرطال بقيراط وجميع الأشياء كذلك فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة فى الإصلاح فلم تستقر قاعدة وعاد أيلغازى وسقمان ومعهما دبيس بن سيف الدولة صدقة من دجيل فخيموا بالرملة فقصدهم جماعة كثيرة من العامة فقاتلهم فقتل من العامة أربعة نفر وأخذ منهم جماعة فأطلقوا بعد أن أخذت أسلحتهم وازداد الأمر شدة على الناس فأرسل الخليفة قاضى القضاة أبا الحسن بن الدمغانى وتاج الرؤساء بن الموصلايا إلى سيف الدولة يأمره بالكف عن الأمر الذى هو ملابسه ويعرفه ما الناس فيه ويعظم الأمر عليه فأظهر طاعة الخليفة أن أخرج القيصرى من بغداد وإلا فليس غير السيف وأرعد وأبرق فلما عاد الرسول استقر الأمر على إخراج القيصرى من بغداد ففارقها ثانى عشر ربيع الآخر وسار إلى الهروان وعاد سيف الدولة إلى بلده وأعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد وسار القيصرى إلى واسط فخاف الناس منه وأرادوا الانحدار منها ليأمنوا فمنعهم القيصرى وخطب لبركيارق بواسط ونهبوا كثيرا من سوادها فلما سمع صدقة ذلك سار إلى واسط فدخلها وعدل فى أهلها وكف عسكره عن أذاهم ووصل إليه أيلغازى بواسط وفارقها القيصرى ونزل متحصنا بدجلة فقيل لسيف الدولة إن هناك مخاضة فسار إليها بعسكره وقد لبسوا السلاح فلما رآهم عسكر القيصرى تفرقوا عنه وبقى فى خواص أصحابه فطلب الأمان من سيف الدولة فآمنه فحضر عنده فأكرمه وقال له قد سمنت وتركتنا نسمن أخرجتنا من بغداد ثم من واسط ونحن لا نعقل ثم بذل صدقة الأمان لجميع عسكر واسط ومن كان مع القيصرى سوى رجلين فعادوا إليه فأمنهم وعاد القيصرى إلى بركيارق وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط وخطب بعده لسيف الدولة وأيلغازى واستناب كل واحد منهما فيها ولده وعاد عنها فى العشرين من جمادى الأولى وأمن أهل واسط مما كانوا يخافونه فأما أيلغازى فإنه أصعد إلى بغداد وأما سيف الدولة صدقة فإنه عاد إلى الحلة وأرسل ولده الأصغر منصورا مع أيلغازى إلى المستظهر بالله يسأله الرضا عنه فإنه كان قد سخط بسبب هذه الحادثة فوصل إلى بغداد وخاطب فى ذلك فأجيب إليه .

﴿ذكر استيلاء صدقة على هيت﴾ كانت مدينة هيت لشرف الدولة مسلم بن قريش أقطعه إياها السلطان ألب أرسلان ولم تزل معه حتى قتل فنظر فيها عمداء بغداد إلى أن مات السلطان ملكشاه ثم أخذها أخوه تتش بن ألب أرسلان فلما استولى السلطان بركيارق أقطعها لبهاء الدولة ثروان بن وهب بن وهيبة وأقام هو وجماعة من بنى عقيل عند سيف الدولة صدقة وكانا متصافيين وكان صدقة يزوره كثيرا ثم تنافرا وكان سبب ذلك أن صدقة زوج بنتا له من ابن عمه وكان ثروان قد خطبها فلم يجبه إلى ذلك فتحالفت عقيل وهم فى حلة سيف الدولة أن يكونوا يدا واحدة عليه فأنكر صدقة ذلك وحج ثروان عقيب ذلك وعاد مريضا فوكل به صدقة وقال لابد من هيت فأرسل ثروان حاجبه وكتب خطه بتسليم البلد إليه وكان بهيت حينئذ محمد بن رافع ابن رفاع بن ضبيعة بن مالك بن مقلد بن جعفر وأرسل صدقة ابنه دبيسا مع الحاجب ليتسلمها فلم يسلم اليه محمد فعاد دبيس إلى أبيه فلما أخذ صدقة واسطا هذه النوبة أصعد فى عسكره إلى هيت فخرج اليه منصور بن كثير بن أخى ثروان ومعه جماعة من أصحابه فلقوا سيف الدولة وحاربوه ساعة من النهار ثم إن جماعة من الربعيين فتحوا لسيف الدولة البلد فدخله أصحابه فلما رأى ذلك منصور ومن معه سلموا البلد اليه فملكه يوم نزوله وخلع على منصور وجماعة من وجوه أصحابه وعاد إلى حلته واستخلف عليه ابن عمه ثابت بن كامل .

﴿ذكر الحرب بين بركيارق ومحمد﴾ فى هذه السنة ثامن جمادى الآخرة كان المصاف الخامس بين السلطان

بركيارق والسلطان محمد وكانت كنجة وبلاد أران جميعها للسلطان محمد وبها عسكره ومقدمهم الأمير غزغلى فلما طال مقام محمد بأصبهان محصورا توجه غزغلى والأمير منصور بن نظام الملك وابن أخيه محمد بن مؤيد الملك بن نظام قاصدين لنصرته ليراهم بعين الطاعة وكان آخر ماتقام فيه الخطبة لمحمد زنجان مما يلى أذربيجان فوصلوا إلى الرى فى العشرين من ذى الحجة سنة خمس وتسعين ففارقه عسكر بركيارق ودخلوه وأقاموا به ثلاثة أيام وصلهم الخبر بخروج السلطان محمد من أصبهان وأنه وصل إلى ساوة فساروا إليه ولحقوه بهمذان ومعه ينال وعلى ابنا أنوشتكين الحسامى فبلغ عددهم ستة آلاف فارس فأقاموا بها إلى أواخر المحرم فأتاهم الخبر بأن السلطان بركيارق قد أتاهم فتلونوا فى رأيهم فسار ينال وعلى ابنا أنوشتكين إلى الرى على ما ذكرناه وعزم السلطان محمد على التوجه إلى شروان فوصل إلى أردبيل فأرسل إليه الملك مودود بن إسماعيل بن ياقوتى صاحب بعض أذربيجان وكانت قبله لأبيه إسمعيل بن ياقوتى وهو خال السلطان بركيارق وكانت أخته زوجة السلطان محمد وهو مطالب السلطان بركيارق بثار أبيه وقد تقدم مقتله أول دولة بركيارق وقال له ينبغى أن تقدم إلينا لتجتمع كلمتنا على طاعتك وقتال خصمنا فسار إليه مجدا وتصيد فى طريقه بين أردبيل وبيلقان وانفرد عن عسكره فوثب عليه نمر وهو غافل فجرح السلطان محمدا فى عضده فأخذ سكينا وشق بها جوف النمر فألقاه عن فرسه ونجا ثم إن مودود بن اسمعيل توفى فى النصف من ربيع الأول وعمره اثنتان وعشرون سنة ولما بلغ بركيارق اجتماع السلطان محمد والملك مودود سار غير متوقف فوصل بعد موت مودود وكان عسكر مودود قد اجتمعوا على طاعة السلطان محمد وحلفوا له وفيهما سكمان القبطى ومحمد بن باغى سيان الذى كان أبوه صاحب أنطاكية وقزل أرسلان بن السبع الأحمر فلما وصل بركيارق وقعت الحرب بينهما على باب خوى من أذربيجان عند غروب الشمس ودامت إلى العشاء الآخرة فاتفق أن الأمير أياز أخذ معه خمسمائة فارس مستريحين وحمل بهم وقد أعيا العسكر من الجهتين على عسكر السلطان محمد فكسرهم وولوا الأدبار لا يلوى أحد على أحد فأما السلطان بركيارق فإنه قصد جبلا بين مراغة وتبريز كثير العشب والماء فأقام به أياما وسار إلى زنجان وأما السلطان محمد فإنه سار مع جماعة من أصحابه إلى أرجيش من بلاد أرمينية على أربعين فرسخا من الوقعة وهى من أعمال خلاط من جملة أقطاع الأمير سكمان القبطى وسار منها إلى خلاط واتصل به الأمير على صاحب أرزن الروم وتوجه إلى آنى وصاحبها منوجهر أخو فضلون الروادى ومنها سار إلى تبريز من أذربيجان وسنذكر باقى أخبارهم سنة سبع وتسعين عند صلحهم إن شاء الله وكان الأمير محمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك مع السلطان محمد فى هذه الوقعة فمر منهزما ودخل ديار بكر وانحدر منها إلى جزيرة ابن عمر وسار منها إلى بغداد وكان فى حياة أبيه يقيم ببغداد فى سوق المدرسة فاتصلت الشكاوى منه إلى أبيه فكتب إلى كوهرآيين بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة وتوجه سنة اثنتين وتسعين إلى مجد الملك البلاسانى ووالده حينئذ بكنجة عند السلطان محمد قبل أن يخطب لنفسه بالسلطنة وتوجه بعد قتل مجد الملك إلى والده وقد صار وزير السلطان محمد وخطب لمحمد بالسلطنة وبقى بعد قتل والده واتصل بالسلطان محمد وحضر معه هذه الحرب فانهزم.

﴿ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبى سعد بن الموصلايا فى الوزارة﴾ فى هذه السنة منتصف رجب قبض على الوزير سديد الملك أبى المعالى وزير الخليفة وحبس فى دار بدار الخلافة وكان أهله قد وردوا عليه من أصبهان فنقلوا إليه وكان محبسه جميلا وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة فإنه قضى عمره فى أعمال

Marfat.com

Marfat.com

السلاطين وليس لهم هذه القواعد ولما قبض عاد أمين الدولة بن الموصلايا إلى النظر فى الديوان ومن عجب ماجرى من الكلام الذى وقع بعد أيام أن سديد الملك كان يسكن فى دار عميد الدولة بن جهير وجلس فيها مجلسا عاما يحضره الناس لوعظ المؤيد عيسى الغزنوى فانشدوا أبياتا ارتجلها .

سديد الملك سدت وخضت بحرا * عميق اللج فاحفظ فيه روحك
وأحى معالم الخيرات واجعل * لسان الصدق فى الدنيا فتوحك
وفى الماضين معتبر فأسرج * مروحك فى السلامة أو جموحك

ثم قال سديد الملك من شرب من مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد زمان ثم أشار إلى الدار وقرأ (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم) فقبض على الوزير بعد أيام .

﴿ ذكر ملك الملك دقاق مدينة الرحبة ﴾ فى هذه السنة فى شعبان ملك الملك دقاق بن تتش صاحب دمشق مدينة الرحبة وكانت بيد إنسان اسمه قايماز من مماليك السلطان ألب أرسلان فلما قتل كربوقا استولى عليها فسار دقاق وطغتكين أتابكه إليه وحصراه بها ثم رحل عنه وتوفى قايماز هذه السنة فى صفر وقام مقامه غلام تركى اسمه حسن فأبعد عنه كثيرا من جنده وخطب لنفسه وخاف من دقاق فاستظهر وأخذ جماعة من السلارية الذين يخافهم فقبض عليهم وقتل جماعة من أعيان البلد وحبس آخرين وصادرهم فتوجه دقاق إليه وحصره فسلم العامة البلد إليه واعتصم حسن بالقلعة فأمنه دقاق فسلم القلعة إليه فأقطعه أقطاعا كثيرا بالشام وقرر أمر الرحبة وأحسن إلى أهلها وجعل فيها من يحفظها ورحل عنها إلى دمشق .

﴿ ذكر أخبار الفرنج بالشام ﴾ كان الأفضل أمير الجيوش بمصر قد أنفذ مملوكا لأبيه لقبه سعد الدولة ويعرف بالطواشى إلى الشام لحرب الفرنج فلقيهم بين الرملة ويافا وتقدم الفرنج يعرف ببغدوين لعنه الله تعالى وتصافوا واقتتلوا فحملت الفرنج حملة صادقة فانهزم المسلمون وكان المنجمون يقولون لسعد الدولة إنك تموت متردیا فكان يحذر من ركوب الخيل حتى أنه ولى بيروت وأرضها مفروشة بالبلاط فقلعه خوفا أن تزلق به فرسه أو يعثر فلم ينفعه الحذر عند نزول القدر فلما كانت هذه الوقعة انهزم فتردى به فرسه فسقط ميتا وملك الفرنج خيمه وجميع ما للمسلمين فأرسل الأفضل بعده ابنه شرف المعالى فى جمع كثير فالتقوا هم والفرنج ببازوز بقرب الرملة فانهزم الفرنج وقتل منهم مقتلة عظيمة وعاد من سلم منهم مفلولين فلما رأى بغدوين شدة الأمر وخاف القتل والأسر ألقى نفسه فى الحشيش واختفى فيه فلما أبعد المسلمون خرج منه إلى الرملة وسار شرف المعالى بن الأفضل من المعركة ونزل على قصر بالرملة وبه سبعمائة من أعيان الفرنج وفيهم بغدوين فخرج متخفيا إلى يافا وقاتل ابن الأفضل من بقى خمسة عشر يوما ثم أخذها فقتل منهم أربعمائة صبرا وأسر ثلثمائة إلى مصر ثم اختلف أصحابه فى مقصدهم فقال قوم نقصد البيت المقدس ونتملكه وقال قوم نقصد يافا ونملكها فبينما هم فى هذا الاختلاف إذ وصل إلى الفرنج خلق كثير فى البحر قاصدين زيارة البيت المقدس فندبهم بغدوين للنزول معه فساروا إلى وسقلان وبها شرف المعالى فلم يكن يقوى بحربهم فالطف الله تعالى بالمسلمين فرأى الفرنج البحرية حصانة عسقلان وخافوا البيات فرحلوا إلى يافا وعاد ولد الأفضل إلى أبيه فسير رجلا يقال له تاج العجم فى البر وهو من أكبر مماليك أبيه وجهز معه أربعة آلاف فارس وسير فى البحر رجلا يقال له القاضى

ابن قادوس فى الأسطول على يافا ونزل تاج العجم على عسقلان فاستدعاه ابن قادوس إليه ليتفقا على حرب الفرنج فقال تاج العجم ما يمكننى أن أنزل إليك إلا بالأمر الأفضل ولم يحضر عنده ولا أعانه فأرسل القادوسى إلى قاض عسقلان وشهودها وأعيانها وأخذ خطوطهم بأنه أقام على يافا عشرين يوما واستدعى تاج العجم فلم يأته ولا أرسل رجلا فلما وقف الأفضل على الحال أرسل من قبض على تاج العجم وأرسل رجلا لقبه جمال الملك فأسكنه عسقلان وجعله متقدم العساكر الشامية وخرجت هذه السنة وبيد الفرنج لعنهم الله البيت المقدس وفلسطين ماعدا عسقلان ولهم أيضا يافا وأرسوف وقيسارية وحيفا وطبريه ولاذقية وأنطاكية ولهم بالجزيرة الرها وسروج وكان صنجيل يحاصر مدينة طرابلس الشام والمواد تأتيها وبها فخر الملك بن عمار وكان يرسل أصحابه فى المراكب يغيرون على البلاد التى بيد الفرنج ويقتلون من وجدوا وقصد بذلك أن يخلو السواد ممن يزرع لثقل المواد من الفرنج فيرحلوا عنه .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة سادس المحرم توفيت بنت أمير المؤمنين القائم بأمر الله التى كانت زوجة السلطان طغرلبك وكانت موصوفة بالدين وكثرة الصدقة وكان الخليفة المستظهر بالله قد ألزمها بيتها لأنه أبلغ عنها أنها تسعى فى إزالة دولته . وفيها فى شعبان أيضا استوزر المستظهر بالله زعيم الرؤساء أبا القاسم بن جهير واستقدمه من الحلة من عند سيف الدولة صدقة وقد ذكرنا فى السنة المتقدمة سبب مسيره إليها ، فلما قدم إلى بغداد خرج كل أرباب الدولة فاستقبلوه وخلع عليه الخلع التامة وأجلس فى الديوان ولقب قوام الدين . وفيه أيضا قتل أبو المظفر بن الخجندى بالرى وكان يعظ الناس فقتله رجل علوى حين نزل من كرسيه وقتل العلوى ودفن الخجندى بالجامع وأصل بيت الخجندى من مدينة خجندة بما وراء النهر وينسبون إلى المهلب ابن أبى صفرة وكان نظام الملك قد سمع أبا بكر محمد بن ثابت الخجندى يعظ بمرو فأعجبه كلامه وعرف محله من الفقه والعلم فحمله إلى أصبهان وصار مدرساً بمدرسته بها فنال جاها عريضا ودنيا واسعة ، وكان نظام الملك يتردد إليه ويزوره . وفيها جمع ساغربك بما وراء النهر جموعا كثيرة وهو من أولاد الخانية وقصد محمد خان الذى ملكه السلطان سنجر سمرقند ونازعه فى ملكها فضعف محمد خان عنه فأرسل إلى السلطان سنجر يستنجده فسار إلى سمرقند فأبعد عنه ساغربك وخافه واحتمى منه وأرسل يطلب الأمان من سنجر والعفو فأجابه إلى ماطلب وحضر ساغربك عنده وقرر الصلح بينه وبين محمد خان وحلف كل واحد منهما لصاحبه ، وعاد إلى خراسان فوصل إلى مرو فى ربيع الأول سنة سبع وتسعين وأربعمائة . وفيها توفى أبو المعالى الصالح ساكن باب الطاق وكان مقلا من الدنيا له كرامات ظاهرة(١)

﴿ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ملك بلك بن بهرام بن أرتق مدينة عانة﴾ فى هذه السنة فى المحرم استولى بلك بن بهرام بن أرتق وهو ابن أخى أيلغازى بن أرتق على مدينة عانة والحديثة وكان له مدينة سروج فأخذها الفرنج منه فسار عنها إلى عانة وأخذها من بنى يعيش بن عيسى بن خلاط فقصد بنو يعيش سيف الدولة صدقة بن مزيد ومعهم مشايخهم

---

(١) وفيها توفى أحمد بن على بن عبدالله بن سوار ، أبو طاهر المقرى صاحب المصنفات فى علوم القرآن ، كان ثقة ثبتا مأمونا عالما بهذا الشأن ، وقد جاوز الثمانين .

Marfat.com

فسألوه الإصعاد إليها وأن يتسلمها منهم ففعل وأصعد معهم فرحل التركمان وبهرام عنها وأخذ صدقة رهائنهم وعاد إلى حلته فرجع بلك إليها ومعه ألفا رجل من التركمان فمانعه أصحابه قليلا واستدل على المخاضة إليها فخاضها وعبر ملكهم ونهبهم وسبى جميع حرمهم وانحدر طالبا هيت من الجانب الشامى فبلغ إلى قريب منها ثم رجع من يومه ولما سمع صدقة جهز العساكر ثم أعادهم عند عود بلك .

﴿ذكر غارة الفرنج على الرقة وقلعة جعبر﴾ فى هذه السنة فى صفر أغار الفرنج من الرها على مرج الرقة وقلعة جعبر وكانوا لما خرجوا من الرها افترقوا فرقتين وأبعدوا يوما واحداً تكون الغارة على البلدين فيه ففعلوا ما استقر بينهم وأغارو واستاقوا المواشى وأسروا من وقع بأيديهم من المسلمين فكانت القلعة والرقة لسالم ابن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب سلمها إليه السلطان ملكشاه سنة تسع وسبعين . وقد ذكرناه فيها

﴿ذكر الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد﴾ فى هذه السنة فى ربيع الآخر وقع الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد بنى ملكشاه وكان سببه أن الحروب تطاولت بينهما وعم الفساد فصارت الأموال منهوبة والدماء مسفوكة والبلاد مخربة والقرى محرقة والسلطنة مطموعا فيها محكوما عليها وأصبح الملوك مقهورين بعد أن كانوا قاهرين وكان الأمراء الأكابر يؤثرون ذلك ويختارونه ليدوم تحكمهم وانبساطهم وإدلالهم وكان السلطان بركيارق حينئذ بالرى والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وخوزستان وفارس وديار بكر والجزيرة وبالحرمين الشريفين وكان السلطان محمد بأذربيجان والخطبة له فيه وببلاد أرانية وأرمينية وأصبهان والعراق كلها ماعدا تكريت وأما أعمال البطائح فيخطب ببعضها لبركيارق وببعضها لمحمد وأما البصرة فكان يخطب فيها لهما جميعا وأما خراسان فإن السلطان سنجر كان يخطب له فى جميعها وهى من حدود جرجان إلى ماوراء النهر ولأخيه السلطان محمد فلما رأى السلطان بركيارق المال عنده معدوما والطمع من العسكر زائداً أرسل القاضى أبا المظفر الجرجانى الحنفى وأبا الفرج أحمد بن عبد الغفار الهمذانى المعروف بصاحب قراتكين إلى أخيه محمد فى تقرير قواعد الصلح فسار إليه وهو بالقرب من مراغة فذكرا له ما أرسلا فيه ورغباه فى الصلح وفضيلته وماشمل البلاد من الخراب وطمع عدوّ الإسلام فى أطراف الأرض فأجاب إلى ذلك وأرسل فيه رسلا واستقر الأمر وحلف كل واحد منهما لصاحبه وتقررت القاعدة أن السلطان بركيارق لايعترض أخاه محمداً فى الطبل وأن لايذكر معه على سائر البلاد التى صارت له وأن لايكاتب أحدهما الآخر بل تكون المكاتبة من الوزيرين ولايعارض أحد من العسكر فى قصد أيهما شاء وأن يكون للسلطان محمد من النهر المعروف بأسبيذروذ إلى باب الأبواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة فأجاب بركيارق إلى هذا وزال الخلف والشغب وأرسل السلطان محمد إلى أصحابه بأصبهان يأمرهم بالانصراف عن البلد وتسليمه إلى أصحاب أخيه وسار السلطان بركيارق إلى أصبهان فلما سلمه إليه أصحاب أخيه دعاهم إلى أن يكونوا معه وفى خدمته فامتنعوا ورأوا لزوم خدمة صاحبهم فسيرهم أهل العسكرين جميعاً أهل الوفاء وتوجهوا من أصبهان ومعهم حريم السلطان محمد إليه وأكرمهم بركيارق وحمل لأهل أخيه المال الكثير ومن الدواب ثلثمائة جمل ومائة وعشرين بغلا تحمل الثقل وسير معهم العساكر يخدمونهم ولما وصلت رسل السلطان بركيارق إلى الخليفة المستظهر بالله بالصلح وما استقرت القواعد عليه حضر أيلغازى بالديوان وسأل فى إقامة الخطبة لبركيارق فأجيب إلى ذلك وخطب له بالديوان يوم الخميس تاسع عشر جمادى الأولى وخطب له من الغد

Marfat.com

بالجوامع وخطب له أيضا بواسط ، ولما خطب أيلغازى ببغداد لبركيارق وصار فى جملته أرسل الأمير صدقة إلى الخليفة يقول كان أمير المؤمنين ينسب إلىّ كل ما يتجدد من أيلغازى من إخلال بواجب الخدمة وشرط الطاعة ومن اطراح المراقبة والآن فقد أبدى صفحته للسلطان الذى استنابه وأنا غير صابر على ذلك بل أسير لإخراجه عن بغداد فلما سمع أيلغازى ذلك شرع فى جمع التركمانى وورد صدقة بغداد ننزل مقابل التاج وقبل الأرض ونزل فى مخيمه بالجانب الغربى ففارق أيلغازى بغداد إلى يعقوبا وأرسل إلى صدقة يعتذر من طاعته لبركيارق بالصلح الواقع وأن إنطاعه حلوان وغيرها فى جملة بلاده وأن بغداد التى هو شحنة فيها قد صارت له فذلك الذى أدخله فى طاعته فرضى عنه صدقة وعاد إلى الحلة . وفى ذى القعدة سيرت الخلع من الخليفة للسلطان بركيارق وللأمير أياز ولوزير بركيارق وهو الخطير العهد بالسلطنة وحلفوا جميعهم للخليفة وعادوا .

﴿ ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا من الشام ﴾ فى هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج إلى مدينة لاذقية فيها التجار والأجناد والحجاج وغير ذلك واستعان بهم صنجيل الفرنجى على حصار طرابلس فحصروها معه برا وبحرا وضايقوها وقاتلوها أياما فلم يروا فيها مطمعا فرحلوا عنها إلى مدينة جبيل فحصروها وقاتلوا عليها قتالا شديدا فلما رأى أهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أمانا وسلموا البهم إليهم فلم تف الفرنج لهم بالأمان وأخذوا أموالهم واستعبدوها بالعقوبات وأنواع العذاب فلما فرغوا من جبيل ساروا إلى مدينة عكا استنجدهم الملك بغدوين ملك الفرنج صاحب القدس على حصارها فنازلوها وحصروها فى البر والبحر وكان الوالى بها اسمه بنا ويعرف بزهر الدولة الجيوشى نسبة إلى الملك الجيوش الأفضل فقاتلهم أشد قتال فزحفوا إليه غير مرة فعجز عن حفظ البلد فخرج منه وملك الفرنج البلد بالسيف قهرا وفعلوا بأهله الأفعال الشنيعة وسار الوالى به إلى دمشق فأقام بها ثم عاد إلى مصر واعتذر إلى الأفضل فقبل عذره .

﴿ ذكر غزو سقمان وجكرمش الفرنج ﴾ لما استطال الفرنج خذلهم الله تعالى بما ملكوه من بلاد الإسلام واتفق لهم اشتغال عساكر الإسلام وملوكه بقتال بعضهم بعضا فتفرقت حينئذ بالمسلمين الآراء واختلفت الأهواء وتمزقت الأموال وكانت حران لمملوك من مماليك ملكشاه اسمه قراجه فاستخلف عليها إنسانا يقال له محمد الأصبهانى وخرج فى العام الماضى فعصى الأصبهانى على قراجه وأعانه أهل البلد لظلم قراجه وكان الأصبهانى جلدا شهما فلم يترك بحران من أصحاب قراجه سوى غلام تركى يعرف بجاولى وجعله اصفهسلار العسكر وأنس به فجلس معه يوما للشرب فاتفق جاولى مع خادم له عن قتله فقتلاه وهو سكران فعند ذلك سار الفرنج إلى حران وحصروها فلما سمع معين الدولة سقمان وشمس الدولة جكرمش ذلك وكان بينهما حرب وسقمان يطالبه بقتل ابن أخيه وكل منهما يستعد للقاء صاحبه وأنا أذكر سبب قتل جكرمش له إن شاء الله تعالى : أرسل كل منهما إلى صاحبه يدعوه إلى الاجتماع معه لتلافى أمر حران ويعلمه أنه قد بذل نفسه لله تعالى وثوابه فكل واحد منهما أجاب صاحبه إلى ما طلب منه وسارا فاجتمعا على الخابور وتحالفا وسارا إلى لقاء الفرنج وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف فارس من الترك والعرب والأكراد فالتقوا على نهر البليخ وكان المصاف بينهم هناك فاقتتلوا فأظهر المسلمون الانهزام فتبعهم الفرنج نحو فرسخين فعاد عليهم المسلمون فقتلوهم كيف شاؤا وامتلأت أيدى التركمان من الغنائم ووصلوا إلى الأموال العظيمة لأن سواد الفرنج كان قريبا وكان بيمند صاحب أنطاكية وطنكرى صاحب الساحل قد انفرد وراء جبل ليأتيا المسلمين من

وراء ظهورهم إذا اشتدت الحرب فلما خرجا رآيا الفرنج منهزمين وسوادهم منهوبا فأقاما إلى الليل وهربا فتبعهم المسلمون وقتلوا من أصحابهما كثيرا وأسروا كذلك وأفلتا فى ستة فرسان وكان القمص بردويل صاحب الرها قد انهزم مع جماعة من قماصتهم وخاضوا نهر البليخ فوحلت خيولهم فجاء تركمانى من أصحاب سقمان فأخذهم وحمل بردويل إلى خيم صاحبه وقد سار فيمن معه لاتباع يمند فرأى أصحاب جكرمش أن أصحاب سقمان قد استولوا على مال الفرنج ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل فقالوا لجكرمش أى منزلة تكون لنا عند الناس وعنده التركمان إذا انصرفوا بالغنائم دوننا وحسنوا له أخذ القمص فأنفذ أخذ القمص من خيم سقمان فلما عاد سقمان شق عليه الأمر وركب أصحابه للقتال فردهم وقال لهم لا يقوم فرح المسلمين فى هذه الغزاة بغمهم باختلافنا ولا أوثر شفاء غيظى بشماتة الأعداء بالمسلمين ورحل لوقته وأخذ سلاح الفرنج ورياتهم وألبس أصحابه لبسهم وأركبهم خيلهم وجعل يأتى حصون شيحان وبها الفرنج فيخرجون ظنا منهم أن أصحابهم نصروا فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم فعل ذلك بعدة حصون وأما جكرمش فإنه سار إلى حران فتسلمها واستخلف بها صاحبه وسار إلى الرها فحصرها خمسة عشر يوما وعاد إلى المرصل ومعه القمص الذى أخذه من خيام سقمان ففاداه بخمسة وثلاثين دينارا ومائة وستين أسيرا من المسلمين وكان عدة القتلى من الفرنج يقارب اثنى عشر ألف قتيل .

﴿ذكر وفاة دقاق وملك ولده﴾ فى هذه السنة فى شهر رمضان توفى الملك دقاق بن تتش بن ألب أرسلان صاحب دمشق وخطب أتابكة طغتكين لولد له صغير له سنة واحدة وجعل اسم المملكة فيه ثم قطع خطبته وخطب لبكتاش بن تتش عم هذا الطفل فى ذى الحجة وله عشرة سنة ثم إن طغتكين أشار عليه بقصد الرحبة فخرج إليها فملكها وعاد فمنعه طغتكين من دخول البلد فمضى إلى حصون وأعاد طغتكين خطبة الطفل ولد دقاق وقيل إن سبب استيحاش بكتاش من طغتكين أن والدته خوفته منه وقالت إنه زوج والدة دقاق وهى لا تتركه حتى تقتلك ويستقيم الملك لولدها فخاف ثم إنه حسن له من كان يحسد طغتكين مفارقة دمشق وقصد بعلبك وجمع الرجال والاستنجاد بالفرنج والعود إلى دمشق وأخذها من طغتكين فخرج من دمشق سرا فى صفر سنة ثمان وتسعين ولحقه الأمير أيتكين الحلبى وهو من جملة من قرر مع بكتاش ذلك وهو صاحب بصرى فعاثا فى نواحى حوران ولحق بهما كل من يريد الفساد وراسلا بغدوين ملك الفرنج يستنجد فأجابهما إلى ذلك وسار إليهما فاجتمعا به وقررا القواعد معه وأقاما عنده مدة فلم يريا منه غير التحريض على الإفساد فى أعمال دمشق وتخريبها فلما يئسا من نصره عادا من عنده وتوجها فى البرية إلى الرحبة فملكها بكتاش وعاد عنها واستقام أمر طغتكين بدمشق واستبد بالأمر وأحسن إلى الناس وبث فيهم العدل فسروا به سرورا كثيرا .

﴿ذكر استيلاء صدقة على واسط﴾ فى هذه السنة فى شوال انحدر سيف الدولة صدقة بن مزيد من الحلة إلى واسط فى عسكر كثير وأمر فنودى بها فى الأتراك من أقام فقد برئت منه الذمة فسار جماعة منهم إلى بركيارق وجماعة إلى بغداد وصار مع صدقة جماعة منهم ثم إنه أحضر مهذب الدولة بن أبى الجير صاحب البطيحة وضمنه البلد لمدة آخرها آخر السنة بخمسين ألف دينار ، وعاد إلى الحلة وأقام مهذب الدولة بواسط إلى سادس ذى القعدة وانحدر إلى بلده .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى ربيع الأول أطلق سديد الملك أبو المعالى من الاعتقال وهو الذى كان وزير الخليفة ولما أطلق هرب إلى الحلة السيفية ومنها إلى السلطان بركيارق فولاه الإشراف على مماليكه

Marfat.com

Marfat.com

وفيها توفى أمين الدولة أبو سعد العلاء بن الحسن بن الموصلايا فجأة وكان قد أضر وكان بليغا فصيحا ، وكان ابتداء خدمته للقائم بأمر الله سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة خدم الخلفاء خمسا وستين سنة كل يوم تزداد منزلته حتى ناب عن الوزارة وكان نصرانيا فأسلم سنة أربع وثمانين وكان كثير الصدقة جميل المحضر صالح النية ووقف أملاكه على أبواب البر ومكاتباته مشهورة حسنة ولما مات خلع على ابن أخته أبى نصر ولقب نظام الحضرتين وقلد ديوان الإنشاء . وفيها كانت ببغداد بين العامة فتن كثيرة وانتشر العيارون وفيها قتل أبو نعيم ابن ساوة الطبيب الواسطى ، وكان من الحذاق فى الطب وله فيه إصابات حسنة . وفيها عزل السلطان سنجر وزيره المجير أبا الفتح الطغرائى وسبب ذلك أن الأمير بزغش وهو إصفهسلار العسكر السنجرى ألقى إليه ملطف فيه لايتم لك مع أمر مع هذا السلطان ووقع إلى سنجر لايتم لك مع الأمير بزغش مع كثرة جموعه فجمع بزغش أصحاب العمائم وعرض عليهم الملطفين فاتفقوا على كاتب الطغرائى وظهرت عليه فقتل وقبض سنجر على الطغرائى وأراد قتله فمنعه بزغش وقال له حق خدمة فأبعده إلى غزنة ، وفيها جمع بزغش كثيراً من عساكر خراسان وأتاه كثير من المتطوعة وسار إلى قتال الإسماعيلية فقصد طبس وهى لهم فخربها وما جاورها من القلاع والقرى وأكثر فيهم القتل والنهب والسبى وفعل بهم الأفعال العظيمة ثم إن أصحاب سنجر أشاروا بأن يؤمنوا ويشرط عليهم أنهم لايبنون حصنا ولايشترون سلاحا ولايدعون أحداً إلى عقائدهم فسخط كثير من الناس هذا الأمان وهذا الصلح ونقموه على سنجر ثم إن بزغش بعد عوده من هذه الغزاة توفى وكانت خاتمة أمره الجهاد رحمه الله . وفى هذه السنة توفى أبو بكر على بن أحمد بن زكرياء الطريثيثى ، وكان صوفيا محدثا مشهور . وفى رجب توفى القاضى أبو الحسين أحمد بن محمد الثقفى قاضى الكوفة ، ومولده فى ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وهو من ولد عروة بن مسعود ومن تلاميذ القاضى الدامغانى وولى القضاء بعده ابنه أبو البركات . وفى ربيع الآخر توفى أبو عبدالله الحسين بن على بن البسرى البندار المحدث ومولده سنة أربع وأربعمائة[1]

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر وفاة السلطان بركيارق﴾ فى هذه السنة ثانى شهر ربيع الآخر توفى السلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قد مرض بأصبهان بالسل والبواسير فسار منها فى محفة طالبا بغداد فلما وصل إلى بروجرد ضعف عن الحركة فأقام بها أربعين يوما فاشتد مرضه فلما آيس من نفسه خلع على ولده ملكشاه وعمره حينئذ أربع سنين وثمانية أشهر وخلع على الأمير أياز وأحضر جماعة الأمراء وأعلمهم أنه قد جعل ابنه ولى عهده فى السلطنة وجعل الأمير أياز أتابكه وأمرهم بالطاعة لهما ومساعدتهما على حفظ السلطنة لولده والذب عنها فأجابوا كلهم بالسمع والطاعة وبذل النفوس والأموال فى حفظ ولده وسلطنته عليه واستحلفهم على ذلك فحلفوا وأمرهم

---

(١) وفيها توفى أزدشير بن منصور أبو الحسن العبادى الواعظ ، قدم بغداد فوعظ بها فأحبته العامة فى سنة ست وثمانين ، وقد كانت له أحوال جيدة فيما يظهر والله أعلم . وفيها توفى إسماعيل بن محمد بن أحمد بن عثمان ، أبو الفرج الفومسانى ، من أهل همذان ، سمع من أبيه وجده . وكان حافظا حسن المعرفة بالرجال وأنواع الفنون مأمونا ، وفيها توفى محمد بن أحمد بن عمر أبو عمر الهاوندى . قاضى البصرة مدة طويلة ، وكان فقيها ، سمع من أبى الحسن الماوردى وغيره مولده فى سنة سبع ، وقيل تسع ، وأربعمائة والله أعلم .

Marfat.com

بالمسير إلى بغداد فساروا فلما كانوا على اثنى عشر فرسخا من برجرد وصلهم خبر وفاته وكان بركيارق قد تخلف على عزم العود إلى أصبهان فعاجلته منيته ، فلما سمع الأمير أياز بموته أمر وزيره الخطير المبيذى وغيره بأن يسيروا مع تابوته إلى أصبهان فحمل إليها ودفن فى تربة جددتها له سريته ثم ماتت بعد أيام فدفنت بإزائه ، وأحضر أياز السرادقات والخيام والجمال والشمسة وجميع مايحتاج إليه السلطان فجعله برسم ولده ملكشاه .

﴿ذكر عمره وشىء من سيرته﴾ لما توفى بركيارق كان عمره خمسا وعشرين سنة ومدة وقوع اسم السلطنة عليه اثنى عشرة سنة وأربعة أشهر وقاسى من الحروب واختلاف الأمور عليه مالم يقاسه أحد واختلفت به الأحوال بين رخاء وشدة وملك وزواله وأشرف فى عدة نوب بعد إسلام النعمة على ذهاب المهجة ولما قوى أمره فى هذا الوقت وأطاعه المخالفون وانقادوا له أدركته منيته ولم يهزم فى حروبه غير مرة واحدة ، وكان أمراؤه قد طمعوا فيه للاختلاف الواقع حتى أنهم كانوا يطلبون نوابه ليقتلوهم فلا يمكنه الدفع عنهم وكان متى خطب له ببغداد وقع الغلاء ووقفت المعايش والمكاسب وكان أهلها مع ذلك يحبونه ويختارون سلطانه وقد ذكرنا من تغلب الأحوال به ماوقفت عليه ومن أعجبها دخوله أصبهان هاربا من عمه تتش فمكنه عسكر أخيه محمود صاحبها من دخولها ليقبضوا عليه فاتفق أن أخاه محمودا مات فاضطروا إلى أن يملكوه وهذا من أحسن الفرج بعد الشدة وكان حليما كريما صبورا عاقلا كثير المداراة لا يبالغ فى العقوبة وكان عفوه أكثر من عقوبته .

﴿ذكر الخطبة لملكشاه بن بركيارق﴾ فى هذه السنة خطب لملكشاه بن بركيارق بالديوان يوم الخميس سلخ ربيع الآخر وخطب له بجوامع بغداد من الغد يوم الجمعة وكان سبب ذلك أن أيلغازى شحنة بغداد سار فى المحرم إلى السلطان بركيارق وهو بأصبهان يحثه على الوصول إلى بغداد رحل مع بركيارق فلما مات بركيارق سار مع ولده ملكشاه والأمير أياز إلى بغداد فوصلوها سابع عشر ربيع الآخر ولقوا فى طريقهم بردا شديدا لم يشاهدوا مثله بحيث أنهم لم يقدروا على الماء لجموده وخرج الوزير أبو القاسم على بن جهير فلقيهم من ديالى وكانوا خمسة آلاف فارس وحضر أيلغازى والأمير طغايرك بالديوان وخاطبوا فى إقامة الخطبة لملكشاه ابن بركيارق فأجيب إليها وخطب له ولقب بألقاب جده ملكشاه وهى جلال الدولة وغيره من الألقاب ونثرت الدنانير عند الخطبة له .

﴿ذكر حصر السلطان محمد جكرمش بالموصل﴾ لما اصطلح السلطان بركيارق والسلطان محمد كما ذكرناه فى السنة الخالية وسلم محمد مدينة أصبهان إلى بركيارق وسار إليها أقام محمد بتبريز من أذربيجان إلى أن وصل أصحابه الذين بأصبهان فلما وصلوا استوزره سعد الملك أبا المحاسن لحسن أثره كان فى حفظ أصبهان وأقام إلى صفر من هذه السنة وسار إلى مراغة ثم إلى إربل يريد قصد جكرمش صاحب الموصول ليأخذ بلاده فلما سمع جكرمش بمسيره إليه جدد سور الموصل ورم ما احتاج إلى إصلاح وأمر أهل السواد بدخول البلد وأذن لأصحابه فى نهب من لم يدخل وحصر محمد المدينة وأرسل إلى جكرمش يذكر له الصلح بينه وبين أخيه وأن فى جملة ما استقر أن تكون الموصل وبلاد الجزيرة له وعرض عليه الكتب من بركيارق إليه بذلك والأيمان على تسليمها إليه وقال له إن أطعت فأنا لا آخذها منك بل أقرها بيدك وتكون الخطبة لى بها فقال جكرمش إن كتب السلطان وردت إلى بعد الصلح تأمرنى أن لا أسلم البلد إلى غيره فلما رأى محمد امتناعه باكره القتال وزحف إليه بالنقابين والدبابات وقاتل أهل البلد أشد قتال وقتلوا خلقا كثيرا لمحبتهم لجكرمش لحسن

لحسن سيرته فيهم فأمر جكرمش ففتح فى السور أبواب لطاف يخرج منها الرجالة يقاتلون فكانوا يكثرون القتل فى العسكر ثم زحف محمد مرة فنقب فى السور أصحابه وأدركهم الليل فأصبحوا وقد عمره أهل البلد وشحنوه بالمقاتلة ، وكانت الأسعار عندهم رخيصة فى الحصار كانت الحنطه تساوى كل ثلاثين مكوكا ديناراً والشعير خمسون مكوكا بدينار وكان بعض عسكر جكرمش قد اجتمعوا بتل يعفر فكان يغيرون على أطراف العسكر ويمنعون الميرة عنهم فدام القتال عليهم إلى عاشر جمادى الأولى فوصل الخبر إلى جكرمش بوفاة السلطان بركيارق فأحضر أهل البلد واستشارهم فيما يفعله بعد موت السلطان فقالوا أموالنا وأرواحنا بين يديك وأنت أعرف بشأنك فاستشر الجند فهم أعرف بذلك فاستشار أمراءه فقالوا لما كان السلطان حيا قد كنا على الامتناع ولم يتمكن أحد من طروق بلدنا وحيث توفى فليس للناس اليوم سلطان غير هذا والدخول تحت طاعته أولى فأرسل إلى محمد يبذل الطاعة ويطلب وزيره سعد الملك ليدخل إليه فحضر الوزير عنده وأخذ بيده وقال المصلحة أن تحضر الساعة عند السلطان فإنه لايخالفك فى جميع مانلتمسه وأخذ بيده وقام فسار معه جكرمش فلما رآه أهل الموصل قد توجه إلى السلطان جعلوا يبكون ويضجون ويحثون التراب على رؤوسهم فلما دخل على السلطان محمد أقبل عليه وأكرمه وعانقه ولم يمكنه من الجلوس وقال ارجع إلى رعيتك فإن قلوبهم إليك وهم متطلعون إلى عودك فقبل الأرض وعاد ومعه جماعة من خواص السلطان وسأل السلطان من الغد أن يدخل البلد لنزين له فامتنع من ذلك فعمل سماطا بظاهر الموصل عظيما وحمل إلى السلطان من الهدايا والتحف ولوزيره أشياء جليلة المقدار .

﴿ذكر وصول السلطان إلى بغداد وصلحه مع ابن أخيه والأمير أياز﴾ لما وصل خبر وفاة السلطان بركيارق إلى أخيه السلطان محمد وهو يحاصر الموصل جلس للعزاء وأصلح جكرمش صاحب الموصل كما ذكرناه وسار إلى بغداد ومعه سكمان القطبي وهو ينسب إلى قطب الدولة إسماعيل بن ياقوتى بن داود وإسماعيل ابن عم ملكشاه وسار معه جكرمش وغيرهما من الأمراء وكان سيف الدولة صدقة صاحب الحلة قد جمع خلقا كثيراً من العساكر فبلغت عدتهم خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وأرسل ولديه بدران ودبيسا إلى السلطان محمد يستحثه على المجيء إلى بغداد فاستصحبهما معه إلى بغداد فلما سمع الأمير أياز بمسيره إليه خرج هو والعسكر الذين معه من الدور ونصبوا الخيام بالزاهر خارج بغداد وجمع الأمراء واستشارهم فيما يفعله فبذلوا له الطاعة واليمين على قتاله وحربه ومنعه عن السلطنة والاتفاق منه على طاعة ملكشاه بن بركيارق وكان أشدهم فى ذلك ينال وصباوو قانهم بالغوا فى الأطماع فى السلطان محمد والمنع له من السلطنة فلما تفرقوا قال له وزيره الصفى أبو المحاسن يامولانا إن حياتى مقرونة بثبات نعمتك ودولتك وأنا أكثر النزاما بك من هؤلاء وليس الرأى ما أشاروا به فإن كلامهم يقصد أن يسلك طريقا وأن يقيم سوقا لنفسه بك وأكثرهم يناوئك فى المنزلة وإنما يقعد بهم عن منازعتك قلة العدد والمال والصواب مصالحة السلطان محمد وطاعته وهو يقرك على أقطاعك ويزيدك عليه مهما أردت فتردد رأى الأمير أياز فى الصلح والمباينة إلا أن حركته فى المباينة ظاهرة وجمع السفن التى ببغداد عنده وضبط المشارع من متطرق إلى عسكره وإلى البلد ووصل السلطان محمد إلى بغداد يوم الجمعة لثمان بقين من جمادى الأولى ونزل عند الجانب الغربى بأعلى بغداد وخطب له بالجانب الغربى وللملكشاه ابن بركيارق بالجانب الشرقى ، وأما جامع المنصور فإن الخطيب قال فيه اللهم أصلح سلطان العالم وسكت وخاف

Marfat.com

Marfat.com

الناس من امتداد الشر والنهب فركب أياز فى عسكره وهم عازمون على الحرب وسار إلى أن أشرف على عسكر السلطان محمد وعاد إلى مخيمه فدعا الأمراء إلى اليمين مرة ثانية على المخالصة لملكشاه فأجاب البعض وتوقف البعض وقالوا قد حلفنا مرة ولا فائدة فى إعادة اليمين لأننا إن وفينا بالأولى وفينا بالثانية ، وإن لم نف بالأولى فلا نفى بالثانية فأمر أياز حينئذ وزيره الصفى أبا المحاسن بالعبور إلى السلطان محمد فى الصلح وتسليم السلطنة إليه وترك منازعته فيها فعبر يوم السبت لسبع بقين من الشهر إلى عسكر محمد واجتمع بوزيره سعد الملك أبى المحاسن سعد بن محمد فعرفه ماجاء فيه فحضر عند السلطان محمد وأدى الصفى رسالة صاحبه أياز واعتذر عما كان منه أيام بركيارق فأجابه محمد جوابا لطيفا سكن به قلبه وطيب نفسه وأجاب إلى ما التمسه منه من اليمين فلما كان الغد حضر قاضى القضاة والنقيبان والصفى وزير أياز عند السلطان محمد فقال له وزيره سعد الملك إن أياز يخاف لما تقدم منه وهو يطلب العهد لملكشاه ابن أخيك ولنفسه وللأمراء الذين معه فقال السلطان أما ملكشاه فإنه ولدى ولا فرق بينى وبين أخى وأما أياز والأمراء فاحلف لهم ألا ينال الحسامى وصباوو فاستحلفه الكيا الهراس مدرس النظامية على ذلك وحضر الجماعة اليمين فلما كان من الغد حضر الأمير أياز عند السلطان محمد فلقيه وزير السلطان وكافة الناس ووصل سيف الدولة صدقة ذلك الوقت ودخلا جميعا إلى السلطان فأكرمهما وأحسن إليهما وقيل بل ركب السلطان ولقيهما ووقف أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وأقام السلطان ببغداد إلى شعبان وسار إلى أصبهان وفعل فيها ماننذكره أن شاء الله تعالى .

﴿ذكر قتل الأمير أياز﴾ فى هذه السنة ثالث عشر جمادى الآخرة قتل الأمير أياز قتله السلطان محمد وسبب ذلك أن أياز لما سلم السلطنة إلى السلطان محمد وسار فى جملته واستحلفه لنفسه فلما كان ثامن جمادى الآخرة عمل دعوة عظيمة فى داره وهى دار كوهرائين ودعا السلطان إليها وقدم له شيئاً كثيراً من جملته الحمل البلخش الذى أخذ من تركة مؤيد الملك بن نظام الملك وقد تقدم ذكر ذلك وحضر مع السلطان سيف الدولة صدقة ابن مزيد وكان من الاتفاق الردى أن أياز تقدم إلى غلمانه ليلبسوا السلاح من خزانته ليعرضهم على السلطان فدخل عليهم رجل من أبهر يتطايب معهم ويضحكون منه مع كونه يتصوف فقالوا له لابد من أن نلبسك درعا ونعرضك فألبسوه الدرع تحت قميصه وتناولوه بأيديهم وهو يسألهم أن يكفوا عنه فلم يفعلوا فلشدة مافعلوا به هرب منهم ودخل بين خواص السلطان معتصما بهم فرآه السلطان مذعوراً وعليه لباس عظيم فاستراب به فقال لغلام له بالتركية ليلمسه من غير أن يعلم أحد ففعل فرأى الدرع تحت قميصه فأعلم السلطان بذلك فاستشعر وقال إذا كان أصحاب العمائم قد لبسوا السلاح فكيف الأجناد وقوى استشعاره لكونه فى داره وفى قبضته فنهض وفارق الدار وعاد إلى داره فلما كان ثالث عشر الشهر استدعى السلطان الأمير صدقة وإياز وجكرمش وغيرهم من الأمراء فلما حضروا أرسل إليهم أنه بلغنا أن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش قصد ديار بكر ليتملكها ويسير منها إلى الجزيرة وينبغى أن تجتمع آراؤكم على من يسير إليه لمنعه ويقاتله فقال الجماعة ليس لهذا غير الأمير إياز ، فقال إياز : ينبغى أن أجتمع أنا وسيف الدولة صدقة بن مزيد على هذا الأمر والدفع لهذا القاصد فقيل ذلك للسلطان فأعاد الجواب يستدعى إياز وصدقة والوزير سعد الملك ليحرر الأمر فى حضرته فنهضوا ليدخلوا إليه وكان قد أعد جماعة من خواصه ليقتلوا إياز إذا دخل إليه فلما دخلوا ضرب أحدهم رأسه فأبانه ، فأما صدقة فغطى وجهه بكمه وأما الوزير فإنه غشى عليه ولف إياز فى مسح وألقى على الطريق عند دار المملكة وركب

عسكر إياز فنهبوا ماقدروا عليه من داره فأرسل السلطان من حماها من النهب وتفرق أصحابه من يومهم وكان زوال تلك النعمة العظيمة والدولة الكبيرة فى لحظة بسبب هزل ومزح فلما كان من الغد كفنه قوم من المتطوعة ودفنوه فى المقابر المجاورة لقبر أبى حنيفة رحمه الله ، وكان عمره قد جاوز أربعين سنة وهو من جملة مماليك السلطان ملكشاه ثم صار بعد موته فى جملة أمير آخر فاتخذه ولداً وكان غزير المروأة شجاعا حسن الرأى فى الحرب وأما وزيره الصفى فإنه اختفى ثم أخذ وحمل إلى دار الوزير سعد الملك ثم قتل فى رمضان وعمره ست وثلاثون سنة ، وكان من بيت رياسة بهمذان .

﴿ذكر وفاة سقمان بن أرتق﴾ كان فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس قد كاتب سقمان يستدعيه إلى نصرته على الفرنج وبذل له المعونة بالمال والرجال فبينما هو يتجهز للمسير أتاه كتاب طغتكين صاحب دمشق يخبره أنه مريض قد أشفى على الموت وأنه يخاف إن مات وليس بدمشق من يحميها أن يملكها الفرنج ويستدعيه ليوصى إليه وبما يعتمده فى حفظ البلد فلما رأى ذلك أسرع فى السير عازما على أخذ دمشق وقصد الفرنج طرابلس وإبعادهم عنها فوصل إلى القريتين واتصل خبره بطغتكين فخاف عاقبة ماصنع ، ولقوة فكره زاد مرضه ولامه أصحابه على مافرط فى تدبيره وخوفوه عاقبة مافعل ، وقالوا له قد رأيت سيدك تاج الدولة لما استدعاه إلى دمشق ليمنعه كيف قتله حين وقعت عينه عليه فبينما هم يدبرون الرأى بأى حيلة يردونه أتاهم الخبر بأنه وصل القريتين ومات وحمله أصحابه وعادوا به فأتاهم فرج لم يحسبوه وكان مرضه الذى مات به الخوانيق يعتريه دائما فأشار عليه أصحابه بالعود إلى حصن كيفا فامتنع وقال بل أسير فإن عوفيت تممت ماعزمت عليه ولا يرانى الله تثاقلت عن قتال الكفار خوفا من الموت وإن أدركنى أجلى كنت شهيداً سائراً فى جهاد فساروا فاعتقل لسانه يومين ومات فى صفر وبقى ابنه إبراهيم فى أصحابه وجعل فى تابوت وحمل إلى الحصن وكان حازما داهيا ذا رأى كثير الخير وقد ذكرنا سبب أخذه لحصن كيفا وأما ملكه ماردين فإن كربوقا خرج من الموصل فقصد آمد وحارب صاحبها فاستنجد صاحبها وهو تركمانى بسقمان فحضر عنده وصاف كربوقا وكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر حينئذ صبياً قد حضر مع كربوقا ومعه جماعة كثيرة من أصحاب أبيه فلما اشتد القتال ظهر سقمان فألقى أصحاب آقسنقر زنكى ولد صاحبهم بين أرجل الخيل وقالوا قاتلوا عن ابن صاحبكم فقاتلوا حينئذ قتالا شديداً فانهزم سقمان وأسروا ابن أخيه ياقوتى بن أرتق فسجنه كربوقا بقلعة ماردين وكان صاحبها إنسانا مغنيا للسلطان بركيارق فطلب منه ماردين وأعمالها فأقطعه إياها فبقى ياقوتى فى حبسه مدة فمضت زوجة أرتق إلى كربوقا وسألته إطلاقه فأطلقه فنزل عند ماردين وكانت قد أعجبته فأقام ليعمل فى تملكها والاستيلاء عليها وكان من عند ماردين من الأكراد فدطمعوا فى صاحبها المغنى وأغاروا على أعمال ماردين عدة دفعات فراسله ياقوتى يقول قد صار بيننا مودة وصداقة وأريد أن أعمر بلدك بأن أمنع عنه الأكراد وأغير على الأماكن وآخذ الأموال أنفقها فى بلدك وأقيم فى الربض فأذن له فى ذلك فجعل يغير من باب خلاط إلى بغداد فصار ينزل معه بعض أجناد القلعة طلبا للكسب وهو يكرمهم ولا يعترضهم فأمنوا إليه فاتفق أن فى بعض الأوقات نزل معه أكثرهم فلما عادوا من الغارة أمر بقبضهم وتقييدهم وسبقهم إلى القلعة ونادى من بها من أهليهم إن فتحتم الباب وإلا ضربت أعناقكم فامتنعوا فقتل إنسانا منهم فسلم القلعة من بها إليه وبقى بها ثم إنه جمع جمعا وسار إلى نصيبين وأغار على بلد جزيرة ابن عمر وهى لجكرمش فلما

Marfat.com

عاد أصحابه بالغنيمة أتاهم جكرمش وكان ياقوتى قد أصابه مرض عجز معه عن لبس السلاح وركوب الخيل فحمل إلى فرسه فركبه وأصابه سهم فسقط منه فأتاه جكرمش وهو يجود بنفسه فبكى عليه وقال له ماحملك على ماصنعت يا ياقوتى فلم يجبه فمات ومضت زوجة أرتق إلى ابنها سقمان وجمعت التركمان وطلبت بثار ابن ابنها وحصر سقمان نصيبين وهى لجكرمش فسير جكرمش إلى سقمان مالا كثيرا سرا فأخذه ورضى وقال إنه قتل فى الحرب ولا يعرف قاتله وملك ماردين بعد ياقوتى أخوه على وصار فى طاعة جكرمش واستخلف بها أميرا اسمه على أيضا فأرسل على الوالى بماردين إلى سقمان يقول له ابن أخيك يريد أن يسلم ماردين إلى جكرمش فسار سقمان بنفسه وتسلمها فجاء إليه على ابن أخيه وطلب إعادة القلعة إليه فقال إنما أخذتها لئلا يخرب البيت فأقطعه جبل جور ونقله إليه وكان جكرمش يعطى عليا كل سنة عشرين ألف دينار فلما أخذ عمه سقمان ماردين منه أرسل على إلى جكرمش يطلب منه المال فقال إنما كنت أعطيتك احتراما لماردين وخوفا من مجاورتك والآن فاصنع ما أنت صانع فلا قدرة لك علىّ .

﴿ذكر حال الباطنية هذه السنة بخراسان﴾ فى هذه السنة سار جمع كثير من الأسماعيلية من طريثيث عن بعض أعمال بيهق وشاعت الغارة فى تلك النواحى وأكثروا القتل فى أهلها والنهب لأموالهم والسبى لنسائهم ولم يقفوا على الهدنة المتقدمة وفى هذه السنة اشتد أمرهم وقويت شوكتهم ولم يكفوا أيديهم عمن يريدون قتله لاشتغال السلاطين عنهم فمن جملة فعلهم إن قفل الحاج تجمع هذه السنة مما وراء النهر وخراسان والهند وغيرها من البلاد فوصلوا إلى جوار الرى فأتاهم الباطنية وقت السحر فوضعوا فيهم السيف وقتلوهم كيف شاؤا وغنموا أموالهم ودوابهم ولم يتركوا شيئا وقتلوا هذه السنة أباجعفر بن المشاط وهو من شيوخ الشافعية أخذ الفقه عن الخجندى وكان يدرس بالرى ويعظ الناس فلما نزل من كرسيه أتاه باطنى فقتله .

﴿ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام﴾ فى هذه السنة فى شعبان كانت وقعة بين طنكرى الفرنجى صاحب أنطاكية وبين الملك رضوان صاحب حلب انهزم فيها رضوان وسببها أن طنكرى حصر حصن أرتاح وبها نائب الملك رضوان فضيق الفرنج على المسلمين فأرسل النائب بالحصن إلى رضوان يعرفه ماهو فيه من الحصر الذى أضعف نفسه ويطلب النجدة فسار رضوان فى عسكر كثير من الخيالة وسبعة آلاف من الرجالة منهم ثلاثة آلاف من المتطوعة فساروا حتى وصلوا إلى قنسرين وبينهم وبين الفرنج قليل فلما رأى طنكرى كثرة المسلمين أرسل إلى رضوان يطلب الصلح فأراد أن يجيب فمنعه أصبهبذ صباوو وكان قد قصده وسار معه بعد قتل إياز فامتنع من الصلح واصطفوا للحرب فانهزمت الفرنج من غير قتال ثم قالوا نعود ونحمل عليهم حملة واحدة فإن كانت لنا وإلا انهزمنا فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا وانهزموا وقتل منهم وأسر كثير وأما الرجالة فإنهم كانوا قد دخلوا معسكر الفرنج لما انهزموا فاشتغلوا بالنهب فقتلهم الفرنج ولم ينج إلا الشريد فأخذ أسيرا وهرب من فى أرتاح إلى حلب وملكه الفرنج لعنهم الله تعالى وهرب أصبهبذ صباوو إلى طغتكين أتابك بدمشق فصار معه ومن أصحابه .

﴿ذكر حرب الفرنج والمصريين﴾ فى ذى الحجة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا فيها على السواء وسببها أن الأفضل وزير صاحب مصر كان قد سير ولده شرف المعالى فى السنة الخالية إلى الفرنج فقهرهم وأخذ الرملة منهم ثم اختلف المصريون والعرب وادعى كل واحد منهما أن الفتح له فأتاهم سرية الفرنج

Marfat.com

فتقاعد كل فريق منهما بالآخر حتى كاد الفرنج يظهرون عليهم فرحل عند ذلك شرف المعالى إلى أبيه بمصر فنفذ ولده الآخر وهو سناء الملك حسين فى جماعة من الأمراء منهم جمار الملك النائب بعسقلان للمصريين وأرسلوا إلى طغتكين أتابك بدمشق يطلبون منه عسكرا فأرسل إليهم أصبهبذ صباوو ومعه ألف وثلثمائة فارس وكان المصريون فى خمسة آلاف وقصدهم بغدوين الفرنجى صاحب القدس وعكة ويافا فى ألف وثلثمائة فارس وثمانية آلاف راجل فوقع المصاف بينهم بين عسقلان ويافا فلم تظهر إحدى الطائفتين على الأخرى فقتل من المسلمين ألف ومائتان ومن الفرنج مثلهم وقتل جمال الملك أمير عسقلان فلما رأى المسلمون أنهم قد تكافؤا فى النكاية قطعوا الحرب وعادوا إلى عسقلان وعاد صباوو إلى دمشق وكان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش بن تتش وكان طغتكين قد عدل فى الملك إلى ولد أخيه دقاق وهو طفل وقد ذكرناه فدعاه ذلك إلى قصد الفرنج والكون معهم.

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة عظم فساد التركمان بطريق خراسان من أعمال العراق وقد كانوا قبل ذلك ينهبون الأموال ويقطعون الطريق إلا أنهم عندهم مراقبة فلما كان هذه السنة اطرحوا المراقبة وعملوا الأعمال الشنيعة فاستعمل أيلغازى بن أرتق وهو شحنة العراق على ذلك البلد ابن أخيه بلك بن بهرام بن أرتق وأمره بحفظه وحياطته ومنع الفساد عنه فقام فى ذلك القيام المرضى وحمى البلاد وكف الأيدى المتطاولة وسار بلك إلى حصن خانيجار وهو من أعمال سرخاب بن بدر فحصره وملكه. وفيها فى شعبان جعل السلطان محمد قسيم الدولة سنقر البرسقى شحنة بالعراق وكان موصوفا بالخير والدين وحسن العهد لم يفارق محمدا فى حروبه كلها. وفيها أقطع السلطان محمد الكوفة للأمير قايماز وأوصى صدقة أن يحمى أصحابه من خفاجة فأجاب إلى ذلك. وفيها فى شهر رمضان وصل السلطان محمد إلى أصبهان فأمن أهلها ووثقوا بزوال ما كان يشملهم من الخبط والعسف والمصادرة وشتان بين خروجه منها هاربا متخفيا وعوده اليها سلطانا متمكنا وعدل فى أهلها وأزال عنهم ما يكرهون وكف الأيدى المتطرقة اليهم من الجند وغيرهم فصار كلمة العامى أقوى من كلمة الجندى ويد الجندى قاصرة عن العامى من هيبة السلطان وعدله. وفيها كثر الجدرى فى كثير من البلدان لاسيما العراق فإنه كان به كله ومات به من الصبيان ما لا يحصى وتبعه وباء كثير وموت عظيم. وتوفى فى هذه السنة فى شوال أحمد بن محمد بن أحمد أبو على البردانى الحافظ ومولده سنة ست وعشرين وأربعمائة سمع ابن غيلان والبرمكى والعشارى وغيرهم. وتوفى أبو المعالى ثابت بن بندار بن إبراهيم البقال ومولده سنة ست عشرة وأربعمائة سمع أبا بكر البرقانى وأبا على بن شاذان وكانت وفاته فى جمادى الآخرة من هذه السنة. وفى رابع جمادى الأولى توفى أبو الحسن محمد بن على بن أبى الصقر الفقيه الشافعى ومولده سنة تسع وأربعمائة وكان أديبا شاعرا فمن قوله:

من قال لى جاه ولى حشمة * ولى قبول عند مولانا
ولم يعد ذاك بنفع على * صديقه لا كان من كانا

وفيها أيضا توفى أبو نصر بن أخت ابن الموصلايا وكان كاتبا للخليفة جيد الكتابة وكان عمره سبعين سنة ولم يخلف وارثا لأنه أسلم وأهله نصارى فلم يرثوه وكان يبخل إلا أنه كان كثير الصدقة. وأبو المؤيد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنوى كان واعظا شاعرا كاتبا قدم بغداد ووعظ بها ونصر مذهب الأشعرى وكان له

Marfat.com

قبول عظيم وخرج منها فمات بإسفراين (١).

﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة ﴾

﴿ذكر خروج منكبرس على السلطان محمد﴾ فى هذه السنة فى المحرم أظهر منكبرس ابن الملك بوربرس بن ألب أرسلان وهو ابن عم السلطان محمد العصيان للسلطان محمد والخلاف عليه وسبب ذلك أنه كان مقيما بأصبهان فلحقته ضائقة شديدة وانقطعت المواد عنه فخرج منها وسار إلى نهاوند فاجتمع عليه بها جماعة من العسكر وظاهره على أمره جماعة من الأمراء وتغلب على نهاوند وخطب لنفسه بها وكاتب الأمراء بنى برسق يدعوهم إلى طاعته ونصرته وكان السلطان محمد قد قبض على زنكى بن برسق فكاتب زنكى إخوته وحذرهم من طاعة منكبرس وفيها من الأذى والخطر وأمرهم بتدبير الأمر فى القبض عليه فلما أتاهم كتاب أخيهم بذلك أرسلوا إلى منكبرس يبذلون له الطاعة والموافقة فسار إليهم وساروا إليه فاجتمعوا به وقبضوا عليه بالقرب من أعمالهم وهى بلد خوزستان وتفرق أصحابه وأخذوا منكبرس إلى أصبهان فاعتقله السلطان مع بنى عمه تكش وأخرج زنكى بن برسق وأعاده إلى مرتبته واستنزله وإخوته عن أقطاعهم وهى ليشتر وسابور خواست وغيرها مابين الأهواز وهمذان وأقطعهم عوضها الدينور وغيرها واتفق أن ظهر بنهاوند أيضا فى هذه السنة رجل من السواد ادعى النبوة فأطاعه خلق كثير من السوادية واتبعوه وباعوا أملاكهم ودفعوا إليه أثمانها فكان يخرج ذلك جميعه وسمى أربعة من أصحابه أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وقتل بنهاوند فكان أهلها يقولون ظهر عندنا فى مدة شهرين اثنان ادعى أحدهما النبوة والآخر المملكة فلم يتم لواحد منهما أمره.

﴿ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج﴾ فى هذه السنة فى صفر كانت وقعة بين طغتكين أتابك صاحب دمشق وبين قمص كبير من قامصة الفرنج وسبب ذلك أنه تكررت الحروب والغارات بين عسكر دمشق وبغدوين فتارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء فنى آخر الأمر بنى بغدوين حصنا بينه وبين دمشق نحو يومين فخاف طغتكين من عاقبة ذلك ومايحدث به من الضرور فجمع عسكره وخرج إلى مقاتلتهم فسار بغدوين ملك القدس وعكا وغيرهما إلى هذا القمص ليعاضده ويساعده على المسلمين فعرفه القمص غناه عنه وأنه قادر على مقارعة المسلمين إن قاتلوه فعاد بغدوين إلى عكا وتقدم طغتكين إلى الفرنج واقتتلوا واشتد القتال فانهزم أميران من عسكر دمشق فتبعهما طغتكين وقتلهما وانهزم الفرنج إلى حصنهم فاحتموا به فقال طغتكين من أحسن قتالهم وطلب منى أمرا فعلته معه ومن أتانى بحجر من حجارة الحصن أعطيته خمسة دنانير فبذل الرجالة نفوسهم وصعدوا إلى الحصن وخربوه وحملوا حجارته إلى طغتكين فوفى لهم بما وعدهم وأمر بالقاء الحجارة فى الوادى وأسروا من بالحصن فأمر بهم فقتلوا كلهم واستبقى الفرسان أسراء وكانوا مائتى فارس ولم ينج ممن كان فى الحصن إلا القليل وعاد طغتكين إلى دمشق منصوراً فزين البلد أربعة أيام وخرج منها إلى رفنية وهو من حصون الشام

---

(١) وفيها توفى محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سلفة الأصبهانى، أبو أحمد، كان شيخاً عفيفا ثقة، سمع الكثير، وهو والد الحافظ أبى طاهر السلفى الحافظ. وفيها توفى أبو على الخيالى الحسين بن محمد بن أحمد الغسانى الأندلسى، مصنف تقييد المهمل على الالفاظ، وهو كتاب مفيد كثير النفع وكان حسن الخط عالما باللغة والشعر والأدب، وكان يسمع فى جامع قرطبة: توفى ليلة الجمعة لثنى عشرة خلت من شعبان، عن إحدى وسبعين سنة.

Marfat.com

وقدتغلب عليه الفرنج وصاحبه ابن أخت صنجيل المقيم على حصار طرابلس فحصره طغتكين وملكه وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج .

﴿ ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة ﴾ فى هذه السنة كانت حرب شديدة بين عبادة وخفاجة وسببها أن رجلا من عبادة أخذ منه جماعة خفاجة جملين فجاء إليهم وطالبهم بهما فلم يعطوه شيئا فأخذ منهم غارة أحدعشر بعيرا فلحقته خفاجة وقتلوا من أصحابه رجلا وقطعوا يد آخر وكان ذلك بالموقف من الحلة السيفية ففرق بينهم أهلها فسمعت عبادة الخبر فتواعدت وانحدرت إلى العراق للأخذ بثارها وساروا مع جماعة من أمرائهم فبلغت عدتهم سبعمائة فارس وكانت خفاجة دون هذه العدة فراسلهم خفاجة يبذلون الدية ويصطلحون فلم تجبهم إلى ذلك عبادة وأشار به سيف الدولة صدقة فلم تقبل عبادة فالتقوا واقتتلوا بالقرب من الكوفة ومع عبادة الإبل والغنم بين البيوت فكمنت لهم خفاجة ثلثمائة فارس وقاتلوهم مطاردة من غير جد فى القتال فداموا كذلك ثلاثة أيام ثم إنهم اشتد بينهم القتال واختلطوا حتى تركوا الرماح وتضاربوا بالسيوف فبينما هم كذلك وقد أعيا الفريقان من القتال إذ طلع كمين خفاجة وهم مستريحون فانهزمت عبادة وانتصرت عليهم خفاجة وقتل من وجوه عبادة اثنا عشر رجلا ومن خفاجة جماعة وغنمت خفاجة الأموال من الخيل والإبل والغنم والعبيد والإماء وكان الأمير صدقة بن مزيد قد أعان خفاجة سرا فلما وصل المنهزمون إليه هنا هم صدقة بالسلامة فقال له بعضهم ما زلت أقاتل وأضارب وأنا طامع فى الظفر بهم حتى رأيت فرسك الشقراء تحت أحدهم فعلمت أنهم أجلبوا علينا بخيلك ورجلك وأننا لاطاقة لنا بهم فنصروا علينا بمعونتك وفلونا بحدك فلم يجبه صدقة

﴿ ذكر ملك صدقة البصرة ﴾ فى هذه السنة فى جمادى الأولى انحدر سيف الدولة من الحلة إلى البصرة فملكها وقد ذكرنا فيما تقدم تمكن إسمعيل بن أرسلانجق من البصرة ونواحيها وأقام بها عشر سنين نافذ الأمر وازداد قوة وتمكنا بالاختلاف الواقع بين السلاطين وأخذ الأموال السلطانية وكان قد راسل صدقة وأظهر له أنه فى طاعته وموافقته فلما استقر الأمر للسلطان محمد أراد أن يرسل إلى البصرة مقطعا يأخذها من إسمعيل فخاطب صدقة فى معناه حتى أقرت البصرة عليه فأنفذ السلطان عميد إليها ليتولى ما يتعلق بالسلطان هناك فمنعه إسمعيل ولم يمكنه من عمله وفعل ما خرج به عن حد المجاملة فأمر السلطان صدقة بقصده وأخذ البصرة منه فتحرك لذلك فاتفق ظهور منكبرس وخلافه على السلطان وأنه على قصد واسط فسر إسمعيل بذلك وزاد انبساطه وأرسل صدقة حاجبا له وكان قبله قد خدم أباه وجده إلى إسمعيل يأمره بتسليم الشرطة وأعمالها إلى مهذب الدولة بن أبى الجبر لأنها كانت فى ضمانه فوصل إلى الشرطة وأخذ منها أربعمائة دينار فأحضره إسمعيل وحبسه وأخذ الدنانير منه فلما رأى صدقة مكاشفته سار من حلته وأظهر أنه يريد قصد الرحبة ثم جد السير إلى البصرة فلم يشعر إسمعيل إلا بقربه منه ففرق أصحابه فى القلاع التى استجدها بطارا ونهر معقل وغيرهما واعتقل وجوه العباسيين والعلويين وقاضى البصرة ومدرسها وأعيان أهلها ونازلهم صدقة فجرى قتال بين طائفة من عسكره وطائفة من البصريين قتل فيه أبو النجم بن أبى القاسم الورامى وهو ابن خال سيف الدولة صدقة فمما مدح به سيف الدولة ورثى به أبو النجم ابن أبى القاسم قول بعضهم :

تهن يا خير من يحمى حريم حمى فتحا أغثت به الدنيا مع الدين
ركبت للبصرة الغراء فى نخب غر كجيش علىّ يوم صفين

Marfat.com

Marfat.com

هوى أبو النجم كالنجم المنير بها لكنه كان رجما للشياطين

وأقام صدقة محاصرا لإسماعيل بالبصرة فأشار على سيف الدولة صدقة بعض أصحابه بالعود عنها وأعلموه أنهم لا يظفرون بطائل فأشار عليهم بالمقام وقالوا إن رحلنا كانت كسرة وكان رأى سيف الدولة المقام. وقال إن تعذر على فتح البصرة لم يطعنى أحد واستعجزنى الناس ثم إن إسماعيل خرج من البلد وقاتل صدقة فسار بعض أصحاب صدقة إلى مكان آخر من البلد ودخلوه وقتلوا من السوادية الذين جمعهم إسماعيل خلقا كثيراً وانهزم إسماعيل إلى قلعته بالجزيرة فأدركه بعض أصحاب سيف الدولة وأراد قتله ففداه أحد غلمانه بنفسه فوقعت الضربة فيه فأثخنته فهبت البصرة وغنم من معه من عرب البر وغيرهم مافيها ولم يسلم منهم إلا المحلة المجاورة لقبر طلحة والمربد فإن العباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتنعوا بها وحموا المربد وعمت المصيبة لأهل البلد سوى من ذكرنا وامتنع إسماعيل بقلعته فاتفق أن المهذب بن أبى الجبر انحدر فى سفن كثيرة وأخذ القلعة التى لإسماعيل بمطارا وقتل بها خلقاً من أصحاب إسماعيل وحمل إلى صدقة كثيراً فأطلقهم فلما علم إسماعيل بذلك أرسل إلى صدقة يطلب الأمان على نفسه وأهله وأمواله فأجابه إلى ذلك وأجله سبعة أيام فأخذ كل مايمكنه حمله مما يعز عليه ومالم يقدر على حمله أهلكه بالماء وغيره ونزل إلى سيف الدولة وأمن سيف الدولة أهل البصرة من كل أذى ورتب عندهم شحنة وعاد إلى الحلة ثالث جمادى الآخرة وكان مقامه بالبصرة ستة عشر يوما ، وأما إسماعيل فإنه لما سار صدقة إلى الحلة قصد هو الباسيان إلى أن وصله ماله فى المراكب وسار نحو فارس وصار يتعنت أصحابه وزوجته وقبض على جماعة من خواصه وقال لهم أنتم سقيتم ولدى أفراسياب السم حتى مات ، وكان قد مات فى صفر من هذه السنة ففارقه كثير منهم حتى زوجته فارقته وسارت إلى بغداد وأخذته الحمى وقويت عليه فلما بلغ رامهرمز انفرد فى خيمته ولم يظهر لأصحابه يوما وليلة فظهر لهم موته فنهبوا ماله وتفرقوا فأرسل الأمير برامهرمز فردهم وأخذ مامعهم من أمواله ودفن بالقرب من أيذج ؛ وكان عمره قد جاوز خمسين سنة وكانت سيرته قد حسنت فى أهل البصرة أخيراً .

﴿ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها﴾ فى هذه السنة فى شهر رمضان حصر الملك رضوان بن تتش نصيبين وسبب ذلك أنه عزم على حرب الفرنج واجتمع معه من الأمراء أيلغازى بن أرتق الذى كان شحنة بغداد والإصبهذ صباوو وألبى بن أرسلان تاش صاحب سنجار وهو صهر جكرمش صاحب الموصل فقال أيلغازى الرأى أننا نقصد بلاد جكرمش وماوالاها فنملكها ونتكثر بعسكرها والأموال ووافقه ألبى فسار إلى نصيبين فى عشرة آلاف فارس مستهل رمضان وكان قد جعل فيها أميرين من أصحابه فى عسكر فتحصنوا بالبلد وقاتلوا من وراء السور فرمى ألبى بن أرسلان تاش بنشابة فجرح جرحا شديداً فعاد إلى سنجار وأما جكرمش فانه بلغه الخبر بنزولهم على نصيبين وهو بالحامة التى بالقرب من طنزة يتداوى بمائها من مرضه فرحل إلى الموصل وقد أجفل إليها أهل السواد فخيم على باب البلد عازما على حرب رضوان واستعمل المخادعة فكاتب أعيان عسكر رضوان رغبهم حتى أفسد نياتهم وتقدم إلى أصحابه بنصيبين بخدمة الملك رضوان وباخراج الإفامة إليه مع الاحتراز منه وأرسل إلى رضوان يبذل له خدمته والدخول فى طاعته ويقول له إن السلطان محمداً قد حصرنى ولم يبلغ منى غرضا فترحل عن صلح وإن قبضت على أيلغازى الذى قد عرفت أنت وغيرك فساده وشره فأنا معك ومعينك بالرجال والأموال والسلاح ، فاتفق هذا ورضوان قد تغيرت نيته مع أيلغازى

Marfat.com

فازداد تغيراً وعزم على قبضه فاستدعاه يوما وقال له هذه بلاد ممتنعة وربما استولى الفرنج على حلب والمصلحة مصالحة جكرمش واستصحابه معنا فانه يسير بعساكر كثيرة ظاهرة التجمل ونعود إلى قتال الفرنج فان ذلك مما يعود باجتماع شمل المسلمين فقال له أيلغازى إنك جئت بحكمك وأنت الآن بحكمى لا أمكنك من المسير بدون أخذ هذه البلاد، فان أقمت وإلا بدأت بقتالك وكان أيلغازى قد قويت نفسه بكثرة من اجتمع عنده من التركمان وكان الملك رضوان قد واعد قوما من أصحابه ليقبضوا عليه فلما جرى ماذكرناه أمرهم رضوان فقبضوا عليه وقيدوه فلما سمع التركمان الحال أظهروا الخلاف والامتعاض ففارقوا رضوان والتجؤوا إلى سور المدينة وأصعد أيلغازى إلى قلعتها وخرج من بنصيبين من العسكر فأعانوه فلما رأى التركمان ذلك تفرقوا ونهبوا ماقدروا عليه من المواشى وغيرها ورحل رضوان من وقته وسار إلى حلب وكان جكرمش قد رحل من الموصل قاصد الحرب فلما بلغ تل يعفر أتاه المبشرون بانصراف رضوان على اختلاف وافتراق فرحل عند ذلك إلى سنجار ووصلت إليه رسل رضوان تستدعى منه النجدة ويعتد عليه ما فعل بأيلغازى فأجابه مغالطة ولم يف له بما وعده ونازل سنجار ليشفى غيظه من صهره ألبى بن أرسلان تاش بما اعتمده من معاداته ومظاهرة أعدائه وكان ألبى على شدة من المرض بالسهم الذى أصابه على نصيبين فلما نزل جكرمش عليها أمر ألبى أصحابه أن يحملوه إليه فحملوه فى محفة فحضر عنده وأخذ يعتذر مما كان منه وقال جئت مذنبا فافعل بى ما تراه فرق له وأعاده إلى بلده فلما عاد قضى نحبه، فلما مات عصى على جكرمش من كان بسنجار وتمسكوا بالبلد فقاتله بقية رمضان وشوال ولم يظفر منهم بشىء فجاء تميرك أخو أرسلان تاش عم ألبى فأصلح حاله مع جكرمش وبذل له الخدمة فعاد إلى الموصل.

﴿ ذكر ملك طغتكين بصرى ﴾ قد ذكرنا سنة سبع وتسعين حال بكتاش بن تتش وخروجه من دمشق واتصاله بالفرنج ومعه آيتكين الحلبى صاحب بصرى وسيرهما إلى الرحبة وعودهما عنها فلما ضعفت أحوالهم سار طغتكين إلى بصرى فحصرها وبها أصحاب آيتكين فراسلوا طغتكين وبذلوا له التسليم إليه بعد أجل قرروه بينهم فأجابهم إلى ذلك فرحل عنهم إلى دمشق فلما انقضى الأجل هذه السنة تسلمها وأحسن إلى من بها ووفى لهم بما وعدهم وبالغ فى إكرامهم وكثر الثناء عليه والدعاء له ومالت النفوس إليه وأحبوه.

﴿ ذكر ملك الفرنج حصن أفامية ﴾ فى هذه السنة ملك الفرنج حصن أفامية من بلد الشام وسبب ذلك أن خلف بن ملاعب الكلابى كان متغلبا على حمص وكان الضرر به عظيما ورجاله يقطعون الطريق فكثر الحرامية عنده فأخذها منه تتش بن ألب أرسلان وأبعده عنها فتقلبت به الأحوال إلى أن دخل إلى مصر فلم يلتفت إليه من بها فأقام بها واتفق أن المتولى لأفامية من جهة الملك رضوان أرسل إلى صاحب مصر وكان يميل إلى مذهبهم يستدعى منهم من يسلم إليه الحصن وهو من أمنع الحصون وطلب ابن ملاعب منهم أن يكون هو المقيم به وقال إننى أرغب فى قتال الفرنج وأوثر الجهاد فسلموه إليه وأخذوا رهائنه فلما ملكه خلع طاعتهم ولم يرع حقهم فأرسلوا إليه يتهددونه بما يفعلونه بولده الذى عندهم فأعاد الجواب أننى لاأنزل من مكانى وابعثوا إلىّ ببعض أعضاء ولدى حتى آكله فأيسوا من رجوعه إلى الطاعة وأقام بأفامية يخيف السبيل ويقطع الطريق واجتمع عنده كثير من المفسدين فكثرت أمواله ثم إن الفرنج ملكوا سرمين وهى من أعمال حلب وأهله غلاة فى التشيع فلما ملكه الفرنج تفرق أهله فتوجه القاضى الذى به إلى ابن ملاعب وأقام عنده فأكرمه وأحبه ووثق به فأهمل

القاضى الحيلة عليه وكتب إلى أبى طاهر المعروف بابن الصائغ وهو من أعيان أصحاب الملك رضوان ووجوه الباطنية ودعاتهم ووافقهم على الفتك بابن ملاعب وآن يسلم أفامية إلى الملك رضوان فظهر شىء من هذا فأتى إلى ابن ملاعب أولاده وكانوا قد تسللوا إليه من مصر وقالوا له قد بلغنا عن هذا القاضى كذا وكذا والرأى أن تعاجله وتحتاط لنفسك فإن الأمر قد اشتهر وظهر فأحضره ابن ملاعب فأتاه فى كمه مصحف لأنه رأى أمارات الشر فقال له ابن ملاعب ما بلغه عنه فقال له أيها الأمير قد علم كل أحد أنى أتيتك خائفا جائعا فأمنتنى وأغنيتنى وعززتنى فصرت ذامال وجاه فإن كان بعض من حسدنى على منزلتى منك وما غمرنى من نعمتك سعى بى إليك فأسألك أن تأخذ جميع مامعى وأخرج كما جئت وحلف له على الوفاء والنصح فقبل عذره وأمنه وعاود القاضى مكاتبة أبى طاهر بن الصائغ وأشار عليه أن يوافق رضوانا على إنفاذ ثلثمائة رجل من أهل سرمين وينفذ معهم خيلا من خيول الفرنج وسلاحا من أسلحتهم ورؤسا من رؤس الفرنج ويأتون إلى ابن ملاعب ويظهرون أنهم غزاه ويشكون من سوء معاملة الملك رضوان وأصحابه لهم وأنهم فارقوه فلقيهم طائفة من الفرنج فظفروا بهم ويحملون جميع مامعهم إليه فإذا أذن لهم فى المقام اتفقت آراؤهم على أعمال الحيلة عليه ففعل ابن الصائغ ذلك ووصل القوم إلى أفامية وقدموا إلى ابن ملاعب بما معهم من الخيل وغيرها فقبل ذلك منهم وأمرهم بالمقام عنده وأنزلهم فى ربض أفامية فلما كان فى بعض الليالى نام الحراس بالقلعة فقام القاضى ومن بالحصن من أهل سرمين ودلوا الحبال وأصعدوا أولئك القادمين جميعهم وقصد أولاد ابن ملاعب وبنى عمه وأصحابه فقتلوهم وأتى القاضى وجماعة معه إلى ابن ملاعب وهو مع امرأته فأحس بهم فقال من أنت فقال ملك الموت جئت لقبض روحك فناشده الله فلم يرجع عنه وجرحه وقتله وقتل أصحابه وهرب ابناه فقتل أحدهما والتحق الآخر بأبى الحسن بن منقذ صاحب شيزر فحفظه لعهد كان بينهما ولما سمع ابن الصائغ خبر أفامية سار إليها وهو لا يشك أنها له فقال له القاضى إن وافقتنى وأقمت معى فبالرحب والسعة ونحن بحكمك وإلا فارجع من حيث جئت فأيس ابن الصائغ منه وكان أحد أولاد ابن ملاعب بدمشق عند طغتكين غضبان على أبيه فولاه طغتكين حصنا وضمن على نفسه حفظ الطريق فلم يفعل وقطع الطريق وأخذ القوافل فاستغاثوا إلى طغتكين منه فأرسل اليه من طلبه فهرب إلى الفرنج واستدعاهم إلى حصن أفامية وقال ليس فيه غير قوت شهر فأقاموا عليه يحاصرونه فجاع أهله وملكه الفرنج وقتلوا القاضى المتغلب عليه وأخذوا ابن الصائغ فقتلوه وكان هو الذى أظهر مذهب الباطنيه بالشام هكذا ذكر بعضهم أن أبا طاهر بن الصائغ قتله الفرنج بأفامية وقد قيل إن ابن بديع رئيس حلب قتله سنة سبع وخمسمائة بعد وفاة رضوان وقد ذكرناه هناك والله أعلم .

﴿ذكر نهب العرب البصرة﴾ قد ذكرنا استيلاء الأمير صدقة على البصرة وأنه استناب بها مملوكا كان لجده دبيس بن مزيد اسمه التونتاش وجعل معه مائة وعشرين فارسا فاجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضم اليها من العرب وقصدوا البصرة فى جمع كثير فقاتلهم التونتاش فأسروه وانهزم أصحابه ولم يقدروا من بها على حفظها فدخلوها بالسيف أو اخرذى القعدة وأحرقوا الأسواق والدور الحسان ونهبوا مافدروا عليه وأقاموا ينهبون ويحرقون اثنين وثلاثين يوما وتشرد أهله فى السواد ونهبت خزانة كتب كانت موقوفة وقفها القاضى أبو الفرج ابن أبى البقاء وبلغ الخبر صدقة فأرسل عسكرا فوصلوا وقد فارقها العرب ثم إن السلطان محمدا أرسل شحنة وعميدا إلى البصرة وأخذها من صدقة وعاد أهلها إليها وشرعوا فى عمارتها .

Marfat.com

Marfat.com

﴿ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج﴾ كان صنجيل الفرنجى لعنه الله قد ملك مدينة جبلة وأقام على طرابلس يحصرها فحيث لم يقدر أن يملكها بنى بالقرب منها حصنا وبنى تحته ربضا وأقام مراصدالها ومنتظرا وجود فرصة فيها فخرج الملك أبو على بن عمار صاحب طرابلس فأحرق ربضه ووقف صنجيل على بعض سقونه المتحرقة ومعه جماعة من القمامصة والفرسان فانخسف بهم فمرض صنجيل من ذلك عشرة أيام ومات وحمل إلى القدس فدفن فيه ثم إن ملك الروم أمر أصحابه باللاذقية ليحملوا الميرة إلى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس فحملوها فى البحر فأخرج إليها فخر الملك بن عمار أسطولا فجرى بينهم وبين الروم قتال شديد فظفر المسلمون بقطعة من الروم فأخذوها وأسروا من كان بها وعادوا ولم تزل الحرب بين أهل طرابلس والفرنج خمس سنين إلى هذا الوقت فعدمت الأقوات به وخاف أهله على نفوسهم وأولادهم وحرمهم فخلا الفقراء وافتقر الأغنياء وظهر من ابن عمار صبر عظيم وشجاعة ورأى سديد ومما أضر بالمسلمين فيها أن صاحبها استنجد سقمان بن أرتق فجمع العساكر وسار إليه فمات فى الطريق على ماذكرناه وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه وأجرى ابن عمار الجرايات على الجند والضعفاء فلما قلت الأموال عنده شرع يقسط على الناس مايخرجه فى باب الجهاد فأخذ من رجلين من الأغنياء مالا مع غيرهما فخرج الرجلان إلى الفرنج وقالا إن صاحبنا صادرنا فخرجنا إليكم لنكون معكم وذكرا له أنه تأتيه الميرة من عرقة والجبل فجعل الفرنج جمعا على ذلك الجانب يحفظه من دخول شىء إلى البلد فأرسل ابن عمار وبذل للفرنج مالا كثيرا ليسلموا الرجلين اليه فلم يفعلوا فوضع عليهما من قتلهما غيلة وكانت طرابلس من أعظم بلاد الإسلام وأكثرها تجملا وثروة فباع أهلها من الحلى والأوانى الغريبة مالا حد عليه حتى بيع كل مائة درهم نقرة بدينار وشتان بين هذه الحالة وبين حال الروم أيام السلطان ألب أرسلان وقد ذكرت ظفره بهم سنة ثلاث وستين وأربعمائة وكان بعض أصحابه وهو كمشتكين دواتى عميد الملك هرب منه خوفا لما قبض على صاحبه عميد الملك وسار إلى الرقة فملكها وصار معه كثير من التركمان فيهم الأفشين وأحمد شاه فقتلاه وأرسلا أمواله إلى ألب أرسلان ودخل الأفشين بلاد الروم وقاتل الفردوس صاحب أنطاكية فهزمه وقتل من الروم خلقا كثيرا وسار ملك الروم من القسطنطينية إلى ملطية فدخل الأفشين بلاده ووصل إلى عمورية وقتل فى غزاته مائة ألف آدمى ولما عاد إلى بلاد الإسلام وتفرق من معه خرج عليه عسكر الرها وهى حينئذ للروم ومعهم بنو نمير من العرب فقاتلهم ومعه مائتا فارس فهزمهم ونهبهم ونهب بلاد الروم فأرسل ملك الروم رسولا إلى القائم بأمر الله يسأله الصلح فأرسل إلى ألب أرسلان فى ذلك فصالح الروم على مائة ألف دينار وأربعة آلاف ثوب أصنافا وثلثمائة رأس بغالا فشتان بين الحالتين وأقول شتان بين حال أولئك المرذولين الذين استعجزهم وبين حال الناس فى زماننا هذا وهو سنة ست عشرة وستمائة مع الفرنج أيضا والتتر وسترى ذلك مشروحا إن شاء الله تعالى لتعلم الفرق نسأل الله تعالى أن ييسر الإسلام وأهله قائما يقوم بنصره وأن يدفع عنهم بمن أحب من خلقه وما ذلك على الله بعزيز .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة ورد إلى بغداد إنسان من الملثمين ملوك الغرب قاصداً إلى دار الخلافة فأكرم وكان معه إنسان يقال له الفقيه من الملثمين أيضا فوعظ الفقيه فى جامع القصر واجتمع له العالم العظيم وكان يعظ وهو متلثم لا يظهر منه غير عينيه وكان هذا الملثم قد حضر مع ابن الأفضل أمير الجيوش بمصر وقعته مع الفرنج وأبلى بلاء حسنا وكان سبب مجيئه إلى بغداد أن المغاربة كانوا يعتقدون فى العلويين أصحاب

Marfat.com

مصر الاعتقاد القبيح فكانوا إذا أرادو الحج يعدلون عن مصر وكان أمير الجيوش بدر والد الأفضل أراد إصلاحهم فلم يميلوا إليه ولا قاربوه فأمر بقتل من ظفر به منهم فلما ولى ابنه الأفضل أحسن إليهم واستعان بمن قاربه منهم على حرب الفرنج وكان هذا من جملة من قاتل معه فلما خالط المصريين خاف العود إلى بلاده فقدم بغداد ثم عاد إلى دمشق ولم يكن للمصريين حرب مع الفرنج إلا وشهدها فقتل فى بعضها شهيداً وكان شجاعا فتاكا مقداما . وفيها فى ربيع الآخر ظهر كوكب فى السماء له ذؤابة كقوس قزح آخذة من المغرب إلى وسط السماء وكان يرى قريبا من الشمس قبل ظهوره ليلا وبقى يظهر عدة ليال ثم غاب . وفيها وصل الملك قلج أرسلان ابن سليمان بن قتلمش صاحب بلاد الروم إلى الرها ليحصرها وبها الفرنج فراسله أصحاب جكرمش المقيمون بحران ليسلموها إليه فسار إليهم وتسلم البلد وفرح به الناس لأجل جهاد الفرنج فأقام بحران أياما ومرض مرضا شديدا أوجب عوده إلى ملطية فعاد مريضا وبقى أصحابه بحران . وفى هذه السنة توفى الشيخ أبو منصور الخياط المقرى إمام مسجد ابن جردة وكان خيرا صالحا . وفيها قتل القاضى أبو العلاء صاعد بن أبى محمد النيسابورى الحنفى بجامع أصبهان قتله باطنى . وفيها توفى أبو الفوارس الحسين بن على بن الحسين بن الخازن صاحب الخط الجيد وعمره سبعون سنة قيل إنه كتب خمسمائة ختمة . وفيها فى المحرم توفى القاضى أبو الفرج عبيد الله بن الحسن قاضى البصرة وله ثلاث وثمانون سنة وكان من الفقهاء الشافعية المشهورين تفقه على الماوردى وأبى إسحق وأخذ النحو عن الرقى والدهان وابن برهان وكان عفيفا مقدما عند الخلفاء والسلاطين . وفيها فى المحاضرة توفى سهل بن أحمد بن على الأرغيانى أبو الفتح الحاكم تفقه على الجوينى وبرز ثم ترك المناظرة وبنى رباطا واشتغل بالعبادة وقراءة القرآن . وفيها فى صفر توفى الأمير مهارش بن مجلى وله نحو ثمانين سنة وهو الذى كان الخليفة القائم عنده بالحديثة وكان كثير الصلاة والصوم يحب الخير وأهله ولما توفى ملك الحديثة بعده ابنه سليمان . (١)

﴿ ثم دخلت سنة خمسمائة ﴾

﴿ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه على﴾ فى هذه السنة توفى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك الغرب والأندلس وكان حسن السيرة خيرا عادلا يميل إلى أهل الدين والعلم ويكرمهم ويصدر عن رأيهم ولما ملك الأندلس على ماذكرناه جمع الفقهاء وأحسن اليهم فقالوا له ينبغى أن تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على الكافة فأرسل إلى الخليفة المستظهر بالله أمير المؤمنين رسولا ومعه هدية كثيرة وكتب معه كتابا يذكر مافتح الله من بلاد الفرنج وما اعتمده من نصرة الإسلام ويطلب تقليدا بولاية البلاد فكتب له تقليد من ديوان الخلافة بما أراد ولقب أمير المسلمين وسيرت اليه الخلع فسر بذلك سرورا كثيرا وهو

---

(١) وفيها توفى أبو الفتح الحاكم سمع الحديث من البيهقى وغيره ، وعلق عن القاضى حسين طريقه وشكره فى ذلك وكان قد تفقه أولا على الشيخ أبى على السنجى ، ثم تفقه وعلق عن إمام الحرمين فى الأصول بحضرته ، واستجاده وولى بلده مدة طويلة ، وناظر ، ثم ترك ذلك كله وأقبل على العبادة وتلاوة القرآن . قال ابن خلكان : وبنى للصوفية رباطا من ماله ، ولزم التعبد إلى أن مات فى مستهل المحرم من هذه السنة . وفيها توفى محمد بن أحمد بن محمد بن على بن عبد الرزاق أبو منصور الخياط ، أحد القراء والصلحاء ، ختم ألوفا من الناس ، وسمع الحديث الكثير ، وحين توفى اجتمع العالم فى جنازته اجتماعا لم يجتمع لغيره مثله ، ولم يعهد له نظير فى تلك الأزمان . وكان عمره يوم توفى سبعا وتسعين سنة رحمه الله ، وقد رثاه الشعراء ، ورآه بعضهم فى المنام فقال له : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفر لى بتعليمى الصبيان الفاتحة .

الذى بنى مدينة مراكش للمرابطين وبقى على ملكه إلى خمسمائة فتوفى وملك بعده البلاد ولده على بن يوسف وتلقب أيضا أمير المسلمين فازداد فى إكرام العلماء والوقوف عند إشارتهم وكان إذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة ولان قلبه لها وظهر ذلك عليه وكان يوسف بن تاشفين حليما كريما دينا خيرا يحب أهل العلم والدين ويحكمهم فى بلاده وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام فمن ذلك أن ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم ألف دينار يتجربها وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لأمير المسلمين وتمنى الآخر زوجته النفزاوية وكانت من أحسن النساء ولها الحكم فى بلاده فبلغه الخبر فأحضرهم وأعطى متمنى المال ألف دينار واستعمل الآخر وقال للذى تمنى زوجته ياجاهل ماحملك على هذا الذى لاتصل اليه ثم أرسله اليها فتركته فى خيمة ثلاثة أيام تحمل اليه كل يوم طعاما واحدا ثم أحضرته وقالت له ماأكلت هذه الأيام قال طعاما واحدا فقالت كل النساء شىء واحد وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته .

﴿ ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك ﴾ فى هذه السنة قتل فخر الملك أبو المظفر على بن نظام الملك يوم عاشوراء وكان أكبر أولاده وقد ذكرنا سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وزارته للسلطان بركيارق فلما فارق وزارته قصد نيسابور وأقام عند الملك سنجر بن ملكشاه ووزر له وأصبح يوم عاشوراء صائما وقال لأصحابه رأيت الليلة فى المنام الحسين بن على عليه السلام وهو يقول عجل الينا وليكن إفطارك عندنا وقد اشتغل فكرى به ولا محيد عن قضاء الله وقدره وقالوا له يحييك الله والصواب أن لاتخرج اليوم والليلة من دارك فأقام يومه يصلى ويقرأ القرآن وتصدق بشىء كثير فلما كان وقت العصر خرج من الدار التى كان بها يريد دار النساء فسمع صياح متظلم شديد الحرقة وهو يقول ذهب المسلمون فلم يبق من يكشف مظلمة ولا يأخذ بيد ملهوف فأحضره عنده رحمة له فحضر فقال ماحالك فدفع اليه رقعة فبينما فخر الملك يتأملها إذ ضربه بسكين فقضى عليه فمات فحمل الباطنى إلى سنجر فقرره فأقر على جماعة من أصحاب السلطان كذبا وقال إنهم وضعونى على قتله وأراد أن يقتل بيده وسعايته فقتل من ذكر وكان مكذوبا عليهم ثم قتل الباطنى بعدهم وكان عمر فخر الملك ستا وستين سنة .

﴿ ذكر ملك صدقة بن مزيد تكريت ﴾ فى هذه السنة فى صفر تسلم الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور ابن مزيد قلعة تكريت وقد ذكرنا فيما تقدم أنها كانت لبنى مقن العقيليين وكانت إلى آخر سنة سبع وعشرين وأربعمائة بيد رافع بن الحسين بن مقن فمات وولها ابن أخيه أبو منعة خميس بن تغلب بن حماد ووجد بها خمسمائة ألف دينار سوى المصاغ وتوفى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وولها ولده أبو غشام فلما كان سنة أربع وأربعين وثب عليه عيسى فحبسه وملك القلعة والأموال فلما اجتاز به طغرلبك سنة ثمان وأربعين صالحه على بعض المال فرحل عنه وخافت زوجته أميرة بعد موته أن يعود أبو غشام يملك القلعة فقتلته وكان قد بقى فى الحبس أربع سنين واستنابت فى القلعة أبا الغنائم بن المحلبان فسلمها إلى أصحاب السلطان طغرلبك فسارت إلى الموصل فقتلها ابن أبى غشام بأبيه وأخذ شرف الدولة مسلم بن قريش مالها وردطغرلبك أمر القلعة إلى إنسان يعرف بأبى العباس الرازى فمات بها بعد ستة أشهر فملكها المهرباط وهو أبو جعفر محمد ابن أحمد بن خشنا من بلد الثغر فأقام بها إحدى وعشرين سنة ومات وولها ابنه سنتين وأخذتها منه تركان خاتون وولها لها كوهرآيين ثم ملكها بعد وفاة ملكشاه قسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب فلما قتل صارت للامير كمشتكين الجاندار فجعل فيها رجلا يعرف بأبى المصارع ثم عادت إلى كوهرآيين أقطاعا ثم أخذها منه مجد الملك البلاسانى

Marfat.com

فولى فيها كيقباذ بن هزار سب الديلمى فأقام بها اثنتى عشرة سنة فظلم أهلها وأساء السيرة فلما اجتاز به سقمان ابن أرتق سنة ست وتسعين ونهبها ليلا وسقمان ينهبها نهارا فلما استقر السلطان محمد بعد موت أخيه بركيارق أقطعها للأمير آقسنقر البرسقى شحنة بغداد فسار إليها وحصرها مدة تزيد على سبعة أشهر حتى ضاق على كيقباذ الأمر فراسل صدقة بن مزيد ليسلمها إليه فسار إليها فى صفر هذه السنة وتسلمها منه وانحدر البرسقى ولم يملكها ومات كيقباذ بعد نزوله من القلعة بثمانية أيام وكان عمره ستين سنة واستناب صدقة بها ورام بن أبى فراس بن ورام وكان كيقباذ ينسب إلى الباطنية وكان موته من سعادة صدقة فإنه لو أقام عنده لعرض صدقة لظنون الناس فى اعتقاده ومذهبه .

﴿ ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة ﴾ فى هذه السنة فى ربيع الأول كانت حرب بين عبادة وخفاجة ظفرت عبادة وأخذت بثارها من خفاجة وكان سبب ذلك أن سيف الدولة صدقة أرسل ولده بدران فى جيش إلى طرف بلاده مما يلى البطيحة ليحميها من خفاجة لأنهم يؤذون أهل تلك النواحى فقربوا منه وتهددوا أهل البلاد فكتب إلى أبيه يشكو منهم ويعرفه حالهم فأحضر عبادة وكانت خفاجة قد فعلت بهم العام الماضى ماذكرناه فلما حضروا عنده قال لهم ليتجهزوا مع عسكره ليأخذوا بثارهم من خفاجة فساروا فى مقدم عسكره فأدركوا حلة من خفاجة من بنى كليب ليلا وهم غارون لم يشعروا به فقالوا من أنتم فقالت عبادة نحن أصحاب الديون فعلموا أنهم عبادة فقاتلوهم وصبرت خفاجة فبينماهم فى القتال إذ سمع طبل الجيش فانهزموا وقتلت منهم عبادة جماعة وكان فيهم عشرة من وجوههم وتركوا حرمهم فأمر صدقة بحراستهن وحمايتهن وأمر العسكر أن يؤثروا عبادة بما غنموه من أموال خفاجة خلفالهم عما أخذ منهم فى العام الماضى وأصاب خفاجة من مفارقة بلادها ونهب أموالها وقتل رجالها أمر عظيم وانتزحت إلى نواحى البصرة وأقامت عبادة فى بلاد خفاجة ولما انهزمت خفاجة وتفرقت ونهبت أموالها جاءت امرأة منهم إلى الأمير صدقة فقالت له إنك سبيتنا وسلبتنا قوتنا وغربتنا وأضعت حرمتنا قابلك الله فى نفسك وجعل صورة أهلك كصورتنا فكظم الغيظ واحتمل لها ذلك وأعطاها أربعين جملا ولم يمض غير قليل حتى قابل الله صدقة فى نفسه وأولاده فإن دعاء الملهوف عند الله بمكان .

﴿ ذكر مسير جاولى سقاوو إلى الموصل وأسر صاحبها جكرمش ﴾ فى هذه السنة فى المحرم أقطع السلطان محمد جاولى سقاوو الموصل والأعمال التى بيد جكرمش وكان جاولى قبل هذا قد استولى على البلاد التى بين خوزستان وفارس وأقام بها سنين وعمر قلاعها وحصنها وأساء السيرة فى أهلها وقطع أيديهم وجدع أنوفهم وسمل أعينهم فلما تمكن السلطان محمد من السلطنة خافه جاولى وأرسل السلطان إليه الأمير مودود بن التونتكين فتحصن منه جاولى وحصره مودود ثمانية أشهر فأرسل جاولى إلى السلطان إننى لا أنزل إلى مودود فإن أرسلت غيره نزلت فأرسل إليه خاتمه مع أمير آخر فنزل جاولى وحضر الخدمة بأصبهان فرأى من السلطان ما يحب وأمره السلطان بالمسير إلى الفرنج ليأخذ البلاد منهم وأقطعه الموصل وديار بكر والجزيرة كلها وكان جكرمش لما عاد من عند السلطان إلى بلاده كما ذكرناه وعد من نفسه الخدمة وحمل المال فلما استقر ببلاده لم يف بما قال وتثاقل فى الخدمة وحمل المال فأقطع بلاده لجاولى فجاء إلى بغداد وأقام بها إلى أول ربيع الأول وسار إلى الموصل وجعل طريقه على البوازيج فملكها ونهبها أربعة أيام بعد أن أمن أهلها وحلف لهم أنه يحميهم فلما ملكها سار إلى إربل وأما جكرمش فإنه لما بلغه مسيره إلى بلاده كتب فى جمع العساكر فأتاه

Marfat.com

Marfat.com

كتاب أبى الهيجاء بن موسك الكردى الهذبانى صاحب إربل يذكر استيلاء جاولى على البوازيج ويقول له إن لم تعجل المجىء لنجتمع عليه ونمنعه وإلا اضطررت إلى موافقته والمصير معه فبادر جكرمش وعبر إلى شرقى دجلة وسار فى عسكر الموصل قبل اجتماع عساكره وأرسل إليه أبو الهيجاء عسكره مع أولاده فاجتمعوا بقرية باكلبا من أعمال إربل ووافاهم جاولى وهو فى ألف فارس وكان جكرمش فى ألفى فارس ولا يشك أنه يأخذ جاولى باليد فلما اصطفوا للحرب حمل جاولى من القلب على قلب جكرمش فانهزم من فيه وبقى جكرمش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان به فهو لا يقدر يركب وإنما يحمل فى محفة فلما انهزم أصحابه قاتل عنه ركابى أسود قتالا عظيما فقتل وقاتل معه واحد من أولاد الملك قاورت بك بن داود اسمه أحمد فقاتل بين يديه فطعن فجرح وانهزم فمات بالموصل ولم يقدر أصحاب جاولى على الوصول إلى جكرمش حتى قتل الركابى الأسود فحينئذ أخذوه أسيرا وأحضروه عند جاولى فأمر بحفظه وحراسته وكانت عساكر جكرمش التى استدعاها قد وصلت إلى الموصل بعد مسيره بيومين فساروا جرائد ليدركوا الحرب فلقيهم المنهزمون ليقضى الله أمراً كان مفعولا .

﴿ذكر حصر جاولى سقاوو الموصل وموت جكرمش﴾ لما انهزم العسكر وأسر جكرمش وصل الخبر إلى الموصل فأقعدوا فى الأمر زنكى بن جكرمش وهو صبى عمره إحدى عشر سنة وخطبوا له وأحضروا أعيان البلد والتمسوا منهم المساعدة فأجابوا إلى ذلك وكان مستحفظ القلعة مملوكا لجكرمش اسمه غزغلى فقام فى ذلك المقام المرضى وفرق الأموال التى جمعها جكرمش والخيول وغير ذلك على الجند وكاتب سيف الدولة صدقة وقلج أرسلان والبرسقى شحنة بغداد بالمبادرة إليهم ومنع جاولى عنهم ووعدوا كلا منهم أن يسلموا البلد إليه فأما صدقة فلم يجبهم إلى ذلك ورأى طاعة السلطان ، وأما البرسقى وقلج أرسلان فنذكر حالهما ثم إن جاولى حصر الموصل ومعه كرماوى بن خراسان التركمانى وغيره من الأمراء وكثر جمعه وأمر أن يحمل جكرمش كل يوم على بغل وينادى أصحابه بالموصل ليسلموا البلد ويخلصوا صاحبهم مما هو فيه ويأمرهم هو بذلك فلا يسمعون منه وكان يسجنه فى جب ويوكل به من يحفظه لئلا يسرق فأخرج فى بعض الأيام ميتا وعمره نحو ستين سنة وكان شأنه قد علا ومنزلته قد عظمت وكان قد شيد سور الموصل وقواه وبنى عليها فصيلا وحفر خندقها وحصنها غاية ما يقدر عليه وكان مع جكرمش رجل من أعيان الموصل يقال له أبو طالب بن كسيرات وبنو كسيرات إلى الآن بالموصل من أعيان أهلها وكان أبو طالب قد تقدم عند جكرمش وارتفعت منزلته واستولى على أموره وحضر معه الحرب فلما أسر جكرمش هرب أبو طالب إلى إربل وكان أولاد أبى الهيجاء صاحب إربل قد حضروا الحرب مع جكرمش وأسرهم جاولى فأرسل إلى أبى الهيجاء يطلب ابن كسيرات فأطلقه وسيره إليه فأطلق جاولى ابن أبى الهيجاء فلما حضر ابن كسيرات عند جاولى ضمن له فتح الموصل وبلاد جكرمش وتحصيل الأموال فاعتقله اعتقالا جميلا وكان قاضى الموصل أبو القاسم بن ودعان عدواً لأبى طالب فأرسل إلى جاولى يقول له إن قتلت أبا طالب سلمت الموصل إليك فقتله وأرسل رأسه إليه فأظهر الشماتة به وأخذ كثيراً من أمواله وودائعه فسار به الأتراك غضباً لأبى طالب وانفرده بما أخذ من أمواله فقتلوه وكان بينهما شهر واحد وقد رأينا كثيراً وسمعنا مالا نحصيه من قرب وفاة أحد المتعاديين بعد صاحبه .

﴿ذكر الحرب بين ملك القسطنطينية والفرنج﴾ فى هذه السنة كانت وحشة مستحكمة بين ملك الروم صاحب القسطنطينية وبين بيمند الفرنجى فسار بيمند إلى بلد ملك الروم ونهبه وعزم على قصده فأرسل ملك الروم إلى

الملك قلج أرسلان بن سليمان صاحب قونية وآقصرا وغيرهما من تلك البلاد يستنجده فأمده بجمع من عسكره فقوى بهم وتوجه إلى بيمند فالتقوا وتصافوا واقتتلوا وصبر الفرنج بشجاعتهم وصبر الروم ومن معهم لكثرتهم ودامت الحرب ثم أجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج وأتى القتل على أكثرهم وأسر كثير منهم والذين سلموا عادوا إلى بلادهم بالشام وعاد عسكر قلج أرسلان إلى بلادهم عازمين على المسير إلى صاحبهم بديار الجزيرة فأتاهم خبر قتله على ماذكره إن شاء الله تعالى فتركوا الحركة وأقاموا .

﴿ ذكر ملك قلج أرسلان الموصل ﴾ قد ذكرنا أن أصحاب جكرمش كتبوا إلى الأمير صدقة وقسيم الدولة البرسقي والملك قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب بلاد الروم يستدعون كلا منهم إليهم ليسلموا البلد إليه فأما صدقة فامتنع ورأى طاعة السلطان ، وأما قلج أرسلان فانه سار في عساكره فلما سمع جاولي سقاوو بوصوله إلى نصيبين رحل عن الموصل وأما البرسقي فانه كان شحنة بغداد فسار منها إلى الموصل فوصلها بعد رحيل جاولي عنها فنزل بالجانب الشرقي فلم يلتفت أحد إليه ولا أرسلوا إليه كلمة واحدة فعاد في باقي يومه ثم إن قلج أرسلان لما وصل إلى نصيبين أقام بها حتى كثر جمعه فلما سمع جاولي بقربه رحل من الموصل إلى سنجار وأودع رحله بها واتصل به الأمير أيلغازي بن أرتق وجماعة من عسكر جكرمش فصار معه أربعة آلاف فارس فأتاه كتاب الملك رضوان يستدعيه إلى الشام ويقول له إن الفرنج قد عجز من بالشام عن منعهم فسار إلى الرحبة وأرسل أهل الموصل وعسكر جكرمش إلى قلج أرسلان وهو بنصيبين استحلفوه لهم فحلف واستحلفهم على الطاعة له والمناصحة وسار معهم إلى الموصل فملكها في الخامس والعشرين من رجب ونزل بالمعروفة وخرج اليه ولد جكرمش وأصحابه فخلع عليهم وجلس على التخت وأسقط السلطان محمدا وخطب لنفسه بعد الخليفة وأحسن إلى العسكر وأخذ القلعة من غزغلي مملوك جكرمش وجعل له فيها دزداراً ورفع الرسوم المحدثة في الظلم وعدل في الناس وتألفهم وقال من سعى إلي بأحد قتلته فلم يسع أحد بأحد وأقر القاضي أبا محمد عبد الله بن القاسم بن الشهرزوري على القضاء بالموصل وجعل الرياسة لأبي البركات محمد بن محمد بن خميس وهو ولد شيخنا أبي الربيع سليمان وكان في جملة قلج أرسلان الأمير إبراهيم بن ينال التركماني صاحب آمد ومحمد بن جبق التركماني صاحب حصن زياد وهو خرتبرت فأما إبراهيم بن ينال فكان سبب ملكه لمدينة آمد أن تاج الدولة تتش حين ملك ديار بكر سلمها اليه فبقيت بيده وأما محمد بن جبق فكان سبب ملكه لحصن زياد أن هذا الحصن كان بيد الفلادروس الرومي ترجمان ملك الروم وكانت الرها وأنطاكية من أعماله فلما ملك سليمان بن قتلمش والد هذا قلج أرسلان أنطاكية وملك فخر الدولة بن جهير ديار بكر ضعف الفلادروس عن إقامة مايحتاج اليه حصن زياد من الميرة والإقامة فأخذه جبق وأسلم الفلادروس على يد السلطان ملكشاه وأمره على الرها فلم يزل عليها حتى مات وأخذها الأمير بزان بعده وكان بالقرب من حصن زياد حصن آخر بيد إنسان من الروم اسمه إفرنجي وكان يقطع الطريق ويكثر قتل المسلمين فأرسل اليه جبق هدية وخطب اليه مودته وأن يعين كل واحد منهما صاحبه فأجابه إلى ذلك فكان جبق يعين إفرنجي على قطع الطريق وغيره وكذلك إفرنجي يعين جبق فلما وثق كل واحد بصاحبه أرسل اليه جبق إني أريد قصد بعض الأماكن وطلب أن يرسل اليه أصحابه فأرسلهم اليه فلما ساروا معه في الطريق تقدم يكتفهم وحملهم إلى قلعة إفرنجي وقال لأهليهم والله لئن لم تسلموا إلى إفرنجي لأضربن أعناقهم ولآخذن الحصن عنوة ولأقتلنكم

Marfat.com

Marfat.com

على دم واحد ففتحوا له الحصن وسلموا اليه إفرنجى فسلخه وأخذ أمواله وسلاحه وكان عظيما ومات جبق فولى بعده ابنه محمد .

﴿ذكر قتل قلج أرسلان وملك جاولى الموصل﴾ قد ذكرنا أن قلج أرسلان لما وصل إلى نصيبين سار جاولى عن الموصل إلى سنجار ثم إلى الرحبة فوصلها فى رجب وحصرها إلى الرابع والعشرين من شهر رمضان وكان صاحبها حينئذ يعرف بمحمد بن السباق وهو من بنى شيبان رتبه بها الملك دقاق لما فتحها وأخذ ولده رهينة وحمله معه إلى دمشق فلما توفى أرسل هذا الشيبانى قوما سرقوا ولده وحملوه إليه ، فلما وصل إليه خلع الطاعة للدمشقيين وخطب فى بعض الأوقات لقلج أرسلان فلما وصل إليها جاولى وحصرها أرسل إلى الملك رضوان يعرفه أنه على الاجتماع به ومساعدته على من يحاربه ويشرط عليه أنه إذا تسلم البلاد سار معه ليكشف الفرنج عن بلاده فلما استقرت القاعدة بينهما حضر عنده رضوان فاشتد الحصار على أهل البلد وضاقت عليهم الأمور واتفق جماعة كانوا بأحد الأبراج وأرسلوا إلى جاولى واستحلفوه على حفظهم وحراستهم وأمروه أن يقصد البرج الذى هم فيه عند انتصاف الليل ففعل ذلك فرفع من فى البرج أصحابه إليهم فى الحبال فضربوا بوقاتهم وطبولهم فخذل من فى البلد ودخله أصحاب جاولى فى اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان ونهبوه إلى الظهر ثم أمر برفع النهب ونزل إليه محمد الشيبانى صاحب البلد وأطاعه وصار معه ثم إن قلج أرسلان لما فرغ من أمر الموصل سار عنها إلى جاولى سقاوو ليحاربه وجعل ابنه ملكشاه فى دار الإمارة وعمره إحدى عشرة سنة ومعه أمير ايدبر وجماعة من العسكر وكانت عدة عسكره أربعة آلاف فارس بالعدة الكاملة والخيل الجيدة وسمع العسكر بقوة جاولى فاختلفوا وكان أول من خالف عليه إبراهيم بن ينال صاحب آمد فإنه فارق خيامه وأثقاله وعاد من الخابور إلى بلده وكذلك غيره وعمل قلج أرسلان على المطاولة لما بلغه من قوة جاولى وكثرة جموعه ، وأرسل إلى بلاده يطلب عساكره لأنها كانت ملك الروم نجدة له عن قتال الفرنج كما ذكرناه فلما وصل إلى الخابور بلغت عدته خمسة آلاف ، وكان مع جاولى أربعة آلاف من جملتهم الملك رضوان وجماعة من عسكره إلا أن شجعانه أكثر واغتنم جاولى قلة عسكر قلج أرسلان فقاتله قبل وصول عساكره إليه فالتقوا فى العشرين من ذى القعدة فحمل قلج أرسلان على القوم بنفسه حتى خالطهم فضرب يد صاحب العلم فأبانها ووصل إلى جاولى بنفسه فضربه بالسيف فقطع الكزاغند ولم يصل إلى بدنه وحمل أصحاب جاولى على أصحابه فهزموهم واستباحوا نقلهم وسوادهم فلما رأى قلج أرسلان انهزام عسكره علم أنه إن أسر فعل به فعل من لم يترك للصلح موضعاً لاسيما وقد نازع السلطان فى بلاده واسم السلطنة فألقى نفسه فى الخابور وحمى نفسه من أصحاب جاولى بالنشاب فانحدر به الفرس إلى ماء عميق فغرق وظهر بعد أيام فدفن بالشمسانية وهى من قرى الخابور وسار جاولى إلى الموصل ، ولما وصل إليها فتح أهلها له بابها ولم يتمكن من بها من أصحاب قلج أرسلان من منعهم ونزل بظاهر البلد وأخذ كل واحد من أصحاب جكرمش الذى حضر الوقعة مع قلج أرسلان إلى جهة فلما ملك جاولى الموصل أعاد خطبة السلطان محمد وصادر جماعة من بها من أصحاب جكرمش وسار إلى جزيرة ابن عمر وبها حبشى بن جكرمش ومعه أمير من غلمان أبيه اسمه غزغلى فحصره مدة ثم إنهم صالحوه وحملوا إليه ستة آلاف دينار وغيرها من الدواب والثياب ورحل عنهم إلى الموصل وأرسل ملكشاه بن قلج أرسلان إلى السلطان محمد .

Marfat.com

﴿ ذكر أحوال الباطنية بأصبهان وقتل ابن عطاش ﴾ فى هذه السنة ملك السلطان محمد القلعة التى كان الباطنية ملكوها بالقرب من أصبهان واسمها شاهدز وقتل صاحبها أحمد عبد الملك بن عطاش وولده وكانت هذه القلعة قد بناها ملكشاه واستولى عليها بعده أحمد بن عبد الملك بن عطاش وسبب ذلك أنه اتصل بدزدار كان لها فلما استولى أحمد عليها وكان الباطنية بأصبهان قد ألبسوه تاجا وجمعوا له أموالا وإنما فعلوا ذلك به لتقدم أبيه عبد الملك فى مذهبهم فإنه كان أديبا بليغا حسن الخط سريع البديهة عفيفا وابتلى بحب هذا المذهب وكان هذا ابنه أحمد جاهلا لا يعرف شيأ وقيل لابن الصباح صاحب قلعة الموت لماذا تعظم ابن عطاش مع جهله قال لمكان أبيه لأنه كان أستاذى وصار لابن عطاش عدد كثير وبأس شديد واستفحل أمره بالقلعة فكان يرسل أصحابه لقطع الطريق وأخذ الأموال وقتل من قدروا على قتله فقتلوا خلقا كثيرا لا يمكن إحصاؤهم وجعلوا له على القرى السلطانية وأملاك الناس ضرائب يأخذونها ليكفوا عنها الأذى فتعذر بذلك انتفاع السلطان بقراه والناس بأملاكهم وتمشى لهم الأمر بالخلف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد فلما صفت السلطنة لمحمد ولم يبق له منازع لم يكن عنده أمر أهم من قصد الباطنية وحربهم والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم فرأى البداية بقلعة اصبهان التى بأيديهم لأن الأذى بها أكثر وهى متسلطه على سرير ملكه فخرج بنفسه فحاصرهم فى سادس شعبان وكان قد عزم على الخروج أول رجب فساء ذلك من يتعصب لهم من العسكر فأرجفوا أن قلج أرسلان بن سليمان قد ورد بغداد وملكها واتعلوا فى ذلك مكاتبات ثم أظهروا أن خللا قد تجدد بخراسان فتوقف السلطان لتحقيق الأمر فلما ظهر بطلانه عزم عزيمة مثله وقصد حربهم وصعد جبلا يقابل القلعة من غربيها ونصب له النخت فى أعلاه واجتمع له من أصبهان وسوادها لحربهم الأمم العظيمة للذحول التى يطالبونهم بها وأحاطوا بجبل القلعة ودوره أربعة فراسخ ورتب الأمراء لقتالهم فكان يقاتلهم كل يوم أمير فضاق الأمر بهم واشتد الحصار عليهم وتعذرت عندهم الأقوات فلما اشتد الأمر عليهم كتبوا فتوى فيها مايقول السادة الفقهاء أئمة الدين فى قوم يؤمنون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وإنما يخالفون فى الإمام هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم وأن يقبل طاعتهم ويحرسهم من كل أذى فأجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك وتوقف بعضهم فجمعوا للمناظرة ومعهم أبو الحسن على بن عبد الرحمن السمنجانى وهو من شيوخ الشافعية فقال بمحضر من الناس يجب قتالهم ولايجوز إقرارهم بمكانهم ولا ينفعهم التلفظ بالشهادتين فإنهم يقال لهم أخبرونا عن إمامكم إذا أباح لكم ماحظره الشرع أوحظر عليكم ماأباحه الشرع أتقبلون أمره فإنهم يقولون نعم وحينئذ تباح دماؤهم بالإجماع وطالت المناظرة فى ذلك ثم إن الباطنية سألوا السلطان أن يرسل اليهم من يناظرهم وعينوا على أشخاص من العلماء منهم القاضى أبو العلاء صاعد بن يحيى شيخ الحنفية بأصبهان وقاضيها وغيره فصعدوا اليهم وناظروهم وعادوا كما صعدوا وإنما كان قصدهم التعلل والمطاولة فلج حينئذ السلطان فى حصرهم فلما رأوا عين المحاققة أذعنوا إلى تسليم القلعة على أن يعطوا عوضا عنها قلعة خالنجان وهى على سبعة فراسخ من أصبهان وقالوا إنا نخاف على دمائنا وأموالنا من العامة فلابد من مكان نجتمى به منهم فأشير على السلطان إجابتهم إلى ماطلبوا فسألوا أن يؤخرهم إلى النوروز ليرحلوا إلى خالنجان ويسلموا قلعتهم وشرطوا أن لايسمع قول متنصح فيهم وإن قال أحد عنهم شيئا سلمه اليهم وأن من أتاه منهم رده اليهم فأجابهم اليه وطلبوا أن يحمل اليهم من الإقامة ما يكفيهم يوما

بيوم فأجيبوا اليه فى كل هذا وقصدهم المطاولة انتظاراً لفتق ينفتق أوحادث يتجدد ورتب لهم وزير السلطان سعد الملك مايحمل اليهم كل يوم من الطعام والفاكهة وجميع مايحتاجون اليه فجعلوا هم يرسلون ويبتاعون من الأطعمة مايجمعونه ليمتنعوا فى قلعتهم ثم إنهم وضعوا من أصحابهم من يقتل أميرا كان يبالغ فى قتالهم فوثبوا عليه وجرحوه وسلم منهم فحينئذ أمر السلطان بإخراب قلعة خالنجان وجدد الحصار عليهم فطلبوا أن ينزل بعضهم ويرسل السلطان معهم من يحميهم إلى أن يصلوا إلى قلعة الناظر بأرجان وهى لهم وينزل بعضهم ويرسل معهم من يوصلهم إلى طبس وأن يقيم البقية منهم فى ضرس من القلعة إلى أن يصل اليهم من يخبرهم بوصول أصحابهم فينزلون حينئذ ويرسل معهم من يوصلهم إلى ابن الصباح بقلعة الموت فأجيبوا إلى ذلك فنزل منهم إلى الناظر وإلى طبس وساروا وتسلم السلطان القلعة وخربها ثم إن الذين ساروا إلى قلعة الناظر وطبس وصل منهم من أخبر ابن عطاش بوصولهم فلم يسلم السن الذى بقى بيده ورأى السلطان منه الغدر والعود عن الذى قرره فأمر بالزحف إليه فزحف الناس عامة ثانى ذى القعدة وكان قد قل عنده من يمنع ويقاتل فظهر منهم صبر عظيم وشجاعة زائدة ، وكان قد استأمن إلى السلطان إنسان من أعيانهم فقال لهم إنى أدلكم على عورة لهم فأتى بهم إلى جانب لذلك السن لهم لايرام فقال لهم اصعدوا من ههنا فقيل إنهم قد ضبطوا هذا المكان وشحنوه بالرجال فقال إن الذى ترون أسلحة وكزاغندات قدجعلوها كهيئة الرجال لقلتهم عندهم وكان جميع من بقى ثمانين رجلا فزحف الناس من هناك فصعدوا منه وملكوا الموضع وقتل أكثر الباطنية واختلط جماعة منهم مع من دخل فخرجوا معهم وأما ابن عطاش فإنه أخذ أسيراً فترك أسبوعا ثم إنه أمر به فشهر فى جميع البلد وسلخ جلده فتجلد حتى مات وحشى جلده تبناً وقتل ولده وحمل رأساهما إلى بغداد وألقت زوجته نفسها من رأس القلعة فهلكت وكان معها جواهر نفيسة لم يوجد مثلها ، فهلكت أيضا وضاعت ، وكانت مدة البلوى بابن عطاش اثنتى عشرة سنة .

﴿ذكر الخلف بين سيف الدولة صدقة ومهذب الدولة صاحب البطيحة﴾ فى هذه السنة اختلف سيف الدولة صدقة بن مزيد ومهذب الدولة السعيد بن أبى الجبر صاحب البطيحة وانضاف حماد بن أبى الجبر إلى صدقة وأظهر معاداة ابن عمه مهذب الدولة ثم اتفقوا وكان سبب ذلك أن صدقة لما أقطعه السلطان محمد مدينة واسط ضمنها منه مهذب الدولة واستناب فى الأعمال أولاده وأصحابه فمدوا أيديهم فى الأموال وفرطوا فيها وفرقوها ، فلما انقضت السنة طالبه صدقة بالمال وحبسه ثم سعى فى خلاصة بدران بن صدقة وهو صهر مهذب الدولة فأخرجه من الحبس وأعاده إلى بلده البطيحة وضمن حماد بن أبى الجبر واسطا فانحل على مهذب الدولة كثير من أمره فآل إلى الاختلاف بعد الاتفاق فان المصطنع إسماعيل جد حماد والمختص محمداً والد مهذب الدولة أخوان وهما ابنا أبى الجبر وكانت إليهما رياسة أهلهما وجماعتهما فهلك المصطنع وقام ابنه أبو السيد المظفر والد حماد مقامه وهلك المختص محمد وقام ابنه مهذب الدولة مقامه وصارا يتنازعان ابن الهيثم صاحب البطيحة ويقاتلانه إلى أن أخذه مهذب الدولة أيام كوهرائين وسلمه إلى كوهرائين فحمله إلى أصبهان فهلك طريقها فعظم أمر مهذب الدولة وصير كوهرائين أمير البطيحة فصار ابن عمه وجماعة تحت حكمه وكان حماد شاباً فأكرمه مهذب الدولة وزوجه بنتاً له وزاد فى أقطاعه فكثر ماله فسار يحسد مهذب الدولة ويضمر بغضه وربما ظهر فى بعض الأوقات وكان مهذب الدولة يداريه بجهده فلما هلك كوهرائين انتقل حماد عن مهذب الدولة وأظهر مافى

Marfat.com

Marfat.com

نفسه فاجتهد مهذب الدولة فى إعادته إلى ما كان فلم يفعل فسكت عنه فجمع النفيس بن مهذب الدولة جمعا وقصدا حماداً فهرب منه إلى سيف الدولة بالحلة فأعاده صدقة ومعه جماعة من الجند فحشد مهذب الدولة فأرسل حماد إلى صدقة يعرفه ذلك فأرسل إليه كثيراً من الجند فقوى عزم مهذب الدولة على المحاربة لئلا يظن به العجز فأشار عليه أهله بترك الخروج من موضعه لحصانته فلم يفعل وسير سفنه وأصحابه فى الأنهر فجعل حماد وأخوه له الكمناء واندفعوا من بين أيديهم فطمع أصحاب مهذب الدولة وتبعوهم فخرج عليهم الكمناء فلم يسلم منهم إلا من لم يحضر أجله فقتل منهم وأسر خلق كثير فقوى طمع حماد وأرسل إلى صدقة يستنجده فأرسل اليه مقدم جيشه سعيد بن حميد العمرى وغيره من المقدمين وجمعوا السفن ليقاتلوا مهذب الدولة فرأوا أمرا محكما فلم يمكنهم الدخول اليه وكان حماد بخيلا ومهذب الدولة جوادا فأرسل إلى سعيد بن حميد الإقامات الوافرة والصلات الكثيرة واستماله فمال اليه واجتمع به وتقرر الأمر على أن أرسل مهذب الدولة ابنه النفيس إلى صدقة فرضى عنه وأصلح بينهم وبين حماد ابن عمهم وعادوا إلى حال حسنة من الاتفاق وكان صلحهم فى ذى الحجة سنة خمسمائة .

﴿قتل وزير السلطان ووزارة أحمد بن نظام الملك﴾ فى شوال من هذه السنة قبض السلطان محمد على وزيره سعد الملك أبى المحاسن وأخذ ماله وصلبه على باب أصبهان وصلب معه أربعة نفر من أعيان أصحابه والمنتمين إليه أما الوزير فنسب إلى خيانة السلطان ، وأما الأربعة فنسبوا إلى اعتقاد الباطنية وكانت مدة وزارته سنتين وتسعة أشهر ، وكان فى ابتداء حاله يصحب تاج الملك أبا الغنائم وتعطل بعده ثم استعمله مؤيد الملك بن نظام الملك فجعله على ديوان الاستيفاء وخدم السلطان محمداً لما حصره أخوه السلطان بركيارق بأصبهان خدمة حسنة ولما فارقها محمد حفظها الحفظ التام وقام المقام العظيم فاستوزره محمد ووسع له فى الإقطاع وحكمه فى دولته ثم نكبه ، وهذا آخر خدمة الملوك . وما أحسن ما قال عبد الملك بن مروان أنعم الناس عيشا من له ما يكفيه وزوجة ترضيه ولا يعرف أبو ابنا هذه الخبيثة فتؤذيه ولما قبض الوزير استشار السلطان فيمن يجعله وزيراً فذكر له جماعة فقال السلطان إن آبائى دروا على نظام الملك البركة ولهم عليه الحق الكثير وأولاده أغذياء نعمتنا ولا معدل عنهم فأمر لأبى نصر أحمد هذا بالوزارة ولقب ألقاب أبيه قوام الدين نظام الملك صدر الإسلام وكان سبب قدومه إلى باب السلطان أنه لما رأى انفراض دولة أهل بيته لزم داره بهمذان فاتفق أن رئيس همذان وهو الشريف أبو هاشم آذاه فسار إلى السلطان شاكيا منه ومتظلما فقبض السلطان على الوزير وأحمد هذا فى الطريق فلما وصل إليه ذكره وخلع عليه خلع الوزارة وحكمه ومكنه وقوى أمره وهذا من الفرج بعد الشدة فإنه حضر شاكيا فصار حاكما .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة فى صفر عزل الوزير أبو القاسم على بن جهير وزير الخليفة فقصد دار سيف الدولة صدقة ببغداد ملتجئا إليها وكانت ملجأ لكل ملهوف فأرسل إليه صدقة من أخذه إليه إلى الحلة وكانت وزارته ثلاث سنين وخمسة أشهر وأياما وأمر الخليفة بنقض داره التى بباب العامة وفيها عبرة فإن أباه أبا نصر بن جهير بناها بأنقاض أملاك الناس وأخذ بسببها أكثر ما دخل فيها فخربت عن قريب ولما عزل استنيب قاضى القضاة أبو الحسن بن الدمغانى ثم تقررت الوزارة فى المحرم من سنة إحدى وخمسمائة لأبى المعالى هبة الله بن محمد بن المطلب وخلع عليه فيه . وفيها فى شوال توفى الأمير أبو الفوارس سرخاب بن بدر بن مهلهل

المعروف بابن أبى الشوك الكردى وكانت له أموال كثيرة وخيول لا تحصى وولى الأمر بعده أبو منصور ابن بدر وقام مقامه وبقيت الإمارة فى بيته مائة وثلاثين سنة وقد تقدم من أخباره ما فيه كفاية . وفى هذه السنة توفى أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الحداد الأصبهانى بن أخت عبد الرحمن بن أبى عبد الله بن منده ومولده سنة ثمان وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث مشهورا بالرواية . وفيها توفى أبو محمد جعفر بن أحمد ابن الحسين السراج البغدادى فى صفر وهو مكثر من الرواية وله تصانيف حسنة وأشعار لطيفة وهو من أعيان الزمان وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب أبو محمد الشيرازى الفقيه ولى التدريس بالنظامية ببغداد سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وكان يروى الحديث أيضا وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى المعروف بابن الطيورى البغدادى ومولده سنة إحدى عشرة وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث ثقة صالحا عابدا وأبو الكرم المبارك بن الفاخر بن محمد بن يعقوب النحوى سمع الحديث من أبى الطيب الطبرى والجوهرى وغيرهما وكان إماما فى النحو واللغة . (١)

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة ﴾

﴿ذكر قتل صدقة بن مزيد﴾ فى هذه السنة فى رجب قتل الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس ابن مزيد الأسدى أمير العرب وهو الذى بنى الحلة السيفية بالعراق وكان قد عظم شأنه وعلا قدره واتسع جاهه واستجار به صغار الناس وكبارهم فأجارهم وكان كثير العناية بأمور السلطان محمد والتقوية ليده والشد منه على أخيه بركيارق حتى إنه جاهر بركيارق بالعداوة ولم يبرح على مصافاة السلطان محمد وزاده محمد أقطاعا من جملته مدينة واسط وأذن له فى أخذ البصرة ثم أفسد ما بينهما العميد أبو جعفر محمد بن الحسين البلخى وقال فى جملة ماقال عنه إن صدقة قد عظم أمره وزاد حاله وكثر إدلاله ويبسط فى الدولة وحمايته كل من يفر إليه من عند السلطان وهذا لاتحتمله الملوك لأولادهم ولو أرسلت بعض أصحابك لملك بلاده وأمواله ثم إنه تعدى ذلك حتى طعن فى اعتقاده ونسبه وأهل بلده إلى مذهب الباطنية وكذب وإنما كان مذهبه التشيع لاغير

---

(١) وفيها توفى أحمد بن محمد بن المظفر أبو المظفر الخوافى الفقيه الشافعى . قال ابن خلكان : كان أنظر أهل زمانه ، تفقه على إمام الحرمين ، وكان أوجه تلامذته ، وقد ولى القضاء بطوس ونواحيها ، وكان مشهوراً بحسن المناظرة وإفحام الخصوم . قال والخوافى بفتح الخاء والوو نسبة إلى خواف ، ناحية من نواحى نيسابور .

وفيها توفى محمد بن إبراهيم بن عبيد الأسدى الشاعر ، لقى الخنيسى التهامى ، وكان مغرما بما يعارض شعره ، وقد أقام باليمن وبالعراق ثم بالحجاز ثم بخراسان ، ومن شعره :

قلت ثقلت إذ أتيت مرارا ٭ قال ثقلت كاهلى بالأيادى
قلت طولت قال بل تطولت ٭ قلت مزقت قال حبل ودادى

وفيها توفى يوسف بن على أبو القاسم الزنجانى الفقيه ، كان من أهل الديانة ، حكى عن الشيخ أبى إسحاق الشيرازى عن القاضى أبى الطيب ، قال : كنا يوما بجامع المنصور فى حلقة فجاء شاب خراسانى فذكر حديث أبى هريرة فى المطر فقال الشاب : غير مقبول ، فما استتم كلامه حتى سقطت من سقف المسجد حية فنهض الناس هاربين وتبعت الحية ذلك الشاب من بينهم ، فقيل له تب تب . فقال تبت ، فذهبت فلا ندرى أين ذهبت . رواها ابن الجوزى عن شيخه أبى المعمر الأنصارى عن أبى القاسم هذا والله أعلم .

Marfat.com

Marfat.com

ووافق أرغون السعدى آباجعفر العميد وانتهى ذلك إلى صدقة وكانت زوجة أرغون بالحلة وأهله فلم يؤاخذهم بشىء مما كان له أيضا هناك من بقايا خراج ببلده فأمر صدقة أن يخلص ذلك إليه بأجمعه ويسلم إلى زوجته وأما سبب قتله فإن صدقة كان كما ذكرنا يستجير به كل خائف من خليفة وسلطان وغيرهما وكان السلطان محمد قد سخط على أبى دلف سرخاب بن كيخسرو صاحب ساوة وآبة فهرب منه وقصد صدقة فاستجار به فأجاره فأرسل السلطان يطلب من صدقة أن يسلمه إلى نوابه فلم يفعل وأجاب إننى لا أمكن منه بل أحامى عنه وأقول ماقاله أبو طالب لقريش لما طلبوا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ونسلمه حتى نصرع حوله ٭ ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وظهر منه أمور أنكرها السلطان فتوجه إلى العراق ليتلافى هذا الأمر فلما سمع صدقة استشار أصحابه فى الذى يفعله فأشار عليه ابنه دبيس بأن ينفذه إلى السلطان ومعه الأموال والخيل والتحف ليستعطف له السلطان وأشار سعيد بن حميد صاحب جيش صدقة بالمحاربة وجمع الجند وتفريق المال فيهم واستطال فى القول فمال صدقة إلى قوله وجمع العساكر واجتمع إليه عشرون ألف فارس وثلاثون ألف راجل فأرسل اليه المستظهر بالله يحذره عاقبة أمره وينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان ويعرض له توسط الحال فأجاب صدقة إننى على طاعة السلطان لكن لا آمن على نفسى فى الاجتماع به وكان الرسول بذلك عن الخليفة نقيب النقباء على بن طراد الزينبى ثم أرسل السلطان أقضى القضاة أباسعيد الهروى إلى صدقة يطيب قلبه ويزيل خوفه ويأمره بالانبساط على عادته ويعرفه عزمه على قصد الفرنج ويأمره بالتجهيز للغزاة معه فأجاب إن السلطان قد أفسد أصحابه قلبه على وغيروا حالى معه وزال ماكان عليه فى حقى من الإنعام وذكر سالف خدمته ومناصحته وقال سعيد بن حميد صاحب جيشه لم يبق لنا فى صلح السلطان مطمع ولترين خيولنا يبخلون وامتنع صدقة من الاجتماع بالسلطان ووصل السلطان إلى بغداد فى العشرين من ربيع الآخر ومعه وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك وسير البرسقى شحنة بغداد فى جماعة من الأمراء إلى صرصر فنزلوا عليها وكان وصول السلطان جريدة لا يبلغ عسكره ألفى فارس فلما تيقن ببغداد مكاشفة صدقة أرسل إلى الأمراء يأمرهم بالوصول إليه والجد فى السير وتعجيل ذلك فوردوا إليه من كل جانب ثم وصل كتاب صدقة إلى الخليفة فى جمادى الأولى يذكر أنه واقف عند مايرسم له ويقرر من حاله مع السلطان ومهما أمرته من ذلك امتثله فأنفذ الخليفة الكتاب إلى السلطان فقال السلطان أنا ممتثل مايأمر به الخليفة ولا مخالفة عندى فأرسل الخليفة إلى صدقة يعرفه إجابة السلطان إلى ماطلب منه ويأمره بإنفاذ ثقته ليستوثق له ويحلف السلطان على مايقع الاتفاق عليه فعاد صدقة عن ذلك الرأى وقال إذا رحل السلطان عن بغداد أمددته بالمال والرجال ومايحتاج اليه فى الجهاد وأما الآن وهو ببغداد وعسكره بنهر الملك فما عندى مال ولا غيره وأن جاولى سقاوو وأيلغازى بن أرتق أرسلا إلى بالطاعة لى والموافقة معى على محاربة السلطان وغيره ومتى أردتهما وصلا إلى فى عساكرهما وورد إلى السلطان قرواش بن شرف الدولة وكرماوى بن خراسان التركمانى وأبو عمران فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح الطائى وآباؤه كانوا أصحاب البلقاء والبيت المقدس منهم حسان بن المفرج الذى مدحه التهامى وكان فضل تارة مع الفرنج وتارة مع المصريين فلما رآه طغتكين أتابك على هذه الحال طرده من الشام فلما طرده التجأ إلى صدقة وعاقده فأكرمه صدقة وأهدى له هدايا كثيرة منها سبعة آلاف دينار عينا فلما كانت هذه الحادثة بين صدقة والسلطان سار فى الطلائع

ثم هرب إلى السلطان فلما وصل خلع عليه وعلى أصحابه وأنزله بدار صدقة ببغداد فلما سار السلطان إلى قتال صدقة استأذنه فضل فى إتيان البرية ليمنع صدقة من الهرب إن أراد ذلك فأذن له فعبر بالأنبار وكان آخر العهد به وأنفذ السلطان فى جمادى الأولى إلى واسط الأمير محمد بن بوقا التركمانى فأخرج عنها نائب صدقة وأمن الناس كلهم إلا أصحاب صدقة فتفرقوا ولم ينهب أحد وأنفذ خيله إلى بلد قوسان وهو من أعمال صدقة فنهبه أقبح نهب وأقام عدة أيام فأرسل صدقة إليه ثابت بن سلطان وهو ابن عم صدقة ومعه عسكر، فلما وصلوا إليها خرج منها الأتراك وأقام ثابت بها وبينه وبينهم دجلة، ثم إن ابن بوقا عبر جماعة من الجند ارتضاهم وعرف شجاعتهم فوقفوا على موضع مرتفع على نهر سالم يكون ارتفاعه نحو خمسين ذراعا فقصدهم ثابت وعسكره لم يقدروا يقربون الترك من النشاب والمدد يأتيهم من ابن بوقا وجرح ثابت فى وجهه وكثر الجراح فى أصحابه فانهزم هو ومن معه وتبعهم الأتراك فقتلوا منهم وأسروا ونهب طائفة من الترك مدينة واسط واختلط بهم رجالة ثابت فنهبت معهم فسمع ابن بوقا الخبر فركب إليهم ومنعهم وقد نهبوا بعض البلد ونادى فى الناس بالأمان وأقطع السلطان أواخر جمادى الأولى مدينة واسط لقسيم الدولة البرسقى وأمر ابن بوقا بقصد بلد صدقة ونهبه فنهبوا فيه مالا يحد وأما السلطان محمد فإنه سار عن بغداد إلى الزعفرانية ثانى جمادى الآخرة فأرسل إليه الخليفة وزيره مجد الدولة بن المطلب يأمره بالتوقف وترك العجلة خوفا على الرعية من القتل والنهب واشار قاضى أصبهان بذلك واتباع أمر الخليفة فأجاب السلطان إلى ذلك فأرسل الخليفة إلى صدقة نقيب النقباء على بن طراد وجمال الدولة مختصاً الخادم فسار إلى صدقة فأبلغاه رسالة الخليفة يأمره بطاعة السلطان وينهاه عن المخالفة فاعتذر صدقة وقال ما خالفت الطاعة ولا قطعت الخطبة فى بلدى وجهز ابنه دبيسا ليسير معهما إلى السلطان فبينما الرسل وصدقة فى هذا الحديث إذ ورد الخبر أن طائفة من عسكر السلطان قد عبروا من مطير أباذ وأن الحرب بينهم وبين أصحاب صدقة قائمة على ساق فتجلد صدقة لأجل الرسل وهو يشتهى الركوب إلى أصحابه خوفا عليهم وكان الرسل إذا سمعوا ذلك ينكرونه لأنهم قد تقدموا إلى العسكر عند عبورهم عليهم أنه لا يتعرض أحد منهم إلى حرب حتى نعود فإن الصلح قد قارب فقال صدقة للرسول كيف أثق أرسل ولدى الآن وكيف آمن عليه وقد جرى ماترون فإن تكفلتم برده إلى أنفذته فلم يتجاسروا على كفالته فكتب إلى الخليفة يعتذر عن إنفاذ ولده بما جرى وكان سبب هذه الوقعة أن عسكر السلطان لما رأوا الرسل اعتقدوا وقوع الصلح فقال بعضهم الرأى أننا ننهب شيئاً قبل الصلح فأجاب البعض وامتنع البعض فعبر من أجاب النهر ولم يتأخر من لم يجب لئلا ينسب إلى خوروجين ولئلا يتم على من عبروهن فيكون عاره وأداه عليهم فعبروا بعدهم أيضا فأتاهم أصحاب صدقة وقاتلوهم فكانت الهزيمة على الأتراك وقتل منهم جماعة كثيرة وأسر جماعة من أعيانهم وكثير من غيرهم وغرق جماعة منهم الأمير محمد بن باغيسيان الذى كان أبوه صاحب أنطاكية وكان عمره نيفا وعشرين سنة، وكان محبا للعلماء وأهل الدين وبنى بإقطاعه من أذربيجان عدة مدارس ولم يجسر الأتراك يعرفون السلطان بما أخذ منهم من الأموال والدواب خوفا منه حيث فعلوا ذلك بغير أمره وطمع العرب بهذه الهزيمة وظهر منهم الفخر والتيه والطمع وأظهروا أنهم باعوا كل أسير بدينار، وأن ثلاثة باعوا أسيراً بخمسة قراريط وأكلوا بها خبزاً، وهريسة وجعلوا ينادون من يتغدى بأسير ويتعشى بآخر، وظهر من الأتراك اضطراب عظيم وأعاد الخليفة مكاتبة صدقة بتحرير أمر الصلح فأجاب أنه لا يخالف مايؤمر به وكتب صدقة أيضاً إلى

Marfat.com

السلطان يعتذر مما نقل عنه ومن الحرب التى كانت بين أصحابه وبين الأتراك وأن جند السلطان عبرت إلى أصحابه فمنعوا عن أنفسهم بغير علمه وأنه لم يحضر الحرب ولم ينزع يداً من طاعة ولا قطع خطبته من بلده ولم يكن صدقة كاتبه قبل هذا الكتاب فأرسل الخليفة نقيب النقباء وأبا سعد الهروى إلى صدقه فقصدا السلطان أولا وأخذا يده بالأمان لمن يقصده من أقارب صدقة فلما وصلا إلى صدقة وقالا له عن الخليفة إن إصلاح قلب السلطان موقوف على إطلاق الأسرى ورد جميع ما أخذ من العسكر المنهزم فأجاب أولا بالخضوع والطاعة ثم قال لو قدرت على الرحيل من بين يدى السلطان لفعلت لكن ورائى من ظهرى وظهر أبى وجدى ثمانمائة امرأة ولا يحملهن مكان ولو علمت أنى إذا جئت السلطان مستسلما قبلنى واستخدمنى لفعلت لكننى أخاف أنه لا يقبل عثرتى ولا يعفو عن زلتى وأما ما نهب فإن الخلق كثير وعندى من لا أعرفه وقد نهبوا ودخلوا البر فلا طاقة لى عليهم ولكن إن كان السلطان لا يعارضنى فيما فى يدى ولا فيمن أجرته وأن يقرر سرخاب ابن كيخسرو على إقطاعه بسارة وأن يتقدم إلى ابن بوقا بإعادة ما نهب من بلادى وأن يخرج وزير الخليفة يحلفه بما أثق اليه من الإيمان على المحافظة فيما بينى وبينه فحينئذ أخدم بالمال وأدوس بساطه بعد ذلك فعادوا بهذا ومعهم أبو منصور بن معروف رسول صدقة فردهم الخليفة وأرسل السلطان معهم قاضى أصبهان أبا اسمعيل فأما أبو اسمعيل فلم يصل اليه وعاد من الطريق وأصر صدقة على القول الأول فحينئذ سار السلطان ثامن رجب من الزعفرانية وسار صدقة فى عساكره إلى قرية مطر وأمر جنده بلبس السلاح واستأمن ثابت بن سلطان بن دبيس بن على بن مزيد وهو ابن عم صدقة إلى السلطان محمد وكان يحسد صدقة وهو الذى تقدم ذكره أنه كان بواسط فأكرمه السلطان وأحسن اليه ووعده الإقطاع ووردت العساكر إلى السلطان منهم بنو برسق وعلاء الدولة أبو كاليجار كرشاسب بن على بن فرامرز أبى جعفر بن كاكويه وآباؤه كانوا أصحاب أصبهان وفرامرز هو الذى سلمها إلى طغرلبك وقتل أبوه مع تتش وعبر عسكر السلطان دجلة ولم يعبر هو فصاروا مع صدقة على أرض واحدة بينهما نهر والتقوا تاسع عشر رجب وكانت الريح فى وجوه أصحاب السلطان فلما التقوا صارت فى ظهورهم وفى وجوه أصحاب صدقة ثم إن الأتراك رموا بالنشاب فكان يخرج فى كل رشقة عشرة آلاف نشابة فلم يقع سهم إلا فى فرس أو فارس وكان أصحاب صدقة كلما حملوا منعهم النهر من الوصول إلى الأتراك والنشاب ومن عبر منهم لم يرجع وتقاعدت عبادة وخفاجة وجعل صدقة ينادى يا آل خزيمة يا آل ناشرة يا آل عوف ووعد الأكراد بكل جميل لما ظهر من شجاعتهم وكان راكبا على فرسه المهلوب ولم يكن لأحد مثله فجرح الفرس ثلاث جراحات وأخذه الأمير أحمديل بعد قتل صدقة فسيره إلى بغداد فى سفينة فمات فى الطريق وكان لصدقة فرس آخر قد ركبه حاجبه أبو نصر بن تفاحة فلما رأى الناس وقد غشوا صدقة هرب عليه فناداه صدقة فلم يجبه وحمل صدقة على الأتراك فضربه غلام منهم على وجهه فشوهه وجعل يقول أنا ملك العرب أنا صدقة فأصابه سهم فى ظهره وأدركه غلام اسمه بزغش كان أشل فتعلق به وهو لا يعرفه وجذبه عن فرسه فسقط إلى الأرض هو والغلام فعرفه صدقة فقال يا بزغش ارفق فضربه بالسيف فقتله وأخذ رأسه وحمله إلى البرسقى فحمله إلى السلطان فلما رآه عانقه وأمر لبزغش بصلة وبقى صدقة طريحا إلى أن سار السلطان فدفنه إنسان من المدائن وكان عمره تسعا وخمسين سنة وكانت إمارته إحدى وعشرين سنة وحمل رأسه إلى بغداد وقتل من أصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس فيهم جماعة من أهل بيته وقتل من بنى شيبان

Marfat.com

خمس وتسعون رجلا وأسر ابنه دبيس بن صدقة وسرخاب بن كيخسرو الديلمى الذى كانت هذه الحرب بسببه وأحضر بين يدى السلطان فطلب الأمان فقال قد عاهدت الله أنى لا أقتل أسيرا فإن ثبت عليك أنك باطنى قتلتك وأسر سعيد بن حميد العمرى صاحب جيش صدقة وهرب بدران بن صدقة إلى الحلة فأخذ من المال وغيره ما أمكنه وسير أمه ونساءه إلى البطيحة إلى مهذب الدولة أبى العباس أحمد بن أبى الجبر وكان بدران صهر مهذب الدولة على ابنته ونهب من الأموال مالاحد له وكان له من الكتب المنسوبة الخط شىء كثير ألوف مجلدات وكان يحسن يقرأ ولا يكتب وكان جوادا حليما صدوقا كثير البر والإحسان مابرح ملجأ لكل ملهوف يلقى من يقصده بالبر والتفضل ويبسط قاصديه ويزورهم وكان عادلا والرعايا معه فى أمن ودعة وكان عفيفا لم يتزوج على امرأته ولا تسرى عليها فماظنك بغير هذا ولم يصادر أحدا من نوابه ولا أخذهم بإساءة قديمة وكان أصحابه يودعون أمواله فى خزانته ويدلون عليه إدلال الولد على الوالد ولم يسمع برعية أحبت أميرها كحب رعيته له وكان متواضعا محتملا يحفظ الأشعار ويبادر إلى النادرة رحمه الله لقد كان من محاسن الدنيا وعاد السلطان إلى بغداد ولم يصل إلى الحلة وأرسل إلى البطيحة أمانا لزوجة صدقة وأمرها بالظهور فأصعدت إلى بغداد فأطلق السلطان ابنها دبيسا وأنفذ معه جماعة من الأمراء إلى لقائها فلما لقيها ابنها بكيا بكاء شديدا ولما وصلت إلى بغداد أحضرها السلطان واعتذر من قتل زوجها وقال وددت أنه حمل إلى حتى كنت أفعل معه مايعجب الناس به من الجميل والإحسان لكن الأقدار غلبتنى واستحلف ابنها دبيسا أنه لايسعى بفساد.

﴿ذكر وفاة تميم بن المعز صاحب إفريقية وولاية ابنه يحيى﴾ فى هذه السنة فى رجب توفى تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية وكان شهما شجاعا ذكيا له معرفة حسنة وكان حليما كثير العفو عن الجرائم العظيمة وله شعر حسن فمنه أنه وقع حرب بين طائفتين من العرب وهم عدى ورياح فقتل رجل من رياح ثم اصطلحوا وأهدروا دمه وكان صلحهم مما يضربه وبلاده فقال أبياتا يحرض على الطلب بدمه وهى:

متى كانت دماؤكم تطل * أما فيكم بثأر مستقل
أغاثم ثم سالم إن فشلتم * فما كانت أوائلكم تذل
ونمتم عن طلاب الثار حتى * كأن العز فيكم مضمحل
وما كسرتم فيه العوالى * ولا بيض تفل ولا تسل

فعمد إخوة المقتول فقتلوا أميرا من عدى واشتد بينهم القتال وكثرت القتلى حتى أخرجوا بنى عدى من إفريقية قيل إنه اشترى جارية بثمن كثير فبلغه أن مولاها الذى باعها ذهب عقله وأسف على فراقها فأحضره تميم بين يديه وأرسل الجارية إلى داره ومعها من الكسوات والأوانى الفضة وغيرها ومن الطيب وغيره شىء كثير ثم أمر مولاها بالانصراف وهو لايعلم بذلك فلما وصل إلى داره ورآها على تلك الحال وقع مغشيا عليه لكثرة سروره ثم أفاق فلما كان الغد أخذ الثمن وجميع ما كان معها وحمله إلى دار تميم فانتهره وأمره إعادة جميع ذلك إلى داره وكان له فى البلاد أصحاب أخبار يجرى عليهم أرزاقا سنية ليطالعوه بأحوال أصحابه لئلا يظلموا الناس فكان بالقيروان تاجر له مال وثروة فذكر فى بعض الأيام التجار تميما ودعوا له وذلك التاجر حاضر فترحم على أبيه المعز ولم يذكره فرفع ذلك إلى تميم فأحضره إلى قصره وسأله هل ظلمتك فقال لا قال فهل ظلمك بعض أصحابى قال لا قال فلم أطلقت لسانك أمس بذمى فسكت فقال لولا أن يقال شره فى ماله لقتلتك ثم أمر به فصفع

Marfat.com

Marfat.com

فى حضرته قليلا ثم أطلقه فخرج وأصحابه ينتظرونه فسألوه عن خبره فقال أسرار الملوك لاتذاع فصارت بإفريقية مثلا ولما توفى كان عمره تسعا وسبعين سنة وكانت ولايته ستا وأربعين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما وخلف من الذكور مايزيد على مائة ومن البنات ستين بنتا ، ولما توفى ملك بعده ابنه يحيى بن تميم وكانت ولادته بالمهدية لأربع بقين من ذى الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة وكان عمره حين ولى ثلاثا وأربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوما ولما ولى فرق أموالا جزيلة وأحسن السيرة فى الرعية .

﴿ ذكر ملك يحيى قلعة قليبية ﴾ لما ملك يحيى بن تميم بعد أبيه جرد عسكرا كثيفا إلى قلعة قليبية وهى من أحصن قلاع إفريقية فنزل عليها وحصرها حصارا شديدا ولم يبرح حتى فتحها وحصنها وكان أبو تميم قد رام فتحها فلم يقدر على ذلك ولم يزل مظفرا منصورا لم يهزم له جيش .

﴿ ذكر قدوم ابن عمار بغداد مستنفرا ﴾ فى هذه السنة فى شهر رمضان ورد القاضى فخر الملك أبو على بن عمار صاحب طرابلس الشام إلى بغداد قاصدا باب السلطان محمد مستنفرا على الفرنج طالبا لتسيير العساكر لإزاحتهم والذى حثه على ذلك أنه لما طال حصر الفرنج لمدينة طرابلس على ماذكرناه ضاقت عليه الأقوات وقلت واشتد الأمر عليه وعلى أهل البلد فمن الله عليهم بسفينة كبيرة فى البحر من جزيرة قبرس وأنطاكية وجزائر البنادقة فاشتدت قلوبهم وقووا على حفظ البلد بعد أن كانوا استسلموا فلما بلغ فخر الملك انتظام الأمور للسلطان محمد وزوال كل مخالف رأى لنفسه وللمسلمين قصده والانتصار به فاستناب بطرابلس ابن عمه ذا المناقب وأمره بالمقام بها ورتب معه الأجناد برا وبحرا وأعطاهم جامكية ستة أشهر سلفا وجعل كل موضع إلى من يقوم بحفظه بحيث إن ابن عمه لايحتاج إلى فعل شىء من ذلك وسار إلى دمشق فأظهر ابن عمه الخلاف له والعصيان عليه ونادى بشعار المصريين فلما عرف فخر الملك كتب إلى أصحابه يأمرهم بالقبض عليه وحمله إلى حصن الخوابى ففعلوا ماأمرهم وكان ابن عمار قد استصحب معه من الهدايا مالم يوجد عند ملك مثله من الأعلاق النفيسة والأشياء الغريبة والخيل الرائقة فلما وصلها لقيه عسكرهما وطغتكين أتابك وخيم على ظاهر البلد وسأله طغتكين الدخول إليه فدخل يوما واحدا إلى الطعام وأدخله حمامه وسار عنها ومعه ولد طغتكين يشيعه فلما وصل إلى بغداد أمر السلطان كافة الأمراء بتلقيه وإكرامه وأرسل اليه شبارته وفيها دسته الذى يجلس عليه ليركب فيها فلما نزل اليها قعد بين يدى موضع السلطان فقال له من بها من خواص السلطان قد أمرنا أن يكون جلوسك فى دست السلطان فلما دخل على السلطان أجلسه وأكرمه واقبل عليه بحديثه وسيره الخليفة خواصه وجماعة أرباب المناصب فلقوه وأنزله الخليفة وأجرى عليه الجراية العظيمة وكذلك أيضا فعل السلطان وفعل معه مالم يفعل مع الملوك الذين معهم أمثاله وهذا جميعه ثمرة الجهاد فى الدنيا ولأجر الآخرة أكبر . ولما اجتمع بالسلطان قدم هديته وسأله السلطان عن حاله وما يعانيه فى مجاهدة الكفار ويقاسيه من ركوب الخطوب فى قتالهم فذكر له حاله وقوة عدوه وطول حصره وطلب النجدة وضمن أنه إذا سيرت العساكر معه أوصل اليهم جميع مايلتمسونه فوعده السلطان بذلك وحضر دار الخلافة وذكر أيضا نحو مما ذكره عند السلطان وحمل هدية جميلة نفيسة وأقام إلى ان رحل السلطان عن بغداد فى شوال فأحضره عنده بالنهروان قد تقدم إلى الأمير حسين بن أتابك قتلغتكين ليسير معه العساكر التى سيرها إلى الموصل مع الأمير مودود لقتال جاولى سقاوو ليمضوا معه إلى الشام وخلع عليه السلطان خلعا

Marfat.com

نفيسة وأعطاه شيئا كثيرا وودعه وسار ومعه الأمير حسين فلم يجد ذلك نفعا وكان ماتذكره بعد إن شاء الله تعالى ثم إن فخر الملك بن عمار عاد إلى دمشق منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسمائة فأقام بها أياما وتوجه منها مع العسكر من دمشق إلى جبلة فدخلها وأطاعه أهله وأما أهل طرابلس فإنهم راسلوا الأفضل أمير الجيوش بمصر يلتمسون منه واليا يكون عندهم ومعه الميرة فى البحر فسير إليهم شرف الدولة بن أبى الطيب واليا ومعه الغلة وغيرها مما يحتاج اليه البلاد فى الحصار فلما صار فيها قبض على جماعة من أهل ابن عمار وأصحابه وأخذ ماوجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك وحمل الجميع إلى مصر فى البحر .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى شعبان أطلق السلطان محمد الضرائب والمكوس ودار البيع والاجتيازات وغلا ذلك مما يناسبه بالعراق وكتبت به الألواح وجعلت فى الأسواق . وفيها فى شهر رمضان ولى القاضى أبو العباس بن الرطبى الحسبة ببغداد . وفيه أيضا عزل الخليفة وزيره مجد الدين بن المطلب برسالة من السلطان بذلك ثم أعيد إلى الوزارة بإذن السلطان وشرط عليه شروطا منها العدل وحسن السيرة وأن لايستعمل أحداً من أهل الذمة وفيها عاد الأصبهبذ صباوو من دمشق وكان هرب عند قتل أياز فلما قدم أكرمه السلطان وأقطعه رحبة مالك بن طوق . وفيها سابع شوال خرج السلطان إلى ظاهر بغداد عازما على العود إلى أصبهان وكان مقامه هذه المرة خمسة أشهر وسبعة عشر يوما . وفيها فى ذى الحجة احترقت خرابة ابن جردة فهلك فيها كثير من الناس وأما الأمتعة والأموال وأثاث البيوت فهلك منها ما لاحد له وخلص خلق بنقب نقبوه فى سور المحلة إلى مقبرة باب أبرز وكان بها جماعة من اليهود فلم ينقلوا شيئاً لتمسكهم بسبتهم وكان بعض أهله قد عبروا إلى الجانب الغربى للفرجة على عادتهم فى السبت الذى يلى العيد فعادوا فوجدوا بيوتهم قدخربت وأهلهم قداحترقوا وأموالهم قدهلكت ثم تبع ذلك حريق فى عدة أماكن منها درب القيار وقراح ابن زرين فارتاع الناس لذلك وأبطلوا معايشهم وأقاموا ليلا ونهاراً يحرسون بيوتهم فى الدروب وعلى السطوح وجعلوا عندهم الماء المعدّ لإطفاء النار فظهر أن سبب هذا الحريق أن جارية أحبت رجلا فوافقته على المبيت عندها فى دار مولاها سرا وأعدت له مايسرقه إذا خرج ويأخذها هى أيضاً معه فلما أخذها طرحا النار فى الدار وخرجا فأظهر الله عليهما وعجل الفضيحة لهما فأخذا وحبسا ، وفيها جمع بغدوين ملك الفرنج عسكره وقصد مدينة صور وحصرها وأمر ببناء حصن عندها على تل المعشوقة وأقام شهراً محاصراً لها فصانعه واليها على سبعة آلاف دينار فأخذها ورحل عن المدينة وقصد مدينة صيدا فحصرها برا وبحراً ونصب عليها البرج الخشب ووصل الأسطول المصرى فى الدفع عنها والحماية لمن فيها فقاتلهم أسطول الفرنج فظهر المسلمون عليهم فاتصل بالفرنج مسير عسكر دمشق نجدة لأهل صيدا فرحلوا عنها بغير فائدة ، وفيها ظهر كوكب عظيم له ذوائب فبقى ليالى كثيرة ثم غاب ٥ وتوفى فى هذه السنة فى شعبان إبراهيم بن مياس بن مهدى أبو اسحق القشيرى الدمشقى سمع الحديث الكثير من الخطيب البغدادى وغيره وتوفى فى ذى القعدة أبو سعيد إسماعيل بن عمرو بن النيسابورى المحدث كان يقرأ الحديث للغرباء قرأ صحيح مسلم على عبد الغافر الفارسى عشرين مرة(١)

---

(١) قال ابن الجوزى : وظهر فى هذه السنة صبية عمياء تتكلم على أسرار الناس ، وما فى نفوسهم من الضمائر والنيات ، وبالغ الناس فى أنواع الحيل عليها ليعلموا حالها فلم يعلموا . قال ابن عقيل : وأشكل أمرها على العلماء والخواص والعوام ، حتى سألوها عن نقوش الخواتم المقلوبة الصعبة ، وعن أنواع الفصوص وصفات الأشخاص =

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وخمسمائة﴾

﴿ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود﴾ فى هذه السنة فى صفر استولى مودود والعسكر الذى أرسله السلطان معه على مدينة الموصل وأخذوها عن أصحاب جاولى سقاوو وقد ذكرنا سنة خمسمائة استيلاء جاولى عليها وماجرى بينه وبين جكرمش والملك قلج أرسلان وهلاكهما على يده وصار معه بعد ذلك العسكر الكثير والعدة التامة والأموال الكثيرة وكان السلطان محمد قد جعل إليه ولاية كل بلد يفتحه فاستولى على كثير من البلاد والأموال وكان سبب أخذ البلاد منه أنه لما استولى عليها وعلى الأموال الكثيرة منها لم يحمل إلى السلطان منها شيئا فلما وصل السلطان إلى بغداد لقصد بلاد سيف الدولة صدقة أرسل إلى جاولى يستدعيه إليه بالعساكر وكرر الرسل إليه فلم يحضر وغالط فى الانحدار إليه وأظهر أنه يخاف أن يجتمع به ولم يقنع بذلك حتى كاتب صدقة وأظهر له أنه معه ومساعده على حرب السلطان وأطمعه فى الخلاف والعصيان فلما فرغ السلطان من أمر صدقة وقتله كما ذكرناه تقدم إلى الأمراء بنى برسق وسكمان القطبى ومودود ابن التونتكين وآقسنقر البرسقى ونصر بن مهلهل بن أبى الشوك الكردى وأبى الهيجاء صاحب إربل بالمسير إلى الموصل وبلاد جاولى وأخذها منه فتوجهوا نحو الموصل فوجدوا جاولى عاصيا قد شيد سور الموصل وأحكم مابناه جكرمش وأعد الميرة والأقوات والآلات واستظهر على الأعيان بالموصل فحبسهم وأخرج من أحداثها مايزيد على عشرين ألفا ونادى متى اجتمع عاميان على الحديث فى هذا الأمر قتلتهما وخرج عن البلد ونهب السواد وترك بالبلد زوجته ابنة برسق وأسكنها القلعة ومعها ألف وخمسمائة فارس من الأتراك سوى غيرهم وسوى الرجالة ونزل العسكر عليها فى شهر رمضان سنة إحدى وخمسمائة وصادرت زوجته من بقى بالبلد وعسفت نساء الخارجين عنه وبالغت فى الاحتراز عليهم فأوحشهم ذلك ودعاهم إلى الانحراف عنها وقوتل أهل البلد قتالا متتابعا فتمادى الحصار بأهلها من خارج والظلم من داخل إلى آخر المحرم والجند بها يمنعون عاميا من القرب من السور فلما طال الأمر على الناس اتفق نفر من الجصاصين ومقدمهم جصاص يعرف بسعدى على تسليم البلد وتحالفوا على التساعد وأتوا وقت صلاة الجمعة والناس بالجامع وصعدوا برجا وأغلقوا أبوابه وقتلوا من به من الجند وكانوا نياما فلم يشعروا بشىء حتى قتلوا وأخذوا سلاحهم وألقوهم إلى الأرض وملكوا برجا آخر ووقعت الصيحة وقصدهم مائتا فارس من العسكر ورموهم بالنشاب وهم يقاتلون وينادون بشعار السلطان فزحف عسكر السلطان اليهم ودخلوا البلد من ناحيتهم وملكوه ودخله الأمير مودود ونودى بالسكون والأمن وأن يعود الناس إلى دورهم وأملاكهم وأقامت زوجة جاولى بالقلعة ثمانية أيام وراسلت الأمير مودود فى أن يفرج لها عن طريقها وأن يحلف لها عن الصيانة والحراسة فحلف وخرجت إلى أخيها برسق بن برسق ومعها أموالها وما استولت عليه وولى مودود الموصل وماينضاف إليها.

﴿ذكر حال جاولى مدة الحصار﴾ وأما جاولى فإنه لما وصل عسكر السلطان إلى الموصل وحصرها

= وما فى داخل البنادق من المشمع والطين المختلف، والخرق وغير ذلك فتخبر به سواء بسواء، حتى بالغ أحدهم ووضع يده على ذكره وسألها عن ذلك فقالت: يحمله إلى أهله وعياله.

وسار عنها وأخذ معه القميص صاحب الرها الذى كان قد أسره سقمان وأخذه منه جكرمش وقد ذكرنا ذلك وسار إلى نصيبين وهى حينئذ للأمير أيلغازى بن أرتق وراسله وسأله الاجتماع به واستدعاه إلى معاضدته وأن يكونا يدا واحدة وأعلمه أن خوفهما من السلطان ينبغى أن يجعلهما على الاجتماع منه فلم يجبه أيلغازى إلى ذلك ورحل عن نصيبين ورتب بها ولده وأمره بحفظها من جاولى وأن يقاتله إن قصده وسار إلى ماردين فلما سمع جاولى ذلك عدل عن نصيبين وقصد دارا وأرسل إلى أيلغازى ثانيا فى المعانى وسار بعد الرسول فبينما رسوله عند أيلغازى بماردين لم يشعر إلا وجاولى معه فى القلعة وحده وقصد أن يتألفه ويستميله فلما رآه أيلغازى قام إليه وخدمه ولما رأى جاولى محسنا للظن فيه غير مستشعر منه لم يجد إلى دفعه سبيلا فنزل معه وعسكرا بظاهر نصيبين وسارا منها إلى سنجار وحاصراها مدة فلم يجبهما صاحبه إلى صلح فتركاه وسارا نحو الرحبة وأيلغازى يظهر لجاولى المساعدة ويبطن الخلاف وينتظر فرصة لينصرف عنه فلما وصلا إلى عرابان من الخابور هرب أيلغازى ليلا وقصد نصيبين .

﴿ذكر إطلاق جاولى للقمص الفرنجى﴾ لما هرب أيلغازى من جاولى سار جاولى إلى الرحبة فلما وصل إلى ماكسين أطلق القمص الفرنجى الذى كان أسيرا بالموصل وأخذه معه واسمه بردويل وكان صاحب الرها وسروج وغيرهما وبقى فى الحبس إلى الآن وبذل الأموال الكثيرة فلم يطلق فلما كان الآن أطلقه جاولى وخلع عليه وكان مقامه فى السجن مايقارب خمس سنين وقرر عليه أن يفدى نفسه بمال وأن يطلق أسرى المسلمين الذين فى سجنه وأن ينصره متى أراد ذلك منه بنفسه وعسكره وماله ، فلما اتفقا على ذلك سير القمص إلى قلعة جعبر وسلمه إلى صاحبها سالم بن مالك حتى ورد عليه ابن خالته جوسلين وهو من فرسان الفرنج وشجعانها وهو صاحب تل باشر وغيرها وكان أسر مع القمص فى تلك الوقعة ففدى نفسه بعشرين ألف دينار فلما وصل جوسلين إلى قلعة جعبر أقام رهينة عوض القمص وأطلق القمص وسار إلى أنطاكية وأخذ جاولى جوسلين من قلعة جعبر فأطلقه وأخذ عوضه أخا زوجته وأخا زوجة القمص وسيره إلى القمص ليقوى به وليحثه على إطلاق الأسرى وإنفاذ المال وما ضمنه فلما وصل جوسلين إلى منبج أغار عليها ونهبها وكان معه جماعة من أصحاب جاولى فأنكروا عليه ذلك ونسبوه إلى الغدر فقال إن هذه المدينة ليست لكم .

﴿ذكرى ماجرى بين هذا القمص وبين صاحب أنطاكية﴾ لما أطلق القمص وسار إلى أنطاكية أعطاه طنكرى صاحبها ثلاثين ألف دينار وخيلا وسلاحا وثيابا وغير ذلك وكان طنكرى قد أخذ الرها من أصحاب القمص حين أسر فخاطبه الآن فى ردها عليه فلم يفعل فخرج من عنده إلى تل باشر فلما قدم عليه جوسلين وقد أطلقه جاولى سره ذلك وفرح به وسار إليهما طنكرى صاحب أنطاكية بعساكره ليحاربهما قبل أن يقوى أمرهما ويجمعا عسكراً ويلتحق بهما جاولى وينجدهما فكانوا يقتتلون فإذا فرغوا من القتال اجتمعوا وأكل بعضهم مع بعض وتحادثوا وأطلق القمص من الأسرى المسلمين مائة وستين أسيراً كلهم من سواد حلب وكساهم وسيرهم وعاد طنكرى إلى أنطاكية من غير فصل حال فى مغنى الرها فسار القمص وجوسلين وأغارا على حصون طنكرى صاحب أنطاكية والتجأ إلى ولاية كواسيل وهو رجل أرمنى ومعه خلق كثير من المرتدين وغيرهم وهو صاحب رعبان وكيسوم وغيرهما من القلاع شمالى حلب فأنجد القمص بألف فارس من المرتدين وألقى راجل فقصدهم طنكرى فتنازعوا فى أمر الرها فتوسط بينهم البطرك الذى لهم وهو عندهم كالإمام الذى

Marfat.com

للمسلمين لايخالف أمره وشهد جماعة من المطارنة والقسيسين أن بيمند خال طنكرى قال له لما أراد ركوب البحر والعود إلى بلاده أن يعيد الرها إلى القمص إذا خلص من الأسر فاعادها عليه طنكرى تاسع صفر وعبر القمص الفرات ليسلم إلى أصحاب جاولى المال والأسرى فأطلق فى طريقه خلقا كثيراً من الأسرى من حران وغيرها وكان بسروج ثلثمائة مسلم ضعفى فعمر أصحاب جاولى مساجدهم وكان رئيس سروج مسلما قد ارتد فسمعه أصحاب جاولى يقول فى الإسلام قولا شنيعا فضربوه وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع فذكر ذلك للقمص فقال هذا لايصلح لنا ولا للمسلمين فقتله .

﴿ذكر حال جاولى بعد إطلاق القمص﴾ لما أطلق جاولى مما كسين سار إلى الرحبة فأتاه أبو النجم بدران وأبو كامل منصور ابنا سيف الدولة صدقة وكانا بعد قتل أبيهما بقلعة جعبر عند سالم بن مالك فتعاهدوا على المساعدة والمعاضدة ووعدهما أنه يسير معهما إلى الحلة وعزموا أن يقدموا عليهم بكتاش بن تكش بن ألب أرسلان فوصل إليهم وهم على هذا العزم الأصبهذ صباوو وكان قد قصد السلطان فأقطعه الرحبة وقد ذكرناه فاجتمع بجاولى وأشار عليه أن يقصد الشام فإن بلاده خالية من الأجناد والفرنج قد استولوا على كثير منها وعرفه أنه متى قصد العراق والسلطان بها أو قريبا منها لم يأمن شر ايصل إليه فقبل قوله وأصعد عن الرحبة فوصل إليه رسل سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر يستغيث به من بنى نمير وكانت الرقة بيد ولده على بن سالم فوثب جوشن النميرى ومعه جماعة من بنى نمير فقتل عليا وملك الرقة فبلغ ذلك الملك رضوان فسار من حلب إلى صفين فصادف تسعين رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيره إلى جاولى فأخذه وأسر عدداً منهم وأتى الرقة فصالحه بنو نمير على مال فرحل عنهم إلى حلب فاستنجد سالم بن مالك جاولى وسأله أن يرحل إلى الرقة ويأخذها ووعده بما يحتاج إليه فقصد الرقة وحصرها سبعين يوما فضمن له بنو نمير مالا وخيلا فأرسل إلى سالم إننى فى أمر أهم من هذا وأنا بأزاء عدو ويجب التشاغل به دون غيره ، وأنا عازم على الانحدار إلى العراق فإن تم أمرى فالرقة وغيرها لك ولا أشتغل عن هذا المهم بحصار خمسة نفر من بنى نمير ووصل إلى جاولى الأمير حسين بن أتابك قتلغتكين وكان أبوه أتابك السلطان محمد فقتله وتقدم ولده هذا عند السلطان واختص به فسيره السلطان مع فخر الملك بن عمار ليصلح الحال مع جاولى ويأمر العساكر بالمسير مع ابن عمار إلى جهاد الكفار فحضر عند جاولى وأمر بتسليم البلاد وطيب قلبه عن السلطان وضمن الجميل إذا سلم البلاد وأظهر الطاعة والعبودية فقال جاولى أنا مملوك السلطان وفى طاعته وحمل إليه مالا وثيابا لها مقدار جليل وقال له سر إلى الموصل ورحل العسكر عنها فأنى أرسل معك من يسلم ولدى إليك رهينة وينفذ السلطان إليها من يتولى أمرها وجباية أموالها ففعل حسين ذلك وسار ومعه صاحب جاولى فلما وصلا إلى العسكر الذى على الموصل وكانوا لم يفتحوها بعد فأمرهم حسين بالرحيل فكلهم أجاب إلا الأمير مودود فإنه قال لا أرحل إلا بأمر السلطان وقبض على صاحب جاولى وأقام على الموصل حتى فتحها كما ذكرناه وعاد حسين بن قتلغتكين إلى السلطان فأحسن النيابة عن جاولى عنده وسار جاولى إلى مدينة بالس فوصلها ثالث عشر صفر فاحتمى أهلها منه وهرب من بها من أصحاب الملك رضوان صاحب حلب فحصرها خمسة أيام وملكها بعد أن نقب برجاً من أبراجها فوقع على النقابين فقتل منهم جماعة وملك البلد وصلب جماعة من أعيانه عند النقب وأحضر القاضى محمد بن عبدالعزيز بن الياس فقتل وكان فيها صالحا ونهب البلد وأخذ منه مالا كثيراً .

Marfat.com

﴿ذكر الحرب بين جاولى والفرنج﴾ وفى هذه السنة فى صفر كان المصاف بين جاولى سقاوو وبين طنكرى الفرنجى صاحب أنطاكية وسبب ذلك أن الملك رضوان كتب إلى طنكرى صاحب أنطاكية يعرفه ماعليه جاولى من الغدر والمكر والخداع ويحذره منه ويعلمه أنه على قصد حلب وأنه إن ملكها لايبقى للفرنج معه بالشام مقام وطلب منه النصرة والاتفاق على منعه فأجابه طنكرى إلى منعه وبرز من أنطاكية فأرسل إليه رضوان ستمائة فارس فلما سمع جاولى الخبر أرسل إلى القمص صاحب الرها يستدعيه إلى مساعدته وأطلق له مابقى عليه من مال المفاداة فسار إلى جاولى فلحق به وهو على منبج فوصل الخبر إليه وهو على هذه الحال بأن الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان وملكوا خزائنه وأمواله فاشتد ذلك عليه وفارقه كثير من أصحابه منهم أتابك زنكى بن آقسنقر وبكتاش النهاوندى وبقى جاولى فى ألف فارس وانضم إليه خلق من المطوعة فنزل بتل باشر وقاربهم طنكرى وهو فى ألف وخمسمائة فارس من الفرنج وستمائة من أصحاب ملك رضوان سوى الرجالة فجعل جاولى فى ميمنته الأمير اقسيان والأمير التونتاش الارى وغيرهما وفى الميسرة الأمير بدران ابن صدقة والأصبهبذ صباوو وسنقر داراز وفى القلب القمص بغدو بن وجوسلين الفرنجيين ووقعت الحرب فحمل أصحاب أنطاكية على القمص صاحب الرها واشتد القتال فأزاح طنكرى القلب عن موضعه وحملت ميسرة جاولى على رجالة صاحب أنطاكية فقتلت منهم خلقا كثيراً ولم يبق غير هزيمة صاحب أنطاكية فحينئذ عمد أصحاب جاولى إلى جنائب القمص وجوسلين وغيرهما من الفرنج فركبوها وانهزموا فمضى جاولى ورآهم فلم يرجعوا وكانت طاعته قد زالت عنهم حين أخذت الموصل منه فلما رأى أنهم لايعودون معه أهمه نفسه وخاف من المقام فانهزم وانهزم باقى عسكره ، فأما الأصبهبذ صباوو فسار نحو الشام وأما بدران بن صدقة فسار إلى قلعة جعبر وأما ابن جكرمش فقصد جزيرة ابن عمر وأما جاولى فقصد الرحبة وقتل من المسلمين خلق كثير وذهب صاحب أنطاكية أموالهم وأثقالهم وعظم البلاء عليهم من الفرنج وهرب القمص وجوسلين إلى تل باشر والتجأ إليهما خلق كثير من المسلمين ففعلا معهم الجميل وداويا الجرحى وكسوا العراة وسيراهم إلى بلادهم .

﴿ذكر عود جاولى إلى السلطان﴾ لما انهزم جاولى سقاوو قصد الرحبة فلما قاربها بات دونها فى عدة فوارس فاتفق أن طائفة من عسكر الأمير مودود الذين أخذوا الموصل منه أغاروا على قوم من العرب يجاورون الرحبة فقاربوا جاولى وهم لايشعرون به ولو علموا لأخذوه فلما رأى الحال كذلك علم أنه لايقدر أن يقيم فى الجزيرة ولا بالشام ولايقدر على شىء يحفظ به نفسه ويرجع إليه ويداوى به مرضه غير قصد باب السلطان محمد عن رغبة واختيار وكان واثقا بالأمير حسين بن قتلغتكين فرحل من مكانه وهو خائف حذر قد أخفى شخصه وكتم أمره وسار إلى عسكر السلطان وكان بالقرب من أصبهان فوصل إليه فى سبعة عشر يوما من مكانه لجده فى السير فلما وصل المعسكر قصد الأمير حسين فحمله إلى السلطان فدخل إليه وكفنه تحت يده فأمنه وأتاه الأمراء يهنونه بذلك وطلب منه السلطان الملك بكتاش بن تكش فسلمه إليه فاعتقله بأصبهان .

﴿ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج والهدنة بغيرها﴾ فى هذه السنة كانت حرب شديدة بين طغتكين أتابك والفرنج وسببها أن طغتكين سار إلى طبرية وقد وصل إليها ابن أخت بغدوين الفرنجى ملك القدس فتحاربا واقتتلا وكان طغتكين فى ألفى فارس وكثير من الرجالة وكان ابن أخت ملك الفرنج فى أربعمائة فارس

Marfat.com

Marfat.com

و لنى راجل فلما اشتد القتال انهزم المسلمون فترجل طغتكين ونادى بالمسلمين وشجعهم فعاودوا الحرب وكسروا الفرنج وأسروا ابن أخت الملك وحمل إلى طغتكين عليه الإسلام فامتنع منه وبذل فى فداء نفسه ثلاثين ألف دينار وإطلاق خمسمائة أسير فلم يقنع طغتكين منه بغير الإسلام فلما لم يجب قتله بيده وأرسل إلى الخليفة والسلطان الأسرى ثم اصطلح طغتكين وبغدوين ملك الفرنج على وضع الحرب أربع سنين وكان ذلك من لطف الله تعالى بالمسلمين ولولا هذه الهدنة لكان الفرنج بلغوا من المسلمين بعد الهزيمة الآتى ذكرها أمراً عظيما .

﴿ذكر انهزام طغتكين من الفرنج﴾ فى هذه السنة فى شعبان انهزم أتابك طغتكين من الفرنج وسبب ذلك أن حصن عرقة وهو من أعمال طرابلس كان بيد غلام للقاضى فخر الملك أبى على بن عمار صاحب طرابلس وهو من الحصون المنيعة فعصى على مولاه فضاق به القوت وانقطعت عنه الميرة لطول مكث الفرنج فى نواحيه فأرسل إلى أتابك طغتكين صاحب دمشق وقال له أرسل من يتسلم هذا الحصن منى قد عجزت عن حفظه ولأن يأخذه المسلمون خير لى دنيا وآخرة من أن يأخذه الفرنج فبعث إليه طغتكين صاحبا له اسمه إسرائيل فى ثلثمائه رجل وتسلم الحصن فلما نزل غلام ابن عمار منه رماه إسرائيل فى الأخلاط بسهم فقتله وكان قصده بذلك أن لا يطلع أتابك طغتكين على ما خلفه بالقلعة من المال وأراد طغتكين قصد الحصن للاطلاع عليه وتقويته بالعساكر والأقوات وآلات الحرب فنزل الغيث والثلج مدة شهرين ليلا ونهاراً فمنعه فلما زال ذلك سار فى أربعة آلاف فارس ففتح حصونا للفرنج منها حصن الأكمة فلما سمع السردانى الفرنجى بمجىء طغتكين وهو على حصار طرابلس توجه فى ثلثمائة فارس أشرف أوائل أصحابه على عسكر طغتكين انهزموا وخلوا ثقلهم ورحالهم ودوابهم للفرنج فغنموا وقووا به وزاد فى تجملهم ووصل المسلمون إلى حمص على أقبح حال من التقطع ولم يقتل منهم أحد لأنه لم تجر حرب وقصد السردانى إلى عرقة فلما نازلها طلب من كان بها الأمان فأمنهم على نفوسهم وتسلم الحصن فلما خرج من فيه قبض على إسرائيل وقال لا أطلق عنه إلا بإطلاق فلان وهو أسير كان بدمشق من الفرنج منذ سبع سنين ففودى به وأطلقا معا ولما وصل طغتكين إلى دمشق بعد الهزيمة أرسل إليه ملك القدس يقول له لا تظن أنى أنقض الهدنة للذى تم عليك من الهزيمة فالملوك ينالهم أكثر مما نالك ثم تعود أمورهم إلى الانتظام والاستقامة وكان طغتكين خائفا أن يقصد بعد هذه الكسرة فينال من بلده كل ما أراد .

﴿ذكر صلح السنة والشيعة ببغداد﴾ فى هذه السنة فى شعبان اصطلح عامة بغداد السنة والشيعة وكان الشر منهم على طول الزمان وقد اجتهد الخلفاء والسلاطين والشحن فى إصلاح الحال فتعذر عليهم ذلك إلى أن أذن الله تعالى فيه وكان بغير واسطة وكان السبب فى ذلك أن السلطان محمداً لما قتل ملك العرب صدقة كما ذكرناه خاف الشيعة ببغداد أهل الكرخ وغيرهم لأن صدقة كان يتشيع هو وأهل بيته فشنع أهل السنة عليهم بأنهم نالهم غم وهم لقتله فخاف الشيعة وأغضوا على سماع هذا ولم يزالوا خائفين إلى شعبان فلما دخل شعبان تجهز السنة لزيارة قبر مصعب بن الزبير وكانوا قد تركوا ذلك سنين كثيرة ومنعوا منه لتنقطع الفتن الحادثة بسببه فلما تجهزوا للمسير اتفقوا على أن يجعلوا طريقهم فى الكرخ فأظهروا ذلك فاتفق رأى أهل الكرخ على ترك معارضتهم وأنهم يمنعونهم فصار السنة تسير أهل كل محلة منفردين ومعهم من الزينة والسلاح شىء كثير

وجاء أهل باب المراتب ومعهم فيل قد عمل من خشب وعليه الرجال بالسلاح وقصدوا جميعهم الكرخ ليعبروا فيه فاستقبلهم أهله بالبخور والطيب والماء المبرد والسلاح الكثير وأظهروا بهم السرور وشيعوهم حتى خرجوا من المحلة وخرج الشيعة ليلة النصف منه إلى مشهد موسى بن جعفر وغيره فلم يعترضهم أحد من السنة، فعجب الناس لذلك ولما عادوا من زيارة مصعب لقيهم أهل الكرخ بالفرح والسرور فاتفق أن أهل باب المراتب انكسر فيلهم عند قنطرة باب حرب فقرأ لهم قوم (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) إلى آخر السورة.

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة عاد منصور بن صدقة بن مزيد إلى باب السلطان فتقبله وأكرمه وكان قد هرب بعد قتل والده إلى الآن والتحق أخوه بدران بن صدقة بالأمير مودود الذى أقطعه السلطان الموصل فأكرمه وأحسن صحبته. وفيها فى نيسان زادت دجلة زيادة عظيمة وتقطعت الطرق وغرقت الغلات الشتوية والصيفية وحدث غلاء عظيم بالعراق بلغت الكارة الدقيق الخشكار عشرة دنانير إمامية وعدم الخبز رأسا وأكل الناس التمر والباقلاء الأخضر؛ وأما أهل السواد فإنهم لم يأكلوا جميع شهر رمضان ونصف شوال سوى الحشيش والتوت. وفيها فى رجب عزل وزير الخليفة أبو المعالى هبة الله بن المطلب ووزر له أبو القاسم على بن أبى نصر بن جهير. وفيها فى شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالله ابنة السلطان ملكشاه وهى أخت السلطان محمد وكان الذى خطب خطبة النكاح القاضى أبو العلاء صاعد بن محمد النيسابورى الحنفى وكان المتولى لقبول العقد نظام الملك أحمد بن نظام الملك وزير السلطان بوكالة من الخليفة وكان الصداق مائة ألف دينار ونثرت الجواهر والدنانير وكان العقد بأصبهان. وفيها تولى مجاهد الدين بهروز شحنكية بغداد وكان سبب ذلك أن السلطان محمدا كان قبض على أبى القاسم الحسين بن عبد الواحد صاحب المخزن وعلى أبى الفرج بن رئيس الرؤساء واعتقلهم عنده ثم أطلقهم الآن وقرر عليهم مالا يحملونه إليه فأرسل مجاهد الدين بهروز لقبض المال وأمره السلطان بعمارة دار المملكة ففعل ذلك وعمر الدار وأحسن إلى الناس فلما قدم السلطان إلى بغداد ولاه شحنكية العراق جميعه وخلع على سعيد بن حميد العمرى صاحب جيش صدقة وولاه الحلة السيفية وكان صارما حازما ذا رأى وجلد. وفيها فى شوال ملك الأمير سكمان القطبى صاحب خلاط مدينة ميافارقين بالأمان بعد أن حصرها وضيق على أهلها عدة شهور فعدمت الأقوات بها واشتد الجوع بأهلها فسلموها. وفى هذه السنة فى صفر قتل قاضى أصبهان عبيد الله بن على الخطيبى بهمذان وكان قد تجرد فى أمر الباطنية تجردا عظيما وصار يلبس درعا حذرا منهم ويحتاط ويحترز فقصده إنسان عجمى يوم جمعة ودخل بينه وبين أصحابه فقتله وقتل صاعد ابن محمد بن عبد الرحمن أبو العلاء قاضى نيسابور يوم عيد الفطر قتله باطنى وقتل الباطنى ومولده سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث وكان حنفى المذهب. وفى هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق إلى مصر فأتى الخبر إلى ملك الفرنج فسار إليه وعارضه فى البر وأخذ كل من فيه ولم يسلم منهم إلا القليل ومن سلم أخذه العرب. وفيها فى نصح النصارى ثار جماعة من الباطنية فى حصن شيزر على حين غفلة من أهله فى مائة رجل فملكوه وأخرجوا من كان فيه وأغلقوا بابه وصعدوا إلى القلعة فملكوها وكان أصحابها بنو منقذ قد نزلوا منها لمشاهدة عيد النصارى وكانوا قد أحسنوا إلى هؤلاء الذين أفسدوا كل الإحسان فبادر أهل المدينة الباشورة فأصعدهم النساء فى الحبال من الطاقات وصاروا معهم وأدركهم الأمراء بنو منقذ أصحاب الحصن فصعدوا إليهم فكبروا عليهم وقاتلوهم فانخذل الباطنية وأخذهم السيف من كل جانب فلم يفلت منهم أحد وقتل من كان على مثل رأيهم

Marfat.com

فى البلد . وفيها وصل إلى المهدية ثلاثة نفر غرباء فكتبوا إلى أميرها يحيى بن تميم يقولون إنهم يعملون الكيمياء فأحضرهم عنده وأمرهم أن يعملوا شيئا يراه من صناعتهم فقالوا نعمل النقرة فأحضر لهم ماطلبوا من آلة وغيرها وقعد معهم هو والشريف أبو الحسن وقائد جيشه اسمه إبراهيم ، وكانا يختصان به فلما رأى الكيماوية المكان خاليا من جمع ثاروا بهم فضرب أحدهم يحيى بن تميم على رأسه فوقعت السكين فى عمامته فلم تصنع شيئا ورفسه يحيى فألقاه على ظهره ودخل يحيى بابا وأغلقه على نفسه فضرب الثانى الشريف فقتله وأخذ القائد ابراهيم السيف فقاتل الكيماوية ووقع الصوت فدخل أصحاب الأمير يحيى فقتلوا الكيماوية وكان زيهم زى أهل الأندلس فقتل جماعة من أهل البلد على مثل زيهم وقيل للأمير يحيى إن هؤلاء رآهم بعض الناس عند المقدم بن خليفة واتفق أن الأمير أبا الفتوح بن تميم أخا يحيى وصل تلك الساعة إلى القصر فى أصحابه قدلبسوا السلاح فمنع من الدخول فثبت عند الأمير يحيى أن ذلك بوضع منهما فأحضر المقدم بن خليفة وأمر أولاد أخيه فقتلوه قصاصا لأنه قتل أباهم وأخرج الأمير أبا الفتوح وزوجته بلارة بنت القاسم بن تميم وهى ابنة عمه ووكل بهما فى قصر زياد بين المهدية وسفاقس فبقى هناك إلى أن مات يحيى وملك بعده ابنه على سنة تسع وخمسمائة فسير أبا الفتوح وزوجته بلارة إلى ديار مصر فى البحر فوصلا إلى إسكندرية على ما نذكره إن شاء الله . وفيها فى المحرم قتل عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد أبو المحاسن الرويانى الطبرى الفقيه الشافعى مولده سنة خمس عشرة وأربعمائة وكان حافظا للمذهب ويقول لو احترقت كتب الشافعى لأمليتها من قلبى . وفيها فى جمادى الآخرة توفى الخطيب أبو زكرياء يحيى بن على التبريزى الشيبانى اللغوى صاحب التصانيف المشهورة وله شعر ليس بالجيد . وفيها فى رجب توفى السيد أبو هاشم زيد الحسنى العلوى رئيس همذان وكان نافذ الحكم ماضى الأمر وكانت مدة رياسته لها سبعا وأربعين سنة وجده لأمه الصاحب أبو القاسم ابن عباد وكان عظيم المال جداً فمن ذلك أنه أخذ منه السلطان محمد فى دفعة واحدة سبعمائة ألف دينار لم يبع لأجلها ملكا ولا استدان ديناراً ، وأقام بعد ذلك بالسلطان محمد عدة شهور فى جميع ما يريده وكان قليل المعروف . وفيها فى ذى الحجة توفى أبو الفوارس الحسن بن على الخازن الكاتب المشهور بجودة الخط وله شعر منه :

غنت الدنيا لطالبها ✲ واستراح الزاهد الفطن ✲ عرف الدنيا فلم يرها ✲ وسواه حظه الفتن
كل ملك نال زخرفها ✲ حظه مما حوى كفن ✲ يقتنى مالا ويتركه ✲ فى كلا الحالين مفتتن
أملى كونى على ثقة ✲ من لقاء الله مرتهن ✲ أكره الدنيا وكيف بها ✲ والذى تسخو به وسن
لم تدم قبلى على أحد ✲ فلماذا الهم والحزن

وقيل توفى سنة تسع وتسعين وأربعمائة وقد ذكر هناك .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة ﴾

﴿ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام﴾ فى هذه السنة حادى عشر ذى الحجة ملك الفرنج طرابلس وسبب ذلك أن طرابلس كانت قد صارت فى حكم صاحب مصر ونائبه فيها والمدد يأتى منه ، وقد ذكرنا ذلك سنة إحدى وخمسمائة فلما كان هذه السنة أول شعبان وصل أسطول كبير من بلد الفرنج فى البحر ومقدمهم قمص كبير اسمه ريمند بن صنجيل ومراكبه مشحونة بالرجال والسلاح والميرة فنزل على طرابلس وكان نازلا عليها قبله السردانى ابن أخت صنجيل وليس بابن أخت بل هو هذا ريمند قمص آخر فجرت بينهما فتنة أدت إلى

الشر والقتال فوصل طنكرى صاحب أنطاكية إليها معونة للسردانى ووصل الملك بغدوين صاحب القدس فى عسكره فأصلح بينهم ونزل الفرنج جميعهم على طرابلس وشرعوا فى قتالها وضايقة أهلها من أول شعبان وألصقوا أبراجهم بسورها فلما رأى الجند وأهل البلد ذلك سقط فى أيديهم وذلت نفوسهم وزادهم ضعفا تأخر الأسطول المصرى عنهم بالميرة والنجدة ، وكان سبب تأخره أنهم فرغوا منه ومن البحث عليه واختلفوا فيه أكثر من سنة وسار فردته الريح فتعذر عليهم الوصول إلى طرابلس ليقضى الله أمراً كان مفعولا وسد الفرنج القتال عليها من الأبراج والزحف فهجموا على البلد وملكوه عنوة وقهراً يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة من السنة ونهبوا مافيها وأسروا الرجال وسبوا النساء والأطفال ونهبوا الأموال وغنموا من أهلها من الأموال والأمتعة وكتب دور العلم الموقوفة مالايحد ولايحصى فإن أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالا وتجارة وسلم الوالى الذى كان بها وجماعة من جندها كانوا التمسوا الأمان قبل فتحها فوصلوا إلى دمشق وعاقب الفرنج أهلها بأنواع العقوبات وأخذت دفائنهم وذخائرهم من مكامنهم .

﴿ذكر ملك الفرنج جبيل وبانياس﴾ لما فرغ الفرنج من طرابلس سار طنكرى صاحب أنطاكية إلى بانياس وحصرها وافتتحها وأمن أهلها ونزل مدينة جبيل وفيها فخر الملك بن عمار الذى كان صاحب طرابلس وكان القوت فيها قليلا فقاتلها إلى أن ملكها فى الثانى والعشرين من ذى الحجة من السنة بالأمان وخرج فخر الملك ابن عمار سالما ووصل عقيب ملك طرابلس الأسطول المصرى بالرجال والمال والغلال وغيرها ما يكفيهم سنة فوصل إلى صور بعد أخذها بثمانية أيام للقضاء النازل بأهلها وفرقت الغلال التى فيه والذخائر فى الجهات المنفذة إليها صور وصيدا وبيروت وأما فخر الملك بن عمار فإنه قصد شيزر فأكرمه صاحبها الأمير سلطان بن على بن منقذ الكنانى واحترمه وسأله أن يقيم عنده فلم يفعل وسار إلى دمشق فأنزله طغتكين صاحبها وأجزل له فى الحمل والعطية وأقطعه أعمال الزيدانى وهو عمل كبير من أعمال دمشق وكان ذلك فى المحرم سنة اثنتين وخمسمائة

﴿ذكر الحرب بين محمد خان وساغربك﴾ فى هذه السنة عاد ساغربك وجمع العساكر الكثيرة من الأتراك وغيرهم وقصد أعمال محمد خان بسمرقند وغيرها فأرسل محمد خان إلى سنجر يستنجده فسير إليه الجنود واجتمع معه أيضا كثير من العساكر وسار إلى ساغربك فالتقوا بنواحى الخشب واقتتلوا فانهزم ساغربك وعساكره وأخذت السيوف منهم مأخذها وكثر الأسر فيهم والنهب ، فلما فرغوا من حربهم وأمن محمد خان من شر ساغربك عاد العسكرى السنجرى إلى خراسان فعبروا النهر إلى بلخ .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى المحرم سير السلطان وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك إلى قلعة الموت لقتال الحسن بن الصباح ومن معه من الإسماعيلية فحصروهم وهجم الشتاء عليهم فعادوا ولم يبلغوا منه غرضا وفيها فى ربيع الآخر قدم السلطان إلى بغداد وعاد عنها فى شوال من السنة أيضا . وفيها فى شعبان توجه الوزير نظام الملك إلى الجامع فوثب به الباطنية فضربوه بالسكاكين وجرح فى رقبته فبقى مريضا مدة ثم برأ وأخذ الباطنى الذى جرحه فسقى الخمر حتى سكر ، ثم سئل أصحابه فأقر على جماعة بمسجد المأمونية فأخذوا وقتلوا . وفيها عزل وزير الخليفة وهو أبو المعالى ابن المطلب ووزر بعده الزعيم أبو القاسم بن جهير فخرج ابن المطلب من دار الخليفة مستتراً هو وأولاده واستجار بدار السلطان . وفيها جهز يحى بن تميم صاحب إفريقية خمسة عشر سفينا وسيرها إلى بلاد الروم فلقيها أسطول الروم وهو كبير فقاتلوهم وأخذوا ست قطع من شوانى المسلمين

ولم ينهزم بعد ذلك ليحيي جيش فى البحر والبر وسيرابنه أبا الفتوح إلى مدينة سفاقس واليا عليها فثار به أهلها فنهبوا قصره وهموا بقتله فلم يزل يحيي يعمل الحيلة عليهم حتى فرق كلمتهم وبدد شملهم وملك رقابهم فسجنهم وعفا عن دمائهم وذنوبهم . وفيها توفى الأمير إبراهيم ينال صاحب آمد وكان قبيح السيرة مشهوراً بالظلم فجلا كثير من أهلها لجوره وملك بعده ولده وكان أصلح حالا منه . وفيها فى ثامن ذى القعدة ظهر فى السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدة إلى القبلة وبقى يطلع إلى آخر ذى الحجة ثم غاب(١)

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة ﴾

﴿ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا﴾ فى هذه السنة فى ربيع الآخر ملك الفرنج مدينة صيدا من ساحل الشام وسبب ذلك أنه وصل فى البحر إلى الشام ستون مركبا للفرنج مشحونة بالرجال والذخائر مع بعض ملوكهم ليحج البيت المقدس وليغزوا بزعمه المسلمين فاجتمع بهم بغدوين ملك القدس وتقررت القاعدة بينهم أن يقصدوا بلاد الإسلام فرحلوا من القدس ونزلوا مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة وضايقوها برا وبحرا وكان الأسطول المصرى مقيما على صور فلم يقدر على إنجاد صيدا فعمل الفرنج برجا من الخشب وأحكموه وجعلوا عليه ما يمنع النار عنه والحجارة وزحفوا به فلما عاين أهل صيدا ذلك ضعفت نفوسهم وأشفقوا أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت فأرسلوا قاضيها ومعه جماعة من شيوخها إلى الفرنج وطلبوا من ملكهم الأمان فأمنهم على أنفسهم وأموالهم والعسكر الذى عندهم ومن أراد المقام به عندهم أمنوه ومن أراد المسير عنهم لم يمنعوه وحلف لهم على ذلك فخرج الموالى وجماعة كثيرة من أعيان أهل البلد فى العشرين من جمادى الأولى إلى دمشق وأقام بالبلد خلق كثير تحت الأمان وكانت مدة الحصار سبعة وأربعين يوما ورحل بغدوين عنها إلى القدس ثم عاد إلى صيدا بعد مدة يسيرة فقرر على المسلمين الذين أقاموا بها عشرين ألف دينار فأفقرهم واستغرق أموالهم .

﴿ذكر استيلاء المصريين على عسقلان﴾ كانت عسقلان للعلويين المصريين ثم إن الخليفة الآمر بأحكام الله استعمل عليها إنسانا يعرف بشمس الخلافة فراسل بغدوين ملك الفرنج بالشام وهادنه وأهدى إليه مالا وعروضا

---

(١) وفيها توفى أحمد بن على بن أحمد ، أبو بكر العلوى ، كان يعمل فى تجصيص الحيطان ، ولا ينقش صورة ، ولا يأخذ من أحد شيئا ، وكانت له أملاك ينتفع منها ويتقوت ، سمع الحديث من القاضى أبى يعلى ، وتفقه عليه بشىء من الفقه ، وكان إذا حج يزور القبور بمكة ، فإذا وصل إلى قبر الفضيل بن عياض يخط إلى جانبه خطا بعصاه ويقول يارب ههنا . فقيل إنه حج فى هذه السنة فوقف بعرفات محرما فتوفى بها من آخر ذلك اليوم ، فغسل وكفن وطيف به حول البيت ثم دفن إلى جانب الفضيل بن عياض فى ذلك المكان الذى كان يخطه بعصاه ، وبلغ الناس وفاته ببغداد فاجتمعوا للصلاة عليه صلاة الغائب ، حتى لومات بين أظهرهم لم يكن عندهم مزيد على ذلك الجمع ، رحمه الله . وفيها توفى عمر بن عبد الكريم بن سعدويه الفتيان الدهقانى ، رحل فى طلب الحديث ، ودار الدنيا ، وخرّج وانتخب ، وكان له فقه فى هذا الشأن ، وكان ثقة ، وقد صحح عليه أبو حامد الغزالى كتاب الصحيحين . كانت وفاته بسرخس فى هذه السنة . وفيها توفى محمد ويعرف بأخى حماد . وكان أحد الصلحاء الكبار ، كان به مرض مزمن ، فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فعوفى ، فلزم مسجدا له أربعين سنة ، ولا يخرج إلا إلى الجمعة ، وانقطع عن مخالطة الناس ، كانت وفاته فى هذه السنة ، ودفن فى زاوية بالقرب من قبر أبى حنيفة رحمه الله .

Marfat.com

Marfat.com

فامتنع به من أحكام المصريين عليه إلا فيما يريد من غير مجاهرة بذلك فوصلت الأخبار بذلك إلى الآمر بأحكام الله صاحب مصر وإلى وزيره الأفضل أمير الجيوش فعظم الأمر عليهما وجهزا عسكرا وسيراه إلى عسقلان مع قائد كبير من قواده وأظهرا أنه يريد الغزاة وأنفذا إلى القائد سرا أن يقبض على شمس الخلافة إذا حضر عندهم ويقيم هو عوضه بعسقلان أميرا فسار العسكر فعرف شمس الخلافة الحال فامتنع من الحضور عند العسكر المصرى وجاهر بالعصيان وأخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفا منهم فلما عرف الأفضل ذلك خاف أن يسلم عسقلان إلى الفرنج فأرسل إليه وطيب قلبه وسكنه وأقره على عمله وأعاد عليه أقطاعه بمصر، ثم إن شمس الخلافة خاف أهل عسقلان فأحضر جماعة من الأرمن واتخذهم جنداً ولم يزل على هذه الحال إلى آخر سنة أربع وخمسمائة فأنكر الأمر أهل البلد فوثب به قوم من أعيانه وهو راكب فجرحوه فانهزم منهم إلى داره فتبعوه وقتلوه ونهبوا داره وجميع ما فيها ونهبوا بعض دور غيره من أرباب الأموال بهذه الحجة وأرسلوا إلى مصر بجلية الحال إلى الآمر والأفضل فسرا بذلك وأحسنا إلى الواصلين بالبشارة وأرسلا إليه واليا يقيم به ويتعمل مع أهل البلد الإحسان وحسن السيرة فتم ذلك وزال ما كانوا يخافونه.

﴿ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب وغيره﴾ فى هذه السنة جمع صاحب أنطاكية عساكره من الفرنج وحشد الفارس والراجل وسار نحو حصن الأثارب وهو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاثة فراسخ وحصره ومنع عنه الميرة فضاق الأمر على من به من المسلمين فنقبوا من القلعة نقبا قصدوا أن يخرجوا منه إلى خيمة صاحب أنطاكية فيقتلوه فلما فعلوا ذلك وقربوا من خيمته استأمن إليه صبي أرمنى فعرفه الحال فاحتاط واحترز منهم وجد فى قتالهم حتى ملك الحصن قهراً وعنوة وقتل من أهله ألفى رجل وسبى وأسر الباقين ثم سار إلى حصن زردنا فحصره ففتحه وفعل بأهله مثل الأثارب فلما سمع أهل منبج بذلك فارقوها خوفا من الفرنج وكذلك أهل بالس وقصد الفرنج البلدين فرأوهما وليس بهما أنيس فعادوا عنها وسار عسكر من الفرنج إلى مدينة صيدا فطلب أهلها منهم الأمان فأمنوهم وتسلموا البلد فعظم خوف المسلمين منهم وبلغت القلوب الحناجر وأيقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام لعدم الحامى له والمانع عنه فشرع أصحاب البلاد الإسلامية بالشام فى الهدنة معهم فامتنع الفرنج من الإجابة إلا على قطيعة يأخذونها إلى مدة يسيرة فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين ألف دينار وغيرها من الخيول والثياب وصالحهم صاحب صور على سبعة آلاف دينار وصالحهم ابن منقذ صاحب شيزر على أربعة آلاف دينار وصالحهم على الكردى صاحب حماة على ألفى دينار وكانت مدة الهدنة إلى وقت إدراك الغلة وحصادها ثم إن مراكب أقلعت من ديار مصر فيها التجار ومعهم الأمتعة الكثيرة فوقع عليها مراكب الفرنج فأخذوها وغنموا ما مع التجار وأسروهم فسار جماعة من أهل حلب إلى بغداد مستنفرين على الفرنج فلما وردوا بغداد اجتمع معهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم فقصدوا جامع السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان إنفاذ العساكر للجهاد وسير من دار الخلافة منبرا إلى جامع السلطان فلما كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم أهل بغداد فمنعهم حاجب الباب من الدخول فغلبوه على ذلك ودخلوا الجامع وكسروا شباك المقصورة وهجموا إلى المنبر فكسروه وبطلت الجمعة أيضا فأرسل الخليفة إلى السلطان فى المعنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتق ورتقه فتقدم حينئذ إلى من معه من الأمراء بالمسير إلى بلادهم والتجهز للجهاد وسير ولده الملك مسعوداً مع الأمير مودود صاحب الموصل وتقدموا

إلى الموصل ليلحق بهم الأمراء ويسيرون إلى قتال الفرنج وانقضت السنة وساروا فى سنة خمس وخمسمائة وكان ماذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة عزل نظام الملك أحمد من وزارة السلطان ووزر بعده الخطير محمد ابن الحسين الميبذى . وفيها ورد رسول ملك الروم إلى السلطان يستنفره على الفرنج ويحثه على قتالهم ودفعهم عن البلاد وكان رسوله قبل وصول أهل حلب وكان أهل حلب يقولون للسلطان أما تتقى الله تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حمية منك للإسلام حتى قد أرسل إليك فى جهادهم . وفيها فى رمضان زفت ابنة السلطان ملكشاه إلى الخليفة وزينت بغداد وغلقت وكان بها فرحة عظيمة لم يشاهد الناس مثلها . وفيها هبت بمصر ريح سوداء أظلمت بها الدنيا وأخذت بأنفاس الناس ولم يقدر أحد يفتح عينيه ومن فتحها لا يبصر يده ونزل على الناس رمل ويئس الناس من الحياة وأيقنوا بالهلاك ثم تجلى قليلا وعاد إلى الصفرة وكان ذلك من أول وقت العصر إلى بعد المغرب . وفيها فى المحرم توفى الكيا الهراس الطبرى واسمه أبو الحسن على بن محمد بن على وكان من أعيان الفقهاء الشافعية أخذ الفقه عن إمام الحرمين الجوينى ودرس بعده فى النظامية ببغداد وتوفى بها ودفن عند تربة الشيخ أبى إسحق ودرس بعده فى النظامية الإمام أبو بكر الشاشى (١) وفيها توفى أبو الحسين إدريس ابن حمزة بن على الرملى الفقيه الشافعى من أهل الرملة بفلسطين تفقه على أبى الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى وعلى الشيخ أبى إسحق الشيرازى ودخل خراسان وولى التدريس بسمرقند فتوفى بها .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر مسير العساكر إلى قتال الفرنج ﴾ فى هذه السنة اجتمعت العساكر التى أمرها السلطان بالمسير إلى قتال الفرنج فكانوا الأمير مودود صاحب الموصل والأمير سكمان القطبى صاحب تبريز وبعض ديار بكر والأمير أيلبكى وزنكى ابنا برسق ولهما همذان وما جاورها والأمير أحمديل وله مراغة وكوتب الأمير أبو الهيجا صاحب إربل والأمير أيلغازى صاحب ماردين والأمراء البيكجية باللحاق بالملك مسعود ومودود فاجتمعوا ماعدا الأمير أيلغازى فإنه سير ولده أياز وأقام هو فلما اجتمعوا وساروا إلى بلد سنجار ففتحوا عدة حصون للفرنج وقتل من بها منهم وحصروا مدينة الرهامدة ثم رحلوا عنها من غير أن يملكوها وكان سبب رحيلهم عنها أن الفرنج اجتمعت جميعها فأرسها وراجلها وساروا إلى الفرات ليعبروها

---

(١) وقد اتهم فى وقت بأنه يمالئ الباطنية ، فنزع منه التدريس ثم شهد جماعة من العلماء ببراءته من ذلك منهم ابن عقيل، فأعيد إليه ، وذكر ابن خلكان أنه كان يحفظ الحديث ويناظر به ، وهو القائل : إذا جالت فرسان الأحاديث فى ميادين الكفاح ، طارت رؤس المقاييس فى مهاب الرياح ، وحكى السلفى عنه أنه استفتى فى كتبة الحديث هل يدخلون فى الوصية للفقهاء ؟ فأجاب : نعم لقوله صلى الله عليه وسلم «من حفظ على أمتى أربعين حديثا بعثه الله عالما» واستفتي فى يزيد بن معاوية فذكر عنه تلاعبا وفسقا ، وحوز شتمه ، وأما الغزالى فإنه خالف فى ذلك ومنع من شتمه ولعنه ، لأنه مسلم ، ولم يثبت بأنه رضى بقتل الحسين ، ولو ثبت لم يكن ذلك مسوغا للعنه ، لأن القاتل لا يلعن ، لاسيما وباب التوبة مفتوح ، والذى يقبل التوبة عن عباده غفور رحيم . قال الغزالى : أما الترحم عليه فجائز ، بل مستحب ، بل نحن نترحم عليه فى جملة المسلمين والمؤمنين ، عموماً فى الصلوات .

Marfat.com

لينعوا الرها من المسلمين فلما وصلوا إلى الفرات بلغهم كثرة المسلمين فلم يقدموا عليه وأقاموا على الفرات فلما رأى المسلمون ذلك رحلوا عن الرها إلى حران ليطمع الفرنج ويعبروا الفرات إليهم ويقاتلوهم فلما رحلوا عنها جاء الفرنج ومعهم الميرة والذخائر إلى الرها فجعلوا فيها كل مايحتاجون إليه بعد أن كانوا قليلى الميرة وقد أشرفوا على أن يؤخذوا وأخذوا كل من فيه عجز وضعف وفقر وعادوا إلى الفرات فعبروه إلى الجانب الشامى وطرقوا أعمال حلب فأفسدوا مافيها ونهبوها وقتلوا فيها وأسروا وسبوا خلقا كثيرا وكان سبب ذلك أن الفرنج لما عبروا إلى الجزيرة خرج الملك رضوان صاحب حلب إلى ما أخذه الفرنج من أعمالها فاستعاد بعضه ونهب منهم وقتل فلما عادوا وعبروا الفرات فعلوا بأعماله مافعلوا وأما العسكر السلطانى فإنه لما سمع بعود الفرنج وعبورهم الفرات رحلوا إلى الرها وحصروها فرأوا أمرا لم يحكما قد قويت نفوس أهلها بالذخائر التى تركت عندهم وبكثرة المقاتلين عنهم ولم يجدوا فيها مطمعا فرحلوا عنها وعبروا الفرات فحصروا قلعة تل باشر خمسة وأربعين يوما ورحلوا عنها ولم يبلغوا غرضا ووصلوا إلى حلب فأغلق الملك رضوان أبواب البلد ولم يجتمع بهم ثم مرض هناك الأمير سكمان القطبى فعاد مريضا فتوفى فى بالس فجعله أصحابه فى تابوت وحملوه عائدين إلى بلاده فقصدهم أيلغازى ليأخذهم ويغنم مامعهم فجعلوا تابوته فى القلب وقاتلوا بين يديه فانهزم أيلغازى وغنموا مامعه وساروا إلى بلادهم ، ولما غلق الملك رضوان أبواب حلب ولم يجتمع بالعساكر السلطانية رحلوا إلى معرة النعمان واجتمع بهم طغتكين صاحب دمشق ونزل على الأمير مودود فاطلع من الأمراء على نيات فاسدة فى حقه فخاف أن تؤخذ منه دمشق فشرع فى مهادنة الفرنج سرا وكانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين فلم يتم ذلك وتفرقت العساكر وكان سبب تفرقهم أن الأمير برسق بن برسق الذى هو أكبر الأمراء كان به نقرس فهو يحمل فى محفة ومات سكمان القطبى كما ذكرنا وأراد الأمير أحمديل صاحب مراغة العود ليطلب من السلطان أن يقطعه ما كان لسكمان من البلاد وأتابك طغتكين صاحب دمشق خاف الأمراء على نفسه فلم ينصحهم إلا أنه حصل بينه وبين مودود صاحب الموصل مودة وصداقة فتفرقوا لهذه الأسباب وبقى مودود وطغتكين بالمعرة فساروا منها ونزلوا على نهر العاصى ولما سمع الفرنج بتفرق عساكر الإسلام طمعوا وكانوا قد اجتمعوا كلهم بعد الاختلاف والتباين وساروا إلى فامية فسمع بهم سلطان بن منقذ صاحب شيزر فسار إلى مودود وطغتكين وهوّن عليهما أمر الفرنج وحرضهما على الجهاد فرحلوا إلى شيزر ونزلوا عليها ونزل الفرنج بالقرب منهم فضيق عليهم عسكر المسلمين الميرة ولزوهم بالقتال والفرنج يحفظون نفوسهم ولا يعطون مصافا فلما رأوا قوة المسلمين عادوا إلى فامية وتبعهم المسلمون فتخطفوا من أدركوه فى ساقتهم وعادوا إلى شيزر فى ربيع الأول .

﴿ذكر حصر الفرنج مدينة صور﴾ لما تفرقت العساكر اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور وحصرها فساروا إليها مع الملك بغدوين صاحب القدس وحشدوا وجمعوا ونازلوها وحصروها فى الخامس والعشرين من جمادى الأولى وعملوا عليها ثلاثة أبراج خشب علو البرج سبعون ذراعا ، وفى كل برج ألف رجل ونصبوا عليها المجانيق وألصقوا أحدها إلى سور البلد وأخلوه من الرجال وكانت صور للآمر بأحكام الله العلوى ونائبه بها عز الملك الأعز فأحضر أهل البلد واستشارهم فى حيلة يدفعون بها شر الأبراج عنهم فقام شيخ من أهل طرابلس وضمن على نفسه إحراقها وأخذ معه ألف رجل بالسلاح التام ومع كل رجل منهم حزمة حطب فقاتلوا الفرنج إلى أن وصلوا البرج الملتصق بالمدينة فألقى الحطب من جهانه وألقى فيه النار ثم خاف أن يشتغل الفرنج الذين

Marfat.com

فى البرج بإطفاء النار ويتخلصوا فرماهم بحرب كان قد أعدّها مملوأة من العذرة فلما سقطت عليهم اشتغلوا بها وبما نالهم من سوء الرائحة والتلوث فتمكنت النار منه فهلك كل من به إلا القليل وأخذ منه المسلمون ما قدر عليه بالكلاليب ثم أخذ سلال العنب الكبار وترك فيها الحطب الذى قد سقاه بالنفط والزفت والكتان والكبريت ورماهم بصبعين سلة وأحرق البرجين الآخرين ثم إن أهل صور حفروا سراديب تحت الأرض ليسقط فيها الفرنج إذا زحفوا إليهم ولينخسف برج إن عملوه وسيروه إليهم فاستأمن نفر من المسلمين إلى الفرنج وأعلموهم بما عملوه فحذروا منها وأرسل أهل البلد إلى أتابك طغتكين صاحب دمشق يستنجدونه ويطلبون له ليسلموا البلد إليه فسار فى عساكره إلى نواحى بانياس وسير إليهم نجدة مائتى فارس فدخلوا البلد فامتنع من فيه بهم واشتد قتال الفرنج خوفا من اتصال النجدات ففنى نشاب الأتراك فقاتلوا بالخشب وفنى النفط فظفروا بسرب تحت الأرض فيه نفط لا يعلم من خزنه ثم إن عز الملك صاحب صور أرسل الأموال إلى طغتكين ليكثر من الرجال ويقصدهم ليملك البلد فأرسل طغتكين طائرا فيه رقعة ليعلمه وصول المال ويأمره أن يقيم مركبا بمكان ذكره لتجىء الرجال إليه فسقط الطائر على مركب الفرنج فأخذه رجلان مسلم وإفرنجى فقال الإفرنجى نطلقه لعل فيه فرجالهم فلم يمكنه المسلم وحمله إلى الملك بغدوين فلما وقف عليه سير مركبا إلى المكان الذى ذكر طغتكين وفيه جماعة من المسلمين الذين استأمنوا إليه من صور فوصل إليهم العسكر فكلموهم بالعربية فلم ينكروهم وركبوا معهم فأخذوهم أسرى وحملوهم إلى الفرنج فقتلوهم وطمعوا فى أهل صور فكان طغتكين يغير على أعمال الفرنج من جميع حياتها وقصد حصن الحبيس فى السواد من أعمال دمشق وهو للفرنج فحصره وملكه بالسيف وقتل كل من فيه وعاد إلى الفرنج الذين على صور وكان يقطع الميرة عنهم فى البر فأحضروها فى البحر وخندقوا عليهم لم يخرجوا إليه فسار إلى صيدا وأغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحرية وأحرق نحو عشرين مركبا على الساحل وهو مع ذلك يواصل أهل صور بالكتب يأمرهم بالصبر والفرنج يلازمون قتالهم وقاتل أهل صور قتال من أيس من الحياة فدام القتال إلى أوان إدراك الغلات فخاف الفرنج أن طغتكين يستولى على غلات بلادهم فساروا عن البلد عاشر شوال إلى عكا وعاد عسكر طغتكين إليه وأعطاهم أهل صور الأموال وغيرها ثم أصلحوا ما تشعث من سورها وخندقها وكان الفرنج قد طموه .

﴿ذكر انهزام الفرنج بالأندلس﴾ فى هذه السنة خرج أذفونش الفرنجى صاحب طليطلة بالأندلس إلى بلاد الإسلام بها يطلب ملكها والاستيلاء عليها وجمع وحشد فأكثر وكان قد قوى طمعه فيها بسبب موت أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فسمع أمير المسلمين على بن يوسف بن ناشفين الخبر فسار إليه فى عساكرها وجموعه فلقيه فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر للمسلمين وانهزم الفرنج وقتلوا قتلا ذريعا وأسر منهم بشر كثير وسبى منهم وغنم من أموالهم ما يخرج من الإحصاء فخافه الفرنج بعد ذلك وامتنعوا من قصد بلاده وذل أذفونش حينئذ وعلم أن فى البلاد حاميا لها وذابا عنها ، وفى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الإمام المشهور(١)

---

(١) أبو حامد الغزالى ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وتفقه على إمام الحرمين ، وبرع فى علوم كثيرة ، وله مصنفات منتشرة فى فنون متعددة ، فكان من أذكياء العالم فى كل ما يتكلم فيه ، وساد فى شبيبته حتى أنه درس بالنظامية ببغداد فى سنة أربع وثمانين ، وله أربع وثلاثون سنة ، فحضر عنده رؤس العلماء ، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب=

Marfat.com

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسمائة ﴾

فى هذه السنة فى المحرم سار مودود صاحب الموصل إلى الرها فنزل عليها ورعى عسكره زروعها ورحل عنها إلى سروج وفعل بها كذلك وأهمل الفرنج ولم يحترز منهم فلم يشعر إلا وجوسلين صاحب تل باشر قد كبسهم وكانت دواب العسكر منتشرة فى المرعى فأخذ الفرنج كثيرا منها وقتلوا كثيرا من العسكر فلما تأهب المسلمون للقائه عاد عنهم إلى سروج . وفيها رحل السلطان محمد من بغداد وكان مقامه هذه المرة خمسة أشهر فلما وصل إلى أصبهان قبض على زين الملك أبى سعد القمى وسلمه إلى الأمير كامیار لعداوة بينهما فلما وصل إلى الرى أركبه كامیار على دابة بمركب ذهب وأظهر أن السلطان خلع عليه على مال قرره عليه فحصل بذلك مالا كثيراً من أهل القمى ثم صلبه وكان سبب قبضه أنه كان يكثر الطعن على الخليفة والسلطان . وفيها كان ببغداد رجل مغربى يعمل الكيمياء بزعمه اسمه أبو على فحمل إلى دار الخلافة وكان آخر العهد به . وفيها ورد إلى بغداد يوسف بن أيوب الهمدانى الواعظ وكان من الزهاد العابدين فوعظ الناس بها فقام إليه رجل متفقه يقال له ابن السقاء فآذاه فى مسألة وعاوده فقال له اجلس فإنى أجد من كلامك رائحة الكفر ولعلك تموت على غير دين الإسلام فاتفق بعد مدة أن ابن السقاء خرج إلى بلاد الروم وتنصر . وفيها فى ذى القعدة سمع ببغداد صوت هدة عظيمة ولم يكن بالسماء غيم حتى يظن أنه صوت رعد ولم يعلم أحد أى صوت كان ، وفيها توفى بسيل الأرمنى صاحب الدروب ببلاد ابن لاون فسار طنكرى صاحب أنطاكية أول جمادى الآخرة إلى بلاده طمعا فى أن يملكها فمرض فى طريقه فعاد إلى أنطاكية فمات ثامن جمادى الآخرة وملكها بعده ابن أخته سرخالة واستقام الأمر فيها بعد أن جرى بين الفرنج خلف بسببه فأصلح بينهم القسوس والرهبان . وفيها توفى قراجه صاحب حمص وكان ظالما وقام ولده قرجان مكانه وكان مثله فى قبح السيرة . وفى هذه السنة توفى المعمر بن على أبو سعد بن أبى عمامة الواعظ البغدادى ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة وكان له خاطر حاد ومجون حسن وكان الغالب على وعظه أخبار الصالحين . وتوفى أحمد بن الفرج بن عمر الدينورى والد شهدة وكان يروى عن أبى يعلى ابن الفراء وابن المأمون وابن المهتدى وابن النقور وغيرهم وكان حسن السيرة متزهداً . وتوفى أبو العلاء صاعد

= وابن عقيل . وهما من رؤس الحنابلة ، فتعجبوا من فصاحته واطلاعه ، قال ابن الجوزى : وكتبوا كلامه فى مصنفاتهم ثم إنه خرج عن الدنيا بالكلية وأقبل على العبادة وأعمال الآخرة ، وكان يرتزق من النسخ ، ورحل إلى الشام فأقام بها بدمشق وبيت المقدس مدة ، وصنف فى هذه المدة كتابه (إحياء علوم الدين) وهو كتاب عجيب ، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات ، ومزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب ، لكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات وموضوعات ، كما يوجد فى غيره من كتب الفروع التى يستدل بها على الحلال والحرام ، فالكتاب الموضوع للرقائق والترغيب والترهيب أسهل أمراً من غيره ، وقد صنف ابن الجوزي كتابا على الإحياء وسماه علوم الأحيا بأغاليط الإحيا ، قال ابن الجوزي : ثم ألزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور فدرس بنظاميتها ، ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها ، وابتنى رباطا واتخذ داراً حسنة ، وغرس فيها بستانا أنيقا ، وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح ، وكانت وفاته فى يوم الإثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودفن بطوس رحمه الله تعالى ، وقد سأله بعض أصحابه وهو فى السياق فقال : أوصنى ، فقال : عليك بالإخلاص ، ولم يزل يكررها حتى مات رحمه الله .

Marfat.com

Marfat.com

ابن منصور بن اسماعيل بن صاعد الخطيب النيسابورى ، وكان من أعيان الفقهاء وولى قضاء خوارزم وكان يروى الحديث

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود ﴾ فى هذه السنة فى المحرم اجتمع المسلمون وفيهم الأمير مودود ابن التونتكين صاحب الموصل وتميرك صاحب سنجار والأمير أياز بن أيلغازى وطغتكين صاحب دمشق وكان سبب اجتماع المسلمين أن ملك الفرنج بغدوين تابع الغارات على بلد دمشق ونهبه وخربه أواخر سنة ست وخمسمائة وانقطعت المواد عن دمشق فغلت الأسعار فيها وقلت الأقوات فأرسل طغتكين صاحبها إلى الأمير مودود يشرح له الحال ويستنجده ويحثه على سرعة الوصول إليه فجمع عسكرا وسار فعبر الفرات آخر ذى القعدة سنة ست وخمسمائة فخافه الفرنج وسمع طغتكين خبره فسار إليه ولقيه بسلمية واتفق رأيهم على قصد بغدوين ملك القدس فساروا إلى الأردن فنزل المسلمون عند الأقحوانة ونزل الفرنج مع ملكهم بغدوين وجوسلين صاحب جيشهم وغيرهما من المقدمين والفرسان المشهورين ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود وجمع الفرنج فالتقوا عند طبرية ثالث عشر المحرم واشتد القتال وصبر الفريقان ثم إن الفرنج انهزموا وكثر القتل فيهم والأسر ومن أسر ملكهم بغدوين فلم يعرف فأخذ سلاحه وأطلق فنجا وغرق منهم فى بحيرة طبرية ونهر الأردن كثير وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ووصل الفرنج إلى مضيق دون طبرية فلقيهم عسكر طرابلس وأنطاكية فقويت نفوسهم بهم وعاودوا الحرب فأحاط بهم المسلمون من كل ناحية وصعد الفرنج إلى جبل غرب طبرية فأقاموا به ستة وعشرين يوما والمسلمون يزائهم يرمونهم بالنشاب فيصيبون من يقرب منهم ومنعوا الميرة عنهم لعلهم يخرجون إلى قتالهم فلم يخرج منهم أحد فسار المسلمون إلى بيسان ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا إلى القدس وخربوها وقتلوا من ظفروا به من النصارى وانقطعت المادة عنهم لبعدهم عن بلادهم فعادوا ونزل بمرج الصفر الأمير مودود رأذن للعساكر فى العود والاستراحة ثم الاجتماع فى الربيع لمعاودة الغزاة وبقى فى خواصه ودخل دمشق فى الحادى والعشرين من ربيع الأول ليقيم عند طغتكين إلى الربيع فدخل الجامع يوم الجمعة فى ربيع الأول ليصلى فيه وطغتكين ، فلما فرغوا من الصلاة وخرج إلى صحن الجامع ويده فى يد طغتكين وثب عليه باطنى فضربه بخرجه أربع جراحات وقتل الباطنى وأخذ رأسه فلم يعرفه أحد فأحرق وكان صائما فحمل إلى دار طغتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال لا لقيت الله إلا صائما فمات من يومه رحمه الله فقيل إن الباطنية بالشام خافوه وقتلوه ؛ وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله ؛ وكان خيراً عادلا كثير الخير (حدثنى والدى قال) كتب ملك الفرنج إلى طغتكين بعد قتل مودود كتابا من فضوله إن أمة قتلت عميدها يوم عيدها فى بيت معبودها لحقيق على الله أن يبيدها ولما قتل تسلم تميرك صاحب سنجار مامعه من الخزائن وحملها إلى السلطان ودفن مودود بدمشق فى تربة دقاق صاحبها وحمل بعد ذلك إلى بغداد فدفن فى جوار أبى حنيفة ثم حمل إلى أصبهان .

﴿ ذكر الخلف بين السلطان سنجر ومحمد خان والصلح بينهما ﴾ فى هذه السنة كثر الحديث عند سنجر أن محمد خان بن سليمان بن داود قد مديده إلى أموال الرعايا وظلمهم ظلما كثيرا وأنه خرب البلاد بظلمه وشره

Marfat.com

وأنه قد صار استخف بأوامر سنجر ولا يلتفت إلى شيء منها فتجهز سنجر وجمع عساكره وسار يريد قصده بما وراء النهر فخاف محمد خان فأرسل إلى الأمير قماج وهو أكبر أمير مع سنجر يسأله أن يصلح الحال بينه وبين سنجر وأرسل أيضا إلى خوارزمشاه بمثل ذلك وسألهما فى إرضاء السلطان عنه واعترف بأنه أخطأ فأجاب سنجر إلى صلحه على شرط أن يحضر عنده ويطأ بساطه فأرسل محمد خان يذكر خوفه لسوء صنيعه ولكنه يحضر الخدمة ويخدم السلطان وبينهما نهر جيحون ثم يعاود بعد ذلك الحضور عنده والدخول إليه فحسنوا الإجابة إلى ذلك والاشتغال بغيره فامتنع ثم أجاب وكان سنجر على شاطىء جيحون من الجانب الغربى وجاء محمد خان إلى الجانب الشرقى فترجل وقبل الأرض وسنجر راكب وعاد كل واحد منهما إلى خيامه ورجعوا إلى بلادهم وسكنت الفتنة بينهما.

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق إلى مصر فأتى الخبر إلى بغدوين ملك الفرنج فسار إليه وعارضه فى البر فأخذهم أجمعين ولم ينج منهم إلا القليل ومن سلم أخذه العرب. وفى هذه السنة توفى الوزير أبو القاسم على بن محمد بن جهير وزير الخليفة المستظهر بالله ووزر بعده الرئيس أبو منصور ابن الوزير أبى شجاع محمد بن الحسين وزير السلطان. وفيها توفى الملك رضوان بن تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان صاحب حلب وقام بعده بحلب ابنه ألب أرسلان الأخرس وعمره ست عشرة سنة وكانت أمور رضوان غير محمودة قتل أخويه أبا طالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية فى كثير من أموره لقلة دينه ولما ملك الأخرس استولى على الأمور لؤلؤ الخادم ولم يكن للأخرس معه إلا اسم السلطنة ومعناه للؤلؤ ولم يكن ألب أرسلان أخرس وإنما فى لسانه حبسة وتمتمة وأمه بنت باغيسيان الذى كان صاحب أنطاكية وقتل الأخرس أخوين له أحدهما اسمه ملكشاه وهو من أبيه وأمه واسم الآخر مباركشاه وهو من أبيه وكان أبوه فعل مثله فلما توفى قتل ولداه مكافأة لما اعتمده مع أخويه وكان الباطنية قد كثروا بحلب فى أيامه حتى خافهم ابن بديع رئيسها وأعيان أهلها فلما توفى قال ابن بديع لألب أرسلان فى قتلهم والإيقاع بهم فأمره بذلك فقبض على مقدمهم أبى طاهر الصائغ وعلى جميع أصحابه فقتل أبا طاهر وجماعة من أعيانهم وأخذ أموال الباقين وأطلقهم فمنهم من قصد الفرنج وتفرقوا فى البلاد. وفى هذه السنة توفى ببغداد أبو بكر أحمد بن على ابن بدران الحلوانى الزاهد منتصف جمادى الأولى روى الحديث عن القاضى أبى الطيب الطبرى وأبى محمد الجوهرى وأبى طالب العشارى وغيرهم وروى عنه خلق كثير ومن آخرهم أبو الفضل عبدالله بن الطوسى خطيب الموصل واسمعيل ابن أحمد بن الحسين بن على أبو على بن أبى بكر البيهقى الإمام ابن الإمام ومولده سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وتوفى بمدينة بيهق ولوالده تصانيف كثيرة مشهورة وشجاع بن أبى شجاع فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب الذهلى الحافظ ومولده سنة ثلاثين وأربعمائة وروى عن أبيه وأبى القاسم وابن المهتدى والجوهرى وغيرهم والأديب أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد الأبيوردى الشاعر المشهور وله ديوان حسن ومن شعره:

تنكر لى دهرى ولم يدر أننى ٭ أعز وأحداث الزمان تهون
وظل يرينى الخطب كيف اعتداؤه ٭ وبت أريه الصبر كيف يكون

وله أيضا:

ركبت طرفى فأدرى دمعه أسفا ٭ عند انصرافى منهم مضمر الياس
وقال حتام تؤذينى فإن سنحت ٭ حوائج لك فاركبنى إلى الناس

وكانت وفاته بأصبهان وهو من ولد عنبسة بن أبى سفيان بن حرب الأموى. وتوفى أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشى الإمام الفقيه الشافعى فى شوال ومولده سنة سبع وعشرين وأربعمائة سمع أبا بكر الخطيب وأبا يعلى بن الفراء وغيرهم وتفقه على أبى عبد الله محمد بن الكازرونى بديار بكر وعلى أبى اسحق الشيرازى ببغداد وعلى أبى نصر بن الصباغ وفيها توفى أبو نصر المؤتمن بن أحمد بن الحسن الساجى الحافظ المقدسى ومولده سنة خمس وأربعين وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث وتفقه على أبى اسحق وكان ثقة (١).

﴿ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة﴾

﴿ذكر مسير آقسنقر البرسقى إلى الشام لحرب الفرنج﴾ فى هذه السنة سير السلطان محمد الأمير آقسنقر البرسقى إلى الموصل وأعمالها واليا عليها لما بلغه قتل مودود وسير معه ولده الملك مسعودا فى جيش كثيف وأمره بقتال الفرنج وكتب إلى سائر الأمراء بطاعته فوصل إلى الموصل واتصلت به عساكرها وفيهم عماد الدين زنكى بن آقسنقر الذى ملك هو وأولاده الموصل بعد ذلك وكان له الشجاعة فى الغاية واتصل به أيضا تميرك صاحب سنجار وغيرهما فسار البرسقى إلى جزيرة ابن عمر فسلمها اليه نائب مودود بها وسار معه إلى ماردين فنازلها البرسقى حتى أذعن له أياغازى صاحبها وسير معه عسكرا مع ولده أياز فسار عنه

---

(١) وفيها فتح المارستان الذى أنشأه كمشتكين الخادم ببغداد. وفيها توفى محمد بن طاهر بن على بن أحمد أبو الفضل المقدسى الحافظ ولد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وأول سماعه سنة ستين، وسافر فى طلب الحديث إلى بلاد كثيرة، وسمع كثيراً، وكان له معرفة جيدة بهذه الصناعة وصنف كتباً مفيدة، غير أنه صنف كتابا فى إباحة السماع، وفى التصوف، وساق فيه أحاديث منكرة جدا، وأورد أحاديث صحيحة فى غيره وقد أثنى على حفظه غير واحد من الأئمة. وذكر بن الجوزى فى كتابه هذا الذى سماه «صفة التصوف» وقال عنه يضحك منه من رآه، قال وكان داودى المذهب، فمن أثنى عليه أثنى لأجل حفظه للحديث وإلا فما يجرح به أولى. قال: وذكره أبو سعد السمعانى وانتصر له بغير حجة، بعد أن قال سألت عنه شيخنا إسماعيل بن أحمد الطلحى فأكثر الثناء عليه وكان سىء الرأى فيه. قال وسمعنا أبا الفضل بن ناصر يقول: محمد بن طاهر لايحتج به، صنف فى جواز النظر إلى المرد، وكان يذهب مذهب الإباحية، ثم أورد له من شعره قوله فى هذه الأبيات:

دع التصوف والزهد الذى اشتغلت * به خوارج أقوام من الناس
وعج على دير داريا فان به الره * بان ما بين قسيس وشماس
واشرب معتقة من كف كافرة * تسقيك خمرين من لحظ ومن كاس
ثم استمع رنة الأوتار من رشأ * مهفهف طرفه أمضى من الماس
غنى بشعر امرئ فى الناس مشتهر * مدون عندهم فى صدر قرطاس
لولا نسيم بدا منكم يروحنى * لكنت محترقا من حر أنفاسى

ثم قال السمعانى: لعله قد تاب من هذا كله. قال ابن الجوزى: وهذا غير مرضى أن يذكر جرح الأئمة له ثم يعتذر عن ذلك باحتمال توبته، وقد ذكر بن الجوزى أنه لما احتضر جعل يردد هذا البيت:

وما كنتم تعرفون الجفا * فمن برى قد تعلمتم

ثم كانت وفاته بالجانب الغربى من بغداد فى ربيع الأول منها.

Marfat.com

Marfat.com

البرسقى إلى الرها فى خمسة عشر ألف فارس فنازلها فى ذى الحجة وقاتلها وصبر له الفرنج وأصابوا من بعض المسلمين غزة فأخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها فاشتد القتال حينئذ وحمى المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارسا من أعيانهم وأقام عليها شهرين وأياما وضاقت الميرة على المسلمين فرحلوا من الرها إلى سميساط بعد أن خربوا بلد الرها وبلد سروج وبلد سميساط وأطاعه صاحب مرعش على ماذكره ثم عاد إلى شحنان فقبض على أياز بن أيلغازى حيث لم يحضر أبوه ونهب سواد ماردين.

﴿ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البرسقى﴾ فى هذه السنة توفى بعض كنود الفرنج ويعرف بكواسيل وهو صاحب مرعش وكيسوم ورعبان وغيرها فاستولت زوجته على المملكة وتحصنت من الفرنج وأحسنت إلى الأجناد وراسلت آقسنقر البرسقى وهو على الرها واستدعت منه بعض أصحابه لتطيعه فسير اليها الأمير سنقر دزدار صاحب الخابور فلما وصل اليها أكرمته وحملت اليه مالا كثيرا وبينما هو عندها إذجاء جمع من الفرنج فواقعوا أصحابه وهم نحو مائة فارس واقتتلوا قتالا شديدا ظفر فيه المسلمون بالفرنج وقتلوا منهم أكثرهم وعاد سنقردزدار وقد أصحبته الهدايا للملك مسعود والبرسقى وأذعنت بالطاعة ولما عرف الفرنج ذلك عاد كثير ممن عندها إلى أنطاكية.

﴿ذكر الحرب بين البرسقى وأيلغازى وأسر أياغازى﴾ لما قبض البرسقى على أياز بن أيلغازى سار إلى حصن كيفا وصاحبها الأمير ركن الدولة داود بن أخيه سقمان فاستنجده فسار معه فى عسكره وأحضر خلقا كثيرا من التركمان وسارا إلى البرسقى فلقيه أواخر السنة واقتتلوا قتالا شديدا صبروا فيه فانهزم البرسقى وعسكره وخلص أياز بن أيلغازى من الأسر فأرسل السلطان اليه يتهدده فخافه وسار الى الشام الى حميه طغتكين صاحب دمشق فأقام عنده أياما وكان طغتكين أيضا قد استوحش من السلطان لأنه نسب اليه قتل مودود فاتفقا على الامتناع والالتجاء الى الفرنج والاحتماء بهم فراسلا صاحب أنطاكية وحالفاه فحضر عندهما على بحيرة قدس عند حمص وجددوا العهود وعاد الى أنطاكية وعاد طغتكين الى دمشق وسار أيلغازى الى الرستن على عزم قصد ديار بكر وجمع التركمان والعود فنزل بالرستن ليستريح فقصده الأمير قيرخان بن قراجة صاحب حمص وقد تفرق عن أيلغازى أصحابه فظفر به قرجان وأسره ومعه جماعة من خواصه وأرسل إلى السلطان يعرفه ذلك ويسأله تعجيل إنفاذ العساكر لئلا يغلبه طغتكين على أيلغازى ولما بلغ طغتكين الخبر عاد إلى حمص وأرسل فى إطلاقه فامتنع قرجان وحلف إن لم يعد طغتكين لنقتلن أيلغازى فأرسل أيلغازى إلى طغتكين أن الملاججة تؤذينى وتسفك دمى والمصلحة عودك إلى دمشق فعاد وانتظر قرجان وصول العساكر السلطانية فتأخرت عنه فخاف أن ينخدع أصحابه لطغتكين ويسلموا اليه حمص فعدل إلى الصلح مع أيلغازى على أن يطلقه ويأخذ ابنه أياز رهينة ويصاهره ويمنعه من طغتكين وغيره فأجابه إلى ذلك فأطلقه وتحالفا وسلم اليه ابنه أياز وسار عن حمص إلى حلب وجمع التركمان وعاد إلى حمص وطالب بولده أياز وحصر قرجان إلى أن وصلت العساكر السلطانية فعاد أيلغازى على ماذكره.

﴿ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر﴾ فى هذه السنة فى شوال توفى الملك علاء الدولة أبو سعد مسعود بن أبى المظفر إبراهيم بن أبى سعد مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزة بها وملك بعده ابنه أرسلانشاه وأمه سلجوقية وهى أخت السلطان ألب أرسلان بن داود فقبض على إخوته

وسجنهم وهرب آخ له اسمه بهرام إلى خراسان فوصل إلى السلطان سنجر بن ملكشاه فأرسل إلى أرسلانشاه فى معناه فلم يسمع منه ولا أصغى إلى قوله فتجهز سنجر للمسير إلى غزنة وإقامة بهرامشاه فى الملك فأرسل أرسلانشاه إلى السلطان محمد يشكو من أخيه سنجر فأرسل السلطان إلى أخيه سنجر يأمره بمصالحة أرسلانشاه وترك التعرض له وقال للرسول إن رأيت أخى وقد قصدهم وسار نحوهم أو قارب أن يسير فلا تمنعه ولا تبلغه الرسالة فإن ذلك يفت فى عضده ويوهنه ولا يعود ولأن يملك أخى الدنيا أحب إلى فوصل الرسول إلى سنجر وقد جهز العساكر إلى غزنة وجعل على مقدمته الأمير أنر مقدم عسكره ومعه الملك بهرامشاه فساروا حتى بلغوا بست واتصل بهم فيها أبو الفضل نصر بن خلف صاحب سجستان وسمع أرسلانشاه الخبر فسير جيشا كثيفا فهزماه ونهباه وعاد من سلم إلى غزنة على أسوأ حال فخضع حينئذ أرسلانشاه وأرسل إلى الأمير أنر يضمن له الأموال الكثيرة ليعود عنه ويحسن للملك سنجر العود عنه فلم يفعل وتجهز السلطان سنجر بعد أنر للمسير بنفسه فأرسل إليه أرسلانشاه امرأة عمه نصر تسأله الصفح والعود عن قصده وهى أخت الملك سنجر من السلطان بركيارق وكان علاء الدولة أبو سعد قد قتل زوجها ومنعها من الخروج عن غزنة وتزوجها فسيرها الآن أرسلانشاه فلما وصلت إلى أخيه أوصلت مامعها من الأموال والهدايا وكان معها مائتا ألف دينار وغير ذلك وطلب من سنجر أن يسلم أخاه بهرام إليه وكانت موغرة الصدر من أرسلانشاه فهونت أمره على سنجر وأطمعته فى البلاد وسهلت الأمر عليه وذكرت له مافعل بإخوته وكان قتل بعضا وكحل بعضا من غير خروج منهم عن الطاعة فسار الملك سنجر فلما وصل إلى بست أرسل خادما من خواصه إلى أرسلانشاه فى رسالة فقبض عليه فى بعض القلاع فسار حينئذ سنجر مجداً فلما سمع بقربه منه أطلق الرسول ووصل سنجر إلى غزنة ووقع بينهما المصاف على فرسخ من غزنة بصحراء شهر أباذ وكان أرسلانشاه فى ثلاثين ألف فارس وخلق كثير من الرجالة ومعه مائة وعشرون فيلا على كل فيل أربعة نفر فحملت الفيلة على القلب وفيه سنجر فكان من فيه ينهزمون فقال سنجر لغلمانه الأتراك لترموها بالنشاب فتقدم ثلاثة آلاف غلام فرموا الفيلة رشقا واحداً جميعا فقتلوا منها عدة فعدلت الفيلة عن القلب إلى الميسرة وبها أبو الفضل صاحب سجستان وجالت عليهم فضعف من فى الميسرة فشجعهم أبو الفضل وخوفهم من الهزيمة مع بعد ديارهم وترجل عن فرسه بنفسه وقصد كبير الفيلة ومتقدمها ودخل تحتها فشق بطنها وقتل فيلين آخرين ورأى الأمير أنر وهو فى الميمنة مافى الميسرة من الحرب فخاف عليها فحمل من وراء عسكر غزنة وقصد الميسرة واختلط بهم وأعانهم فكانت الهزيمة على الغزنوية وكان ركاب الفيلة قد شدوا أنفسهم عليها بالسلاسل فلما عضهم الحرب وعمل فيهم السيف ألقوا أنفسهم فبقوا معلقين عليها ودخل السلطان سنجر غزنة فى العشرين من شوال سنة عشر وخمسمائة ومعه بهرامشاه فأما القلعة الكبيرة المشتملة على الأموال وبينها وبين البلد تسعة فراسخ وهى عظيمة لا مطمع فيها ولا طريق عليها وكان أرسلانشاه قد سجن فيها أخاه طاهرا الخازن وهو صاحب بهرامشاه واعتقل بها أيضا زوجة بهرامشاه فلما انهزم أرسلانشاه استمال أخوه طاهر المستحفظ بها فبذل له وللأجناد الزيادات فسلموا القلعة إلى الملك سنجر وأما قلعة البلد فإن أرسلانشاه كان اعتقل بها رسول سنجر فلما أطلقه بقى غلمانه بها فسلموا القلعة أيضا بغير قتال وكان قد تقرر بين بهرامشاه وبين سنجر أن يجلس بهرام على سرير جده محمود بن سبكتكين وحده وأن تكون الخطبة بغزنة للخليفة وللسلطان محمد وللملك سنجر وبعدهم

Marfat.com

Marfat.com

لبهرامشاه فلما دخلوا غزنة كان سنجر راكبا وبهرامشاه بين يديه راجلا حتى جاء السرير فصعد بهرامشاه فجلس عليه ورجع سنجر وكان يخطب له بالملك ولبهرامشاه بالسلطان على عادة آبائه فكان هذا من أعجب ما يسمع به وحصل لأصحاب سنجر من الأموال مالا يحد ولا يحصى من السلطان والرعايا وكان فى دور لملوكها عدة دور على حيطانها ألواح الفضة وسواقى المياه إلى البساتين من الفضة أيضا فقلع من ذلك أكثره ونهب. فلما سمع سنجر ما يفعل منع عنه بجهده وصلب جماعة حتى كف الناس وفى جملة ما حصل للملك سنجر خمسة تيجان قيمة أحدها يزيد على الفى ألف دينار وألف دينار وألف وثلثمائة قطعة مصاغ مرصعة وسبعة عشر سريرا من الذهب والفضة وأقام بغزنة أربعين يوما حتى استقر بهرامشاه وعاد نحو خراسان ولم يخطب بغزنه لسلجوقى قبل هذا الوقت حتى إن السلطان ملكشاه مع تمكنه وكثرة ملكه لم يطمع فيه وكان كلما رام ذلك منع منه نظام الملك وأما أرسلانشاه فإنه لما انهزم قصد هند وستان واجتمع عليه أصحابه فقويت شوكته فلما عاد سنجر إلى خراسان توجه إلى غزنه فلما عرف بهرامشاه قصده إياه توجه إلى باميان وأرسل إلى الملك سنجر يعلمه الحال فأرسل إليه عسكرا وأقام أرسلانشاه بغزنة شهرا واحدا وسار يطلب أخاه بهرامشاه فبلغه وصول عسكر سنجر فانهزم بغير قتال للخوف الذى قد باشر قلوب أصحابه ولحق بجبال أوغنان فسار أخوه بهرامشاه وعسكر سنجر فى أثره وأخربوا البلاد التى هو فيها وأرسلوا إلى أهلها يتهددونهم فسلموه بعد المضايقة فأخذه متقدم جيش الملك سنجر وأراد حمله إلى صاحبه فخاف بهرامشاه من ذلك فبذل له مالا فسلمه اليه فخنقه ودفنه بتربة أبيه بغزنة وكان عمره سبعا وعشرين سنة وكان أحسن إخوته صورة وكان قتله فى جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وإنما ذكرناه ههنا لتتصل الحادثة.

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى جمادى الآخرة كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة والشام وغيرها فخربت كثيرا من الرها وحران وسميساط وبالس وغيرها وهلك خلق كثير تحت الهدم. وفيها قتل تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان صاحب حلب قتله غلمانه بقلعة حلب وأقاموا بعده أخاه سلطانشاه ابن رضوان وكان المستولى عليه لؤلؤا الخادم. وفيها توفى الشريف النسيب أبو القاسم على بن ابراهيم بن العباس الحسينى فى ربيع الآخر بدمشق (١).

﴿ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة﴾

﴿ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج﴾ قد ذكرنا ما كان من عصيان أيلغازى وطغتكين على السلطان وقوة الفرنج فلما اتصل ذلك بالسلطان محمد جهز عسكرا كثيرا وجعل مقدمهم الأمير برسق بن برسق صاحب همذان ومعه الأمير جيوش بك والأمير كنتغدى وعساكر الموصل والجزيرة وأمرهم بالبداءة بقتل أيلغازى وطغتكين فإذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج وقاتلوهم وحصروا بلادهم فساروا فى رمضان من سنة ثمان وخمسمائة وكان عسكرا كثير العدة وعبروا الفرات آخر السنة عند الرقة فلما قاربوا حلب راسلوا المتولى لأمرها لؤلؤا الخادم ومقدم عسكرها المعروف بشمس الخواص يأمرونهما بتسليم حلب وعرضوا عليهما كتب السلطان بذلك فغالطا فى الجواب وأرسلا إلى أيلغازى وطغتكين يستنجدانهما فسارا إليهم فى ألفى فارس

(١) وفيها ملكت زوجة مرعش الإفرنجية بعد وفاة زوجها.

ودخلا حلب فامتنع من بها حينئذ عن عسكر السلطان وأظهروا العصيان فسار الأمير برسق بن برسق إلى مدينة حماة وهى فى طاعة طغتكين وبها ثقله فحصرها وفتحها عنوة وبها ثلاثة أيام وسلمها إلى الأمير قرجان صاحب حمص وكان السلطان قد أمر أن يسلم إليه كل بلد يفتحونه فلما رأى الأمراء ذلك فشلوا وضعفت نياتهم فى القتال بحيث تؤخذ البلاد وتسلم إلى قرجان فلما سلموا حماة إلى قرجان سلم إليهم أياز بن أيلغازى وكان قد سار أيلغازى وطغتكين وشمس الخواص إلى أنطاكية واستجاروا بصاحبها روجيل وسألوه أن يساعدهم على حفظ مدينة حماة فلما بلغهم فتحها ووصل إليهم بأنطاكية بغدوين صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج اتفق رأيهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا إنهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة أفامية وأقاموا نحو شهرين فلما انتصف أيلول ورأوا عزم المسلمين على المقام تفرقوا فعاد أيلغازى إلى ماردين وطغتكين إلى دمشق والفرنج إلى بلادها وكانت أفامية وكفر طاب للفرنج فقصد المسلمون كفر طاب وحصروها فلما اشتد الحصر على الفرنج ورأوا الهلاك قتلوا أولادهم ونساءهم وأحرقوا أموالهم ودخل المسلمون البلد عنوة وقهروا وأسروا صاحبه وقتلوا من بقى فيه من الفرنج وساروا إلى قلعة أفامية فرأوها حصينة فعادوا عنها إلى المعرة وهى للفرنج أيضا وفارقهم الأمير جيوش بك إلى وادى بزاعة فملكه وصارت العساكر عن المعرة إلى حلب وتقدمهم ثقلهم ودوابهم على جارى العادة والعساكر فى أثره متلاحقة وهم آمنون لا يظنون أحدا يقدم على القرب منهم وكان روجيل صاحب أنطاكية لما بلغه حصر كفر طاب سار فى خمسمائة فارس وألفى راجل للمنع فوصل إلى المكان الذى ضربت فيه خيام المسلمين على غير علم بها فرآها خالية من الرجال المقاتلة لأنهم لم يصلوا إليها فنهب جميع ما هناك وقتل كثيرا من السوقية وغلمان العسكر ووصلت العساكر متفرقة فكان الفرنج يقتلون كل من وصل إليهم ووصل الأمير برسق فى نحو مائة فارس فرأى الحال فصعد تلا هناك ومعه أخوه زنكى وأحاط بهم السوقية والغلمان واحتموا بهم ومنعوا الأمير برسق من النزول فأشار عليه أخوه ومن معه بالنزول والنجاة بنفسه فقال لا أفعل بل أقتل فى سبيل الله وأكون فداء المسلمين فغلبوه على رأيه فنجا هو ومن معه فتبعهم الفرنج نحو فرسخ ثم عادوا وتموا الغنيمة والقتل وأحرقوا كثيرا من الناس وتفرق العسكر وأخذ كل واحد جهة ولما سمع الموكلون بالأسرى المأخوذين من كفر طاب ذلك قتلوهم وكذلك فعل الموكل بأياز بن أيلغازى قتله أيضا وخاف أهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين التى بالشام فإنهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر فأتاهم ما لم يكن فى الحساب وعادت العساكر عنهم إلى بلادها وأما برسق وأخوه زنكى فإنهما توفيا فى سنة عشر وخمسمائة وكان برسق خيرا دينا وقد ندم على الهزيمة وهو يتجهز للعود إلى الغزاة فأتاه أجله.

﴿ذكر ملك الفرنج رفنية وأخذها منهم﴾ فى هذه السنة فى جمادى الآخرة ملك الفرنج رفنية من أرض الشام وهى لطغتكين صاحب دمشق وقووها بالرجال والذخائر وبالغوا فى تحصينها فاهتم طغتكين لذلك وقوى عزمه على قصد بلاد الفرنج بالنهب لها والتخريب فأتاه الخبر عن رفنية لخلوها عن عسكر يمنع عنها وليس هناك إلا الفرنج الذين رتبوا لحفظها فسار إليها جريدة فلم يشعر من بها إلا وقد هجم عليهم البلد فدخله عنوة وقهرا وأخذ كل من فيه من الفرنج أسيرا فقتل البعض وترك البعض وغنم المسلمون من سوادهم وكرائمهم وذخائرهم ما امتلأت منه أيديهم وعادوا إلى بلادهم سالمين.

Marfat.com

Marfat.com

﴿ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه على﴾ فى هذه السنة توفى يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية يوم عيد الأضحى فجأة وكان منجم قد قال له فى منستير مولده إن عليه قطعا فى هذا اليوم فلا تركب فلم يركب وخرج أولاده وأهل دولته إلى المصلى فلما انقضت الصلاة حضروا عنده للسلام عليه وتهنئته وقرأ القراء وأنشد الشعراء وانصرفوا إلى الطعام فقام يحيى من باب آخر ليحضر معهم على الطعام فلم يمش غير ثلاث خطا حتى وقع ميتا وكان ولده على بمدينة سفاقس فأحضر وعقدت له الولاية ودفن يحيى بالقصر ثم نقل إلى التربة بالمنستير وكان عمره ستين وخمسين سنة وخمسة عشر يوما وكانت ولايته ثمان سنين وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوما وخلف ثلاثين ولدا فقال عبد الجبار بن محمد بن حمديس الصقلى يرثيه ويهنئ ابنه عليا بالملك:

ماأغمد العضب الاجرد الذكر * ولا اختفى قمر حتى بدا قمر
بموت يحيى أميت الناس كلهم * حتى إذا ما على جاءهم نشروا
ان يبعثوا بسرور من تملكه * فمن منية يحيى بالأسى قبروا
أوفى علىّ فسن الملك ضاحكة * وعينها من أبيه دمعها همر
شقت جيوب المعالى بالأسى فبكت * فى كل أفق عليه الأنجم الزهر
وقلّ لابن تميم حزن مادهما * فكل حزن عظيم فيه محتقر
قام الدليل ويحيى لاحياة له * إن المنية لاتبقى ولاتذر

وكان يحيى عادلا فى رعيته ضابطا لأمور دولته مدبرا لجميع أحواله رحيما بالضعفاء والفقراء يكثر الصدقة عليهم ويقرب أهل العلم والفضل وكان عالما بالأخبار وأيام الناس والطب وكان حسن الوجه أشهل العين إلى الطول ماهو ولما استقر على فى الملك جهز أسطولا إلى جزيرة جربة وسببه أن أهلها كانوا يقطعون الطريق ويأخذون التجار فحصرها وضيق على من فيها فدخلوا تحت طاعته والتزموا ترك الفساد وضمنوا إصلاح الطريق وكف عنهم عند ذلك وصلح أمر البحر وأمن المسافرون.

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى رجب قدم السلطان محمد بغداد ووصل إليه أتابك طغتكين صاحب دمشق فى ذى القعدة وسأل الرضا عنه فرضى عنه السلطان وخلع عليه ورده إلى دمشق. وفيها أمر الإمام المستظهر بالله ببيع البدرية وهى منسوبة إلى بدر غلام المعتضد بالله وكانت من أحسن دور الخلفاء وكان ينزلها الراضى بالله ثم تهدمت وصارت تلا فأمر القادر بالله أن يسور عليها سور لأنها مع الدار الأمامية ففعل ذلك فلما كان الآن أمر ببيعها فبيعت وعمرها الناس. وفيها فى شعبان وقعت الفتنة بين العامة وسببها أن الناس لما عادوا من زيارة مصعب اختصموا على من يدخل أولا فاقتتلوا وقتل بينهم جماعة وعادت الفتن بين أهل المحال كما كانت ثم سكنت. وفيها أقطع السلطان محمد الموصل وما كان بيد آقسنقر البرسقى للأمير جيوش بك وسير ولده الملك مسعود وأقام البرسقى بالرحبة وهى أقطاعه إلى أن توفى السلطان محمد وكان مانذكره إن شاء الله تعالى. وفيها توفى اسماعيل بن محمد بن أحمد بن ملة الأصبهانى أبو عثمان بن أبى سعيد الواعظ سمع الكثير وحدث ببغداد وغيرها وعبدالله بن المبارك بن موسى السفطى أبو البركات، له رحلة وله تصانيف وكان أديبا.

Marfat.com

﴿ ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة ﴾

﴿ذكر قتل أحمديل بن وهسوذان﴾ فى هذه السنة أول المحرم حضر أتابك طغتكين صاحب دمشق دار السلطان محمد ببغداد وحضر جماعة الأمراء ومعهم أحمديل بن إبراهيم بن وهسوذان الروادى الكردى صاحب مراغة وغيرها من أذربيجان وهو جالس إلى جانب طغتكين فأتاه رجل متظلم وبيده رقعة وهو يبكى ويسأله أن يوصلها إلى السلطان فأخذها من يده فضربه الرجل بسكين فجذبه أحمديل وتركه تحته فوثب رفيق للباطنى وضرب أحمديل سكينا أخرى فأخذتهما السيوف وأقبل رفيق لهما وضرب أحمديل ضربة أخرى فعجب الناس من إقدامه بعد قتل صاحبيه وظن طغتكين والحاضرون أن طغتكين كان المقصود بالقتل وأنه بأمر السلطان فلما علموا أنهم باطنية زال هذا الوهم.

﴿ذكر وفاة جاولى سقاووا وحال بلاد فارس معه﴾ فى هذه السنة توفى جاولى سقاوو وكان السلطان ببغداد عازما على المقام بها فاضطر إلى المسير إلى أصبهان ليكون قريبا من فارس لئلا تختلف عليه وقد ذكرنا حال جاولى بالموصل إلى أن ملكت منه وأخذها السلطان فلما قصد السلطان ورضى عنه أقطعه بلاد فارس فسار جاولى إليها ومعه ولد السلطان جغرى وهو طفل له من العمر سنتان وأمره بإصلاحها وقمع المفسدين بها فسار إليها فأول ما اعتمده فيها أنه لما توسط بلاد الأمير بلدجى وهو من كبار مماليك السلطان ملكشاه ومن جملة بلاده كليل وسرماه وكان متمكنا بتلك البلاد راسله جاولى ليحضر خدمة جغرى ولد السلطان وعلم جغرى أن يقول بالفارسية خذوه فلما دخل بلدجى قال جغرى على عادته خذوه فأخذ وقتل ونهبت أمواله وكان لبلدجى من جملة حصونه قلعة اصطخر وهى من أمنع القلاع وأحصنها وكان بها أهله وذخائره وقد استناب فى حفظها وزيرا له يعرف بالجهرمى فعصى عليه وأخرج اليه أهله وبعض المال ولم تزل فى يد الجهرمى حتى وصل جاولى إلى فارس فأخذها منه وجعل فيها أمواله وكان بفارس جماعة من أمراء الشوانكارة وهم خلق كثير لا يحصون ومقدمهم الحسن بن المبارز المعروف بخسرو وله فسا وغيرها فراسله جاولى ليحضر خدمة جغرى فأجاب إننى عبد السلطان وفى طاعته فأما الحضور فلا سبيل إليه لأننى قد عرفت عادتك مع بلدجى وغيره ولكننى أحمل إلى السلطان ما يؤثره فلما سمع جاولى جوابه علم أنه لا مقام له بفارس معه فأظهر العود إلى السلطان وحمل أثقاله على الدواب وسار كأنه يطلب السلطان ورجع الرسول إلى خسرو فأخبره فاغتر وقعد للشرب وأمن وأما جاولى فإنه عاد من الطريق إلى خسر وجريدة فى نفر يسير فوصل اليه وهو مخمور نائم فكبسه فأنبهه أخوه فضلوه فلم يستيقظ فصب عليه الماء البارد فأفاق وركب من وقته وانهزم وتفرق أصحابه ونهب جاولى ثقله وأمواله وأكثر القتل فى أصحابه ونجا خسرو إلى حصنه وهو بين جبلين يقال لأحدهما انج وسار جاولى إلى مدينة فسا فتسلمها ونهب كثيرا من بلاد فارس منهم جهرم وسار إلى خسرو وحصره مدة وضيق عليه فرأى من امتناع حصنه وقوته وكثرة ذخائره ما علم أن المدة تطول عليه فصالحه ليشتغل بباقى بلاد فارس ورحل عنه إلى شيراز فأقام بها ثم توجه إلى كازرون فملكها وحصر أبا سعد محمد بن بما فى قلعته وأقام عليها سنتين صيفا وشتاء فراسله جاولى فى الصلح فقتل الرسول فأرسل إليه قوما من الصوفية فأطعمهم الهريسة والقطائف ثم أمر بهم فخيطت أدبارهم وألقوا فى الشمس فهلكوا ثم تقدما عند ابى سعد فطلب الأمان فأمنه

وتسلم الحصر ثم إن جاولى أساء معاملته فهرب فقبض على أولاده وبث الرجال فى أثره فرأى بعضهم زنجيا يحمل شيأ فقال مامعك فقال زادى ففتشه فرأى دجاجا وحلواء السكر فقال ماهذا من طعامك فضربه فأقر على أبى سعد وأنه يحمل ذلك إليه فقصدوه وهو فى شعب جبل فأخذه الجندى وحمله إلى جاولى فقتله وسار إلى دارا بجرد وصاحبها اسمه إبراهيم فهرب صاحبها منه إلى كرمان خوفا منه وكان بينه وبين صاحب كرمان صهر وهو أرسلانشاه بن كرمانشاه بن أرسلان بك بن فاورت فقال له لو تعاضدنا لم يقدر علينا جاولى وطلب منه النجدة وسار جاولى بعد هربه منه إلى حصار رتيل رنته يعنى مضيق رنته وهو موضع لم يؤخذ قهرا قط لأنه واد نحو فرسخين وفى صدره قلعة منيعة على جبل عال وأهل دار أبجرد يتحصنون به إذا خافوا فأقاموا به وحفظوا أعلاه فلما رأى جاولى حصانته سار يطلب البرية نحو كرمان كأنما أمره ثم رجع من طريق كرمان إلى دار أبجرد مظهرا أنه من عسكر الملك أرسلانشاه صاحب كرمان فلم يشك أهل الحصن أنهم مددلهم مع صاحبهم فأظهروا السرور وأذنوا له فى دخول المضيق فلما دخله وضع السيف فيمن هناك فلم ينج غير القليل ونهب أموال أهل دار ابجرد وعاد إلى مكانه وراسل خسرو يعلمه أنه عازم على التوجه إلى كرمان ويدعوه إليه فلم يجد بدا من موافقته فنزل إليه طائعا وسار معه إلى كرمان وأرسل إلى صاحبها القاضى أبا طاهر عبدالله بن طاهر قاضى شيراز يأمره باعادة الشوانكارة لأنهم رعية السلطان ويقول إنه متى أعادهم عاد عن قصد بلاده وإلا قصده فأعاد صاحب كرمان جواب الرسالة يتضمن الشفاعة فيهم حيث استجاروا به ولما وصل الرسول إلى جاولى أحسن إليه وأجزل له العطاء وأفسده على صاحبه وجعله عينا له عليه وقرر معه إعادة عسكر كرمان ليدخل البلاد وهم غارون فلما عاد الرسول وبلغ السيرجان وبها عساكر صاحب كرمان ووزيره مقدم الجيش أعلم الوزير ماعليه جاولى من المقاربة وأنه يفارق ما كرهوه وأكثر من هذا النوع وقال لكنه مستوحش من اجتماع العساكر بالسيرجان وأن أعداء جاولى طمعوا فيه بهذا العسكر والرأى أن تعاد العساكر إلى بلادها فعاد الوزير والعساكر وخلت السيرجان وسار جاولى فى أثر الرسول فنزل بفرج وهى الحد بين فارس وكرمان فحاصرها فلما بلغ ذلك ملك كرمان أحضر الرسول وأنكر عليه إعادة العسكر فاعتذر إليه وكان مع الرسول فراش لجاولى ليعود إليه بالأخبار فارتاب به الوزير فعاقبه فأقر على الرسول فصلب ونهبت أمواله وصلب الفراش وندب العساكر إلى المسير إلى جاولى فساروا فى ستة آلاف فارس وكانت الولاية التى هى الحد بين فارس وكرمان بيد إنسان يسمى موسى وكان ذا رأى ومكر فاجتمع بالعسكر وأشار عليهم بترك الجادة المسلوكة وقال إن جاولى محتاط بها وسلك بهم طريقا غير مسلوكة بين جبال ومضايق وكان جاولى يحاصر فرج وقد ضيق على من بها وهو يدمن الشرب فسير أميرا فى طائفة من عسكره ليلقى العسكر المنفذ من كرمان فسار الأمير فلم ير أحدا فظن أنهم قد عادوا فرجع إلى جاولى وقال إن العسكر كان قليلا فعاد خوفا منا فاطمأن حينئذ جاولى وأدمن شرب الخمر ووصل عسكر كرمان إليه ليلا وهو سكران نائم فأيقظه بعض أصحابه وأخبره فقطع لسانه فأتاه غيره وأيقظه وعرفه الحال فاستيقظ وركب وانهزم وقد تفرق عسكره منهزمين فقتل منهم وأسر كثير وأدركه خسرو وابن أبى سعد الذى قتل جاولى أباه فسار امعه فى أصحابهما فالتفت فلم ير معه أحدا من أصحابه الأتراك فخاف على نفسه منهم فقالا له إنا لا نغدر بك ولن ترى منا إلا الخير والسلامة وسارا معه حتى وصل إلى مدينة فسا واتصل به المنهزمون من أصحابه وأطلق صاحب كرمان الأسرى وجهزهم وكانت

Marfat.com

Marfat.com

هـذه الوقعة فى شوال سنة ثمـان وخمسمائة وبينما جاولى يدبر الأمر ليعاود كرمان ويأخذ بثاره توفى الملك جغرى ابن السلطان محمد وعمره خمس سنين وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة تسع وخمسمائة ففت ذلك فى عضده فأرسل ملك كرمان رسولا إلى السلطان وهو ببغداد يطلب منه منع جاولى عنه فأجابه السلطان إنه لابد من إرضاء جاولى وتسليم فرج إليه فعاد الرسول فى ربيع الأول سنة عشر وخمسمائة فتوفى جاولى فأمنوا ما كانوا يخافونه فلما سمع السلطان سار عن بغداد إلى أصبهان خوفا على فارس من صاحب كرمان .

﴿ ذكر فتح جبل وسلات وتونس ﴾ فى هـذه السنة حصر عسكر على بن يحيى صاحب أفريقية مدينة تونس وبها أحمد بن خراسان وضيق على من بها فصالحه صاحبها على ما أراد . وفيها فتح أيضا جبل وسلات بأفريقية واستولى عليه وهو جبل منيع ولم يزل أهله طول الدهر يفتكون بالناس ويقطعون الطريق فلما استمر ذلك منهم سير إليهم جيشا فكان أهل الجبل ينزلون إلى الجيش ويقاتلون أشد قتال فعمل قائد الجيش الحيلة فى الصعود إلى الجبل من شعب لم يكن أحد يظن أنه يصعد منه فلما صار فى أعلاه فى طائفة من أصحابه ثار إليه أهل الجبل فصبر لهم وقاتلهم فيمن معه أشد قتال وتتابع الجيش فى الصعود إليه فانهزم أهل الجبل وكثر القتل فيهم ومنهم من رمى نفسه فتكسر ومنهم من أفلت واحتمى جماعة كثيرة بقصر فى الجبل فلما أحاط بهم الجيش طلبوا أن يرسل إليهم من يصلح حالهم فأرسل إليهم جماعة من العرب والجند فثار بهم أولئك بالسلاح فقتلوا بعضهم وطلع الباقون إلى أعلى القصر ونادوا أصحابهم من الجيش فأتوهم وقاتلوهم بعضهم من أعلى القصر وبعضهم من أسفله فألقى من فيه من أهل الجبل أيديهم فقتلوا كلهم .

﴿ ذكر الفتنة بطوس ﴾ فى هذه السنة فى عاشوراء كانت فتنة عظيمة بطوس فى مشهد علىّ بن موسى الرضا عليه السلام وسببها أن علويا خاصم فى المشهد يوم عاشوراء بعض فقهاء طوس فأدى ذلك إلى مضاربة وانقطعت الفتنة ثم استعان كل منهما بحزبه فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طوس وأحاطوا بالمشهد وخربوه وقتلوا من وجدوا فقتل بينهم جماعة ونهبت أموال جمة وافترقوا وترك أهل المشهد الخطبة أيام الجمعات فيه فبنى عليه عضد الدين فرامرز بن على سورا منيعا يحتمى به من المشهد على من يريده بسوء وكان بناؤه سنة خمس عشرة وخمسمائة .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة وقعت النار فى الحظائر للمدرسة النظامية ببغداد فاحترقت الأخشاب التى بها واتصل الحريق إلى درب السلسلة وتطاير الشرر إلى باب المراتب فاحترقت منه عدة دور واحترقت خزانة كتب النظامية وسلمت الكتب لأن الفقهاء لما أحسوا بالنار نقلوها . وفيها توفى عبدالله بن يحيى بن محمد ابن جهلول أبو محمد الأندلسى السرقسطى وكان فقيها فاضلا ورد نحو العراق سنة خمسمائة وسار إلى خراسان فسكن مرو الروذ فمات بها وله شعر حسن فمنه :

ومهفهف يختال فى أبراده * مرح القضيب اللدن تحت البارح
أبصرت فى مرآة فكرى خده * فحكيت فعل جفونه بجوارحى
ما كنت أحسب أن فعل توهمى * يقوى تعديه فيجرح جارحى
لاغرو إن جرح التوهم خده * فالسحر يعمل فى البعيد النازح

وفيها فى شعبان توفى أبو القاسم على بن محمد بن أحمد بن بيان الرزاز ومولده فى صفر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

وهو آخر من حدث عن أبى الحسن بن مخلد وأبى القاسم بن بشران . وفيها توفى أبو بكر محمد بن منصور بن محمد ابن عبد الجبار السمعانى رئيس الشافعية بمرو ومولده سنة ست وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث الكثير وصنف وله فيه أمال حسنة وتكلم على الحديث فأحسن ماشاء. وفيها توفى محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذانى أبو الخطاب الفقيه الحنبلى ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وتفقه على أبى يعلى بن الفراء[1]

﴿ ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسمائة ﴾

﴿ذكر وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود﴾ فى هذه السنة فى الرابع والعشرين من ذى الحجة توفى السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان وكان ابتداء مرضه فى شعبان وانقطع عن الركوب وتزايد مرضه ودام وأرجف عليه بالموت فلما كان يوم عيد النحر حضر السلطان وحضر ولده السلطان محمود على السماط فنهبه الناس ثم أذن لهم فدخلوا إلى السلطان محمد وقد تكلف القعود لهم وبين يديه سماط كبير فأكلوا وخرجوا فلما انتصف ذو الحجة أيس من نفسه فأحضر ولده محمودا وقبله وبكى كل واحد منهما وأمره أن يخرج ويجلس على تخت السلطنة وينظر فى أمور الناس وعمره إذ ذاك قد زاد على أربع عشرة سنة فقال لوالده إنه يوم غير مبارك يعنى من طريق النجوم فقال صدقت ولكن على أبيك وأما علمك فمبارك بالسلطنة فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين وفى يوم الخميس الرابع والعشرين أحضر الأمراء وأعلموا بوفاته وقرئت وصيته إلى ولده محمود بأمره بالعدل والإحسان . وفى الجمعة الخامس والعشرين منه خطب لمحمود بالسلطنة وكان مولد السلطان محمد ثامن عشر شعبان من سنة أربع وسبعين وأربعمائة وكان عمره سبعا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وستة أيام وأول ما دعى له بالسلطنة ببغداد فى ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين وقطعت خطبته عدة دفعات على ماذكرناه ولقى من المشاق والأخطار ما لاحد عليه فلما توفى أخوه بركيارق صفت له السلطنة وعظمت هيبته وكثرت جيوشه وأمواله وكان اجتمع الناس عليه اثنتى عشرة سنة وستة أشهر .

﴿ذكر بعض سيرته﴾ كان عادلا حسن السيرة شجاعا فمن عدله أنه اشترى مماليك من بعض التجار وأحالهم بالثمن على عامل خوزستان فأعطاهم البعض ومطل بالباقى فحضروا مجلس الحكم وأخذوا معهم غلمان القاضى فلما رآهم السلطان قال لحاجبه انظر ماحال هؤلاء فسألهم عن حالهم فقالوا لنا خصم يحضر معنا مجلس الحكم فقال من هو ؟ قالوا السلطان . وذكروا قصتهم فأعلمه ذلك فاشتد عليه وأكره وأمر بإحضار العامل وأمره بإيصال أموالهم والجعل الثقيل ونكل به حتى يمتنع غيره عن مثل فعله ثم إنه كان يقول بعد ذلك لقد ندمت ندما عظيما حيث لم أحضر معهم مجلس الحكم فيفتدى بى غيرى ولا يمتنع أحد عن الحضور فيه وأداء الحق ومن عدله أنه كان له خازن يعرف بأبى أحمد القزوينى قتله الباطنية فلما قتل أمر بعرض الخزانة فعرض عليه فيها درج

---

(١) وفيها توفى عقيل بن الإمام أبى الوفا على بن عقيل الحنبلى ، كان شابا قد برع وحفظ القرآن وكتب وفهم المعانى جيدا ، ولما توفى صبر أبوه وشكر وأظهر التجلد ، فقرأ قارىء فى العزاء (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا) الآية ، فبكى ابن عقيل بكاء شديداً . وفيها توفى محمد بن أحمد بن طاهر بن أحمد بن منصور الخازن ، فقيه الإمامية ومفتيهم بالكرخ ، وقد سمع الحديث من التنوخى وابن غيلان ، توفى فى رمضان منها . وفيها توفى محمد بن على بن محمد أبو بكر النسوى ، الفقيه الشافعى ، سمع الحديث ، وكانت إليه تزكية الشهود ببغداد ، وكان فاضلا أديباً ورعا .

Marfat.com

Marfat.com

فيه جوهر كثير نفيس فقال إن هذا الجوهر عرضه على منذ أيام وهو فى ملك أصحابه وسلمه إلى خادم ليحفظه وينظر من أصحابه ليسلم إليهم فسأل عنهم وكانوا تجاراً غرباء وقد تيقنوا ذهابه وأيسوا منه فسكتوا فأحضرهم وسلمه إليهم ومن عدله أنه أطلق المكوس والضرائب فى جميع البلاد ولم يعرف منه فعل قبيح وعلم الأمراء سيرته فلم يقدم أحد منهم على الظلم وكفوا عنه ومن محاسن أعماله مافعله مع الباطنية على ما نذكره .

﴿ ذكر حال الباطنية أيام السلطان محمد ﴾ قد تقدم ذكر مااعتمده من حصر قلاعهم ونحن نذكر ههنا زيادة اهتمامه بأمرهم فإنه رحمه الله تعالى لما علم أن مصالح البلاد والعباد منوطة بمحو آثارهم وإخراب ديارهم وملك حصونهم وقلاعهم جعل قصدهم دأبه وكان فى أيامه المقدم عليهم والقيم بأمرهم الحسن بن الصباح الرازى صاحب قلعة ألموت وكانت أيامه قد طالت وله منذ ملك قلعة ألموت مايقارب ستا وعشرين سنة وكان المجاورون له فى أقبح صورة من كثرة غزواته عليهم وقتله وأسره رجالهم وسبى نسائهم فسير إليه السلطان العساكر على ماذكرناه فعادت من غير بلوغ غرض فلما أعضل داؤه ندب لقتاله الأمير أنوشتكين شيركير صاحب آية وساوة وغيرهما فملك منهم عدة قلاع منها قلعة كلام ملكها فى جمادى الأولى سنة خمس وخمسمائة وكان مقدمها يعرف بعلى بن موسى فأمنه ومن معه وسيرهم إلى ألموت وملك منهم أيضا قلعة بيرة وهى على سبعة فراسخ من قزوين وأمنهم وسيرهم إلى ألموت أيضا وسار إلى قلعة الموت فيمن معه من العساكر وأمده السلطان بعدة من الأمراء فحصرهم وكان هو من بينهم صاحب القريحة والبصيرة فى قتالهم مع جودة رأى وشجاعة فبنى عليها مساكن يسكنها هو ومن معه وعين لكل طائفة من الأمراء أشهرا يقيمونها فكانوا ينيبون ويحضرون وهو ملازم الحصار وكان السلطان ينقل إليه الميرة والذخائر والرجال فضاق الأمر على الباطنية وعدمت عندهم الأقوات وغيرها فلما اشتد عليهم الأمر نزلوا نساءهم وأبناءهم مستأمنين ويسألون أن يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق ويؤمنوا فلم يجابوا إلى ذلك وأعادهم إلى القلعة قصدا ليموت الجميع جوعا وكان ابن الصباح يجرى لكل رجل منهم فى اليوم رغيفا وثلاث جوزات فلما بلغ بهم الأمر إلى الحد الذى لامزيد عليه بلغهم موت السلطان محمد فقويت نفوسهم وطابت قلوبهم ووصل الخبر إلى العسكر المحاصر لهم بعدهم بيوم ولزموا على الرحيل فقال شيركير إن رحلنا عنهم وشاع الأمر نزلوا إلينا وأخذوا ماأعددناه من الأقوات والذخائر والرأى أن نقيم على قلعتهم حتى نفتحها وإن لم يكن المقام فلا بد من مقام ثلاثة أيام حتى ينفد منا ثقلنا وما أعددناه ونحرق مانعجز عن حمله لئلا يأخذه العدو فلما سمعوا قوله علموا صدقه فتعاهدوا على الاتفاق والاجتماع فلما أمسوا رحلوا من غير مشاورة ولم يبق غير شيركير ونزل إليه الباطنية من القلعة فدافعهم وقاتلهم وحمى من تخلف من سوقة العسكر وأتباعه ولحق بالعسكر فلما فارق القلعة غنم الباطنية ماتخلف عندهم .

﴿ ذكر حصار قابس والمهدية ﴾ فى هذه السنة جهز على بن يحيى صاحب أفريقية أسطولا فى البحر إلى مدينة قابس وحصرها وسبب ذلك أن صاحبها رافع بن مكن الدهمانى أنشأ مركبا بساحلها ليحمل التجار فى البحر وكان ذلك آخر أيام الأمير يحيى فلم ينكر يحيى ذلك جريا على عادته فى المداراة فلما ولى على الأمر بعد أبيه أنف من ذلك وقال لايكون لأحد من أهل أفريقية أن يناوينى فى إجراء المركب فى البحر بالتجار فلما خاف رافع أن يمنعه على التجأ إلى اللعين رجار ملك الفرنج بصقلية واعتضد به فوعده رجار أن ينصره ويعينه على أجراء مركبه فى البحر وأنفذ فى الحال أسطولا إلى قابس فاجتازوا بالمهدية فحينئذ تحقق على اتفاقهما وكان يكذبه فلما جاز أسطول

Marfat.com

رجار بالمهدية أخرج على أسطوله فى أثره فتوافى الجميع إلى قابس فلما رأى صاحبها أسطول الفرنج والمسلمين لم يخرج مركبه فعاد أسطول الفرنج وبقى أسطول على يحصر رافعا بقابس مضيقا عليها ثم عادوا إلى المهدية وتمادى رافع فى المخالفة لعلى وجمع قبائل العرب وسار بهم حتى نزل على المهدية محاصرا لها وخادع عليا وقال إنى إنما جئت للدخول فى الطاعة وطلب من يسعى فى الصلح وأفعاله تكذب أقواله فلم يجبه عن ذلك بحرف وأخرج العساكر وحملوا على رافع ومن معه حملة منكرة فألحقوهم بالبيوت ووصل العسكر إلى البيوت فلما رأى ذلك النساء صحن وولولن فغارت العرب وعاودت القتال واشتد حينئذ الأمر إلى المغرب ثم افترقوا وقد قتل من عسكر رافع بشر كثير ولم يقتل من جند على غير رجل واحد من الرجالة ثم خرج عسكر على مرة أخرى فاقتتلوا أشد من القتال الأول كان الظهور فيه لعسكر على فلما رأى رافع أنه لاطاقة له بهم رحل عن المهدية ليلا إلى القيروان فمنعه أهلها من دخولها فقاتلهم أياما قلائل ثم دخلها فأرسل على اليه عسكرا من المهدية فحصروه فيها إلى أن خرج عنها وعاد إلى قابس ثم إن جماعة من أعيان أفريقية من العرب وغيرهم سألوا عليا فى الصلح فامتنع ثم أجاب إلى ذلك وتعاهد عليه .

﴿ذكر الوحشة بين رجار والأمير على﴾ كان رجار صاحب صقلية بينه وبين الأمير على صاحب أفريقية مودة وكيدة إلى أن أعان رافعا كما تقدم قبل فاستوحش كل منهما من صاحبه ثم بعد ذلك خاطبه رجار بما لم تجر عادتهم به فتأكدت الوحشة فأرسل رجار رسالة فيها خشونة فاحتز على منه وأمر بتجديد الأسطول وأعداد الأهبة للقاء العدو وكاتب المرابطين بمراكش فى الاجتماع معه على الدخول إلى صقلية فكف رجار عما كان يعتمده .

﴿ذكر قتل صاحب حلب واستيلاء أيلغازى عليها﴾ فى هذه السنة قتل لؤلؤ الخادم وكان قد استولى على قلعة حلب وأعمالها بعد وفاة الملك رضوان وولى أتابكية ولده ألب أرسلان فلما مات أقام بعده فى الملك سلطانشاه بن رضوان وحكم فى دولته أكثر من حكمه فى دولة أخيه فلما كان هذه السنة سار منها إلى قلعة جعبر ليجتمع بالأمير سالم بن مالك صاحبها فلما كان عند قلعة نادر نزل يريق الماء فقصده جماعة من أصحابه الأتراك وصاحوا أرنب أرنب وأوهموا أنهم يتصيدون ورموه بالنشاب فقتل فلما هلك نهبوا خزانته فخرج إليهم أهل حلب فاستعادوا ماأخذوه وولى أتابكية سلطانشاه بن رضوان شمس الخواص ياروقتاش فبقى شهرا وعزلوه وولى بعده أبو المعالى بن الملحى الدمشقى ثم عزلوه وصادروه وقيل كان سبب قتل لؤلؤ أنه أراد قتل سلطانشاه كما قتل أخاه ألب أرسلان قبله ففطن به أصحاب سلطانشاه فقتلوه وقيل كان قتله سنة عشر وخمسمائة والله أعلم ثم إن أهل حلب خافوا من الفرنج فسلموا البلد إلى نجم الدين أيلغازى فلما تسلمه لم يجد فيه مالا ولا ذخيرة لأن الخادم كان قد فرق الجميع وكان الملك رضوان قد جمع فأكثر فرزقه الله غير أولاده فلما رأى أيلغازى خلو البلد من الأموال صادر جماعة من الخدم بمال صانع به الفرنج وهادنهم مدة يسيرة تكون بمقدار مسيره إلى ماردين وجمع العساكر والعود فلما تمت الهدنة سار إلى ماردين على هذا العزم واستخلف بحلب ابنه حسام الدين تمرتاش .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى رابع عشر صفر انخسف القمر انخسافا كليا . وفى هذه الليلة هجم الفرنج على ربض حماة من الشام وقتلوا من أهلها مايزيد على مائة رجل وعادوا . وفيها فى يوم عرفة كانت زلزلة

Marfat.com

بالعراق والجزيرة وكثير من البلاد وخربت ببغداد دور كثيرة بالجانب الغربى . وفيها مات أحمد العربى ببغداد وكان من عباد الله الصالحين له كرامات وقبره يزار بها ؛ وفى هذه السنة فى شوال توفى أبو على محمد بن سعد بن ابراهيم بن نبهان الكاتب وعمره مائة سنة ، وكان عالى الإسناد روى عن أبى على بن شاذان وغيره والحسن ابن أحمد بن جعفر أبو عبدالله الشقاق الفرضى الحاسب وكان واحد عصره فى علم الفرائض والحساب وسمع الحديث من أبى الحسين بن المهتدى وغيره . وفيها مات الكزايكس ملك القسطنطينية وملك بعده ابنه يوحنا وسلك سيرته وفيها مات دوقس أنطاكية وكفى الله شره [1]

﴿ ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ﴾

﴿ذكر مافعله السلطان محمود بالعراق وولاية البرسقى شحنكية ببغداد﴾ لما توفى السلطان محمد وملك بعده ابنه محمود ودبر دولته الوزير الربيب أبو منصور أرسل إلى الخليفة المستظهر بالله يطلب أن يخطب له ببغداد فخطب له فى الجمعة ثالث عشر المحرم وكان شحنة بغداد بهروز ثم إن الأمير دبيس بن صدقة كان عند السلطان محمد مذ قتل والده على ماذكرناه فأحسن إليه وأقطعه أقطاعا كثيراً فلما توفى السلطان محمد خاطب السلطان محموداً فى العود إلى بلده الحلة فأذن له فى ذلك فعاد إليها فاجتمع عليه خلق كثير من العرب والأكراد وغيرهم وكان آقسنقر البرسقى مقيما بالرحبة وهى أقطاعه وليس بيده من الولايات شىء فاستخلف عليها ابنه عزالدين مسعودا وسار إلى السلطان محمد قبل موته عازما على مخاطبته فى زيادة أقطاعه فبلغه وفاة السلطان محمد قبل وصوله إلى بغداد وسمع مجاهد الدين بهروز بقربه من بغداد فأرسل إليه يمنعه من دخولها فسار إلى السلطان محمود فلقيه توقيع السلطان بولاية شحنكية بغداد وهو بحلوان وعزل بهروز وكان الأمراء عند السلطان يريدون البرسقى ويتعصبون له ويكرهون مجاهد الدين بهروز يحسدونه لقربه كان عند السلطان محمد وخافوا أن يزداد تقدما عند السلطان محمود وحكما فلما تولى البرسقى شحنكية بغداد هرب بهروز إلى تكريت وكانت له ثم إن السلطان ولى شحنكية بغداد الأمير منكوبرس وهو من أكابر الأمراء وقد حكم فى دولة السلطان محمود

---

(١) وفيها توفى القاضى المرتضى أبو محمد عبدالله بن القاسم بن المظفر بن على بن القاسم الشهرزورى ، والد القاضى جمال الدين عبدالله الشهرزورى ، قاضى دمشق فى أيام نورالدين ، اشتغل ببغداد وتفقه بها ، وكان شافعى المذهب ، بارعا دينا ، حسن النظم ، وله قصيدة فى علم التصوف ، وكان يتكلم على القلوب ، أورد قصيدته بتمامها ابن خلكان لحسنها وفصاحتها ، وأولها :

لمعت نارهم وقد عسعس الليـ * ـل ومل الحادى وحار الدليل
فتأملتها وفكرى من البيـ * ـن عليل ولحظ عينى كليل
وفؤادى ذاك الفؤاد المعنى * وغرامى ذاك الغرام الدخيل

وله ياليل ما جئتكم زائراً * إلا وجدت الأرض تطوى لى
ولا ثنيت العزم عن بابكم * إلا تعثرت بأذيالى

وله يا قلب إلى متى لايفيد النصح * دع مزحكم جنى عليك المزح
ما جارحة منك غذاها جرح * ما تشعر بالخمار حتى تصحو

قال ابن خلكان : وزعم عماد الدين فى الخريدة أنه توفى بعد العشرين وخمسمائة فالله أعلم .

Marfat.com

فلما أعطى الشحنكية سير إليها ربيبه الأمير حسين بن أزبك أحد الأمراء الأتراك وهو صاحب أسداباذ لينوب عنه ببغداد والعراق وفارق السلطان من باب همذان واتصل به جماعة الأمراء البكجية وغيرهم فلما سمع البرسقى خاطب الخليفة المستظهر بالله ليأمره بالتوقف إلى أن يكاتب السلطان ويفعل ما يرد به الأمر عليه فأرسل إليه الخليفة فأجاب أن يرسم الخليفة بالعود عدت وإلا فلا بدّ من دخول بغداد فجمع البرسقى أصحابه وسار إليه فالتقوا واقتتلوا فقتل أخ حسين وانهزم هو ومن معه وعادوا إلى عسكر السلطان فكان ذلك فى شهر ربيع الأول قبل وفاة المستظهر بالله بأيام .

﴿ ذكر وفاة المستظهر بالله ﴾ فى هذه السنة سادس عشر شهر ربيع الآخر توفى المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله وكان مرضه النراقى وكان عمره إحدى وأربعين سنة وستة أشهر وستة أيام وخلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما ووزر له عميد الدولة أبو منصور بن جهير وسديد الملك أبو المعالى المفضل بن عبد الرزاق الأصبهانى وزعيم الرؤساء أبو القاسم بن جهير ومجد الدين أبو المعالى هبة الله ابن المطلب ونظام الدين أبو منصور الحسين بن محمد وناب عن الوزارة أمين الدولة أبو سعد بن الموصلايا وقاضى القضاة أبو الحسن على بن الدامغانى ومضى فى أيامه ثلاثة سلاطين خطب لهم بالحضرة وهم ناج الدولة تتش بن ألب أرسلان والسلطان بركيارق ومحمد ابنا ملكشاه ومن غريب الاتفاق أنه لما توفى السلطان ألب أرسلان توفى بعده القائم بأمر الله ولما توفى السلطان ملكشاه توفى بعده المقتدى بأمر الله ولما توفى السلطان محمد توفى بعده المستظهر بالله .

﴿ ذكر بعض أخلاقه وسيرته ﴾ كان رضى الله عنه لين الجانب كريم الأخلاق يحب اصطناع الناس ويفعل الخير ويسارع إلى أعمال البر والمثوبات مشكور المساعى لا يرد مكرمة تطلب منه . وكان كثير الوثوق بمن يوليه غير مصغ إلى سعاية ساع ولا ملتفت إلى قوله ولم يعرف منه تلون وانحلال عزم بأقوال أصحاب الأعراض وكانت أيامه أيام سرور الرعيه فكأنها من حسنها أعياد ، وكان إذا بلغه ذلك فرح به وسره وإذا تعرض سلطان أو نائب له إلى أذى أحد بالغ فى إنكار ذلك والزجر عنه وكان حسن الخط جيد التوقيعات لا يقارب فيها أحد يدل على فضل غزير علم واسع . ولما توفى صلى عليه ابنه المسترشد بالله وكبر أربعا ودفن فى حجرة له كان يألفها ومن شعره قوله :

أذاب حر الهوى فى القلب ما جمدا ٭ لما مددت إلى رسم الوداع يدا
وكيف أسلك نهج الاصطبار وقد ٭ أرى طرائق فى مهوى الهوى قددا
قد خلف الوعد بدر قد شغفت به ٭ من بعد ما قد وفى دهرى بما وعدا
إن كنت أنقض عهد الحب فى خلدى ٭ من بعد هذا فلا عاينته أبدا

﴿ ذكر خلافة الإمام المسترشد بالله ﴾ لما توفى المستظهر بالله بويع ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل ابن أبى العباس أحمد بن المستظهر بالله ، وكان ولى عهد قد خطب له ثلاثا وعشرين سنة فبايعه أخواه ابنا المستظهر بالله وهما أبو عبد الله محمد وأبو طالب العباس وعمومته بنو المقتدى بأمر الله وغيرهم من الأمراء والقضاة والأئمة والأعيان وكان المتولى لأخذ البيعة القاضى أبو الحسن الدامغانى وكان نائبا عن الوزارة فأقره المسترشد بالله عليها ولم يأخذ البيعة قاض غير هذا وأحمد بن أبى دواد فإنه أخذها للواثق بالله والقاضى أبو على

Marfat.com

اسمعيل بن إسحق أخذها المعتضد بالله ثم إن المسترشد عزل قاضى القضاة عن نيابة الوزارة واستوزر أباشجاع محمد بن الربيب أبى منصور وزير السلطان محمود وكان والده خطب فى معنى ولده حتى استوزر وقبض على صاحب المخزن أبى طاهر يوسف بن أحمد الحزى .

﴿ذكر هرب الأمير أبى الحسن أخى المسترشد وعوده﴾ لما اشتغل الناس ببيعة المسترشد بالله ركب أخوه الأمير أبو الحسن بن المستظهر بالله سفينة ومعه ثلاثة نفر وانحدر إلى المدائن وسار منها إلى دبيس بن صدقة بالحلة فأكرمه دبيس وعلم منه وفاة المستظهر بالله وأقام له الإقامات الكثيرة فلما علم المسترشد بالله خبره أهمه ذلك وأقلقه وأرسل إلى دبيس يطلب منه إعادته فأجاب بأنى عبد الخليفة ووافق عند أمره ومع هذا فقد استدمنى ودخل منزلى فلا أكرهه على أمر أبدا وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين على بن طراد الزينبى فقصد الأمير أبا الحسن وتحدث معه فى عوده وضمن له عن الخليفة كل مايريده فأجاب إلى العود وقال إنى لم أفارق أخى لشر أريده وإنما الخوف حملنى على مفارقته فإذا أمننى قصدته وتكفل دبيس بإصلاح الحال بنفسه والمسير معه إلى بغداد فعاد النقيب وأعلم الخليفة الحال فأجاب إلى ماطلب منه ثم حدث من أمر البرسقى ودبيس ومشكو برس ماذكرناه فتأخر الحال وأقام الأمير أبو الحسن عند دبيس إلى ثانى عشر صفر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، ثم سار عن الحلة إلى واسط وكثر جمعه وقوى الإرجاف بقوته وملك مدينة واسط وخيف جانبه فتقدم الخليفة المسترشد بالله بالخطبة لولى عهده ولده أبى جعفر المنصور وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنه فخطب له ثانى ربيع الآخر ببغداد وكتب إلى البلاد بالخطبة له وأرسل إلى دبيس بن مزيد فى معنى الأمير أبى الحسن وأنه الان قد فارق جواره ومد يده إلى بلاد الخليفة وما يتعلق به وأمره بقصده ومعاجلته قبل فوته فأرسل دبيس العساكر إليه ففارق واسط وقد تحير هو وأصحابه فضلوا الطريق ووصلت عساكر دبيس فصادفوهم عند الصلح فنهبوا أثقاله وهرب الأكراد من أصحابه والأتراك وعاد الباقون إلى دبيس وبقى الأمير أبو الحسن فى عشرة من أصحابه وهو عطشان وبينه وبين الماء خمسة فراسخ وكان الزمان قيظا فأيقن بالتلف وتبعه بدويان فأراد الهرب منهما فلم يقدر فأخذاه وقداشتد به العطش فسقياه وحملاه إلى دبيس فسيره إلى بغداد وحمله إلى الخليفة بعد أن بذل له عشرين ألف دينار فحمل إلى الدار العزيزة وكان بين خروجه عنها وعوده إليها أحد عشر شهراً ، ولما دخل على المسترشد بالله قبل قدمه وقبله المسترشد وبكيا وأنزله داراً حسنة كان هو يسكنها قبل أن يلى الخلافة وحمل إليه الخلع والتحف الكثيرة وطيب نفسه وأمنه

﴿ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك إلى العراق وما كان بينهما وبين البرسقى ودبيس﴾ فى هذه السنة فى جمادى الأولى برز البرسقى ونزل بأسفل الرقة فى عسكره ومن معه وأظهر أنه على قصد الحلة وإجلاء دبيس ابن صدقة عنها وجمع دبيس جموعا كثيرة من العرب والأكراد وفرق الأموال الكثيرة والسلاح وكان الملك مسعود بن السلطان محمد بالموصل مع أتابكه أى أبه جيوش بك فأشار عليهما جماعة ممن عندهما بقصد العراق فإنه لامانع دونه فسارا فى جيوش كثيرة ومع الملك مسعود وزيره فخر الملك أبو على بن عمار صاحب طرابلس وقسيم الدولة زنكى ابن آقسنقر جد ملوكنا الآن بالموصل وكان من الشجاعة فى الغاية ومعهم أيضا صاحب سنجار وأبو الهيجاء صاحب إربل وكرباوى بن خراسان التركمانى صاحب البوازيج فلما علم البرسقى قربهم خافهم وكان البرسقى قديما قد جعله السلطان محمد أتابك ولده مسعود على ماذكرناه وإنما كان خوفه من

Marfat.com

جيوش بك فلما قاربوا بغداد سار إليهم ليقاتلهم ويصدهم فلما علم مسعود وجيوش بك ذلك أرسلوا إليه الأمير كرباوى فى الصلح وأعلمه أنهم إنما جاؤا نجدة له على دبيس واصطلحوا وتعاهدوا واجتمعوا ووصل مسعود إلى بغداد ونزل بدار المملكة ووصلهم الخبر بوصول الأمير عماد الدين منكبرس المقدم ذكره فى جيش كثير فسار البرسقى عن بغداد نحوه ليحاربه ويمنعه عنها فلما علم به منكبرس قصد العمانية وعبر دجلة هناك واجتمع هو ودبيس بن صدقة وكان دبيس قد خاف من الملك مسعود والبرسقى فبنى أمره على المحاجزة والملاطفة فأهدى إلى مسعود هدية حسنة وللبرسقى وجيوش بك فلما وصله خبر وصول منكبرس راسله واستمالة واستحلفه واتفقا على التعاضد والتناصر واجتمعا وكل واحد منهما قوى بصاحبه ، فلما اجتمعا سار الملك مسعود والبرسقى وجيوش بك ومن معهم إلى المدائن للقاء دبيس ومنكبرس فلما وصلوا المدائن أتتهم الأخبار بكثرة الجمع معها فعاد البرسقى والملك مسعود وعبرا نهر صرصر وحفظا المخاضات عليه ونهب الطائفتان السواد نهبا ذاحشا نهر الملك ونهر صرصر ونهر عيسى وبعض دجيل واستباحوا النساء فأرسل المسترشد بالله إلى الملك مسعود والبرسقى ينكر هذه الحال ويأمرهم بحقن الدماء وترك الفساد ويأمر بالموادعة والمصالحة وكان الرسل سديد الدولة بن الأنبارى والإمام الأسعد الميهنى مدرس النظامية فأنكر البرسقى أن يكون جرى منهما شىء من ذلك وأجاب إلى العود إلى بغداد فوصل من أخبره أن منكبرس ودبيسا قد جهزا ثلاثة آلاف فارس مع منصور أخى دبيس والأمير حسين بن أزبك ربيب منكبرس وسيراه وعبر عند درزيجان ليقطعوا مخاضة عند ديالى إلى بغداد لخلوها من عسكر يحميها ويمنع عنها فعاد البرسقى إلى بغداد وعبر الجسر لئلا يخاف الناس ولم يعلموا الخبر وخلف ابنه عزالدين مسعوداً على عسكره بصرصر واستصحب معه عماد الدين زنكى بن آقسنقر فوصل إلى ديالى ومنع عسكر منكبرس من العبور فأقام يومين فأتاه كتاب ابنه عزالدين مسعود يخبره أن الصلح قد استقر بين الفريقين فانكسر نشاطه حيث جرى هذا الأمر ولم يعلم به وعاد نحو بغداد وعبر إلى الجانب الغربى وعبر منصور وحسين فسارا فى عسكرهما خلفه فوصلوا بغداد عند نصف الليل فنزلا عند جامع السلطان وسار البرسقى إلى الملك مسعود فأخذ بركه وماله وعاد إلى بغداد فخيم عند القنطرة العتيقة وأصعد الملك مسعود وجيوش بك فنزلا عند البيمارستان وأصعد دبيس ومنكبرس فخيما تحت الرقة وأقام عزالدين مسعود البرسقى عند منكبرس منفرداً عن أبيه وكان سبب هذا الصلح أن جيوش بك كان قد أرسل إلى السلطان محمود يطلب الزيادة له والملك مسعود فوصل كتاب الرسول من العسكر يذكر أنه لقى من السلطان إحسانا كثيراً وأنه أقطعهم أذربيجان فلما بلغه رحيلكم إلى بغداد اعتقد أنكم قد عصيتم عليه فعاد عما كان استقر ويقول إن السلطان قد جهز عسكر إلى الموصل فوقع الكتاب بيد منكبرس فأرسله إلى جيوش بك وضمن له إصلاح السلطان له والملك مسعود ، وكان منكبرس متزوجا بأم الملك مسعود واسمها سرجهان ، وكان يؤثر مصلحته لذلك واستقر الصلح وخافا من البرسقى أن يمنع منه فاتفقا على إرسال العسكر إلى درزيجان لينفذ فى مقابلته البرسقى ليخلو العسكر منه ويقع الاتفاق فكان الأمر فى مسيره على ما تقدم وكان البرسقى محبوبا إلى أهل بغداد لحسن سيرته فيهم فلما استقر الصلح ووصلوا إلى بغداد تفرق عن البرسقى أصحابه وجموعه وبطل ما كان يحدث به نفسه من التغلب على العراق بغير أمر السلطان وسار عن العراق إلى الملك مسعود فأقام معه واستقر منكبرس فى شحنكية بغداد وودعه دبيس بن صدقة وعاد إلى الحلة بعد أن طالب بدار أبيه بدرب فيروز ،

Marfat.com

وكانت قد دخلت فى جامع القصر ببغداد فصولح عنها بمال وأقام منكبرس ببغداد يظلم ويعسف الرعية ويصادرهم فاختفى أرباب الأموال وانتقل جماعة إلى حريم دار الخلافة خوفا منه وبطلت معايش الناس وأكثر أصحابه الفساد حتى أن بعض أهل بغداد زفت إليه امرأة تزوجها فعلم بعض أصحاب منكبرس فأتاه وكسر الباب وجرح الزوج عدة جراحات وابتنى بزوجته فكثر الدعاء ليلا ونهاراً واستغاث الناس لهذه الحال وأغلقوا الأسواق فأخذ الجندى إلى دار الخلافة فاعتقل أياما ثم أطلق وسمع السلطان بما يفعله منكبرس ببغداد فأرسل إليه يستدعيه ويحثه على اللحوق به وهو يغالط ويدافع ، وكلما طلبه السلطان لج فى جمع الأموال والمصادرات فلما علم أهل بغداد تغير السلطان عليه واستدعاءه إياه طمعوا فيه فسار حينئذ منكبرس عنهم خوفا أن يثوروا به وكفى الناس شره وظهر من كان مستتراً .

﴿ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين﴾ فى ذى الحجة من سنة إحدى عشرة وخمسمائة توفى بغدوين ملك القدس وكان قد سار إلى ديار مصر فى جمع الفرنج قاصداً ملكها والتغلب عليها وقوى طمعه فى الديار المصرية وبلغ مقابل تنيس وسبح فى النيل فانتقض جرح كان به فلما أحس بالموت عاد إلى القدس فمات ووصى ببلاده للقمص صاحب الرها وهو الذى كان أسره جكرمش وأطلقه جاولى سقاوو واتفق أن هذا القمص كان قد سار إلى القدس يزور بيعة قمامة فلما وصى إليه بالملك قبله واجتمع له القدس والرها ، وكان أتابك طغتكين قد سار عن دمشق لقتال الفرنج فنزل بين دير أيوب وكفر بصل باليرموك فخفيت عنه وفاة بغدوين حتى سمع الخبر بعد ثمانية عشر يوما وبينهم نحو يومين فأتته رسل ملك الفرنج بطلب المهادنة فاقترح عليه طغتكين ترك المناصفة التى بينهم من جبل عوف والحنانة والصلت والغور فلم يجب إلى ذلك وأظهر القوة فسار طغتكين إلى طبرية فنهبها وما حولها وسار منها نحو عسقلان وكانت للمصريين وبها عساكرهم كانوا قد سيروها لما عاد ملك القدس المتوفى عن مصر وكانوا سبعة آلاف فارس فاجتمع بهم طغتكين وأعلمه المقدم عليهم أن صاحبهم تقدم إليه بالوقوف عند رأى طغتكين والتصرف على ما يحكم به فأقاموا بعسقلان نحو شهرين ولم يؤثروا فى الفرنج أثراً فعاد طغتكين إلى دمشق فأتاه الصريخ بأن مائة وثلاثين فارسا من الفرنج أخذوا حصنا من أعماله يعرف بالحبس ويعرف بحصن جلدك سلمه إليهم المستحفظ به وقصدوا أذرعات فنهبوها فأرسل إليهم تاج الملوك بورى بن طغتكين فانحازوا عنه إلى جبل هناك فنازلهم فأتاه أبوه ونهاه عنهم فلم يفعل وطمع فيهم فلما أيس الفرنج قاتلوا قتال مستقتل فنزلوا من الجبل وحملوا على المسلمين حملة صادقة هزموهم بها وأسروا وقتلوا خلقا كثيراً وعاد الفل إلى دمشق على أسوأ حال فسار طغتكين إلى حلب وبها أيلغازى فاستنجده وطلب منه التعاضد على الفرنج فوعده المسير معه فبينما هو بحلب أتاه الخبر بأن الفرنج قصدوا حوران من أعمال دمشق فنهبوا وقتلوا وسبوا وعادوا فاتفق رأى طغتكين وأيلغازى على عود طغتكين إلى دمشق وحماية بلاده وعود أيلغازى إلى ماردين وجمع العساكر والاجتماع على حرب الفرنج فصالح أيلغازى من يليه من الفرنج على ما تقدم ذكره وعبر إلى ماردين لجمع العساكر وكان ما نذكره سنة ثلاث عشرة إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة انقطع الغيث وعدمت الغلات فى كثير من البلاد وكان أشده بالعراق فغلت الأسعار وأجلى أهل السواد وتقوت الناس بالنخالة وعظم الأمر على أهل بغداد بما كان يفعله منكبرس

Marfat.com

بهم . وفيها أسقط المسترشد بالله من الإقطاع المختص به كل جور وأمر أن لا يؤخذ إلا ماجرت به العادة القديمة وأطلق ضمان غزل الذهب وكان صناع السقلاطون والممزج وغيرهم ممن يعمل منه يلقون شدة من العمال عليها وأذى عظيما . وفيها تأخر مسيرا لحجاج تأخرا أرجف بسببه انقطاع الحج من العراق فرتب الخليفة الأمير نظر خادم أمير الجيوش يمن وولاه من أمر الحج ماكان يتولاه أمير الجيوش وأعطاه من المال مايحتاج إليه فى طريقه وسيره فأدركوا الحج وظهرت كفاية نظره وفيها وصل مركبان كبيران فيهما قوة ونجدة للفرنج بالشام فغرقا وكان الناس قد خافوا ممن فيهما . وفيها وصل رسول أيلغازى صاحب حلب وماردين إلى بغداد يستنفر على الفرنج ويذكر مافعلوا بالمسلمين فى الديار الجزرية وأنهم ملكوا قلعة عند الرها وقتلوا أميرها ابن عطير فسيرت الكتب بذلك إلى السلطان محمود . وفيها نقل المستظهر إلى الرصافة وجميع من كان مدفونا بدار الخلافة وفيهم جدة المسترشد أم المقتدى (١) وكان وفاتها بعد المستظهر ورأت البطن الرابع من أولادها وفيها كثر أمر العيارين بالجانب الغربى من بغداد فعبر إليهم نائب الشحنة فى خمسين غلاما أترا كا فقاتلهم فانهزم منهم ثم عبر إليهم من الغد فى مائتى غلام فلم يظفر بهم ونهب العيارون يومئذ قطفتا . وفى هذه السنة فى شعبان توفى أبو الفضل بكر بن محمد بن على بن الفضل الأنصارى من ولد جابر بن عبدالله وهو من بلد بخارا وكان من أعيان الفقهاء الحنفية حافظا للمذهب وتوفى أبو طالب الحسين بن محمد بن على بن الحسن الزينبى نقيب النقباء ببغداد فى صفر واستقال من النقابة فولبها أخوه طراد وكان من أكابر الحنفية وروى الحديث الكثير . وفيها فى ذى الحجة توفى أبو زكريا يحيى بن عبدالوهاب بن منده الأصبهانى المحدث المشهور من بيت الحديث وله فيه تصانيف حسنة . وفيها توفى أبو الفضل أحمد بن الحازن وكان أديبا ظريفا له شعر حسن فمنه قوله وقد قصد زيارة صديق له فلم يره فأدخله غلمانه إلى بستان فى الدار وحمام فقال فى ذلك :

وافيت منزله فلم أر صاحبا * إلا تلقانى بوجه ضاحك
والبشر فى وجه الغلام نتيجة * لمقدمات ضياء وجه المالك
ودخلت جنته وزرت جحيمه * فشكرت رضوانا ورأفة مالك

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر عصيان الملك طغرل على أخيه السلطان محمود ﴾ كان الملك طغرل بن محمد لما توفى والده بقلعة سرجهان وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة فى المحرم وأقطعه والده سنة أربع ساوة وآوة وزنجان وجعل أتابكه الأمير شيركير الذى تقدم ذكره فى حصار قلاع الإسماعيلية فازداد ملك طغرل بما فتحه شيركير من قلاعهم فأرسل إليه السلطان محمود الأمير كنتغدى ليكون أتابكا له ومدبرا لأمره ويحمله إليه فلما وصل إليه حسن له مخالفة أخيه وترك المجىء إليه واتفقا على ذلك وسمع السلطان محمود الخبر فأرسل شرف الدين أنوشروان ابن

---

(١) اسمها أرجوان الأرمنية وتدعى قرة العين ، كان لها بر كثير ، ومعروف ، وقد حجت ثلاث حجات ، وأدركت خلافة ابنها المقتدى ، وخلافة ابنه المستظهر المسترشد ، ورأت للمسترشد ولدا . وفى هذه السنة كان غلاء شديد ببغداد وانقطع الغيث وعدمت الأقوات وتفاقم أمر العيارين ببغداد ونهبوا الدور نهارا جهارا ولم يستطع الشرط دفع ذلك .

خالدومعه خلع وتحف وثلاثون ألف دينار ووعد أخاه بإقطاع كثير زيادة على ماله إذا قصده واجتمع به فلم تقع الإجابة إلى الاجتماع وأجاب كنتغدى بأنا فى طاعة السلطان وأى جهة أراد قصدناها ومعنا من العساكر ما تقاوم بها من يرسم بقصده فبينما الخوض معهم فى ذلك ركب السلطان محمود من باب همذان فى عشرة آلاف فارس جريدة فى جمادى الأولى وكتم مقصده وعزم على أن يكبس أخاه والأمير كنتغدى فرأى أحد خواصه تركيا من أصحاب الملك طغرل فأعلم السلطان به فقبض عليه فعلم رفيق كان معه الحال فسار عشرين فرسخا فى ليلة ووصل إلى الأمير كنتغدى وهو سكران فأيقظه بعد جهد وأعلمه الحال فقصد الملك طغرل فعرفه ذلك وأخذه متخفيا وقصد قلعة سميران فضلا عن الطريق إلى قلعة سرجهان وكانا قد فارقاها وجمعا العساكر وكان ضلالهما هداية لهما إلى السلامة فإن السلطان محمودا جعل طريقه على سميران وقال إنها حصنهما الذى فيه الذخائر والأموال وإذا علما بوصوله إليها سار إليها فربما صادفهما فى الطريق فسلما منه بما ظناه عطبا لهما ووصل السلطان إلى العسكر فكبسه ونهبه وأخذ من خزانة أخيه ثلثمائة ألف دينار وذلك المال الذى أنفقه له وأقام السلطان محمود بزنجان وتوجه منها إلى الرى ونزل طغرل من سرجهان ولحق هو وكنتغدى بكنجة وقصده أصحابه فقويت شوكته وتمكنت الوحشة بينه وبين أخيه محمود .

﴿ ذكر الحرب بين سنجر والسلطان محمود ﴾ فى هذه السنة فى جمادى الأولى كانت حرب شديدة بين سنجر وابن أخيه السلطان محمود ونحن نذكر سياقة ذلك قد ذكرنا سنة ثمان وخمسمائة مسير السلطان سنجر إلى غزنة وفتحها وما كان منه فيها ثم عاد عنها إلى خراسان فلما بلغه وفاة أخيه السلطان محمد وجلوس ولده السلطان محمود فى السلطنة وهو زوج ابنة سنجر لحقه حزن عظيم لموت أخيه وأظهر من الجزع والحزن ما لم يسمع بمثله وجلس للعزاء على الرماد وأغلق البلد سبعة أيام وتقدم إلى الخطباء بذكر السلطان محمد بمحاسن أعماله من قتال الباطنية وإطلاق المكوس وغير ذلك وكان سنجر يلقب بناصر الدين فلما توفى أخوه محمد تلقب بمعز الدين وهو لقب أبيه ملكشاه وعزم على قصد بلد الجبل والعراق وما بيد محمود ابن أخيه فندم على قتل وزيره أبى جعفر محمد بن فخر الملك أبى المظفر بن نظام الملك وكان سبب قتله أنه وحش الأمراء واستخف بهم فأبغضوه وكرهوه وشكوا منه إلى السلطان وهو بغزنة فأعلمهم أنه يؤثر قتله وليس يمكنه فعل ذلك بغزنة وكان سنجر قد تغير على وزيره لأسباب منها أنه أشار عليه بقصد غزنة فلما وصل إلى بست أرسل أرسلانشاه صاحبها إلى الوزير وضمن له خمسمائة ألف دينار ليثنى سنجر عن قصده فأشار عليه بمصالحته والعود عنه وفعل مثل ذلك بما وراء النهر ومنها أنه نقل عنه أنه أخذ من غزنة أموالا جليلة عظيمة المقدار ومنها ماذكر من إحاشه الأمراء وغير هذه الأسباب فلما عاد إلى بلخ قبض عليه وقتله وأخذ ماله وكان له من الجواهر والأموال مالا حد عليه والذى وجد له من العين ألفا ألف دينار فلما قتله استوزر بعده شهاب الإسلام عبدالرزاق بن أخى نظام الملك ويعرف بابن الفقيه إلا أنه لم تكن له منزلة ابن فخر الملك عند الناس فى علو المنزلة فلما اتصل به وفاة أخيه ندم على قتله لأنه كان يبلغ به من الأغراض والملك مالا يبلغه بكثرة العساكر لميل الناس إليه ومحله عندهم ثم إن السلطان محمود أرسل إلى عمه سنجر شرف الدين أنوشروان بن خالد وفخر الدين طغايرك بن اليزن ومعهما الهدايا والتحف وبذل له النزول عن مازندران وحمل مائتى ألف دينار كل سنة فوصلا إليه وأبلغاه الرسالة فتجهز ليسير إلى الرى فأشار عليه شرف الدين أنوشروان بترك القتال والحرب فكان جوابه فى ذلك أن ولد أخى صبى

Marfat.com

وقد تحكم عليه وزيره والحاجب على فلما سمع السلطان محمود بمسير عمه نحوه ووصول الأمير أنر فى مقدمته إلى جرجان تقدم إلى الأمير على بن عمر وهو أمير حاجب السلطان محمد وبعده صار أمير حاجب السلطان محمود بالمسير وضمن له جمعا كثيرا من العساكر والأمراء فاجتمعوا فى عشرة آلاف فارس فساروا إلى أن قاربوا مقدمة سنجر التى عليها الأمير أنر فراسله الأمير على بن عمر يعرفه وصية السلطان محمد بتعظيم سنجر والرجوع إلى أمره ونهيه والقبول منه وأنه ظن أن سنجر يحفظ السلطنة على ولده السلطان محمود وأخذ عليها بذلك العهود فليس لنا أن نخالفه وحيث جئتم إلى بلادنا لانحتمل ذلك ولا نقضى عليه وقد علمت أن معك خمسة آلاف فارس فأنا أرسل إليك أقل منهم لتعلم أنكم لاتقاومونا ولا تقوون بنا فلما سمع الأمير أنر ذلك عاد عن جرجان ولحقه بعض عسكر السلطان محمود فأخذوا قطعة من سواده وأسروا عدة من أصحابه وكان السلطان محمود قد وصل إلى الرأى وهو بها وعاد الأمير على بن عمر إليه فشكره على فعله وأثنى عليه وعلى عسكره الذين معه وأشير على السلطان محمود بملازمة الرى والمقام بها وقيل إن عساكر خراسان إذا علموا بمقامك فيها لايفارقون حدودهم ولا يتعدون ولايتهم فلم يقبل ذلك وضجر من المقام وسار إلى جرجان ووصل السلطان محمود الأمير منكبرس من العراق فى عشرة آلاف فارس والأمير منصور بن صدقة أخو دبيس والأمراء البكجية وغيرهم وسار محمود إلى همذان وتوفى بها وزيره الربيب واستوزر أبا طالب السميرى وبلغه وصول عمه سنجر إلى الرى فسار نحوه قاصدا قتاله فالتقيا بالقرب من ساوة ثانى جمادى الأولى من السنة وكان عسكر السلطان محمود قد عرفوا المفازة التى بين يدى عسكر سنجر وهى ثمانية أيام فسبقوهم إلى الماء وملكوه عليهم وكان العسكر الخراسانى فى عشرين ألفا ومعهم ثمانية عشر فيلا اسم كبيرها باذهو ومن الأمراء الكبار ولد الأمير أبى الفضل صاحب سجستان وخوارزمشاه محمد والأمير أنر والأمير فماج واتصل به علاء الدولة كرشاسف بن كاكويه صاحب يزد وهو صهر السلطان محمد وسنجر على أختهما وكان أخص الناس بالسلطان محمد فلما توفى السلطان محمود تأخر عنه فأقطع بلده لقراجة الساقى الذى صار صاحب بلاد فارس فسار حينئذ علاء الدولة إلى سنجر وهو من ملوك الديلم وعرف سنجر الأحوال والطريق إلى قصد البلاد وما فعله الأمراء من أخذ الأموال وماهم عليه من اختلاف الأهواء وحسن قصد البلاد وكان عسكر السلطان محمود ثلاثين ألفا ومن الأمراء الكبار الأمير على بن عمر أمير حاجب والأمير منكبرس وأتابكه غزغلى وبنو برسق البخارى وقراجة الساقى ومعه تسعمائة حمل من السلاح واستهان عسكر محمود بعسكر عمه بكثرتهم وشجاعتهم وكثرة خيلهم فلما التقوا ضعف نفوس الخراسانية لما رأوا لهذا العسكر من القوة والكثرة فانهزمت ميمنة سنجر وميسرته واختلط أصحابه واضطرب أمرهم وساروا منهزمين لايلوون على شىء ونهب من أثقالهم شىء كثير وقتل أهل السواد كثيرا منهم ووقف سنجر بين الفيلة فى جمع من أصحابه وبإزائه السلطان محمود ومعه أتابكه غزغلى فالجأت سنجر الضرورة عند تعاظم الخطب عليه أن يقدم الفيلة للحرب وكان من بقى معه قد أشاروا عليه بالهزيمة فقال إما النصر أو القتل، وأما الهزيمة فلا، فلما تقدمت الفيلة ورآها خيل محمود تراجعت بأصحابها على أعقابها فأشفق سنجر على السلطان محمود فى تلك الحال وقال لأصحابه لاتفزعوا الصبى بحملات الفيلة فكفوها عنهم وانهزم السلطان محمود ومن معه فى القلب وأسر أتابكه غزغلى فكان يكاتب السلطان وبعده أنه يحمل إليه ابن أخيه فعاتبه على ذلك فاعتذر بالعجز فقتله وكان ظالما قد بالغ فى ظلم أهل همذان فعجل الله عقوبته ولما تم النصر

Marfat.com

والظفر للسلطان سنجر أرسل من أعاد المنهزمين من أصحابه إليه ووصل الخبر إلى بغداد فى عشرة أيام فأرسل دبيس بن صدقة إلى المسترشد بالله فى الخطبة للسلطان سنجر فخطب له فى السادس والعشرين من جمادى الأولى وقطعت خطبة السلطان محمود وأما السلطان محمود فإنه سار من الكسرة إلى أصبهان ومعه وزيره أبو طالب السميرمى والأمير على بن عمر وقراجة وأما سنجر فإنه سار إلى همذان فرأى قلة عسكره واجتماع العساكر على ابن أخيه فراسله فى الصلح وكانت والدته تشير عليه بذلك وتقول قد استولت على غزنة وأعمالها وماوراء النهر وملكت مالا حد عليه وقررت الجميع على أصحابه فاجعل ولد أخيك كأحدهم وكانت والدة سنجر هى جدة السلطان محمود فأجاب إلى قولها ثم كثرت العساكر عند سنجر منهم البرسقى وكان عند الملك مسعود بأذربيجان من حين خروجه عن بغداد إلى هذه الغاية فقوى بهم فعاد الرسول وأبلغه عن الأمراء الذين مع السلطان محمود أنهم لا يصالحونه حتى يعود إلى خراسان فلم يجب إلى ذلك وسار من همذان إلى كرج وأعاد مراسلة السلطان محمود فى الصلح ووعده أن يجعله ولى عهده فأجاب إلى ذلك واستقر الأمر بينهما وتحالفا عليه وسار السلطان محمود إلى عمه سنجر فى شعبان فنزل على جدته والدة سنجر وأكرمه عمه وبالغ فى ذلك وحمل له السلطان محمود هدية عظيمة فقبلها ظاهرا وردها باطنا ولم تقبل منه سوى خمسة أفراس عربية وكتب السلطان سنجر إلى سائر الأعمال التى بيده كخراسان وغزنة وماوراء النهر وغيرها من الولايات بأن يخطب للسلطان محمود بعده وكتب إلى بغداد مثل ذلك وأعاد عليه جميع ما أخذ من البلاد سوى الرى وقصد بأخذها أن تكون له فى هذه الديار لئلا يحدث السلطان محمود نفسه بالخروج .

﴿ذكر غزاة أيلغازى بلاد الفرنج﴾ فى هذه السنة سار الفرنج من بلادهم إلى نواحى حلب فملكوا بزاعة وغيرها وأخربوا بلد حلب ونازلوها ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهراً واحداً وخافهم أهلها خوفا شديداً ولو مكنوا من القتال لم يبق بها أحد لكنهم منعوا من ذلك وصانعوا الفرنج أهل حلب على أن يقاسموهم على أملاكهم التى بباب حلب فأرسل أهل البلد إلى بغداد يستغيثون ويطلبون النجدة فلم يغاثوا وكان الأمير أيلغازى صاحب حلب ببلد ماردين يجمع العساكر والمتطوعة للغزاة فاجتمع عليه نحو عشرين ألفا وكان معه أسامة بن المبارك بن شبل الكلابى والأمير طغان أرسلان بن المكر صاحب بدليس وأرزن وسار بهم إلى الشام عازما على قتال الفرنج ولما علم الفرنج قوة عزمهم على لقائهم وكانوا ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل ساروا فنزلوا قريبا من الأثارب بموضع يقال له تل عفرين بين جبال ليس لها طريق إلا من ثلاث جهات وفى هذا الموضع قتل شرف الدولة مسلم بن قريش وظن الفرنج أن أحداً لا يسلك إليهم لضيق الطريق فأخلدوا إلى المطاولة وكانت عادة لهم إذا رأوا قوة من المسلمين وراسلوا أيلغازى يقولون له لا تتعب نفسك بالمسير إلينا فنحن واصلون إليك فاعلم أصحابه بما قالوه واستشارهم فيما يفعل فأشاروا بالركوب من وقته وقصدهم ففعل ذلك وسار إليهم ودخل الناس من الطرق الثلاثة ولم تعتقد الفرنج أن أحداً يقدم عليهم لصعوبة المسلك إليهم فلم يشعروا إلا وأوائل المسلمين قد غشيهم فحمل الفرنج حملة منكرة فولوا منهزمين فلقوا باقى العسكر متتابعة فعادوا معهم وجرى بينهم حرب شديدة وأحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم وأخذهم السيف من سائر نواحيهم فلم يفلت منهم غير نفر يسير وقتل الجميع وأسروا وكان فى جملة الأسرى نيف وسبعون فارسا من مقدميهم وحملوا إلى حلب فبذلوا فى نفوسهم ثلاثمائة ألف دينار فلم يقبل منهم وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة

Marfat.com

Marfat.com

وأما سيرجال صاحب أنطاكية فإنه قتل وحمل رأسه وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الأول فما مدح به أيلغازى فى هذه الوقعة قول العظيمى .

قل ماتشاء فقولك المقبول * وعليك بعد الخالق التعويل
واستبشر القرآن حين نصرته * وبكى لفقد رجاله الإنجيل

ثم تجمع من سلم من المعركة مع غيرهم فلقيهم أيلغازى أيضا فهزمهم وفتح منهم حصن الأثارب وزردنا وعاد إلى حلب وقرر أمرها وأصلح حالها ثم عبر الفرات إلى ماردين .

﴿ ذكر وقعة أخرى مع الفرنج ﴾ فى هذه السنة سار جوسلين صاحب تل باشر فى جمع من الفرنج نحو مائتى فارس من طبرية فكبس طائفة من طى يعرفون ببنى خالد فأخذهم وأخذ غنائمهم وسألهم عن بقية قومهم من بنى ربيعة فأخبروه أنهم من وراء الحزن بوادى السلالة بين دمشق وطبرية فقدم جوسلين مائة وخمسين فارسا من أصحابه وسار هو فى خمسين فارسا على طريق آخر وواعدهم الصبح ليكبسوا بنى ربيعة فوصلهم الخبر بذلك فأرادوا الرحيل فمنعهم أميرهم من بنى ربيعة وكانوا فى مائة وخمسين فارسا فوصلهم المائة وخمسون من الفرنج معتقدين أن جوسلين قدسبقهم أوسيدركهم فأضل الطريق وتساوت العدنان فاقتتلوا وطعنت العرب خيولهم فجعلوا أكثرهم رجالة وظهر من أميرهم شجاعة وحسن تدبير وجودة رأى فقتل من الفرنج سبعون وأسر إثنا عشر من مقدميهم بذل كل واحد فى فداء نفسه مالا جزيلا وعدة من الأسرى وأما جوسلين فإنه ضل فى الطريق وبلغه خبر الوقعة فسار إلى طرابلس فجمع بها جمعا وأسرى إلى عسقلان فأغار على بلدها فهزمه المسلمون هناك فعاد مفلولا .

﴿ ذكر قتل منكوبرس ﴾ فى هذه السنة قتل الأمير منكوبرس الذى كان شحنة بغداد وقد تقدم حاله وكان سبب قتله أنه لما انهزم مع السلطان محمود وعاد إلى بغداد نهب عدة مواضع من طريق خراسان وأراد دخول بغداد فسير إليه دبيس بن صدقة من منعه فعاد وقد استقر الصلح بين السلاطين سنجر ومحمود فقصد السلطان سنجر فدخل إليه ومعه سيف وكفن فقال له أنا لا أؤاخذ أحدا وسلمه إلى السلطان محمود وقال هذا مملوكك فاصنع به ماتريد فأخذه وكان فى نفسه منه غيظ شديد لأسباب منها أنه لما توفى السلطان محمد أخذ سريته والدة الملك مسعود قهرا قبل انقضاء عدتها . ومنها جراءته عليه واستبداده بالأمور دونه ومسيره إلى شحنكية بغداد والسلطان كاره لذلك لكنه لم يقدر على منعه . ومنها مافعله بالعراق من الظلم إلى غير ذلك فقتله صبرا وأراح العباد والبلاد من شره .

﴿ ذكر قتل الأمير على بن عمر ﴾ فى هذه السنة أيضا قتل الأمير على بن عمر حاجب السلطان محمد وكان قد صار أكبر أمير مع السلطان محمود وانقادت العساكر له فحسده الأمراء وأفسدوا حاله مع السلطان محمود وحسنوا له قتله فعلم فهرب إلى قلعة برجين وهى بين بروجرد وكرج وكان بها أهله وماله وسار منها فى مائتى فارس إلى خوزستان وكانت بيدأفبورى بن برسق وابنى أخويه أرغلى بن يلبكى وهندو بن زنكى فأرسل إليهم وأخذ عهودهم بأمانه وحمايته فلما سارا إليهم أرسلوا عسكرا منعوه من قصدهم فلقوه على ستة فراسخ من تستر فاقتتلوا فانهزم هو وأصحابه فوقف به فرسه فانتقل إلى غيره فتشبث ذيله بسرجه الأول فأزاله فعاود التعلق فأبطأ فأدركوه وأسروه وكاتبوا السلطان محمودا فى أمره فأمرهم بقتله فقتل وحمل رأسه إليه .

﴿ ذكر الفتنة بين المرابطين وأهل قرطبة ﴾ فى هذه السنة وقيل سنة أربع عشرة كانت فتنة بين عسكر أمير المسلمين على بن يوسف وبين أهل قرطبة وسببها أن أمير المسلمين استعمل عليها أبا بكر يحيى بن رواد فلما كان يوم الاضحى خرج الناس متفرجين فمد عبد من عبيد أبى بكر يده إلى امرأة فأمسكها فاستغاثت بالمسلمين فأغاثوها فوقع بين العبيد وأهل البلد فتنة عظيمة ودامت جميع النهار والحرب بينهم قائمة على ساق فأدركهم الليل فتفرقوا فوصل الخبر إلى الأمير أبى بكر فاجتمع إليه الفقهاء والأعيان فقالوا المصلحة أن تقتل واحدا من العبيد الذين أثاروا الفتنة فأنكر ذلك وغضب منه وأصبح من الغد وأظهر السلاح والعدد يريد قتال أهل البلد فركب الفقهاء والأعيان والشبان من أهل البلد وقاتلوه فهزموه وتحصن بالقصر فحصروه وتسلقوا إليه فهرب منهم بعد مشقة وتعب فنهبوا القصر وأحرقوا جميع دور المرابطين ونهبوا أموالهم وأخرجوهم من البلد على أقبح صورة واتصل الخبر بأمير المسلمين فكره ذلك واستعظمه وجمع العساكر من صنهاجة وزناتة والبربر وغيرهم فاجتمع له منهم جمع عظيم فعبر إليهم سنة خمس عشرة وخمسمائة وحصر مدينة قرطبة فقاتله أهلها قتال من يريد أن يحمى دمه وحريمه وماله فلما رأى أمير المسلمين شدة قتالهم دخل السفراء بينهم وسعوا فى الصلح فاجابهم إلى ذلك على أن يغرم أهل قرطبة المرابطين ما نهبوه من أموالهم واستقرت القاعدة على ذلك وعاد عن قتالهم .

﴿ ذكر ملك على بن سكمان البصرة ﴾ فى هذه السنة استولى على البصرة وسبب ذلك أن السلطان محمدا كان قد أقطع البصرة الأمير آقسنقر البخارى فاستخلف بها نائبا يعرف بسنقر البياتى فاحسن السيرة إلى حد أن الماء بالبصرة ملح فأقام سقنا وجرارا للضعفاء والسابلة تحمل لهم الماء العذب فلما توفى السلطان محمد عزم هذا الأمير سنقر على القبض على أمير اسمه غزغلى مقدم الأتراك الإسماعيلية وهو مذكور وحج بالناس على البصرة عدة سنين وعلى أمير آخر اسمه سنقر ألب وهو مقدم الأتراك البلدقية فاجتمعا عليه وقبضاه وقيداه وأخذا القلعة وما وجداه له ثم إن سنقر ألب أراد قتله فمنعه غزغلى فلم يقبل منه فلما قتله وثب غزغلى على سنقر ألب فقتله ونادى فى الناس بالسكون واطمأنوا وكان أمير الحاج من البصرة هذه السنة أمير اسمه على بن سكمان أحد الأمراء البلدقية وكان فى نفس غزغلى عليه حقد حيث تم الحج على يده ولأنه خاف أن يأخذ بثار سنقر ألب إذ هو مقدم البلدقية فأرسل غزغلى إلى عرب البرية يأمرهم بقصد الحجاج ونهبهم فطمعوا بذلك وقصدوا الحجاج فقاتلوهم وحماهم ابن سكمان وأبلى بلاء حسنا وجعل يقاتلهم وهو سائر نحو البصرة إلى أن بقى بينه وبين البصرة يومان فأرسل إليه غزغلى يمنعه من قصد البصرة فقصد العونى أسفل دجلة هذا والعرب يقاتلونه فلما وصل إلى العونى حمل على العرب حملة صادقة فهزمهم وسار غزغلى إلى على بن سكمان فى عدد كثير وكان على فى قلة فتحاربا واقتتلت الطائفتان فأصابت فرس غزغلى نشابة فسقط وقتل وسار على إلى البصرة فدخلها وملك القلعة وأقر عمال آقسنقر البخارى ونوابه وكاتبه بالطاعة وكان عند السلطان وسأله أن يكون نائبا عنه بالبصرة فلم يجبه آقسنقر إلى ذلك فطرد حينئذ نواب آقسنقر واستولى على البلد وتصرف تصرف الأصحاب مستبدا واستقر فيه وأحسن السيرة إلى سنة أربع عشرة فسير السلطان محمود الأمير آقسنقر البخارى فى عسكر إلى البصرة فأخذها من على بن سكمان .

Marfat.com

Marfat.com

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة أمر السلطان سنجر بإعادة مجاهدا الدين بهروز إلى شحنكية العراق وكان بها نائب دبيس بن صدقة فعزل عنها . وفيها فى ربيع الأول توفى الوزير ربيب الدولة وزير السلطان محمود ووزر بعده الكمال السمبرمى وكان ولد ربيب الدولة وزير المسترشد فعزل واستعمل بعده عميد الدولة أبو على بن صدقة ولقب جلال الدين وهذا الوزير وهو عم الوزير جلال الدين أبى الرضا صدقة الذى وزر للراشد والأتبك زنكى على ماذكره . وفيها ظهر قبر إبراهيم الخليل وقبور ولديه إسحق ويعقوب عليهم السلام بالقرب من البيت المقدس ورآهم كثير من الناس لم تبل أجسادهم وعندهم فى المغارة قناديل من ذهب وفضة (هكذا ذكره حمزة بن أسد التميمى فى تاريخه) والله أعلم . وفيها فى المحرم توفى قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد الدامغانى ومولده فى رجب سنة تسع وأربعين وأربعمائة وولى القضاء بباب الطاق من بغداد إلى الموصل وله من العمر ست وعشرون سنة وهذا شىء لم يكن لغيره ولما توفى ولى قضاء القضاة الأكمل أبو القاسم على بن أبى طالب الحسين بن محمد الزينبى وخلع عليه ثالث صفر . وفيها هدم تاج الخليفة على دجلة للخوف من انهدامه وهذا التاج بناه أمير المؤمنين المكتفى بعد سنة تسعين ومائتين . وفيها تأخر الحج فاستغاث الناس وأرادوا كسر المنبر بجامع القصر فأرسل الخليفة إلى دبيس بن صدقة ليساعد الأمير نظر على تسيير الحجاج فأجاب إلى ذلك وكان خروجهم من بغداد ثانى عشر ذى القعدة وتوالت عليهم الأمطار إلى الكوفة . وفيها أرسل دبيس بن صدقة القاضى أباجعفر عبدالواحد بن أحمد الثقفى قاضى الكوفة إلى أيلغازى بن أرتق بماردين يخطب ابنته فزوجها منه أيلغازى وحملها الثقفى معه إلى الحلة واجتاز بالموصل . وفيها فى جمادى الأولى توفى أبو الوفا على بن عقيل بن محمد بن عقيل شيخ الحنابلة فى وقته ببغداد وكان حسن المناظرة سريع الخاطر وكان قداشتغل بمذهب المعتزلة فى حداثته على أبى الوليد فأراد الحنابلة قتله فاستجار بباب المراتب عدة سنين ثم أظهر التوبة حتى تمكن من الظهور وله مصنفات من جملتها كتاب الفنون .(١)

﴿ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة﴾

﴿ذكر عصيان الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والحرب بينهما﴾ فى هذه السنة فى ربيع الأول كان المصاف بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود ومسعود حينئذ له الموصل وأذربيجان وكان سبب ذلك أن دبيس بن صدقة كان يكاتب جيوش بك أتابك مسعود بحثه على طلب السلطنة للملك مسعود ويعده المساعدة وكان غرضه أن يختلفوا فينال من الجاه وعلو المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السلاطين بركيارق ومحمد ابنى ملكشاه على ما ذكرناه وكان قسيم الدولة البرسقى أتابك الملك مسعود قد فارق شحنكية بغداد وقد أقطعه مسعود مراغة مضافة إلى الرحبة وبينه وبين دبيس عداوة محكمة فكاتب دبيس جيوش بك يشير عليه بقبض البرسقى

---

(١) وفيها توفى المبارك بن على بن الحسين أبو سعد المخرمى ، سمع الحديث وتفقه على مذهب أحمد ، وناظر وأفتى ودرس ، وجمع كتبا كثيرة لم يسبق إلى مثلها ، وناب فى القضاء ، وكان حسن السيرة جميل الطريق ، سديد الأقضية ، وقد بنى مدرسة بباب الأزج وهى المذكورة إلى الشيخ عبدالقادر الجيلى الحنبلى ، ثم عزل عن القضاء وصودر بأموال جزيلة ، وذلك فى سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وتوفى فى المحرم من هذه السنة ودفن إلى جانب أبى بكر الخلال عند قبر أحمد .

وينسبه إلى الميل إلى السلطان محمود وبذل له مالا كثيرا على قبضه فعلم البرسقى ذلك ففارقهم إلى السلطان محمود فأكرمه وأعلى محله وزاد فى تقديمه واتصل الأستاذ أبو اسماعيل الحسين بن على الأصبهانى الطغرائى بالملك مسعود فكان ولده أبو المؤيد محمد بن أبى اسماعيل يكتب الطغراء مع الملك فلما وصل والده استوزره مسعود بعد أن عزل أبا على بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة بباب خوى فحسن ما كان دبيس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته وظهر ما هم عليه من ذلك فبلغ السلطان محمود الخبر فكتب إليهم يخوفهم إن خالفوه ويعدهم الإحسان إن أقاموا على طاعته وموافقته فلم يصغوا إلى قوله وأظهروا ما كانوا عليه ومايسرونه وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له التوب الخمس وكان ذلك على تفرق من عساكر السلطان محمود فقوى طمعهم وأسرعوا السير إليه ليلقوه وهو مخف من العساكر فاجتمع إليه خمسة عشر ألفا فسار أيضا إليهم فالتقوا عند عقبة أسد أباذ منتصف ربيع الأول واقتتلوا من بكرة إلى آخر النهار وكان البرسقى فى مقدمة السلطان محمود وأبلى يومئذ بلاء حسنا فانهزم عسكر الملك مسعود آخر النهار وأسر منهم جماعة كثيرة من أعيانهم ومقدميهم وأسر الأستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود فأمر السلطان بقتله وقال قد ثبت عندى فساد دينه واعتقاده فكانت وزارته سنة وشهراً وقد جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة والشعر يميل إلى صنعة الكيمياء وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس أموالا لاتحصى ، وأما الملك مسعود فإنه لما انهزم أصحابه وتفرقوا قصد جبلا بينه وبين الوقعة اثنى عشر فرسخا فاختفى فيه ومعه غلمان صغار فأرسل ركابيه عثمان إلى أخيه يطلب له الأمان فسار إلى السلطان محمود وأعلمه حال أخيه مسعود فرق له وبذل له الأمان وأمر آقسنقر البرسقى بالمسير إليه وتطييب قلبه وإعلامه بعفوه وإحضاره فكان مسعود بعد أن أرسل يطلب الأمان قد وصل بعض الأمراء إليه وحسن له اللحاق بالموصل وكانت له ومعها أذربيجان وأشار عليه بمكاتبة دبيس بن صدقة ليجتمع به ويكثر جمعه ويعاود طلب السلطنة فسار معه من مكانه ووصل البرسقى فلم يره فأخبر بمسيره فسار فى أثره وعزم على طلبه ولو إلى الموصل وجد فى السير فأدركه على ثلاثين فرسخا من مكانه ذلك وعرفه عفو أخيه عنه وضمن له ما أراد وأعاده إلى العسكر فأمر السلطان محمود العساكر باستقباله وتعظيمه ففعلوا ذلك وأمر السلطان أن ينزل عند والدته وجلس له وأحضره واعتنقا وبكيا وانعطف عليه محمود ووفى له بما بذله وخلطه بنفسه فى كل أفعاله فعدّ ذلك من مكارم محمود وكانت الخطبة بالسلطنة لمسعود بأذربيجان وبلد الموصل والجزيرة وثمانية وعشرين يوما ؛ وأما أتابكه جيوش بك فإنه سار إلى عقبة أسد أباذ وانتظر الملك مسعود فلم يره وانتظره بمكان آخر فلم يصل إليه فلما آيس منه سار إلى الموصل ونزل بظاهرها وجمع الغلات من السواد إليها واجتمع إليه عسكره فلما سمع بما فعله السلطان مع أخيه وأنه عنده علم أنه لامقام له على هذا الحال فسار كأنه يريد الصيد فوصل إلى الزاب وقال لمن معه إننى قد عزمت على قصد السلطان محمود وأخاطر بنفسى فسار إليه فوصل وهو بهمذان ودخل إليه فطيب قلبه وأمنه وأحسن إليه وأما دبيس فإنه كان بالعراق فلما بلغه خبر انهزام الملك مسعود نهب البلاد وأخربها وفعل فيها الأفاعيل القبيحة إلى أن أتاه رسول السلطان محمود وطيب قلبه فلم يلتفت

﴿ ذكر حال دبيس وما كان منه ﴾ لما كان منه ببغداد وسوادها من النهب والقتل والفساد مالم يجر مثله أرسل إليه الخليفة المسترشد بالله رسالة ينكر عليه ويأمره بالكف فلم يفعل فأرسل إليه السلطان وطيب قلبه وأمره بمنع أصحابه عن الفساد فلم يقبل وسار بنفسه إلى بغداد وضرب سرادقه بإزاء دار الخلافة وأظهر

Marfat.com

الضغائن التى فى نفسه وكيف طيف برأس أبيه وتهدد الخليفة وقال إنك أرسلت تستدعى السلطان فإن أعدتموه وإلا فعلت وصنعت فأعيد جواب رسالته إن عود السلطان وقد سار عن همذان غير ممكن ولكنا نصلح حالك معه وكان الرسول شيخ الشيوخ إسماعيل فكف على أن تسير الرسل فى الاتفاق بينه وبين السلطان وعاد عن بغداد فى رجب ووصل السلطان فى رجب إلى بغداد فأرسل دبيس زوجته ابنة عميد الدولة بن جهير إليه ومعها مال كثير وهدية نفيسة وسال الصفح عنه فأجيب إلى ذلك على قاعدة امتنع منها ولزم لجاجه ونهب جشيرا للسلطان فسار السلطان عن بغداد فى شوال إلى قصد دبيس بالحلة واستصحب ألف سفينة ليعبر فيها فلما علم دبيس مسير السلطان أرسل يطلب الأمان فأمنه وكان قصده أن يغالطه ليتجهز فأرسل نساءه إلى البطيحة وأخذ أمواله وسار عن الحلة بعد أن نهبها إلى أيلغازى ملتجئا إليه ووصل السلطان إلى الحلة فلم ير أحدا فبات بها ليلة واحدة وعاد وأقام دبيس عند أيلغازى وتردد معه ثم إنه أرسل أخاه منصورا فى جيش من قلعة جعبر إلى العراق فنظر الحلة والكوفة وانحدر إلى البصرة وأرسل إلى برنقش الزكوى يسأله أن يصلح حاله مع السلطان فلم يتم أمره فأرسل إلى أخيه دبيس يعرفه ذلك ويدعوه إلى العراق فسار من قلعة جعبر إلى الحلة سنة خمس عشرة فدخلها وملكها وأرسل إلى الخليفة والسلطان يعتذر ويعد من نفسه الطاعة فلم يجب إلى ذلك وسيرت إليه العساكر فلما قاربوه فارق الحلة ودخل إلى الأزبر وهو نهر سنداد ووصل العسكر إليها وهى فارغة قد أجلى أهلها عنها وليس بها إقامة فكانت الميرة تنقل من بغداد وكان مقدم العسكر سعد الدولة برنقش الزكوى فترك بالحلة خمسمائة فارس وبالكوفة جماعة أخرى تحفظ الطريق على دبيس وأرسل إلى عسكر واسط يحفظ طريق البطيحة ففعلوا ذلك وعبر عسكر السلطان إلى دبيس فبقى بين الطائفتين نهر يخاض فيه مواضع فتراسل برنقش ودبيس واتفقا على أن يرسل دبيس أخاه منصورا رهينة ويلازم الطاعة ففعل وعاد العسكر إلى بغداد سنة ست عشرة.

﴿ذكر خروج الكرج إلى بلاد الإسلام وملك تفليس﴾ فى هذه السنة خرج الكرج وهم الخزر إلى بلاد الإسلام وكانوا قديما يغيرون فامتنعوا أيام السلطان ملكشاه إلى آخر أيام السلطان محمد فلما كان هذه السنة خرجوا ومعهم قفجاق وغيرهم من الأمم المجاورة لهم فتكاتب الأمراء المجاورون لبلادهم واجتمعوا منهم الأمير أيلغازى ودبيس بن صدقة وكان عنده والملك طغرل بن محمد وأتابكه كنتغدى وكان لطغرل بلداران ونقجوان إلى أرس فاجتمعوا وساروا إلى الكرج فلما قاربوا تفليس وكان المسلمون فى عسكر كثير يبلغون ثلاثين ألفا فالتقوا واصطف الطائفتان للقتال فخرج من القفجاق مائتا رجل فظن المسلمون إنهم مستأمنون فلم يحترزوا منهم ودخلوا بينهم ورموا بالنشاب فاضطرب صف المسلمين فظن من بعد أنها هزيمة فانهزموا وتبع الناس بعضهم بعضا منهزمين ولشدة الزحام صدم بعضهم بعضا فقتل منهم عالم عظيم وتبعهم الكفار عشرة فراسخ يقتلون ويأسرون فقتل أكثرهم وأسروا أربعة آلاف رجل ونجا الملك طغرل وأيغازى ودبيس وعاد الكرج فنهبوا بلاد الإسلام وحصروا مدينة تفليس واشتد قتالهم لمن بها وعظم الأمر وتفاقم الخطب على أهلها ودام الحصار إلى سنة خمس عشر فملكوها عنوة وكان أهلها لما أشرفوا على الهلاك قد أرسلوا قاضيها وخطيبها إلى الكرج فى طلب الأمان فلم تصغ الكرج إليهما فأخرقوا بهما ودخلوا البلد قهرا وغلبة واستباحوه ونهبوه ووصل المستنفرون منهم إلى بغداد مستصرخين ومستنصرين سنة ست عشرة فبلغهم أن السلطان محمودا بهمذان

Marfat.com

Marfat.com

فقصدوه واستغاثوا به فسار إلى أذربيجان وأقام بمدينة تبريز شهر رمضان وأنفذ عسكرا إلى الكرج وسيرد ذكر ما كان منهم إن شاء الله تعالى .

﴿ذكر غزوات أيلغازى هذه السنة﴾ فى هذه السنة أرسل المسترشد بالله خلعا مع سديد الدولة بن الأنبارى لنجم الدين أيلغازى وشكره على ما يفعله من غزو الفرنج ويأمره بإبعاد دبيس عنه وسار أبو على بن عمار الذى كان صاحب طرابلس مع ابن الأنبارى إلى أيلغازى ليقيم عنده يعبر الأوقات بما ينقم به عليه فاعتذر بإبعاد دبيس ووعد به ثم سار إلى الفرنج وكان قد جمع لهم جمعا فالتقوا بموضع اسمه ذات البقل من أعمال حلب فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر له ثم اجتمع أيلغازى وأنابك طغتكين صاحب دمشق وحصروا الفرنج فى معرة قنسرين يوما وليلة ثم أشار أنابك طغتكين بالإفراج عنهم كيلا يحملهم الخوف على أن يستقتلوا ويخرجوا إلى المسلمين فربما ظفروا وكان أكثر خوفه من دركيل التركمان وجودة خيل الفرنج فأفرج لهم أيلغازى فساروا عن مكانهم وتخلصوا وكان أيلغازى لا يطيل المقام فى بلد الفرنج لأنه كان يجمع التركمان للطمع فيحضر أحدهم ومعه جراب فيه دقيق وشاة ويعد الساعات لغنيمة يتعجلها ويعود فإذا طال مقامهم تفرقوا ولم يكن له من الأموال ما يفرقها فيهم .

﴿ذكر ابتداء أمر محمد بن تومرت وعبد المؤمن وملكهما﴾ فى هذه السنة كان ابتداء أمر المهدى أبى عبد الله محمد بن عبدالله بن تومرت العلوى الحسنى وقبيلته من المصامدة تعرف بهرغة فى جبل السوس من بلاد المغرب نزلوا به لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير ونذكر أمره وأمر عبد المؤمن هذه السنة إلى أن فرغ من ملك المغرب لنتبع بعض الحادثة بعضا وكان ابن تومرت قد رحل فى شبيبته إلى بلاد الشرق فى طلب العلم وكان فقيها فاضلا عالما بالشريعة حافظا للحديث عارفا بأصولى الدين والفقه متحققا بعلم العربية وكان ورعا ناسكا ووصل فى سفره إلى العراق واجتمع بالغزالى والكيا واجتمع بأبى بكر الطرطوشى بالإسكندرية . وقيل أنه جرى له حديث مع الغزالى فيما فعله بالمغرب من التملك فقال له الغزالى إن هذا لا يتمشى فى هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لأمثالنا ؛ كذا قال بعض مؤرخى المغرب والصحيح أنه لم يجتمع به فحج من هناك وعاد إلى المغرب ولما ركب البحر من الإسكندرية مغربا غير المنكر فى المركب وألزم من به بإقامة الصلاة وقراءة القرآن حتى انتهى إلى المهدية وسلطانها حينئذ يحيى بن تميم سنة خمس وخمسمائة فنزل بمسجد قبلى مسجد السبت وليس له سوى ركوة وعصا وتسامع به أهل البلد فقصدوه يقرأون عليه أنواع العلوم وكان إذا مر به منكر غيره وأزاله فلما كثر ذلك منه أحضره الأمير يحيى مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه واحترمه وسأله الدعاء ورحل عن المدينة وأقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين مدة وسار إلى بجاية (١) ففعل فيها مثل ذلك فأخرج منها إلى قرية بالقرب منها اسمها ملالة فلقيه بها عبدالمؤمن

---

(١) بجاية - بالكسر وتخفيف الجيم وألف وياء وهاء - : مدينة على ساحل البحر بين أفريقية والمغرب . كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيرى بن مناد بن بلكين فى حدود سنة ٨٥٤ بينها وبين جزيرة بنى مزغنای أربعة أيام كانت قديما ميناء فقط ، ثم بنيت المدينة وهى لحف جبل شاهق وفى قبلتها جبال كانت قاعدة ملك بنى حماد وتسمى الناصرية أيضا باسم بانيها وهى مفترقة إلى جميع البلاد لا يخصها من المنافع شىء إنما هى دار مملكة تركب منها السفن وتسافر إلى جميع الجهات ، وبينها وبين ميلة ثلاثة أيام ، وكان السبب فى اختطاطها أن تميم بن المعز =

ابن على فرأى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم والقيام بالأمر فسأله عن اسمه وقبيلته فأخبره أنه من قيس عيلان ثم من بنى سليم فقال ابن تومرت هذا الذى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم حين قال إن الله ينصر هذا الدين فى آخر الزمان برجل من قيس فقيل من أى قيس فقال من بنى سليم فاستبشر بعبد المؤمن وسر بلقائه وكان مولد عبد المؤمن فى مدينة تاجرة من أعمال تلمسان وهو من عائد قبيل من كومرة نزلوا بذلك الإقليم سنة ثمانين ومائة ولم يزل المهدى ملازما للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى طريقه إلى أن وصل إلى مراكش دار مملكة أمير المسلمين يوسف بن على بن تاشفين فرأى فيها من المنكرات أكثر مما عاينه فى طريقه فزاد فى أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثر أتباعه وحسنت ظنون الناس فيه فبينما هو فى بعض الأيام فى طريقه إذ رأى أخت أمير المسلمين فى موكبها ومعها من الجوارى الحسان عدة كثيرة وهن مسفرات وكانت هذه عادة الملثمين يسفر نساؤهم وجوههن ويتلثم الرجال فحين رأى النساء كذلك أنكر عليهن وأمرهن بستر وجوههن وضرب هو وأصحابه دوابهن فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها فرفع أمره إلى أمير المسلمين على بن يوسف فأحضره وأحضر الفقهاء ليناظروه فأخذ يعظه ويخوفه فبكى أمير المسلمين وأمر أن يناظره الفقهاء فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة أدلته فى الذى فعله وكان عند أمير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب فقال يا أمير المسلمين إن هذا والله لا يريد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إنما يريد إثارة فتنة والغلبة على بعض النواحى فاقتله وقلدنى دمه فلم يفعل ذلك فقال إذ لم تقتله فاحبسه وخلده فى السجن وإلا أثار شرا لا يمكن تلافيه فأراد حبسه فمنعه رجل من أكابر الملثمين يسمى بيان بن عثمان فأمر بإخراجه من مراكش فسار إلى أغمات [1] ولحق بالجبل

= ابن باديس صاحب أفريقية أنفذ إلى ابن عمه الناصر بن علناس محمد بن البعبع رسولا لإصلاح حال كانت بينهما فاسدة فمر ابن البعبع بموضع بجاية وفيه أبيات من البربر قليلة فتأملها حق التأمل ، فلما قدم على الناصر غدر بصاحبه واستخلى الناصر ودله على عورة تميم وقرر بينه وبين الناصر الهرب من تميم والرجوع إليه وأشار عليه ببناء بجاية واستركبه وأراه المصلحة فى ذلك والفائدة التى تحصل له من الصناعة بها وكيد العدو ، فأمر من وقته بوضع الأساس وبناها ونزلها بعسكره ، ونمى الخبر إلى تميم فأرصد لابن البعبع العيون ، فلما أراد الهرب قبض عليه وقتله وألحق به عاقبة الغدر .

(١) أغمات : ناحية فى بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش ، وهى مدينتان متقابلتان ، كثيرة الخير ، ومن ورائها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل ومن سجلماسة ثمان مراحل فى بحر المغرب وليس بالمغرب فيما زعموا بلد أجمع لأصناف من الخيرات ولا أكثر ناحية ولا أوفر حظا ولا خصبان منها ، تجمع بين فواكه الصرود والجروم ، وأهلها فرقتان : يقال لإحداهما الموسوية من أصحاب ابن ورصند والغالب عليهم جفاء الطبع وعدم الرقة ، والفرقة الأخرى مالكية حشوية وبينهما القتال الدائم ، وكل فرقة تصلى فى الجامع منفردة بعد صلاة الأخرى ، كذا ذكر ابن حوقل التاجر الموصلى فى كتابه وكان شاهدها قديما بعد الثلثمائة من الهجرة وقد تداولتهم عدة دول منها دولة الملثمين وكان فيهم جد وصلابة فى الدين ، ثم عبد المؤمن وبنوه ولهم ناموس يلتزمونه وسياسة يقيمونها لا يثبت معها مثل هذه الاختلاط ، والله أعلم . وبين مدينة أغمات ومراكش ثلاثة فراسخ هى فى سفح جبل هناك وهى للصامدة يدبغ بها جلود تفوق جودة على جميع جلود الدنيا وتحمل منها إلى سائر بلاد المغرب ويتنافسون فيها ، وينسب إليها أبو هارون موسى بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد ابن سنان بن عطاء الأغماتى المغربى رحل إلى الشرق وأوغل حتى بلغ سمرقند وكان فاضلا ، وله شعر حسن منه : =

Marfat.com

فسار فيه حتى النحق بالسوس الذى فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة سنة أربع عشرة فأتوه واجتمعوا حوله وتسامع به أهل تلك النواحى فوفدوا عليه وحضر أعيانهم بين يديه وجعل يعظهم ويذكرهم بأيام الله ويذكر لهم شرائع الإسلام وما غير منها وما حدث من الظلم والفساد وأنه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه فأقام على ذلك نحو سنة وتابعه هرغة قبيلته وسمى أتباعه الموحدين وأعلمهم أن النبى صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدى الذى يملأ الأرض عدلا وأن مكانه الذى يخرج منه المغرب الأقصى فقام إليه عشر رجال أحدهم عبد المؤمن فقالوا لا يوجد هذا إلا فيك فأنت المهدى فبايعوه على ذلك فانتهى خبره إلى أمير المسلمين فجهز جيشا من أصحابه وسيرهم إليه فلما قربوا من الجبل الذى هو فيه قال لأصحابه إن هؤلاء يريدوننى وأخاف عليكم منهم فالرأى أن أخرج بنفسى إلى غير هذه البلاد لتسلموا أنتم فقال له ابن توفيان من مشايخ هرغة هل نخاف شيأ من السماء فقال لا بل من السماء تنصرون فقال ابن توفيان فيأ تماكل من فى الأرض ووافقه جميع قبيلته فقال المهدى أبشروا بالنصر والظفر بهذه الشرذمة وبعد قليل تستأصلون دولتهم وترثون أرضهم فنزلوا من الجبل ولقوا جيش أمير المسلمين فهزمهم وأخذوا أسلابهم وقوى ظنهم فى صدق المهدى حيث ظفروا كما ذكر لهم وأقبلت إليه أفواج القبائل من الحلل التى حوله شرقا وغربا وبايعوه وأطاعه قبيلة هنتاتة وهى من أقوى القبائل فأقبل عليهم واطمأن إليهم وأتاه رسل أهل تينملل بطاعتهم وطلبوه إليهم فتوجه إلى جبل تينملل واستوطنه وألف لهم كتابا فى التوحيد وكتابا فى العقيدة ونهج لهم طريق الأدب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن وهو يحرضهم على قتال عدوهم وإخراج الأشرار من بين أظهرهم وأقام بتينملل وبنى له مسجداً خارج المدينة فكان يصلى فيه الصلوات هو وجمع ممن معه عنده ويدخل البلد بعد العشاء الآخرة فلما رأى كثرة أهل الجبل وحصانة المدينة خاف أن يرجعوا عنه فأمرهم أن يحضروا بغير سلاح ففعلوا ذلك عدة أيام ثم إنه أمر أصحابه أن يقتلوهم فخرجوا عليهم وهم غارون فقتلوهم فى ذلك المسجد ثم دخل المدينة فقتل فيها وأكثر وسبى الحريم ونهب الأموال فكان عدة القتلى خمسة عشر ألفا وقسم المساكن والأرض بين أصحابه وبنى على المدينة سوراً وقلعة على رأس جبل عال وفى جبل تينملل أنهار جارية وأشجار وزروع والطريق إليه صعب فالجبل أحصن منه وقيل إنه لما خاف أهل تينملل نظر فرأى كثيراً من أولادهم شقراً زرقا والذى يغلب على الآباء السمرة وكان لأمير المسلمين عدة كثيرة من المماليك الفرنج والروم يغلب على ألوانهم الشقرة وكانوا يصعدون الجبل فى كل عام مرة ويأخذون ما لهم فيه من الأموال المقررة لهم من جهة السلطان فكانوا يسكنون بيوت أهله ويخرجون أصحابها منها فلما رأى المهدى أولادهم سألهم مالى أراكم سمر الألوان وأرى أولادكم شقرا زرقا فأخبروه خبرهم مع مماليك أمير المسلمين

= لعمر الهوى إنى وإن شطت النوى * لذو كبد حرّى وذو مدمع سكب
فإن كنت فى أقصى خراسان ثاويا * فجسمى فى شرق وقلبى فى غرب

وقال أبوبكر محمد بن عيسى المعروف بابن اللبانة يذكر المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية - وكان لما أزيل أمره وانتزع منه ملكه حمل إلى أغمات فحبس بها - :

انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الأرضى قد كتمت * سريرة العالم العلوى أغمات

Marfat.com

Marfat.com

فقبح الصبر على هذا وأزرى عليهم وعظم الأمر عندهم فقالوا له فكيف الحيلة فى الخلاص منهم وليس لنا بهم قوة فقال إذا حضروا عندكم فى الوقت المعتاد وتفرقوا فى مساكنكم فليقم كل رجل منكم إلى نزيله فليقتله واحفظوا جبلكم فإنه لا يرام ولا يقدر عليه فصبروا حتى حضر أولئك العبيد فقتلوهم على ما قرر لهم المهدى فلما فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من أمير المسلمين فامتنعوا فى الجبل وسدوا ما فيه من طريق يسلك إليهم فقويت نفس المهدى بذلك ثم إن أمير المسلمين أرسل إليهم جيشا قويا فحصروهم فى الجبل وضيقوا عليهم ومنعوا عنهم الميرة فقلت عند أصحاب المهدى الأقوات حتى صار الخبز معدوما عندهم وكان يطبخ لهم كل يوم من الحسا ما يكفيهم فكان قوت كل واحد منهم أن يغمس يده فى ذلك الحسا ويخرجها فما علق عليها قنع به ذلك اليوم فاجتمع أعيان أهل تينملل وأرادوا إصلاح الحال مع أمير المسلمين فبلغ الخبر بذلك المهدى بن تومرت وكان معه إنسان يقال له أبو عبد الله الونشريشى يظهر البله وعدم المعرفة بشىء من القرآن والعلم وبزاقه يجرى على صدره وهو كأنه معتوه ومع هذا فالمهدى يقربه ويكرمه ويقول إن لله سرا فى هذا الرجل سوف يظهر وكان الونشريشى يلزم الاشتغال بالقرآن والعلم فى السر بحيث لا يعلم أحد ذلك منه فلما كان سنة تسع عشرة وخاف المهدى من أهل الجبل خرج يوما لصلاة الصبح فرأى إلى جانب محرابه إنسانا حسن الثياب طيب الريح فأظهر أنه لا يعرفه وقال من هذا فقال أنا أبو عبد الله الونشريشى فقال له المهدى إن أمرك لعجب ثم صلى فلما فرغ من صلاته نادى فى الناس فحضروا فقال إن هذا الرجل يزعم أنه الونشريشى فانظروه وحققوا أمره فلما أضاء النهار عرفوه فقال له المهدى ما قصتك قال إننى إتانى الليلة ملك من السماء فغسل قلبى وعلمنى الله القرآن والموطأ وغيره من العلوم والأحاديث فبكى المهدى بحضرة الناس ثم قال له نحن نمتحنك فقال افعل وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من أى موضع سئل وكذلك الموطأ وغيره من كتب الفقه والأصول فعجب الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم إن الله تعالى قد أعطانى نورا أعرف به أهل الجنة من أهل النار وآمركم أن تقتلوا أهل النار وتتركوا أهل الجنة وقد أنزل الله تعالى ملائكة إلى البئر التى فى المكان الفلانى يشهدون بصدقى فسار المهدى والناس معه وهم يبكون إلى تلك البئر وصلى المهدى عند رأسها وقال يا ملائكة الله إن أبا عبد الله الونشريشى قد زعم كيت وكيت فقال من بها صدق وكان قد وضع فيها رجالا يشهدون بذلك فلما قيل ذلك من البئر قال المهدى إن هذه مطهرة مقدسة قد نزل إليها الملائكة والمصلحة أن تطم لئلا يقع فيها نجاسة أو ما لا يجوز فألقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمها ثم نادى فى أهل الجبل بالحضور إلى ذلك المكان فحضروا للتمييز فكان الونشريشى يعمد إلى الرجل الذى يخاف ناحيته فيقول هذا من أهل النار فيلقى من الجبل مقتولا وإلى الشاب الغر ومن لا يخشى فيقول هذا من أهل الجنة فيترك على يمينه فكان عدة القتلى سبعين ألفا فلما فرغ من ذلك أمن على نفسه وأصحابه واستقام أمره هكذا سمعت جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون فى التمييز وسمعت منهم من يقول إن ابن تومرت لما رأى كثرة أهل الشر والفساد فى أهل الجبل أحضر شيوخ القبائل وقال لهم إنكم لا يصح لكم دين ولا يقوى إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإخراج المفسد من بينكم فابحثوا عن كل من عندكم من أهل الشر والفساد فانهوهم عن ذلك فإن انتهوا وإلا فاكتبوا أسماءهم وارفعوها إلىّ لأنظر فى أمرهم ففعلوا ذلك وكتبوا له أسماءهم من كل قبيلة ثم أمرهم بذلك مرة ثانية وثالثة ثم جمع المكتوبات فأخذ منها ما تكرر من الأسماء

فأثبتها عنده ثم جمع الناس قاطبة ورفع الأسماء التى كتبها ودفعها إلى الونشريشى المعروف بالبشير وأمره أن يعرض القبائل ويجعل أولئك المفسدين فى جهة الشمال ومن عداهم من جهة اليمين ففعل ذلك وأمر أن يكتف من على شمال الونشريشى فكتفوا وقال إن هؤلاء أشقياء قد وجب قتلهم وأمر كل قبيلة أن يقتلوا أشقياءهم فقتلوا عن آخرهم فكان يوم التميز ولما فرغ ابن تومرت من التميز رأى أصحابه الباقين على نيات صادقة وقلوب متفقة على طاعته فجهز منهم جيشا وسيرهم إلى جبال أغمات وبها جمع من المرابطين فقاتلوهم فانهزم أصحاب ابن تومرت وكان أميرهم أبو عبد الله الونشريشى وقتل منهم كثير وجرح عمر الهنتاتى وهو من أكبر أصحابه وسكن حسه ونبضه فقالوا مات فقال الونشريشى أما إنه لم يمت ولا يموت حتى يملك البلاد فبعد ساعة فتح عينيه وعادت قوته إليه فافتتنوا به وعادوا منهزمين إلى ابن تومرت فوعظهم وشكرهم على صبرهم ثم لم يزل بعدها يرسل السرايا فى أطراف بلاد المسلمين فإذا رأوا عسكرا تعلقوا بالجبل فأمنوا وكان المهدى قد رتب أصحابه مراتب فالأولى يسمون أيت عشرة يعنى أهل عشرة وأولهم عبد المؤمن ثم أبو حفص الهنتاتى وغيرهما وهم أشرف أصحابه وأهل الثقة عنده والسابقون إلى متابعته والثانية أيت خمسين يعنى أهل خمسين وهم دون تلك الطبقة وهم جماعة من رؤساء القبائل والثالثة أيت سبعين يعنى أهل سبعين وهم دون التى قبلها وسمى عامة أصحابه والداخلين فى طاعته موحدين فإذا ذكر الموحدون فى أخبارهم فإنما يعنى أصحابه وأصحاب عبد المؤمن بعده ولم يزل أمر ابن تومرت يعلو الى سنة أربع وعشرين فجهز المهدى جيشا كثيفا يبلغون أربعين ألفا أكثرهم رجالة وجعل عليهم الونشريشى وسير معهم عبد المؤمن فنزلوا وساروا إلى مراكش فحصروها وضيقوا عليها وبها أمير المسلمين على بن يوسف فبقى الحصار عليها عشرين يوما فأرسل أمير المسلمين إلى متولى سجلماسة يأمره أن يحضر ومعه الجيوش فجمع جيشا كثيرا وسار فلما قارب عسكر المهدى خرج أهل مراكش من غير الجهة التى أقبل منها فاقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل وأصحاب المهدى فقتل الونشريشى أميرهم فاجتمعوا إلى عبد المؤمن وجعلوه أميرا عليهم ولم يزل القتال بينهم عامة النهار وصلى عبد المؤمن صلاة الخوف الظهر والعصر والحرب قائمة ولم تصل بالمغرب قبل ذلك فلما رأى المصامدة كثرة المرابطين وقوتهم أسندوا ظهورهم إلى بستان كبير هناك والبستان يسمى عندهم البحيرة فلهذا قيل وقعة البحيرة وعام البحيرة وصاروا يقاتلون من جهة واحدة إلى ان أدركهم الليل وقد قتل من المصامدة أكثرهم وحين قتل الونشريشى دفنه عبد المؤمن فطلبه المصامدة فلم يروه فى القتلى فقالوا رفعته الملائكة ولما جنهم الليل سار عبد المؤمن ومن سلم من القتلى إلى الجبل.

﴿ ذكر وفاة المهدى وولاية عبد المؤمن ﴾ لما سير الجيش إلى حصار مراكش مرض مرضا شديدا فلما بلغه خبر الهزيمة اشتد مرضه وسأل عن عبد المؤمن فقيل هو سالم فقال ما مات أحدا لأمر قائم وهو الذى يفتح البلاد ووصى أصحابه باتباعه وتقديمه وتسليم الأمر إليه والانقياد له ولقبه أمير المؤمنين ثم مات المهدى وكان عمره إحدى وخمسين سنة وقيل خمسا وخمسين سنة ومدة ولايته عشرين سنة وعاد عبد المؤمن إلى تينملل وأقام بها يتألف القلوب ويحسن إلى الناس وكان جوادا مقداما فى الحروب ثابتا فى الهزاهز إلى أن دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة فتجهز وسار فى جيش كثير وجعل يمشى مع الجبل إلى أن وصل إلى تادلة فمانعه أهلها وقاتلوه فقهرهم وفتحها وسائر البلاد التى تليها ومشى فى الجبال يفتح ما امتنع عليه وأطاعه صنهاجة الجبل وكان أمير المسلمين قد جعل ولى عهده ابنه سير فمات فأحضر أمير المسلمين ابنه تاشفين من الأندلس وكان أميرا

Marfat.com

عنها فلما حضر عنده جعله ولى عهده سنة إحدى وثلاثين وجعل معه جيشا وصار يمشى فى الصحراء قبالة عبدالمؤمن فى الجبال وفى سنة اثنتين وثلاثين كان عبدالمؤمن فى النواظر وهو جبل عال مشرف وتاشفين فى الوطأة ويخرج من الطائفتين قوم يتراءون ويتطاردون ولم يكن بينهما لقاء ويسمى عام النواظر وفى سنة ثلاث وثلاثين توجه عبدالمؤمن مع الجبل فى الشعراء حتى انتهى إلى جبل كرتاطة فنزل فى أرض صلبة بين شجر ونزل تاشفين قبالته فى الوطأة فى أرض لا نبات فيها وكان الفصل شاتيا فتوالت الأمطار أياما كثيرة لا يقلع فصارت الأرض التى فيها تاشفين وأصحابه كثيرة الوحل تسوخ فيها قوائم الخيل إلى صدورها ويعجز الرجل عن المشى فيها وتقطعت الطرق عنها فأوقدوا رماحهم وقرابيس سروجهم وهلكوا جوعا وبرداً وسوء حال وكان عبدالمؤمن وأصحابه فى أرض خشنة صلبة فى الجبل لا يبالون بشىء والميرة متصلة إليهم وفى ذلك الوقت سير عبدالمؤمن جيشا إلى وجرة من أعمال تلمسان ومقدمهم أبو عبدالله محمد بن رقو وهو من أيت خمسين فبلغ خبرهم إلى محمد بن يحيى بن فانو متولى تلمسان فخرج فى جيش من الملثمين فالتقوا بموضع يعرف بخندق الخمر فهزمهم جيش عبدالمؤمن وقتل محمد بن يحيى وكثير من أصحابه وغنموا مامعهم ورجعوا فتوجه عبدالمؤمن بجميع جيشه إلى غمارة فأطاعوه قبيلة بعد قبيلة وأقام عندهم مدة وما برح يمشى فى الجبال وتاشفين يحاذيه فى الصحارى فلم يزل عبدالمؤمن كذلك إلى سنة خمس وثلاثين فتوفى أمير المسلمين على بن يوسف بمراكش وملك بعده ابنه تاشفين فقوى طمع عبدالمؤمن فى البلاد إلا أنه لم ينزل الصحراء وفى سنة ثمان وثلاثين توجه عبدالمؤمن إلى تلمسان فنازلها وضرب خيامه فى جبل بأعلاها ونزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد وكان بينهم مناوشة فبقوا كذلك إلى سنة تسع وثلاثين فرحل عبدالمؤمن عنها إلى جبل تاجرة ووجه جيشا مع عمر الهنتاتى إلى مدينة وهران فهاجمها بغتة وحصل هو وجيشه فيها فسمع بذلك تاشفين فسار إليها فخرج منها عمر ونزل تاشفين بظاهر وهران على البحر فى شهر رمضان سنة تسع وثلاثين فجاءت ليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة يعظمها أهل المغرب وبظاهر وهران ربوة مطلة على البحر وبأعلاها ثنية يجتمع فيها المتعبدون وهو موضع معظم عندهم فسار إليه تاشفين فى نفر يسير من أصحابه متخفيا لم يعلم به إلا النفر الذين معه وقصد التبرك بحضور ذلك الموضع مع أولئك الجماعة الصالحين فبلغ الخبر إلى عمر بن يحيى الهنتاتى فسار لوقته بجميع عسكره إلى ذلك المتعبد وأحاطوا به وملكوا الربوة فلما خاف تاشفين على نفسه أن يأخذوه ركب فرسه وحمل عليه إلى جهة البحر فسقط من جرف عال على الحجارة ورفعت جثته على خشبة وقتل كل من كان معه وقيل إن تاشفين قصد حصنا هناك على رابية وله فيه بستان كبير فيه من كل الثمار فاتفق أن عمر الهنتاتى مقدم عسكر عبدالمؤمن سير سرية إلى ذلك الحصن يعلمهم بضعف من فيه ولم يعلموا أن تاشفين فيه فألقوا النار فى بابه فاحترق فأراد تاشفين الهرب فركب فرسه فوثب الفرس من داخل الحصن إلى خارج السور فسقط فى النار فأخذ تاشفين فاعترف فأرادوا حمله إلى عبدالمؤمن فمات فى الحال لأن رقبته كانت قد اندقت فصلب وقتل كل من معه وتفرق عسكره ولم يعد لهم جماعة وملك بعده أخوه إسحق ابن على بن يوسف ولما قتل تاشفين أرسل عمر إلى عبدالمؤمن بالخبر فجاء من تاجرة فى يومه بجميع عسكره وتفرق عسكر أمير المسلمين واحتمى بعضهم بمدينة وهران فلما وصل عبدالمؤمن دخلها بالسيف وقتل فيها مالا يحصى ثم سار إلى تلمسان وهما مدينتان بينهما شوط فرس أحدهما تاجررت وبها عسكر المسلمين والآخر

Marfat.com

أقادير وهى بناء قديم فامتنعت أقادير وغلقت أبوابها وتأهب أهلها للقتال وأما تاجررت فكان فيها يحيى ابن الصحراوية فهرب منها بعسكره إلى مدينة فاس وجاء عبد المؤمن إليها فدخلها لما فر منها العسكر ولقيه أهلها بالخضوع والاستكانة فلم يقبل منهم ذلك وقتل أكثرهم ودخلها عسكره ورتب أمرها ورحل عنها وجعل على أقادير جيشا يحصرها وسار إلى مدينة فاس سنة أربعين فنزل على جبل مطل عليها وحصرها تسعة أشهر وفيها يحيى بن الصحراوية وعسكره الذين فروا من تلمسان فلما طال مقام عبد المؤمن عمد إلى نهر يدخل البلد فسكره بالأخشاب والتراب وغير ذلك فمنعه من دخول البلد وصار بحيرة تسير فيها السفن ثم هدم السكر فجاء الماء دفعة واحدة فخرب سور البلد وكل ما يجاور النهر من البلد أراد عبد المؤمن أن يدخل البلد فقاتله أهله خارج السور فتعذر عليه ما قدره من دخوله وكان بفاس عبد الله بن خيار الجيانى عاملا عليها وعلى جميع أعمالها فاتفق هو وجماعة من أعيان البلد وكاتبوا عبد المؤمن فى طلب الأمان لأهل فاس فأجابهم إليه ففتحوا له بابا من أبوابها فدخله عسكره وهرب يحيى بن الصحراوية وكان فتحها آخر سنة أربعين وخمسمائة وسار إلى طنجة ورتب عبد المؤمن أمر مدينة فاس وأمر فنودى فى أهلها من ترك عنده سلاحا وعدة قتال حل دمه فحمل كل من فى البلد ما عندهم من سلاح إليه فأخذه منهم ثم رجع إلى مكناسة ففعل بأهلها مثل ذلك وقتل من بها من الفرسان والأجناد وأما العسكر الذى كان على تلمسان فإنهم قاتلوا أهلها ونصبوا المجانيق وأبراج الخشب وزحفوا بالدبابات وكان المقدم على أهلها الفقيه عثمان فدام الحصار نحو سنة فلما اشتد الأمر على أهل البلد اجتمع جماعة منهم وراسلوا الموحدين أصحاب عبد المؤمن بغير علم الفقيه عثمان وأدخلوهم البلد فلم يشعر أهله إلا والسيف يأخذهم فقتل أكثر أهله وسبيت الذرية والحريم ونهب من الأموال ما لا يحصى ومن الجواهر ما لا تحد قيمته ومن لم يقتل بيع بأوكس الأثمان وكان عدة القتلى مائة ألف قتيل وقيل إن عبد المؤمن هو الذى حصر تلمسان وسار منها إلى فاس والله أعلم وسير عبد المؤمن سرية إلى مكناسة فحصروها مدة ثم سلمها إليهم أهلها بالأمان فوفوا لهم وسار عبد المؤمن من فاس إلى مدينة سلا ففتحها وحضر عنده جماعة من أعيان سبتة فدخلوا فى طاعته فأجابهم إلى بذل الأمان وكان ذلك سنة إحدى وأربعين.

﴿ذكر ملك عبدالمؤمن مدينة مراكش﴾ لما فرغ عبدالمؤمن من فاس وتلك النواحى سار إلى مراكش وهى كرسى مملكة الملثمين وهى من أكبر المدن وأعظمها وكان صاحبها حينئذ إسحق بن على بن يوسف بن تاشفين وهو صبى فنازلها وكان نزوله عليها سنة إحدى وأربعين فضرب خيامه فى غربيها على جبل صغير وبنى عليه مدينة له ولعسكره وبنى بها جامعا وبنى له بناء عاليا يشرف منه على المدينة ويرى أحوال أهلها وأحوال المقاتلين من أصحابه وقاتلها قتالا كثيرا وأقام عليها أحد عشر شهرا فكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد واشتد الجوع على أهله وتعذرت الأقوات عندهم ثم زحف إليهم يوما وجعل لهم كمينا وقال لهم إذا سمعتم صوت الطبل فأخرجوا وجلس هو بأعلى المنظرة التى بناها يشاهد القتال وتقدم عسكره وقاتلوا وصبروا ثم إنهم انهزموا لأهل مراكش ليتبعوهم إلى الكمين الذى لهم فتبعهم الملثمون إلى أن وصلوا إلى مدينة عبد المؤمن فهدموا أكثر سورها وصاحت المصامدة بعبد المؤمن ليأمر بضرب الطبل ليخرج الكمين فقال لهم اصبروا حتى يخرج كل طامع فى البلد فلما خرج أكثر أهله أمر بالطبل فضرب وخرج الكمين عليهم ورجع المصامدة المنهزمون إلى الملثمين فقتلوهم كيف شاؤا وعادت الهزيمة على الملثمين فمات فى زحمة الأبواب

Marfat.com

Marfat.com

مالا يحصيه إلا الله سبحانه وكان شيوخ الملثمين يدبرون دولة إسحق بن على بن يوسف أصغر سنه فاتفق أن إنسانا من جملتهم يقال له عبد الله بن أبى بكر خرج إلى عبد المؤمن مستأمنا وأطلعه على عوراتهم وضعفهم فقوى الطمع فيهم واشتد عليهم البلاء ونصب عليهم المنجنيقات والأبراج وفنيت أقواتهم وأكلوا دوابهم ومات من العامة بالجوع مايزيد على مائة ألف إنسان فأنتن البلد من ريح الموتى وكان بمراكش جيش من الفرنج كان المرابطون قداستنجدا بهم فجاؤا إليهم نجدة فلما طال عليهم الأمر راسلوا عبد المؤمن يسألون الأمان فأجابهم إليه ففتحوا له بابا من أبواب البلد يقال له باب أغمات فدخلت عساكره بالسيف وملكوا المدينة عنوة وقتلوا من وجدوا ووصلوا إلى دار أمير المسلمين فأخرجوا الأمير إسحق وجميع من معه من أمراء المرابطين فقتلوا وجعل إسحق يرتعد رغبة فى البقاء ويدعو لعبد المؤمن ويبكى فقام إليه الأمير سير بن الحاج وكان إلى جانبه مكتوفا فبزق فى وجهه وقال تبكى على أبيك وأمك اصبر صبر الرجال فهذا رجل لا يخاف ولا يدين بدين فقام الموحدون إليه بالخشب فضربوه حتى قتلوه وكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة وقدم إسحق على صغر سنه فضربت عنقه سنة اثنتين وأربعين وهو آخر ملوك المرابطين وبه انقرضت دولتهم وكانت مدة ملكهم سبعين سنة وولى منهم أربعة يوسف وعلى وتاشفين وإسحق ولما فتح عبد المؤمن مراكش أقام بها واستوطنها واستقر ملكه ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فأكثر فيهم القتل اختفى كثير من أهلها فلما كان بعد سبعة أيام أمر فنودى بأمان من بقى من أهلها فخرجوا فأراد أصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صناع وأهل الأسواق من ننتفع به فتركوا وأمر بإخراج القتلى من البلد فأخرجوهم وبنى بالقصر جامعا كبيرا وزخرفه فأحسن عمله وأمر بهدم الجامع الذى بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ولقد أساء يوسف ابن تاشفين فى فعله بالمعتمد بن عباد وارتكب بسجنه على الحالة المذكورة أقبح مركب فلا جرم سلط الله عليه فى عقابه من أربى فى الأخذ عليه وزاد فتبارك الحى الدائم الملك الذى لايزول ملكه وهذه سنة الدنيا فأف لها ثم أف نسأل الله أن يختم أعمالنا بالحسنى ويجعل خير أيامنا يوم نلقاه بمحمد وآله.

﴿ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة﴾ فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة سار بعض المرابطين من الملثمين إلى دكالة فاجتمع إليه قبائلها وصاروا يغيرون على أعمال مراكش وعبد المؤمن لا يلتفت إليهم فلما كثر ذلك منهم سار إليهم سنة أربع وأربعين فلما سمعت دكالة بذلك انحشروا كلهم إلى ساحل البحر فى مائتى ألف راجل وعشرين ألف فارس وكانوا موصوفين بالشجاعة وكان مع عبد المؤمن من الجيوش مايخرج عن الحصر وكان الموضع الذى فيه دكالة كثير الحجر والحزونة فكمنوا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن إذا سلكه فمن الاتفاق الحسن له أنه قصدهم من غير الجهة التى فيها الكمناء فانحل عليهم ما قدروه وفارقوا ذلك الموضع فأخذهم السيف فدخلوا البحر فقتل أكثرهم وغنمت إبلهم وأغنامهم وأموالهم وسبى نساؤهم وذراريهم فبيعت الجارية الحسناء بدراهم يسيرة وعاد عبد المؤمن إلى مراكش مظفرا منصورا وثبت ملكه وخافه الناس فى جميع المغرب وأذعنوا له بالطاعة.

﴿ذكر حصر مدينة كتندة﴾ فى هذه السنة يعنى سنة أربع عشرة وخمسمائة خرج ملك من ملوك الفرنج بالأندلس يقال له ابن ردمير فسار حتى انتهى إلى كتندة وهى بالقرب من مرسية فى شرق الأندلس فحصرها وضيق على أهلها وكان أمير المسلمين على بن يوسف حينئذ بقرطبة ومعه جيش كثير من المسلمين والأجناد

المتطوعة فسيرهم إلى ابن ردمير فالتقوا واقتتلوا أشد القتال وهزمهم ابن ردمير هزيمة منكرة وكثر القتل فى المسلمين وكان فيمن قتل أبو عبدالله بن الفراء قاضى المرية وكان من العلماء العاملين والزهاد فى الدنيا العادلين فى القضاء .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة كسر بلك بن أرتق عفراس الرومى وقتل من الروم خمسة آلاف رجل على قلعة سرمان من بلد يد كان وأسر عفراس وكثير من عسكر . وفيها أغار جوسلين الفرنجى صاحب الرها على جيوش العرب والتركمان وكانوا نازلين بصفين غربى الفرات وغنم من أموالهم وخيلهم ومواشيهم شيئا كثيرا ولما عاد خرب بزاعة . وفيها تسلم أتابك طغتكين صاحب دمشق مدينة تدمر والشقيف . وفيها أمر السلطان محمود الأمير جيوش بك بالمسير إلى حرب أخيه طغرل فسار إليه فسمع طغرل وأتابكه كنتغدى ذلك فسار إلى كنجة من بين يدى العسكر ولم يجر قتال . وفيها فى المحرم توفى خالصة الدولة أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب بن السيبى صاحب المخزن ببغداد وولى مكانه الكمال أبو الفتوح حمزة بن طلحة المعروف بابن البقشلام والد علم الدين الكاتب المعروف . وفى جمادى الأولى منها توفى أبو سعد عبدالرحيم بن عبدالكريم بن هوازن القشيرى الإمام ابن الإمام وكان أخذ العلم من قرابته والطريقة أيضا ثم استفاد أيضا من إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى وسمع الحديث من جماعة ورواه وكان حسن الوعظ سريع الخاطر ولما توفى جلس الناس فى البلاد البعيدة للعزاء به حتى فى بغداد برباط شيخ الشيوخ .(١)

﴿ ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر إقطاع البرسقى الموصل ﴾ فى هذه السنة فى صفر أقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها وماينضاف إليها كالجزيرة وسنجار وغيرها الأمير آقسنقر البرسقى وسبب ذلك أنه كان فى خدمة السلطان محمود ناصحا له ملازما له فى حروبه كلها وكان له الأثر الحسن فى الحرب المذكورة بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود وهو الذى أحضر الملك مسعود عند أخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولى عليها البرسقى وتقدم إلى سائر الأمراء بطاعته وأمره بمجاهدة الفرنج وأخذ البلاد منهم فسار إليها فى عسكر كثير وملكها وأقام يدبر أمورها ويصلح أحوالها

﴿ ذكر وفاة الأمير على وولاية ابنه الحسن أفريقية ﴾ فى هذه السنة توفى الأمير على بن يحيى بن تميم صاحب أفريقية فى العشر الأخير من ربيع الآخر وكان مولده بالمهدية وقد تقدم من حروبه وأعماله مايستدل به على علو همته ، ولما توفى ولى الملك بعده ابنه الحسن بعهد أبيه وقام بأمر دولته صندل الخصى لأنه كان عمره حينئذ اثنتى عشرة سنة لايستقل بتدبير الملك فقام صندل فى الحفظ والاحتياط فلم تطل أيامه حتى توفى فوقع الاختلاف بين أصحابه وقواده كل منهم يقول أنا المقدم على الجميع وبيدى الحل والشد فلم يزالوا كذلك إلى أن فوض أمور دولته إلى قائد من أصحاب أبيه يقال له أبو عزيز موفق فصلحت الأمور .

---

(١) وفيها توفى عبد العزيز بن على بن حامد أبو حامد الدينورى ، كان كثير المال والصدقات ، ذا حشمة وثروة ووجاهة عند الخليفة ، وقد روى الحديث ووعظ ، وكان مليح الإيراد حلو المنطق ، توفى بالرى والله أعلم .

Marfat.com

Marfat.com

﴿ذكر قتل أمير الجيوش﴾ فى هذه السنة فى الثالث والعشرين من رمضان قتل أمير الجيوش الأفضل بن بدر الجمالى وهو صاحب الأمر والحكم بمصر وكان ركب إلى خزانة السلام ليفرقه على الأجناد على جارى العادة فى الأعياد فسار معه عالم كثير من الرجالة والخيالة فتأذى بالغبار فأمر بالبعد عنه وسار منفرداً معه رجلان فصادفه رجلان بسوق الصياقلة فضرباه بالسكاكين فجرحاه وجاء الثالث من ورائه فضربه بسكين فى خاصرته فسقط عن دابته ورجع أصحابه فقتلوا الثلاثة وحملوه إلى دار الأفضل فدخل عليه الخليفة وتوجع له وسأله عن الأموال فقال أما الظاهر منها فأبو الحسن بن أسامة الكاتب يعرفه وكان من أهل حلب وتولى ابوه قضاء القاهرة ، وأما الباطن فابن البطائحى يعرفه فقالا صدق فلما توفى الأفضل ثقل من أمواله مالا يعلمه إلا الله تعالى وبقى الخليفة فى داره نحو أربعين يوما والكتاب بين يديه والدواب تحمل وتنقل ليلا ونهاراً ووجد له من الأعلاق النفيسة والأشياء الغريبة القليلة الوجود مالا يوجد مثله لغيره واعتقل أولاده وكان عمره سبعا وخمسين سنة وكانت ولايته بعد أبيه ثمانية وعشرين سنة منها آخر أيام المستنصر وجميع أيام المستعلى إلى هذه السنة من أيام الآمر وكان الإسماعيلية يكرهونه لأسباب منها تضييعه على إمامهم وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم ومنها ترك معارضة أهل السنة فى اعتقادهم والنهى عن معارضتهم وإذنه للناس فى إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها فكثر الغرباء ببلاد مصر وكان حسن السيرة عادلا . حكى أنه لما قتل وظهر الظلم بعده اجتمع جماعة واستغاثوا إلى الخليفة وكان من جملة قولهم إنهم لعنوا الأفضل فسألهم عن سبب لعنهم إياه فقالوا إنه عدل وأحسن السيرة ، ففارقنا بلادنا وأوطاننا وقصدنا بلده لعدله فقد أصابنا بعده هذا الظلم فهو كان سبب ظلمنا فأحسن الخليفة إليهم وأمر بالإحسان إلى الناس ومنها أن صاحبه الآمر بأحكام الله صاحب مصر وضع عليه وسبب ذلك ماذكرناه قبل فقصد الآمر بينهما فأراد الآمر أن يضع عليه من يقتله إذا دخل عليه قصره للسلام أو فى أيام الأعياد فمنعه من ذلك ابن عمه أبو الميمون عبد المجيد وهو الذى ولى الأمر بعده بمصر وقال له فى هذا الفعل شناعة وسوء سمعة لأنه قد خدم دولتنا هو وأبوه خمسين سنة ولم يعلم الناس منهم إلا النصح لنا والمحبة لدولتنا وقد سار ذلك فى أقطار البلاد فلا يجوز أن يظهر منا هذه المكافأة الشنيعة ومع هذا فلا بدّ وأن نقيم غيره مكانه ونعتمد عليه فى منصبه متمكن مثله أو ما يقاربه فيخاف أن نفعل به مثل فعلنا بهذا فيحذر من الدخول إلينا خوفا على نفسه وإن دخل علينا كان خائفا مستعدا للامتناع وفى هذا الفعل منهم ما يسقط المنزلة والرأى أن تراسل أبا عبدالله بن البطائحى فإنه الغالب على أمر الأفضل والمطلع على سره وتعده أن توليه منصبه وتطلب منه أن يدبر الأمر فى قتله لمن يقاتله إذا ركب فإذا ظفرنا بمن قتله قتلناه وأظهرنا الطلب بدمه والحزن عليه فنبلغ غرضنا ويزول عنا قبح الأحدوثة ففعلوا ذلك فقتل كما ذكرناه ولما قتل ولى بعده أبو عبدالله ابن البطائحى الأمر ولقب المأمون وتحكم فى الدولة فبقى كذلك حاكما فى البلاد إلى سنة تسع عشرة فصلب كما نذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ذكر عصيان سليمان بن أيلغازى على أبيه﴾ فى هذه السنة عصا سليمان بن أيلغازى بن أرتق على أبيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة حمله على ذلك جماعة من عنده فسمع والده الخبر فسار مجدا لوقته فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج إليه معتذرا فأمسك عنه وقبض على من كان أشار عليه بذلك منهم أمير كان قد التقطه أرتق والد أيلغازى ورباه اسمه ناصر فقلع عينيه وقطع لسانه ومنهم إنسان من أهل حماة من بيت

Marfat.com

قرناص كان قد قدمه أيلغازى على أهل حلب وجعل إليه الرياسة فجازاه بذلك وقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فمات وأحضر ولده وهو سكران فأراد قتله فمنعه رقة الوالد فاستبقاه فهرب إلى دمشق فأرسل طغتكين يشفع فيه فلم يجبه إلى ذلك واستناب بحلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار بن أرتق ولقبه بدر الدولة وعاد إلى ماردين

﴿ذكر إقطاع ميافارقين أيلغازى﴾ فى هذه السنة أقطع السلطان محمود مدينة ميافارقين للأمير أيلغازى وسبب ذلك أنه أرسل ولده حسام الدين تمرناش وعمره سبع عشرة سنة إلى السلطان ليشفع فى دبيس بن صدقة ويبذل عنه الطاعة وحمل الأموال والخيل وغيرها وأن يضمن الحلة كل يوم بألف دينار وفرس وكان المتحدث عنه القاضى بهاء الدين أبو الحسن على بن القاسم بن الشهرزورى فتردد الخطاب فى ذلك ولم ينفصل حال ؛ فلما أراد العود أقطع السلطان إياه مدينة ميافارقين وكانت مع الأمير سكمان صاحب خلاط فتسلمها أيلغازى وبقيت فى يده ويد أولاده إلى أن ملكها صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ثمانين وخمسمائة وسنذكر ذلك إن شاء الله

﴿ذكر حصر بلك بن بهرام الرها وأسر صاحبها﴾ فى هذه السنة سار بلك بن بهرام ولد أخى أيلغازى إلى مدينة الرها فحصرها وبها الفرنج وبقى على حصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها فجاءه إنسان تركمانى وأعلمه أن جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع من عنده من الفرنج وهو عازم على كبسه ؛ وكان قد تفرق عن بلك أصحابه وبقى فى أربعمائة فارس فوقف مستعدا لقتالهم وأقبل الفرنج فمن لطف الله تعالى بالمسلمين أن الفرنج وصلوا إلى أرض قد نضب عنها الماء فصارت وحلا غاصت خيولهم فيه فلم تتمكن مع ثقل السلاح والفرسان من الإسراع والجرى فرماهم أصحاب بلك بالنشاب فلم يفلت منهم أحد وأسر جوسلين وجعل فى جلد جمل وخيط عليه وطلب منه أن يسلم الرها فلم يفعل وبذل فى فداء نفسه أموالا جزيلة وأسرى كثيرة فلم يجبه إلى ذلك وحمله إلى قلعة خرتبرت فسجنه بها وأسر معه ابن خالته واسمه كليام وكان من شياطين الكفار وأسر أيضا جماعة من فرسانه المشهورين فسجنهم معه .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة توفيت جدة السلطان محمود لأبيه وهى والدة السلطان سنجر وكانت تركية تعرف بخاتون السفرية وكان موتها بمرو فجلس محمود ببغداد للعزاء فيها وكان عزاء لم يشاهد مثله الناس وفيها توفى الخطير محمد بن الحسين الميبذى ببلاد فارس وهو فى وزارة الملك سلجوق ابن السلطان محمد وكان قديما وزر للسلطانين بركيارق ومحمد وكان جوادا حليما سمع أن الأبيوردى هجاه فلما سمع الهجو مضه فعض على إبهامه وصفح عنه وخلع عليه ووصله . وفيها توفى الشهاب أبو المحاسن عبد الرزاق عبدالله وزير السلطان سنجر وهو ابن أخى نظام الملك وكان يتفقه قديما على إمام الحرمين الجوينى فكان يفتى ويوقع ووزر بعده أبو طاهر سعد بن على بن عيسى القمى ، وتوفى بعد شهور فوزر بعده عثمان القمى . وفيها فى جمادى الأولى أوقع أتابك طغتكين بطائفة من الفرنج فقتل منهم وأسر وأرسل من الأسرى والغنيمة للسلطان وللخليفة . وفيها تضعضع الركن اليمانى من البيت الحرام زاده الله شرفا من زلزلة وانهدم بعضه وتشعث بعض حرم النبى صلى الله عليه وسلم وتشعث غيره من البلاد وكان بالموصل كثير منها . وفيها احترقت دار السلطان كان قد بناها مجاهد الدين بهروز للسلطان محمد ففرغت قبل وفاته بيسير فلما كان الآن احترقت وسبب الحريق أن جارية كانت تختضب ليلا فاسندت شمعة إلى الخيش فاحترق وعلقت النار منه فى الدار واحترق فيها من زوجة السلطان محمود بنت السلطان سنجر مالا حد عليه من الجواهر والحلى والفرش والثياب وأقيم الغسالون يخلصون

الذهب وما أمكن تخليصه وكان الجوهر جميعه قد هلك إلا الياقوت الأحمر وترك السلطان الدار لم تجدد عمارتها وتطير منها لأن أباه لم يتمتع بها ثم احترق فيها من أموالهم الشيء العظيم واحترق قبلها بأسبوع جامع أصبهان وهو من أعظم الجوامع وأحسنها أحرقه قوم من الباطنية ليلا وكان السلطان قد عزم على أخذ حق البيع وتجديد المكوس بالعراق بإشارة الوزير السميرمى عليه بذلك فتجدد من هذين الحريقين ماهاله واتعظ فأعرض عنه. وفيها فى ربيع الآخر انقض كوكب عشاء وصار له نور عظيم وتفرق منه أعمدة عند انقضاضه وسمع عند ذلك صوت هدة عظيمة كالزلزلة. وفيها ظهر بمكة إنسان هلوى وأمر بالمعروف فكثر جمعه ونازع أمير مكة ابن أبى هاشم وقوى أمره وعزم على أن يخطب لنفسه فعاد ابن أبى هاشم وظفر به ونفاه عن الحجاز إلى البحرين وكان هذا العلوى من فقهاء النظامية ببغداد. وفيها ألزم السلطان أهل الذمة ببغداد بالغيار فجرى فيه مراجعات انتهت إلى أن قرر عليهم للسلطان عشرون ألف دينار وللخليفة أربعة آلاف دينار. وفيها حضر السلطان محمود وأخوه الملك مسعود عند الخليفة فخلع عليهما وعلى جماعة من أصحاب السلطان منهم وزيره أبو طالب السميرمى وشمس الملك عثمان بن نظام الملك والوزير أبو نصر أحمد بن محمد بن حامد المستوفى وعلى غيرهم من الأمراء. وفيها فى ذى القعدة وهو الحادى والعشرون من كانون الثانى سقط بالعراق جميعه من البصرة إلى تكريت ثلج كثير وبقى على الأرض خمسة عشر يوما وسمكه ذراع وهلكت أشجار النارنج والأترج والليمون فقال فيه بعض الشعراء:

ياصدور الزمان ليس بوفر * مارأيناه فى نواحى العراق
إنما عم ظلمكم سائر الخلـــق فشابت ذوائب الآفاق

وفيها هبت بمصر ريح سوداء ثلاثة أيام فأهلكت كثيرا من الناس وغيرهم من الحيوانات. وفيها توفى أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى صاحب المقامات المشهورة وهزارسب بن عوض الهروى وكان قد سمع الحديث كثيرا.[1]

---

(١) ترجمة الحريرى صاحب المقامات: هو القاسم بن على بن محمد بن محمد بن عثمان فخر الدولة أبو محمد الحريرى: مؤلف المقامات التى سارت بفصاحتها الركبان، وكاد يربو فيها على سحبان، ولم يسبق إلى مثلها ولا يلحق، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث واشتغل باللغة والنحو، وصنف فى ذلك كله، وفاق أهل زمانه، وبرز على أقرانه، وأقام ببغداد وعمل صناعة الإنشاء مع الكتاب فى باب الخليفة، ولم يكن ممن تنكر بديهته ولا تتعكر فكرته وقريحته. قال ابن الجوزى: صنف وقرأ الأدب واللغة، وفاق أهل زمانه بالذكاء والفطنة والفصاحة، وحسن العبارة، وصنف المقامات المعروفة التى من تأملها عرف ذكاء منشئها، وقدره وفصاحته وعلمه. توفى فى هذه السنة بالبصرة. وقد قيل (إن أبا زيد والحارث بن همام المطهر) لا وجود لهما، وإنما جعل هذه المقامات من باب الأمثال، ومنهم من يقول: أبو زيد بن سلام السروجى كان له وجود، وكان فاضلا، وله علم ومعرفة باللغة فالله أعلم. وذكر ابن خلكان أن أبا زيد كان اسمه المطهر بن سلام، وكان بصريا فاضلا فى النحو واللغة، وكان يشتغل عليه الحريرى بالبصرة، وأما الحارث بن همام فإنه غنى بنفسه، لما جاء فى الحديث «كلكم حارث وكلكم همام» كذا قال ابن خلكان. وإنما اللفظ المحفوظ «أصدق الأسماء حارث وهمام» لأن كل أحد إما حارث وهو الفاعل أو همام من الهمة وهو العزم والخاطر، وذكر أن أول مقامة عملها (الثامنة والأربعون وهى الحرامية) وكان =

Marfat.com

Marfat.com

﴿ ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر طاعة الملك طغرل لأخيه السلطان محمود ﴾ وفى المحرم من هذه السنة أطاع الملك طغرل أخاه السلطان محمودا وكان قد خرج عن طاعته كما ذكرناه وقصد أذربيجان فى السنة الخالية ليتغلب عليها وكان أتابكه كنتغدى يحسن له : ذلك ويقويه عليه فاتفق أنه مرض وتوفى فى شوال سنة خمس عشرة وكان الأمير آفسنقر الأحمديلى صاحب مراغة عند السلطان محمود ببغداد فاستأذنه فى المضى إلى أقطاعه فأذن له فلما سار عن السلطان

= سببها أنه دخل عليهم فى مسجد البصرة رجل ذو طمرين فصيح اللسان ، فاستسموه فقال أبو زيد السروجى ، فعمل فيه هذه المقامة ، فأشار عليه وزير الخليفة المسترشد جلال الدين عميد الدولة أبو على الحسن بن أبى المعز بن صدقة ، أن يكمل عليها تمام خمسين مقامة . قال ابن خلكان : كذا رأيته فى نسخة بخط المصنف ، على حاشيتها ، وهو أصح من قول من قال إنه الوزير شرف الدين أبو نصر أنوشروان بن محمد بن خالد بن محمد القاشانى ، وهو وزير المسترشد أيضاً ، ويقال إن الحريرى كان قد عملها أربعين مقامة فلما قدم بغداد ولم يصدق فى ذلك لعجز الناس عن مثلها ، فامتحنه بعض الوزراء أن يعمل مقامة فأخذ الدواة والقرطاس وجلس ناحية فلم يتيسر له شىء ، فلما عاد إلى بلده عمل عشرة أخرى فأتمها خمسين مقامة ، وقد قال فيه أبو القاسم على بن أفلح الشاعر ، وكان من جملة المكذبين له فيها :

شيخ لنا من ربيعة الفرس * ينتف عثنونه من الهوس
أبطقه الله بالمشان كما * رماه وسط الديوان بالخرس

ومعنى قوله (بالمشان) هو مكان بالبصرة ، وكان الحريرى صدر ديوان المشان ، ويقال إنه كان ذميم الخلق ، فاتفق أن رجلا رحل إليه فلما رآه ازدراه ففهم الحريرى ذلك فأنشأ يقول :

ما أنت أول سار غره قمر * ورائد أعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيرى إننى رجل * مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى

ويقال : إن المعيدى اسم حصان جواد كان فى العرب ذميم الخلق والله اعلم .

وفيها توفى ابن القطاع اللغوى أبو القاسم على بن جعفر بن محمد ابن الحسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب السعدى الصقلى ، ثم المصرى اللغوى المصنف (كتاب الأفعال) الذى برز فيه على ابن القوطية ، وله مصنفات كثيرة ، قدم مصر فى حدود سنة خمسمائة لما أشرفت الفرنج على أخذ صقلية ، فأكرمه المصريون وبالغوا فى إكرامه ، وكان ينسب إلى التساهل فى الدين ، وله شعر جيد قوى ، مات وقد جاوز الثمانين . وفيها توفى أبو القاسم شاهنشاه الأفضل بن أمير الجيوش بمصر ، مدبر دولة الفاطميين ، وإليه تنسب قيسرية أمير الجيوش بمصر ، والعامة تقول مرجوش ، وأبوه بانى الجامع الذى بثغر الإسكندرية بسوق العطارين ، ومشهد الرأس بعسقلان أيضا ، وكان أبوه نائب المستنصر على مدينة صور ، وقيل على عكا ، ثم استدعاه إليه فى فصل الشتاء فركب البحر فاستنابه على ديار مصر ، فسدد الأمور بعد فسادها ، ومات فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وقام فى الوزارة ولده الأفضل هذا ، وكان كأبيه فى الشهامة والصرامة ، ولما مات المستنصر أقام المستعلى واستمرت الأمور على يديه ، وكان عادلا حسن السيرة ، موصوفا بجودة السريرة : فالله أعلم ، ضربه فداوى وهو راكب فقتله فى رمضان من هذه السنة ، عن سبع وخمسين سنة ، وكانت إمارته من ذلك بعد أبيه ثمان وعشرين سنة ، وكانت داره دار الوكالة اليوم بمصر ، وقد وجد له أموال عديدة جدا ، تفوق العد والإحصاء ، من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرس ، والجواهر النفائس ، فانتقل ذلك كله إلى الخليفة الفاطمى ، فجعل فى خزانته ، وذهب جامعه إلى سواء الحساب ، على الفتيل من ذلك والنقير والقطمير واعتاض عنه الخليفة بأبى =

Marfat.com

ظن أنه يقوم مقام كنتغدى من الملك طغرل فسار إليه واجتمع به وأشار عليه بالمكاشفة لأخيه السلطان محمود وقال له إذا وصلت إلى مراغة اتصل بك عشرة آلاف فارس وراجل فسار معه فلما وصلوا إلى أردبيل أغلقت أبوابها دونهم فساروا عنها إلى قريب تبريز فأتاهم الخبر أن السلطان محمودا سير الأمير جيوش بك إلى أذربيجان وأقطعه البلاد وأنه نزل مراغة فى عسكر كثيف من عند السلطان فلما تيقنوا ذلك عدلوا إلى خونج وانتقض عليهم ما كانوا فيه وراسلوا الأمير شيركير الذى كان أتابك طغرل أيام أبيه يدعونه إلى إنجادهم وقد كان كنتغدى قبض عليه بعد موت السلطان محمد على ماذكرناه ثم أطلقه السلطان سنجر فعاد إلى إقطاعه أبهر وزنجان وكاتبوه فأجابهم واتصل بهم وسار معهم إلى أبهر فلم يتم لهم ما أرادوا فراسلوا السلطان بالطاعة فأجابهم إلى ذلك فاستقرت القاعدة أول هذه السنة وتمت .

﴿ ذكر حال دبيس بن صدقة وما كان منه ﴾ قد ذكرنا سنة أربع عشرة حال دبيس بن صدقة وصلحه على يد برنقش الزكوى ومقامه بالحلة وعود برنقش إلى السلطان ومعه منصور بن صدقة أخو دبيس وولده رهينة فلما علم الخليفة بذلك لم يرض به وراسل السلطان محمودا فى إبعاد دبيس عن العراق إلى بعض النواحى وتردد الخطاب فى ذلك وعزم السلطان على المسير إلى همذان فأعاد الخليفة الشكوى من دبيس وذكر أنه يطالب الناس بحقوده منها قتل أبيه وأن يحضر السلطان آقسنقر البرسقى من الموصل ويوليه شحنكية بغداد والعراق ويجعله فى وجه دبيس ففعل السلطان ذلك وأحضر البرسقى فلما وصل إليه زوجه والدة الملك مسعود وجعله شحنة بغداد وأمره بقتال دبيس إن تعرض إلى البلاد وسار السلطان عن بغداد فى صفر من هذه السنة وكان مقامه ببغداد : سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما فلما فارق بغداد والعراق تظاهر دبيس بأمور تأثر بها المسترشد بالله وتقدم إلى البرسقى بالمسير إليه وإزعاجه عن الحلة فأرسل البرسقى إلى الموصل وأحضر عساكره وسار إلى الحلة وأقبل دبيس نحوه فالتقوا عند نهر بشير شرقى الفرات واقتتلوا فانهزم عسكر البرسقى وكان سبب الهزيمة أنه رأى فى ميسرته خللا وبها الأمراء البكجية فأمر بإلقاء خيمته وأن تنصب عند الميسرة ليقوى قلوب من بها فلما رأوا الخيمة وقد سقطت ظنوها عن هزيمة فانهزموا وتبعهم الناس والبرسقى وقيل بل أعطى رقعة فيها إن جماعة من الأمراء منهم إسمعيل البكجى يريدون الفتك به فانهزم وتبعه العسكر ودخل بغداد ثانى ربيع الآخر وكان فى جملة العسكر نصر بن النفيس بن مهذب الدولة أحمد بن أبى الجبر وكان ناظرا بالبطيحة لريحان محكويه خادم السلطان لأنها كانت من جملة أقطاعه وحضر أيضا المظفر بن حماد بن أبى الجبر وبينهما عداوة شديدة فالتقيا عند الانهزام بساباط نهر ملك فقتله المظفر ومضى إلى واسط مختفيا وسار منها إلى البطيحة

= عبدالله البطائحى ، ولقبه المأمون . قال ابن خلكان : ترك الأفضل من الذهب العين ستمائة ألف ألف دينار مكررة ومن الدراهم مائتين وخمسين أردبا ، وسبعين ثوب ديباج أطلس ، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقى ، ودواة ذهب فيها جوهرة بإثنى عشر ألف دينار ، ومائة مسمار ذهب زنة كل مسمار مائة مثقال ، فى عشرة مجالس كان يجلس فيها ؛ على كل مسمار منديل مشدود بذهب ، كل منديل على لون من الألوان من ملابسه ، وخمسمائة صندوق كسوة للبس بدنه ، قال : وخلف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والمسك والطيب والحلى مالا يعلم قدره إلا الله عز وجل ، وخلف من البقر والجواميس والغنم مايستحيي الإنسان من ذكره ، وبلغ ضمان ألبانها فى سنة وفاته ثلاثين ألف دينار ، وترك صندوقين كبيرين مملوءين إبر ذهب برسم النساء .

وتغلب عليها وكاتب دبيسا وأطاعه وأما دبيس فإنه لم يعرض لنهر ملك ولاغيره وأرسل إلى الخليفة أنه على الطاعة ولولا ذلك لأخذ البرسقى وجميع من معه وسأل أن يخرج الناظر إلى القرى التى لخاص الخليفة لقبض دخلها وكانت الوقعة فى حزيران وحمى البلد فأحمد الخليفة فعله وترددت الرسل بينهما فاستقرت القاعدة أن يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين أبى على بن صدقة ليعود إلى الطاعة فقبض على الوزير ونهبت داره ودور أصحابه والمنتمين إليه وهرب ابن أخيه جلال الدين أبو الرضا إلى الموصل ولما سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة أخى دبيس وولده ورفعهما إلى قلعة برجين وهى تجاور كرج ثم إن دبيسا أمر جماعة من أصحابه بالمسير إلى أقطاعهم بواسط فساروا إليها فمنعهم أتراك واسط فجهز دبيس إليهم عسكرا مقدمهم مهلهل بن أبى العسكر وأرسل إلى المظفر بن أبى الجبر بالبطيحة ليتفق مع مهلهل ويساعده على قتال الواسطيين فاتفقا على أن تكون الوقعة تاسع رجب وأرسل الواسطيون إلى البرسقى يطلبون منه المدد فأمدهم بجيش من عنده وعجل مهلهل فى عسكر دبيس ولم ينتظر المظفر ظنا منه أنه بمفرده ينال منهم ما أراد وينفرد بالفتح فالتقى هو والواسطيون ثامن رجب فانهزم مهلهل وعسكره وظفر الواسطيون وأخذ مهلهل أسيرا وجماعة من أعيان العسكر وقتل مايزيد على ألف قتيل ولم يقتل من الواسطيين غير رجل واحد وأما المظفر بن أبى الجبر فإنه أصعد من البطيحة ونهب وأفسد وجرى من أصحابه القبيح فلما قارب واسطا سمع بالهزيمة فعاد منجدرا وكان فى جملة ما أخذ العسكر الواسطى من مهلهل تذكرة بخط دبيس بأمره فيها بقبض المظفر بن أبى الجبر ومطالبته بأموال كثيرة أخذها من البطيحة فأرسلوا الخط إلى المظفر وقالوا هذا خط الذى تختاره وقد أسخطت الله تعالى والخلق كلهم لأجله فمال إليهم وصار معهم فلما جرى على أصحاب دبيس من الواسطيين ما ذكرنا شمر عن ساعده فى الشر وبلغه أن السلطان كحل أخاه فجز شعره ولبس السواد ونهب البلاد وأخذ كل ما للخليفة بنهر ملك فأجلى الناس إلى بغداد وسار عسكر واسط إلى النعمانية فأجلوا عنها عسكر دبيس واستولوا عليها وجرى بينهم هناك وقعة كان الظفر للواسطيين وتقدم الخليفة إلى البرسقى بالتبريز إلى حرب دبيس فبرز فى رمضان وكان ماذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر قتل السميرمى ﴾ وفى هذه السنة قتل الوزير الكمال أبو طالب السميرمى وزير السلطان محمود سلخ صفر وكان قد برز مع السلطان ليسير إلى همذان فدخل الحمام وخرج بين يديه الرجالة والخيالة وهو فى موكب عظيم فاجتاز بسوق المدرسة التى بناها خمارتكين التنشى واجتاز فى منفذ ضيق فيه حظائر الشوك فتقدم أصحابه لضيق الموضع فوثب عليه باطنى وضربه بسكين فوقعت فى البغلة وهرب إلى دجلة وتبعه الغلمان فخلا الموضع فظهر رجل آخر فضربه بسكين فى خاصرته وجذبه عن البغلة إلى الأرض وضربه عدة ضربات وعاد أصحاب الوزير فحمل عليهم رجلان باطنيان فانهزموا منهما ثم عادوا وقد ذبح الوزير مثل الشاة فحمل قتيلا وبه نيف وثلاثون جراحة وقتل قاتلوه ولما كان فى الحمام كان المنجمون يأخذون له الطالع ليخرج فقالوا هذا وقت جيد وإن تأخرت يفوت طالع السعد فأسرع وركب وأراد أن يأكل طعاما فمنعوه لأجل الطالع فقتل ولم ينفعه قولهم وكانت وزارته ثلاث سنين وعشرة أشهر وانتهب ماله وأخذ السلطان خزانته ووزر بعده شمس الملك بن نظام الملك وكانت زوجة السميرمى قد خرجت هذا اليوم فى موكب كبير معها نحو مائة جارية وجمع من الخدم والجميع بمراكب الذهب فلما سمعن بقتله عدن حافيات حاسرات وقد تبدلن بالعز هوانا وبالمسرة

Marfat.com

أحزانا فسبحان من لايزول ملكه ، وكان السميرمى ظالما كثير المصادرة للناس سيء السيرة فلما قتل أطلق السلطان ماكان جدده من المكوس وما وضعه على النجار والباعة .

﴿ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة على بن طراد﴾ فى جمادى الأولى قبض الخليفة على وزيره جلال الدين بن صدقة وقد تقدم ذكره قبل. وأقيم نقيب النقباء شرف الدين على بن طراد الزينبى فى نيابة الوزارة فأرسل السلطان إلى المسترشد بالله فى معنى وزارة نظام الملك وكان أخا شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود فأجيب إلى ذلك واستوزر فى شعبان وكان قد وزر للسلطان محمد سنة خمسمائة ثم عزل ولزم دار استجدها ببغداد إلى الآن فلما خلع على نظام الملك وجلس فى الديوان طلب أن يخرج ابن صدقة ذلك طلب من الخليفة أن يسير إلى حديثة عانة ليكون عند الأمير سليمان بن مهارش فأجيب إلى ماطلب وسار إلى الحديثة فخرج عليه فى الطريق إنسان من مفسدى التركمان يقال له يونس الحرامى فأسره ونهب أصحابه فخاف الوزير أن يعلم دبيس فأرسل إلى يونس وبذل له مالا يأخذه منه للعداوة التى بينهما فقرر أمره مع يونس على ألف دينار يعجل منها ثلثمائة ويؤخر الباقى إلى أن يرسله من الحديثة وراسل عامل بلد الفرات فى تخليصه وإنفاذ من يضمن الباقى الذى عليه فأعمل العامل الحيلة فى ذلك فأحضر إنسانا فلاحا وألبسه ثيابا فاخرة وطيلسانا وأركبه وسير معه غلمانا وأمره أن يمضى إلى يونس ويدعى أنه قاضى بلد الفرات ويضمن الوزير منه بما بقى من المال فسار السوادى إلى يونس فلما حصر عن الوزير ويونس احترماه وضمن السوادى الوزير منه وقال له أقيم عندك إلى أن يصل المال مع صاحب لك تنفذه مع الوزير فاعتقد يونس صدق ذلك وأطلق الوزير ومعه جماعة من أصحابه فلما وصل الحديثه قبض على من معه منهم فأطلق يونس ذلك السوادى والمال الذى أخذه حتى أطلق الوزير أصحابه وعلم الحيلة التى تمت عليه ولما سار الوزير من عند يونس لقى إنسانا أنكره فأخذه فرأى معه كتابا من دبيس إلى يونس يبذل ستة آلاف دينار ليسلم الوزير إليه وكان خلاصه من أعجب الأشياء .

﴿ذكر قتل جيوش بك﴾ فى هذه السنة قتل الأمير جيوش بك الذى كان صاحب الموصل وقد ذكرنا خروجه على السلطان محمود وعوده إلى خدمته فلما رضى عنه أقطعه أذربيجان وجعله مقدم عسكره فجرى بينه وبين جماعة من الأمراء منافرة ومنازعات فأغروا به السلطان فقتله فى رمضان على باب تبريز وكان تركيا من مماليك السلطان محمد عادلا حسن السيرة ولما ولى الموصل والجزيرة كان الأكراد بتلك الأعمال قد انتشروا وكثر فسادهم وكثرت قلاعهم والناس معهم فى ضيق والطريق خائفة فقصدهم وحصر قلاعهم وفتح كثيراً منها ببلد الهكارية وبلد الزوزان وبلد البشنوية وخافه الأكراد وتولى قصدهم بنفسه فهربوا منه فى الجبال والشعاب والمضايق وأمنت الطرق وانتشر الناس واطمأنوا وبقى الأكراد لايجسرون أن يحملوا السلاح لهيبته .

﴿ذكر وفاة أيلغازى وأحوال حلب بعده﴾ فى هذه السنة فى شهر رمضان توفى أيلغازى بن أرتق بميافارقين وملك ابنه حسام الدين تمرتاش قلعة ماردين وملك ابنه سليمان ميافارقين وكان بحلب ابن أخيه بدر الدولة سليمان بن عبدالجبار بن أرتق فبقى بها إلى أن أخذها ابن عمه .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة أقطع السلطان محمود الأمير آقسنقر البرسقى مدينة واسط وأعمالها مضافا إلى ولاية الموصل وغيرها مما بيده وشحنكية العراق فلما أقطعها البرسقى سير إليها عماد الدين زنكى ابن آقسنقر الذى كان والده صاحب حلب وأمره بحمايتها فسار إليها فى شعبان ووليها وقد ذكرنا أخبار زنكى

Marfat.com

فى كتاب الباهر فى ذكر ملكه وملك أولاده الذين هم ملوكنا الآن فينظر منه ، وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريبا من قلعة ذى القرنين . وفيها زاد الفرات زيادة عظيمة لم يعهد مثلها فدخل الماء إلى ربض قلعة جعبر وكان الفرات حينئذ بالقرب منها فغرق أكثر دوره ومساكنه وحمل فرسا من الربض وألقاه من فوق السور إلى الفرات وفيها بنيت مدرسة بحلب لأصحاب الشافعى . وفيها توفيت ابنة السلطان سنجر زوج السلطان محمود وفيها فى شعبان قدم إلى بغداد البرهان أبو الحسن على بن الحسين الغزنوى وعقد مجلس الوعظ فى جميع المواضع وورد بعده أبو القاسم على بن يعلى العلوى ونزل رباط شيخ الشيوخ فوعظ فى جامع القصر والتاجية ورباط سعادة وصار له قبول عند الحنابلة وحصل له مال كثير لأنه أظهر موافقتهم وورد بعده أبو الفتوح الإسفرايني ونزل برباط شيخ الشيوخ أيضا ووعظ فى هذه المواضع وفى النظامية وأظهر مذهب الأشعرى فصار له قبول كثير عند الشافعية وحضر مجلسه الخليفة المسترشد بالله وسلم إليه رباط الأرجوانية والدة المقتدى بالله بدرب زاخى . وفيها توفى عبد الله بن أحمد بن عمر أبو محمد السمرقندى أخو أبى القاسم بن السمرقندى ومولده بدمشق سنة أربع وأربعين وأربعمائة ونشأ ببغداد وسمع الصريفينى وابن النقور وغيرهما وسافر الكثير وكان حافظا للحديث عالما به وفى ذى الحجة توفى عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف أبو طالب ومولده سنة ست وثلاثين وأربعمائة وسمع البرمكى والجوهرى والعشارى وكان ثقة حافظا للحديث .

﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دبيس ﴾ فى هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين دبيس ابن صدقة وكان سبب ذلك أن دبيسا أطلق عفيفا خادم الخليفة وكان مأمورا عنده وحمله رسالة فيها تهديد للخليفة بإرسال البرسقى إلى قتاله وتقويته بالمال وأن السلطان كحل أخاه وبالغ فى الوعد ولبس السواد وجز شعره وحلف لينهبن بغداد ويخربها فاغتاظ الخليفة لهذه الرسالة وغضب وتقدم إلى البرسقى بالتبريز إلى حرب دبيس فبرز فى رمضان سنة ست عشرة وتجهز الخليفة وبرز من بغداد واستدعى العساكر فأتاه سليمان بن مهارش صاحب الحديثة فى عقيل وأتاه قرواش بن مسلم وغيرهما وأرسل دبيس إلى نهر ملك فنهب وعمل أصحابه كل عظيم من الفساد فوصل أهله إلى بغداد فأمر الخليفة فنودى ببغداد لا يتخلف من الأجناد أحد ومن أحب الجندية من العامة فليحضر فجاء خلق كثير ففرق فيهم الأموال والسلاح فلما علم دبيس الحال كتب إلى الخليفة يستعطفه ويسأله الرضا عنه فلم يجب إلى ذلك وأخرجت خيام الخليفة فى العشرين من ذى الحجة من سنة ست عشرة فنادى أهل بغداد النفير النفير الغزاة الغزاة وكثر الضجيج من الناس وخرج منهم عالم كثير لا يحصون كثرة وبرز الخليفة رابع عشرة ذى الحجة وعبر دجلة وعليه قباء وعمامة سوداء وطرحة وعلى كتفه البردة وفى يده القضيب وفى وسطه منطقة جديد صينى ونزل الخيام ومعه وزير نظام الدين أحمد بن نظام الملك ونقيب الطالبيين ونقيب النقباء على بن طراد وشيخ الشيوخ صدر الدين إسمعيل وغيرهم من الأعيان وكان البرسقى قد نزل بقرية جهار طاق ومعه عسكره فلما بلغهم خروج الخليفة عن بغداد عادوا إلى خدمته فلما رأوا الشمسة ترجلوا بأجمعهم وقبلوا الأرض بالبعد منه ودخلت هذه السنة فنزل الخليفة مستهل المحرم بالحديثة بنهر الملك واستدعى البرسقى والأمراء واستحلفهم على المناصحة فى الحرب ثم ساروا إلى النيل ونزلوا

Marfat.com

Marfat.com

بالمباركة وعبى البرسقى أصحابه ووقف الخليفة من وراء الجميع فى خاصته وجعل دبيس أصحابه صفا واحدا ميمنة وميسرة وقلبا وجعل الرجالة بين يدى الخيالة بالسلاح وكان قد وعد أصحابه بنهب بغداد وسبى النساء فلما تراءت الفئتان بادر أصحاب دبيس وبين أيديهم الإماء يضربن بالدفوف والمخانيث بالملاهى ولم ير فى عسكر الخليفة غير قارئ ومسبح وداع فقامت الحرب على ساق وكان مع أعلام الخليفة الأمير كرباوى بن خراسان وفى الساقة سليمان بن مهارش . وفى ميمنة عسكر البرسقى الأمير أبو بكر بن الياس مع الأمراء البكجية فحمل عنتر بن أبى العسكر فى طائفة من عسكر دبيس على ميمنة البرسقى فتراجعت على أعقابها وقتل ابن أخ للأمير أبى بكر البكجى وعاد عنتر وحمل حملة ثانية على هذه الميمنة فكان حالها فى الرجوع على أعقابها كحالها الأول فلما رأى عسكر واسط ذلك ومقدمهم الشهيد عماد الدين زنكى بن آقسنقر حمل وهم معه على عنتر ومن معه وأتوهم من ظهورهم فبقى عنتر فى الوسط وعماد الدين وعسكر واسط من ورائه والأمراء البكجية بين يديه فأسر عنتر وأسر معه بريك بن زائدة وجميع من معهما ولم يفلت أحد وكان البرسقى واقفا على نشز من الأرض وكان الأمير آق بورى فى الكمين فى خمسمائة فارس فلما اختلط الناس خرج الكمين على عسكر دبيس فانهزموا جميعهم وألقوا نفوسهم فى الماء فغرق كثير منهم وقتل كثير ولما رأى الخليفة اشتداد الحرب جرد سيفه وكبر وتقدم إلى الحرب فلما انهزم عسكر دبيس وحملت الأسرى إلى بين يديه أمر الخليفة أن تضرب أعناقهم صبرا وكان عسكر دبيس عشرة آلاف فارس واثنى عشر ألف راجل وعسكر البرسقى ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل ولم يقتل من أصحاب الخليفة غير عشرين فارسا وحصل نساء دبيس وسراريه تحت الأسر سوى بنت أيلغازى وبنت عميد الدولة بن جهير فإنه كان تركهما فى المشهد وعاد الخليفة إلى بغداد فدخلها يوم عاشوراء من هذه السنة ولما عاد الخليفة إلى بغداد ثار العامة بها ونهبوا مشهد باب التبن وقلعوا أبوابه فأنكر الخليفة ذلك وأمر نظر أمير الحاج بالركوب إلى المشهد وتأديب من فعل ذلك وأخذ ما نهب ففعل وأعاد البعض وخفى الباقى عليه وأما دبيس بن صدقة فإنه لما انهزم نجا بفرسه وسلاحه وأدركته الخيل ففاتها وعبر الفرات فرأته امرأة عجوز وقد عبر فقالت له دبير جئت فقال دبير من لم يجىء واختفى خبره بعد ذلك وأرجف عليه بالقتل ثم ظهر أمره أنه قصد غزية من عرب نجد فطلب منهم أن يحالفوه فامتنعوا عليه وقالوا إنا نسخط الخليفة والسلطان فرحل إلى المنتفق واتفق معهم على قصد البصرة وأخذها فساروا إليها ودخلوها ونهبوا أهلها وقتل الأمير سخت كان مقدم عسكرها وأجلى أهلها فأرسل الخليفة إلى البرسقى يعاتبه على إهماله أمر دبيس حتى تم له من أمر البصرة ما أخربها فتجهز البرسقى للانحدار إليه فسمع دبيس ذلك ففارق البصرة وسار على البر إلى قلعة جعبر والتحق بالفرنج وحضر معهم حصار حلب وأطمعهم فى أخذها فلم يظفروا بها فعادوا عنها ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمد فأقام معه وحسن له قصد العراق وسنذكره سنة تسع وعشرين إن شاء الله تعالى .

﴿ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب﴾ فى هذه السنة فى صفر ملك الفرنج حصن الأثارب من أعمال حلب وسبب ذلك أنهم كانوا قد أكثروا قصد حلب وأعمالها بالإغارة والتخريب والتحريق وكان بحلب حينئذ بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق وهو صاحبها ولم يكن له بالفرنج قوة وخافهم فهادنهم على أن يسلم الأثارب ويكفوا عن بلاده فأجابوه إلى ذلك وتسلموا الحصن وتمت الهدنة بينهم واستقام أمر الرعية

بأعمال حلب وجلبت إليهم الأقوات وغيرها ولم تزل الأثارب بأيدى الفرنج إلى أن ملكها أتابك زنكى بن آقسنقر على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ذكر ملك بلك حران وحلب﴾ فى هذه السنة فى ربيع الأول ملك بلك بن بهرام مدينة حران وكان حصرها فلما ملكها سار منها إلى مدينة حلب وسبب مسيره إليها أنه بلغه أن صاحبها بدر الدولة قد سلم قلعة الأثارب إلى الفرنج فعظم ذلك عليه وعلم عجزه من حفظ بلاده فقوى طمعه فى ملكها فسار إليها ونازلها فى ربيع الأول وضايقها ومنع الميرة عنها وأحرق زروعها فسلم إليه ابن عمه البلد والقلعة بالأمان غرة جمادى الأولى من السنة وتزوج ابنه الملك رضوان وبقى مالكا لها إلى أن قتل على ماذكره .

﴿ذكر الحرب بين الفرنج والمسلمين بأفريقية﴾ قد ذكرنا أن الأمير على بن يحيى صاحب أفريقية لما استوحش من رجال صاحب صقلية جدد الأسطول الذى له وكثر عدده وعدده وكاتب أمير المسلمين على بن يوسف ابن ناشفين بمراكش بالاجتماع معه على قصد جزيرة صقلية فلما علم رجار ذلك كف عن بعض ما كان يفعله فاتفق أن عليا مات سنة خمس عشرة وولى ابنه الحسن وقد ذكرناه فلما خلت سنة ست سير أمير المسلمين أسطولا ففتحوا نقوطرة بساحل بلاد قلوية فلم يشك رجار أن عليا كان سبب ذلك فجد فى تعمير الشوانى والمراكب وحشد فأكثر ومنع من السفر إلى أفريقية وغيرها من بلاد الغرب فاجتمع له من ذلك ما لم يعهد مثله قبل كان ثلثمائة قطعة فلما انقطعت الطريق عن أفريقية توقع الأمير الحسن بن على خروج العدو إلى المهدية فأمر باتخاذ العدد وتجديد الأسوار وجمع المقاتلة فأتاه من أهل البلاد ومن العرب جمع كثير فلما كان فى جمادى الآخرة سنة سبع عشرة سار الأسطول الفرنجى فى ثلثمائة قطعة فيها ألف فارس وفرس واحد إلا أنهم لما ساروا من مرسى على فرقتهم الريح وغرق منهم مراكب كثيرة ونازل من سلم منهم جزيرة قوصرة ففتحها وقتل من بها وسبى وغنموا وساروا عنها فوصلوا إلى أفريقية ونازلوا الحصن المعروف بالديماس أواخر جمادى الأولى فقاتلهم طائفة من العرب كانوا هناك والديماس حصن منيع فى وسطه حصن آخر وهو مشرف على البحر وسير الحسن من عنده من الجموع إلى الفرنج وأقام هو بالمهدية فى جمع آخر يحفظها وأخذ الفرنج حصن الديماس وجنود المسلمين محيطة بهم ، فلما كان بعد ليال اشتد القتال على الحصن الداخل فلما كان الليل صاح المسلمون صيحة عظيمة اربجت لها الأرض وكبروا فوقع الرعب فى قلوب الفرنج فلم يشكوا أن المسلمين يهجمون عليهم فبادروا إلى شوانيهم وقتلوا بأيديهم كثيراً من خيولهم وغنم المسلمون منها أربعمائة فرس ولم يسلم معهم غير فرس واحد وغنم المسلمون جميع ماتخلف عن الفرنج وقتلوا كل من عجز عن الطلوع إلى المراكب فلما صعد الفرنج إلى مراكبهم أقاموا بها ثمانية أيام لا يقدرون على النزول إلى الأرض فلما أيسوا من خلاص أصحابهم الذين فى الديماس ساروا والمسلمون يكبرون عليهم ويصيحون بهم وأقامت عساكر المسلمين على حصن الديماس فى أمم لا يحصون كثرة فحصروه فلم يمكنهم فتحه لحصانته وقوته فلما عدم الماء على من به من الفرنج وضجروا من مواصلة القتال ليلا ونهاراً ففتحوا باب الحصن وخرجوا فقتلوا عن آخرهم وذلك يوم الأربعاء منتصف جمادى الآخرة من السنة وكانت مدة إقامتهم فى الحصن ستة عشر يوما ؛ ولما رجع الفرنج مقهورين أرسل الأمير الحسن البشرى إلى سائر البلاد وقال الشعراء فى هذه الحادثة فأكثروا وتركنا ذلك خوف التطويل .

﴿ذكر استيلاء الفرنج على خرتبرت وأخذها منهم﴾ فى هذه السنة فى ربيع الأول استولى الفرنج على

Marfat.com

خرتبرت من بلاد ديار بكر وسبب ذلك أن بلك بن بهرام بن أرتق كان صاحب خرتبرت فحصر قلعة كركر وهى تقارب خرتبرت فسمع الفرنج بالشام الخبر فسار بغدوين ملك الفرنج فى جموعه إليه ليرحله عنها خوفا أن يقوى بملكها فلما سمع بلك بقربه منه رحل إليه والتقيا فى صفر واقتتلا فانهزم الفرنج وأسر ملكهم ومعه جماعة من أعيان فرسانهم وسجنهم بقلعة خرتبرت وكان بالقلعة أيضا جوسلين صاحب الرها وغيره من مقدمى الفرنج كان قد أسرهم سنة خمس عشرة وسار بلك عن خرتبرت إلى حراز فى ربيع الأول فملكها فأعمل الفرنج الحيلة باستمالة بعض الجند فظهروا وملكوا القلعة فأملك الملك بغدوين فإنه اتخذ الليل جملا ومضى إلى بلاده واتصل الخبر ببلك صاحبها فعاد فى عساكره إليها وحصرها وضيق على من بالقلعة واستعادها من الفرنج وجعل فيها من الجند من يحفظها وعاد عنها .

﴿ ذكر قتل وزير السلطان وعود ابن صدقة إلى وزارة الخليفة ﴾ فى هذه السنة قبض السلطان محمود على وزيره شمس الملك عثمان بن نظام الملك وقتله وسبب ذلك أنه لما أشار على السلطان بالعود عن حرب الكرج وخالفه وكانت الخيرة فى مخالفته تغير عليه وذكره أعداؤه عنده بسوء ونبهوا على قهوره وقلة تحصيله ومعرفته بمصالح الدولة فقد رأى السلطان فيه ثم إن الشهاب أبا المحاسن وزير السلطان سنجر كان قد توفى وهو ابن أخى نظام الملك وزر بعده أبو طاهر القمى وهو عدو للبيت النظامى فسعى مع السلطان سنجر حتى أرسل إلى السلطان محمود يأمره بالقبض على وزيره شمس الملك فصادف وصول الرسول وهو متغير عليه فقبض عليه وسلمه إلى طغابرك فبعثه إلى بلده خلخال فحبسه فيها ثم إن أبا نصر المستوفى الملقب بالعزيز قال للسلطان محمود لا نأمن أن يرسل السلطان سنجر بطلب الوزير ومتى اتصل به لا نأمن شرا يحدث منه وكان بينهما عداوة فأمر السلطان بقتله فلما دخل عليه السياف ليقتله قال امهلنى حتى أصلى ركعتين ففعل فلما صلى جعل يرتعد وقال للسياف سيفى أجود من سيفك فاقتلنى به ولا تعذبنى فقتل ثانى جمادى الآخرة فلما سمع الخليفة المسترشد بالله ذلك عزل أخاه نظام الدين أحمد من وزارته وأعاد جلال الدين أبا على بن صدقة إلى الوزارة وأقام نظام الدين بالمثمنة التى فى المدرسة النظامية ببغداد وأما العزيز المستوفى فإنه لم تطل أيامه حتى قتل على ما نذكره جزاء لسعيه فى قتل الوزير .

﴿ ذكر ظفر السلطان محمود بالكرج ﴾ فى هذه السنة اشتدت نكاية الكرج فى بلد الإسلام وعظم الأمر على الناس لاسيما أهل دوبند شروان فسار منهم جماعة كثيرة من أعيانهم إلى السلطان وشكوا إليه ما يلقون منهم وأعلموه بما هم عليه من الضعف والعجز عن حفظ بلادهم فسار إليهم والكرج قد وصلوا إلى شماخى فنزل السلطان فى بستان هناك وتقدم الكرج إليه فخافهم العسكر خوفا شديدا وأشار الوزير شمس الملك عثمان ابن نظام الملك على السلطان بالعود من هناك فلما سمع أهل شروان بذلك قصدوا السلطان وقالوا له نحن نقاتل مهما أتت عندنا وإن تأخرت عنا ضعفت نفوس المسلمين وهلكوا فقبل قولهم وأقام بمكانه وبات العسكر على رجل عظيم وهم بنية المصاف فأتاهم الله بفرج من عنده وألقى بين الكرج وقفجاق اختلافا وعداوة فاقتتلوا تلك الليلة ورحلوا شبه المنهزمين وكفى الله المؤمنين القتال وأقام السلطان بشروان مدة ثم عاد إلى همذان فوصلها فى جمادى الآخرة .

﴿ ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر ﴾ فى هذه السنة وصل جمع كثير من لواتة من الغرب إلى ديار مصر فأفسدوا فيها ونهبوها وعملوا أعمالا شنيعة فجمع المأمون بن البطائحى الذى وزر بمصر بعد الأفضل

Marfat.com

Marfat.com

عسكر مصر وسار إليهم فقاتلهم فهزمهم وأسر منهم وقتل خلقا كثيرا وقرر عليهم خرجا معلوما كل سنة يقومون به وعادوا إلى بلادهم وعاد المأمون إلى مصر مظفرا منصورا .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة فى صفر أمر المسترشد بالله ببناء سور بغداد وأن يجبى ما يخرج عليه من البلد فشق ذلك على الناس وجمع من ذلك مال كثير فلما علم الخليفة كراهة الناس لذلك أمر بإعادة ما أخذ منهم فسروا بذلك وكثر الدعاء له وقيل إن الوزير أحمد بن نظام الملك بذل من ماله خمسة عشر ألف دينار وقال نقسط الباقى على أرباب الدولة وكان أهل بغداد يعملون بأنفسهم فيه وكانوا يتناوبون العمل يعمل أهل كل محلة منفردين بالطبول والزمور وزينوا البلد وعملوا فيه القباب . وفيها عزل نقيب العلويين وهدمت دار على بن أفلح وكان الخليفة يكرمه فظهر أنهما عين لدبيس يطالعانه بالأخبار وجعل الخليفة نقابة العلويين إلى على بن طراد نقيب العباسيين وفيها جمع الأمير بلك عساكره وسار إلى غزاة بالشام فلقيه الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم وأسر بشر كثير من مقدميهم ورجالتهم . وفيها كان فى أكثر البلاد غلاء شديد وكان أكثره بالعراق فبلغ ثمن الكارة الدقيق الخشكارستة دنانير وعشرة قراريط وتبع ذلك موت كثير وأمراض زائدة هلك فيها كثير من الناس . وفيها فى صفر توفى قاسم بن أبى هاشم العلوى الحسنى أمير مكة وولى بعده ابنه أبو فليتة وكان أعدل منه وأحسن سيرة فأسقط المكوس وأحسن إلى الناس . وفيها توفى عبدالله بن الحسن ابن أحمد بن الحسن أبو نعيم بن أبى على الحداد الأصبهانى ومولده سنة ثلاث وستين وأربعمائة وهو من أعيان المحدثين سافر الكثير فى طلب الحديث وفيها سار طغتكين صاحب دمشق إلى حمص فهجم المدينة ونهبها وأحرق كثيرا منها وحصرها وصاحبها فرجان بالقلعة فاستمد صاحبها طغان أرسلان فسار إليه فى جمع كثير فعاد طغتكين إلى دمشق . وفيها لقى أسطول مصر أسطول البنادقة من الفرنج فاقتتلوا وكان الظفر للبنادقة وأخذ من أسطول مصر عدة قطع وعاد الباقى سالما وفيها سار الأمير محمود بن قراجة صاحب حماة إلى حصن أفامية فهجم على الربض بغتة فأصابه سهم من القلعة فى يده فاشتد ألمه فعاد إلى حماة وقلع الزج من يده ثم عملت عليه فمات منه واستراح أهل عمله من ظلمه وجوره فلما سمع طغتكين صاحب دمشق الخبر سير إلى حماة عسكرا فملكها وصارت فى جملة بلاده ورتب فيها واليا وعسكرا لحمايتها . (١)

---

(١) وفيها توفى أحمد بن محمد بن على بن صدقة ، التغلبى ، المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقى ، الكاتب ، له ديوان شعر مشهور . قال ابن عساكر ختم به شعر الشعراء بدمشق ، شعره جيد حسن ، وكان مكثرا لحفظ الأشعار المتقدمة وأخبارهم ، وأورد له ابن خلكان قطعة جيدة من شعره من قصيدته التى لولم يكن له سواها لكفته وهى التى يقول فيها :

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه * فقد كاد رياها يطير بلبه
وإياكما ذاك النسيم فإنه * متى هب كان الوجد أيسر خطبه
خليلى ، لو أحببتما لعلمتما * محل الهوى من مغرم القلب صبه
تذكر والذكرى تشوق وذوالهوى * يتوق ومن يعلق به الحب يصبه
غرام على يأس الهوى ورجائه * وشوق على بعد المزار وقربه
وفى الركب مطوى الضلوع على جوى * متى يدعه داعى الغرام يلبه
إذا خطرت من جانب الرمل نفحة * تضمن منها داؤه دون صحبه

﴿ ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر قتل بلك بن بهرام بن أرتق وملك تمرتاش حلب ﴾ فى هذه السنة فى صفر قبض بلك بن بهرام ابن أرتق صاحب حلب على الأمير حسان البعلبكى صاحب منبج وسار إليها فحصرها فملك المدينة وحصر القلعة فامتنعت عليه فسار الفرنج إليه ليرحلوه عنها لئلا يقوى بأخذها فلما قاربوه ترك على القلعة من يحصرها وسار فى باقى عسكره إلى الفرنج فلقيهم وقاتلهم فكسرهم وقتل منهم خلقا كثيراً وعاد إلى منبج فحصرها فبينما هو يقاتل من بها أتاه سهم فقتله لايدرى من رماه واضطرب عسكره وتفرقوا وخلص حسان من الحبس فكان حسام الدين تمرتاش بن أيلغازى بن أرتق مع ابن عمه بلك فحمله مقتولا إلى ظاهر حلب وتسلمها فى العشرين من ربيع الأول من هذه السنة وزال الحصار عن قلعة منبج وعاد إليها صاحبها حسان واستقر تمرشاش بحلب واستولى عليها ثم إنه جعل فيها نائبا له يثق إليه ورتب عنده مايحتاج إليه من جند وغيرهم وعاد إلى ماردين لأنه رأى الشام كثيرة الحرب مع الفرنج وكان رجلا يحب الدعة والرفاهة فلما عاد إلى ماردين أخذت حلب منه على مانذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام ﴾ كانت مدينة صور للخلفاء العلويين بمصر ولم تزل كذلك إلى سنة ست وخمسمائة فكان بها وال من جهة الأفضل أمير الجيوش وزير الآمر بأحكام الله العلوى يلقب عز الملك وكان الفرنج قد حصروها وضيقوا عليها ونهبوا بلدها غير مرة فلما كان سنة ست تجهز ملك الفرنج وجمع عساكره ليسير إلى صور فخافهم أهل صور فأرسلوا إلى أتابك طغتكين صاحب دمشق يطلبون منه أن يرسل إليهم أميراً من عنده يتولاهم ويحميهم وتكون البلد له وقالوا له إن أرسلت إلينا واليا وعسكراً وإلا سلمنا البلد إلى الفرنج فسير إليهم عسكراً وجعل عندهم واليا اسمه مسعود وكان شهما شجاعا عارفا بالحرب ومكايدها وأمده بعسكر وسير إليهم ميرة ومالا فرقه فيهم وطابت نفوس أهل البلد ولم تغير الخطبة للآمر صاحب مصر ، ولا السكة وكتب إلى الأفضل بمصر يعرفه صورة الحال ويقول متى وصل إليها من مصر من يتولاها ويذب عنها سلمتها إليه ويطلب أن الأسطول لاينقطع عنها بالرجال والقوة فشكره الأفضل على ذلك وأثنى عليه وصوب رأيه فيما فعله وجهز أسطولا وسيره إلى صور فاستقام أحوال أهلها ولم يزل كذلك إلى سنة ست عشرة بعد قتل الأفضل فسير إليها أسطولا على جارى العادة وأمر المقدم على الأسطول أن يعمل الحيلة على الأمير مسعود الوالى بصور من قبل طغتكتين ويقبض عليه ويتسلم البلد منه وكان السبب فى ذلك أن أهل صور أكثروا الشكوى منه إلى الآمر بأحكام الله صاحب مصر بما يعتمده من مخالفتهم والإضرار بهم فسار الأسطول فأرسى عند صور فخرج مسعود إليه للسلام على المقدم عليه فلما صعد إلى المركب الذى فيه المقدم اعتقله ونزل البلد واستولى عليه وعاد الأسطول إلى مصر وفيه الأمير مسعود فأكرم وأحسن إليه وأعيد إلى دمشق وأما الوالى من قبل المصريين فإنه طيب قلوب الناس وراسل طغتكين يخدمه بالدعاء والاعتضاد وأن سبب مافعل هو شكوى

= ومحتجب بين الأسنة معرض * وفى القلب من إعراضه مثل جحفه
أغار إذا آنست فى الحى أنة * حذاراً وخوفا أن تكون لحبه

توفى فى رمضان منها عن سبع وتسعين سنة بدمشق .

Marfat.com

Marfat.com

أهل صور من مسعود فأحسن طغتكين الجواب وبذل من نفسه المساعدة ولما سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوى طمعهم فيها وحدثوا نفوسهم بملكها وشرعوا فى الجمع والتأهب للنزول عليها وحصرها فسمع الوالى بها للمصريين الخبر فعلم أنه لا قوة له ولا طاقة على دفع الفرنج عنها القلة من بها من الجند والميرة فأرسل إلى الآمر بذلك فرأى أن يرد ولاية صور إلى طغتكين صاحب دمشق فأرسل إليه بذلك فملك صور ورتب بها من الجند وغيرهم ماظن فيه كفاية وسار الفرنج إليهم ونازلوهم فى ربيع الأول من هذه السنة وضيقوا عليهم ولازموا القتال فقلت الأقوات وسئم من بها القتال وضعفت نفوسهم وسار طغتكين إلى بانياس ليقرب منهم ويذب عن البلد ولعل الفرنج إذا رأوا قربه منهم رحلوا فلم يتحركوا ولزموا الحصار فأرسل طغتكين إلى مصر يستنجدهم فلم ينجدوه وتمادت الأيام وأشرف أهلها على الهلاك فراسل حينئذ طغتكين صاحب دمشق وقرر الأمر على أن يسلم المدينة إليهم ويمكنوا من بها من الجند والرعية من الخروج منها بما يقدرون عليه من أموالهم ورحالهم وغيرها فاستقرت القاعدة على ذلك وفتحت أبواب البلد وملكه الفرنج وفارقه أهله وتفرقوا فى البلاد وحملوا ما أطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه ولم يعرض الفرنج إلى أحد منهم ولم يبق إلا الضعيف عجز عن الحركة وملك الفرنج البلد فى الثالث والعشرين من جمادى الأولى من السنه وكان فتحه وهنا عظيما على المسلمين فإنه من أحصن البلاد وأمنعها فالله يعيده إلى الإسلام ويقر أعين المسلمين بفتحه بمحمد وآله.

﴿ ذكر عزل البرسقى عن شحنكية العراق وولاية برنقش الزكوى ﴾ فى هذه السنة عزل البرسقى عن شحنكية العراق ووليها سعد الدولة برنقش الذكوى وسبب ذلك أن البرسقى نفر عنه المسترشد بالله فأرسل إلى السلطان محمود يلتمس منه أن يعزل البرسقى عن العراق ويعيده إلى الموصل فأجابه السلطان إلى ذلك وأرسل إلى البرسقى بأمره بالعود إلى الموصل والاشتغال بجهاد الفرنج فلما علم البرسقى الخبر شرع فى جباية الأموال ووصل نائب برنقش فسلم إليه البرسقى الأمر وأرسل السلطان ولداً له صغيرا مع أمه إلى البرسقى ليكون عنده فلما وصل الصغير إلى العراق خرجت العساكر والمواكب إلى لقائه وحملت له الإقامات وكان يوم دخوله يوما مشهودا وتسلمه البرسقى وسار إلى الموصل وهو ووالدته معه ولما سار البرسقى إلى الموصل كان عماد الدين زنكى بن آقسنقر بالبصرة قد سيره البرسقى إليها ليحميها فظهر من حمايته لها ما عجب منه الناس ولم يزل يقصد العرب ويقاتلهم فى حللهم حتى أبعدوا إلى البر فأرسل إليه البرسقى يأمره باللحاق به فقال لأصحابه قد ضجرنا مما نحن فيه كل يوم للموصل أمير جديد ونريد نخدمه وقد رأيت أن أسير إلى السلطان فأكون معه فأشاروا عليه بذلك فسار إليه فقدم عليه بأصبهان فأكرمه وأقطعه البصرة وأعاده إليها.

﴿ ذكر ملك البرسقى مدينة حلب ﴾ فى هذه السنة فى ذى الحجة ملك آقسنقر البرسقى مدينة حلب وقلعتها وسبب ذلك أن الفرنج لما ملكوا مدينة صور على ما ذكرناه طمعوا وقويت نفوسهم وتيقنوا الاستيلاء على بلاد الشام واستكثروا من الجموع ثم وصل إليهم دبيس بن صدقة صاحب الحلة فأطمعهم طمعا ثانيا لاسيما فى حلب وقال لهم إن أهلها شيعة وهم يميلون إلىّ لأجل المذهب فمتى رأونى سلموا البلد إلىّ وبذل لهم على مساعدته بذولا كثيرة وقال إننى أكون ههنا نائبا عنكم ومطيعا لكم فساروا معه إليها وحصروها وقاتلوا قتالا شديدا ووطنوا نفوسهم على المقام الطويل وأنهم لا يفارقونها حتى يملكوها وبنوا البيوت لأجل البرد والحر فلما رأى أهلها ذلك ضعفت نفوسهم وخافوا الهلاك وظهر لهم من صاحبهم تمرتاش الوهن والعجز وقلت

الأقوات عندهم فلما رأوا مادفعوا إليه من هذه الأسباب أعملوا الرأى فى طريق يتخلصون به فرأوا أنه ليس لهم غير البرسقى صاحب الموصل فأرسلوا إليه يستنجدونه ويسألونه المجىء إليهم ليسلموا البلد إليه فجمع عساكره وقصدهم وأرسل إلى من بالبلد وهو فى الطريق يقول إننى لاأقدر على الوصول إليكم والفرنج يقاتلونكم إلا إذا سلمتم القلعة إلى نوابى وصار أصحابى فيها لأننى لاأدرى مايقدره الله تعالى إذا أنا لقيت الفرنج فإن انهزمنا منهم وليست حلب بيد أصحابى حتى أحتمى أنا وعسكرى بها لم يبق منا أحد وحينئذ تؤخذ حلب وغيرها فأجابوه إلى ذلك وسلموا القلعة إلى نوابه فلما استقروا فيها واستولوا عليها سار فى العساكر التى معه فلما أشرف عليها رحل الفرنج عنها وهو يراهم فأراد من فى مقدمة عسكره أن يحمل عليهم فمنعهم هو بنفسه وقال قد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحة تركهم حتى يتقرر أمر حلب ونصلح حالها ونكثر ذخائرها ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم فلما رحل الفرنج خرج أهل حلب ولقوه وفرحوا به وأقام عنده حتى أصلح الأمور وقررها.

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة انقطعت الأمطار فى العراق والموصل وديار الجزيرة والشام وديار بكر وكثير من البلاد فقلت الأقوات وغلت الأسعار فى جميع البلاد ودام إلى سنة تسع عشرة. وفيها وصل منصور بن صدقة أخو دبيس إلى بغداد تحت الاستظهار فمرض بها فأحضر الخليفة الأطباء وأمرهم بمعالجته وأحضره عنده وجعل فى حجرة وأدخل أصحابه إليه وفيها سار دبيس من الشام بعد رحيله عن حلب وقصد الملك طغرل فأغراه بالخليفة وأطمعه فى العراق وكان ماتذكره سنة تسع عشرة إن شاء الله تعالى وفيها مات الحسن بن الصباح مقدم الإسماعيلية صاحب ألموت وقد تقدم من أخباره ما يعلم به محله من الشجاعة والرأى والتجربة. وفيها أيضا توفى داود ملك الأبخاز وشمس الدولة بن نجم الدين أيلغازى وفيها ثار أهل آمد بمن فيها من الإسماعيلية وكانوا قد كثروا فقتلوا منهم نحو ستمائة رجل فضعف أمرهم بها بعد هذه الوقعة. وفيها فى صفر توفى محمد بن مرزوق بن عبدالرزاق الزعفرانى وهو من أصحاب الخطيب البغدادى. وفيها توفى أحمد ابن على بن برهان أبو الفتح الفقيه المعروف بابن الحمامى لأن أباه كان حماميا وكان حنبليا تفقه على ابن عقيل ثم صار شافعيا وتفقه على الغزالى والشاشى. (١)

﴿ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة﴾

﴿ذكر وصول الملك طغرل ودبيس بن صدقة إلى العراق وعودهما عنه﴾ قد ذكرنا مسير دبيس بن صدقة إلى الملك طغرل من الشام فلما وصل إليه لقيه وأكرمه وأحسن إليه وجعله من أعيان خواصه وأمرائه فحسن إليه دبيس قصد العراق وهون أمره عليه وضمن له أنه يملكه فسار معه إلى العراق فوصلوا دقوقا فى عساكر كثيرة فكتب مجاهد الدين بهروز من تكريت يخبر الخليفة خبرهما فتجهز للمسير ومنعهما وأمر برنقش الزكوى شحنة العراق أن يكون مستعدا للحرب وجمع العساكر والأمراء البكجية وغيرهم فبلغت عدة

---

(١) وفيها توفى عبد الله بن محمد بن جعفر أبو على الدامغانى، سمع الحديث وشهد عند أبيه وناب فى الكرخ عن أخيه، ثم ترك ذلك كله، وولى حجابة باب النوبى، ثم عزل ثم أعيد توفى فى جمادى. وفيها توفى أحمد بن محمد ابن إبراهيم أبو الفضل الميدانى، صاحب كتاب الأمثال، ليس له مثله فى بابه، له شعر جيد، توفى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رمضان، والله سبحانه أعلم.

Marfat.com

العساكر اثنى عشر ألفا سوى الرجالة وأهل بغداد وفرق السلاح وبرز خامس صفر وبين يديه أرباب الدولة رجالة وخرج من باب النصر وكان قد أمر بفتحه تلك الأيام وسماه باب النصر ونزل صحراء الشماسية ونزل يرنقش عند السيتى ثم سار فنزل الخالص تاسع صفر فلما سمع طغرل بخروج الخليفة عدل إلى طريق خراسان وتفرق أصحابه فى النهب والفساد ونزل هو رباط جلولاء فسار إليه الوزير جلال الدين بن صدقة فى عسكر كثير فنزل الدسكرة وتوجه طغرل ودبيس إلى الهارونية وسار الخليفة فنزل بالدسكرة هو والوزير واستقر الأمر بين دبيس وطغرل أن يسيرا حتى يعبرا ديالى وتامرا ويقطعا جسر النهروان ويقيم دبيس ليحفظ المعابر ويتقدم طغرل إلى بغداد فيملكها وينهبها فسارا على هذه القاعدة فعبرا تامرا ونزل طغرل بينه وبين ديالى وسار دبيس على أن يلحقه طغرل فقدر الله تعالى أن الملك طغرل لحقه حمى شديدة ونزل عليهم من المطر مالم يشاهدوا مثله وزادت المياه وجاءت السيول والخليفة بالدسكرة وسار دبيس فى مائتى فارس وقصد معبرة النهروان وهو تعب سهران وقد لقى هو وأصحابه من المطر والبلل ما آذاهم وليس معهم مايأكلون ظنا منهم أن طغرل وأصحابهم يلحقونهم فتأخروا لما ذكرناه فنزلوا جياعا قد نالهم البرد وإذ قد طلع عليهم ثلاثون جملا تحمل الثياب المخيطة والعمائم والأقبية والقلانس وغيرها من الملبوس وتحمل أيضا أنواع الأطعمة المصنوعة قد حملت من بغداد إلى الخليفة فأخذ دبيس الجميع فلبسوا الثياب الجدد ونزعوا الثياب الندية وأكلوا الطعام وناموا فى الشمس مما نالهم تلك الليلة وبلغ الخبر أهل بغداد فلبسوا السلاح وبقوا يحرسون الليل والنهار ووصل الخبر إلى الخليفة والعسكر الذين معه أن دبيسا قد ملك بغداد فرحل من الدسكرة ووقعت الهزيمة على العسكر إلى النهروان وتركوا أثقالهم ملقاة بالطريق لا يلتفت إليها أحد ولولا أن الله تعالى لطف بهم بحمى الملك طغرل وتأخره وإلا كان قد هلك العسكر والخليفة أيضا وأخذوا وكان السواقى مملوأة بالوحل والماء من السيل فتمزقوا ولو لحقهم مائة فارس لهلكوا ووصلت رايات الخليفة ودبيس وأصحابه نيام وتقدم الخليفة وأشرف على ديالى ودبيس نازل غرب النهروان والجسر ممدود شرق النهروان فلما أبصر دبيس شمسة الخليفة قبل الأرض بين يدى الخليفة وقال أنا العبد المطرود فليعف أمير المؤمنين عن عبده فرق الخليفة له وهم بصلحه حتى وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه وركب دبيس ووقف بإزاء عسكر يرنقش الزكوى يحادثهم ويتماجن معهم ثم أمر الوزير الرجالة فعبروا ليمدوا الجسر آخر النهار فسار حينئذ دبيس عائدا إلى الملك طغرل وسير الخليفة عسكرا مع الوزير فى أثره وعاد إلى بغداد فدخلها وكانت غيبته خمسة وعشرين يوما ثم إن الملك طغرل ودبيسا عادا وسارا إلى السلطان سنجر فاجتازا بهمدان فقسطا على أهلها مالا كثيرا وأخذوه وغابوا فى تلك الأعمال فبلغ خبرهم السلطان محمود فجد السير إليهم فانهزموا من بين يديه وتبعتهم العساكر فدخلوا خراسان إلى السلطان سنجر وشكيا إليه من الخليفة ويرنقش الزكوى .

﴿ ذكر فتح البرسق كفرطاب وانهزامه من الفرنج ﴾ فى هذه السنة جمع البرسق عساكره وسار إلى الشام وقصد كفر طاب وحصرها فملكها من الفرنج وسار إلى قلعة عزاز وهى من أعمال حلب من جهة الشمال وصاحبها جوسلين فحصرها فاجتمعت الفرنج فأرسلها وراجلها وقصدوه ليرحلوه عنها فلقيهم وضرب معهم مصافا واقتتلوا قتالا شديدا صبروا كلهم فيه فانهزم المسلمون وقتل منهم وأسر كثير وكان عدد القتلى أكثر من ألف قتيل من المسلمين وعاد منهزما إلى حلب فخلف بها ابنه مسعودا وعبر الفرات إلى الموصل ليجمع

Marfat.com

العساكر ويعاود القتال وكان ماذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ذكر قتل المأمون بن البطائحى﴾ فى هذه السنة فى رمضان قبض الآمر بأحكام الله العلوى صاحب مصر على وزيره أبى عبد الله بن البطائحى الملقب بالمأمون وصلبه وإخوته وكان ابتداء أمره أن أباه كان من جواسيس الأفضل بالعراق فمات ولم يخلف شيأ فتزوجت أمه وتركته فقيرا فاتصل بإنسان يتعلم البناء بمصر ثم صار يحمل الأمتعة بالسوق الكبير فدخل مع الحمالين إلى دار الأفضل أمير الجيوش مرة بعد أخرى فرآه الأفضل خفيفا رشيقا حسن الحركة حلو الكلام فأعجبه فسأل عنه فقيل هو ابن فلان فاستخدمه مع الفراشين ثم تقدم عنده وكثرت منزلته وعلت حالته حتى صار وزيرا وكان كريما واسع الصدر قتالا سفاكا للدماء وكان شديد التحرز كثير التطلع إلى أحوال الناس من العامة والخاصة من سائر البلاد مصر والشام والعراق وكثر الغمازون فى أيامه وأما سبب قتله فإنه كان قد أرسل الأمير جعفرا أخا الآمر ليقتل الآمر ويجعله خليفة وتقررت القاعدة بينهما على ذلك فسمع بذلك أبو الحسن بن أبى أسامة وكان خصيصا بالآمر قريبا منه وقد ناله من الوزير أذى واطراح فحضر عند الآمر وأعلمه الحال فقبض عليه وصلبه وهذا جزاء من قابل الإحسان بالإساءة .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة توفى شمس الدولة سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر وتعرف قديما بقلعة دوس . وفيها قتل القاضى أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروى بهمذان قتله الباطنية وكان قد مضى إلى خراسان فى رسالة الخليفة إلى السلطان سنجر فعاد فقتل وكان ذا مروأة غزيرة وتقدم كثير فى الدولة السلجوقية . وفى هذه السنة توفى هلال بن عبد الرحمن بن شريح بن عمر بن أحمد وهو من ولد بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته أبو سعد طاف البلاد وسمع وقرأ القرآن وكان موته بسمرقند .

﴿ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة﴾

﴿ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالأندلس﴾ فى هذه السنة عظم شأن ابن ردمير الفرنجى بالأندلس واستطال على المسلمين فخرج فى عساكر كثيرة من الفرنج وجاس فى بلاد الإسلام وخاضها حتى وصل إلى قريب قرطبة وأكثر النهب والسبى والقتل فاجتمع المسلمون فى جيش عظيم زائد الحدّ فى الكثرة وقصدوه فلم يكن له بهم طاقة فتحصن منهم فى حصن منيع له اسمه ارنيسول فحصروه وكبسهم ليلا فانهزم المسلمون وكثر القتل فيهم وعاد إلى بلاده.

﴿ذكر قصد بلاد الإسماعيلية بخراسان﴾ فى هذه السنة أمر الوزير المختص أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو الباطنية وقتلهم أين كانوا وحيثما ظفر بهم ونهب أموالهم وسبى حريمهم وجهز جيشا إلى طريثيث وهى لهم وجيشا إلى بيهق من أعمال نيسابور وكان فى هذه الأعمال قرية مخصوصة بهم اسمها طرز ومقدمهم بها إنسان اسمه الحسن بن سمين وسير إلى كل طرف من أعمالهم جمعا من الجند ووصاهم أن يقتلوا من لقوه منهم فقصد كل طائفة إلى الجهة التى سيرت إليها فأما القرية التى بأعمال بيهق فقصدها العسكر فقتلوا كل من بها وهرب مقدمهم وصعد منارة المسجد وألقى نفسه منها فهلك وكذلك العسكر المنفذ إلى طريثيث قتلوا من أهلها فأكثروا وغنموا من أموالهم وعادوا .

﴿ذكر ملك الإسماعيلية قلعة بانياس﴾ فى هذه السنة عظم أمر الإسماعيلية بالشام وقويت شوكتهم وملكوا بانياس فى ذى القعدة منها وسبب ذلك أن بهرام ابن أخت الأسداباذى لما قتل خاله ببغداد كما ذكرناه هرب

Marfat.com

إلى الشام وصار داعى الإسماعيلية فيه وكان يتردد فى البلاد ويدعو أوباش الناس وطغامهم إلى مذهبه فاستجاب له منهم من لاعقل له فكثر جمعه إلا أنه يخفى شخصه فلا يعرف وأقام بحلب مدة ونفق على أيلغازى صاحبها وأراد أيلغازى أن يعتضد به لاتقاء الناس شره وشر أصحابه لأنهم كانوا يقتلون كل من خالفهم وقصد من يتمسك بهم وأشار أيلغازى على طغتكين صاحب دمشق بأن يجعله عنده لهذا السبب فقبل رأيه وأخذه إليه فأظهر حينئذ شخصه وأعلن عداوته فكثر أتباعه من كل من يريد الشر والفساد وأعانه الوزير أبو طاهر بن سعد المرغينانى قصداً للاعتضاد به على مايريد فعظم شره واستفحل أمره وصار أتباعه أضعافا مما كانوا فلولا أن عامة دمشق يغلب عليهم مذاهب أهل السنة وأنهم يشددون عليه فيما ذهب إليه لملك البلد ثم إن بهرام رأى من أهل دمشق فظاظه وغلظة عليه فخاف عاديتهم فطلب من طغتكين حصنا يأوى إليه هو ومن اتبعه فأشار الوزير بتسليم قلعة بانياس إليه فسلمت إليه فلما سار إليها اجتمع إليه أصحابه من كل ناحية فعظم حينئذ خطبه وجلت المحنة بظهوره واشتد الحال على الفقهاء والعلماء وأهل الدين لاسيما أهل السنة والستر والسلامة إلا أنهم لايقدرون على أن ينطقوا بحرف واحد خوفا من سلطانهم أولا ومن شر الإسماعيلية ثانيا ، فلم يقدم أحد على إنكار هذه الحال فانتظروا بهم الدوائر .

﴿ذكر قتل البرسقى وملك ابنه عز الدين مسعود﴾ فى هذه السنة ثامن ذى القعدة قتل قسيم الدولة آقسنقر البرسقى صاحب الموصل بمدينة الموصل قتلته الباطنية يوم جمعة بالجامع وكان يصلى الجمعة مع العامة وكان قد رأى تلك الليلة فى منامه أن عدة من الكلاب ثاروا به فقتل بعضها ونال منه الباقى ما أذاه فقص رؤياه على أصحابه فأشاروا عليه بترك الخروج من داره عدة أيام فقال لا أترك الجمعة لشىء أبداً فغلبوا على رأيه ومنعوه من قصد الجمعة فعزم على ذلك فأخذ المصحف يقرأ فيه فأول ما رأى ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ فركب إلى الجامع على عادته وكان يصلى فى الصف الأول فوثب عليه بضعة عشر نفسا عدة الكلاب التى رآها فجرحوه بالسكاكين فجرح هو بيده منهم ثلاثة وقتل رحمه الله وكان مملوكا تركيا خيرا يحب أهل العلم والصالحين ويرى العدل ويفعله وكان من خير الولاة يحافظ على الصلوات فى أوقاتها ويصلى من الليل متهجدا حكى لى والدى رحمه الله عن بعض من كان يخدمه قال كنت فراشا معه فكان يصلى كل ليلة كثيرا وكان يتوضأ هو بنفسه ولا يستعين بأحد ولقد رأيته فى بعض ليالى الشتاء بالموصل وقد قام من فراشه وعليه فرجية صغيرة وبر وبيده إبريق فمشى نحو دجلة ليأخذ ماء فمنعنى البرد من القيام ثم إننى خفته فقمت بين يديه لآخذ الإبريق منه فمنعنى وقال يامسكين ارجع إلى مكانك فإنه برد فاجتهدت لآخذ الإبريق فلم يعطنى وردنى إلى مكانى ثم توضأ وقام يصلى ولما قتل كان ابنه عز الدين مسعود بحلب يحفظها من الفرنج فأرسل إليه أصحاب أبيه بالخبر فسار إلى الموصل ودخلها أول ذى الحجة وأحسن إلى أصحاب أبيه بها وأقر وزيره المؤيد أبا غالب بن عبد الخالق ابن عبد الرزاق على وزارته وأطاعه الأمراء والأجناد وانحدر إلى خدمة السلطان محمود فأحسن إليه وأعاده ولم يختلف عليه أحد من أهل بلاد أبيه ووقع البحث عن حال الباطنية والاستقصاء عن أخبارهم فقيل إنهم كانوا يجلسون إلى إسكاف بدرب إيليا فأحضر ووعد الإحسان إن أقر فلم يقر فهدد بالقتل فقال إنهم وردوا من سنين لقتله فلم يتمكنوا منه إلى الآن فقطعت يداه ورجلاه وذكره ورجم بالحجارة فمات ومن العجب أن صاحب أنطاكية أرسل إلى عز الدين بن البرسقى يخبره بقتل والده قبل أن يصل إليه الخبر وكان

قد سمعه الفرنج قبله لشدة عنايته بمعرفة الأحوال الإسلامية ولما استقر عزالدين فى الولاية قبض على الأمير بابكر بن ميكائيل وهو من أكابر الأمراء وطلب منه أن يسلم ابن أخيه قلعة إربل إلى الأمير فضل وأبى على ابنى أبى الهيجاء وكان ابن أخيه قد أخذها منه سنة سبع عشرة فراسل ابن أخيه فسلم إربل إلى المذكورين .

﴿ ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود ﴾ كان قد جرى بين برنقش الزكوى شحنة بغداد وبين نواب الخليفة المسترشد بالله نفرة تهدده الخليفة فيها فخافه على نفسه فسار عن بغداد إلى السلطان محمود فى رجب من هذه السنة وشكا إليه وحذره جانب الخليفة وأعلمه أنه قد قاد العساكر ولقى الحروب وقويت نفسه ومتى لم تعاجله بقصد العراق ودخول بغداد ازداد قوة وجمعا ومنعك عنه وحينئذ يتعذر عليك ماهو الآن بيده فتوجه السلطان نحو العراق فأرسل إليه الخليفة يعرفه ماالبلاد وأهلها عليه من الضعف والوهن بسبب دبيس وإفساد عسكره فيها وأن الغلاء قداشتد بالناس لعدم الغلات والأقوات لهرب الأكرة عن بلادهم ويطلب منه أن يتأخر هذه الدفعة إلى أن ينصلح حال البلاد ثم يعود إليها فلامانع له عنها وبذل له على ذلك مالا كثيراً فلما سمع السلطان هذه الرسالة قوى عنده ماقرره الزكوى وأبى أن يجيب إلى التأخر وصمم العزم وسار إليها مجداً فلما بلغ الخليفة الخبر عبر هو وأهله وحرمه ومن عنده من أولاد الخلفاء إلى الجانب الغربى فى ذى القعدة مظهراً للغضب والانتزاح عن بغداد إن قصدها السلطان فلما خرج من داره بكى الناس جميعهم بكاء عظيما لم يشاهد مثله فلما علم السلطان ذلك اشتد عليه وبلغ منه كل مبلغ فأرسل يستعطف الخليفة ويسأله العود إلى داره فأعاد الجواب أنه لا بد من عودك هذه الدفعة فإن الناس هلكى بشدة الغلاء وخراب البلاد وأنه لا يرى فى دينه أن يزداد مابهم وهو يشاهدهم فإن عاد السلطان وإلا رحل هو عن العراق لئلا يشاهد مايلقى الناس بمجىء العساكر فغضب السلطان لقوله ورحل نحو بغداد وأقام الخليفة بالجانب الغربى فلما حضر عيد الأضحى خطب الناس وصلى بهم فبكى الناس لخطبته وأرسل عفيفا الخادم وهو من خواصه فى عسكر إلى واسط ليمنع عنها نواب السلطان فأرسل السلطان إليه عماد الدين زنكى بن آقسنقر وكان له حينئذ البصرة وقد فارق البرسقى واتصل بالسلطان فأقطعه البصرة فلما وصل عفيف إلى واسط سار إليه عماد الدين فنزل بالجانب الشرقى وكان عفيف بالجانب الغربى فأرسل إليه عماد الدين يحذره القتال ويأمره بالانتزاح عنها فأبى ولم يفعل فعبر إليه عماد الدين واقتتلوا فانهزم عسكر عفيف وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر مثلهم وتغافل عن عفيف حتى نجا لمودة كانت بينهما ثم إن الخليفة جمع السفن جميعها إليه وسد أبواب دار الخلافة سوى باب النوبى وأمر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحفظ الدار ولم يبق من حواشى الخليفة بالجانب الشرقى سواه ووصل السلطان إلى بغداد فى العشرين من ذى الحجة ونزل بباب الشماسية ودخل بعض عسكره إلى بغداد ونزلوا فى دور الناس فشكا الناس ذلك إلى السلطان فأمر بإخراجهم وبقى فيهامن له دار وبقى السلطان يراسل الخليفة بالعود ويطلب الصلح وهو يمتنع وكان يجرى بين العسكرين مناوشة والعامة من الجانب الغربى يسبون السلطان أفحش سب ثم إن جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة ونهبوا التاج وحجر الخليفة أول المحرم سنة إحدى وعشرين وضج أهل بغداد من ذلك فاجتمعوا ونادوا الغزاة فأقبلوا من كل ناحية ولما رآهم الخليفة خرج من السرادق والشمسة على رأسه والوزير بين يديه وأمر بضرب الكوسات والبوقات ونادى بأعلى صوته يالهاشم وأمر بتقديم السفن ونصب الجسر وعبر الناس دفعة واحدة وكان له فى الدار ألف رجل

Marfat.com

مختفين فى السراديب فظهروا وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب فأسر منهم جماعة من الأمراء ونهب العامة دار وزير السلطان ودور جماعة من الأمراء ودار عزيز الدين المستوفى ودار الحكيم أوحد الزمان الطبيب وقتل منهم خلق كثير فى الدروب ثم عبر الخليفة إلى الجانب الشرقى ومعه ثلاثون ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد وأمر بحفر الخنادق فحفرت بالليل وحفظوا بغداد من عسكر السلطان ووقع الغلاء عند العسكر واشتد الأمر عليهم وكان القتال كل يوم عليهم عند أبواب البلد وعلى شاطىء دجلة وعزم عسكر الخليفة على أن يكبسوا عسكر السلطان فغدر بهم الأمير أبو الهيجاء الكردى صاحب إربل وخرج كأنه يريد القتال فالتحق هو وعسكره بالسلطان وكان السلطان قد أرسل إلى عماد الدين بواسط يأمره أن يحضر هو بنفسه ومعه المقاتلة فى السفن وعلى الدواب فى البر فجمع كل سفينة فى البصرة إلى بغداد وشحنها بالرجال المقاتلة وأكثر من السلاح وأصعد فلما قارب بغداد أمر كل من معه فى السفن وفى البر بلبس السلاح وإظهار ما عندهم من الجلد والنهضة فسارت السفن فى الماء والعسكر فى البر على شاطىء دجلة قد انتشروا وملؤا الأرض برا وبحرا فرأى الناس منظرا عجيبا كبر فى أعينهم وملأ صدورهم وركب السلطان والعسكر إلى لقائهم فنظروا إلى ما لم يروا مثله وعظم عماد الدين فى أعينهم وعزم السلطان على قتال بغداد حينئذ والجد فى ذلك فى البر والماء فلما رأى الإمام المسترشد بالله الأمر على هذه الصورة وخروج الأمير أبى الهيجاء من عنده أجاب إلى الصلح وترددت الرسل بينهما فاصطلحا واعتذر السلطان مما جرى وكان حليما يسمع سبه بأذنه فلا يعاقب عليه وعفا عن أهل بغداد جميعهم وكان أعداء الخليفة يشيرون على السلطان بإحراق بغداد فلم يفعل وقال لا تساوى الدنيا فعل مثل هذا وأقام ببغداد إلى رابع شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وحمل الخليفة من المال إليه كل ما استقرت القاعدة عليه وأهدى له سلاحا وخيلا وغير ذلك فمرض السلطان ببغداد فأشار عليه الأطباء بمفارقتها فرحل إلى همذان فلما وصلها عوفى .

﴿ ذكر مصاف بين طغتكين أتابك والفرنج بالشام ﴾ فى هذه السنة اجتمعت الفرنج وملوكها وقماصتها وكنودها وساروا إلى نواحى دمشق فنزلوا بمرج الصفر عند قرية يقال لها سقحبا بالقرب من دمشق فعظم الأمر على المسلمين واشتد خوفهم وكاتب طغتكين أتابك صاحبها أمراء التركمان من ديار بكر وغيرها وجمعهم وكان هو قد سار عن دمشق إلى جهة الفرنج واستخلف بها ابنه تاج الملوك بورى فكان بها كلما جاءت طائفة أحسن ضيافتهم وسيرهم إلى أبيه فلما اجتمعوا سار بهم طغتكين إلى الفرنج فالتقوا أواخر ذى الحجة واقتتلوا واشتد القتال فسقط طغتكين عن فرسه فظن أصحابه أنه قتل فانهزموا وركب طغتكين فرسه ولحقهم وتبعهم الفرنج وبقى التركمان لم يقدروا أن يلحقوا بالمسلمين فى الهزيمة فتخلفوا فلما رأوا فرسان الفرنج قد تبعوا المنهزمين وأن معسكرهم وراجلهم ليس له مانع ولا حام حملوا على الرجالة فقتلوهم ولم يسلم منهم إلا الشريد ونهبوا معسكر الفرنج وخيامهم وأموالهم وجميع ما معهم وفى جملته كنيسة فيها من الذهب والجواهر ما لا يقوم كثرة فنهبوا ذلك جميعه وعادوا إلى دمشق سالمين لم يعدم منهم أحد ولما رجع الفرنج من أثر المنهزمين ورأوا رجالتهم قتلى وأموالهم منهوبة تموا منهزمين لا يلوى الأخ على أخيه وكان هذا من الغريب أن طائفتين تنهزمان كل واحدة منهما من صاحبتها .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة حصر الفرنج رفنية من أرض الشام وهى بيد المسلمين وضيقوا عليها

Marfat.com

Marfat.com

فلكوها. وفيها توفى أبو الفتح أحمد بن محمد بن محمد الغزالى الواعظ وهو أخو الإمام أبى حامد محمد وقد ذمه أبو الفرج بن الجوزى بأشياء كثيرة منها روايته فى وعظه الأحاديث التى ليست له بصحيحة والعجب أنه يقدح فيه بهذا وتصانيفه هو ووعظه محشو به مملوء منه نسأل الله أن يعيذنا من الوقيعة فى الناس ثم ياليت شعرى أما كان للغزالى حسنة نذكر مع ما ذكر من المساوى التى نسبها إليه لئلا ينسب إلى الهوى والغرض. (١)

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر ولاية الشهيد أتابك زنكى شحنكية العراق ﴾ فى هذه السنة فى ربيع الآخر أسند السلطان محمود شحنكية العراق إلى عماد الدين زنكى بن آقسنقر وكان سبب ذلك أن عماد الدين لما أصعد من واسط فى التجمل والجمع الذى ذكرناه وقام فى حفظ واسط والبصرة وتلك النواحى القيام الذى عجز غيره عنه عظم فى صدر السلطان وصدور أمرائه فلما عزم السلطان على المسير عن بغداد نظر فيمن يصلح أن يلى شحنكية العراق يأمن معه من الخليفة فاعتبر أمراء وأعيان دولته فلم ير فيهم من يقوم فى هذا الأمر مقام عماد الدين فاستشار فى ذلك فكل أشار به وقالوا لا تقدر على رقع هذا الخرق وإعادة ناموس هذه الولاية ولا تقوى نفس أحد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زنكى فوافق ما عنده فأسند إليه الولاية وفوضها إليه مضافة إلى ماله من الأقطاع وسار عن بغداد وقد اطمأن قلبه من جهة العراق فكان الأمر كما ظن.

﴿ذكر عود السلطان عن بغداد ووزارة أنو شروان بن خالد﴾ فى هذه السنة فى عاشر ربيع الآخر سار السلطان محمود عن بغداد بعد تقرير القواعد بها ولما عزم على المسير حمل إليه الخليفة الخلع والدواب الكثيرة فقبل ذلك جميعه وسار ولما أبعد عن بغداد قبض على وزيره أبى القاسم على بن القاسم الأنسابادى فى رجب لأنه اتهمه بمماألاة المسترشد بالله لقيامه فى أمره وإتمام الصلح مقاما ظهر أثره فسعى به أعداؤه فلما قبض عليه أرسل السلطان إلى بغداد أحضر شرف الدين أنوشروان بن خالد وكان مقيما بها فلما علم بذلك جاءته الهدايا من كل أحد حتى من الخليفة وسار عن بغداد خامس شعبان فوصل إلى السلطان وهو بأصبهان فخلع عليه خلع الوزارة وبقى فيها نحو عشرة أشهر ثم استعفى منها وعزل نفسه وعاد إلى بغداد فى شعبان سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وأما الوزير أبو القاسم فإنه بقى مقبوضا إلى أن خرج السلطان سنجر إلى الرى سنة اثنتين وعشرين فأخرجه من الحبس فى ذى الحجة وأعاده إلى وزارة السلطان محمود وهى الوزارة الثانية.

﴿ذكر وفاة عز الدين بن البرسقى وولاية عماد الدين زنكى الموصل وأعمالها﴾ فى هذه السنة توفى عز الدين مسعود بن البرسقى وهو صاحب الموصل وكان موته بمدينة الرحبة وسبب مسيره إليها أنه لما استقامت أموره فى ولايته وراسل السلطان محمودا وخطب له ولاية ما كان أبوه يتولاه من الموصل وغيرها فأجاب السلطان

---

(١) وفيها توفى أحمد بن على بن محمد الوكيل، المعروف بابن برهان، أبو الفتح الفقيه الشافعى، تفقه على الغزالى وعلى الكيا الهراس، وعلى الشاشى وكان بارعا فى الأصول، وله كتاب الذخيرة فى أصول الفقه وكان يعرف فنونا جيدة، بعينها. وولى تدريس النظامية ببغداد دون شهر. وفيها توفى بهرام بن بهرام أبو شجاع البيع، سمع الحديث وبنى مدرسة لأصحاب أحمد بكلواذى، ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء بها. وفيها توفى صاعد بن سيار بن محمد ابن عبد الله بن إبراهيم أبو الأعلا الإسحاقى الهروى الحافظ، أحد المتقنين، سمع الحديث، وتوفى بعتورج قرية على باب هراة.

Marfat.com

إلى ما طلب فرتب الأمور وقررها فكثر جنده وكان شجاعا شهما فطمع فى التغلب على بلاد الشام فجمع عساكره وسار إلى الشام يريد قصد دمشق فابتدأ بالرحبة فوصل إليها ونازلها وقام يحاصرها فأخذه مرض حاد وهو محاصر لها فتسلم القلعة ومات بعد ساعة فندم من بها على تسليمها إليه ولما مات بقى مطروحا على بساط لم يدفن وتفرق عنه عسكره ونهب بعضهم بعضا فشغلوا عنه ثم دفن بعد ذلك وقام بعده أخ له صغير واستولى على البلاد مملوك للبرسقى يعرف بالجاولى ودبر أمر الصبى وأرسل إلى السلطان يطلب أن يقرر البلاد على ولد البرسقى وبذل الأموال الكثيرة على ذلك وكان الرسول فى هذا الأمر القاضى بهاء الدين أبو الحسن على بن القاسم الشهرزورى وصلاح الدين محمد أمير حاجب البرسقى فحضر أدركاه السلطان ليخاطبا فى ذلك وكانا يخافان جاولى ولا يرضيان بطاعته والتصرف بما يحكم به فاجتمع صلاح الدين ونصير الدين جقر الذى صار نائبا عن أتابك عماد الدين بالموصل وكان بينهما مصاهرة وذكر له صلاح الدين ماورد فيه وأفشى إليه سره فخوفه نصير الدين من جاولى وقبح عنده طاعته وقرر فى نفسه أنه إنما أبقاه وأمثاله لحاجته إليهم ومتى أجيب إلى مطلوبه لا يبقى على أحد منهم وتحادث معه فى المخاطبة فى ولاية عماد الدين زنكى وضمن له الولايات والأقطاع الكثيرة وكذلك للقاضى بهاء الدين الشهرزورى فأبه إلى ذلك وأحضره معه عند القاضى بهاء الدين وخاطباه فى هذا الأمر وضمنا له كل ما أراده فوافقهما على ما طلبا وركب هو وصلاح الدين إلى دار الوزير وهو حينئذ شرف الدين أنوشروان بن خالد وقالا له قد علمت أنت والسلطان أن ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها وقويت شوكتهم بها فاستولوا على أكثرها وقد أصبحت ولا يتهم من حدود ماردين إلى عريش مصر ماعدا البلاد الباقية بيد المسلمين وقد كان البرسقى مع شجاعته وتجربته وانقياد العساكر إليه يكف بعض عاديتهم وشرهم فمذ قتل ازداد طمعهم وهذا ولده طفل صغير ولا بد للبلاد من رجل شهم شجاع ذى رأى وتجربة يذب عنها ويحفظها ويحمى حوزتها وقد أهمنا الحال لئلا يجرى خلل أووهن على الإسلام والمسلمين فيختص اللوم بنا ويقال لم لا أنهيتم الينا جلية الحال فرفع الوزير قولهما إلى السلطان فاستحسنه وشكرهما عليه وأحضرهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكرا جماعة منهم عماد الدين زنكى وبذلا عنه تقربا إلى خزانة السلطان مالا جليلا فأجاب السلطان إلى توليته لما يعلمه من كفايته لما يليه فأحضره وولاه البلاد كلها وكتب منشوره بها وسار فبدأ بالبوازيج ليملكها ويتقوى بها ويجعلها ظهره لأنه خاف من جاولى أنه ربما صده عن البلاد فلما دخل البوازيج سار عنها إلى الموصل فلما سمع جاولى بقربه من البلد خرج إلى تلقيه ومعه جميع العسكر فلما رآه جاولى نزل عن فرسه وقبل الأرض بين يديه وعاد فى خدمته إلى الموصل فدخلها فى رمضان وأقطع جاولى الرحبة وسيره اليها وأقام بالموصل يصلح أمورها ويقرر قواعدها فولى نصير الدين دزدارية القلعة بالموصل وجعل اليه سائر دزدارية القلاع وجعل صلاح الدين محمدا أميرا حاجبا وبهاء الدين قاضى قضاة بلاده جميعها وزاده أملاكا وأقطاعا واحتراما وكان لا يصدر إلا عن رأيه فلما فرغ من أمر الموصل سار عنها إلى جزيرة ابن عمر وبها مماليك البرسقى فامتنعوا عليه فحصرهم وراسلهم وبذل لهم البذول الكثيرة إن سلموا فلم يجيبوه إلى ذلك فجد فى قتالهم وبينه وبين البلد دجلة فأمر الناس فألقوا أنفسهم فى الماء ليعبروه إلى البلد ففعلوا وعبر بعضهم سباحة وبعضهم فى السفن وبعضهم فى الأكلاك وتكاثروا على أهل الجزيرة وكانوا قد خرجوا عن البلد إلى أرض بين الجزيرة ودجلة تعرف بالزلاقة ليمنعوا من

يريد عبور دجلة فلما عبر العسكر اليهم قاتلوهم ومانعوهم فتكاثر عسكر عماد الدين عليهم فانهزم أهل البلد ودخلوه وتحصنوا بأسواره واستولى عماد الدين على الزلاقة فلما رأى من بالبلد ذلك ضعفوا ووهنوا وأيقنوا أن البلد يملك سلما أوعنوة فأرسلوا يطلبون الأمان فأجابهم إلى ذلك وكان هو أيضا مع عسكره بالزلاقة فسلموا البلد اليه فدخله هو وعسكره ثم إن دجلة زادت تلك الليلة زيادة عظيمة لحقت سور البلد وصارت الزلاقة ماء فلو أقام ذلك اليوم لغرق هو وعسكره ولم ينج منهم أحد فلما رأى الناس ذلك أيقنوا بسعادته وأيقنوا أن أمراً هذا بدايته لعظيم ثم سار عن الجزيرة إلى نصيبين وكانت لحسام الدين تمرتاش صاحب ماردين فلما نازلها سار حسام الدين إلى ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان بن أرتق وهو صاحب حصن كيفا وغيرها فاستنجده على أتابك زنكى فوعده النجدة بنفسه وجمع عسكره وعاد تمرتاش إلى ماردين وأرسل رقاعا على أجنحة الطيور إلى نصيبين يعرف من بها من العسكر أنه وابن عمه سائران فى العسكر الكثير اليهم وإزاحة عماد الدين عنهم ويأمرهم بحفظ البلد خمسة أيام فبينما أتابك فى خيمته إذ سقط طائر على خيمة تقابله فأمر به فصيد فرأى فيه رقعة فقرأها وعرف ما فيها فأمر أن يكتب غيرها يقول فيها إننى قصدت ابن عمى ركن الدولة وقد وعدنى النصرة وجمع العساكر وما يتأخر عن الوصول أكثر من عشرين يوما ويأمرهم بحفظ البلد هذه المدة إلى أن يصلوا وجعلها فى الطائر وأرسله فدخل نصيبين فلما وقف من بها على الرقعة سقط فى أيديهم وعلموا أنهم لا يقدرون أن يحفظوا البلد هذه المدة فأرسلوا إلى الشهيد وصالحوه وسلموا البلد اليه فبطل على تمرتاش وداود وما كانا عزما عليه وهذا من غريب ما يسمع فلما ملك نصيبين سار عنها إلى سنجار فامتنع من بها عليه ثم صالحوه وسلموا البلد إليه وسير منها الشحن إلى الخابور فملكه جميعه ثم سار إلى حران وهى للمسلمين وكانت الرها وسروج والبيرة وتلك النواحى جميعها للفرنج وأهل حران معهم فى ضر عظيم وضيق شديد لخلو البلاد من حام يذب عنها وسلطان يمنعها فلما قارب حران خرج أهل البلد وأطاعوه وسلموا إليه فلما ملكها أرسل إلى جوسلين صاحب الرها وتلك البلاد وراسله وهادنه مدة يسيرة وكان غرضه أن يتفرغ لإصلاح البلاد وجند الأجناد وكان أهم الأمور إليه أن يعبر الفرات إلى الشام ويملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية فاستقر الصلح بينهم وأمن الناس . ونحن نذكر ملك حلب إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة قتل معين الملك أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر قتلته الباطنية وكان له فى قتلهم آثار حسنة ونية صالحة فرزقه الله الشهادة . وفيها ولى السلطان شحنكية بغداد مجاهد الدين بهروز لما سار أتابك زنكى إلى الموصل ، وفيها رتب الحسن بن سليمان فى تدريس النظامية ببغداد وفيها أوقع السلطان سنجر بالباطنية فى ألموت فقتل منهم خلقا كثيرا قيل كانوا يزيدون على عشرة آلاف نفس . وتوفى هذه السنة على بن المبرك أبو الحسن المقرى المعروف بابن الفاعوس الحنبلى ببغداد فى شوال وكان صالحا . وفى شوال توفى محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد أبو الحسن بن أبى الفضل الهمذانى الغرضى صاحب التاريخ [1] .

(١) وفيها توفيت فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلويه سمعت الخطيب وابن المسلمة وغيرهما ، وكانت واعظة لها رباط تجتمع فيه الزاهدات ، وقد سمع عليها ابن الجوزى مسند الشافعى وغيره . وفيها توفى أبو محمد عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوسى ، ثم التنيسى صاحب المصنفات فى اللغة وغيرها ، جمع المثلث فى مجلدين ، وزاد فيه على قطرب =

Marfat.com

Marfat.com

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة﴾

﴿ ذكر ملك أتابك عماد الدين زنكى مدينة حلب ﴾ فى هذه السنة أول المحرم ملك عماد الدين زنكى ابن آقسنقر مدينة حلب وقلعتها ونحن نذكر كيف كان سبب ملكها فنقول قد ذكرنا ملك البرسقى لمدينة حلب وقلعتها سنة ثمان عشرة واستخلافه بها ابنه مسعودا ولما قتل البرسقى سار مسعود عنها إلى الموصل وملكها واستناب بحلب أميرا اسمه قومان ثم إنه ولى عليها أميرا اسمه قتلغ أبه وسيره بتوقيع إلى قومان بتسليمها فقال بينى وبين عزالدين علامة لم أرها . ولا أسلم إلا بها وكانت العلامة بينهما صورة غزال وكان مسعود بن البرسقى حسن التصوير فعاد قتلغ أبه إلى مسعود وهو يحاصر الرحبة فوجده قدمات فعاد إلى حلب مسرعا وعرف الناس موته فسلم الرئيس فضائل بن بديع البلد وأطاعه المقدمون به واستنزلوا قومان من القلعة بعد أن صح عنده وفاة صاحبه مسعود وأعطوه ألف دينار فتسلم قلغ القلعة فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين فظهر منه بعد أيام جور شديد وظلم عظيم ومد يده إلى أموال الناس لاسيما التركات فإنه أخذها وتقرب إليه الأشرار فنفرت قلوب الناس منه وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبدالجبار بن أرتق الذى كان قديما صاحبها فأطاعه أهلها وقاموا ليلة الثلاثاء ثانى شوال فقبضوا على كل من كان بالبلد من أصحاب قتلغ أبه وكان أكثرهم يشربون فى البلد صبحة العيد وزحفوا إلى القلعة فتحصن قتلغ أبه فيها بمن معه فحصروه ووصل إلى حلب حسان صاحب منبج وحسن صاحب بزاعة لإصلاح الأمر فلم ينصلح وسمع الفرنج بذلك فتقدم جوسلين بعسكره إلى المدينة فصونع بمال فعاد عنها ثم وصل بعده صاحب أنطاكية فى جمع من الفرنج فخندق الحلبيون حول القلعة فمنع الداخل والخارج إليها من ظاهر البلد وأشرف الناس على الخطر العظيم إلى منتصف ذى الحجة من السنة وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة فسير إلى حلب الأمير سنقر دراز والأمير حسن قراقوش وهما من أكابر أمراء البرسقى وقد صاروا معه فى عسكر قوى ومعه التوقيع من السلطان بالموصل والجزيرة والشام فاستقر الأمر أن يسير بدر الدولة بن عبد الجبار وقتلغ أبه إلى الموصل إلى عماد الدين فسارا إليه وأقام حسن قراقوش بحلب واليا عليها ولاية مستعارة فلما وصل بدر الدولة وقتلغ أبه إلى عماد الدين أصلح بينهما ولم يرد واحدا منهما إلى حلب وسير حاجبه صلاح الدين محمدا الباغيسيانى إليها فى عسكر فصعد إلى القلعة ورتب الأمور وجعل فيها واليا وسار عماد الدين زنكى إلى الشام فى جيوشه وعساكره فملك فى طريقه مدينة منبج وبزاعة وخرج أهل حلب إليه فالتقوه واستبشروا بقدومه ودخل البلد واستولى عليه ورتب أموره وأقطع أعماله الأجناد والأمراء فلما فرغ من الذى أراده قبض على قتلغ أبه وسلمه إلى ابن بديع فكحله بداره بحلب فمات قتلغ أبه واستوحش ابن بديع فهرب إلى قلعة جعبر واستجار بصاحبها فأجاره وجعل عماد الدين فى رياسة حلب أبا الحسن على بن عبد الزراق ولولا أن الله

= شيئا كثيرا جدا ، وله شرح سقط الزند لأبى العلاء ، أحسن من شرح المصنف وله شرح أدب الكاتب لابن قتيبة ، ومن شعره الذى أورده له ابن خلكان :

أخو العلم حى خالد بعد موته ٭ وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى ٭ يظن من الأحياء وهو عديم

تعالى من على المسلمين بملك أتابك بلاد الشام لملكها الفرنج لأنهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشامية وإذ علم ظهير الدين طغتكين بذلك جمع عساكره وقصد بلادهم وحصرها وأغار عليها فيضطر الفرنج إلى الرحيل لدفعه عن بلادهم فقدر الله تعالى أنه توفى هذه السنة فخلالهم الشام من جميع جهاته من رجل يقوم بنصرة أدله فلطف الله بالمسلمين بولاية عماد الدين ففعل بالفرنج ما نذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ذكر قدوم السلطان سنجر إلى الرى﴾ فى هذه السنة خرج السلطان سنجر من خراسان إلى الرى فى جيش كثير وكان سبب ذلك أن دبيس بن صدقة لما وصل إليه هو والملك طغرل على ماذكرناه لم يزل يطمعه فى العراق ويسهل عليه قصده ويلقى فى نفسه أن المسترشد بالله والسلطان محمودا متفقان على الامتناع منه ولم يزل به حتى أجابه إلى المسير إلى العراق فلما ساروا وصل إلى الرى وكان السلطان محمود بهمذان فأرسل إليه السلطان سنجر يستدعيه إليه لينظر هل هو على طاعته أم قد تغير على مازعم دبيس فلما جاءه الرسول بادر إلى المسير إلى عمه فلما وصل إليه أمر العسكر جميعه بلقائه وأجلسه معه على التخت وبالغ فى إكرامه وأقام عنده إلى منتصف ذى الحجة ثم عاد السلطان سنجر إلى خراسان وسلم دبيسا إلى السلطان محمود ووصاه باكرامه وإعادته إلى بلده ورجع محمود إلى همذان ودبيس معه ثم سارا إلى العراق فلما قاربا بغداد خرج الوزير إلى لقائه وكان قدومه تاسع المحرم سنة ثلاث وعشرين وكان الوزير أبو القاسم الأنسابادى قد قبض السلطان محمود عليه فلما اجتمع بالسلطان سنجر أمر بإطلاقه فأطلقه وقرره سنجر فى وزارة ابنته التى زوجها السلطان محمود فلما وصل معه إلى بغداد أعاده محمود إلى وزارته فى الرابع والعشرين من المحرم وهى وزارته الثانية .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذة السنة ثامن صفر توفى أتابك طغتكين صاحب دمشق وهو مملوك الملك تتش ابن ألب أرسلان وكان عاقلا خيرا كثير الغزوات والجهاد للفرنج حسن السيرة فى رعيته مؤثرا للعدل فيهم وكان لقبه ظهير الدين ولما توفى ملك بعده ابنه تاج الملوك بورى وهو أكبر أولاده بوصية من والده له بالملك وأقر وزير أبيه أبا على طاهر بن سعد المزدقانى على وزارته . وفيها مستهل رجب توفى الوزير جلال الدين أبو على بن صدقة وزير الخليفة وكان حسن السيرة جميل الطريقة متواضعا محبا لأهل العلم مكرما لهم وله شعر حسن فمنه فى مدح المسترشد بالله :

وجدت الورى كالماء طعما ورقة * وأن أمير المؤمنين زلاله
وصورت معنى العقل شخصا مصورا * وأن أمير المؤمنين مثاله
ولولا طريق الدين والشرع والتقى * لقلت من الإعظام جل جلاله

وأقيم فى النيابة بعده شرف الدين على بن طراد الزينبى ثم جعل وزيرا وخلع عليه آخر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وعشرين ولم يوزر للخلفاء من بنى العباس هاشمى غيره . وفيها هبت ريح شديدة أسودّ لها الآفاق وجاءت بتراب أحمر يشبه الرمل وظهر فى السماء أعمدة كأنها نار فخاف الناس وعدلوا إلى الدعاء والاستغفار فانكشف عنهم مايخافونه (١) .

---

(١) وفيها توفى الحسين بن على بن أبى القاسم اللامتنى ، من أهل سمرقند ، روى الحديث وتفقه ، وكان يضرب به المثل فى المناظرة ، وكان خيرا دينا على طريقة السلف ، مطرحاً للتكلف أماراً بالمعروف ، قدم من عند الخاقان =

Marfat.com

✡(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة)✡

﴿ذكر قدوم السلطان محمود إلى بغداد﴾ فى هذه السنة فى المحرم قدم السلطان محمود بغداد بعد عوده من عند عمه السلطان سنجر ومعه دبيس بن صدقة ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله فتأخر دبيس عن السلطان ثم دخل بغداد ونزل بدار السلطان واسترضى عنه الخليفة فامتنع الخليفة من الإجابة إلى أن تولى دبيس شيئا من البلاد وبذل مائة ألف دينار لذلك وعلم أتابك زنكى أن السلطان يريد أن يولى دبيس الموصل فبذل مائة ألف دينار وحضر بنفسه إلى خدمة السلطان فلم يشعر السلطان به إلا وهو عند الستر وحمل معه الهدايا الجليلة فأقام عند السلطان ثلاثة أيام وخلع عليه وأعاده إلى الموصل وخرج السلطان يتصيد فعمل له شيخ المزرفة دعوة عظيمة امتار منها جميع عسكر السلطان وأدخله إلى حمام فى داره وجعل فيها عوض الماء ماء الورد فأقام السلطان إلى رابع جمادى الآخرة وسار عنها إلى همذان وجعل بهروز على شحنكية بغداد وسلمت اليه الحلة أيضا .

﴿ذكر مافعله دبيس بالعراق وعود السلطان إلى بغداد﴾ لما رحل السلطان إلى همذان ماتت زوجته وهى ابنة السلطان سنجر وهى التى كانت تعنى بأمر دبيس وتدافع عنه فلما ماتت انحل أمر دبيس ثم إن السلطان مرض مرضا شديدا فأخذ دبيس ابنا له صغيرا وقصد العراق فلما سمع المسترشد بالله بذلك جند الأجناد وحشد وكان بهروز بالحلة فهرب منها فدخلها دبيس فى شهر رمضان فلما سمع السلطان الخبر عن دبيس أحضر الأميرين قزل والأحمديلى وقال أنتما ضمنتما دبيسا منى وأريده منكما فسار الأحمديلى إلى العراق إلى دبيس ليكف شره عن البلاد ويحضره إلى السلطان فلما سمع دبيس الخبر أرسل إلى الخليفة يستعطفه ويقول إن رضيت عنى فأنا أرد أضعاف ما أخذت وأكون العبد المملوك فتردد الرسل ودبيس يجمع الأموال والرجال فاجتمع معه عشرة آلاف فارس وكان قد وصل فى ثلثمائة فارس ووصل الأحمديلى بغداد فى شوال وسار فى أثر دبيس ثم إن السلطان سار إلى العراق فلما سمع دبيس بذلك أرسل إليه هدايا جليلة المقدار وبذل ثلثمائة حصان منعلة بالذهب ومائتى ألف دينار ليرضى عنه السلطان والخليفة فلم يجبه إلى ذلك ووصل السلطان إلى بغداد فى ذى القعدة فلقيه الوزير الزينبى وأرباب المناصب فلما تيقن دبيس وصوله رحل إلى البرية وقصد البصرة وأخذ منها أموالا كثيرة وما للخليفة والسلطان هناك من الدخل فسير السلطان أثره عشرة آلاف فارس ففارق البصرة ودخل البرية .

﴿ ذكر قتل الإسماعيلية بدمشق ﴾ قد ذكرنا فيما تقدم قتل إبراهيم الأسداباذى ببغداد وهرب ابن أخته بهرام إلى الشام وملكه قلعة بانياس ومسيره إليها ولما فارق دمشق أقام له بها خليفة يدعو الناس إلى مذهبه فكثروا وانتشروا وملك هو عدة حصون من الجبال منها القدموس وغيره وكان بوادى التيم من أعمال بعلبك أصحاب مذاهب مختلفة من النصيرية والدرزية والمجوس وغيرهم وأميرهم اسمه الضحاك فسار إليهم بهرام سنة اثنتين وعشرين وحصرهم وقاتلهم فخرج إليه الضحاك فى ألف رجل وكبس عسكر بهرام فوضع السيف فيهم وقتل منهم مقتلة كثيرة وقتل بهرام وانهزم من سلم وعادوا إلى بانياس على أقبح صورة وكان بهرام قد استخلف

= ملك ما وراء النهر فى رسالة إلى دار الخلافه ، فقيل له ألا تحج عامك هذا ؟ فقال : لا أجعل الحج تبعا لرسالتهم ، فعاد إلى بلده فمات فى رمضان من هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة رحمه الله .

Marfat.com

فى بانياس رجلا من أعيان أصحابه اسمه إسمعيل فقام مقامه وجمع شمل من عاد إليه منهم وبث دعاته فى البلاد وعاضده المزدقانى أيضا وقوى نفسه على ماعنده من الامتعاض بهذه الحادثة والهم بسببها ثم إن المزدقانى أقام بدمشق عوض بهرام إنسانا اسمه أبو الوفا فقوى أمره وعلا شأنه وكثر أتباعه وقام بدمشق فصار المستولى على من بها من المسلمين وحكمه أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك ثم إن المزدقانى راسل الفرنج ليسلم إليهم مدينة دمشق ويسلموا إليه مدينة صور واستقر الأمر بينهم على ذلك وتقرر بينهم الميعاد يوم جمعة ذكروه وقرر المزدقانى مع الإسماعيلية أن يحتاطوا ذلك اليوم بأبواب الجامع فلا يمكنون أحدا يخرج منه ليجىء الفرنج ويملكوا البلاد فبلغ الخبر تاج الملوك صاحب دمشق فاستدعى المزدقانى إليه فحضر وخلا معه فقتله تاج الملوك وعلق رأسه على باب القلعة ونادى فى البلد بقتل الباطنية فقتل منهم ستة آلاف نفس وكان ذلك منتصف رمضان من السنة ، وكفى الله المسلمين شرهم ورد على الكافرين كيدهم . ولما تمت هذه الحادثة بدمشق على الإسماعيلية خاف إسماعيل والى بانياس أن يثور به وبمن معه الناس فيهلكوا فراسل الفرنج وبذل لهم تسليم بانياس إليهم والانتقال إلى بلادهم فأجابوه فسلم القلعة إليهم وانتقل هو ومن معه من أصحابه إلى بلادهم ولقوا شدة وذلة وهوانا ، وتوفى إسماعيل أوائل سنة أربع وعشرين وكفى الله المؤمنين شرهم .

﴿ذكر حصر الفرنج دمشق وانهزامهم﴾ لما بلغ الفرنج قتل المزدقانى والإسماعيلية بدمشق عظم عليهم ذلك وتأسفوا على دمشق حيث لم يتم ملكها وعمتهم المصيبة فاجتمعوا كلهم صاحب القدس وصاحب أنطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم من الفرنج وقامصتهم ، ومن وصل إليهم فى البحر للتجارة والزيارة ، فاجتمعوا فى خلق عظيم نحو ألفى فارس ، وأما الراجل فلا يحصى ، وساروا إلى دمشق ليحصروها ؛ ولما سمع تاج الملوك بذلك ، جمع العرب والتركمان ، فاجتمع معهم ثمانية آلاف فارس ، ووصل الفرنج فى ذى الحجة ، فنازلوا البلد وأرسلوا إلى أعمال دمشق لجمع الميرة والإغارة على البلاد فلما سمع تاج الملوك أن جمعا كثيرا قد ساروا إلى حوران لنهبه وإحضار الميرة سير أميرا من أمرائه يعرف بشمس الخواص فى جمع من المسلمين إليهم وكان خروجهم فى ليلة شاتية كثيرة المطر ولقوا الفرنج من الغد فواقعوهم واقتتلوا وصبر بعضهم لبعض فظفر بهم المسلمون وقتلوهم فلم يفلت منهم غير مقدمهم ومعه أربعون رجلا وأخذوا مامعهم وهى عشرة آلاف دابة موقرة وثلثمائة أسير وعادوا إلى دمشق لم يمسسهم قرح فلما علم من عليها من الفرنج ذلك ألقى الله فى قلوبهم الرعب فرحلوا عنها شبه المنهزمين وأحرقوا ماتعذر عليهم حمله من سلاح وميرة وغير ذلك وتبعهم المسلمون والمطر شديد والبرد عظيم يقتلون كل من تخلف منهم فكثر القتلى منهم وكان نزولهم ورحيلهم فى ذى الحجة من هذه السنة .

﴿ ذكر ملك عماد الدين زنكى مدينة حماة ﴾ فى هذه السنة ملك عماد الدين زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل مدينة حماة وسبب ذلك أنه عبر الفرات إلى الشام وأظهر أنه يريد جهاد الفرنج وأرسل إلى تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق يستنجده ويطلب منه المعونة على جهادهم فأجاب إلى المراد وأرسل من أخذ له العهود والمواثيق فلما وصلت الوثقة جرد عسكراً من دمشق مع جماعة من الأمراء وأرسل إلى ابنه سونج وهو بمدينة حماة يأمره بالنزول إلى العسكر والمسير معهم الى زنكى ففعل ذلك فساروا جميعهم فوصلوا اليه

Marfat.com

فأكرمهم وأحسن لقاءهم وتركهم أياما ثم إنه قدر بهم فقبض على سونج ولد تاج الملوك وعلى جماعة الأمراء المقدمين ونهب خيامهم ومافيها من الكراع واعتقلهم بحلب وهرب من سواهم وسار من يومه إلى حماة فوصل إليها وهى خالية من الجند الحماة الذابين فملكها واستولى عليها ورحل عنها إلى حمص وكان صاحبها قرجان بن قراجة معه فى عسكره وهو الذى أشار عليه بالغدر بولد تاج الملوك فقبض عليه ونزل على حمص وحصرها وطلب من قرجان صاحبها أن يأمر نوابه وولده الذين فيها بتسليمها فأرسل إليهم بالتسليم فلم يقبلوا منه ولا التفتوا إلى قوله فأقام عليها محاصرا لها ومقاتلا لمن فيها مدة طويلة فلم يقدر على ملكها فرحل عنها عائدا إلى الموصل واستصحب معه سونج بن تاج الملوك ومن معه من الأمراء الدمشقيين وترددت الرسل فى إطلاقهم بينه وبين تاج الملوك واستقر الأمر على خمسين ألف دينار فأجاب تاج الملوك إلى ذلك ولم ينتظم بينهم أمر .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة ملك بيمند صاحب أنطاكية حصن القدموس من المسلمين . وفى هذه السنه أيضا وثب الإسماعيلية على عبداللطيف بن الخجندى رئيس الشافعية بأصبهان فقتلوه وكان ذا رياسة عظيمة وتحكم كثير . وفى هذه السنة توفى الإمام أبو الفتح أسعد بن أبى نصر الميهنى الفقيه الشافعى مدرس النظامية ببغداد وله طريقة مشهورة فى الخلاف وتفقه على أبى المظفر السمعانى وكان له قبول عظيم عند الخليفة والسلطان وسائر الناس . وفيها توفى حمزة بن هبة الله بن محمد بن الحسن الشريف العلوى الحسنى النيسابورى سمع الحديث الكثير ورواه ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة وجمع مع شرف النسب شرف النفس والتقوى وكان زيدى المذهب .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمد خان وملك محمود بن محمد خان المذكور ﴾ فى هذه السنة فى ربيع الأول ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند وسبب ذلك أنه كان قد رتب فيها لما ملكها أولا أرسلان خان محمد بن سليمان بن بغراخان داود فأصابه فالج فاستناب ابنا له يعرف بنصر خان وكان شهما شجاعا وكان بسمرقند إنسان علوى فقيه مدرس إليه الحل والعقد والحكم فى البلد فاتفق هو ورئيس البلد على قتل نصرخان فقتلاه ليلا وكان أبوه محمد خان غائبا فعظم عليه واشتد وكان له ابن آخر غائب فى بلاد تركستان فأرسل إليه واستدعاه فلما قارب سمرقند خرج العلوى ورئيس البلد إلى استقباله فقتل العلوى فى الحال وقبض على الرئيس وكان والده أرسلان خان قد أرسل إلى السلطان سنجر رسولا يستدعيه ظنا منه أن ابنه لا يتم أمره مع العلوى والرئيس فتجهز سنجر وسار يريد سمرقند فلما ظفر ابن أرسلان خان بهما ندم على استدعاء السلطان سنجر فأرسل إليه يعرفه أنه قد ظفر بالعلوى والرئيس وأنه وابنه على الطاعة ويسأله العود إلى خراسان فغضب سنجر من ذلك وأقام أياما فبينما هو فى الصيد إذ رأى اثنى عشر رجلا فى السلاح التام فقبض عليهم وعاقبهم فأقروا أن محمد خان أرسلهم ليقتلوه فقتلهم ثم سار إلى سمرقند فملكها عنوة ونهب بعضها ومنع من الباقى وتحصن منه محمد خان ببعض تلك الحصون فاستنزله السلطان سنجر بأمان بعد مدة فلما نزل إليه أكرمه وأرسله إلى ابنته زوجة السلطان سنجر فبقى عندها إلى أن توفى وأقام سنجر بسمرقند مدة حتى أخذ المال والسلاح والخزائن وسلم البلد إلى الأمير حسن تكين وعاد إلى خراسان فلم يلبث حسن تكين أن مات فملك سنجر بعده عليها محمود

Marfat.com

ابن محمد خان بن سليمان بن داود المقدم ذكره وقيل إن السبب غير ماذكرناه وسيرد ذكره سنة ست وثلاثين للحاجة إلى ذكره هناك .

﴿ ذكر فتح عماد الدين زنكى حصن الأثارب وهزيمة الفرنج ﴾ لما فرغ عماد الدين زنكى من أمر البلاد الشامية حلب وأعمالها وما ملكه وقرر قواعده عاد إلى الموصل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ثم أمرهم بالتجهز للغزاة فتجهزوا وأعدوا واستعدوا وعاد إلى الشام وقصد حلب فقوى عزمه على قصد حصن الأثارب ومحاصرته لشدة ضرره على المسلمين وهذا الحصن بينه وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ بينها وبين أنطاكية وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع أعمالها الغربية حتى على رحا لأهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق وكان أهل البلد معهم فى ضر شديد وضيق كل يوم قد أغاروا عليهم ونهبوا أموالهم فلما رأى الشهيد هذه الحال صمم العزم على حصر هذا الحصن فسار إليه ونازله فلما علم الفرنج بذلك جمعوا فارسهم وراجلهم وعلموا أن هذه وقعة لها ما بعدها فحشدوا وجمعوا ولم يتركوا من طاقتهم شيئا إلا واستنفدوه فلما فرغوا من أمرهم ساروا نحوه فاستشار أصحابه فيما يفعل وكل أشار بالعود عن الحصن فإن لقاء الفرنج فى بلادهم خطر لايدرى على أى شىء تكون العاقبة فقال لهم إن الفرنج متى رأونا قد عدنا من أيديهم طمعوا وساروا فى أثرنا وخربوا بلادنا ولابد من لقائهم على كل حال ثم ترك الحصن وتقدم إليهم فالتقوا واصطفوا للقتال وصبر كل فريق لخصمه واشتد الأمر بينهم ثم إن الله تعالى أنزل نصره على المسلمين فظفروا وانهزم الفرنج أقبح هزيمة ووقع كثير من فرسانهم فى الأسر وقتل منهم خلق كثير وتقدم عماد الدين إلى عسكره بالإنجاز وقال هذا أول مصاف عملناه معهم فلنذقهم من بأسنا مايبقى رعبه فى قلوبهم ففعلوا ما أمرهم ولقد اجتزت بتلك الأرض سنة أربع وثمانين وخمسمائة ليلا فقيل لى إن كثيرا من العظام باق إلى ذلك الوقت فلما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا إلى الحصن فتسلموه عنوة وقتلوا وأسروا كل من فيه وأخربه عماد الدين وجعله دكا وبقى إلى الآن خرابا ثم سار منه إلى قلعة حارم وهى بالقرب من أنطاكية فحصرها وهى أيضا للفرنج فبذل له أهلها نصف دخل بلد حارم وهادنوه فأجابهم إلى ذلك وعاد عنهم وقد استدار المسلمون بتلك الأعمال وضعفت قوى الكافرين وعلموا أن البلاد قد جاءها ما لم يكن لهم فى حساب وصار قصاراهم حفظ ما بأيديهم بعد أن كانوا قد طمعوا فى ملك الجميع .

﴿ ذكر ملك عماد الدين زنكى أيضا مدينة سرجى ودارا ﴾ لما فرغ من أمر الأثارب وتلك النواحى عاد إلى ديار الجزيرة وكان قد بلغه عن حسام الدين تمرتاش بن أيلغازى صاحب ماردين وابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب حصن كيفا قوارص فعاد إليهم وحصر مدينة سرجى وهى بين ماردين ونصيبين فاجتمع حسام الدين وركن الدولة وصاحب آمد وغيرهم وجمعوا خلقا كثيرا من التركمان بلغت عدتهم عشرين ألفا وساروا إليه فتصافوا بتلك النواحى فهزمهم عماد الدين وملك سرجى فحكى لى والدى قال لما انهزم ركن الدولة داود قصد بلد جزيرة ابن عمر ونهبه فبلغ الخبر عماد الدين فسار نحو الجزيرة وأراد دخول بلد داود ثم عاد عنه لضيق مسالكه وخشونة الجبال التى فى الطريق وسار إلى دارا فملكها وهى من القلاع فى تلك الأعمال .

﴿ ذكر وفاة الآمر وخلافة الحافظ العلوى ﴾ فى هذه السنة ثانى ذى القعدة قتل الآمر بأحكام الله أبو على

Marfat.com

ابن المستعلى العلوى صاحب مصر خرج إلى منتزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه لأنه كان سيء السيرة فى رعيته وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعمره أربعا وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدى عبيدالله الذى ظهر بسجلماسة وبنى المهدية بأفريقية . وهو أيضا العاشر من الخلفاء العلويين من أولاد المهدى أيضا . ولما قتل لم يكن له ولد بعده فولى بعده ابن عمه الميمون عبدالمجيد ابن الأمير أبى القاسم بن المستنصر بالله ولم يبايع بالخلافة وإنما بويع له لينظر فى الأمر نيابة حتى يكشف عن حمل إن كان للآمر فتكون الخلافة فيه ويكون هو نائبا عنه وهو ولد الحافظ بعسقلان لأن أباه خرج من مصر إليها فى الشدة فأقام بها فولد ابنه عبدالمجيد هناك ولما ولى استوزر أبا على أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالى واستبد بالأمر وتغلب على الحافظ وحجر عليه وأودعه فى خزانة ولا يدخل إليه إلا من يريده أبو على وبقى الحافظ له إسم لا معنى تحته ونقل أبو على كل ما فى القصر إلى داره من الأموال وغيرها ولم يزل الأمر كذلك إلى أن قتل أبو على سنة ست وعشرين فاستقامت أمور الحافظ وحكم فى دولته وتمكن من ولايته وبلاده .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة توفيت الخاتون ابنة السلطان سنجر وهى زوجة السلطان محمود . وفيها قتل بيمند الفرنجى صاحب أنطاكية . وفيها توفى نصير الدين محمود بن مؤيد الملك بن نظام الملك فى شعبان ببغداد ووقع الحريق فى داره بعد وفاته وفى حظائر الحطب والسوق التتشى فذهب من الناس أموال كثيرة . وفيها وزر الرئيس أبو الذواد المفرج بن الحسن بن الصوفى لصاحب دمشق تاج الملوك . وفيها كان الرصد بالدار السلطانية شرقى بغداد تولاه البديع الاصطرلابى ولم يتم . وفيها ظهر ببغداد عقارب طيارة ذوات شوكتين فنال الناس منها خوف شديد وأذى عظيم . وفيها فى ذى الحجة خرج الملك مسعود بن محمد من خراسان وكان عند عمه السلطان سنجر ووصل إلى ساوة ووقع الإرجاف أن عزمه على مخالفة أخيه السلطان محمود قوى وأن عمه سنجر أمره بذلك فاستشعر السلطان محمود وسار عن بغداد إلى همذان فلما وصل إلى كرمانشاهان وصل إليه أخوه الملك مسعود وخدمه ولم يظهر للإرجاف أثر فأقطعه السلطان مدينة كنجة وأعمالها وسيره إليها . وفيها كانت زلزلة عظيمة فى ربيع الأول بالعراق وبلد الجبل والموصل والجزيرة فخربت كثيراً . وفيها ملك السلطان محمود قلعة الموت . وفيها توفى ابراهيم بن عثمان بن محمد أبو اسحق الغزى من أهل غزة مدينة بفلسطين من الشام ومولده سنة إحدى وأربعين وأربعمائة وهو من الشعراء المجيدين ، فمن قوله من قصيدة يصف فيها الأتراك :

فى فتية من جيوش الترك ماتركت * للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا
قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وإن قوتلوا كانوا عفاريتا

وله فى الزهد :

إنما هذه الحياة متاع * والسفيه الغوى من يصطفيها
مامضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التى أنت فيها

وفيها توفى الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الدباس أبو عبدالله النحوى الشاعر المعروف بالبارع أخو أبى الكرم بن فاخر النحوى لأمه ولد سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وله شعر مليح فمنه قوله :

ردى على الكرى ثم اهجرى سكنى * فقد قنعت بطيف منك فى الوسن
لاتحسبى النوم قد أوحشت أطلبه * إلا رجاء خيال منك يؤنسنى
تركتنى والهوى فرداً أغالبه * ونام ليلك عن همّ يؤرقنى

Marfat.com

وهى طويلة . وفيها توفى هبة الله بن القاسم بن محمد بن عطاء بن محمد أبو سعد المهروانى النيسابورى ومولده سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وكان محدثا حافظا صالحا .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر أسر دبيس بن صدقة وتسليمه إلى عماد الدين زنكى ﴾ فى هذه السنة فى شعبان أسر تاج الملوك بورى ابن طغتكين صاحب دمشق الأمير دبيس بن صدقة صاحب الحلة وسلمه إلى أتابك الشهيد زنكى بن آقسنقر وسبب ذلك أنه لما فارق البصرة على ماذكرناه جاءه قاصد من الشام صرخد يستدعيه إليها لأن صاحبها كان خصيا فتوفى هذه السنة وخلف جارية سرية له فاستولت على القلعة وما فيها وعلمت أنها لا يتم لها ذلك إلا بأن تتصل برجل له قوة ونجدة فوصف لها دبيس بن صدقة وكثرة عشيرته وذكر لها حاله وماهو عليه بالعراق فأرسلت تدعوه إلى صرخد لتتزوج به وتسلم القلعة ومافيها من مال وغيره إليه فأخذ الأدلاء معه وسار من أرض العراق إلى الشام فضل به الأدلاء بنواحى دمشق فنزل بناس من كلب كانوا شرقى الغوطة فأخذوه وحملوه إلى تاج الملوك صاحب دمشق فحبسه عنده وسمع أتابك عماد الدين زنكى الخبر وكان دبيس يقع فيه وينال منه فأرسل إلى تاج الملوك يطلب منه دبيسا ليسلمه إليه ويطلق ولده ومن معه من الأمراء المأسورين وإن امتنع من تسليمه سار إلى دمشق وحصرها وخربها ونهب بلدها فأجاب تاج الملوك إلى ذلك وأرسل أتابك سونج بن تاج الملوك والأمراء الذين معه وأرسل تاج الملوك دبيسا فأيقن دبيس بالهلاك ففعل زنكى معه خلاف ما ظن وأحسن إليه وحمل له الأقوات والسلاح والدواب وسائر أمتعة الخزائن وقدمه حتى على نفسه وفعل معه ما يفعل مع أكابر الملوك ولما سمع المسترشد بالله بقبضه بدمشق أرسل سديد الدولة بن الأنبارى وأبا بكر بن بشر الجزرى من جزيرة ابن عمر إلى تاج الملوك يطلب منه أن يسلم دبيسا إليه لما كان متحققا به من عداوة الخليفة فسمع سديد الدولة بن الأنبارى بتسليمه إلى عماد الدين وهو فى الطريق فسار إلى دمشق ولم يرجع وذم أتابك زنكى بدمشق واستخف به وبلغ الخبر عماد الدين فأرسل إلى طريقه من يأخذه إذا عاد فلما رجع من دمشق قبضوا عليه وعلى ابن بشر وحملوهما إليه فأما ابن بشر فأهانه وجرى فى حقه مكروه وأما ابن الأنبارى فسجنه ثم إن المسترشد بالله شفع فيه فأطلق ولم يزل دبيس مع زنكى حتى انحدر معه إلى العراق على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود ﴾ فى هذه السنة فى شوال توفى السلطان محمود بن السلطان محمد بهمذان وكان قبل مرضه قد خاف وزيره أبو القاسم الأنسباذى من جماعة من الأمراء وأعيان الدولة منهم عزيز الدين أبو نصر أحمد بن حامد المستوفى والأمير أنوشتكين المعروف بشيركير وولده عمر وهو أمير حاجب السلطان وغيرهم فأما عزيز الدين فأرسله مقبوضا عليه إلى مجاهد الدين بهروز بتكريت ثم قتل بها وأما شيركير وولده فقتلا فى جمادى الآخرة ثم إن السلطان مرض وتوفى فى شوال وأقعد ولده الملك داود فى السلطنة باتفاق من الوزير أبى القاسم وأتابكه آقسنقر الأحمديلى وخطب له فى جميع بلاد الجبل وأذربيجان ووقعت الفتنة بهمذان وسائر بلاد الجبل ثم سكنت فلما أطمأن الناس وسكنوا سار الوزير بأمواله إلى الرى فأمن فيها حيث هى للسلطان سنجر وكان عمر السلطان محمود لما توفى نحو سبع وعشرين سنة وكانت ولايته للسلطنة اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما وكان حليما كريما عاقلا يسمع ما يكره ولا يعاقب

Marfat.com

عليه مع القدرة قليل الطمع فى أموال الرعايا عفيفا عنها كافا لأصحابه عن التطرق إلى شىء منها .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة ثار الباطنية بتاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق فجرحوه جرحين فبرأ أحدهما وتنسر الآخر وبقى فيه ألمه إلا أنه يجلس للناس ويركب معهم على ضعف فيه . وفيها توفى الأمير أبو الحسن بن المستظهر بالله أخو المسترشد بالله فى رجب . وفيها فى شوال توفى الحسن بن سلمان ابن عبدالله أبو على الفقيه الشافعى الواعظ مدرس النظامية ببغداد وأصله من الزوزان والخطيب أبو نصر أحمد ابن عبدالقاهر المعروف بابن الطوسى خطيب الموصل توفى فى ربيع الأول وحماد بن مسلم الدباس الرحبى الزاهد المشهور صاحب الكرامات وسمع الحديث وله أصحاب وتلامذة كثيرون ساروا ورأيت الشيخ أبا الفرج ابن الجوزى قد ذمه وثلبه ولهذا الشيخ أسوة بغيره من الصالحين فإن ابن الجوزى قد صنف كتابا سماه تلبيس إبليس لم يبق فيه على أحد من سادة المسلمين وصالحيهم وهبة الله بن محمد بن عبدالواحد بن الحصين الشيبانى الكاتب ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة سمع أبا على بن المهذب وأبا طالب بن غيلان وغيرهما وهو راوى مسند أحمد بن حنبل والغيلانيات وغيرها ومحمد بن الحسن بن على بن الحسن أبو غالب الماوردى ولد سنة خمسين وأربعمائة بالبصرة وسمع الحديث الكثير وروى سنن أبى داود السجستانى وكان صالحا . (١)

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر قتل أبى على وزير الحافظ ووزارة يانس وموته ﴾ فى هذه السنة فى المحرم قتل الأفضل أبو على ابن الأفضل بن بدر الجمالى وزير الحافظ لدين الله العلوى صاحب مصر وسبب قتله أنه كان قد حجر على الحافظ

---

(١) وممن توفى فيها أحمد بن محمد بن عبدالقاهر الصوفى سمع الحديث وتفقه بالشيخ أبى إسحاق الشيرازى ، وكان شيخاً لطيفاً ، عليه نور العبادة والعلم قال ابن الجوزى أنشدنى :

على كل حال فاجعل الحزم عدة ✲ تقدمها بين النوائب والدهر
فان نلت خيراً نلته بعزيمة ✲ وإن قصرت عنك الأمور فعن عذر

قال وأنشدنى أيضاً :

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا ✲ وقمت أشكو إلى مولاى ما أجد
وقلت يا عدتى فى كل نائبة ✲ ومن عليه لكشف الضر أعتمد
وقد مددت يدى والضر مشتمل ✲ إليك يا خير من مدت إليه يد
فلا تردنها يارب خائبة ✲ فبحر جودك يروى كل من يرد

وفيها توفى الحسن بن سليمان بن عبد الله بن عبد الغنى أبو على الفقيه مدرس النظامية ، وقد وعظ بجامع القصر وكان يقول ما فى الفقه منتهى ، ولا فى الوعظ مبتدى . توفى فيها وغسله القاضى أبو العباس بن الرطبى ، ودفن عند أبى إسحاق .

وفيها توفى حماد بن مسلم الرحبى الدباس ، كان يذكر له أحوال ومكاشفات واطلاع على مغيبات ، وغير ذلك من المقامات ، ورأيت ابن الجوزى يتكلم فيه ويقول : كان عريا من العلوم الشرعية ، وإنما كان ينفق على الجهال وذكر عن ابن عقيل أنه كان ينفر منه ، وكان حماد الدباس يقول : ابن عقيل عدوى . قال ابن الجوزى : وكان الناس ينذرون له فيقبل ذلك ، ثم ترك ذلك وصار يأخذ من المنامات وينفق على أصحابه . توفى فى رمضان ودفن بالشونيزية .

Marfat.com

ومنعه أن يحكم فى شىء من الأمور قليل أو جليل وأخذ ما فى قصر الخلافة إلى داره وأسقط من الدعاء ذكر إسمعيل الذى هو جدهم وإليه تنسب الإسماعيلية وهو ابن جعفر بن محمد الصادق وأسقط من الآذان حى على خير العمل ولم يخطب للحافظ وأمر الخطباء أن يخطبوا له بألقاب كتبها لهم وهى (السيد الأفضل الأجل سيد ممالك أرباب الدول والمحامى عن حوزة الدين وناشر جناح العدل على المسلمين الأقربين والأبعدين ناصر إمام الحق فى حالتى غيبته وحضوره والقائم بنصرته بماضى سيفه وصائب رأيه وتدبيره أمين الله على عباده وهادى القضاة إلى اتباع شرع الحق واعتماده ومرشد دعاة المؤمنين بواضح بيانه وإرشاده مولى النعم ورافع الجور عن الأمم ومالك فضيلتى السيف والقلم أبو على أحمد بن السيد الأجل الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش) وكان إمامى المذهب يكثر ذم الآمر والتناقص به فنفر منه شيعة العلويين ومماليكهم وكرهوه وعزموا على قتله فخرج فى العشرين من المحرم من هذه السنة إلى الميدان يلعب بالكرة مع أصحابه فكمن له جماعة منهم مملوك إفرنجى كان للحافظ فخرجوا عليه فحمل الفرنجى عليه فطعنه فقتله وحزوا رأسه وخرج الحافظ من الخزانة التى كان فيها ونهب الناس دار أبى على وأخذ منها مالا يحصى وركب الناس والحافظ إلى داره فأخذ مابقى فيها وحمله إلى القصر وبويع يومئذ الحافظ بالخلافة وكان قد بويع له بولاية العهد وأن يكون كافلا لحمل إن كان للآمر فلما بويع بالخلافة استوزر أبا الفتح يانس الحافظى فى ذلك اليوم بعينه ولقب لجيوش وكان عظيم الهيبة بعيد الغور كثير الشر فخافه الحافظ على نفسه وتخيل منه يانس فاحتاط ولم يأكل عنده شيئا ولاشرب فاحتال عليه الحافظ بأن وضع له فراشه فى بيت الطهارة ماء مسموما فاغتسل به فوقع الدود فى سفله وقيل له : متى قمت من مكانك هلكت ، فكان يعالج بأن يجعل اللحم الطرى فى المحل ، فيعلق به الدود فيخرج ويجعل عوضه فقارب الشفاء فقيل للحافظ إنه قد صلح وان تحرك هلك فركب إليه الحافظ كأنه يعوده فقام له ومشى بين يديه وقعد الحافظ عنده ثم خرج من عنده فتوفى من ليلته وكان موته فى السادس والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة ولما مات يانس استوزر الحافظ ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد وسيرد ذكر قتله سنة تسع وعشرين وإنما ذكرت ألقاب أبى على تعجبا منها ، ومن حماقة ذلك الرجل فإن وزير صاحب مصر وحدها إذا كان هكذا فينبغى أن يكون وزير السلاطين السلجوقية كنظام الملك وغيره يدعون الربوبية على أن تربة مصر هكذا تولد ألا ترى إلى فرعون يقول أنا ربكم الأعلى وإلى أشياء أخر لانطيل بذكرها

﴿ذكر حال السلطان مسعود والملكين سلجوق شاه وداود واستقرار السلطنة بالعراق لمسعود﴾

لما توفى السلطان محمود بن السلطان محمد وخطب ببلاد الجبل وأذربيجان لولده الملك داود على ماذكرناه سار الملك داود من همذان فى ذى القعدة من سنة خمس وعشرين إلى زنجان فأتاه الخبر أن عمه السلطان مسعود قد سار من جرجان ووصل إلى تبريز واستولى عليها فسار الملك داود إليه وحصره بها وجرى بينهما قتال إلى سلخ المحرم سنة ست وعشرين ثم اصطلحا وتأخر الملك داود وأرسل يطلب الخطبة ببغداد وكانت رسل الملك داود قد تقدمت فى طلب الخطبة فأجاب المسترشد بالله أن الحكم فى الخطبة إلى السلطان سنجر أن لا يأذن لأحد فى الخطبة فإن الخطبة ينبغى أن تكون له وحده فوقع ذلك منه موقعا حسنا ، ثم إن السلطان مسعوداً كاتب عماد الدين زنكى صاحب الموصل وغيرها يستنجده ويطلب مساعدته فوعده النصر فقويت بذلك نفس مسعود على طلب السلطنة ثم إن الملك سلجوقشاه بن السلطان محمد سار به أتابكه قراجة

Marfat.com

الساقى صاحب فارس وخوزستان فى عسكر كثير إلى بغداد فوصل إليها قبل وصول السلطان مسعود ونزل فى دار السلطان وأكرمه الخليفة واستحلفه لنفسه ثم وصل رسول السلطان مسعود يطلب الخطبة ويتهدد إن منعها فلم يجب إلى ماطلبه فسار حتى نزل عباسية الخالص وبرز عسكر الخليفة وعسكر ساجوقشاه وقراجة الساقى نحو مسعود إلى أن يفرغ من حرب أتابك عماد الدين زنكى وساريوما وليلة إلى المعشوق وواقع عماد الدين زنكى فهزمه وأسر كثيراً من أصحابه وسار زنجى منهزما إلى تكريت.فعبر فيها دجلة وكان الدزدار بها حينئذ نجم الدين أيوب فأقام له المعابر فلما عبر أمن الطلب وسار إلى بلاده لإصلاح حاله وحال رجاله وهذا الفعل من نجم الدين أيوب كان سببا لاتصاله به والمصير فى جملته حتى آل بهم الأمر إلى ملك مصر والشام وغيرهما على ماذكره وأما السلطان مسعود فإنه سار من العباسية إلى الملكية ووقعت الطلائع بعضها على بعض ، ثم لم تزل المناوشة تجرى بينه وبين أخيه سلجوقشاه يومين وأرسل سلجوقشاه إلى قراجة يستحثه على المبادرة ، فعاد سريعا وعبر دجلة إلى الجانب الشرقى فلما علم السلطان مسعود بانهزام عماد الدين زنكى رجع إلى ماورائه وأرسل إلى الخليفة يعرفه وصول السلطان سنجر إلى الرى وأنه عازم على قصد الخليفة وغيره وإن رأيتم أن نتفق على قتاله ودفعه عن العراق ويكون العراق لوكيل الخليفة فأنا موافق على ذلك فأعاد الخليفة الجواب يستوقفه وترددت الرسل فى الصلح فاصطلحوا على أن يكون العراق لوكيل الخليفة وتكون السلطنة ويكون سلجوقشاه ولى عهده وتحالفوا على ذلك وعاد السلطان مسعود إلى بغداد فنزل بدار السلطان ونزل سلجوقشاه فى دار الشحنكية وكان اجتماعهم فى جمادى الأولى .

﴿ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر﴾ لما توفى السلطان محمود سار السلطان سنجر إلى بلاد الجبال ومعه الملك طغرل بن السلطان محمد وكان عنده قد لازمه فوصل إلى الرى ثم سار منها إلى همذان فوصل الخبر إلى الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود بوصوله إلى همذان فاستقرت القاعدة بينهما على قتاله وأن يكون الخليفة معهم وتجهز الخليفة فتقدم قراجة الساقى والسلطان مسعود وساجوقشاه نحو السلطان سنجر وتأخر المسترشد بالله عن المسير معهم فأرسل إلى قراجة وألزمه وقال إن الذى تخاف من سنجر آجلا أنا أفعله عاجلا فبرز حينئذ وسار على تريث وتوقف إلى أن بلغ إلى خانقين وأقام بها وقطعت خطبة سنجر من العراق جميعه ووصلت الأخبار بوصول عماد الدين زنكى ودبيس بن صدقة إلى قريب بغداد فأما دبيس فإنه ذكر أن السلطان سنجر أقطعه الحلة وأرسل إلى المسترشد بالله يضرع ويسأل الرضا عنه فامتنع من إجابته إلى ذلك وأما عماد الدين زنكى فإنه ذكر أن السلطان سنجر قد أعطاه شحنكية بغداد فعاد المسترشد بالله إلى بغداد وأمر أهلها بالاستعداد للمدافعة عنها وجند أجناداً جعلهم معهم ، ثم إن السلطان مسعودا وصل الى دامرج فلقيهم طلائع السلطان سنجر فى خلق كثير فتأخر السلطان مسعود إلى كرماتشاهان ونزل السلطان سنجر فى أسد أباذ فى مائة ألف فارس فسار مسعود وأخوه سلجوقشاه إلى جبلين يقال لهما كاو وماهى فنزلا بينهما ونزل السلطان سنجر كنكور فلما سمع بانحرافهم أسرع فى طلبهم فرجعوا إلى ماورائهم مسيرة أربعة أيام فى يوم وليلة ، فالتقى العسكران يعولان عند الدينور وكان مسعود يدافع الحرب انتظارا لقدوم المسترشد ، فلما نازله السلطان سنجر لم يجد بداً من المصاف وجعل سنجر على ميمنته طغرل ابن أخيه محمد وقماج وأمير أميران وعلى ميسرته خوارزمشاه أتسز بن محمد مع جمع من الأمراء وجعل مسعوداً على ميمنة قراجة الساقى والأمير قزل وعلى

Marfat.com

ميسرته يرنقش بازدار ويوسف جاووش وغيرهما وكان قزل قد واطأ سنجر على الانهزام ووقعت الحرب وقامت على ساق وكان يوما مشهودا فحمل قراجة الساقى على القلب وفيه السلطان سنجر فى عشرة آلاف فارس من شجعان العسكر وبين يديه الفيلة فلما حمل قراجة على القلب رجع الملك طغرل وخوارزمشاه إلى وراء ظهره فصار قراجة فى الوسط فقاتل إلى أن جرح عدة جرحات وقتل كثير من أصحابه وأخذ هو أسيرا وبه جرحات كثيرة فلما رأى السلطان مسعود ذلك انهزم وسلم من المعركة وقتل يوسف جاووش وحسين أزبك وهما من أكابر الأمراء وكانت الوقعة ثامن رجب من هذه السنة فلما تمت الهزيمة على مسعود نزل سنجر وأحضر قراجة فلما حضر قراجة سبه وقال يامفسد أى شىء كنت ترجو بقتالى قال كنت أرجو أن أقتلك وأقيم سلطانا أحكم عليه فقتله صبرا وأرسل إلى السلطان مسعود يستدعيه فحضر عنده وكان قد بلغ خونج فلما رآه قبله وأكرمه وعاتبه على العصيان عليه ومخالفته وأعاده إلى كنجة وأجلس الملك طغرل ابن أخيه محمد فى السلطنة وخطب له فى جميع البلاد وجعل فى وزارته أباالقاسم الأنساباذى وزير السلطان محمود وعاد إلى خراسان فوصل إلى نيسابور فى العشرين من رمضان سنة ست وعشرين وأما المسترشد بالله فيكان منه ماذكره .

﴿ ذكر مسير عماد الدين زنكى إلى بغداد وانهزامه ﴾ لما سار المسترشد بالله من بغداد وبلغه انهزام السلطان مسعود عزم على العود إلى بغداد فأتاه الخبر بوصول عماد الدين زنكى إلى بغداد ومعه دبيس بن صدقة وكان السلطان سنجر قد كاتبهما وأمرهما بقصد العراق والاستيلاء عليه فلما علم الخليفة بذلك أسرع العود إليها وعبر إلى الجانب الغربى وسار فنزل بالعباسية ونزل عماد الدين بالمنارية من دجيل والتقيا بحصن البرامكة سابع عشرى رجب فابتدأ زنكى فحمل على ميمنة الخليفة وبها جمال الدولة إقبال فانهزموا منه وحمل نظر الخادم من ميسرة الخليفة على ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم دبيس وأراد عماد الدين الصبر فرأى الناس قد تفرقوا عنه فانهزم أيضا وقتل من العسكر جماعة وأسر جماعة وبات الخليفة هناك ليلته وعاد من الغد إلى بغداد .

﴿ ذكر حال دبيس بعد الهزيمة ﴾ وفيها عاد دبيس بعد انهزامه المذكور يلوذ ببلاد الحلة وتلك النواحى وجمع جمعا وكانت تلك الولاية بيد إقبال المسترشدى فأمد بعسكر من بغداد فالتقى هو ودبيس فانهزم دبيس واختفى فى أجمة هناك وبقى ثلاثة أيام لم يطعم شيئا ولم يقدر على التخلص منها حتى أخرجه حماس على ظهره ثم جمع جمعا وقصد واسط وانضم إليه عسكرها وبختيار وشاق وابن أبى الجبر ولم يزل فيها إلى أن دخلت سنة سبع وعشرين فنفذ إليهم يرنقش بازدار وإقبال الخادم المسترشدى فى عسكر فاقتتلوا فى الماء والبر فانهزم الواسطيون ودبيس وأسر بختيار وشاق وغيره من الأمراء .

﴿ ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق ﴾ فى هذه السنة فى رجب توفى تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق وسبب موته أن الجرح الذى كان به من الباطنية وقد ذكرناه اشتد عليه الآن وأضعفه وأسقط قوته فتوفى فى الحادى والعشرين من رجب ووصى بالملك بعده لولده شمس الملوك إسمعيل ووصى بمدينة بعلبك وأعمالها لولده شمس الدولة محمد وكان بورى كثير الجهاد شجاعا مقداما سد مسد أبيه وفاق عليه وكان ممدحا أكثر الشعراء مدائحه لاسيما ابن الخياط وملك بعده ابنه شمس الملوك وقام بتدبير الأمر بين يديه الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق وهو حاجب أبيه واعتمد عليه وابتدأ أمره بالرفق بالرعية والإحسان إليهم فكثر الدعاء له والقصد عليه

Marfat.com

﴿ ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة وحصن راس وحصره بعلبك ﴾ فى هذه السنة ملك شمس الملوك إسمعيل صاحب دمشق حصن اللبوة وحصن راس وسبب ذلك أنهما كانا لأبيه تاج الملوك وفى كل واحد منهما مستحفظ يحفظه فلما ملك شمس الملوك بلغه أن أخاه شمس الدولة محمدا صاحب بعلبك قد راسلهما واستمالهما إليه فسلما الحصنين إليه وجعل فيهما من الجند ما يكفيهما فلم يظهر بذلك أثر بل راسل أخاه بلطف يقبح هذه الحال ويطلب أن يعيدهما إليه فلم يفعل فأغضى على ذلك وتجهز من غير أن يعلم أحدا وسار هو وعسكره آخر ذى القعدة فطلب جهة الشمال ثم عاد مغربا فلم يشعر من بحصن اللبوة إلا وقد نزل عليهم وزحف لوقته فلم يتمكنوا لنصب منجنيق ولا غيره فطلبوا الأمان فبذله لهم وتسلم الحصن من يومه وسار من آخر النهار إلى حصن راس فبغتهم وجرى الأمر فيه على تلك القضية وتسلمه وجعل فيهما من يحفظهما ثم رحل إلى بعلبك وحصرها وفيها أخوه شمس الدولة محمد وقد استعد وجمع فى الحصن ما يحتاج إليه من رجال وذخائر فحصرهم شمس الملوك وزحف فى الفارس والراجل وقاتله أهل البلد على السور ثم زحف عدة مرات فملك البلد بعد قتال شديد وقتلى كثيرة وبقى الحصن فقاتله وفيه أخوه ونصب المجانيق ولازم القتال ، فلما رأى أخوه شمس الدولة شدة الأمر أرسل يبذل الطاعة ويسأل أن يقر على ما بيده وجعله أبوه باسمه فأجابه إلى مطلوبه وأقر عليه بعلبك وأعمالها وتحالفوا وعاد شمس الملوك إلى دمشق وقد استقامت له الأمور .

﴿ ذكر الحرب بين السلطان طغرل والملك داود ﴾ فى هذه السنة فى رمضان كانت الحرب بين الملك طغرل وبين ابن أخيه الملك داود بن محمود وكان سببها أن السلطان سنجر أجلس الملك طغرل فى السلطنة كما ذكرناه وعاد إلى خراسان لأنه بلغه أن صاحب ماوراء النهر أحمد خان قد عصى عليه فبادر إلى العود لتلافى ذلك الخرق فلما عاد إلى خراسان عصى الملك داود على عمه طغرل وخالفه وجمع العساكر بأذربيجان وبلاد كنجة وسار إلى همذان فنزل مستهل رمضان عند قرية يقال لها وهان بقرب همذان وخرج إليه طغرل وهى كل واحد منه أصحابه ميمنة وميسرة وكان على ميمنة السلطان طغرل بن برسق وعلى ميسرته قزل وعلى مقدمته قراسنقر وكان على ميمنة داود برنقش الزكوى ولم يقاتل فلما رأى التركمان ذلك نهبوا خيمه وبركه جميعه ووقع الخلف فى عسكر داود ، فلما رأى أتابكه آقسنقر الأحمديلى ذلك ولى هاربا وتبعه الناس فى الهزيمة وقبض طغرل على برنقش الزكوى وعلى جماعة من الأمراء وأما الملك داود فإنه لما انهزم بقى متحير إلى أوائل ذى القعدة فقدم بغداد ومعه أتابكه آقسنقر الأحمديلى فأكرمه الخليفة وأنزله بدار السلطان وكان الملك مسعود بكنجة فلما سمع انهزام الملك داود توجه نحو بغداد على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة قبض المسترشد بالله على وزيره شرف الدين على بن طراد الزينبى واستوزر أنوشروان بن خالد بعد أن امتنع وسأل الإقالة . وفى هذه السنة قتل أحمد بن حامد بن محمد أبو نصر مستوفى السلطان محمود الملقب بالعزيز بقلعة تكريت وقد تقدم سبب ذلك سنة خمس وعشرين . وفى المحرم منها قتل محمد بن محمد بن الحسين أبو الحسين بن أبى يعلى بن الفراء الحنبلى مولده فى شعبان فى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة وسمع الحديث من الخطيب أبى بكر وابن الحسين بن المهتدى وغيرهما وتفقه ، قتله أصحابه غيلة وأخذوا ماله . وفى جمادى الأولى توفى أحمد بن عبيدالله بن كادش أبو العز العكبرى وكان محدثا مكثراً . وتوفى فيها أبو الفضل عبدالله بن المظفر بن رئيس الرؤساء ، وكان أديبا وله شعر حسن ، فمنه ما كتبه إلى جلال الدين بن صدقة الوزير :

Marfat.com

أمولانا جلال الدين يا من * أذكره بخدمتى القديمة
ألم تك قدعزمت على اصطناعى * فماذا صد عن تلك العزيمة

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر ملك شمس الملوك بانياس ﴾ فى هذه السنة فى صفر ملك شمس الملوك صاحب دمشق حصن بانياس من الفرنج وسبب ذلك أن الفرنج استضعفوه وطمعوا فيه وعزموا على نقض الهدنة التى بينهم فتعرضوا إلى أموال جماعة من تجار دمشق بمدينة بيروت وأخذوها فشكى التجار إلى شمس الملوك فراسل فى إعادة ما أخذوه وكرر القول فيه فلم يردوا شيئا فحملته الأنفة من هذه الحالة والغيظ على أن جمع عسكره وتأهب ولا يعلم أحد أين يريد ثم سار وسبق خبره أواخر المحرم من هذه السنة ونزل على بانياس أول صفر وقاتله لساعته وزحف إليه زحفا متتابعا وكانوا غير متأهبين وليس فيه من المقاتلة من يقوم به وقرب من سور المدينة وترجل بنفسه وتبعه الناس من الفارس والراجل ووصلوا إلى السور فنقبوه ودخلوا البلد عنوة والتجأ من كان من جند الفرنج إلى الحصن وتحصنوا به فقتل من البلد كثيرا من الفرنج وأسر كثيرا ونهبت الأموال وقاتل القلعة قتالا شديدا ليلا ونهارا فملكها رابع صفر بالأمان وعاد إلى دمشق فوصلها سادسه وأما الفرنج فإنهم لما سمعوا نزوله على بانياس شرعوا يجمعون عسكرا يسيرون إليه فأتاهم خبر فتحها فبطل ما كانوا فيه .

﴿ ذكر حرب بين المسلمين والفرنج ﴾ فى هذه السنة فى صفر سار ملك الفرنج صاحب البيت المقدس فى خيالته ورجالته إلى أطراف أعمال حلب فتوجه إليه الأمير أسوار النائب بحلب فيمن عنده من العسكر وانضاف إليه كثير من التركمان فاقتتلوا عند قنسرين فقتل من الطائفتين جماعة كثيرة وانهزم المسلمون إلى حلب وتردد ملك الفرنج فى أعمال حلب فعاد أسوار وخرج إليه فيمن معه من العسكر فوقع على طائفة منهم فأوقع بهم وأكثر القتل فيهم والأمر فعاد من سلم منهزما إلى بلادهم وانجبر ذلك المصاب بهذا الظفر ودخل أسوار حلب ومعه الأسرى ورؤس القتلى وكان يوما مشهودا ثم إن طائفة من الفرنج من الرها قصدوا أعمال حلب للغارة عليها فسمع بهم أسوار فخرج إليهم هو والأمير حسان البعلبكى فأوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم فى بلد الشمال وأسروا من لم يقتل ورجعوا إلى حلب سالمين .

﴿ ذكر عود السلطان مسعود إلى السلطنة وانهزام الملك طغرل ﴾ قد تقدم ذكر انهزام السلطان مسعود من عمه السلطان سنجر وعوده إلى كنجة وولاية الملك طغرل السلطنة وأنه تحارب هو والملك داود ابن أخيه محمود وانهزام داود ودخوله بغداد فلما بلغ السلطان مسعود انهزام داود وقصده بغداد سار هو إلى بغداد أيضا فلما قاربها لقيه داود وترجل له وخدمه ودخلا بغداد ونزل مسعود بدار السلطنة فى صفر من هذه السنة وخاطب فى الخطبة له فأجيب إلى ذلك وخطب له ولداود بعده وخلع عليهما ودخلا إلى الخليفة فأكرمهما ووقع الاتفاق على مسير مسعود وداود إلى أذربيجان وأن يرسل الخليفه معهما عسكر فساروا فلما وصلوا إلى مراغة حمل آقسنقر الأحمدیلى مالا كثيرا وإقامة عظيمة وملك مسعود سائر بلاد أذربيجان وانهزم من بها من الأمراء مثل قراسنقر وغيره من بين يديه وتحصن منه كثير منهم بمدينة أردبيل فقصدهم وحصرهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزم الباقون ثم سار بعد ذلك الى همذان لمحاربة أخيه الملك طغرل ، فلما سمع طغرل

Marfat.com

Marfat.com

بقربه برز إلى لقائه فاقتتلوا إلى الظهر ثم انهزم طغرل وقصد الرى واستولى السلطان مسعود على همذان فى شعبان ولما استقر مسعود بهمذان قتل آقسنقر الأحمدیلى قتله الباطنية فقيل إن السلطان مسعودا وضع عليه من قتله ثم إن طغرل لما بلغ قم عاد إلى أصبهان ودخلها وأراد التحصن بها فسار إليه أخوه مسعود ليحاصره بها فرأى طغرل أن أهل أصبهان لا يطاوعونه على الحصار فرحل عنهم إلى بلاد فارس واستولى مسعود على أصبهان وفرح أهلها به وسار من أصبهان نحو فارس يقتص أثر أخيه طغرل فوصل إلى موضع بقرب البيضاء فاستأمن إليه أمير من أمراء أخيه معه أربعمائة فارس فأمنه فخاف طغرل من عسكره أن ينحازوا إلى أخيه فانهزم من بين يديه وقصد الرى فى رمضان وقتل وزيره أبا القاسم الأنساباذى فى الطريق . وفى شوال قتله غلمان الأمير شيركير الذى سعى فى قتله كما تقدم ذكره وسار السلطان مسعود يتبعه فلحقه بموضع يقال له ذكراور فوقع بينهما المصاف هناك فلما اشتبكت الحرب انهزم الملك طغرل فوقع عسكره فى أرض قد نضب عنها الماء وهى وحل فأسر منهم جماعة من الأمراء منهم الحاجب تنكر وابن بغرا فأطلقهم السلطان مسعود ولم يقتل فى هذا المصاف إلا نفر يسير ورجع السلطان مسعود إلى همذان .

﴿ ذكر حصر المسترشد بالله الموصل ﴾ فى هذه السنة (٥٢٧) حصر المسترشد بالله مدينة الموصل فى العشرين من شهر رمضان وسبب ذلك ما تقدم من قصة الشهيد زنكى ببغداد على ماذكرناه قبل فلما كان الآن قصد جماعة من الأمراء السلجقية باب المسترشد بالله وصاروا معه فقوى بهم واشتغل السلاطين السلجقية بالخلف الواقع بينهم فأرسل الخليفة الشيخ بهاء الدين أبا الفتوح الإسفرايني الواعظ إلى عماد الدين زنكى برسالة فيها خشونة زادها أبا الفتوح زيادة ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة فقبض عليه عماد الدين زنكى وأهانه ولقيه بما يكره فأرسل المسترشد بالله إلى السلطان مسعود يعرفه الحال الذى جرى من زنكى ويعلمه أنه على قصد الموصل وحصرها وتمادت الأيام إلى شعبان فسار عن بغداد فى النصف منه فى ثلاثين ألف مقاتل فلما قارب الموصل فارقها أتابك زنكى فى بعض عسكره وترك الباقى بها مع نائبه نصير الدين جقردز دارها والحاكم فى دولته وأمرهم بحفظها ونازلها الخليفة وقاتلها وضيق على من بها وأما عماد الدين فإنه سار إلى سنجار وكان يركب كل ليلة ويقطع الميرة عن العسكر ومتى ظفر بأحد من العسكر أخذه ونكل به وضاقت الأمور بالعسكر أيضا وتواطأ جماعة من الخصاصين بالموصل على تسليم البلد فسعى بهم فأخذوا وصلبوا وبقى الحصار على الموصل نحو ثلاثة أشهر ولم يظفر منها بشىء ولا بلغه عمن بها وهن ولا قلة ميرة وقوت فرحل عنها عائدا إلى بغداد فقيل إن نصر الخادم وصل إليه من عسكر السلطان وأبلغه عن عسكر السلطان مسعود ماأوجب مسيره وعوده إلى بغداد وقيل بلغه إن السلطان مسعودا عزم على قصد بغداد فعاد بالجملة وإنه رحل عنها منحدرا فى شبارة فى دجلة فوصل إلى بغداد يوم عرفة .

﴿ ذكر ملك شمس الملوك مدينة حماة ﴾ وفى هذه السنة أيضا فى شوال ملك شمس الملوك إسمعيل بن تاج الملوك صاحب دمشق مدينة حماة وقلعتها وهى لأتابك زنكى بن آقسنقر أخذها من تاج الملوك كما ذكرنا ولما ملك شمس الملوك قلعة بانيس أقام بدمشق إلى شهر رمضان من هذه السنة وسار إلى حماة فى العشر الأخير منه وسبب طمعه أنه بلغه أن المسترشد بالله يريد أن يحصر الموصل فطمع وكان الوالى بحماه قد سمع الخبر فتحصن واستكثر من الرجال والذخائر ولم يبق أحد من أصحاب شمس الملوك إلا وأشار عليه بترك قصدها لقوة صاحبها فلم يسمع

منهم وسار إليها وحضر المدينة وقاتل من بها يوم العيد وزحف إليها من وقته فتحصنوا منه وقاتلوه فعاد عنهم ذلك اليوم فلما كان الغد بكر إليهم وزحف إلى البلد من جوانبه فملكه قهراً وعنوة وطلب من به الأمان فأمنهم وحصر القلعة ولم تكن فى الحصانة والعلو على ماهى اليوم فإن تقى الدين عمر بن أخى صلاح الدين قطع جبلها وعملها هكذا فى سنين كثيرة فلما حصرها عجز الوالى بها عن حفظها فسلمها إليه فاستولى عليها وعلى ما بها من ذخائر وسلاح وغير ذلك وسار منها إلى قلعة شيزر وبها صاحبها من بنى منقذ فحصرها ونهب بلدها فراسله صاحبها وصانعه بمال حمله إليه فعاد عنه إلى دمشق فوصل إليها فى ذى القعدة من السنة المذكورة .

﴿ذكر هزيمة صاحب طرابلس الفرنجى﴾ وفى هذه السنة عبر إلى الشام جمع كثير من التركمان من بلاد الجزيرة وأغاروا على بلاد طرابلس وغنموا وقتلوا كثيرا فخرج القمص صاحب طرابلس فى جموعه فانزاح التركمان من بين يديه فتبعهم فعادوا إليه وقاتلوه فهزموه وأكثروا القتل فى عسكره ومضى هو ومن سلم معه إلى قلعة بعرين فتحصنوا فيها وامتنعوا عن التركمان فحصرهم التركمان فيها فلما طال الحصار عليهم نزل صاحب طرابلس ومعه عشرون فارسا من أعيان أصحابه سرا فنجوا وساروا إلى طرابلس وترك الباقين فى بعرين يحفظونها فلما وصل إلى طرابلس كاتب الفرنج فاجتمع عنده منهم خلق كثير وتوجه بهم نحو التركمان ليرحلهم عن بعرين فلما سمع التركمان بذلك قصدوهم والتقوهم وقتل بينهم خلق كثير وأشرف الفرنج على الهزيمة فجمعوا نفوسهم وعادوا على حمية إلى رفنية فتعذر على التركمان اللحاق بهم إلى وسط بلادهم فعادوا عنهم راجعين .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة اشترى الإسماعيلية بالشام قلعة حصن القدموس من صاحبه ابن عمرون وصعدوا إليه وقاموا بحرب من يجاورهم من المسلمين والفرنج وكانوا كلهم يكرهون مجاورتهم وفيها وقع الخلف بالشام فقاتل بعضهم بعضا ولم تجر لهم بذلك عادة قبل هذه السنة وقتل بينهم جماعة . وفيها فى جمادى الآخرة أغار الأمير سوار مقدم عسكر زنكى بحلب على ولاية تل باشر فغنم الكثير فخرج إليه الفرنج فى جموع كثيرة فقاتلوه فظفر بهم وأكثر القتل فيهم وكان عدة القتلى نحو ألف قتيل وعاد سالما . وفيها تاسع ربيع الآخر وثب على شمس الملوك صاحب دمشق بعض مماليك جده طغدكين فضربه بسيف فلم يعمل فيه شيئا وتكاثر عليه مماليك شمس الملوك فأخذوه وقرر ماالذى حمله على ما فعل فقال أردت إراحة المسلمين من شرك وظلمك ولم يزل يضرب حتى أقر على جماعة أنهم وضعوه على ذلك فقتلهم شمس الملوك بغير تحقيق وقتل معهم أخاه سونج فعظم ذلك على الناس ونفروا عنه . وفيها توفى الشيخ أبو الوفاء الفارسى وكان له جنازة مشهودة حضرها أعيان بغداد . وفيها فى رجب توفى القاضى أبو العباس أحمد بن سلامة بن عبد الله بن مخلد المعروف بابن الرطبى الفقيه الشافعى قاضى الكرخ وتفقه على أبى إسحق وأبى نصر بن الصباغ وسمع الحديث ورواه وكان قريبا من الخليفة يؤدب أولاده . وتوفى أبو الحسين على بن عبد الله بن نصر المعروف بابن الزاغونى الفقيه الحنبلى الواعظ وكان ذا فنون توفى فى المحرم . وتوفى على بن يعلى بن عوض بن القاسم الهروى كان واعظا وله بخراسان قبول كثير وسمع الحديث فأكثر ومحمد بن أحمد بن على أبو عبد الله الحرانى وهو من أولاد محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان وكان محمد يلقب بالديباج لحسنه وأصله من مكة وهو من أهل نابلس وكان مغاليا فى مذهب الأشعرى وكان يعظ توفى فى صفر وفيها توفى أبو فليتة أمير مكة وولى الإمارة بعده ابنه القاسم وفيها توفى العزيز بن هبة الله بن على الشريف العلوى الحسينى فجأة بنيسابور وكان جده نقيب النقباء

Marfat.com

Marfat.com

بخراسان وعرض على العزيز هذا نقابة العلويين فامتنع وعرض عليه وزارة السلطان فامتنع ولزم الانقطاع والاشتغال بأمر آخرته . وفيها توفى قاضى قضاة خراسان أبو سعيد محمد بن أحمد بن صاعدة وكان خيرا صالحا . (١)

﴿ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة﴾

﴿ذكر ملك شمس الملوك شقيق تيرون ونهبه بلد الفرنج﴾ فى هذه السنة فى المحرم سار شمس الملوك إسماعيل صاحب دمشق منها إلى شقيف تيرون وهو فى الجبل المطل على بيروت وصيدا وكان بيد الضحاك بن جندل رئيس وادى التيم قد تغلب عليه وامتنع به فتحاماه المسلمون والفرنج يحتمى على كل طائفة بالآخرين فسار شمس الملوك إليه فى هذه السنة وأخذه منه فى المحرم وعظم أخذه على الفرنج لأن الضحاك كان لا يعترض إلى شيء من بلادهم المجاورة له فخافوا شمس الملوك فجمعوا عساكرهم فلما اجتمعت ساروا إلى بلد حوران فخربوا أمهات البلد ونهبوا أماكنهم نهبة وكان شمس الملوك لما رآهم يجمعون جمع هو أيضا وحشدوا وحضر عنده جمع كثير من التركمان وغيرهم فنزل بإزاء الفرنج وجرت بينهم مناوشة عدة أيام ثم إن شمس الملوك نهض ببعض عسكره وجعل الباقى قبالة الفرنج وهم لا يشعرون وقصد بلدهم طبرية والناصرة وعكا وما يجاورها من البلاد فنهب وخرب وأحرق وسبى النساء والذرية وامتلأت أيدى من معه من الغنائم واتصل الخبر بالفرنج فانزعجوا ورحلوا فى الحال لا يلوى أخ على أخيه وطلبوا بلادهم وأما شمس الملوك فإنه عاد إلى عسكره على غير الطريق الذى سلكه الفرنج فوصل سالما ورأى الفرنج بلادهم خرابا فقت فى أعضادهم وتفرقوا وراسلوا فى تجديد الهدنة فهادنهم شمس الملوك فى ذى القعدة للسنة .

﴿ذكر عود الملك طغرل إلى الجبل وانهزام الملك مسعود﴾ فى هذه السنة عاد الملك طغرل بن محمد بن ملكشاه ملك بلاد الجبل جميعها وأجلى عنها أخاه السلطان مسعودا وسبب ذلك أن مسعودا لما عاد من حرب أخيه طغرل بلغه عصيان داود ابن أخيه السلطان محمود بأذربيجان فسار إليه وحصره بقلعة رونزروكان فتحصن بها واشتغل بحصره فجمع الملك طغرل العساكر واستمال بعض قواد مسعود ولم يزل يفتح البلاد فكثرت عساكره وقصد مسعودا فلما قارب قزوين سار مسعود نحوه فلما تراءى العسكران فارق مسعودا من أمرائه من كان قد استماله طغرل فبقى فى قلة من العسكر فولى منهزما أواخر رمضان وأرسل إلى المسترشد بالله فى الغدوم لبغداد فأذن له وكان نائبه بأصفهان البقش السلاحى ومعه الملك سلجوق شاه فلما سمع بانهزام مسعود قصد بغداد أيضا فنزل سلجوق شاه بدار السلطان فأكرمه الخليفة وأنفذ إليه عشرة آلاف دينار ثم قدم مسعود

---

(١) وفيها توفى محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن خلف بن حازم بن أبى يعلى بن الفراء ، الفقيه ابن الفقيه ، ولد سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، سمع الحديث وكان من الفقهاء الزاهدين الأخيار ، توفى فى صفر منها وفيها توفى أبو محمد عبد الجبار بن أبى بكر محمد بن حمديس الأزدى الصقلى الشاعر المشهور ، أنشد له ابن خلكان أشعارا رائعة فمنها قوله :

قم هاتها من كف ذات الوشاح * فقد نعى الليل بشير الصباح
باكر إلى اللذات واركب لها * سوابق اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحا * ريق الغوادى من ثغور الأقاح

ومن جملة معانيه النادرة :

زادت على كحل الجفون تكحلا * وتسم نصل السهم وهو قتول

بغداد وأكثر أصحابه ركاب جمال لعدم مايركبونه ولقى فى طريقه شدة فأرسل إليه الخليفة الدواب والخيام والآلات وغيرها من الأموال والثياب فدخل الدار السلطانية ببغداد منتصف شوال وقام طغرل بهمذان .

﴿ذكر حصر أتابك زنكى آمد وملكه قلعة الصور﴾ فى هذه السنة اجتمع أتابك زنكى وتمرتاش صاحب ماردين وقصدا مدينة آمد ، فحصراها ، فأرسل صاحبها إلى داود بن سقمان صاحب حصن كيفا يستنجده فجمع عساكره وغيرها وسار نحو آمد ليرحلهما عنها فالتقوا على باب آمد وتصافوا فى جمادى الآخرة فاقتتلوا فانهزم داود وعاد مفلولا وقتل جماعة من عسكره وأقام زنكى وتمرتاش على آمد محاصرين لها وقطعا الشجر وشعثا البلد ثم عادا عنها من غير بلوغ غرض فقصد زنكى قلعة الصور من ديار بكر وحصرها وضايقها فملكها فى رجب من هذه السنة واتصل به ضياء الدين أبو سعيد بن الكفرتوثى فاستوزره زنكى وكان حسن الطريقة عظيم الرياسة والكفاية محبا للخير .

﴿ذكر ملك زنكى قلاع الأكراد الحميدية﴾ فى هذه السنة استولى عماد الدين زنكى على جميع قلاع الأكراد الحميدية منها قلعة العقر وقلعة شوش وغيرهما وكان لما ملك الموصل أقر صاحبها الأمير عيسى الحميدى على ولايتها وأعمالها ولم يعترضه على شىء مما هو بيده فلما حضر المسترشد إلى الموصل حضر عيسى هذا عنده وجميع الأكراد عنده فأكثر فلما رحل المسترشد عن الموصل أمر زنكى أن تحصر قلاعهم فحصرت مدة طويلة وقوتلت قتالا شديداً إلى أن ملكت هذه السنة فاطمأن إذاً أهل السواد المجاورون لهؤلاء القوم فإنهم كانوا معهم فى ضائقة كبيرة من نهب أموالهم وخراب البلاد .

﴿ذكر ملك قلاع الهكارية وكواشى﴾ وحكى عن بعض العلماء من الأكراد ممن له معرفة بأحوالهم أن أتابك زنكى لما ملك قلاع الحميدية وأجلاهم عنها خاف أبو الهيجاء بن عبد الله صاحب قلعة أشب والجزيرة ونوشى فأرسل إلى أتابك زنكى من استحلفه له وحمل إليه مالا وحضر عند زنكى بالموصل فبقى مدة ثم مات فدفن بتل توقة ، ولما سار عن أشب إلى الموصل أخرج ولده أحمد بن أبى الهيجاء منها خوفا أن يتغلب عليها وأعطاه قلعة نوشى ، وأحمد هذا هو والد على بن أحمد المعروف بالمشطوب من أكابر أمراء صلاح الدين بن أيوب بالشام ولما أخرجه أبوه من أشب استناب بها كرديا يقال له باو الأرجى ، فلما مات أبو الهيجاء سار ولده أحمد من نوشى إلى أشب ليملكها فمنعه باو وأراد حفظها لولد صغير لأبى الهيجاء اسمه على فسار زنكى بعسكره فنزل على أشب وملكها وسبب ملكها أن أهلها نزلوا كلهم إلى القتال فتركهم زنكى حتى قاربوه واستجرهم حتى أبعدوا عن القلعة ثم عطف عليهم فانهزموا فوضع السيف فيهم فأكثر القتل والأسر ، وملك زنكى القلعة فى الحال وأحضر جماعة من مقدمى الأكراد فيهم باو فقتلهم وعاد عنها إلى الموصل ثم سار عنها ، ففى غيبته أرسل نصير الدين جقر نائب زنكى وخرب أشب وخلى كهيجة ونوشى وقلعة الجلاب وهى قلعة العمادية وأرسل إلى قلعة الشعبانى وفرح وكوشر والزعفران وألتى وسروة وهى حصون المهرانية فحصرها فملك الجميع واستقام أمر الجبل والزوزان ، وأمنت الرعايا من الأكراد ، وأما باقى الهكارية جبل صور وهرور والملاسى ومابرما وبابوخلو باكزا ونسباس فإن قراجا صاحب العمادية فتحها من مدة طويلة بعد قتل زنكى وهذا قراجا كان أميراً قد أقطعه زين الدين على بلد الهكارية بعد قتل زنكى ولم أعلم تاريخ فتح هذه القلاع فلهذا ذكرته ههنا وحكى غير هذا بعض فضلاء الأكراد وخالف فيه فقال إن زنكى لما فتح قلعة أشب وخربها وبنى قلعة

Marfat.com

العمادية ولم يبق فى الهكارية إلا صاحب جبل صورو صاحب هرور ولم يكن لهما شوكة يخاف منها عاد إلى الموصل فخافه أصحاب القلاع الجبلية فاتفق أن عبد الله بن عيسى بن إبراهيم صاحب الربية وألتى وفرح وغيرها توفى وملكها بعده ولده على وكانت والدته خديجة بنت الحسن أخت إبراهيم وعيسى وهما من الأمراء مع زنكى وكانا بالموصل فأرسلها ولدها على إلى أخويها وطلبا له الأمان من زنكى وحلفاه له ففعل ونزل إلى خدمة زنكى وأقره على قلاعه واشتغل زنكى بفتح قلاع الهكاريه وكان الشعبانى بيد أمير من المهرانية اسمه الحسن بن عمر فأخذه منه وقربه منه لكبره وقلة أعماله وكان نصير الدين جقر يكره عليا صاحب الربية وغيرها فحسن لزنكى القبض عليه فأذن له فى ذلك فقبض عليه ثم ندم زنكى على قبضه فأرسل إلى نصير الدين أن يطلقه فرآه قد مات قيل إن نصير الدين قتله ثم أرسل العسكر إلى قلعة الربية فنازلوها بغتة فملكوها فى ساعة وأسروا كل من بها من ولد على وإخوته وأخواته وكانت والدة على خديجة غائبة فلم توجد فلما سمع زنكى الخبر بفتح الربية سره وأمر أن تسير العساكر إلى باقى القلاع التى لعلى فسارت العساكر فحصروها فرأوها منيعة فراسلهم زنكى ووعدهم الإحسان فأجابوه إلى التسليم على شرط أن يطلق كل من فى السجن منهم فلم يجبهم إلى ذلك إلا أن يسلموا أيضا قلعة كواشى فمضت خديجة والدة على إلى صاحب كواشى واسمه خولوهرون وهو من المهرانية فسألته النزول عن كواشى فأجابها إلى ذلك وتسلم زنكى القلاع وأطلق الأسرى فلم يسمع بمثل هذا فقال ينزل عن مثل كواشى لقول امرأة فإما أن يكون أعظم الناس مروءة لا يرد من دخل بيته وإما أن يكون أقل الناس عقلا واستقامت ولاية الجبال.

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة أوقع الدانشمد صاحب ملطية بالفرنج الذين بالشام فقتل كثيرا منهم وفيها اصطلح الخليفة وأتابك زنكى. وفيها فى ربيع الأول عزل أنوشروان بن خالد عن وزارة الخليفة. وفيها توفيت أم المسترشد بالله وفيها سير المسترشد عسكر إلى تكريت يحصروا مجاهد الدين بهروز فصانع عنها بمال فعادوا عنه وفيها اجتمع من العساكر السنجرية مع الأمير أرغش وحصروا قلعة كردكوه بخراسان وهى للإسماعيلية وضيقوا على أهلها وطال حصرها وعدمت عندهم الأقوات فأصاب أهلها تشنج وكزاز وعجز كثير منهم عن القيام فضلا عن القتال فلما ظهرت أمارات الفتح رحل الأمير أرغش فقيل إنهم حملوا إليه مالا كثيرا وأعلاقا نفيسة فرحل عنهم وفيها توفى الأمير سليمان بن مهارش العقيلى أمير بنى عقيل وولى الإمارة بعده أولاده مع صغر سنهم وطيف بهم فى بغداد رعاية لحق جدهم مهارش فإنه هو الذى كان الخليفة القائم بأمر الله عنده لما فعل به البساسيرى ماذكرنا. وفيها توفى الفقيه أبو على الحسن بن ابراهيم بن هرهون الشافعى الفارقى ومولده سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وتفقه على أبى عبدالله الكازرونى فلما توفى الكازرونى انحدر إلى بغداد وتفقه على أبى إسحق الشيرازى وأبى نصر الصباغ وولى القضاء بواسط وكان خيراً فاضلا لا يوارى ولا يحابى أحداً فى الحكم. وفيها توفى عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسن وأبو محمد بن أبى بكر الفقيه الشافعى تفقه على أبيه وكان يعظ ويكثر فى كلامه من التجانس فمن ذلك قوله أين القدود العالية والخدود الوردية مثلت بها والله العافية والوردية وهما مقبرتان بنهر معلى ومن شعره:

الدمع دما يسيل من أجفانى ٭ إن عشت مع البكا فما أجفانى
سجنى شجنى وهمى سمانى ٭ العاذل بالملام قد سمانى

Marfat.com

والذكر لهم يزيد فى أشجانى * والنوح مع الحمام قد أشجانى
ضاقت ببعاد منيتى أعطانى * والبين يد الهموم قد أعطانى

وفيها توفى ابن أبى الصلت الشاعر ومن شعره يذم ثقيلا :

لى صديق عجبت كيف استطاعت * هذه الأرض والجبال تقله
أنا أرعاه مكرما وبقلبى * منه ما يتلف الجبال أقله
هو مثل المشيب أكره رؤيا * ه ولكن أصونه وأجله

وله أيضا :

ساد صغار الناس من عصرنا * لا دام من عصر ولا كانا
كالدست مهما هم أن ينقضى * صار به البيدق فرزانا

وفيها توفى محمد بن على بن عبد الوهاب أبو رشيد الفقيه الشافعى من أهل طبرستان وسمع الحديث أيضا ورواه وكان زاهدا عابدا أقام بالجزيرة وهى جزيرة ابن عمر سنين منفردا يعبد الله سبحانه وتعالى وعاد إلى آمل وقبره بها .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر وفاة الملك طغرل وملك مسعود بلد الجبل ﴾ قد ذكرنا قدوم السلطان مسعود إلى بغداد منهزما من أخيه الملك طغرل وأن الخليفة أكرمه وحمل إليه ما يحتاج إليه مثله وأمره بالمسير إلى همذان وجمع العساكر ومنازعة أخيه طغرل فى السلطنة والبلاد ومسعود يعد ويدافع الأيام والخليفة يحثه على ذلك ووعده أن يسير معه بنفسه وأمر أن يبرز خيامه إلى باب الخليفة وكان قد اتصل الأمير البقش السلاحى وغيره من الأمراء بالخليفة وطلبوا خدمته فأجابهم وصاروا معه واتفق أن إنسانا أخذ فوجد معه ملطفات من طغرل إلى هؤلاء الأمراء بالأقطاع لهم فلما رأى الخليفة ذلك قبض على أمير منهم اسمه غلبك ونهب ماله فاستشعر غيره من الأمراء الذين مع الخليفة فهربوا إلى عسكر السلطان مسعود فأرسل الخليفة إليه فى إعادتهم إليه فلم يفعل واحتج بأشياء فعظم ذلك على الخليفة وحدث بينهما نفرة ووحشة أوجبت تأخره عن المسير معه وأرسل إليه يلزمه بالمسير معه أمرا جزما فبينما الأمر على هذا إذ جاءه الخبر بوفاة أخيه طغرل وكانت وفاته فى المحرم من هذه السنة وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة فى المحرم ، وكان خيراً عاقلا عادلا قريبا إلى الرعية محسنا إليهم وكان قبل موته قد خرج من داره يريد السفر لقتال أخيه مسعود فدعا له الناس فقال ادعوا بخيرنا للمسلمين ولما توفى ووصل الخبر إلى مسعود سار من ساعته نحو همذان وأقبلت العساكر جميعها إليه واستوزر شرف الدين أنو شروان بن خالد وكان قد خرج صحبته هو وأهله ووصل مسعود والى همذان واستولى عليها وأطاعته البلاد جميعها وأهلها .

﴿ ذكر قتل شمس الملوك وملك أخيه ﴾ فى هذه السنة رابع عشر ربيع الآخر قتل شمس الملوك اسماعيل ابن تاج الملوك بورى بن طغدكين صاحب دمشق وسبب قتله أنه ركب طريقا من الظلم ومصادرات العمال وغيرهم فى أعمال البلد وبالغ فى العقوبات لاستخراج الأموال وظهر منه بخل زائد ودناءة نفس بحيث أنه لا يأنف

Marfat.com

Marfat.com

من أخذ الشيء الحقير بالعدوان إلى غير ذلك من الأخلاق الدنيئة وكرهه أهله وأصحابه ورعيته ثم إنه ظهر عنه أنه كاتب عماد الدين زنكى أنه يسلم إليه دمشق ويحثه على سرعة الوصول وأخلى المدينة من الذخائر والأموال ونقل الجميع إلى صوبه وتابع الرسل إلى زنكى يحثه على الوصول إليه ، ويقول له إن أهملت المجيء سلمت البلد إلى الفرنج فسار زنكى فظهر الخبر بذلك فامتعض أصحاب أبيه وجده وأفلقهم وذكروا الحال لوالدته فساءها وأشفقت منه ووعدتهم بالراحة من هذا الأمر ثم إنها ارتقبت الفرصة فى الخلوة من غلمانه فلما رأته على ذلك أمرت غلمانها بقتله فقتل وأمرت بإلقائه على موضع فى الدار ليشاهده غلمانه وأصحابه فلما رأوه قتيلا سروا لمصرعه وبالراحة من شره ، وكان مولده سابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسمائة وقيل كان سبب قتله أن والده كان له صاحب اسمه يوسف بن فيروز ، وكان متمكنا منه ما كنا فى دولته ثم فى دولة شمس الملوك بعده فاتهم بأم شمس الملوك ووصل الخبر إليه بذلك فهم بقتل يوسف فهرب منه إلى تدمر وتحصن بها وأظهر الطاعة لشمس الملوك ؛ فأراد قتل أمه فبلغها الخبر فقتلته خوفا منه والله أعلم . ولما قتل ملك بعده أخوه شهاب الدين محمود بن تاج الملوك وحلف له الناس واستقر له الملك بعده ؛ والله أعلم.

﴿ذكر حصر أتابك زنكى دمشق﴾ فى هذه السنة حصر أتابك زنكى دمشق ونازلها أول جمادى الأولى وسببه ماذكرنا من إرسال شمس الملوك صاحبها إليه واستدعائه ليسلمها إليه فلما وصلت كتبه ورسله سار إليها فقتل شمس الملوك قبل وصوله ولما عبر الفرات أرسل إليه رسلا فى تقرير قواعد التسليم فرأوا الأمر قد فات إلا أنهم أكرموا وأحسن إليهم وأعيدوا بأجمل هيئة وعرفوا زنكى بقتل شمس الملوك وأن القواعد عندهم مستقرة لشهاب الدين والكلمة متفقة على طاعته فلم يحفل زنكى بهذا الجواب وسار إلى دمشق فنازلها وأجفل أهل السواد إليها واجتمعوا فيها على محاربته ونزل أولا شماليها ثم انتقل إلى ميدان الحصى وزحف وقاتل فرأى قوة ظاهرة وشجاعة عظيمة واتفاقا تاما على محاربته وقام معين الدين أنز مملوك جده طغدكين فى هذه الحادثة بدمشق قياما مشهوداً وظهر من معرفته بأمور الحصار والقتال وكفايته مالم ير وما كان سبب تقدمه واستيلائه على الأمور بأسرها - على ماندكر إن شاء الله تعالى - فبينما هو يحاصرها وصل رسول الخليفة المسترشد بالله وهو أبو بكر بن بشر الجزرى من جزيرة ابن عمر بخلع أتابك زنكى ويأمره بصلح صاحب دمشق الملك ألب أرسلان محمود الذى مع أتابك زنكى فرحل عنها لليلتين مضين من جمادى الاولى من السنة المذكورة .

﴿ذكر قتل حسن بن الحافظ﴾ قد ذكرنا سنة ست وعشرين وخمسمائة أن الحافظ لدين الله صاحب مصر استوزر ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد فبقى إلى هذه السنة ومات مسموما وسبب ذلك أنه كان جريئا على سفك الدماء وكان فى نفس الحافظ على الأمراء الذين أعانوا أبا على بن الأفضل حقد ويريد الانتقام منهم من غير أن يباشر ذلك بنفسه ، فاستوزر ابنه وأمره بذلك فتغلب على الأمر جميعه ، واستبد به ولم يبق لأبيه معه حكم وقتل من الأمراء المصريين ومن أعيان البلاد جمعا حتى قيل إنه قتل فى ليلة واحدة أربعين أميرا فلما رأى أبوه تغلبه عليه أخرج له خادما من خدم القصر الأكابر فجمع الجموع وحشد من الرجالة خلقا كثيرا وتقدم إلى القاهرة ليقاتل حسنا ويخرجه منها فأرسل له جماعة من خواصه وأصحابه فقاتلوهم فانهزم الخادم وقتل الرجال

الذين معه وعبر الباقون إلى الجيزة فاستكان الحافظ فصبر تحت الحجر ثم إن الباقين من الأمراء المصريين اجتمعوا واتفقوا على قتل حسن وأرسلوا إلى أبيه الحافظ وقالوا له إما أنك تسلم ابنك إلينا لنقتله أو نقتلكما جميعا فاستدعى ولده إليه واحتاط عليه وأرسل إلى الأمراء بذلك فقالوا لا نرضى إلا بقتله فرأى أنه إن سلمه إليهم طمعوا فيه وليس إلى إبقائه سبيل فأحضر طبيبين كانا له أحدهما مسلم والآخر يهودى فقال لليهودى نريد سما نسقيه لهذا الولد ليموت ونخلص من هذه الحادثة فقال أنا لا أعرف غير النقوع وماء الشعير وما شاكل هذا من الأدوية فقال أنا أريد ما أخلص به من هذه المصيبة فقال له لا أعرف شيئا فأحضر المسلم وأمره بذلك فصنع له شيئا فسقاه الولد فمات لوقته فأرسل الحافظ إلى الجند يقول لهم إنه قد مات فقالوا نريد ننظر إليه فأحضر بعضهم عنده فرأوه وظنوه قد عمل حيلة فجرحوا أسافل رجليه فلم يجر منها دم فعلموا موته ودفن حسن وأحضر الحافظ الطبيب المسلم وقال له اخرج من عندنا من القصر وجميع مالك من الإنعام والجامكية باق عليك وأحضر اليهودى وقال اعلم أنك تعرف ماطلبته منك ولكنك عاقل فتقدم فى القصر عندنا وكان حسن سيء السيرة ظالما جريئا على سفك الدماء، وأخذ الأموال، فهجاه الشعراء، فمن ذلك ماقال المعتمد بن الأنصارى صاحب الترسل المشهور:

لم تأت يا حسن بين الورى حسنا * ولم تر الحق فى دنيا ولا دين
قتل النفوس بلا جرم ولا سبب * والجور فى أخذ أموال المساكين
لقد جمعت بلا علم ولا أدب * تيه الملوك وأخلاق المجانين

وقيل إن الحافظ لما رأى ابنه تغلب على الملك وضع عليه من سقاه السم فمات والله أعلم، ولما مات حسن استوزر الحافظ الأمير تاج الدولة بهرام وكان نصرانيا فتحكم واستعمل الأرمن على الناس فاستذلوا المسلمين وسنذكر أخباره سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة إن شاء الله تعالى.

﴿ذكر مسير المسترشد إلى حرب السلطان مسعود وانهزامه﴾ فى هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين السلطان مسعود فى شهر رمضان وسبب ذلك أن السلطان مسعود لما سافر من بغداد إلى همذان بعد موت أخيه طغرل وملكها فارقه جماعة من أعيان الأمراء منهم برتقش بازدار وقزل آخر وسنقر الخمار تكين والى همذان وعبد الرحمن بن طغايرك وغيرهم خائفين منه مستوحشين ومعهم عدد كثير ومعهم دبيس بن صدقة وأرسلوا إلى الخليفة يطلبون منه الأمان ليحضروا فى خدمته فقيل له إنها مكيدة لأن دبيسا معهم وساروا نحو خوزستان واتفقوا مع برسق بن برسق فأرسل الخليفة إليهم سديد الدولة ابن الأنبارى بتوقيعات إلى الأمراء المذكورين بتطييب نفوسهم الأمر بحضورهم وكان الأمراء المذكورون قد عزموا على قبض دبيس والتقرب إلى الخليفة بحمله إليه فبلغه ذلك فهرب إلى السلطان مسعود وسار الأمراء إلى بغداد فى رجب فأكرمهم الخليفة وحمل إليهم الإقامات والخلع وقطعت خطب السلطان مسعود من بغداد وبرز الخليفة فى العشرين من رجب على عزم المسير إلى قتال مسعود وأقام فى الشفيعى فعصى عليه بكبه صاحب البصرة فهرب إليها فراسله وبذل له الأمان فلم يعد إليه وتريث الخليفة عن المسير وهؤلاء الأمراء يحسنون له الرحيل ويسهلون عليه الأمر ويضعون عنده أمر السلطان مسعود فسير مقدمته إلى حلوان فنهبوا البلاد وأفسدوا ولم ينكر عليهم شيئا ثم سار الخليفة ثامن شعبان ولحق به فى الطريق الأمير برسق بن برسق فبلغت عدتهم سبعة آلاف فارس وتخلف بالعراق

Marfat.com

مع إقبال خادم المسترشد بالله ثلاثة آلاف فارس وكان السلطان مسعود بهمذان فى نحو ألف وخمسمائة فارس وكان أكثر أصحاب الأطراف يكاتبون الخليفة ، ويبذلون له الطاعة ، فتريث فى طريقه فاستصلح السلطان مسعوداً كثيرهم حتى عادوا إليه فصاروا نحو خمسة عشر ألف فارس وتسلل جماعة كثيرة من عسكر الخليفة حتى بقى فى خمسة آلاف وأرسل أتابك زنكى نجدة فلم يلحق وأرسل الملك داود بن السلطان محمود وهو بأذربيجان إلى الخليفة يشير بالميل إلى الدينور ليحضر بنفسه وعسكره فلم يفعل المسترشد وسار حتى بلغ هايمرج وعبى أصحابه فجعل فى الميمنة برنقش بازدار ونور الدولة سنقر وقزل آخر وبرسق بن برسق وجعل فى الميسرة جاولى وبرسق شراب ثلاروغلبلا الذى كان الخليفة قد قبض عليه وأخرجه من محبسه ولما سمع السلطان مسعود خبرهم سار إليهم مجدا فواقعهم بدايمرج عاشر رمضان وانحازت ميسرة الخليفة إلى السلطان مسعود فصارت معه واقتتلت ميمنة الخليفة وميسرة السلطان قتالا ضعيفا ودارت عساكر السلطان حول عساكر الخليفة وهو ثابت لم يتحرك من مكانه وانهزم عسكره وأخذ هو أسيرا ومعه جمع كثير من أصحابه منهم الوزير شرف الدين على بن طراد الزينبى وقاضى القضاة وصاحب المخزن ابن طلحة وابن الأنبارى والخطباء والفقهاء والشهود وغيرهم وأنزل الخليفة فى خيمة وغنموا مافى معسكره وكان كثيرا فحمل الوزير وقاضى القضاة وابن الأنبارى وصاحب المخزن وغيرهم من الأكابر إلى قلعة سرجهان وباع الباقون نفوسهم بالثمن دون الطفيف ولم يقتل فى هذه المعركة أحد وهذا أعجب مايحكى وعاد السلطان إلى همذان وأمر فنودى من تبعنا إلى همذان من البغاددة قتلناه فرجع الناس كلهم على أقبح حال لايعرفون طريقا وليس معهم مايحملهم وسير السلطان الأمير بك أبه المحمودى إلى بغداد شحنة فوصلها سلخ رمضان ومعه عبيد فقبضوا جميع أملاك الخليفة وأخذوا غلاتها وثار جماعة من عامة بغداد فكسروا المنبر والشباك ومنعوا من الخطبة وخرجوا من الأسواق يحثون التراب على رؤسهم ويبكون ويصيحون وخرج النساء حاسرات فى الأسواق يلطمن واقتتل أصحاب الشحنة وعامة بغداد فقتل من العامة مايزيد على مائة وخمسين قتيلا وهرب الوالى وحاجب الباب وأما السلطان فإنه سار فى شوال من همذان إلى مراغة لقتال الملك داود ابن أخيه محمود وكان قد عصى عليه فنزل على فرسخين من مراغة والمسترشد معه فترددت الرسل بين الخليفة وبين السلطان فى الصلح فاستقرت القاعدة على ماذكره إن شاء الله والله الموفق .

﴿ذكر قتل المسترشد بالله وخلافة الراشد بالله﴾ لما قبض المسترشد بالله أبو منصور بن الفضل بن المستظهر بالله أبى العباس أحمد على ماذكرناه جعله السلطان مسعود فى خيمة ووكل به من يحفظه وقام بما يجب من خدمته وترددت الرسل بينهما فى تقرير قواعد الصلح على مال يؤديه الخليفة وأن لايعود بجمع العساكر وأن لايخرج من داره فأجاب السلطان إلى ذلك وأركب الخليفة وحمل الغاشية بين يديه ولم يبق إلا أن يعود إلى بغداد فوصل الخبر أن الأمير قزان خوان قد ورد رسولا من السلطان سنجر فتأخر مسير المسترشد لذلك وخرج الناس مع السلطان مسعود إلى لقائه وفارق الخليفة بعض من كان موكلا به ؛ وكانت خيمته منفردة عن العسكر فقصده أربعة وعشرون رجلا من الباطنية ودخلوا عليه فقتلوه وجرحوه مايزيد على عشرين جراحة ومثلوا به فجدعوا أنفه وأذنيه وتركوه عريانا وقتل معه نفر من أصحابه منهم أبو عبدالله بن سكينة وكان قتله يوم الأحد سابع عشر ذى القعدة على باب مراغة وبقى حتى دفنه أهل مراغة وأما الباطنية فقتل منهم عشرة ، وقيل بل قتلوا جميعهم

Marfat.com

والله أعلم، وكان عمره لما قتل ثلاثا وأربعين سنة وثلاثة أشهر ؛ وكانت خلافته سبعة عشر سنة وستة أشهر وعشرين يوما وأمه أم ولد وكان شهما شجاعا كثير الإقدام بعيد الهمة وأخباره المذكورة ترى على ماذكرناه وكان فصيحا بليغا حسن الخط ولقد رأيت خطه فى غاية الجودة ورأيت أجوبته على الرقاع من أحسن مايكتب وأفصحه ولما قتل المسترشد بالله بويع ابنه الراشد بالله أبو جعفر المنصور ولقب الراشد بالله وكان أبوه قد بايع له بولاية العهد فى حياته وجددت له البيعة بعد قتله يوم الاثنين السابع والعشرين من ذى القعدة وكتب السلطان مسعود إلى بك آبه الشحنة ببغداد يبايع له وحضر الناس البيعة وحضر بيعته أحد وعشرون رجلا من أولاد الخلفاء ويايع له الشيخ أبو النجيب ووعظه وبالغ فى الموعظة وأما جمال الدولة المسترشدى فكأنه كان ببغداد فى طائفة من العسكر فلما جرت هذه الحادثة عبر إلى الجانب الغربى وأصعد إلى تكريت وراسل مجاهد الدين بهروز وحلفه وصعد إليه إلى القلعة .

﴿ ذكر مسير السلطان سنجر إلى غزنة وعوده عنها ﴾ فى هذه السنة فى ذى القعدة سار السلطان سنجر من خراسان إلى غزنة وسبب ذلك أنه نقل إليه عن صاحبها بهرام شاه أنه تغير عن طاعته وأنه قد مد يده إلى ظلم الرعايا واغتصاب أموالهم وكان السلطان سنجر هو الذى ملك غزنة وقد ذكرناه سنة تسع وخمسمائة فلما سمع هذه الأخبار المزعجة سار إلى غزنة ليأخذها أو يصلحه فلما رأى الطريق أبعد أدركهم شتاء شديد البرد كثير الثلج وتعذرت عليهم الأقوات والعلوفات فشكا العسكر إلى السلطان ذلك وذكروا له ما هم فيه من الضيق وتعذر ما يحتاجون إليه فلم يجب عنه بغير التقدم أمامه فلما قارب غزنه أرسل بهرام شاه إلى سنجر رسلا يتضرع ويسأل الصفح عن جرمه والعفو عن ذنبه فأرسل إليه سنجر المقرب جوهر الخادم وهو أكبر أمير عنده ومن جملة أقطاعه مدينة الرى فى جواب رسالته يجيبه عن العفو عنه إن حضر عنده وعاد إلى طاعته فلما وصل إلى بهرام شاه أجابه إلى ما طلب منه من الطاعة وحمل المال والحضور عنده بنفسه وأظهر من الطاعة والانقياد لما يحكم به السلطان سنجر شيئا كثيرا وعاد المقرب جوهر ومعه بهرام شاه إلى سنجر فلما قاربه سبق المقرب إلى السلطان سنجر وأعلمه بوصول بهرام شاه وأنه بكرة غد يكون عنده وعاد المقرب إلى بهرام شاه ليجىء بين يديه وركب سنجر من الغد فى موكبه لتلقيه وتقدم بهرام شاه ومعه المغرب فلما عاين موكب سنجر والشتر على رأسه نكص على عقبيه عائدا فأمسك المقرب عنانه وقبح فعله وخوفه عاقبة ذلك فلم يرجع وولى هاربا ولم يصدق بنجاته ظنا منه أن سنجرا يأخذه ويملك بلده وتبعه طائفة من أصحابه وخواصه ولم يعرج على غزنة وسار سنجر إلى غزنة فدخلها وملكها واحتوى على جميع ما فيها وجبى أموالها وكتب إلى بهرام شاه يلومه على ما فعله ويحلف له أنه ما أراد به شرا ولا له فى بلده مطمع ولاهو ممن تلون صنيعته وتعقب حسنته معه سيئة وإنما قصده لإصلاحه فأعاد بهرام شاه الجواب يعتذر ويتنصل ويقول إن الخوف منعه من الحضور ولا لوم على من خاف من السلطان وتضرع فى عوده إلى الإحسان فأجابه سنجر إلى أن يعيد عليه بلده وفارق غزنة عائدا إلى بلاده فوصل إلى بلخ فى شوال سنة ثلاثين وخمسمائة واستقر ملك غزنة لبهرام شاه ورجع إليها .

﴿ ذكر قتل دبيس بن صدقة بالتاريخ ﴾ فى هذه السنة قتل السلطان مسعود دبيس بن صدقة على باب سرادقه بظاهر مدينة خوى أمر غلاما أرمنيا بقتله فوقف على رأسه وهو ينكت الأرض بأصبعه فضرب

Marfat.com

رقبته وهو لايشعر وكان ابنه صدقة بالحلة فاجتمع إليه عسكر أبيه ومماليكه وكثر جمعه واستأمن إليه الأمير قغلغ تكين وأمر السلطان مسعود بك آبه أن يأخذ الحلة فسار بعض عسكره إلى المدائن وأقاموا مدة ينتظرون لحاق بك آبه فلم يسر إليهم جبنا وعجزاً عن قصد الحلة لكثرة العسكر بها مع صدقة وبقي صدقة بالحلة إلى أن قدم السلطان مسعود إلى بغداد سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة فقصده وأصلح حاله معه ولزم باب السلطان ومثل هذه الحادثة تقع كثيراً وهو قرب موت المتعاديين فإن دبيسا كان يعادي المسترشد بالله ويكره خلافته ولم يكن يعلم أن السلاطين إنما كانوا يبقون عليه ليجعلوه عدة لمقارنة المسترشد فلما زال السبب زال المسبب والله أعلم

﴿ذكر حصر عسكر يحي المهدية﴾ في هذه السنة سير يحي بن العزيز بن حماد صاحب بجاية عسكرا ليحصروا المهدية وبها صاحبها الحسن بن علي بن تميم بن المعز بن باديس وكان سبب ذلك أن الحسن أحب ميمون بن زيادة أمير طائفة كبيرة من العرب ومال إليه وأكثر الإنعام عليه فحسده غيره من العرب فساروا إلى يحي ابن العزيز بأولادهم وجعلوهم رهائن عنده وطلبوا منه أن يرسل معهم عسكرا ليملكوا المهدية فأجابهم إلى ذلك وهو متباطىء فاتفق أنه وصله كتب من بعض مشايخ المهدية بمثل ذلك فوثق إلى ما أتاه وسير عسكراً كثيراً واستعمل عليهم قائدا كبيراً من فقهاء أصحابه يقال له مطرف بن حمدون ؛ وكان هذا يحي بن العزيز هو وإياه يحضرون المعز بن باديس وأولاده بعده فسارت العساكر الفارس والراجل ومعهم من العرب جمع كثير حتى نزلوا على المهدية وحصروها برا وبحراً وكان مطرف يظهر التقشف والتورع عن الدماء وقال إنما أتيت الآن لاتسلم البلد بغير قتال فخاب ظنه فبقي أياما لم يقاتل ثم إنهم باشروا فظهروا أهل المهدية عليهم وأثروا فيهم وتتابع القتال ، وفي كل ذلك الظفر لأهل البلد وقتل من الخارجين الجم الغفير وجمع مطرف عسكره برا وبحراً لما يئس من التسليم وقاتل أشد قتال فملكت شوانيه شاطىء البحر وقربوا من السور فاشتد الأمر فأمر الحسن بفتح الباب وخرج أول الناس وحمل هو ومن معه عليهم وقال أنا الحسن ؛ فلما سمع من يقاتله ذلك سلموا عليه وانهزموا عنه إجلالا له ؛ ثم أخرج الحسن شوانيه تلك الساعة من المينا ، فأخذ من تلك الشوانى أربع قطع وهرب الباقون ؛ ثم وصلت نجدة من رجار الفرنجى صاحب صقلية في البحر في عشرين قطعة فحصرت شوانى صاحب بجاية فأمرهم الحسن باطلاقها فأطلقوها ثم وصل ميمون بن زيادة في كثير من العرب لنصرة الحسن فلما رأى ذلك مطرف وأن النجدات تأتي الحسن في البر والبحر علم أنه لاطاقة له بهم فرحل عن المهدية خائبا وأقام رجار الفرنجى مظهراً للحسن أنه مهادنه وموافقه وهو مع ذلك يعمر الشوانى ويكثر عددها وآلاتها .

﴿ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة جربة﴾ كانت جزيرة جربة من بلاد أفريقية قداستوت في كثرة عمارتها وخيراتها ، غير أن أهلها طغوا فلايدخلون تحت طاعة سلطان ويعرفون بالفساد وقطع الطريق فخرج إليها جمع من الفرنج أهل صقلية في أسطول كثير وجم غفير فيه من مشهوري فرسان الفرنج جماعة فنزلوا بساحتها وأداروا المراكب بجهاتها واجتمع أهلها وقاتلوا قتالا شديدا فوقع بين الفريقين وقعات عظيمة فثبت أهل جربة فقتل منهم بشر كثير فانهزموا وملك الفرنج الجزيرة وغنموا أموالها وسبوا حريمها ونساءها وأطفالها وهلك أكثر رجالها ومن بقي منهم أخذوا لأنفسهم أمانا من صاحب صقلية وافتكوا أسرارهم وسبيهم وحريمهم والله أعلم

﴿ذكر ملك الفرنج حصن روطة من بلاد الأندلس﴾ في هذه السنة اصطلح المستنصر بالله بن هود ومسليطين الفرنجي صاحب طليطلة مدة عشر سنين وكان السليطين قد أدمن غزو بلاد المستنصر وقتالها حتى ضعف

Marfat.com

Marfat.com

صاحبها عن مقاومته لقلة جنوده وكثرة الفرنج فرأى أن يصالحه مدة يستريح فيها هو وجنوده ويعتدون للمعاودة فترددت الرسل بينهم فاستقر الصلح على أن يسلم المستنصر إلى السليطين حصن روطة وهو من أمنع الحصون وأحصنها فاستقرت القاعدة واصطلحوا وتسلمت منه الفرنج الحصن وفعل المستنصر فعلة لم يفعلها قبله أحد .

﴿ ذكر حصر ابن ردمير مدينة أفراغة وهزيمته وموته ﴾ وفى هذه السنة حصر ابن ردمير الفرنجى لعنه الله مدينة أفراغة من شرق الأندلس وكان الأمير تاشفين بن على بن يوسف بمدينة قرطبة أميرا على الأندلس لأبيه فجهز الزبير بن عمرو اللمتونى من قرطبة ومعه ألف فارس وسير معه ميرة كثيرة إلى أفراغة وكان يحيى ابن غانية الأمير المشهور أمير مرسية وبلنسية من شرق الأندلس وإليه الأمر بها لأمير المسلمين على بن يوسف فتجهز فى خمسمائة فارس وكان عبد الله بن عياض صاحب مدينة لاردة فتجهز فى مائتى فارس فاجتمعوا وحملوا الميرة وساروا حتى أشرفوا على مدينة أفراغة وجعل الزبير الميرة أمامه وابن غانية أمام الميرة وابن عياض أمام ابن غانية وكان شجاعا وكذلك جميع من معه وكان ابن ردمير فى اثنى عشر ألف فارس فاحتقر جميع الواصلين من المسلمين فقال لأصحابه اخرجوا وخذوا هذه الهدية التى أرسلها المسلمون إليكم وأدركه العجب ونفذ قطعة كبيرة من جيشه فلما قربوا من المسلمين حمل عليهم ابن عياض وكسرهم ورد بعضهم على بعض وقتل فيهم والتحم القتال وجاء ابن ردمير بنفسه وعساكره جميعا مدلين بكثرتهم وشجاعتهم فحمل ابن غانية وابن عياض فى صدورهم واشتد الأمر بينهم وعظم القتال وكثر القتل فى الفرنج وخرج فى الحال أهل أفراغة جميعهم ذكرهم وأنثاهم صغيرهم وكبيرهم إلى خيام الفرنج فاشتغل الرجال بقتل من وجدوا فى العسكر واشتغل النساء بالنهب وحملوا جميع ما وجدوه هناك إلى المدينة من قوت وعدد وآلات وسلاح وغير ذلك وبينما المسلمون والفرنج فى القتال إذ وصل إليهم الزبير فى عسكره فانهزم ابن ردمير وعسكره ولم يسلم منهم إلا القليل ولحق ابن ردمير بمدينة سرقسطه فلما رأى ما قتل من أصحابه مات مضجوعا بعد عشرين يوما من الهزيمة وكان أشد ملوك الفرنج بأسا وأكثرهم تجردا لحرب المسلمين وأعظمهم صبرا كان ينام على طارقته بغير وطاء وقيل له هلا تسريت من بنات أكابر المسلمين اللاتى سبيت منهم فقال الرجل المحارب ينبغى أن يعاشر الرجال لا النساء وأراح الله منه وكفى المسلمين شره .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة فى شعبان زلزلت الأرض بالعراق والموصل وبلاد الجبل وغيرها وكانت الزلزلة شديدة وهلك فيها كثير من الناس والله أعلم . (١)

﴿ ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة ﴾

﴿ذكر الحرب بين عسكر الراشد وعسكر السلطان﴾ فى هذه السنة وصل برتقش الزكوى من عند السلطان

---

(١) وفيها توفى أحمد بن محمد بن الحسين بن عمرو ، أبو المظفر بن أبى بكر الشاشى ، تفقه بأبيه واخترمته المنية بعد اخيه ولم يبلغ سن الرواية وفيها توفى إسماعيل بن عبدالله بن على أبو القاسم الحاكم ، تفقه بإمام الحرمين ، وكان رفيق الغزالى يحترمه ويكرمه ، وكان فقيها بارعا ، وعابدا ورعا ، توفى بطوس ودفن إلى جانب الغزالى . وفيها توفى على بن محمد النروجانى كان عابدا زاهداً ، حكى ابن الجوزى عنه أنه كان يقول بأن القدرة تتعلق بالمستحيلات ، ثم أنكر ذلك، وعذره لعدم تعقله لما يقول ، ولجهله .

مسعود يطالب الخليفة بما كان قد استقر على المسترشد من المال وهو أربعمائة ألف دينار فذكر أنه لا شيء عنده وأن المال جميعه كان مع المسترشد بالله فنهب ثم بلغ الراشد بالله أن برتقش يريد التهجم على دار الخلافة وتفتيشها ليأخذ المال فجمع العساكر لمنعها وأمر عليهم كج أبه وأعاد عمارة السور فلما علم برتقش بذلك اتفق هو وبك أبه شحنة بغداد وهو من أمراء السلطان على أن يهجموا على دار الخليفة يوم الجمعة فبلغ ذلك الراشد بالله فاستعد لمنعهم وركب برتقش ومعه العسكر والأمراء البكجية ومحمد بن عكرفى نحو خمسة آلاف فارس ولقيهم عسكر الخليفة فأخرجوا عسكر السلطان إلى دار السلطان فساروا إلى طريق خراسان ثم انحدر بك أبه إلى واسط وسار برتقش إلى البندينجين ونهبت العامة دار السلطان .

﴿ ذكر اجتماع أصحاب الأطراف على حرب مسعود ببغداد وخروجهم عن طاعته ﴾ فى هذه السنة اجتمع كثير من الأمراء وأصحاب الأطراف على الخروج عن طاعة السلطان مسعود فسار الملك داود ابن السلطان محمود فى عسكر أذربيجان إلى بغداد فوصلها فى رابع صفر ونزل بدار السلطان ووصل أتابك عماد الدين زنكى بعده من الموصل ووصل برتقش بازدار صاحب قزوين وغيرهما والبقش الكبير صاحب أصفهان وصدقة ابن دبيس صاحب الحلة ومعه عنتر بن أبى العسكر الجاوانى يدبره ويتم نقص صباه وابن برسق وابن الأحمديلى وخرج إليهم من عسكر بغداد كج أبه والطرنطاى وغيرهما وجعل الملك داود فى شحنكية بغداد برتقش بازدار وقبض الخليفة الراشد بالله على ناصح الدولة أبى عبدالله الحسن بن جهير أستاذ الدار وهو كان السبب فى ولايته وعلى جمال الدولة إقبال المسترشدى وكان قدم إليه من تكريت وعلى غيرهما من أعيان دولته فتغيرت بنات أصحابه عليه وخافوه فأما جمال الدولة فإن أتابك زنكى شفع فيه شفاعة تحتها إلزام فأطلق وصار إليه ونزل عنده وخرج موكب الخليفة مع وزيره جلال الدين أبى الرضا بن صدقة إلى عماد الدين لتهنئته بالقدوم فأقام الوزير عنده وسأله أن يمنعه من الخليفة فأجابه إلى ذلك وعاد الموكب بغير وزير وأرسل زنكى من حرس دار الوزير من النهب ثم أصلح حاله مع الخليفة وأعاده إلى وزارته وكذلك أيضا عبر عليه قاضى القضاة الزينبى وسار معه إلى الموصل ثم إن الخليفة جد فى عمارة السور فأرسل له الملك داود من قلع أبوابه وأخرب قطعة منه فانزعج الناس ببغداد ونقلوا أموالهم إلى دار الخلافة وقطعت خطبة السلطان مسعود وخطب للملك داود وجرت الأيمان بين الخليفة والملك داود وعماد الدين زنكى وأرسل الخليفة إلى أتابك زنكى مائتى ألف دينار لينفقها ووصل الملك سلجوق شاه إلى واسط فدخلها وقبض على الأمير بك أبه ونهب ماله وانحدر أتابك زنكى إليه لدفعه عنها واصطلحا وعاد زنكى إلى بغداد وعبر إلى طريق خراسان وحث على جمع العساكر للقاء السلطان مسعود وسار الملك داود نحو طريق خراسان فنهب العسكر البلاد ووصلت الأخبار بمسير السلطان مسعود إلى بغداد وفارق الملك داود وأتابك زنكى فعاد أتابك زنكى إلى بغداد وفارق الملك داود وأظهر له أنه يمضى إلى مراغة إذا فارق السلطان مسعود همذان فبرز الراشد بالله إلى ظاهر بغداد أول رمضان وسار إلى طريق خراسان ثم عاد بعد ثلاثة أيام ونزل عند جامع السلطان ثم دخل إلى بغداد خامس رمضان وأرسل إلى داود وسائر الأمراء يأمرهم بالعود إلى بغداد فعادوا ونزلوا فى الخيام وعزموا على قتال السلطان مسعود من داخل سور بغداد ووصلت رسل السلطان يبذل من نفسه الطاعة والموافقة للخليفة والتهديد لمن اجتمع عنده فعرض الخليفة الرسالة عليهم فكلهم رأى قتاله فقال لهم الخليفة : وأنا أيضا معكم على ذلك .

Marfat.com

﴿ ذكر ملك شهاب الدين حمص ﴾ فى هـذه السنة فى الثانى والعشرين من ربيع الأول تسلم شهاب الدين محمود صاحب دمشق مدينة حمص وقلعتها وسبب ذلك أن أصحابها أولاد الأمير خيرخان بن قراجا والوالى بها من قبلهم ضجروا من كثرة تعرض عسكر عمادالدين زنكى إليها وإلى أعمالها وتضييقهم على من بها من جندى وعامى فراسلوا شهاب الدين فى أن يسلموها إليه ويعطيهم عوضا عنها تدمر فأجابهم إلى ذلك وسار إليها وتسلمها منهم فى التاريخ المذكور وسلم إليهم تدمر وأقطع حمص مملوك جده معين الدين أنز وجعل فيها نائبا عنه ممن يثق إليه من أعيان أصحابه وعاد عنها إلى دمشق فلما رأى عسكر زنكى بحلب وحماة خروج حمص عن أيديهم تابعوا الغارات إلى بلدها والنهب له والاستيلاء على كثير منه فجرى بينهم عدة وقائع وأرسل شهاب الدين إلى زنكى فى المعنى واستقر الصلح بينهم وكف كل منهم عن صاحبه.

﴿ ذكر الفتنة بدمشق ﴾ فى هذه السنة وقعت الفتنة بدمشق بين صاحبها والجند وسبب ذلك أن الحاجب يوسف بن فيروز كان أكبر حاجب عند أبيه وجده ثم إنه خاف أباه شمس الملوك وهرب منه إلى تدمر فلما كان فى هذه السنة سأل أن يحضر إلى دمشق وكان يخاف جماعة المماليك لأنه كان أساء إليهم وعاملهم أقبح معاملة فكلهم عليه حنق لاسيما فى الحادثة التى خرج فيها شمس الملوك وقد تقدمت فإنه أشار بقتل جماعة برأيه وبقتل سونج بن تاج الملوك فصاروا كلهم أعداء مبغضين فلما طلب الأمان والحضور إلى دمشق أجيب إلى ذلك فأنكر جماعة الأمراء والمماليك قربه وخافوه أن يفعل بهم مثل فعله الأول فلم يزل يتوصل معهم حتى حلف لهم واستحلفهم وشرط على نفسه أنه لا يتولى من الأمور شيئا ثم إنه جعل يدخل نفسه فى كثير من الأمور فاتفق أعداؤه على قتله فبينما هو يسير مع شهاب الدين وإلى جانبه أمير اسمه تراوش يحادثه إذ ضربه تراوش بالسيف فقتله فحمل ودفن فى تربة والده بالعقيبة ثم إن تراوش والمماليك خافوا فلم يدخلوا البلد ونزلوا بظاهره وأرسلوا يطلبون قواعد استطالوا فيها فأجابهم إلى البعض فلم يقبلوا منه ثم ساروا إلى بعلبك وبها شمس الملوك محمد بن تاج الملوك صاحبها فصاروا معه فالتحق بهم كثير من التركمان وغيرهم وشرعوا فى العيث والفساد واقتضت الحال مراسلتهم وملاطفتهم وإجابتهم إلى ما طلبوا واستقرت الأحوال على ذلك وحلف كل منهم لصاحبه فعادوا إلى ظاهر دمشق ولم يدخلوا البلد وخرج شهاب الدين صاحب دمشق إليهم واجتمع بهم وتجددت الأيمان وسار تراوش مقدم العسكر وإليه الحل والعقد وذلك فى شعبان وزال الخلف ودخلوا البلد والله أعلم.

﴿ ذكر غزاة العسكر الأتابكى إلى بلاد الفرنج ﴾ فى هذه السنة فى شعبان اجتمعت عساكر أتابك زنكى صاحب حلب وحماة مع الأمير أسوار نائبه بحلب وقصدوا بلاد الفرنج على حين غفلة منهم وقصدوا أعمال اللاذقية ولم يتمكن أهلها من الانتقال عنها والاحتراز فنهبوا منها ما يزيد عن الوصف وقتلوا وأسروا وفعلوا فى بلاد الفرنج ما لم يفعله بهم غيرهم وكان الأسرى سبعة آلاف أسير ما بين رجل وامرأة وصبى ومائة ألف رأس من الدواب ما بين فرس وبغل وحمار وبقر وغنم وأما ما سوى ذلك من الأقمشة والعين والحلى فيخرج عن الحد وأخربوا بلد اللاذقية وما جاورها ولم يسلم منها إلا القليل وخرجوا إلى شيزر بما معهم من الغنائم سالمين منتصف رجب فامتلأ من الأسارى والدواب وفرح المسلمون بذلك فرحا عظيما ولم يقدر الفرنج على شىء يفعلونه مقابل هذه الحادثة عجزا منهم ووهنا وضعفا.

Marfat.com

Marfat.com

﴿ذكر وصول السلطان مسعود إلى العراق وتفرق أصحاب الأطراف ومسير الراشد بالله إلى الموصل﴾

قيل لما بلغ السلطان مسعود اجتماع الملك داود والأمراء ببغداد على خلافه وخطب للملك داود ابن أخيه السلطان محمود جمع العساكر ، وسار إلى بغداد فنزل بالملكية فسار بعض العسكر حتى شارفوا عسكره وطاردوهم وكان فى الجماعة زين الدين على أمير من أمراء أتابك زنكى ثم عادوا ووصل السلطان فنزل على بغداد وحصرها وجميع العساكر فيها وثار العيارون ببغداد وسائر محالها وأفسدوا ونهبوا وقتلوا حتى أنه وصل صاحب لأتابك زنكى ومعه كتب فخرجوا عليه وأخذوها منه وقتلوه فحضر جماعة من أهل المحال عند الأتابك زنكى وأشاروا عليه بنهب المحال الغربية ، فليس فيها غير عيار ومفسد فامتنع من ذلك ثم أرسل بنهب الحريم الظاهرى فأخذ منه من الأموال الشىء الكثير وسبب ذلك أن العيارين فيه وأخذوا أموال الناس ونهبت العساكر غير الحريم من المحال وحصرهم السلطان نيفا وخمسين يوما فلم يظفر بهم فعاد إلى النهروان عازما على العود إلى همذان فوصله طرنطاى صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فعاد إليها وعبر فيها إلى غربى دجلة وأراد العسكر البغدادى منعه فسبقهم إلى العبور واختلفت كلمتهم فعاد الملك داود إلى بلاده فى ذى القعدة وتفرق الأمراء وكان عماد الدين زنكى بالجانب الغربى فعبر إليه الخليفة الراشد بالله وسار معه إلى الموصل فى نفر يسير من أصحابه فلما سمع السلطان مسعود بمفارقة الخليفة وزنكى بغداد سار إليها واستقر بها ومنع أصحابه من الأذى والنهب ؛ وكان وصوله منتصف ذى القعدة فسكن الناس واطمأنوا بعد الخوف الشديد وأمر بجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرضوا عليهم اليمين التى حلف بها الراشد بالله لمسعود ، وفيها بخط يده إنى متى جندت أو خرجت أو لقيت أحداً من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسى من الأمر فافتوا بخروجه من الخلافة وقيل غير ذلك وسنذكره فى خلافة المقتفى لأمر الله وكان الوزير شرف الدين على بن طراد وصاحب المخزن كمال الدين بن البقشلانى وابن الأنبارى مع السلطان لأنهم عنده مذ أسرهم مع المسترشد بالله فقدحوا فى الراشد ووافقهم على ذلك أصحاب المناصب ببغداد إلا اليسير لأنهم كانوا يخافونه وكان قد قبض بعضهم وصادر بعضا واتفقوا على ذمه فتقدم السلطان بخلعه وإقامة من يصلح فخلع وقطعت خطبته فى بغداد فى ذى القعدة وسائر البلاد وكانت خلافته أحد عشر شهراً وأحد عشر يوما وقتله الباطنية على ماذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ذكر خلافة المقتفى لأمر الله﴾ لما قطعت خطبة الراشد بالله استشار السلطان جماعة من أعيان بغداد منهم الوزير على بن طراد وصاحب المخزن وغيرهما فيمن يصلح أن يلى الخلافة فقال الوزير أحد عمومة الراشد وهو رجل صالح . قال من هو ؟ قال : من لا أقدر أن أفصح باسمه لئلا يقتل فتقدم إليهم بعمل محضر فى خلع الراشد فعملوا محضرا ذكروا فيه ما ارتكبه من أخذ الأموال ، وأشياء تقدح فى الإمامة ثم كتبوا فتوى ماتقول العلماء فيمن هذه صفته هل يصلح للامامة أم لا ، فأفتوا أن من هذه صفته لا يصلح أن يكون إماما ، فلما فرغوا من ذلك أحضروا القاضى أباطاهر بن الكرخى فشهدوا عنده بذلك فحكم بفسقه وخلعه وحكم بعده غيره ولم يكن قاضى القضاة حاضرا وإنه كان عند أتابك زنكى بالموصل ثم إن شرف الدين الوزير ذكر للسلطان أبا عبدالله الحسين وقيل محمد بن المستظهر بالله ودينه وعقله وعفته ولين جانبه فحضر السلطان دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبى وصاحب المخزن البقشلانى وغيرهما وأمر بإحضار الأمير أبى عبدالله بن المستظهر من المكان الذى يسكن فيه وأحضر وأجلس فى الميمنة ودخل السلطان إليه والوزير وتحالفا وقرر الوزير القواعد بينهما وخرج السلطان من

Marfat.com

عنده وحضر الأمراء وأرباب المناصب والقضاة والفقهاء وبايعوا ثامن عشر ذى الحجة ولقب المقتفى لأمر الله قيل سبب اللقب إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يلى الخلافة بستة أيام وهو يقول له إن هذا الأمر يصير إليك فاقتف بى فلقب بذلك ولما استخلف سيرت الكتب الحكمية بخلافته إلى سائر الأمصار واستوزر شرف الدين على بن طراد الزينبى فأرسل إلى الموصل وأحضر قاضى القضاة أبا القاسم على بن الحسين الزينبى ابن عم الوزير وأعاده إلى منصبه وقرر كمال الدين حمزة بن طلحة على منصبه صاحب المخزن وجرت الأمور على أحسن نظام وبلغنى أن السلطان مسعودا أرسل إلى الخليفة المقتفى لأمر الله فى تقرير إقطاع يكون لخاصته فكان جوابه إن فى الدار ثمانين بغلا تنقل الماء من دجلة فلينظر السلطان مايحتاج اليه من يشرب هذا الماء ويقوم به فتقررت القاعدة على أن يجعل له ما كان للمستظهر بالله فأجاب إلى ذلك وقال السلطان لما بلغه قوله لقد جعلنا فى الخلافة رجلا عظيما والمقتفى عم الراشد هو والمسترشد ابنا المستظهر وليا الخلافة وكذلك السفاح والمنصور أخوان وكذلك المهدى والرشيد أخوان وكذلك الواثق والمتوكل أخوان وأما ثلاثة إخوة ولوا الخلافة فالأمين والمأمون والمعتصم وهم أولاد الرشيد والمكتفى والمقتدر والقاهر بنو المعتضد والراضى والمتقى والمطيع بنو المقتدر وأما أربعة إخوة ولوها فالوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك ابن مروان لايعرف غيرهم وحين استقرت الخلافة للمقتفى أرسل اليه الراشد بالله رسولا من الموصل مع رسول أتابك زنكى وكان كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزورى فأحضر فى الديوان وسمعت رسالته وحكى لى والدى عنه قال لما حضرت الديوان قيل لى تبايع أمير المؤمنين فقلت أمير المؤمنين عندنا فى الموصل وله فى أعناق الخلق بيعة متقدمة وطال الكلام وعدت إلى منزلى فلما كان الليل جاءتنى امرأة عجوز سرا واجتمعت بى وأبلغتنى رسالة عن المقتفى لأمر الله مضمونها عتابى على ما قلته واستنزالى عنه فقلت غدا أخدم خدمة يظهر أثرها فلما كان الغد حضرت إلى الديوان وقيل لى فى تعين البيعة فقلت أنا رجل فقيه قاضى ولا يجوز لى أن أبايع إلا أن يثبت عندى خلع المتقدم فأحضروا الشهود وشهدوا عندى فى الديوان بما أوجب خلعه فقلت هذا ثابت لا كلام فيه ولكن لا بد لنا فى هذه الدعوى من نصيب لأن أمير المؤمنين قد حصل له خلافة الله فى أرضه والسلطان فقد استراح ممن كان يقصده ونحن بأى شىء نعود فرجع الأمر إلى الخليفة فأمر أن يعطى أتابك زنكى صريفين ودرب هرون وجرى ملكا وهى من خاص الخليفة ويزداد فى ألقابه وقال هذه قاعدة لم يسمع بها لأحد من زعماء الأطراف أن يكون لهم نصيب من خاص الخليفة وكانت بيعة كمال الدين سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ولما عاد كمال الدين الشهرزورى سير على يده المحضر الذى عمل بخلع الراشد فحكم به قاضى القضاة الزينبى بالموصل وكان عند أتابك زنكى .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة عزل السلطان مسعود وزيره شرف الدين أنوشروان بن خالد وعاد إلى بغداد وقام بداره معزولا ووزر من بعده كمال الدين أبو البركات بن سلمة الزركزينى وهو من خراسان . وفيها ثار العيارون ببغداد عند اجتماع العساكر بها وفتكوا فى البلد ونهبوا الأموال ظاهرا وكثر الشر فقصد الشحنة شارع دار الرقيق وطلب العيارين فثار عليه أهل المحال الغربية فقاتلهم وأحرق الشارع فاحترق فيه خلق كثير ونقل الناس أموالهم إلى الحريم الظاهرى فدخله الشحنة ونهب منه مالا كثيرا ثم وقعت فتنة ببغداد بين أهل باب الأزج وبين أهل المأمونية وقتل بينهم جماعة ثم اصطلحوا . وفيها سار قرا سنقر فى عساكر

كثيرة فى طلب الملك داود بن السلطان محمود فأقام السلطان مسعود ببغداد ولم يزل قراسنقر يطلب داود حتى أدركه عند مراغة فالتقيا وتصافا واقتتل العسكران قتالا عظيما فانهزم داود وأقام قراسنقر بأذربيجان وأما داود فإنه قصد خوزستان فاجتمع عليه هناك عساكر كثيرة من التركمان وغيرهم فبلغت عدتهم نحو عشرة آلاف فارس فقصد تستر وحاصرها وكان عمه الملك سلجوق شاه بن السلطان محمد بواسط فأرسل إلى أخيه السلطان مسعود يستنجده فأمده بالعساكر فسار إلى داود وهو يحاصر تستر فتصافا فانهزم سلجوق شاه . وفيها توفى محمد بن حمويه أبو عبد الله الجوينى وهو من مشايخ الصوفية المشهورين وله كرامات كثيرة ورواية الحديث وتوفى أيضا محمد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب العامرى الصوفى مصنف شرح الشهاب وأنشد لما احتضر :

هاقد مددت يدى اليك فردها * بالعفو لا بشماتة الأعداء

وتوفى أيضا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الفراوى الصاعدى راوى صحيح مسلم عن عبد الغافر الفارسى وطريقه اليوم أعلى الطرق واليه الرحلة من الشرق والغرب وكان فقيها مناظرا ظريفا يخدم العرباء بنفسه وكان يقال الفراوى ألف راوى رحمه الله ورضى عنه .

✡(ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة)✡

﴿ ذكر تفرق العساكر عن السلطان مسعود ﴾ فى هذه السنة فى المحرم أذن السلطان مسعود للعساكر التى عنده ببغداد بالعود إلى بلادهم لما بلغه أن الراشد بالله قد فارق أتابك زنكى من الموصل فإنه كان يتمسك بالعساكر عنده خوفا أن ينحدر به إلى العراق فيملكه عليه فلما أراد أن يأذن للأمير صدقة بن دبيس صاحب الحلة زوجه ابنته تمسكا به وقدم على السلطان مسعود جماعة من الأمراء الذين حاربوه مع الملك داود منهم البقش السلاحى وبرسق بن برسق صاحب تستر وسنقر الخمارتكين شحنة همدان فرضى عنهم وأمنهم وولى البقش شحنكية بغداد فعسف الناس وظلمهم وكان السلطان مسعود بعد تفرق العساكر عنه قد بقى معه ألف فارس وتزوج الخليفة فاطمة أخت السلطان مسعود فى رجب والصداق مائة ألف دينار وكان الوكيل فى قبول النكاح وزير الخليفة على بن طراد الزينبى والوكيل عن السلطان وزيره الزركزينى ووثق السلطان حيث صار الخليفة وصدقة ابن دبيس بن صدقة صهريه وحيث صار الراشد بالله من عند زنكى الأتابك والله أعلم .

﴿ ذكر عزل بهرام عن وزارة الحافظ ووزارة رضوان ﴾ فى هذه السنة فى جمادى الأولى هرب تاج الدولة بهرام وزير الحافظ لدين الله العلوى صاحب مصر وكان قد استوزره بعد قتل ابنه حسن سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكان نصرانيا أرمنيا فتمكن فى البلاد واستعمل الأرمن وعزل المسلمين وأساء السيرة فيهم وأهانهم هو والأرمن الذين ولاهم وطمعوا فيهم فلم يكن فى أهل مصر أنف من ذلك إلا رضوان بن الريحينى فإنه لما ساءه ذلك وأقلقه جمعا كثيرا وقصد القاهرة فسمع به بهرام فهرب إلى الصعيد من غير حرب ولا قتال وقصد مدينة أسوان فمنعه واليها من الدخول إليها وقاتله فقتل السودان من الأرمن كثيرا فلما لم يقدر على الدخول إلى أسوان أرسل إلى الحافظ يطلب الأمان فأمنه فعاد إلى القاهرة فسجن بالقصر فبقى مدة ثم ترهب وخرج من الحبس وأما رضوان فإنه وزر للحافظ ولقب بالملك الأفضل وهو أول وزير للمصريين لقب بالملك ثم فسد ما بينه وبين الحافظ فعمل الحافظ فى إخراجه فثار الناس عليه منتصف شوال فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وهرب من داره وتركها بما فيها فنهب الناس منها مالا يحد ولا يحصى وركب

الحافظ فسكن الناس ونقل مابقى فى دار رضوان إلى قصره وأما رضوان فسار يريد الشام يستنجد الأتراك ويستنصرهم فأرسل إليه الحافظ الأمير بن مصال ليرده بالأمان والعهد أنه لايؤذيه فرجع إلى القاهرة فحبسه الحافظ عنده فى القصر وقيل إنه توجه إلى الشام وهو الصحيح وقصد صرخد فوصل إليها فى ذى القعدة ونزل على صاحبها أمين الدولة كمشتكين فأكرمه وعظمه وأقام عنده ثم سار إلى مصر سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ومعه عسكر فقاتل المصريين عند باب النصر وهزمهم وقتل منهم جماعة كثيرة وأقام ثلاثة أيام فتفرق عنه كثير ممن معه فعزم على العود إلى الشام فأرسل إليه الحافظ الأمير ابن مصال فرده وحبسه عنده فى القصر وجمع بينه وبين عياله وأهله فأقام فى القصر إلى سنة ثلاث وأربعين فنقب الحبس وخرج منه وقد أعدت له خيل فهرب عليها وعبر النيل إلى الجيزة فحشد وجمع المغاربة وغيرهم وعاد إلى القاهرة فقاتل المصريين عند جامع ابن طولون وهزمهم ودخل القاهرة فنزل عند جامع الأقمر فأرسل إلى الحافظ يطلب منه مالا ليفرقه على عادتهم فإنهم كانوا إذا وزروا وزيرا أرسلوا إليه عشرين ألف دينار ليفرقها فأرسل الحافظ عشرين ألف دينار فقسمها وكثر عليه الناس وطلب زيادة فأرسل إليه عشرين ألف دينار ففرقها فتفرق الناس وخفوا عنه فإذا الصوت قد وقع وخرج إليه جمع كثير من السودان وضعهم الحافظ عليه فحملوا على غلمانه فقاتلوهم فقام يركب فقدم إليه بعض أصحابه فرسا ليركبه فلما أراد ركوبه ضرب الرجل رأسه بالسيف فقتله وحمل رأسه إلى الحافظ فأرسله إلى زوجته فوضع فى حجرها فألقت به وقالت هكذا يكون الرجال ولم يستوزر الحافظ أحدا وباشر الأمور بنفسه إلى أن مات .

﴿ ذكر فتح المسلمين حصن وادى ابن الأحمر من الفرنج ﴾ وفى هذه السنة فى رجب سار عسكر دمشق مع مقدمهم الأمير تراوش إلى طرابلس الشام فاجتمع معه كثير من الغزاة المتطوعة والتركمان أيضا خلق كثير فلما سمع القمص صاحبها بقربهم من ولايته سار إليهم فى جموعه وحشوده فقاتلهم وانهزم الفرنج وعادوا إلى طرابلس فى صورة سيئة قد قتلت فرسانهم وشجعانهم فلما عادوا نهب المسلمون من أعمالهم أكثرها وحصروا حصن وادى ابن الأحمر وضيقوا عليه فملكوها عنوة ونهبوا ما فيه وقتلوا المقاتلة وسبوا الحريم والذرية وأسر الرجال فاشتروا أنفسهم بمال جزيل وعاد المسلمون إلى دمشق سالمين والله أعلم .

﴿ ذكر حصار زنكى مدينة حمص ﴾ فى هذه السنة فى شعبان سار أتابك زنكى إلى مدينة حمص وقدم إليها حاجبه صلاح الدين محمد الباغيسيانى وهو أكبر أمير معه وكان ذا مكر وحيل أرسله ليتوصل مع من فيها ليسلموها إليه فوصل إليها وفيها معين الدين أنز وهو الوالى عليها والحاكم فيها وهو أيضا أكبر أمير بدمشق وحمص أقطاعه كما سبق ذكره فلم ينفذ فيه مكره فوصل حينئذ زنكى إليها وحصرها وعاودا مراسلة أنز فى التسليم غير مرة تارة بالوعد وتارة بالوعيد واحتج بأنها ملك صاحبه شهاب الدين وأنها بيده أمانة ولايسلمها إلاعن غلبة فأقام عليها إلى العشرين من شوال ورحل عنها من غير بلوغ غرض إلى بعرين فحصرها وكان منه ومن الفرنج ما نذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر ملك زنكى قلعة بعرين وهزيمة الفرنج ﴾ وفى هذه السنة فى شوال سار أتابك زنكى من حمص كما ذكرناه وحصر قلعة بعرين وهى للفرنج تقارب مدينة حماة وهى من أمنع الحصون وأحصنها فلما نزل عليها قاتلها وزحف إليها فجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا فى قضهم وقضيضهم وملوكهم وقمامصتهم وكنودهم

Marfat.com

Marfat.com

إلى أتابك زنكى ليرحلوه عن بعرين فلم يرحل وصبر لهم إلى أن وصلوا اليه فلقيهم وقاتلهم أشد قتال رآه الناس وصبر الفريقان ثم أجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج وأخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب واحتمى ملوكهم بحصن بعرين لقربه منهم فحصرهم المسلمون ومنع أتابك زنكى عنهم كل شيء حتى الأخبار فكان من به منهم لا يعلم شيئا من أخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق وهيبته على جنوده ثم إن القمص والرهبان دخلوا بلاد الروم وبلاد الفرنج وما والاها من بلاد النصرانية مستفزين على المسلمين وأعلموهم أن زنكى إن أخذ قلعة بعرين ومن فيها من الفرنج ملك جميع بلادهم فى أسرع وقت لعدم المحامى عنها وأن المسلمين ليس لهم نية إلا قصد البيت المقدس فحينئذ اجتمعت النصرانية وساروا على الصعب والذلول وقصدوا الشام مع ملك الروم وكان منهم ما نذكره وأما زنكى فإنه جد فى قتال الفرنج فصبروا وقلت عليهم الميرة والذخيرة فانهم كانوا غير مستعدين ولم يكونوا يعتقدون أن أحدا يقدر عليهم بل كانوا يتوقعون ملك باقى البلاد بالشام فلما قلت الذخيرة أكلوا دوابهم وأذعنوا بالتسليم ليؤمنهم ويتركهم يعودون إلى بلادهم فلم يجبهم إلى ذلك فلما سمع بقرب ملك الروم من الشام واجتماعه بمن بقى من الفرنج أعطى لمن فى الحصن الأمان وقرر عليهم تسليم الحصن ومن المال خمسين ألف دينار يحملونها اليه فأجابوه إلى ذلك فخرجوا وسلموا اليه فلما فارقوه بلغهم اجتماع من اجتمع بسببهم فندموا على التسليم حيث لا ينفعهم الندم وكان لا يصلحهم شيء من الأخبار البتة فلهذا سلموه وكان زنكى فى مدة مقامه عليهم فتح المعرة وكفر طاب من الفرنج فكان أهلها وأهل سائر الولايات التى بينها وبين حلب وحماة مع أهل بعرين فى الخزى لأن الحرب بينهم قائمة على ساق والنهب والقتل لا يزال بينهم فلما ملك أمن الناس وعمرت البلاد وعظم دخلها وكان فتحا مبينا ومن رآه علم صحة قولى ومن أحسن الأعمال ما عمله زنكى مع أهل المعرة فإن الفرنج لما ملكوها كانوا قد أخذوا أملاكهم فلما فتحها زنكى الآن حضر من بقى من أهلها ومعهم أعقاب من هلك وطلبوا أملاكهم فطلب منهم كتبها فقالوا إن الفرنج أخذوا كل مالنا والكتب التى للأملاك فيها فقال اطلبوا دفاتر حلب وكل من عليه خراج على ملك يسلم اليه ففعلوا ذلك وأعاد على الناس أملاكهم وهذا من أحسن الأفعال وأعدلها.

﴿ذكر خروج ملك الروم من بلاده إلى الشام﴾ قد تقدم أن الفرنج أرسلوا إلى ملك القسطنطينية يستصرخون به ويعرفونه ما فعله زنكى فيهم ويحرضونه على لحاق البلاد قبل أن تملك ولا ينفعه حينئذ المجىء فتجهز وسار مجدا فابتدأ وركب البحر وسار إلى مدينة أنطاكية وهى له على ساحل البحر فأرسى فيها وأقام ينتظر وصول المراكب التى فيها أثقاله وسلاحه فلما وصلت سار عنها إلى مدينة نيقية فحصرها وأن أصحابها صالحوه على مال يؤدونه اليه وقيل بل ملكها وسار عنها إلى مدينة أذنة ومدينة المصيصة وهما بيد ابن ليون الأرمنى صاحب قلاع الدروب فحصرهما وملكهما ورحل إلى عين زربة فحصرها وملكها عنوة وملك تل حمدون وحمل أهله إلى جزيرة قبرس وعبر ميناء الإسكندرية وخرج إلى الشام فحصر مدينة أنطاكية فى ذى القعدة وضيق على أهلها وبها صاحبها الفرنجى ريمند فترددت الرسل إليهم ومشوا بينهم فتصالحا ورحل عنها إلى بغراس ودخل منها إلى بلد ابن ليون الأرمنى فبذل له ابن ليون أموالا كثيرة ودخل فى طاعته والله أعلم.

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة رابع وعشرين فى أيار ظهر بالشام سحاب أسود وأظلمت له الدنيا

وصار الجو كالليل المظلم ثم طلع بعد ذلك سحاب أحمر كأنه النار أضاءت له الدنيا وهبت ريح عاصفة ألقت كثيرا من الشجر وكان أشد ذلك بحوران ودمشق وجاء بعده مطر شديد وبرد كبار وفيها عاد مؤيد الدين أبو الفوارس المسيب على بن الحسين المعروف بابن الصوفى من صرخد إلى دمشق وكان قد أخرج هو وأهله من دمشق إلى صرخد فبقوا فيها إلى الآن وعادوا وولى أبو الفوارس الرياسة بدمشق وحكم فيها حكما ماضيا وكان ذا رياسة عظيمة ومروءة ظاهرة فيها كثرت الأمراض ببغداد وكثر الموت فجأة بأصفهان وهمذان وفيها سار أتابك زنكى إلى دقوقا فحضرها وملكها بعد أن قاتل على قلعتها قتالا شديد. وفيها توفى أبو سعيد أحمد بن محمد بن ثابت الخجندى رئيس الشافعية بأصفهان وتفقه على والده ودرس بالنظامية بأصفهان. وتوفى أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر الحريرى ومولده يوم عاشوراء سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وهو آخر من روى عن أبى الحسن زوج الحرة وقد روى الخطيب أبو بكر بن ثابت عن زوج الحرة أيضا وكانت وفاة الخطيب سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر ملك أتابك زنكى حمص وغيرها من عمل دمشق ﴾ وفى هذه السنة فى المحرم وصل أتابك زنكى إلى حماة وسار منها إلى بقاع بعلبك فملك حصن المجدل وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ بانياس وأطاعه وهو أيضا لصاحب دمشق وسار إلى حمص فحصرها وأدام قتالها فلما نازل ملك الروم حلب رحل عنها إلى سلمية فلما انجلت حادثة الروم على ماذكرناه عاود منازلة حمص وأرسل إلى شهاب الدين صاحب دمشق يخطب إليه أمه ليتزوجها واسمها زمرد خاتون ابنة جاولى وهى التى قتلت ابنها شمس الملوك وهى التى بنت المدرسة بظاهر دمشق المطلة على وادى شقرا ونهر بردى فتزوجها وتسلم حمص مع قلعتها وحملت الخاتون إليه فى رمضان وإنما حمله على التزوج بها ما رأى من تحكيمها فى دمشق فظن أنه يملك البلد بالاتصال إليها فلما تزوجها خاب أمله ولم يحصل على شىء فأعرض عنها.

﴿ ذكر وصول ملك الروم إلى الشام وملكه بزاعة وما فعله بالمسلمين ﴾ قد ذكرنا سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة خروج ملك الروم من بلاده وشغله بالفرنج وابن ليون فلما دخلت هذه السنة وصل إلى الشام وخافه الناس خوفا عظيما وقصد بزاعة فحصرها وهى مدينة لطيفة على ستة فراسخ من حلب فمضى جماعة من أعيان حلب إلى أتابك زنكى وهو يحاصر حمص فاستغاثوا به واستنصروه فسير معهم كثيرا من العساكر فدخلوا إلى حلب ليمنعوها من الروم إن حصروها ثم إن ملك الروم قاتل بزاعة ونصب عليها منجنيقات وضيق على من بها فملكها بالأمان فى الخامس والعشرين من رجب ثم غدر بأهلها فقتل منهم وأسر وسبى وكان عدة من جرح فيها من أهلها خمسة آلاف وثمانمائة نفس وتنصر قاضيها وجماعة من أهلها نحو أربعمائة نفس وأقام الروم بعد ملكها عشرة أيام يتطلبون من اختفى. فقيل لهم إن جمعاً كثيراً من أهل هذه الناحية قد نزلوا المغارات فدخنوا عليهم وهلكوا فى المغاير ثم رحلوا إلى حلب من الغد فى خيلهم ورجلهم فخرج إليهم أحداث حلب فقاتلوهم قتالا شديداً فقتل من الروم وجرح خلق كثير وقتل بطريق جليل القدر عندهم وعادوا خاسرين وأقاموا ثلاثة أيام فلم يروا فيها طمعا فرحلوا إلى قلعة الأثارب فخاف من فيها من المسلمين فهربوا عنها تاسع شعبان فملكها الروم وتركوا فيها سبايا بزاعة والأسرى ومعهم جمع من الروم

Marfat.com

يحفظوهم ويحمون القلعة وساروا فلما سمع الأمير أسوار بحاب ذلك رحل فيمن عنده من العسكر إلى الأثارب فأوقع بمن فيها من الروم فقتلهم وخلص الأسرى والسبي وعادوا إلى حاب ؛ وأما عماد الدين زنكى فإنه فارق حمص وسار إلى سلمية فنازلها وعبر ثقله الفرات إلى الرقة وأقام جريدة ليتبع الروم ويقطع عنهم الميرة ؛ وأما الروم فإنهم قصدوا قلعة شيزر لما بها من أمنع الحصون وإنما حصروها لأنها لم تكن لزنكى فلا يكون له فى حفظها اهتمام وانما كانت للامير أبى العساكر سلطان بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى فنازلوها وحصروها ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقا فأرسل صاحبها الى زنكى يستنجده فسار اليه فنزل على نهر العاصى بالقرب منها بينها وبين حماة وكان يركب كل يوم ويسير الى شيزر هو وعساكره ويقفون بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فتأخذ من ظفرت به منهم ثم انه أرسل الى ملك الروم يقول له انكم قد تحصنتم منى بهذه الجبال فانزلوا منها الى الصحراء حتى نلتقى فإن ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم وان ظفرتم استرحتم وأخذتم شيزر وغيرها ولم يكن له بهم قوة وانما كان يرهبهم بهذا القول وأشباهه فأشار فرنج الشام على ملك الروم بمصافقته وهونوا أمره عليه فلم يفعل وقال أتظنون أن ليس له من العسكر إلا ماترون إنما هو يريد أن تلقونه فيجيئه من نجدات المسلمين مالا حد له وكان زنكى يرسل أيضا إلى ملك الروم يوهمه بأن فرنج الشام خائفون منه فلو فارق مكانه تخلفوا عنه ويرسل إلى فرنج الشام يخوفهم من ملك الروم ويقول لهم إن ملك بالشام حصنا واحدا ملك بلادكم جميعا فاستشعر كل من صاحبه فرحل ملك الروم عنها فى رمضان ، وكان مقامه عليها أربعين يوما وترك المجانيق وآلات الحصار بحالها فسار أتابك زنكى يتبع ساقة العسكر فظفر بكثير ممن تخلف منهم وأخذ جميع ماتركوه ولما كان الفرنج على براعة أرسل زنكى القاضى كمال الدين أبا الفضل محمد بن عبد الله ابن القاسم الشهرزورى إلى السلطان مسعود يستنجده ويطلب العساكر فمضى إلى بغداد وأنهى الحال إلى السلطان وعرفه عاقبة الإهمال وأنه ليس بينه وبين الروم إلا أن تملك حلب وينحدروا مع الفرات إلى بغداد فلم يجد عنده حركة فوضع إنسانا من أصحابه يوم جمعة فمضى إلى جامع القصر ومعه جماعة من زنود العجم وأمرهم أن يثوروا بهم إذا طلع الخطيب المنبر ويصيحون معه وا إسلاماه وادين محمداه ويشق ثيابه ويرمى عمامته من رأسه ويخرج إلى دار السلطان والناس معه يستغيثون كذلك ووضع إنسانا آخر يفعل بجامع السلطان مثله فلما صعد الخطيب المنبر قام ذلك الرجل ولطم رأسه وألقى عمامته وشق ثوبه وأولئك معه وصاحوا فبكى الناس وتركوا الصلاة ولعنوا السلطان وساروا من الجامع يتبعون الشيخ الى دار السلطان يستغيثون ويبكون فخاف السلطان فقال : احضروا إلى ابن الشهرزورى ؛ فأحضر . فقال كمال الدين لقد خفت منه مما رأيت ، فلما دخلت قال لى : أى فتنة أثرت ، فقلت ما فعلت شيئا ، أنا كنت فى بيتى ، وإنما الناس يغارون للدين والإسلام ويخافون عاقبة هذا التوانى ، فقال : أخرج إلى الناس ففرقهم عنا واحضر غداً واختر من العسكر ما تريد ففرقت الناس وعرفتهم ما أمر به من تجهيز العساكر وحضرت الغد إلى الديوان فجهزوا إلى طائفة عظيمة من الجيش فأرسلت إلى نصير الدين بالموصل أعرفه ذلك وأخوفه من العسكر إن طرقوا البلاد فإنهم يملكونها فأعاد الجواب يقول البلاد لاشك مأخوذة فلأن يأخذها المسلمون خير من أن يأخذها الكافرون فشرعنا فى التحميل وإذا قد وصلنى كتاب أتابك زنكى من الشام يخبر برحيل ملك الروم ويأمرنى بان لا أستحصب من العسكر أحدا فعرفت السلطان ذلك فقال العسكر قد تجهزت ولا بد من الغزاة إلى

Marfat.com

الشام فأعد الجهد وبذل الحزم له ولأصحابه حتى عاد العسكر ولما عاد ملك الروم عن شيزر مدح الشعراء أتابك زنكى وأكثروا فمن ذلك ما قاله المسلم بن الخضر بن قسيم الحموى من جملة قصيدة أولها :

بعزمك أيها الملك العظيم ٭ تذل لك الصعاب وتستقيم

ومن جملتها هذه الأبيات :

ألم تر أن كلب الروم لما ٭ تبين أنه الملك الرحيم
فجاء فطبق الفلوات خيلا ٭ كأن الجحفل الليل البهيم
وقد نزل الزمان على رضاه ٭ ودان لخطبه الخطب العظيم
فحين رميته بك فى خميس ٭ تيقن أن ذلك لايدوم
وأبصر فى المفاضة منك جيشا ٭ فاحرب لايسير ولا يقيم
كأنك فى العجاج شهاب نور ٭ توقد وهو شيطان رجيم
أراد بقاء مهجته فولى ٭ وليس سوى الحمام له حميم

وهى قصيدة طويلة ومن عجيب مايحكى أن ملك الروم لما عزم على حصر شيزر سمع من بها ذلك فقال الأمير مرشد ابن على صاحبها وهو ينسخ ٭ صحفا اللهم بحق من أنزلته عليه إن قضيت بمجىء ٭ ملك الروم فاقبضنى إليك فتوفى بعد أيام.

﴿ذكر الحرب بين السلطان مسعود والملك داود ومن معه من الأمراء﴾ لما فارق الراشد باقه أتابك زنكى من الموصل سار نحو أذربيجان فوصل مراغة وكان الأمير منكبرس صاحب فارس ونائبه بخوزستان الأمير بوزابه والأمير عبد الرحمن طغايرك خلخان والملك داود بن السلطان محمود مستشمرين من السلطان مسعود خائفين منه فتجمعوا ووافقوا الراشد على الاجتماع لتكون أيديهم واحدة ويردوه إلى الخلافة فأجابهم إلى ذلك إلا أنه لم يجتمع معهم ووصل الخبر إلى السلطان مسعود وهو ببغداد باجتماعهم فسار عنها فى شعبان نحوهم فالتقوا ببتجن كشت فاقتتلوا فهزمهم السلطان مسعود وأخذ الأمير منكبرس أسيرا فقتل بين يديه صبرا وتفرق عسكر مسعود فى النهب وأتباع المنهزمين، وكان بوازبة وعبد الرحمن طغايرك على نشز من الأرض فرأيا السلطان مسعودا وقد تفرق عسكره عنه فحملا عليه وهو فى قلة فلم يثبت لهما وانهزم وقبض بوزابة على جماعة من الأمراء منهم صدقة بن دبيس صاحب الحلة ومنهم ولد أتابك قراسنقر صاحب أذربيجان وعنتر بن أبى العسكر وغيرهم وتركهم عنده فلما بلغه قتل صاحبه منكبرس قتلهم أجمعين وصار العسكران منهزمين وكان هذا من أعجب الاتفاق وقصد السلطان مسعود أذربيجان وقصد الملك داود همدان ووصل الراشد بعد الوقعة فاختلفت آراء الجماعة فبعضهم أشار بقصد العراق والتغلب عليه وبعضهم أشار باتباع السلطان مسعود للفراغ منه، فإن مابعده يهون عليهم وكان بوزابة أكبر الجماعة فلم ير ذلك وكان غرضه المسير إلى بلاد فارس وأخذها بعد قتل صاحبها منكبرس قبل أن يمتنع من بها عليه فبطل عليهم ما كانوا فيه وسار إليها فملكها وصارت له مع خوزستان وسار سلجوق شاه ابن السلطان محمد إلى بغداد لملكها فخرج إليه البقش الشحنة بها ونظر الخادم أمير الحاج وقاتلوه وكان عاجزا مستضعفا ولما قتل صدقة بن دبيس أقر السلطان مسعود الحلة على أخيه محمد بن دبيس وجعل معه مهلهل بن أبى العسكر أخا عنتر المقتول يدبره ولما كان البقش شحنة بغداد يقاتل سلجوق شاه ثار العيارون ببغداد ونهبوا الأموال وقتلوا الرجال وزاد أمرهم حتى كانوا يقصدون

Marfat.com

Marfat.com

أرباب الأموال ظاهرا ويأخذون منهم مايريدون ويحملون الأمتعة على رؤوس الحمالين فلما عاد الشحنة قتل منهم وصلب وغلت الأسعار وكثر الظلم منه وأخذ المستورين بحجة العيارين فجلا الناس عن بغداد إلى الموصل وغيرها من البلاد .

﴿ذكر قتل الراشد بالله﴾ لما وصل الراشد بالله إلى همذان وبها الملك داود بوزابة ومن معهما من الأمراء والعساكر على ماتقدم ذكره ثم سار إلى خوزستان مع الملك داود ومعهما خوارزم شاه فقاربا الجزيرة فسار السلطان مسعود ليمنعهم عن العراق فعاد الملك داود إلى فارس وعاد خوارزم شاه إلى بلاده بقي الراشد وحده فلما أيس من عساكر العجم سار إلى أصفهان فلما كان الخامس والعشرون من رمضان وثب عليه نفر من الخراسانية الذين كانوا فى خدمته فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان فى أعقاب مرض برىء منه ودفن بظاهر أصفهان بشهرستان فركب من معه فقتلوا الباطنية ولما وصل الخبر إلى بغداد جلسوا للعزاء به فى بيت النوبة يوما واحدا وكان أبيض أشقر حسن اللون مليح الصورة مهيبا شديد القوة والبطش ، قال أبو بكر الصولى الناس يقولون إن كل سادس يقوم بأمر الناس من أول الإسلام لابد من أن يخلع وربما قتل قال فتأملت ذلك فرأيته كما قيل (وإن أول من قام بأمر هذه الأمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن رضى الله عنهم فخلع ثم معاوية ويزيد ابنه ومعاوية بن يزيد ومروان وعبد الملك بن مروان وعبد الله ابن الزبير فخلع ثم عبد الملك واخوه سليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام ابنا عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك فخلع وقتل ثم لم ينتظم أمر بنى أمية ثم ولى السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد والأمين فخلع وقتل ، والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين فخلع وقتل . والمعتز والمهتدى والمعتمد والمعتضد والمكتفى والمقتدر فخلع ثم رد ثم قتل ثم القاهر والراضى والمتقى والمستكفى والمطيع والطائع فخلع . ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد والراشد فخلع وقتل) قلت وفى هذا نظر لأن البيعة لابن الزبير كانت قبل البيعة لعبد الملك بن مروان وكونه جعله بعده لاوجه له والصولى إنما ذكر إلى أيام المطيع لله ومن بعد ذكره غيره .

﴿ذكر حال ابن بكران العيار﴾ فى هذه السنة فى ذى الحجة عظم أمر ابن بكران العيار ببغداد والعراق وكثرت أتباعه وصار يركب ظاهرا فى جمع من المفسدين وخافه الشريف أبو الكرم الوالى ببغداد فأمر أبا القاسم ابن أخيه حامى باب الأزج أن يشتد إليه ويلبس سراويل فتوة منه ليأمن شره وكان ابن بكران يكثر المقام بالسوادة ومعه رفيق له يعرف بابن البزاز فانتهى أمرهما إلى أنهما أرادا أن يضربا باسمهما سكة فى الأنبار فأرسل الشحنة والوزير شرف الدين الزينبى إلى الوالى أبى الكرم وقالا إما أن تقتل ابن بكران وإما أن نقتلك فأحضر ابن أخيه وعرفه ماجرى وقال له إما أن تختارنى ونفسك وإما أن تختار ابن بكران فقال أنا أقتله وكان لابن بكران عادة يجىء فى بعض الليالى إلى ابن أخى أبى الكرم فيقيم فى داره ويشرب عنده فلما جاء على عادته وشرب أخذ أبو القاسم سلاحه ووثب به فقتله وأراح الناس من شره ، ثم أخذ بعده بيسير رفيقه ابن البزاز وصلب وقتل معه جماعة من الحرامية فسكن الناس واطمأنوا وهدأت الفتنة .

﴿ذكر قتل الوزير الدركزينى ووزارة الخازن﴾ فى هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره العماد أبى البركات بن سلمة الدركزينى واستوزر بعده كمال الدين محمد بن الحسين الخازن وكان الكمال شهما شجاعا

عادلا نافذ الحكم حسن السيرة أزال المكوس ورفع المظالم وكان يقيم مؤنة السلطان ووظائفه وجمع له خزائن كثيرة وكشف أشياء كثيرة كانت مستورة يخان فيها ويسرق فثقل على المتصرفين وأرباب الأعمال فأوقعوا بينه وبين الأمراء لاسيما قراسنقر صاحب أذربيجان فإنه فارق السلطان وأرسل يقول إما أن تنفذ رأس الوزير وإما خدمنا سلطانا آخر فأشار من حضر من الأمراء بقتله وحذروه فتنة لاتتلافى فقتله على كره منه وأرسل إلى قراسنقر فرضى وكانت وزارته سبعة أشهر وكان قتله سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ووزر بعده أبو العز طاهر بن محمد البرزجردى وزير قراسنقر ولقب عز الملك وضاقت الأمور على السلطان مسعود واستقطع الأمراء البلاد بغير اختياره ولم يبق له شيء من البلاد البتة إلا اسم السلطنة لاغير .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة ملك حسام الدين تمرتاش أيلغازى صاحب ماردين قلعة الهتاخ من بلاد ديار بكر أخذها من بعض بنى مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر جميعها وهذا آخر من بقى فسبحان الحى الدائم الذى لايزول ملكه ولا يتطرق إليه النقص ولا التغيير. وفيها انقطعت كسوة الكعبة لما ذكرناه من الاختلاف فقام بكسوتها رامشت التاجر الفارسى كساها من الثياب الفاخرة بكل ماوجد إليه سبيل فبلغ ثمن الكسوة ثمانية عشر ألف دينار مصرية وهو من التجار المسافرين إلى الهند كثير المال . وفيها توفيت زبيدة خاتون ابنة السلطان بركيارق زوج السلطان مسعود وتزوج بعدها سفرى ابنة دبيس بن صدقة فى جمادى الأولى وتزوج ابنة قاورت وهو من البيت السلجقى إلا أنه كان لايزال يعاقر الخمر ليلا ونهارا فلهذا سقط اسمه وذكره . وفيها قتل السلطان مسعود بن البقش السلاحى شحنة بغداد وكان قد ظلم الناس وعسفهم وفعل مالم يفعله غيره من الظلم فقبض عليه وسيره إلى تكريت فسجنه بها عند مجاهد الدين بهروز ثم أمر بقتله فلما أرادوا قتله ألقى بنفسه فى دجلة فغرق فأخذ رأسه وحمل إلى السلطان وجعل السلطان شحنة العراق مجاهد الدين بهروز فعمل أعمالا صالحة منها أنه عمل مسناة النهروان وأشباهها وكان حسن السيرة كثير الإحسان وفيها درس الشيخ أبو منصور بن الرزاز بالنظامية ببغداد وفيها أرسل الخليفة إلى أتابك زنكى فى إطلاق قاضى القضاة الزينبى فأطلق وانحدر إلى بغداد فخلع عليه الخليفة وأقره على منصبه . وفيها كان بخراسان غلاء شديد طالت مدته وعظم أمره حتى أكل الناس الكلاب والسنانير وغيرهما من الدواب وتفرق أكثر أهل البلاد من الجوع . وفيها توفى طغان أرسلان صاحب بدليس وأرزن من ديار بكر وولى بعده ابنه فرنى واستقام له الأمر . وفيها فى شهر صفر جاءت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وديار بكر والموصل والعراق وغيرها من البلاد فخربت كثيرا منها وهلك تحت الهدم عالم كثير . وفيها توفى أحمد بن محمد بن أبى بكر ابن أبى الفتح الدينورى الفقيه الحنبلى ببغداد وكان ينشد كثيرا هذه الأبيات :

تمنيت أن تمسى فقيها منظرا ٭ بغير عياء والجنون فنون

وليس اكتساب المال دون مشقة ٭ تلقيتها فالعلم كيف يكون

وفيها توفى محمد بن عبد الملك بن عمر أبو الحسن الكرخى ومولده سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وكان فقيها محدثا سمع الحديث بكرخ وأصفهان وهمذان وغيرها . وفى شعبان منها توفى القاضى أبو العلاء صاعد بن الحسين ابن إسماعيل بن صاعد وهو ابن عم القاضى أبى سعيد وولى القضاء بنيسابور بعد أبى سعيد .

Marfat.com

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر الحرب بين السلطان سنجر وخوارزم شاه ﴾ فى هذه السنة فى المحرم سار السلطان سنجر إلى خوارزم شاة وهو ابن ملكشاه محاربا لخوارزم شاه اتسز بن محمد وسبب ذلك أن سنجر بلغه أن اتسز يحدث نفسه بالامتناع عليه وترك الخدمة له وأن هذا الأمر قد ظهر على كثير من أصحابه وأمرائه فأوجب ذلك قصده وأخذ خوارزم شاه فجمع عساكره وتوجه نحوه فلما قرب من خوارزم شاه فى عساكره خرج خوارزم شاه إليه فى عساكره فلقيه مقابلا وعمى كل واحد منهما عساكره وأصحابه فاقتتلوا فلم يكن للخوارزمية قوة بالسلطان فلم يثبتوا وولوا منهزمين وقتل منهم خلق كثير ومن جملة القتلى ولد لخوارزم شاه فحزن عليه أبوه حزنا عظيما ووجد وجدا شديدا وملك سنجر خوارزم وأقطعها غياث الدين سليمان شاه ولد أخيه محمد ورتب له وزيرا وأتابكا وحاجبا وقرر قواعده وعاد إلى مرو فى جمادى الآخرة من هذه السنة فلما فارق خوارزم عائدا انتهز خوارزم شاه الفرصة فرجع إليها وكان أهلها يكرهون العسكر السنجرى ويؤثرون عودة خوارزم شاه فلما عاد أعانوه على ملك البلد ففارقها سليمان شاه واختلفا بعد الاتفاق ففعل خوارزم شاه فى خراسان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ما نذكره إن شاء الله .

﴿ ذكر قتل محمود صاحب دمشق وملك أخيه محمد ﴾ فى هذه السنة فى شوال قتل شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بورى بن طغدكين صاحب دمشق على فراشه غيلة قتله ثلاثة من غلمانه هم خواصه وأقرب الناس إليه فى خلوته وجلوته وكانوا ينامون عنده فقتلوه وخرجوا من القلعة وهربوا فنجا أحدهم وأخذ الآخران فصلبا وكتب معين الدين أنز من دمشق إلى أخيه جمال الدين محمد بن بورى صاحب بعلبك وهو بها بصورة الحال واستدعاه ليملك بعد أخيه فحضر فى أسرع وقت فلما دخل البلد جلس للعزاء بأخيه وحلف له الجند وأعيان الرعية وسكن الناس وفوض أمر دولته إلى معين الدين أنز مملوك جده وزاد فى علو مرتبته وصار هو الجملة والتفصيل وأقطعه بعلبك وزوجه بأمه وكان أنز خيرا عاقلا حسن السيرة فجرت الأمور عنده على أحسن نظام .

﴿ ذكر ملك زنكى بعلبك ﴾ فى هذه السنة فى ذى القعدة سار عماد الدين أتابك زنكى بن آقسنقر إلى بعلبك فحصرها ثم ملكها وسبب ذلك أن محمودا صاحب دمشق لما قتل كانت والدته زمرد خاتون عند أتابك زنكى بحلب قد تزوجها فوجدت لقتل ولدها وجدا شديدا وحزنت عليه وأرسلت إلى زنكى وهو بديار الجزيرة تعرفه الحادثة وتطلب منه أن يقصد دمشق ويطلب بثأر ولدها فلما وقف على هذه الرسالة بادر فى الحال من غير توقف ولا تريث وسار مجدا ليجعل ذلك طريقا إلى ملك البلد وعبر الفرات عازما على قصد دمشق فاحتاط من بها واستعدوا واستكثروا من الذخائر ولم يتركوا شيئا مما يحتاجون إليه إلا وبذلوا الجهد فى تحصيله وأقاموا ينتظرون وصوله اليهم فتركهم وسار إلى بعلبك وقيل كان السبب فى ملكها أنها كانت لمعين الدين أنز كما ذكرناه وكان له جارية يهواها فلما تزوج أم جمال الدين سيرها إلى بعلبك فلما سار زنكى إلى الشام عازما على قصد دمشق سير إلى أنز يبذل له البذول العظيمة ليسلم اليه دمشق فلم يفعل وسار أتابك إلى بعلبك فوصل اليها فى العشرين من ذى الحجة فى السنة فنازلها فى عساكره وضيق عليها وجد فى محاربتها ونصب عليها من المنجنيقات أربعة عشر عددا ترمى ليلا ونهارا فأشرف من بها على الهلاك وطلبوا الأمان وسلموا اليه المدينة

Marfat.com

وبقيت القلعة وبها جماعة من الشجعان شجعان الأتراك فقاتلهم فلما أيسوا من معين ونصير طلبوا الأمان فأمنهم فسلموا اليه القلعة فلما نزلوا منها وملكها غدر بهم وأمر بصلبهم فصلبوا ولم ينج منهم إلا القليل فاستقبح الناس ذلك من فعله واستعظموه وخانه غيرهم وحذروه لاسيما أهل دمشق فقالوا لو ملكنا لفعل بنا مثل فعله بهؤلاء فازدادوا نفورا وجدوا فى محاربته ولما ملك زنكى بعلبك أخذ الجارية التى كانت لمعين الدين أنز بها فتزوجها بحلب فلم تزل بها إلى أن قتل فسيرها ابنه نورالدين محمود إلى معين الدين أنز وهى كانت أعظم الأسباب فى المودة بين نور الدين وبين أنز والله أعلم .

﴿ذكر استيلاء قرا سنقر على بلاد فارس وعوده عنها﴾ وفى هذه السنة جمع أتابك قرا سنقر صاحب أذربيجان عساكر كثيرة وسار طالبا بثأر أبيه الذى قتله بوزابة فى المصاف المقدم ذكره فلما قارب السلطان مسعودا أرسل اليه يطلب منه قتل وزيره الكمال فقتله كما ذكرناه فلما قتل سار قرا سنقر إلى بلاد فارس فلما قاربها تحصن بوزابة منه فى القلعة البيضاء ووطئ قرا سنقر البلاد وتصرف فيها وليس له دافع ولا مانع إلا أنه لم يمكنه المقام وملك المدن التى فى فارس فسلم البلاد إلى الملك سلجوق شاه بن السلطان محمود وقال له هذه البلاد لك فاملك الباقى وعاد إلى أذربيجان فنزل حينئذ بوزابة من القلعة سنة أربع وثلاثين وهزم سلجوق شاه وملك البلاد وأسر سلجوق شاه وسجن فى قلعة بفارس .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة فى صفر توفى الوزير شرف الدين أنوشروان بن خالد معزولا ببغداد وحضر جنازته وزير الخليفة فمن دونه ودفن فى داره ثم نقل إلى الكوفة فدفن فى مشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وكان فيه تشيع وهو كان السبب فى عمل المقامات الحريرية وكان رجلا عاقلا شهما دينا خيرا وزر للخليفة المسترشد وللسلطان محمود وللسلطان مسعود وكان يستقيل من الوزارة فيجاب إلى ذلك ثم يخطب اليها فيجيب كارها . وفيها قدم السلطان مسعود بغداد فى ربيع الأول وكان الزمان شتاء وصار يشتى بالعراق ويصيف بالجبال ولما قدمها أزال المكوس وكتب الألواح بإزالتها ووضعت على أبواب الجوامع والأسواق وتقدم أن لا ينزل جندى فى دار عامى من أهل بغداد إلا بإذن فكثر الدعاء له والثناء عليه وكان السبب فى ذلك الكمال الخازن وزير السلطان . وفيها فى صفر كانت زلازل كثيرة هائلة بالشام والجزيرة وكثير من البلاد وكان أشدها بالشام وكانت متوالية عشر ليال كل ليلة عشر دفعات فخرب كثير من البلاد ولاسيما حلب فإن أهلها لما كثرت عليهم فارقوا البلاد والبيوت وخرجوا إلى الصحراء وعدوا ليلة واحدة جاءتهم ثمانين مرة ولم تزل بالشام تتعاهدهم من رابع صفر إلى تاسع عشرة وكان معها صوت وهزة شديدة . وفيها أغار الفرنج على أعمال بانياس فسار عسكر دمشق فى أثرهم فلم يدركوهم فعادوا . وفيها توفى أبو القاسم طاهر بن طاهر الشجاعى النيسابورى بها ومولده سنة ست وأربعين وأربعمائة وكان إماما فى الحديث مكثرا عالى الإسناد . وتوفى عبدالله بن أحمد بن عبدالقاهر بن محمد بن يوسف أبو القاسم بن أبى الحسين البغدادى بها ومولده سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة . وعبدالعزيز بن عثمان بن إبراهيم بن محمد الأسدى البخارى كان قاضى بخارا وكان من الفقهاء أولاد الأئمة حسن السيرة . وتوفى محمد بن شجاع بن أبى بكر بن على بن إبراهيم اللفتوانى الأصفهانى بأصفهان فى جمادى الآخرة ومولده سنة ست وتسعين وأربعمائة . وسمع الحديث الكثير

Marfat.com

Marfat.com

بأصفهان وبغداد وغيرهما (١).

(١) وفيها توفى يحيى بن يحيى بن على بن أفلح ، أبو القاسم الكاتب ، وقد خلع عليه المسترشد ولقبه جمال الملك وأعطاه أربعة دور ، وكانت له دار إلى جانبهن نهرين كلهن واتخذ مكانهن دارا هائلة ، طولها ستون ذراعا فى عرض أربعين ذراعا ، وأطلق له الخليفة أخشابها وآجرها وطرازاتها . وكتب عليها أشعارا حسنة من نظمه ونظم غيره ، فمن ذلك ما هو على باب دارها :

إن أعجب الراؤن من ظاهرى * فباطنى لو علموا أعجب
شد بانى من كنفه مزنة * يخجل منها العارض الصيب
ورنحت روضة أخلاقه * فى ديار نورها مذهب
صدر كسى صدرى من نوره * شمسا على الأيام لا تغرب

وعلى الطرز مكتوب :

ومن المروءة للفتى * ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره
هاتيك وافيت بما * وعدت وهاتى باتره

وفى موضع آخر مكتوب :

وناد كأن جنان الخلـ * ـد أعارته من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزما * ن أن لا يلم به موبقا
فأضحى ينبئه على كل ما * بنى مغربا كان أو مشرقا
تظل الوفود به عكفا * ويمسى الضيوف به طرقا
بقيت له يا جمال الملو * ك وذا الفضل مهما أردت البقا
وسالمه فيك ريب الزما * ن ووقيت فيه الذى يتقى

فما والله صدقت هذه الأمانى ، بل عما قريب اتهمه الخليفة بأنه يكاتب دبيسا فأمر بخراب داره تلك فلم يبق فيها جدار ، بل صارت خربة بعدما كانت قرة العيون من أحسن المقام والقرار ، وهذه حكمة الله من تقلب الليل والنهار ، وما تجرى بمشيئة الأقدار ، وهى حكمته فى كل دار بنيت بالأشر والبطر ، وفى كل لباس لبس على التيه والكبر والأشر . وقد أورد له ابن الجوزى أشعارا حسنة من نظمه ؛ وكلمات من نثره فمن ذلك قوله :

دع الهوى لأناس يعرفون به * قد مارسوا الحب حتى أصعبه
أدخلت نفسك فيما لست تجربه * والشىء صعب على من لا يجربه
أمن اصطبار وإن لم تستطع خلدا * فرب مدرك أمر عز مطلبه
أحن الضلوع على قلب يخيرنى * فى كل يوم يعينى تقلبه
تأرج الريح من نجد يهيجه * ولامع البرق من نعمات يطربه

وقوله

هذه الخيف وهاتيك منى * فترفق أيها الحادى بنا
واحبس الركب علينا ساعة * نندب الدار ونبكى الدنا
فلذا الموقف أعددت البكا * ولذا اليوم الدموع تقتنى
زماننا كان وكنا جيرة * فأعاد الله ذاك الزمنا
بيننا يوم ائتلاف نلتقى * كان من غير تراضى بيننا

﴿ ثم دخلت سنه أربع وثلاثين وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر حصار أتابك زنكى دمشق ﴾ فى هذه السنة حصر أتابك زنكى دمشق مرتين فأما المرة الأولى فإنه سار إليها فى ربيع الأولى من بعلبك بعد الفراغ من أمرها وتقرير قواعدها وإصلاح ماتشعث منها ليحاصرها فنزل البقاع وأرسل إلى جمال الدين محمد صاحبها يبذل إليه بلدا يقترحه ليسلم إليه دمشق فلم يجبه إلى ذلك فرحل وقصد دمشق فنزل على داريا ثالث عشر ربيع الأول فالتقت الطلائع واقتتلوا وكان الظفر لعسكر زنكى وعاد الدمشقيون منهزمين فقتل كثير منهم ثم تقدم زنكى إلى الموصل فنزل هناك ولقيه جمع كثير من جند دمشق وأحداثها ورجالة الغوطة فقاتلوه فانهزم الدمشقيون وأخذهم السيف فقتل فيهم وأكثر وأسر كذلك ومن سلم عاد جريحا وأشرف البلد ذلك اليوم على الأخذ وأن يملك لكن عاد زنكى وأمسك عنه عشرة أيام وتابع الرسل إلى صاحب دمشق وبذل له بعلبك وحمص وغيرهما مما يختاره من البلاد فمال إلى أن يسلم وامتنع غيره من أصحابه من ذلك وخوفوه عاقبة فعله وأن يفعل ويغدر كما فعل بأهل بعلبك فلما لم يسلموا إليه عاد القتال والزحف ثم إن جمال الدين محمدا صاحب دمشق مرض ومات ثامن شعبان وطمع زنكى حينئذ فى البلد وزحف إليه زحفا شديدا ظنا منه أنه ربما يقع بين المقدمين والأمراء خلاف فيبلغ به الغرض وكان ما أمله بعيدا فلما مات جمال الدين ولى بعده مجير الدين أبق ولده وتولى ترتيب دولته معين الدين أنز فلم يظهر لموت أبيه أثر مع أن عدوهم على باب المدينة فلما رأى أنز أن زنكى لا يفارقهم ولا يزول عن حصرهم راسل الفرنج واستدعاهم إلى نصرته وأن يتفقوا على دفع زنكى عن دمشق وبذل لهم بذولا وأن يحضر بانياس ويأخذها ويسلمها وخوفهم من زنكى إن ملك دمشق فعلموا صحة قوله وعلموا أنه إن ملكها لا يبقى لهم معه بالشام مقام وأن الفرنج اجتمعوا وعزموا على المسير إلى دمشق ليجتمعوا مع صاحبها وعسكرها على قتال زنكى فحين علم زنكى بذلك سار إلى حوران خامس رمضان عازما على قتال الفرنج قبل أن يجتمعوا بالدمشقيين فلما سمع الفرنج خبره لم يفارقوا بلادهم فلما رآهم كذلك عاد إلى حصر دمشق ونزل بعذرا شماليها سادس شوال فأحرق عدة قرى من المرج والغوطة ورحل عائدا إلى بلاده ووصل الفرنج إلى دمشق واجتمعوا بصاحبها وقد رحل زنكى فعادوا فسار معين الدين أنز إلى بانياس فى عسكر دمشق وهى فى طاعة زنكى كما تقدم ذكره ليحصرها ويسلمها إلى الفرنج وكان واليها قد سار قبل ذلك منها بجمعة إلى مدينة صور للإغارة على بلاده فصادفه صاحب أنطاكية وهو قاصد إلى دمشق نجدة لصاحبها على زنكى فاقتتلا فانهزم المسلمون وأخذوا إلى بانياس فقتل ونجا من سلم منهم إلى بانياس وجمعوا معهم كثيرا من البقاع وغيرها وحفظوا القلعة فنازلها معين الدين فقاتلهم وضيق عليهم ومعه طائفة من الفرنج فأخذها وسلمها إلى الفرنج وأما الحصر الثانى لدمشق فإن أتابك لما سمع الخبر بحصر بانياس عاد إلى بعلبك ليدفع عنها من يحصرها فأقام هناك فلما عاد عسكر دمشق بعد أن ملكوها وسلموها إلى الفرنج فرق أتابك زنكى عسكره على الإغارة على حوران وأعمال دمشق وسار هو جريدة مع خواصه فنازل دمشق سحرا ولم يعلم به أحد من أهلها فلما أصبح الناس ورأوا عسكره خافوا وارتج البلد واجتمع العسكر والعامة على السور وفتحت الأبواب وخرج الجند والرجالة

Marfat.com

Marfat.com

فقاتلوه فلم يمكن زنكى عسكره من الإقدام فى القتال لأن عامة عسكره كانوا قد تفرقوا فى البلاد والنهب والتخريب وإنما قصد دمشق لئلا يخرج منها عسكر إلى عسكره وهم متفرقون فلما اقتتلوا ذلك اليوم قتل بينهم جماعة ثم أحجم زنكى عنهم وعاد إلى خيامه ورحل إلى مرج راهط وأقام ينتظر عودة عسكره فعادوا إليه وقد ملأوا أيديهم من الغنائم لأنهم طرقوا البلاد وأهلها غافلون فلما اجتمعوا عنده رحل بهم عائدا إلى بلادهم .

﴿ ذكر ملك زنكى شهر زور وأعمالها ﴾ فى هذه السنة ملك أتابك زنكى شهرزور وأعمالها ومايجاورها من الحصون وكانت بيد قيجاق بن أرسلان تاش التركمانى وكان حكمه نافذا على قاصى التركمان ودانيهم وكلمته لاتخالف يرون طاعته فرضا فتحامى الملوك قصده ولم يتعرضوا لولايته لأنها منيعة كثيرة المضايق فعظم شأنه وازداد جمعه وأتاه التركمان من كل فج عميق فلما كان هذه السنة سير إليه أتابك زنكى عسكرا فجمع أصحابه ولقيهم فتصافوا واقتتلوا فانهزم قيجاق واستبيح عسكره وسار الجيش الأتابكى فى أعقابهم فحصروا الحصون والقلاع فملكوها جميعها وبذلوا الأمان لقيجاق فصار إليهم وانخرط فى سلك العساكر ولم يزل هو وبنوه فى خدمة البيت على أحسن قضية إلى بعد سنة ستمائة بقليل وفارقوها .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فى هذه السنة جرى بين أمير المؤمنين المقتفى لأمر الله وبين الوزير شرف الدين على ابن طراد الزينبى منافرة وسببها أن الوزير كان يعترض الخليفة فى كل مايأمر به فنفر الخليفة من ذلك . فغضب الوزير . ثم خاف فقصد دار السلطان فى سميرية وقت الظهر ودخل إليها واحتمى بها فأرسل إليه الخليفة فى العود إلى منصبه فامتنع وكانت الكتب تصدر باسمه واستنيب قاضى القضاة الزينبى ، وهو ابن عم الوزير وأرسل الخليفة إلى دار السلطان رسلا فى معنى الوزير فأرخص له السلطان فى عزله فحينئذ أسقط اسمه من الكتب وأقام بدار السلطان ؛ ثم عزل الزينبى من النيابة وناب سديد الدولة بن الأنبارى . وفيها قتل المقرب جوهر وهو من خدم السلطان سنجر وكان قد حكم فى دولته وجميعها من جملة أقطاعه الرى . ومن مماليكه عباس صاحب الرى وكان سائر عسكر السلطان سنجر يخدمونه ويقفون ببابه وكان قتله بيد الباطنية وقف له جماعة منهم بزى النساء واستغاث به فوقف يسمع كلامهم فقتلوه . فلما قتل جمع صاحبه عباس العساكر وقصد الباطنية فقتل منهم وأكثر وفعل بهم مالم يفعله غيره ولم يزل يغزوهم ويقتل فيهم ويخرب بلادهم إلى أن مات . وفيها زلزلت كنجة وغيرها من أعمال أذربيجان وأران إلا أن أشدها كان بكنجة فخرب منها الكثير وهلك عالم لايحصون كثرة قيل كان الهلكى مائتى ألف وثلاثين ألفا وكان من جملة الهلكى ابنان لقراسنقر صاحب البلاد وتهدمت قلعة هناك لمجاهد الدين بهروز وذهب له فيها من الذخائر والأموال شىء عظيم . وفيها شرع مجاهد الدين بهروز فى عمل النهروانات سكر سكرا عظيما يرد الماء إلى مجراه الأول وحفر مجرى الماء القديم وخرق إليه مجراة مأخذ من ديالى ثم استحال بعد ذلك وجرى الماء ناحية من السكر وبقى السكر فى البر لاينتفع به أحد ولم يتعرض أحد إلى رده إلى مجراه عند السكر إلى وقتنا هذا . وفيها انقطع الغيث ببغداد والعراق ولم يجىء غير مرة واحدة فى أذار ثم انقطع ووقع الغلاء وعدمت الأقوات . وفيها فى جمادى الآخرة دخل الخليفة بفاطمة خاتون بنت السلطان مسعود وكان يوم حملها إلى دار الخليفة يوما مشهودا غلقت بغداد عشرة أيام وزينت وتزوج السلطان

مسعود بابنة الخليفة . وفيها فى ربيع الأول توفى القاضى أبو الفضل يحيى ابن قاضى دمشق المعرف بالزكى .

﴿ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة﴾

﴿ذكر مسير جهاردانكى إلى العراق وما كان منه﴾ فى هذه السنة أمر السلطان مسعود الأمير اسماعيل المعروف بجهاردنكى والبقش كون خر بالمسير إلى خوزستان وفارس وأخذها من بوزابة وأطلق لهم نفقة على بغداد فساروا فيمن معهما إلى بغداد فمنعهم مجاهد الدين بهروز عن دخولها فلم يقبلوا منه فأرسل إلى المعابر فخسفها وغرقها وجد فى عمارة السور وسد باب الظفرية وباب كلواذى وأغلق باقى الأبواب وعلق عليها السلاسل وضرب الخيام للمقاتلة فلما علما بذلك عبرا بصرصر وقصدا الحلة فمنعا منها فقصدا واسط فخرج إليهم الأمير طرنطاى وتقاتلوا فانهزم طرنطاى ودخلوا واسطا فنهبوها ونهبوا بلد فرسان والنعمانية ولفهم طرنطاى إلى حماد بن أبى الخير صاحب البطيحة ووافقهم عسكر البصرة وفارق اسماعيل والبقش عسكرهما وصارا مع طرنطاى فضعف أولئك فصار إلى تستر واستشفع اسماعيل إلى السلطان فعفا عنه .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ فى هذه السنة وصل رسول من السلطان سنجر ومعه بردة النبى صلى الله عليه وسلم والقضيب وكان قد أخذا من المسترشد فأعادهما الآن إلى المقتفى . وفى هذه السنة توفى أتابك قراسنقر صاحب أذربيجان وأرانية بمدينة أردبيل وكان مرضه السل ، وكان من مماليك الملك طغرل وسلمت أذربيجان وأرانية إلى الأمير جاولى الطغرلى وكان قراسنقر عظم محله على سلطانه وخافه السلطان . وفيها كان بين أتابك زنكى وبين داود سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا حرب شديد وانهزم داود وملك زنكى من بلاده قلعة بهمود وأدركه الشتاء فعاد إلى الموصل . وفيها ملك الإسماعيلية حصن مصيات بالشام وكان واليه مملوكا لبنى منقذ أصحاب شيزر فاحتالوا عليه ومكروا به حتى صعدوا إليه وقتلوه وملكوا الحصن وهو بأيديهم إلى الآن . وفيها توفى سديد الدولة بن الأنبارى واستوزر الخليفة بعده نظام الدين أبا نصر محمد بن محمد بن جبير وكان قبل ذلك أستاذ الدار . وفيها توفى برتقش بازدار صاحب قزوين . وفيها فى رجب ظفر ابن الداتشمند صاحب ملطية وغيرها من تلك النواحى بجمع من الروم فقتلهم وغنم مامعهم . وفيها فى رمضان سارت طائفة من الفرنج فخرج إليهم العسكر الذى بعسقلان فقاتلهم فظفر المسلمون وقتلوا من الفرنج كثيرا فعادوا منهزمين . وفيها بنيت المدرسة الكمالية ببغداد بناها كمال الدين أبو الفتوح بن طلحة صاحب المخزن ، ولما فرغت درس فيها الشيخ أبو الحسن بن الخل وحضره أرباب المناصب وسائر الفقهاء . وفيها فى رجب مات القاضى أبو بكر بن محمد بن عبد الباقى الأنصارى قاضى المارستان عن نيف وسبعين سنة . وله الإسناد والعوالى . وكان عالما بالمنطق والحساب والهيئة وغيرها من علوم الأوائل ، وهو آخر من حدث فى الدنيا عن اسحق البرمكى والقاضى أبى بكر الطبرى وأبى طالب العشارى وأبى محمد الجوهرى وغيرهم . وتوفى الإمام الحافظ أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل الأصفهانى عشر ذى الحجة ومولده سنة تسع وخمسين وله التصانيف المشهورة . وتوفى يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين بن يعقوب الهمذانى من أهل بروجرد وسكن مرو وتفقه على أبى اسحق الشيرازى . وروى الحديث واشتغل بالرياضات والمجاهدات ووعظ ببغداد فقام إليه متفقه يقال له ابن السقاء . وسأله وآذاه فى السؤال . فقال اسكت انى أشم منك ريح الكفر . فسافر الرجل إلى بلد الروم وتنصر . وفيها مات أبو القاسم على بن أفلح بن أفلح الشاعر الشهور

تم الجزء الثامن ، ويليه الجزء التاسع ، وأوله ﴿ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة﴾

Marfat.com

فهرست الجزء الثامن

صفحة

٢ (سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة)
٢ وثوب الأجناد بجلال الدولة وإخراجه من بغداد
٢ انهزام علاء الدولة بن كاكويه من عسكر مسعود بن محمود ابن سبكتكين
٣ عدة حوادث
٤ (سنة أربع وعشرين وأربعمائة)
٤ عود مسعود إلى غزنة والمتن بالرى وبلد الجبل
٤ ظفر مسعود بصاحب ساوة وقتله
٤ استيلاء جلال الدولة على البصرة وخروجها عن طاعته
٥ إخراج جلال الدولة من دار المملكة وإعادته اليها
٥ عدة حوادث
٥ (سنة خمس وعشرين وأربعمائة)
٥ فتح قلعة سرستى وغيرها من بلد الهند
٦ حصر قلعة بالهند أيضا
٦ الفتنة بنيسابور
٦ الحرب بين علاء الدولة وعسكر خراسان
٧ الحرب بين نور الدولة دبيس وأخيه ثابت
٧ ملك الروم قلعة بركوى
٧ عدة حوادث
٨ (سنة ست وعشرين وأربعمائة)
٨ حال الخلافة والسلطنة ببغداد

صفحة

٨ ظهور أحمد ينالتكين العصيان وقتله
٩ ملك مسعود جرجان وطبرستان
٩ مسير قرن وثاب والروم إلى بلد ابن مروان
٩ عدة حوادث
١٠ (سنة سبع وعشرين وأربعمائة)
١٠ وثوب الجند بجلال الدولة
١٠ الحرب بين أبى سهل الحمدونى وعلاء الدولة
١٠ وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر
١١ فتح السويداء وربض الرها
١١ غدر السناسنة وأخذ الحاج وإعادة ما أخذوه
١٢ الحرب بين المعز وزناتة
١٢ عدة حوادث
١٣ (سنة ثمان وعشرين وأربعمائة)
١٣ الفتنة بين جلال الدولة وبين بارسطغان
١٤ الصلح بين جلال الدولة وأبى كاليجار والمصاهرة بينهما
١٤ عدة حوادث
١٥ (سنة تسع وعشرين وأربعمائة)
١٥ محاصرة الانجاز تفليس وعودهم عنها
١٥ ما فعله طغرلبك بخراسان
١٦ مخاطبة جلال الدولة بملك الملوك
١٦ عدة حوادث
١٧ (سنة ثلاثين وأربعمائة)
١٧ وصول الملك مسعود من غزنة إلى خراسان وإجلاء السلجوقية عنها

صفحة

١٧ ملك أبى الشوك مدينة خولنجان
١٨ الخطبة العباسية بحران والرقة
١٨ عدة حوادث
١٩ (سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة)
١٩ ملك الملك أبى كاليجار البصرة
٢٠ ماجرى بعمان بعد موت أبى القاسم بن مكرم
٢٠ الحرب بين أبى الفتح بن أبى الشوك وبين عمه مهلهل
٢١ شغب الأتراك على جلال الدولة ببغداد
٢١ عدة حوادث
٢١ (سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة)
٢١ ابتداء الدولة السلجوقية وسياقة أخبارهم متتابعة
٢٦ قبض السلطان مسعود وقتله وملك أخيه محمد
٢٧ ملك مودود بن مسعود وقتله عمه محمدا
٢٨ الخلف بين جلال الدولة وقرواش صاحب الموصل
٢٨ ملك أبى الشوك دقوقا
٢٩ الحرب بين عسكر مصر والروم
٢٩ الخلف بين المعز وبنى حماد
٢٩ صلح أبى الشوك وعلاء الدولة
٢٩ عدة حوادث
٣٠ (سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة)
٣٠ وفاة علاء الدولة بن كاكويه
٣٠ ملك طغرلبك جرجان وطبرستان
٣٠ أحوال ملوك الروم

Marfat.com

Marfat.com

صحيفة

٣٢ فساد حال الدزبرى بالشام وما صار الأمر إليه بالبلاد
٣٢ عدة حوادث
٣٣ (سنة أربع وثلاثين وأربعمائة)
٣٣ ملك طغرلبك مدينة خوارزم
٣٤ قصد ابراهيم ينال همذان وما كان منه
٣٤ خروج طغرلبك إلى الرى وملك بلد الجبل
٣٥ مسير عساكر طغرلبك إلى كرمان
٣٦ الوحشة بين القائم بأمر الله أمير المؤمنين وجلال الدولة
٣٦ محاصرة شهر زور وغيرها
٣٦ خروج سكين بمصر
٣٦ عدة حوادث
٣٧ (سنة خمس وثلاثين وأربعمائة)
٣٧ إخراج المسلمين والنصارى الغرباء من القسطنطينية
٣٧ وفاة جلال الدولة وملك أبى كاليجار
٣٨ حال أبى الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين
٣٨ ملك مودود عدة حصون من بلد الهند
٣٨ الخلف بين الملك أبى كاليجار وفرامرز بن علاء الدولة
٣٨ أخبار الترك بماوراء النهر
٣٩ أخبار الروم والقسطنطينية
٣٩ طاعة المعز بأفريقية للقائم بأمر الله
٣٩ عدة حوادث
٣٩ (سنة ست وثلاثين وأربعمائة)
٣٩ قتل الاسماعيلية بما وراء النهر
٤٠ الخطبة للملك أبى كاليجار واصعاده إلى بغداد
٤٠ عدة حوادث
٤١ (سنة سبع وثلاثين وأربعمائة)

صفحة

٤١ وصول ابراهيم ينال إلى همذان وبلد الجبل
٤٢ عدة حوادث
٤٣ (سنة ثمان وثلاثين واربعمائة)
٤٣ ملك مهلهل قرميسين والدينور
٤٣ اتصال سعدى بن أبى الشوك بابراهيم ينال وما كان منه
٤٤ حصار طغرلبك اصبهان
٤٤ عدة حوادث
٤٤ (سنة تسع وثلاثين واربعمائة)
٤٤ صلح الملك أبى كاليجار والسلطان طغرلبك
٤٤ القبض على سرخان أخى أبى الشوك
٤٤ ملك ابراهيم ينال قلعة كنكور وغيرها
٤٦ استيلاء أبى كاليجار على البطيحة
٤٦ ظهور الأصفر وأسره
٤٦ عدة حوادث
٤٧ (سنة أربعين واربعمائة)
٤٧ رحيل عسكر ينال عن تيرانشاه وعود مهلهل إلى شهر زور
٤٨ موت الملك أبى كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم
٤٩ محاصرة العساكر المصرية مدينة حلب
٤٩ الخلف بين قرواش والأكراد الحميدية والهذبانية
٤٩ عدة حوادث
٥٠ (سنة إحدى وأربعين واربعمائة)
٥٠ ظهور الخلف بين قرواش وأخيه أبى كامل وصلحهما
٥١ مسير الملك الرحيم إلى شيراز وعوده عنها
٥١ الحرب بين البساسيرى وعقيل

صفحة

٥١ الوحشة بين طغرلبك وأخيه ابراهيم ينال
٥٢ الحرب بين دبيس بن مزيد وعسكر واسط
٥٢ وفاة مودود بن مسعود وملك عمه عبد الرشيد
٥٣ استيلاء البساسيرى على الأنبار
٥٣ انهزام الملك الرحيم من عسكر فارس
٥٣ عدة حوادث
٥٤ (سنة اثنتين واربعين وأربعمائة)
٥٤ ملك طغرلبك اصبهان
٥٤ عود عساكر فارس من الأهواز وعود الرحيم إليها
٥٤ استيلاء زعيم الدولة على مملكة أخيه قرواش
٥٥ استيلاء الغزى على مدينة فسا
٥٥ استيلاء الخوارج على عمان
٥٥ دخول العرب إلى أفريقية
٥٧ عدة حوادث
٥٧ (سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة)
٥٧ نهب سرق والحرب الكائنة عندها وملك الرحيم رامهرمز
٥٨ ملك الملك الرحيم اصطخر وشيراز
٥٨ انهزام الملك الرحيم بالأهواز
٥٩ الفتنة بين العامة ببغداد وإحراق المشهد (على ساكنيه السلام)
٦ عصيان بنى قرة على المستنصر بالله بمصر
٦٠ وفاة زعيم الدولة وإمارة قريش ابن بدران ٦٠ عدة حوادث
٦١ (سنة أربع وأربعين وأربعمائة)
٦١ قتل عبد الرشيد صاحب غزنة وملك فرخزاد

صفحة

٦٢ وصول الغز إلى فارس وانهزامهم
٦٢ الحرب بين قريش وأخيه المقلد
٦٣ وفاة قرواش
٦٣ استيلاء الملك الرحيم على البصرة
٦٤ ورود سعدى العراق
٦٤ عدة حوادث
٦٥ (سنة خمس وأربعين وأربعمائة)
٦٥ الفتنة بين السنية والشيعة ببغداد
٦٥ استيلاء الملك على ارجان ونواحيها
٦٥ مرض السلطان طغرلبك
٦٥ عود سعدى بن أبي الشوك إلى طاعة الرحيم
٦٦ عود الامير أبي منصور إلى شيراز
٦٦ إيقاع البساسيرى بالاكراد والاعراب
٦٦ عدة حوادث
٦٦ (سنة ست وأربعين وأربعمائة)
٦٦ فتنة الأتراك ببغداد
٦٧ استيلاء طغرلبك على أذربيجان وغزو الروم
٦٧ محاربة بنى خفاجة وهزيمتهم
٦٧ استيلاء قريش بن بدران على الأنبار والخطبة لطغرلبك بأعماله
٦٨ وفاة القائد بن حماد وما كان من أهله بعده
٦٨ ابتداء الوحشة بين البساسيرى والخليفة
٦٨ وصول الغز إلى الدسكرة وغيرها
٦٩ عدة حوادث
٦٩ (سنة سبع وأربعين وأربعمائة)
٦٩ استيلاء الملك الرحيم على شيراز
٦٩ قتل أبي حرب بن مروان
٧٠ وثوب الأتراك ببغداد بأهل البساسيرى والقبض عليه

صحيفة

٧٠ وصول طغرلبك إلى بغداد والخطبة له بها
٧١ وثوب العامة ببغداد بعسكر السلطان طغرلبك وقبض الملك الرحيم ٧٢ عدة حوادث
٧٤ (سنة ثمان وأربعين وأربعمائة)
٧٤ نكاح الخليفة ابنة داود أخى طغرلبك
٧٤ الحرب بين عميد المعز بن باديس وعبيد ابنه تميم
٧٤ ابتداء الدولة الملثمين
٧٥ ولاية يوسف بن تاشفين
٧٦ تبييض أبي الغنائم بن المحلبان
٧٧ الوقعة بين البساسيرى وقريش
٧٧ مسير السلطان طغرلبك إلى الموصل
٧٨ عود نور الدولة دبيس بن مزيد وقريش بن بدران إلى طاعة طغرلبك
٧٨ قصد السلطان ديار بكر وما فعله بسنجار ٧٩ عدة حوادث
٨٠ (سنة تسع وأربعين وأربعمائة)
٨٠ عود السلطان طغرلبك إلى بغداد
٨٠ الحرب بين هزارسب وفولاذ
٨١ القبض على الوزير اليازورى بمصر
٨١ عدة حوادث
٨٢ (سنة خمسين وأربعمائة)
٨٢ مفارقة ابراهيم ينال الموصل واستيلاء البساسيرى عليها وأخذها منه
٨٣ الخطبة بالعراق للعلوى المصرى وما كان إلى قتل البساسيرى
٨٥ عود الخليفة إلى بغداد
٨٦ قتل البساسيرى
٨٧ عدة حوادث
٨٧ (سنة إحدى وخمسين وأربعمائة)

صفحة

٨٧ وفاة فرخزاد صاحب غزنة وملك أخيه ابراهيم
٨٨ الصلح بين الملك ابراهيم وجغرى بك داود
٨٨ وفاة داود وملك ابنه ألب أرسلان
٨٨ حريق بغداد
٨٨ انحدار السلطان إلى واسط وما فعل العسكر وإصلاح دبيس
٨٩ عدة حوداث
٨٠ (سنة اثنتين وخمسين وأربعمائه)
٨٩ عود ولى العهد إلى بغداد مع أبي الغنائم بن المحلبان
٨٩ ملك محمود بن شبل الدولة حلب
٩٠ عدة حوادث
٩٠ (سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة)
٩٠ وزارة ابن دارست للخليفة
٩١ موت المعز بن باديس وولاية ابنه تميم
٩١ وفاة قريش صاحب الموصل وإمارة ابنه شرف الدولة
٩١ وفاة نصر الدولة بن مروان
٩٢ عدة حوادث
٩٢ (سنة أربع وخمسين وأربعمائة)
٩٢ نكاح السلطان طغرلبك ابنة الخليفة
٩٣ عزل ابن دارست ووزارة ابن جهير
٩٣ عدة حوادث
٩٤ (سنة خمس وخمسين وأربعمائة)
٩٤ ورود السلطان بغداد ودخوله بابنة الخليفة
٩٤ وفاة السلطان طغرلبك
٩٩ شيء من سيرته
٩٥ ملك السلطان الب أرسلان

Marfat.com

Marfat.com

صحيفة
٩٥ خروج حموعن طاعة تميم بن المعز بافريقية
٩٦ عدة حوادث
٩٦ (سنة ست وخمسين وأربعمائة)
٩٦ القبض على عميد الملك وقتله
٩٧ ملك ألب أرسلان ختلان وهراة وصغانيان
٩٨ عود ابنة الخليفة إلى بغداد والخطبة للسلطان ألب أرسلان ببغداد
٩٨ الحرب بين ألب أرسلان وقتلمش
٩٨ فتح ألب أرسلان مدينة آنى وغيرها من بلاد النصرانية
١٠٠ عدة حوادث
١٠١ (سنة سبع وخمسين وأربعمائة)
١٠١ الحرب بين بنى حماد والعرب
١٠٢ بناء مدينة بجاية
١٠٣ ملك ألب أرسلان جند وصيران
١٠٣ عدة حوادث
١٠٣ (سنة ثمان وخمسين وأربعمائة)
١٠٣ عهد ألب أرسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه
١٠٤ استيلاء تميم على مدينة تونس
١٠٤ ملك شرف الدولة الأنبار وهيت وغيرهما
١٠٤ عدة حوادث
١٠٥ (سنة تسع وخمسين وأربعمائة)
١٠٥ عصيان ملك كرمان على ألب أرسلان وعوده إلى طاعته
١٠٥ عدة حوادث
١٠٦ (سنة ستين وأربعمائة)
١٠٦ عدة حوادث
١٠٦ (سنة إحدى وستين وأربعمائة)
١٠٦ عدة حوادث
١٠٧ (سنة اثنتين وستين وأربعمائة)

صحيفة
١٠٧ عدة حوادث
١٠٨ (سنة ثلاث وستين وأربعمائة)
١٠٨ الخطبة للقائم بأمر الله والسلطان بحلب
١٠٩ استيلاء السلطان ألب ارسلان على حلب
١٠٩ خروج ملك الروم إلى خلاط وأسره
١١٠ ملك أتسز الرملة وبيت المقدس
١١٠ عدة حوادث
١١١ (سنة أربع وستين وأربعمائة)
١١١ ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنكية بغداد
١١١ تزويج ولى العهد بابنة السلطان
١١١ ولاية أبى الحسن بن عمار طرابلس
١١١ ملك السلطان ألب أرسلان قلعة فضلون بفارس
١١٢ عدة حوادث
١١٢ (سنة خمس وستين وأربعمائة)
١١٢ قتل السلطان ألب أرسلان
١١٣ نسب ألب أرسلان وبعض سيرته
١١٣ ملك السلطان ملك شاه
١١٣ ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ
١١٤ قصد صاحب غزنة سكاسكند
١١٤ الحرب بين السلطان ملكشاه وعمه قاورت بك
١١٤ تفويض الأمور إلى نظام الملك
١١٥ قتل ناصر الدولة بن حمدان
١١٨ عدة حوادث
١١٨ (سنة ست وستين وأربعمائة)
١١٨ تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه
١١٩ غرق بغداد
١١٩ ملك السلطان ملكشاه ترمذ

صحيفة
والهدنة بينه وبين صاحب سمرقند
١١٩ عدة حوادث
١٢٠ (سنة سبع وستين وأربعمائة)
١٢٠ وفاة القائم بأمر الله وذكر بعض سيرته
١٢٠ خلافة المقتدى بأمر الله
١٢١ عدة حوادث
١٢٢ (سنة ثمان وستين وأربعمائة)
١٢٢ ملك الأقسيس دمشق
١٢٢ عدة حوادث
١٢٣ (سنة تسع وستين وأربعمائة)
١٢٣ حصر اقسيس مصر وعوده عنها
١٢٤ عدة حوادث
١٢٤ (سنة سبعين وأربعمائة)
١٢٤ عدة حوادث
١٢٥ (سنة إحدى وسبعين وأربعمائة)
١٢٥ عزل ابن جهير من وزارة الخليفة
١٢٦ استيلاء تتش على دمشق
١٢٦ عدة حوادث
١٢٧ (سنه اثنتين وسبعين وأربعمائة)
١٢٧ فتوح ابراهيم صاحب غزنة فى بلاد الهند
١٢٧ ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب
١٢٨ مسير ملك شاه إلى كرمان
١٢٨ عدة حوادث
١٢٨ (سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة)
١٢٨ استيلاء تكش على بعض خراسان وأخذها منه
١٢٩ عدة حوادث
١٢٩ (سنه أربع وسبعين وأربعمائة)
١٢٩ خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه
١٣٠ وفاة نور الدولة بن مزيد وإمارة ولده منصور
١٣٠ محاصرة تميم بن المعز مدينة قابس

صحيفة

١٣٠ عدة حوادث
١٣١ (سنة خمس وسبعين وأربعمائة)
١٣١ وفاة جمال الملك بن نظام الملك
١٣١ الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة
١٣١ مسير الشيخ أبي اسحق إلى السلطان فى رسالة
١٣٢ حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها
١٣٢ عدة حوادث
١٣٣ (سنة ست وسبعين وأربعمائة)
١٣٣ عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ومسير والده فخر الدولة إلى ديار بكر
١٣٣ عصيان أهل حران على شرف الدولة وفتحها
١٣٣ وزارة أبي شجاع محمد بن الحسين للخليفة
١٣٣ قتل أبي المحاسن بن أبي الرضا
١٣٤ استيلاء مالك بن علوى على القيروان وأخذها منه
١٣٤ عدة حوادث
١٣٤ (سنة سبع وسبعين وأربعمائة)
١٣٤ الحرب بين فخر الدولة بن جهير وابن مروان وشرف الدولة
١٣٥ استيلاء عميد الدولة على الموصل
١٣٦ عصيان تكش على أخيه السلطان ملكشاه
١٣٦ فتح سليمان بن قتلمش انطاكية
١٣٧ قتل شرف الدولة وملك أخيه ابراهيم
١٣٧ عدة حوادث
١٣٨ (سنة ثمان وسبعين وأربعمائة)
١٣٨ استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة

صحيفة

١٣٨ استيلاء ابن جهير على آمد
١٣٨ ملكه أيضا ميافارقين
١٣٩ ملك جزيرة ابن عمر
١٣٩ عدة حوادث
١٤٠ (سنة تسع وسبعين وأربعمائة)
١٤٠ قتل سليمان بن قتلمش
١٤٠ ملك السلطان حلب وغيرها
١٤١ وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة
١٤١ وقعة الزلاقة بالأندلس وهزيمة الفرنج
١٤٣ دخول السلطان إلى بغداد
١٤٣ عدة حوادث
١٤٣ (سنة ثمانين وأربعمائة)
١٤٥ زفاف ابنة السلطان إلى الخليفة
١٤٥ عدة حوادث
١٤٦ (سنة إحدى وثمانين وأربعمائة)
١٤٦ الفتنة ببغداد
١٤٧ إخراج الأتراك من حريم الخلافة
١٤٧ ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها
١٤٧ وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور
١٤٧ وفاة ابراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود
١٤٨ عدة حوادث
١٤٨ (سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة)
١٤٨ الفتنة ببغداد بين العامة
١٤٨ ملك السلطان ملكشاه ماوراء النهر
١٤٩ عصيان سمرقند
١٤٨ فتح سمرقند الفتح الثانى
١٥٠ عود ابنة السلطان زوجة الخليفة إلى أبيها
١٥٠ فتح عسكر مصر عكا وغيرها من الشام

صحيفة

١٥٠ الفتنة بين أهل بغداد ثانية
١٥١ حيلة لأمير المسلمين ظهرت ظهورا غريبا
١٥١ ملك العرب مدينة سوسة وأخذها منهم
١٥٢ عدة حوادث
١٥٢ (سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة)
١٥٢ وفاة فخر الدولة أبي نصر بن جهير
١٥٣ نهب العرب البصرة
١٥٣ عدة حوادث
١٥٤ (سنة أربع وثمانين وأربعمائة)
١٥٤ عزل الوزير أبي شجاع ووزارة عميد الدولة بن جهير
١٥٤ ملك أمير المسلمين بلاد الأندلس التى للمسلمين
١٥٧ ملك الفرنج جزيرة صقلية
١٥٩ وصول السلطان إلى بغداد
١٥٩ عدة حوادث
١٦٠ (سنة خمس وثمانين وأربعمائة)
١٦٠ الحرب بين المسلمين والفرنج بجيان
١٦٠ استيلاء تتش على حمص وغيرها من ساحل الشام
١٦١ ملك السلطان اليمن
١٦١ مقتل نظام الملك
١٦٢ ابتداء حاله وشىء من أخباره
١٦٣ وفاة السلطان وذكر بعض سيرته
١٦٤ ملك ابنه الملك محمود وما كان من حال ابنه الأكبر بركيارق إلى أن ملك
١٦٥ قتل تاج الملك
١٦٥ مافعله العرب بالحجاج والكوفة
١٦٦ عدة حوادث
١٦٦ (سنة ست وثمانين وأربعمائة)

Marfat.com

صحيفة

١٦٦ وزارة عزالملك بن نظام الملك
١٦٦ حال تتش بن ألب أرسلان
١٦٧ وقعة المضبع وأخذ الموصل من العرب
١٦٧ ملك تتش ديار بكر وأذربيجان وعوده إلى الشام
١٦٨ حصر عسكر مصر صور وملكهم لها
١٦٨ قتل اسمعيل بن ياقوتى خال بركيارق
١٦٨ أخذ الحجاج
١٦٨ عدة حوادث
١٧٠ (سنة سبع وثمانين وأربعمائة)
١٧٠ الخطبة للسلطان بركيارق
١٧٠ وفاة المقتدى بأمر الله
١٧٠ خلافة المستظهر بالله
١٧٠ قتل قسيم الدولة آقسنقر ملك تتش حلب والجزيرة وديار بكر وأذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداد
١٧١ انهزام بركيارق من عمه تتش وملكه اصبهان بعد ذلك
١٧٢ وفاة أمير الجيوش بمصر
١٧٢ وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلى
١٧٣ عدة حوادث
١٧٤ (سنة ثمان وثمانين وأربعمائة)
١٧٤ دخول جمع من الترك افريقية وما كان منهم
١٧٥ قتل أحمد خان صاحب سمرقند
١٧٥ مافعله يوسف بن آبق ببغداد
١٧٥ الحرب بين بركيارق وتتش وقتل تتش
١٧٥ حال الملك رضوان وأخيه دقاق بعد قتل أبيهما
١٧٧ وفاة المعتمد بن عباد
١٧٧ وفاة الوزير أبى شجاع

صحيفة

١٧٧ الفتنة بنيسابور
١٧٨ عدة حوادث
١٧٩ (سنة تسع وثمانين وأربعمائة)
١٧٩ قتل يوسف بن آبق والمجن الحلبى
١٧٩ وفاة منصور بن مروان
١٨٠ ملك تميم مدينة قابس أيضا
١٨٠ ملك كربوقا الموصل
١٨١ عدة حوادث
١٨٢ (سنة تسعين وأربعمائة)
١٨٢ قتل أرسلان أرغون
١٨٢ استيلاء عسكر مصر على مدينة صور
١٨٣ ملك بركيارق خراسان وتسليمها إلى أخيه سنجر
١٨٣ خروج أمير أميران بخراسان مخالفا
١٨٣ عصيان الأمير قودن ويارقطاش على السلطان واستعمال حبشى على خراسان
١٨٤ ابتداء دولة محمد بن خوارزمشاه
١٨٤ الحرب بين رضوان وأخيه دقاق
١٨٤ الخطبة للعلوى المصرى بولاية رضوان
١٨٥ عدة حوادث
١٨٥ (سنة إحدى وتسعين وأربعمائة)
١٨٥ ملك الفرنج مدينة انطاكية
١٨٦ مسير المسلمين إلى الفرنج وما كان منهم
١٨٧ ملك الفرنج معرة النعمان
١٨٨ الحرب بين الملك سنجر ودولتشاه
١٨٨ عدة حوادث
١٨٨ (سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة)
١٨٨ عصيان الأمير أنز وقتله
١٨٩ ملك الفرنج لعنهم الله البيت المقدس
١٩٠ الحرب بين المصريين والفرنج

صحيفة

١٩٠ ذكر ابتداء ظهور السلطان محمد ابن ملكشاه
١٩١ الخطبة ببغداد للملك محمد
١٩١ قتل مجد الملك البلاسانى
١٩٢ عدة حوادث
١٩٣ (سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة)
١٩٣ أعادة خطبة السلطان بركيارق ببغداد
١٩٣ الوقعة بين السلطانين بركيارق ومحمد وإعادة خطبة محمد ببغداد
١٩٤ قتل سعد الدولة كوهرآيين
١٩٤ حال السلطان بركيارق بعد الهزيمة وانهزامه من أخيه سنجر أيضا وقتل أمير داذ حبشى
١٩٤ فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس
١٩٥ عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته
١٩٥ ظفر المسلمين بالفرنج
١٩٥ عدة حوادث
١٩٦ (سنة أربع وتسعين وأربعمائة)
١٩٦ الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وقتل مؤيد الملك
١٩٧ حال السلطان محمد بعد الهزيمة واجتماعه بأخيه الملك سنجر
١٩٧ مافعله السلطان بركيارق ودخوله بغداد
١٩٨ خلاف صدقة بن مزيد على بركيارق
١٩٨ وصول السلطان محمد إلى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها
١٩٩ حال قاضى جبلة
٢٠٠ قتل الباطنية
٢٠٠ ما فعل بهم العامة باصبهان

Marfat.com

صحيفة

٢٠٠ قلاعهم التى استولوا عليها ببلاد العجم
٢٠٢ مافعله جاولى سقاوو بالباطنية
٢٠٣ قتل صاحب كرمان الباطنى وملك غيره
٢٠٣ السبب فى قتل بركيارق الباطنية
٢٠٤ حصر الأمير برغش قهستان وطبس
٢٠٤ ما ملك الفرنج من الشام
٢٠٤ عدة حوادث
٢٠٥ (سنة خمس وتسعين وأربعمائة)
٢٠٥ وفاة المستعلى بالله وولاية الآمر بأحكام الله
٢٠٥ الحرب بين السلطان بركيارق والسلطان محمد والصلح بينهما
٢٠٦ الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وانفساخ الصلح بينهما
٢٠٧ حصار السلطان بأصبهان
٢٠٨ قتل الوزير الاعز ووزارة الخطير أبى منصور
٢٠٨ حادثة يعتبر بها
٢٠٩ الفتنة بين الغزى وعامة بغداد
٢٠٩ قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها
٢١٠ وفاة كربوقا وملك موسى التركمانى الموصل وجكرمش بعده وملك سقمان الحصن
٢١٠ حال صنجيل الفرنجى وما كان منه فى حصار طرابلس
٢١١ مافعله الفرنج
٢١٢ عود قلعة خنتيذكان إلى سرخاب ابن بدر
٢١٢ قتل قدرخان صاحب سمرقند
٢١٣ ملك محمد خان سمرقند

صفحة

٢١٣ عدة حوادث
٢١٤ (سنة ست وتسعين وأربعمائة)
٢١٤ استيلاء ينال على الرى وأخذها منه ووصوله إلى بغداد
٢١٤ مافعله ينال بالعراق
٢١٥ وصول كمشتكين القيصرى شحنة إلى بغداد والفتنة بينه وبين ايلغازى وسقمان وصدقة
٢١٦ استيلاء صدقة على هيت
٢١٦ الحرب بين بركيارق ومحمد
٢١٧ عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبى سعد بن الموصلايا فى الوزارة
٢١٨ ملك الملك دقاق مدينة الرحبة
٢١٨ أمراء الفرنج بالشام
٢١٩ عدة حوادث
٢١٩ (سنة سبع وتسعين وأربعمائة)
٢١٩ ملك بلك بن بهرام بن ارتق مدينة عانة
٢٢٠ غارة الفرنج على الرقة وقلعة جعبر
٢٢٠ الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد
٢٢١ ملك الفرنج جبيل وعكا من الشام
٢٢١ غزو سقمان وجكرمش الفرنج
٢٢٢ وفاة دقاق وملك ولده
٢٢٢ استيلاء صدقة على واسط
٢٢٢ عدة حوادث
٢٢٣ (سنة ثمان وتسعين وأربعمائة)
٢٢٣ وفاة السلطان بركيارق
٢٢٤ عمره وشىء من سيرته
٢٢٤ الخطبة لملكشاه بن بركيارق
٢٢٤ حصر السلطان محمد جكرمش بالموصل

صفحة

٢٢٥ وصول السلطان إلى بغداد وصلحه مع ابن أخيه والأمير أياز
٢٢٦ قتل الأمير أياز
٢٢٧ وفاة سقمان بن ارتق
٢٢٨ حال الباطنية هذه السنة بخراسان
٢٢٨ حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام
٢٢٨ حرب الفرنج والمصريين
٢٢٩ عدة حوادث
٢٣٠ (سنة تسع وتسعين وأربعمائة)
٢٣٠ خروج منكبرس على السلطان محمد
٢٣٠ الحرب بين طغتكين والفرنج
٢٣١ الحرب بين عبادة وخفاجة
٢٣١ ملك صدقة البصرة
٢٣٢ حصر رضوان نصيبين وعوده عنها
٢٣٢ ملك طغتكين بصرى
٢٣٣ ملك الفرنج حصن أفامية
٢٣٤ نهب العرب البصرة
٢٣٥ حال طرابلس الشام مع الفرنج
٢٣٥ عدة حوادث
٢٣٦ (سنة خمسمائة)
٢٣٦ وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه على
٢٣٧ قتل نظر الملك بن نظام الملك
٢٣٧ ملك صدقة بن مزيد تكريت
٢٣٨ الحرب بين عبادة وخفاجة
٢٣٨ مسير جاولى سقاوو الى الموصل وأسر صاحبها جكرمش
٢٣٩ حصر جاولى سقاوو الموصل وموت جكرمش
٢٣٩ الحرب بين ملك القسطنطينية والفرنج
٢٤٠ ملك قلج أرسلان الموصل

Marfat.com

Marfat.com